

محمد سعيد الطريحي

معالم الشام وأعلامها تاريخ التشيع في بلاد الشام



الجزء الثاني

دار الرافدين



محمد سعيد الطريحي

معالم الشام وأعلامها

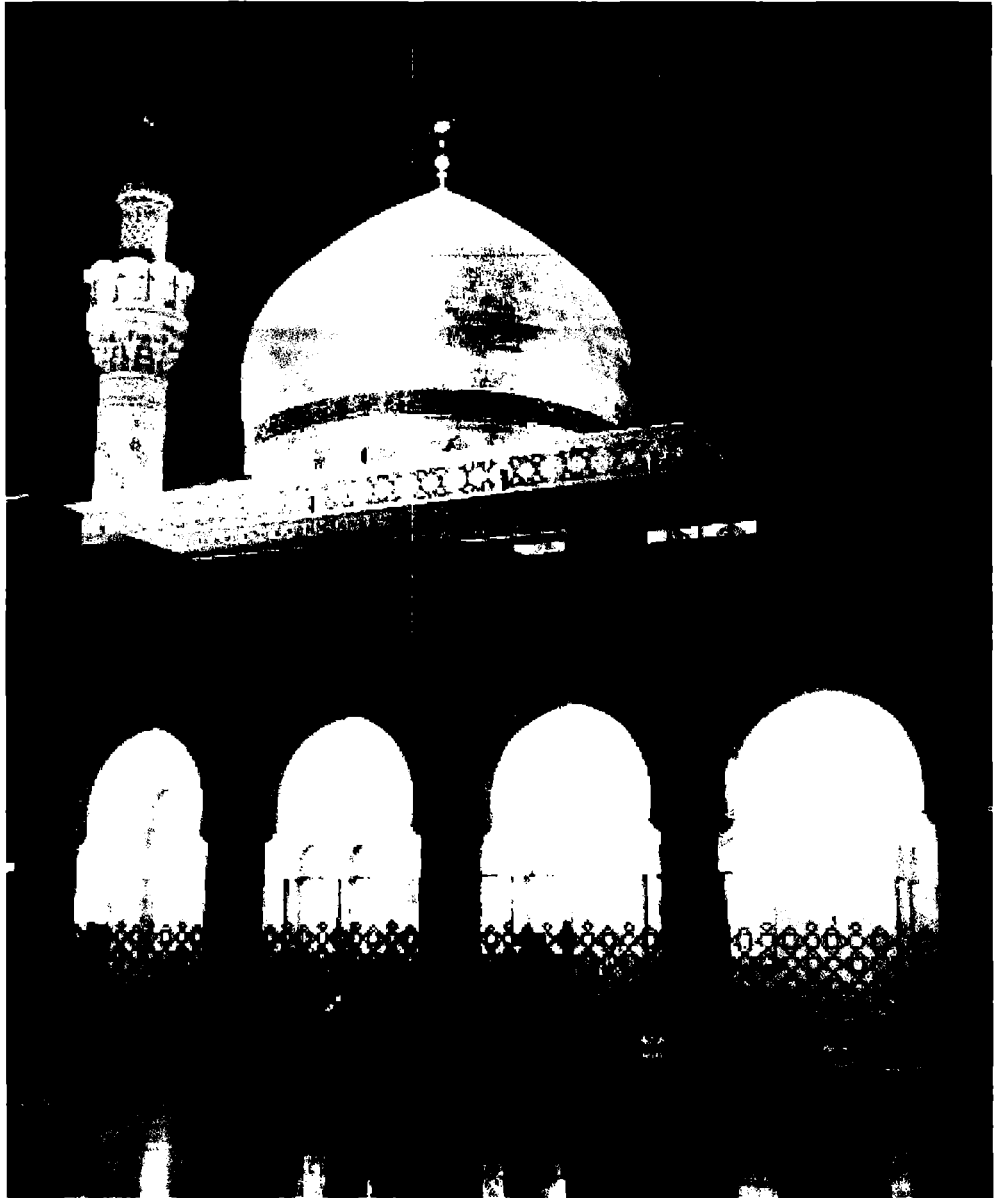
الجزء الثاني



الكوفة
Kula Academy

أَكْبَادُ مَدِينَةِ الْكُوفَةِ

هولنده



نَايِخُ الشَّيْعَةِ فِي الشَّعْءِ

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين
الطاهرين الأئمة المعصومين
عليهم جميعاً آمين

المكتبة الملكية - لاهاي ISSN 13842773

يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعائم ورقية أو عبر الحاسبات
لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء منها، بغير إذن كتابي مسبق من الناشر
Hans Katib Van Oud-beijerland

الموسم

موسوعة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريره
محمد سعيد الطريحي

تكرم حرية الفكر، وتحترم رأي كل مجتهد اتفقت معه في الرأي أم اختلفت.

غير مسؤولة عما ينشر فيها من مقالات وبحوث وآراء.

ترحب بكل رد يصلها على أي مقال يُنشر فيها، عندما يكون صاحب هذا الرد
صادراً في كتاباته عن معرفة وملتزماً بأداب المناظرة.

الموسم

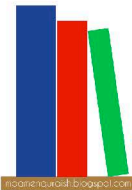
الموسم

الموسم

KUFA ACADEMY POSTBUS 1113
3260 AC OUD - BEIJERLAND
NEDERLAND
<http://www.almawsem.net>
<http://www.yafatim.com>
e-mail: almawsem@almawsem.net

مكتبة
مؤمن قريش

www.almawsem.net



ndarimqarib.blogspot.com

المحتويات

٧	مقام السيدة خولة بنت الإمام الحسين(ع) في بعلبك... الدكتورة زاهية حسين كنعان
١٦	أذرح.. هنري لامنس
٢٠	التشيع في فلسطين
٢٦	غزة هاشم ... جرجي زيدان
٢٨	أضرحة شهداء مؤته... عبد الله النسور
٣٥	شهداء مؤته ومقام جعفر الطيار.. علي البهادلي
٤٠	جعفر بن أبي طالب.. سترشتين
٤١	جعفر الطيار... السيد حسن قرون
٤٥	ذو الجناحين «جعفر بن أبي طالب».. الدكتور عبد العزيز غنيم
٥٠	جعفر بن أبي طالب «شهيد مؤته».. السيد حسن الأمين
٥٦	ذو الجناحين.. للاستاذ محمود الخفيف
٦٠	من الكوفة إلى الحميمة.. صالح الحمارنة
٧١	كهف أهل الكهف في قرية رجب (قرب عمان)
٧٥	من دفن أو استوطن دمشق من الصحابة وآل البيت ... محمد أديب تقي الدين الحصني
٩٦	ما ذكره ياقوت من مزارات الشام المختصة بآل البيت (ع) وغيرهم
٩٨	المدفونون في دمشق... البدري المصري الدمشقي
١٠١	الشيخ محمد الحرفوش ... حسن نصر الله
١٠٨	العقد الحمين في مقام الأربعين... الشيخ محمد أمين
١٢٢	السيد حسين الحسيني آل مرتضى .. حسن نصر الله
١٣٣	الأمير فضل باشا علوي الحسيني المليباري المكي.. محمد سعيد الطريحي
١٤٠	الشريف عبد الله آل علوي الحسيني
١٤٥	تحت راية لا إله إلا الله... الشريف عبد الله آل علوي الحسيني
١٦١	سعيد بن حيدر آل حيدر
١٦٣	الإمام السيد محسن الأمين
١٦٩	الشيخ ابراهيم عبد اللطيف

١٧٤	الشيخ محمد مرعي الأمين الانطاكي
١٧٦	السيد عبد المطلب الأمين
١٧٩	رضا النحاس
١٨٠	شفيق نحاس
١٨١	عبد الكريم الناعم
١٨٤	زينب زهرة حزن النبوة... الأستاذ عبد الكريم الناعم
١٩٠	مهدي بديره
١٩١	أديب الروماني
١٩١	علي الروماني
١٩٢	الشيخ حسين شحادة
١٩٤	حسين قطان
١٩٧	التشيع في الشام وجبل عامل خاصة.. الشيخ محمد تقي الفقيه
٢٠٢	انتشار التشيع في سورية... السيد محسن الأمين
٢٠٦	متفرقات دمشقية... فتى الكوفة
٢٠٨	المتاولة أو الشيعة في جبل عامل.. الشيخ أحمد رضا
٢٣١	الشيعة في جبل عامل.. الأمير شكيب أرسلان
٢٣٦	المتاولة في سورية... جورج ديمتري سرسق
٢٤٣	صفحة من التاريخ الدامي للشيعة في الشام.. الدكتور محمد علي مكّي
٢٥٢	الحوزة العلمية الزينية لمؤسسها الإمام الشهيد السيد حسن الشيرازي (قدس سره)
٢٧٢	رحلة مرتضى آل مرتضى إلى الحرمين الشريفين سنة ١١٢٠ هـ
٢٩١	فصول من كتاب تاريخ الإمامية في البلاد الشامية.. محمد سعيد الطريحي
٣٣٨	ديوان الشيخ يوسف صندوق الحسيني (١٨٦٦ - ١٩١٦ م)
٣٦٣	ديوان الشيخ أحمد صندوق الحسيني الدمشقي (١٣١٥ - ١٣٧٥ هـ)
٤١٤	الرياض الزاهرة في مناقب العترة الطاهرة... محمد حسني صندوق
٤٣٨	الشيخ محمد حمدان الخير... الدكتورة سلوى محمد الخير
٤٤٧	آل البيت في شعر الشيخ الخير... عز الدين الخير
٤٥٥	مساجلة أدبية «ذكرى الشباب».. من أرشيف الموسم
٤٦٣	مختارات من شعر الشيخ محمد حمدان الخير
٤٨١	مذكرات مجتهد شيعي، الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين
٥١٩	سعيد للغري سعى مغداً... السيد عبد الستار الحسني

مقام السيدة خولة بنت الإمام الحسين (ع) في بعلبك

من هي خولة؟ مقام خولة

من منطلق إيماننا بوجود الله وما يستتبعه من إيمان بوجود أنبياء ورسل وما يلعبه هؤلاء من دور مهم في تغيير أو ترسيخ عادات وتقاليده معينة عند الشعوب، وما لهذا الموضوع من تأثير على تطور هذه الشعوب، رأينا من الأهمية بمكان أن نتطرق ببحثنا إلى دراسة ظاهرة النذور عامة، والنذور للأولياء الصالحين خاصة، واتخذنا من «مقام الست خولة» نموذجاً قائماً في مدينة بعلبك، الذي يمارس حوله الشعائر الدينية، وتقام الطقوس، وتراعى فيه النذور، فضلاً عن أن هناك عدة نماذج قائمة للأولياء في المدينة.

من هم الأولياء؟

«الأولياء في رأي المعتقد الشعبي هم بعض الصالحين الذين يتميزون بالتقوى عادة، ويظهرون من «الكرامات» ما يدل على جدارتهم بلقب الولاية هذا، فالأولياء على خلاف بعض موضوعات المعتقد الشعبي الأخرى - كالأحلام مثلاً - تتباين صورتها في نفوس الشعب وممارستهم اليومية تبايناً كبيراً عن صورتها في العقيدة الدينية الصحيحة، فالأولياء من وجهة النظر الدينية - وينص الكتاب الكريم - هم «الذين آمنوا وكانوا يتقون تبايناً»، الذين كانوا في حياتهم لله عباداً مخلصين، لم يتجهوا بقلوبهم إلى غير الله، ولم يقفوا بباب أحد سواه، ولم يرفعوا أكف الضراعة إلا إليه، ولقد كانوا يدعون الناس إلى هدى الله وشرعه»^(١)

إذن فالولي هو من عباد الله الصالحين والمؤمنين المخلصين لله وحده، لا يتضرع إلا إليه، ويكون في حياته مؤمناً زاهداً داعياً الناس إلى عبادة الله تعالى، فكلمة «ولي» هي للدلالة على تلك الفئة من الشخصيات الدينية التي تحظى بتكريم خاص من جانب الناس (مسلمين ومسيحيين) ولكنها لا تنتمي، مع ذلك - إلى فئة الأنبياء.

الأولياء من النساء:

رغم أن تفكيرنا في الأولياء ينصرف عادة إلى الذكور منهم، إلا أننا سنرى أن هناك طائفة من الأولياء الإناث، وعلى رأس تلك الطائفة تأتي بنات الرسول (ص) وسيدات البيت النبوي.

(١) د. محمد الجوهري: علم الفولكلور، ج ٢، دار المعارف، طبعة أولى.

«تشتهر في القاهرة - على سبيل المثال - مقامات كل من السيدة زينب، والسيدة سكيئة، والسيدة نفيسة، كما أن هناك شيخات محليات، كن نسوة عاديّات اظهرن امارات الولاية- الكرامات- اثناء حياتهن أو بعد موتهن، فأقام لهن أهل القرى المقامات، ويحظين بموارد كبيرة مزدحمة حية»^(١) وهنا يجب مراعاة العلاقة بين الانبياء وبعض الأولياء، فهناك بعض الانبياء الذين يتخذ تكريمهم الشكل المتبع بالنسبة للاولياء، وهذا ممكن الحصول، لأن بعض شخصيات الأولياء يستمدون مكانتهم من علاقتهم المخصوصة مع بعض الأنبياء، فمثلاً كبعض المولودين من نسلهم وبعض صحاباتهم ورفاقهم، هذا ما سنلاحظه عند حديثنا عن «الست خولة» ومقامها الموجود في منطقة بعلبك.

من هي خولة؟

قبل البدء في التعريف «بالست خولة» ومقامها، رأينا من الضروري أن نلفت النظر إلى صعوبة إيجاد مصادر كثيرة تذكر «الست خولة» ومقامها، لهذا لم يكن لدينا معلومات وفيرة، وسوف نكتفي بالذي عثرنا عليه من مصادر. وقد ساعدتنا المقابلات التي أجريناها مع بعض الزائرين في الحصول على معلومات عن «الست خولة».

جاء في مقالة للدكتور نصر الله مايلي: «تضاربت الروايات الذاكرة لعدد أولاد الإمام الحسين واسمائهم.. عدد الطبرسي (المتوفي ٥٥٢هـ) ستة أولاد، أبعة ذكور وابنتان.
١- علي بن الحسين الأكبر (زين العابدين) وأمه - على ماقيل - شاه زنان بنت كسرى يزدجرد ملك فارس.

٢- علي الأصغر، قتل مع ابيه في عاشوراء، امه ليلى بنت أبي مرة بن عروة الثقفية. والناس يغلطون ويقولون: هو علي الأكبر.

٣- جعفر بن الحسين وامه قضاعية، مات في حياة ابيه.

٤- عبد الله الرضيع، قتل يوم عاشوراء، امه الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن اوس.

٥- سكيئة، وامها الرباب.

٦- فاطمة، وامها ام اسحق بنت طلحة بن عبيد الله تيمية. وارتفع العدد لدى ابن الخشاب إلى تسعة، ستة بنين، وثلاثة بنات»^(٢).

وقد أخذ السيد محسن الأمين بهذا الرأي عندما اورد حديثاً عن أولاد الإمام الحسين (ع) فقال:

«له من الأولاد ستة ذكور وثلاث بنات، علي الأكبر شهيد كربلاء أمه ليلى بنت أبي مرة بن

عروة بن مسعود الثقفية.

(١) الجوهرى: علم الفولكلور، ج٢، ص٤٥.

(٢) د. نصر الله: مزار السيدة خولة في بعلبك، الموسم، ص١٠٤٣، ٧٤، ١٩٩٠م.

علي الأوسط، علي الأصغر زين العابدين أمه شاهزنان بنت كسرى، ومحمد، وجعفر مات في حياة أبيه ولم يعقب أمه قضاعية، وعبد الله الرضيع جاءه سهم وهو في حجر أبيه فذبحه، وسكينة أمها وأم عبد الله الرضيع الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر، وفاطمة أمها أم اسحق، وزينب^(١).

من خلال هذا لم نستطع إيجاد ذكر بنت للحسين واسمها خولة، «في حين رجح الإربلي (علي بن عيسى، توفي ٦٩٢ هـ) أن أولاد الإمام عشرة: ستة ذكور، وأربع إناث: علي الأكبر، علي الأوسط (زين العابدين) علي الأصغر، وعبد الله، وجعفر ومحمد، وأما البنات فزينب، وسكينة وفاطمة ولم يذكر اسم الرابعة، ولعل الرابعة التي لم يذكر اسمها أحد من المؤرخين هي خولة بنت الحسين المدفونة في بعلبك»^(٢) وهنا نتوصل إلى تساؤل وهو: كيف وصلت خولة إلى بعلبك ودفنت بها؟

وحتى نقف على جواب ذلك التساؤل نحاول قراءة ما ورد من وصف لأحداث ما بعد مقتل الإمام الحسين (ع) في كربلاء فقد: «أكد أبو مخنف (المتوفي ١٧٥ هـ) إن موكب الإمام علي بن الحسين، وزين العابدين والنساء ورأس الإمام الحسين مروا على بعلبك، (في طريقهم من كربلاء للشام) واستقبلهم سكانها بالأهازيج وقرع الطبول، وظهر الشماتة، فقالت لهم السيدة زينب (ع): يا أهل بعلبك، اتشمتون بقتل ابن نبيكم «لا جمع الله كلمتكم وسلط عليكم شراركم، ولا أعذب الله شرابكم، ولا رفع أيدي الظلمة عنكم» علق أبو مخنف قائلاً: فلو أن الدنيا مملوءة عدلاً وقسطاً لما نالهم إلا ظلم وجور... ولعل في هذه الرحلة توفيت الطفلة خولة ودفنت في البساتين المجاورة للهياكل»^(٣).

ضريح «الست خولة»:

هناك العديد من الروايات الشعبية حول اكتشاف الضريح، من بين هذه الحكايات نور هنا مقابلة أجريتها مع زائرة لمرقد «الست خولة».

تقول الزائرة: «السيدة خولة هي بنت الإمام الحسين، عندما جاءت السبايا (من أهل البيت) وهم في طريقهم إلى الشام، من كربلاء، وكان عمر خولة آنذاك أربع سنين تقريباً، فمرضت مرضاً شديداً وهم في الطريق بالقرب من قلعة بعلبك، وتوفيت من جراء هذا المرض، ودفنت قرب الهياكل».

(١) الإمام السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة، حققه واخرجه: حسن الأمين، دار المعارف للطبعوعات، بيروت ١٠٤٣ هـ ١٩٨٣ م، ١٦، ص ٥٧٩.

(٢) د. نصر الله: مزار السيدة خولة في بعلبك، الموسم، ص ١٠٤٣، ٧٤، ١٩٩٠ م.

(٣) نفسه: ص ١٠٤٣.

كيف عرفت بأهميتها وشخصيتها؟ تجيب الزائرة: فقد عرفت من قبل رجل مؤمن من أهالي بعلبك، الذي حلم بها في المنام، إذ قالت له: أنا خولة بنت الحسين وأنا مدفونة بجوار ساقية ماء، وقالت أيضاً: بأن ينقلها إلى مكان آخر، وكان هذا الرجل يراها في المنام على مدة ثلاثة أيام متتالية، وكان خائفاً كثيراً لأنه يعتقد بأن من يرى أحد الأئمة ويرى أي شخص من أهل البيت فسوف يموت بعد يوم أو ثلاثة أيام. ففي اليوم الثالث، قرر أن يذهب ويخبر السيد علوان مرتضى بالقصة وقررا معاً نبش رفات القبر ونقله إلى مكان آخر، فقد روي عنه - أي السيد علوان - إنه رأى طفلة لاتزال كما هي، وكأنها قد توفيت منذ ساعة أو أقل... فحملها من مكانها وذهب بها إلى مكان بعيد عن مجرى المياه.

ولكن الاعجوبة تقول: إن هذا السيد قد توفي بعد ثلاثة أيام من نبشه رفات قبر «الست خولة»، وتكمل الزائرة، حديثها بشوق وكأنها تعيش تلك اللحظات الحماسية، فتقول: ومنذ ذلك الحين أصبح مقام «الست خولة» مزاراً يزوره الناس من أقاصي الأرض، وقد تم ترميم وتحسين المقام من أموال الوقف ومن النذورات التي كان يندرها الناس^(١)

هذا ويورد الدكتور نصر الله في مقالة ما يوضح إكتشاف الضريح فيقول: «تحكي الروايات الشعبية أن الأنوار كانت تنزل على تلك البقعة، وكانت مغروسة بالأشجار المثمرة التي ترويه مياه رأس العين، وكان يمتلك البستان رجلاً من (آل جاري) فأنته الطفلة في المنام وقالت له: أنا خولة بنت الحسين مدفونة في بستانك وعينت له المكان وأمرته أن يحول المياه عن ضريحها، ولكن الرجل لم يلتفت للأمر، وزارته في المنام مرة ثانية وثالثة.

بعدها إتصل الرجل بنقيب السادة (آل مرتضى) في بعلبك وقص عليه الرؤية فذهب النقيب مع مجموعة من الرجال، وحفروا المكان، واستخرجوا منه طفلة ماتزال غضة طرية، ونقلوها إلى مكان لاتتسرب إليه المياه، وشيّداً قبة صغيرة على الضريح، وتحول إلى مزار يؤمه أهل بعلبك، وجوارها، وجدد بناءه قائم مقام بعلبك التركي (إسحق روجي) في نهاية القرن التاسع عشر (١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م) فأرخ الشيخ صادق زغيب تجديد البناء بأبيات نقشت على حجر رخامي، ووضعت على مدخل الدار:

إلى بنت الحسين الطهر خولى	تحية ذي الجلال ، ندى لروح
إلى من قد سمت باباً لمجدٍ	على الثقيلين من انس وروح
حبي إسحق، حاكم بعلبك	بإحسان وريحان وروح
بنى هذا المقام عماد فخر	إلى شرواه تاقت كل روح
وقد شملته في تاريخ مجدٍ	أيادي ذا العلا اسحق روجي ^(٢)

(١) مقابلة شخصية مع السيدة امينة زعد في مرقد «الست خولة»، اجريت بتاريخ ٢٠ آذار ١٩٩٢.

(٢) د. نصر الله: مزار السيدة خولة في بعلبك، مجلة الموسم، ص ١٠٤٣.



وهذه الأبيات ماتزال على مدخل الدار محضورة على حجر رخامي البيض تشهد تاريخ المقام وتاريخ بنائه . إذن فإن خولة هي بنت الإمام الحسين (ع) . ماتت وهي صغيرة، لهذا لم تكن ذائعة الصيت ولم تشتهر كثيراً بين بنات الأئمة (ع) ولهذا لم تذكر المصادر الكثيرة اسمها ومقامها، وإن أول كتاب قرأناه أتى على ذكر ضريح السيدة خولة هو كتاب (تاريخ بعلبك) لميخائيل الوف الذي صدر أول مرة سنة ١٨٨٩م.

هذا مما سنرى ما أورده الوف عن مقام السيدة خولة حين حديثنا عن هذا المقام.

مقام « الست خولة »

إن تكريم الأولياء مرتبط على

الدوام بالضريح الذي يدفن فيه الولي، أو يعتقد أنه مدفون فيه، أو الذي طلب الولي نفسه بطريقة أو أخرى إقامته لتكريمه، إذ من الطبيعي أن يتفاوت الضريح من حيث شكله الخارجي وزينته وفخامته ومواد بنائه، وحجمه... تبعاً لمدى انتشار تكريم الولي، وإمكانات أهل المنطقة وزوار الولي وغير ذلك، ومازلنا نتحدث عن « الست خولة » ومقامها، فإن مقامها هذا «يقع على مدخل مدينة بعلبك، مقابل لوكندة الخواجة عرييد مسجد للسيدة خولة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قائم على مدفنهما المكرم من أهالي البلاد، وقد قيل (دون سند تاريخي) أنه لما سبي أهل البيت بعد موقعة كربلاء فأرسلوا إلى دمشق، ماتت خولة وهي طفلة في بعلبك ودفنت فيها»^(١) وهذا ما اكده الذين قابلناهم في المقام.

فالمقام محاط بسور، رصفت واجهته الامامية التي تطل على الطريق العام بالحجارة الصخرية البيضاء، له بوابة خارجية حديدية مطلية باللون الأسود تؤدي إلى ممر ضيق،

(١) الوف: تاريخ بعلبك، ص ١٣، م.س.

زرع على جانبيه شجرات مورقة خضراء، ويؤدي هذا الممر إلى حديقة صغيرة تقع شمالي الممر زرع بداخلها بعض أشجار الصنوبر والدفلى وشجرات برية صغيرة أخرى، وفيها بعض المقاعد الخشبية خاصة للزوار، وبجانب الحديقة إلى الشمال شيد منزل بطابقين خصص للزيارات المطولة، وفي آخر الممر باب حديدي آخر يقابل المدخل الرئيسي، ولكنه يختلف عنه كونه مطلي باللون الأخضر، وفوق الباب الخارجي للمزار أبيات شعرية للشيخ محمد صادق زغيب تؤرخ البناء الخارجي، تنزل من الباب على ثلاثة درجات إلى باحة وفي وسط الباحة بركة سداسية الشكل مطلية باللون الأزرق مليئة بالماء النظيفة للوضوء ولأغراض أخرى كالتنظيف والشرب..

وإلى يمين البركة شيد بيت صغير تسكنه خادمة مرقد «الست خولة» وأكثر ما يعطي الباحة جمالها وسحرها وشاعريتها هي شجرة سرو قديمة محيط جذعها حوالي سبعة أمتار تقريباً، أما أرض الباحة فقد رصف جزء منها بالحجارة الصخرية وخاصة ذلك الذي يلاصق «دار الست» وهناك إلى الشمال قبر قديم من الحجارة الرخامية البيضاء اللون عرف بأنه ضريح لأحد آل المرتضى الذي أوصى أن يدفن هناك، «وفي دار المسجد مقبرة للسادة آل مرتضى سدنة هذا المقام وفيها شجرة سرو قديمة العهد»^(١) وإن هناك قبوراً أخرى ولكنها تهدمت بفعل مرور الزمن، وقالت خادمة المرقد هذا أن المقبرة خاصة بآل مرتضى. أما مزار «الست خولة» فهو عبارة عن غرفة واحدة صغيرة جدرانها من الحجارة الصخرية المنحوتة، ولها باب واحد، وهو مطلي باللون الأخضر، ولها نافذتان الأولى غربية والثانية شرقية، وقد علقت على هذه النافذة خروق بيضاء وخضراء والوان أخرى، قالت خادمة المقام أنهم لأناس جاءوا زاروا «الست» وتركوا من أثرهم اعتقاداً منهم بأن هذه الأشياء ستحميهم وهم بعيدون عن مقام الست. أما قبر «الست خولة» فيقوم بالقرب من الزاوية الغربية للغرفة، صغير الحجم وقصير في الطول وأنه من الخشب المحفور بدقة، ولونه بُني باهت، أما أرض المقام فمفروش بالسجاد وعلى أطرافها أرائك صغيرة صفت على الجوانب، وقد علقت على جدران الغرفة بعض الصور التي تمثل شخصيات دينية اسلامية، وبعض الآيات القرآنية ولوحة مصنوعة من الصوف كتب عليها «الله، محمد، علي، الحسن الحسين» وهناك بعض العباءات السود ملقاة في زاوية الغرفة لمن تريد من النساء حيث يمنع دخول غير المحجبات لهذا المقام.

وهناك أيضاً السجاد والاحجار والمسابع المخصصة للصلاة، وكتب دينية وقرآن... وفي الزاوية الغربية، بجانب المقام، علق صندوق حديدي لمن يريد التبرع للمقام، وهناك في الداخل أيضاً

توجد الثريات الثمينة والجميلة المعلقة ابتداء من أعلى القبة حتى وسط الغرفة. وهناك غرفة مجاورة لغرفة المقام، وهي مخصصة للرجال، يأتون لأداء الصلاة، أو لتلاوة الأدعية وقراءة الآيات القرآنية، أو وفاء بندر ما. وهذه الغرفة شبيهة بغرفة المقام، ولكنها أوسع بقليل، ومفروشة بالسجاد والبسط، ولها باب حديدي مطلي أيضاً باللون الأخضر ولها نافذتان واحدة تطل على الباحة، والثانية غربية تطل على البستان الذي يجاور المقام. بالرجوع إلى سطح المقام فقد ارتفعت فيه قبة خضراء اللون شبيهة ببعض القباب الخاصة بالجوامع الإسلامية لدى الشيعة الأمامية، وعند مدخل المقام هناك لوحة معلقة على باب الغرفة من الخارج، مكتوب عليها بكلمات كبيرة «لا اله الا الله محمد رسول الله»، وايضاً بالقرب منها لوحة أخرى تحتوي على نص «زيارة السيدة خولة بنت الإمام الحسين (ع)، وكل زائر قبل الدخول إلى المقام- عليه أن يقف امام هذه اللوحة ويبدأ بتلاوتها بصوت منخفض، وأحياناً بصوت عالي وخاصة الرجال منهم. وقد جاء في هذا النص مايلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

زيارة السيدة خولة بنت الحسين سيد الشهداء (ع)

أزور سيدتي ومولاتي خولة بنت الحسين سيدي ومولاي ومعتمدي ورجائي لأخرتي وبدنيابي أبي عبد الله الحسين نيابة عن والدي وأخواتي من المؤمنين والمؤمنات خصوصاً من قلدني الدعاء والزيارة قرية إلى الله تعالى طاعة لرسول الله (ص)، السلام عليك وعلى آدم صفوة الله السلام عليك وعلى نوح نبي الله السلام عليك وعلى إبراهيم خليل الله، السلام عليك وعلى موسى كليم الله السلام عليك وعلى عيسى روح الله السلام عليك وعلى جدك أمير المؤمنين علي بن ابي طالب السلام عليك وعلى جدتك فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ورحمة الله وبركاته، السلام عليك وعلى عمك الحسن المجتبي السلام عليك وعلى أبيك الحسين الشهيد بكريلاء السلام عليك وعلى الأئمة المعصومين.

السلام عليك بالليل إذا يغشى وبالنهار إذا تجلّى السلام بالآخرة والأولى السلام عليك وعلى ألك واشهد انك ممن أمرنا بصلتك وصلتهم وبرهم وفضلهم وقصدنا إلى طلب الحوائج من عندهم فيها انا ذا اقدم اثقال ذنوبي مستجيراً بكم إلى الله بأن تشفعوا لي تلك الذنوب وتنجونني من النار للدخول في الجنة مع حزيكم الطاهر فإن حزيكم لاخوف عليهم ولا هم يحزنون فاسأل الله الكريم يرينا فيكم السرور والفرج وان يجمعنا واياكم تحت لواء جدكم محمد رسول الله (ص) ماخاب من لا ذك بكم والتجأ اليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي والتنزيل، السلام عليك وعلى ملائكة الله الحافين بحرملك الشريف المستغفرين لزوارك السلام عليك مني أبداً مابقيت وبقي الليل والنهار ولا جعل الله آخر العهد مني لزيارتك. ورحمة الله وبركاته (والفاتحة)

هنا يجب أن نوضح الزيارة وماهيتها وأهميتها بالنسبة للمرقد. «فالزيارة هي المناسبة الأساسية التي يبدي فيها الإنسان الشعبي تكريمه للولي، ويقدم فيها النذر، ويدعو الولي ويسأله المعونة في مواجهة مشكلة معينة»^(١)

أما أوقات الزيارة، مما قد لاحظناه من خلال مقابلاتنا وزياراتنا المتكررة للمرقد فقد كان لها أوقات معينة من أيام الأسبوع، وهذه الأوقات كانت نهار الجمعة من كل أسبوع بشكل كثيف، فالناس كانوا يتوافدون للمرقد عند الصباح بشكل مجموعات أو فرادى، ويرحلون بعد الظهر، أي بعد صلاة الظهر تخف تدريجياً حركة الزائرين». أما بقية أيام الأسبوع، لم يكن هناك من ازدحام للزوار إلا قليلاً، وهنا لابد من أن نشير إلى أن القادمين لزيارة مرقد «الست خولة»، هم في الغالب من أبناء مدينة بعلبك والقرى المجاورة لها، دون أن يعني هذا القول أن الأمر مقتصر على هؤلاء، إذ يفد لقامها الزائرون والناذرون من خارج مدينة بعلبك، كما يأتي إليها الزاور في أحيان كثيرة من خارج حدود لبنان وتحديداً من سورية، ولكن بأعداد محدودة. بقي هناك مسألة يجب توضيحها وهي خادمة المقام، من يدفع لها مرتبها مقابل عملها في المرقد ووجودها الدائم هناك، هذا مما يدل على وجود مدخول لها يؤمن معيشتها، فقد تبين لنا أن خادمة المرقد تعيش من تبرعات الناس للمرقد ومن النذور التي تلتقها «الست خولة»، وهذه النذور بدورها يتولى أمرها وكيل عن المقام، ومسؤول عن كل التحسينات، وعن كل الأموال المخصصة للمرقد، وهو الذي يتولى رعاية «خادمة الست» ويدفع لها مرتبها من أموال المرقد التي يتبرع بها المؤمنون والناذرون. ويجب هنا أن ننوه إلى أن الدولة ليس لها أي سلطة على المقام، لأن المقام قد بني أولاً من أموال الذين نقلوا رفات «الست خولة» وبعدها تم تحسين المرقد من التبرعات والنذور المخصصة للمرقد، لهذا فليس للدولة أية سلطة على المقام، وتذهب أموال التبرعات والنذور جميعاً لتحسين المقام أو لإعالة عائلات فقيرة أو للمساعدات الخيرية. خلاصة ماتقدم: إن الأولياء هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، والذين كانوا في حياتهم لله عباداً مخلصين، وهم الذين يدعون الناس إلى هدى الله وشرعه.

فكلمة «ولي» هي للدلالة على تلك الفئة من الشخصيات الدينية التي تحظى بتكريم خاص من جانب الناس (مسلمين ومسيحيين) على حد سواء، وهم بذلك لا ينتمون إلى فئة الأنبياء. فالأولياء يستمدون مكانتهم من علاقتهم المخصوصة مع بعض الأنبياء، فمثلاً كبعض المولودين من نسلهم وبعض صاحبتهن ورفاقهم، وهذا ما لاحظناه من دراستنا لمقام «الست خولة» المنتمية إلى السلالة النبوية والتي هي بنت الإمام الحسين (ع)، وقد توفيت وهي طفلة صغيرة عندما جاءت السبايا (من أهل البيت)، وهم في طريقهم إلى الشام، من كربلاء، وكان عمر خولة أربع سنين تقريباً، فمرضت مرضاً شديداً وتوفيت في بعلبك بالقرب من قلعتها، ودفنت قرب الهياكل.

(١) دس الجوهري: علم الفولكلور، ص ٥٥.

ولم تكن «الست خولة» ذائعة الصيت، ولم تشتهر كثيراً بين بنات الأئمة (ع) ولهذا لم تذكر المصادر الكثيرة اسمها ومقامها، وإن أول من أتى على ذكر ضريح «الست خولة» هو كتاب (تاريخ بعلبك) لميخائيل الون سنة ١٨٨٩م.

ويقع المقام على مدخل بعلبك جنوب القلعة في البساتين المحيطة به، يؤمه الزوار من المدينة نفسها والقرى المحيطة بها، ومن المناطق الأخرى أيضاً. وللمقام مسؤول عن التبرعات والأموال التي تنذر للمقام، وهناك أيضاً مسؤولية عن تنظيف المقام، وتقيم هذه المسؤولية في غرفة مجاورة لغرفة المقام - إقامة دائمة، وهي تعيش من مرتب يعطيها إياه المسؤول عن المقام - طبعاً من أموال المقام.

وإن يكن من كلمة أخيرة فالأولياء الصالحون الذين يتميزون بالتقوى عادة، ويظهرون من الكرامات ما يدل على جدارتهم بلقب الولاية هذا، ما علينا نحن إلا أن نؤمن بهم وكراماتهم التي آمن بها أبائنا وأجدادنا من قبلنا.



مقام السيدة خولة - بعلبك - سنة ١٩٨٩

أذرح

«أذرح» كذلك ينطقها أهلها وقليلًا ما ينطقونها أذرح: اسم مكان بين معان وبطرا، وهي محلة رومانية فخمة بها نبع تفيض مياهه وتنساب في شق من الأرض، وقد وصلت القوافل القرشية إلى هذا المكان الواقع في إقليم جدام، وكان بها يوم خضعت للنبي (ص) مائة أسرة على أقل تقدير، كما قيل في القرن الحادي عشر الميلادي إن موالي بني هاشم كانت تقطنها. على أنها لم تذكر بعد الصليبيين مع أنهم كانوا يمتلكون من بلاد هذا الاقليم أهمنت ووادي موسى وغيرهما، واشتهرت أذرح بالتحكيم الذي عقد فيها عند ما اتفق المسلمون في صفين على اختيار مكان يتوسط الشام والعراق مثل أذرح أو دومة لكثرة مياهها وقربها من زعماء المدينة الذين دعاهم معاوية، وقد ذكر بعض المؤرخين أن التحكيم كان في دومة الجندل معتمدين على الروايات من غير أن يعنوا بمناقشتها، ولكنهم في مواضع أخرى يذكرون أذرح، ولدينا من أقوال الشعراء المعاصرين ما يثبت القول التالي (ديوان الأخطل، ص ٧٩، البيت الثالث).

وكان الغرض من الاجتماع هناك التحكيم بين علي ومعاوية (عام ٣٨هـ - ٦٥٨م) وسار كل من الحكمين - أبو موسى الأشعري من قبل علي، وعمرو بن العاص من قبل معاوية - في أربعمئة رجل. وتقول الرواية الشائعة إن أبا موسى انخدع من تظاهر عمرو بعدم الولاء لصاحبه، فلما اتفقا على خلع معاوية نقض عمرو العهد جهرًا وبلغ به الأمر أن نادى بصاحبه خليفة، ولكننا لانستطيع أن نسلم بهذا لأن خدعة كبيرة كهذه الخدعة - لو صحت - لكان من شأنها تقوية مركز علي، وإثارة احتجاج العراقيين الذين صاحبوا أبا موسى، وسخط شهود هذا الحادث من المحايدین أمثال سعد بن أبي وقاص وابن عمرو وغيرهما، ولما دعت أنصار علي مثل خريّت بن راشد إلى أن ينفضوا من حوله، أضف إلى هذا أن علياً لم يعرض في خطبه إلى الكلام عن هذه الخدعة وإن كان قد عرض للحكمين فرماهما بالنكر.

ولم يكن في مقدور أبي موسى، وهو الوفي الساذج، أن يقف أمام عمرو الداهية، وقد استغل عمرو غفلة أبي موسى في حنق ومهارة. ولم يكن ماتداولا فيه واضحاً محدوداً، ولم تعين المسائل التي أرادها معالجتها، واكتفيا بأن أعلنّا للناس أن رائدهما ومرجعهما القرآن، وكان العراقيون يرون أن هذا الاجتماع ماهو إلا مسألة شكلية، وأن فوز صاحبهم فيه محقق، أما أهل الشام فكانوا من جانبيهم يرون أن المنافسة فيما بين علي ومعاوية من الدعاوى أمر خارج عن الموضوع، ولم يكن معاوية قد حدد دعاواه بعد، وإنما كان يهتم أن يعرفوا إلى أي حد كانت تبعة علي في مقتل عثمان وهل هي تباعد بينه وبين الإمامة؟

وكان أكبر ما وقع فيه الأشعري أنه سمح لعمرؤ أن يضع معاوية -وهو عامل لا أكثر ولا أقل- في مرتبة علي الذي بايعته أغلبية المسلمين بالخلافة، وكان الناس لا يعرفون عن ابن أبي سفيان قبل ذلك العهد إلا أنه رجل يطالب بدم عثمان، أو كما يقول ابن عبد ربه (العقد: ٣، ص ٢٩١) إن أهل الشام تبعوه على هذا الوجه لأعلى أنه يطالب بالخلافة، وقد ساعد أبو موسى بمساواته بين علي ومعاوية على نجاح المخطط التي كان يحوكمها الأخير خفية، إذ أجاز لعمرؤ أن يعرض إلى أحقية علي في أن يخلف عثمان، أضف إلى ذلك أن ابن العاص أجهد أبا موسى باقتراح تلك الأسماء التي لا تليق بمنصب الخلافة، وانتهى باقناعه بخلع علي ومعاوية جميعاً، والحق أن علياً فقد بهذا مركزه الرفيع، في حين أن خصمه معاوية لم يفقد شيئاً لأنه ظل عامل على الشام. **اذرح وضواحيها**

• عبد الله مخلص،

يقول ياقوت^(١) الحميمة بلد من أرض السراة من أعمال عمّان في أطراف الشام كان منزل بني العباس ويقول في مادة الشراة ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة التي كان يسكنها ولد علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب في أيام بني مروان. ويقول الاصبهاني^(٢) في ترجمة عيسى بن موسى الهاشمي أنه ولد ونشأ بالحميمة وكان من فحول أهله وشجعانهم وذوي النجدة والرأي والبأس والسؤود منهم ثم قال:

«استدعى عيسى بن موسى مولاه عبد الرحمن بن مالك ليلاً من داره وهو بالحيرة وقال له سمعت الليلة في داري شيئاً ما دخل سمعي قط إلا ليلة بالحميمة والليلة فانظر ماهو قد دخلت استقري الصوت فوجدته في المطبخ فاذا الطباخون قد اجتمعوا وعندهم رجل من أهل الحيرة يغنيهم بالعود فكسرت العود وأخرجت الرجل وعدت إليه فاخبرته فحلف لي أنه ماسمعه قط إلا تلك الليلة بالحميمة وئيلته هذه..»

والحميمة اليوم انقاض قرية كبيرة تشابه في مبانيها واشكالها اذرح كل المشابهة وفيها مياه خربت مجاريها وقنيها فاستحالت إلى مستنقعات وبطائح ويوصل إليها من طريق معان إلى العقبة^(٣)

المصادر

- ١- ابن سعد ج ٣، ص ٢١ (٢) ابن حجر الاصابة ج ٢، ص ٣٢٤ (٣) الطبري: الفهرس. (٤) اليعقوبي، طبعة هوتسما، ج ٢، ص ٢٢٥.
- (٥) - المكتبة الجغرافية العربية، طبعة ده غوى، ج ١، ص ٥٨، ج ٣، ص ٥٤، ١٥٥، ج ٧، ص ٣٢٦، (٦) المسعودي: مروج الذهب: طبعة باريس، ج ٤، ص ٣٩٤، وما بعدها، ص ٤٠٦ (٧) البلاذري، طبعة ده غوى، ص ٥٩، ٦٨ (٨) الحمداني، ص ١٢٩ (٩) البكري، طبعة فستقلد، ص ٨٣ (١٠) الدينوري، طبعة جرجاس وروزن، ص ١٠٨، ٢١١، ٢١٥ (١١) ياقوت: المعجم، ج ١، ص ١٨٤ وما بعدها (١٢) Die Provincia Arabia: Brunnow، ج ١، ص ٤٤٣ وما بعدها (١٣) Etudes sur le regne de Mo'awia ler. ص ١٢٥ - ١٤٠

(١) معجم البلدان طبع ليبسك ج ٢ ص ٣٤٢ وطبع مصر ج ٣ ص ٣٤٦.

(٢) الاغانى طبع الساسي ج ١٥ ص ٣٢ و ٣٣

(٣) العقبة: الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه وهو طويل صعب إلى صعود الجبل، والعقبة التي نحن بصدها هي ايلة القديمة التي لم يبق منها إلا قلعة كان بناها أحمد بن طولون المتوفي سنة ٢٧٠ هـ - ٨٨٣ م وتعرف إلى اليوم بقلعة العقبة وهي على شاطئ بحر القلزم. وذكرها ياقوت باسم ايلة.

بعد أن تجتاز بئر ابي الاسل^(١) بساعة يأتي رأس النقب وهو منتهى الشراة^(٢) ومن هناك تأخذ بالانحدار إلى مضيق سلسلة جبال العقبة وفي هذه النزلة عن يسارك على بعد قليل تبدو لك الحميمة ملاصقة لحدود حسمى^(٣) وتمتد حسمى من تبوك إلى أول التيه ومن العقبة إلى رأس النقب. ولا يسكن الحميمة اليوم ساكن ويملكها صياح^(٤) أبو نوير من قبيلة الحويطات.

تحقيق مواقع بعض المواضع القديمة Verification de certains lieux

في كتب تقويم البلدان، مواضع وأماكن كثيرة، نظن أنها قد درست وامحت آثارها لبعدها عن العمران وصعوبة الوصول إليها، ومن هذه المواضع اذرح، والجرياء، والحميمة، وهي من البلاد التي حدثت بها حوادث ذات شأن في التاريخ الإسلامي.

وقد اتيج لي أن أعلم بعض أمرها اليوم، وهي واقعة في إمارة الشرق العربي التي انشئت في شرقي عبر الاردن، فرأيت أن أشرك القراء في ذلك فأقول: «اذرح»

يقول ياقوت في معجمه^(٥) «اذرح اسم بلد في اطراف الشام من اعمال الشراة، ثم من نواحي البلقاء وعمان (وزان جبار) مجاورة لأرض الحجاز، قال ابن الوضاح: هي من فلسطين وهو غلط منه، وإنما هي قبلي فلسطين من ناحية الشراة. وفي كتاب مسلم بن الحجاج: بين اذرح وجرياء ثلاثة أيام. وحدثني الأمير شرف الدين يعقوب بن الحسن الهذباني^(٦) قبيل من الاكراد. ينزلون في نواحي

(١) يقول له البند أبو اللسن.

(٢) الشراة صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول وجبل شامخ مرتفع في السماء من دون عسفان وهو عن يسار عسفان وبه عقبة تذهب إلى ناحية الحجاز ذكرهما «ياقوت».

(٣) حسمى أرض ببادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان وأهل تبوك يرون جبل حسمى في غربيهم وفي شرقيهم شروري وحسمى أرض غليظة ماؤها كذلك لاخير فيه وقال ابن السكيت حسمى جبال وأرض بين ايلة وجانب تيه بني اسرائيل الذي يلي ايلة قاله «ياقوت».

(٤) صياح من صاح يصيح بصيغة المبالغة. عن مجلة لغة العرب الجزء ٨ السنة ٥ ص ٤٧٢ - ٤٧٣

(٥) معجم طبع ليبسك جزء ١ ص ١٧٤ وطبع مصر ج ١ ص ١٦١

(٦) - في نسخة ليبسك بالياء وفي نسخة مصر بالياء وهو غلط لأن الثانية منقولة عن الأولى من سراة بيت المقدس وعلمائها ورئيس محكمة الاستئناف الشرعية في فلسطين يعقوب بن محمد بن الحسن الهذباني باسكان الذال المعجمه ثم الموصلي وقد نقل ذلك من سماع كتب على الجزء الثاني من كتاب جامع الاصول في احاديث الرسول تأليف مجد الدين المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري ثم الموصلي المعروف بابن الاثير بخط صاحبه القطب الشيرازي الذي اجازه المصدر القونوي وقد اجاز القونوي الهذباني الذي اجازه مؤلف الكتاب المذكور، وكانت اجازة المصدر القونوي للقطب الشيرازي في دار الأول بمدينة قونية في شهر سنة ثلث وسبعين وستمائة (١٢٧٤م).

وفي خزانة كتب الخالدية في بيت المقدس سماع آخر كتب على الجزء التاسع من جامع الاصول المذكور فيه ذكر للقونوي والهذباني وابن الاثير المؤلف ولكن لم يشكل الكاتب كلمة الهذباني وهذا السماع أقدم عهداً من سماع القطب الشيرازي بسنوات قليلة فإنه في سنة ست وستين وستمائة (١٢٦٧م) وقد كتب في مدينة قونية أيضاً، الكاتب، قلنا: وقد ذكر ف. وستنفلد في المجلد الذي خصصه بتصحيحات معجم ياقوت: إن في احدى نسخ الكتاب ورد الهذباني (بالهاء والذال المعجمة والياء المثناة وكلها مفتوحات) يليها الف ثم نون ثم ياء النسبة. وجاء في تاريخ تجارب الأمم لمسكويه الذي عني بنشره الأستاذ مرغليوث وطبعه في القاهرة سنة ١٩٢٥ الجزء ٢ ص ١٧٩ الهذبانين بدال مهمله يليها ألف ثم ياء مثناة. قال: ومع جستان الصنف الاخر من الاكراد الذين يعرفون بالهذبانية، وتلقاهم الهذبانية وابتدأوا بالحرب، =

الموصل قال: رأيت أذرح والجرباء غير مرة وبينهما ميل واحد واقل لأن الواقف في هذه ينظر هذه. قال ياقوت ويأذرح إلى الجرباء كان أمر الحكمين بين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وقيل بدومة الجندل والصحيح «أذرح والجرباء واستشهد على ذلك بأبيات شعر لذي الرمة والاسود بن الهيثم في مدح بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري وكعب بن جعيل في مدح عمرو بن العاص وختم كلامه بقوله: وفتحت أذرح والجرباء في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة تسع وصولح أهل أذرح على مائة دينار جزية.

هذا ملخص ما قاله ياقوت عن أذرح وفي كتب السيرة النبوية نسخة الكتاب الذي اعطاه الرسول إلى أهلها وأهل جرباء وكانوا يهوداً وهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي لأهل أذرح وجرباء أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيلاً بالنصح والاحسان للمسلمين..

قلنا وقد ذكر أذرح الأخطل في قصيدته التي مدح بها عبد الله بن معاوية إذ يقول:

وابوك صاحب يوم أذرح إذ أبى	الحكمان غيرتهايب وضرار
لما تبحت الضفائن بينهم	أفضى وسار بجحفل جرار
وأهل إذ غنظ العدو بفياق	تحت الاشياء عريضة الآثار
حتى رأوه بجانب مسكن معلما	والخيل جاذبة على الاقتار

وأذرح اليوم من الطلول الدوارس ولكن ابنيته لا تزال قائمة الجدران مترامية الاطراف على بعد خمس ساعات من الشوبك إلى الجنوب وأربع ساعات ونصف ساعة من معان إلى الشمال وثلاث ساعات من وادي موسى إلى الشرق^(١) ونصف ساعة من الجرباء إلى الغرب يملكها حمد بن جازي شيخ مشايخ قبيلة الحويطات، ومياها متدفقة بغزارة وتزرع فيها الزروع المختلفة وفيها خفير وقد اتخذها السيد مصطفى وهبي التل «حاكم الشوبك ووادي موسى التابعة لأمارة الشرق العربي مريعاً لموظفي الحكومة ربيع سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م.

وللشاعر باسل نور الدين الرفاعي قصيدة يستذكر بها «أذرح» «وريك ما يجدي البلاد المصانع»

= وذكرهم ابن الاثير باسم الهذبانبة قال في احداث سنة ٢٩٣ (٧: ١٧٧ من طبعة مصر ٧: ٣٧١ من طبعة الافرنج) فاتاه الصريح من نينوى بان الاكراد الهذبانبة ومقدمهم محمد بن بلال قد اغاروا على البلد، فلا جرم أن الرواية الصحيحة التي لا ريب فيها هي الهذبانبة، للجمع والهذبان للفرق وتضبط بالهاء والذال المعجمة والباء الموحدة التحتية وكلهن مفتوحات ويلي الباء الف ثم ثون وهي الاخر مشددة.

(١) الشوبك قلعة حصينة في اطراف الشام بين عمان وايلة والقلمز قرب الكرك ذكرها ياقوت في معجمه وقال عن يحيى بن علي التنوخي حصن الشوبك بقرب وادي موسى ومعان مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء وهي اليوم محطة لسكة الحديد الحجازية بين دمشق والمدينة على الكيلومتر ٤٥١ وقد ذكرها ياقوت ايضاً. ووادي موسى في قبلي بيت المقدس بينه وبين ارض الحجاز وهو واد حسن كثير الزيتون وفيه آثار قديمة يقصد اليه السياح لمشاهدة آثاره وقد ذكره ياقوت في معجمه.

التشيع في فلسطين

يتضح من كلام لمحمد بن عثمان بن علي الكراجكي صاحب كنز الفوائد ونزيل الرملة في فلسطين- وقد عاش في القرن الخامس الهجري- على أن أهالي الرملة (قرب اللد) كانوا شيعة، على أنه قيل إن الرملة التي يحكي عنها هي في مصر. وكذلك الرحالة الفارسي ناصر خسرو في رحلته التي ابتدأت سنة ٤٣٧هـ واجتاز فيها بفلسطين ووصل إلى طبريا ذكر أن السكان خارج مدينة طبريا هم من الشيعة، وتحديد المكان لمناسبة اقتضت ذلك، وإلا فالمعقول أنهم لم يكونوا منحصرين خارج مدينة طبريا. ورحلة ناصر خسرو كانت خلال العهد الفاطمي، وفي ذلك العهد كانت التشيع منتشرة بكثرة في بلاد الشام كلها ومنها فلسطين. ويقول المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم/ ١٧٩) عن مذاهب الشام في القرن الرابع الهجري: «وأهل طبريا ونصف نابلس وقدس وأكثر عمان شيعة».

على أنه يبدو أن التشيع في فلسطين كان موجوداً في أواخر القرن الثالث، وإذا وجد في هذا الوقت يقينا فلا يبعد أنه كان موجوداً قبله، فقد جاء في المجلد التاسع من (أعيان الشيعة)، ومصدره (عمدة الطالب) في ترجمة محمد بن حمزة من أحفاد العباس بن علي بن أبي طالب (ع): «واتخذ بمدينة الأردن وهي طبريا ضياعاً وجمع أموالاً فحسده ظفر بن خضر الفراعني فدرس إليه جنداً قتلوه في بستان له بطبريا في صفر سنة ٢٩١ ورثته الشعراء، وكان عقبه بطبريا يقال لهم: بنو الشهيد» وسيأتي ذكر ذلك في كلام عبد الله مخلص الآتي.

وفي نهاية الحرب العالمية الأولى واحتلال الإنكليز لفلسطين، والفرنسيين لسورية ولبنان، ألحقت بفلسطين بعض قرى جبل عامل الجنوبية كقرية هونين وقدس وصلحة وفارة وتريبخا، وهي قرى شعبية. على أن في فلسطين مشاهد لفريق من آل البيت يدل وجودها على تشيع عريق كان في تلك البلاد. وهذه المشاهد كما عددها عبد الله مخلص^(١) هي:

(١) مجلة العرفان، المجلد ٣٣، ومجلة الموسم العدد ٤

مشهد علي بن أبي طالب في الرملة

في ضاحية مدينة الرملة - وهي تقع بين بيت المقدس ويافا - وعلى قارعة الطريق المؤدي إلى مدينة لد وفي يسارها كرم مغروس بالأشجار المختلفة يستغله الوقف الإسلامي بتأجير من الراغبين وهو مقيد بسجلات الأوقاف باسم وقف الإمام علي . ففي هذا الكرم قبة تحتها قبر ينسب للإمام علي بن أبي طالب (ع) . وفي منتصف الطريق العام بين بيت المقدس ويافا وفي موضع يسمى باب الواد مقام مبني بالحجارة غير مسقوف يقال له مقام الإمام علي . ولكن هذا المقام وذلك المشهد لم يذكرهما أحد من الرحالين المسلمين أو غيرهم ، إلا أن لهم أعياناً موقوفة في أراضي مدينة الرملة تستثمرها إدارة الأوقاف في مدينة يافا .

مقام علي بن أبي طالب في نابلس

في مدينة نابلس مدفن واسع الجنبات يسمى رجال العامود يقع على الجادة السابلة من نابلس إلى بيت المقدس وعليه أبنية وقباب ، وفي هذا المدفن مقام ينسب إلى سيدنا علي بن أبي طالب وصفه عبد الغني النابلسي المتوفي سنة ١١٣٤ هجرية في رحلته المسماة «الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية» فقال : «ثم دخلنا إلى مكان في داخل ذلك المدفن ينزل إليه بدرج يقال له مقام الإمام علي (رضي الله عنه) في محراب وعليه جلالة ومهابة ، فلعله رئي أما في المنام وأما في اليقظة باعتبار التجلي في عالم الأوهام فوقفنا ودعونا الله تعالى ثم خرجنا إلى تلك الجبانة فزرنا مافيها من القبور وحصلنا إن شاء الله على كمال الأجور» .

مشهد علي بن أبي طالب في عكا

ذكر الهروي وياقوت الحموي أنه كان على عين البقرة في مدينة عكا مشهد ينسب إلى علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) حاول الافرنج تحويله إلى كنيسة فلم يفلحوا وعاد بعد ذلك مسجداً للمسلمين . قلنا : ولا يوجد الآن على العين المذكورة مشهد أو مسجد .

مشهد الحسين بن علي بعسقلان

مدينة عسقلان كانت تنعت بعروس الشام كما كانت تنعت دمشق بهذا الاسم وقد هدم عسقلان صلاح الدين الأيوبي لئلا يستقر فيها الفرنجة وهي من الثغور الحصينة وفي أوائل تلك الحروب الصليبية التي دارت رحاها في الأرض المقدسة ذكر أن مشهد الحسين بن علي في مدينة عسقلان إذ دخل الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي وزير المستعلي بالله الفاطمي عسقلان في سنة ٤٩١ وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن علي فأخرجه وعطره وحمل في سبط إلى أجل داربها وعمر المسجد فلما تكامل حمل الأفضل الرأس على صدره وسعى به ماشياً إلى أن أحله في مقره . وقيل إن المشهد الحسيني بناه أمير الجيوش بدر الجمالي وكمله ابنه شاهنشاه الأفضل وكان حمل الرأس إلى القاهرة ووصله إليها يوم الأحد

ثامن جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ. كما ذكر ذلك محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن ميسر الحلبي المتوفي سنة ٦٧٧ هـ. وقد ذكرت في تعليقاتي على كتاب «الإشارة إلى من نال الوزارة» طبع المعهد العلمي الافرنسي بالقاهرة ص ٥٧ أنه يستدل من تاريخ صنع المنبر للمشهد الحسيني بعسقلان أن ذلك المسجد أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالي المستنصري في سنة ٤٨٤ هـ وأقام فيه المنبر بعد إتمامه وليس من بناء ابنه الأفضل شاهنشاه أو إكماله كما ظن ابن ميسر الحلبي في روايته المتقدمة.

بيد أن هذا المنبر نقل في خلال الحروب الصليبية من عسقلان إلى مدينة خليل الرحمن ووضع في مسجد سيدنا ابراهيم (ع) ولا يزال فيه وهو غاية في الإبداع والإتقان. ويما أن المنبر المذكور هو الوثيقة التاريخية لبناء مسجد عسقلان فرأينا أن ننقل نص مانقش فيه بالكوفي المشجر وهو مايلي:

- ١- بسم الله الرحمن الرحيم: نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبي تميم الإمام.
 - ٢- المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه البررة.
 - ٣- الأكرمين صلاة باقية إلى يوم الدين، مما أمر بعمل هذا المنبر فتاه السيد أجل أمير الجيوش.
 - ٤- سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصري.
 - ٥- عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته للمشهد الشريف بثغر.
 - ٦- عسقلان مسجد مولانا أمير المؤمنين أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما في شهور سنة أربع وثمانين وأربعمئة.
- أما المشهد الحسيني بعسقلان فلا يزال مقصوداً بالزيارة وهو على نشز من الأرض يطل على أطلال المدينة.

مشهد سكيئة بنت الحسين بطبرية

ذكر الهروي وياقوت أن قبر سكيئة ابنة الحسين بظاهر طبرية وقالوا: والحق أن قبرها بالمدينة المنورة وهو قول صحيح لا غبار عليه، والرقيم التاريخي المثبت في الضريح يثبت أنه مشهداً لها ولعبد الله بن العباس بن علي رضي الله عنه إذ جاء فيه مايلي:

بسم الله الرحمن الرحيم: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً».

أمر بعمارة هذا المشهد المبارك وهو مشهد الست سكيئة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب وعبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) العبد الفقير إلى الله تعالى فارس الدين البكي الساقى العادلي المنصوري نائب السلطنة بالممالك الصفدية والشقيفية والساحلية وذلك في غرة رجب سنة أربع وتسعين وستمئة.

والى جانب هذا الرقيم رقيم آخر في ثمانية أسطر يتضمن أسماء وأوصاف أعيان الوقف التي

وقضها منشئ العمارة فارس الدين المذكور بين أراضٍ وبساتين وحواكير وكروم في مدينة طبرية نفسها. وقد أثار اهتمامي وجود قبر لسكينة وقبر لعبد الله بن العباس رضي الله عنهما في طبرية على أنهما لم يدفنا فيها، وأخذت أتقصي الأخبار حتى عثرت على خبر ربما كان له صلة ببناء القبرين، وهذا الخبر قد ورد في السفر الرابع من كتاب «المغرب في حلى المغرب»^(١) لعلي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن عمار بن ياسر العنسي الأندلسي المتوفي سنة ٦٧٣هـ في فصل «العيون الدعج في حلى دولة بني طفج» على الوجه الآتي:

«قال: ولم يزل طفج على دمشق وطبرية وابنه محمد المعروف بالإخشيد يخلفه على طبرية. وكان بطبرية أبو الطيب العلوي محمد بن حمزة بن عبد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العمامر (كذا)^(٢) ابن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه. وكان وجه طبرية شرفاً وملكاً وقوة وعتاقاً، فكتب الإخشيد إلى أبيه طفج يذكر له أنه ليس له أمر ولا نهي مع أبي الطيب العلوي فكتب له أبوه أعز نفسك، فأسرى عليه محمد بن طفج وأبو الطيب في بستان له فقتله.»

فالظاهر أن آل أبي طالب وشيعته لم يستطيعوا سبيلاً إلى بناء ضريح للشريف المقتول غداً وغيلة من قبل السلطة الحاكمة الفاشمة، وقد تكون قتلت معه زوجه أو إحدى محارمه من سيدات آل البيت فقاموا على بناء ذلك المشهد في المكان الذي وقعت فيه الواقعة ونسبوه إلى سكينة بنت الحسين عبد الله بن العباس رضي الله عنهما يرمزون بذلك إلى الشريفيين المقتولين فإن المشهد المذكور يقع بضاحية مدينة طبرية وحوله آثار بئر وبركة وبقايا بستان.

وجاء بعد مئات من السنين الأمير فارس الدين البكي الساقى العادلي المنصوري نائب السلطنة بالمملكة الصفدية فعمر المشهد المذكور ووقف عليه بعض الأعيان لبقاء عين الوقف ودوام عمارته، والغريب أن أحداً من المؤرخين والجغرافيين والرحالين لم يشير إلى هذا المشهد قبل الهروي المتوفي سنة ٦١١هـ. الذي كان أول من ذكره، وفي ذكره له أثبت وجود هذا المشهد قبل الأمير فارس الدين الذي تولى عمارته سنة ٦٩٤هـ.

مقام السيدة سكينة بمدينة حيفا

كان في المحلة الغربية من محلات حيفا القديمة مقام ينسب إلى السيدة سكينة ابنة الحسين، وكان الناس يقصدون إلى زيارة هذا المقام والتبرك به حتى السنوات الأخيرة من الحكم العثماني. ولكن هذا المقام الذي كان في إحدى الدور المسكونة قد درس ولم يعرف مكان وجوده، إلا أن المحلة التي كان المقام يقع فيها لا تزال تعرف باسم محلة السيدة سكينة وهي مسجلة بقيود الحكومة بذلك الأسم إلى الآن.

(١) هو الجزء الوحيد الباقي على وجه الدهر من الكتاب النفيس الذي تعاور تأليفه أفراد أسرة واحدة نحو مائة وخمسة عشر سنة والنص من الصفحة (١٤).

(٢) هو العباس كما مر.

مشهد عبد الله بن العباس بمدينة طبرية

جاء ذكر عبد الله بن العباس مقروناً باسم السيدة سكينة بنت الحسين في كتاب «الاشارات إلى معرفة الزيارات» للهروي ومعجم البلدان لياقوت الحموي، وقد تقدم الكلام على ذلك في مشهد سكينة بنت الحسين.

قبر فاطمة بنت الحسين بن علي

بالقرب من مسجد اليقين الواقع بأراضي قرية كفر بريك المعروفة الآن باسم بني نعيم من أعمال مدينة خليل الرحمن قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين، وهو في مغارة ينزل إليها بأدراج عدتها أربع. والقبر على يسار الداخل إلى المغارة وهناك رخامة كتب عليها بحروف نافرة من الخط الكوفي المشجر الذي كان يستعمله الفاطميون ما يأتي:

- صنعة محمد بن أبي سهل النقاش بمصر.

- بسم الله الرحمن الرحيم.

- لله العزة والبقاء وله ما ذراً.

- وبرا وعلى خلقه كتب.

- الفناء وفي رسول الله أسوة.

- وعزاء، هذا قبر أم سلمة.

- فاطمة بنت الحسين بن علي ابن أبي طالب (ع)^(١).

وعلى اليمين من صدر المغارة ثلاثة أبيات من الشعر منقوشة في رخامتين والثانية وضعت

مقلوبة رأساً على الأولى صحيحة التركيب في الحائط عقب وهذه هي:

أسكنت من كان في الاحشاء مسكنه بالرغم مني بين التراب والحجر

ياقبر فاطمة بنت ابن فاطمة بنت الأئمة بنت الأنجم الزهر

ياقبر مافيك من دين ومن ورع ومن عفاف ومن صون ومن خفر

إن الرقيم الذي على القبر وأبيات الشعر المنقوشة في الرخامتين ذكرها الرحالة ابن بطوطة

المتوفي سنة ٧٧٩ هـ^(٢) كما ذكرهما العلمي الحنبلي المتوفي سنة ٩٢٧ هـ^(٣)

أما مسجد اليقين فهو مبني على الموضع الذي كان وقف لوط عليه وهو ينظر من عل إلى ما

تم بقريات لوط ورأى العذاب قد حل بقومه فسجد في هذا الموضع وقال: أيقنت أن وعد الله حق،

والموضع الذي خسف بقومه هي البحيرة المنتنة كما ذكر ذلك الهروي وياقوت الحموي وقد أنشئ

المسجد المذكور في الدولة الإخشيدية سنة ٣٥٤ هـ.

(١) فاطمة بنت الحسين دفنت في المدينة.

(٢) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٢٢.

(٣) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ١ ص ٦٧.

وقبر لوط بقربة كفر بريك التي يقع مسجد اليقين في أراضيها وهو ضمن مسجد كبير بالقرب من مسجد اليقين المطل على البحيرة المنتنة والتي تسمى أيضاً بحيرة زغر والبحر الميت وهي بحيرة شديدة الملوحة لا يعيش فيها حيوان ويستخرج منها الآن البوتاس والأملاح المعدنية الثمينة الأخرى.

قبر ابن السراج بمدينة الرملة

هو محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن موسى بن علي بن أبي طالب الذي يقال له ابن السراج وقد قال عنه محمد بن يوسف الكندي^(١) أنه مضى إلى الصعيد فخرج بشرونة وصار إلى غربي النيل فذهب سمسطا وذلك في القعدة سنة ٣٣٠ هـ. ومضى على وجهه فلاحق طريق الغرب فصار إلى سلطان افريقيا.

ثم عاد فقال عنه^(٢).

وقدم محمد بن يحيى من المغرب يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الآخر سنة ٣٣٥ هـ. فأخبر به (أنوجود بن الاخشيد) وتقدم إليه بالخروج واللاحق بالعسكر فخرج بعد أيام وتوفي بالرملة. قلنا: ولا يعرف له قبر الآن وذلك بسبب ما أصاب الرملة ومدن فلسطين الأخرى من مصائب الحروب الصليبية من هدم وتخريب وما مني به أهلها من ظلم وتقتيل وتشريد.

ضريح الفضل بن العباس ابن عم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

على يسار الذهاب من بيت المقدس إلى يافا وعلى قارعة الطريق السلوك الذي يشق مدينة الرملة ضريح ينسب إلى سيدنا الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الذي قضى نحبه في سبيل دينه وبالرغم من أن تاريخ وفاته ومكان دفنه لم يتفق عليهما العلماء فإن الأكثرين على أنه توفي بطاعون عمواس وهي قرية من الرملة والقبر الوحيد المعروف له هو هذا الذي يقوم عليه ضريح كتب عليه: «بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله، كل من عليها فان ويبقى كذا) وجه ربك ذو الجلال والإكرام. هذا سيدي الفضل ابن العباس ابن عم رسول الله رضي الله عنه». ويجوار الضريح أرض تابعة لوقف الفضل أقيمت عليها مدرسة اسلامية يتعلم فيها أبناء المسلمين والأعيان الموقوفة على ضريح الفضل تحسب بالوف الدونمات من الأراضي الجيدة وتستغلها الأوقاف الاسلامية.

قبور آل البيت في المملكة الأردنية الهاشمية «في الحميمة»

لقد ذكرت مشاهد آل البيت التي غشيتها ودرست أحوالها واستقصيت أخبارها في فلسطين ولم يبق من قبور آل البيت غير من دفنوا في قريتي الحميمة ومؤتة من أعمال المملكة الأردنية الهاشمية وقد كانت من أجزاء فلسطين المتتمة لها.

ففي هذه القرية توفي: عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب سنة ٩٨ هـ.

(١) كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٢٩١

(٢) كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٢٩.

في قرية المزار بالقرب من مؤتة

قبر جعفر بن أبي طالب الذي قضى سنة ثمان للهجرة موجود الآن في قرية تدعى المزار، وتعرف أيضاً بقرية جعفر وهي تبعد عن مؤتة نحو أربع ساعات على الفارس المجد وإلى جانب قبر جعفر قبر زيد بن حارثة الذي سبق جعفر بالشهادة وقبر عبد الله بن رواحة الذي لحقهما.

أما قرية الحميمة فلم أزرها ولا أعرف إذا كانت قبور آل البيت لاتزال معروفة مصانة من العبث والضياع وهو ما لا أتوقعه بعد انقضاء هذه القرون الطويلة العريقة في القدم ولا سيما أن الحميمة الآن غير مأهولة.

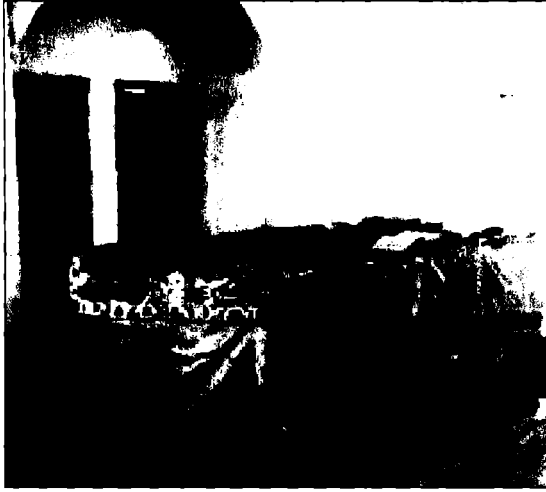
أما قرية المزار فهي مأهولة ويقصد الناس إلى زيارة قبر جعفر فيها ولا يزال المشهد الذي كان على قبره ووسع عمارته الملك الظاهر بيبرس ووقف عليه وقفاً زيادة على وقفه على الزائرين له والوافدين عليه ^(١) لا يزال قائماً وهو مؤلف من غرف عديدة وأبهاء واسعة.

غزة هاشم

جرجي زيدان

غزة مدينة من مدن فلسطين قائمة في سهل رملي على ثلاثة أميال من شاطئ البحر الأبيض في جنوبي فلسطين، وهي قديمة جداً كانت عامرة أهلة قبل زمن إبراهيم الخليل، وقد جاء ذكرها في سفر التكوين «الاصحاح العاشر» في جملة حدود مملكة الكنعانيين. أقدم من ذكر التاريخ من سكانها قوم تسميهم التوراة العويين وكانوا أقرب إلى البداوة مما إلى التمدن لأنهم كانوا منتشرين في غزة والسهول التي حولها حتى جاءهم الكفتوريون من الجنوب فاكسحوا بلدهم واخرجوهم منه نحو الشمال وأقاموا مكانهم. واتحد الكفتوريون مع الفلسطينيين وصاروا أمة واحدة كان لها شأن كبير في تاريخ فلسطين. وقد فتح الفلسطينيون غزة من أقدم أزمنة التاريخ ويظن أنها دخلت في حوزتهم قبل زمن إبراهيم أي منذ نحو أربعين قرناً واتخذوها حصناً منيعاً لأنها على حدود فلسطين عرضة لهجمات المصريين من الجنوب والعمالقة من الشرق، ولما حمل الاسرائيليون على أرض كنعان لم تدخل غزة في فتوحهم لكنها صارت بعدئذ من مملكتهم ودخلت في نصيب يهودا، ثم عاد الفلسطينيون ففتحوها عنوة واستبدوا في الاسرائيليين وقهروهم. حتى دخلها شمشون البطل المشهور وحبسوه بها ثم فر منها بعد أن اقتلع بابها على ماجاء في التوراة. ولا يزال

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٧ ص ١٩٤.



قبر هاشم بن عبد مناف الجد الثاني للنبى (ص)

أهل غزة يعينون المكان الذي حمل منه الباب، ثم حمل الفلسطينيون شمشون إلى غزة بعد أن خدعته دليلة وفيها قتل تحت انقاض الهيكل.

فلما حمل اسكندر المكدوني على الشرق في أواسط القرن الرابع قبل الميلاد حاصر غزة حصاراً شديداً وامتنعت عليه لأنها كانت حصينة جداً حتى اعترف مهندسو الاسكندر بعجز مجانيقهم عن تخريب سورها، واصيب اسكندر نفسه في أثناء ذلك بجرح بليغ ولم يستطيعوا فتحها إلا بعد خمسة

أشهر، وجاء ذكرها في أخبار المكابيين وكانت في أيامهم امنع مدائن فلسطين الجنوبية، وفي سنة ٩٦ قبل الميلاد حمل عليها اسكندر يانيوس ولم يستطع فتحها إلا بعد حصار سنة كاملة واكتسحها واخرجها، فاعاد بناءها غابينوس حاكم سورية واعطاها اوغسطس قيصر إلى هيرودس وعادت بعد موته إلى ولاية سورية. واخربها اليهود سنة ٦٥ قبل الميلاد انتقاماً لاخوانهم الذين ذبحوا في قيسارية ثم عادت وانتعشت واصبحت من أمهات مدن سورية في أثناء حكم طيطس الروماني.

فلما ظهرت النصرانية كانت غزة في جملة المدن التي تنصرت لكنها ظلت ملجأ للوثنية إلى القرن الخامس، وفي أوائل ذلك القرن أمر اسقفها بهدم هياكلها وبنى بأنقاضها كنيسة كبيرة. حتى اذا نهض العرب الاسلام كانت غزة في جملة البلاد التي دخلت في سلطانهم سنة ٦٣٤م وصار تاريخها تابعاً لتاريخ فلسطين. فدخلت في حوزة الصليبيين وبنوا فيها حصناً سنة ١١٥٢م ثم عادت إلى المسلمين ولا تزال. عدد سكانها الآن نحو ٢٥٠٠٠ أكثرهم مسلمون.

ومن أشهر حوادثها العربية ان فيها توفي هاشم بن عبد مناف في أثناء تجارة جاء بها الشام وبها قبره ولهذا سميت غزة هاشم عند العرب. وقد ذكرها أبو نواس في قوله:

واصبحن قد فوزن من ارض فطرس وهن عن البيت المقدس زور
طوالب بالركبان غزة هاشم وبالضرماء من حاجهن شقور

وفي غزة ولد الإمام الشافعي الشهير واليه ينسب جماعة من أهل الأدب والعلم منهم أبو عبد الله بن الجراح الغزي من أهل الحديث وأبو اسحق الغزي الشاعر.

أضرحه شهداء مؤته

زيد بن حارثة، جعفر بن أبي طالب، عبد الله بن رواحة

الأردن بوابة الفتح الإسلامي وأرض الشهداء، فعندما بعث الله رسوله هادياً ومبشراً ونذيراً وأمره أن يبلغ الرسالة السماوية، واستجاب له ذو والعقول النيرة من داخل الجزيرة العربية وخارجها ومن هؤلاء فروة بن عمرو الجذامي حاكم الروم على مدينة «معان»، الواقعة جنوب الأردن، فبعث إلى الرسول الكريم هدية وأعلن إسلامه، فكان نصيبه القتل من قبل الروم، وكان أول شهيد يسقط على ثرى الأردن.

وعندما بعث النبي محمد (ص) الرسل إلى الأباطرة والملوك والحكام في ذلك العصر يدعوهم إلى الإسلام كان الحارث بن عمير الأزدي رسولاً إلى أمير بصرى الشام حيص قتلته شر حبيب بن عمرو الغساني حاكم مؤته.

وفي جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة بعث الرسول الكريم بجيش إلى مؤته قوامه ٣٠٠٠ مقاتل وعلى رأسهم زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فإن قتل عبد الله بن رواحة ليرتضي المسلمون من أحبوا.

وكان عدد جيش الروم والعرب المستعربة ٢٠٠ ألف مقاتل، واستشهد القادة الثلاثة (رضوان الله عليهم) وانتخب المسلمون خالد بن الوليد الذي استطاع أن يضع خطة حربية جريئة مكنت المسلمين من العودة إلى المدينة بأقل الخسائر... وفي بلدة المزار التي تقع إلى الجنوب من مدينة الكرك توجد مقامات للشهداء الثلاثة قادة معركة مؤته الخالدة الذين سطوروا بدمائهم الزكية ملحمة البطولة والفداء، وكان استشهادهم في هذه المعركة بداية طريق طويلة أوصلت المسلمين بقيادة محمد الفاتح إلى القسطنطينية آخر معاقل الامبراطورية البيزنطية عام ١٤٥٣ م. إن مقامات هؤلاء الصحابة في المزار تعيدنا إلى عصر الوحي عصر النبوة... فيما اجدرنا أن نقف قليلاً نستعرض حياة هؤلاء الصحابة الأبرار.

مقام زيد بن حارثة

يقع هذا المقام في بلدة المزار التي تبعد ١٣ كيلومتراً إلى الجنوب من مدينة الكرك. ويناؤه

حديث يوجد في داخله ضريح الصحابي الجليل زيد بن حارثة بن شرجبيل الكلبي، الذي كان من أوائل الذين آمنوا بالدعوة الإسلامية، أحبه الرسول الكريم كل الحب حتى أنه كان يقال له «حب رسول الله (ص)»، واختاره سبحانه وتعالى لكي يكون مثلاً يحتذى وليبطل به العادة الجاهلية بشكل عملي، فقد تبناه سيد البشرية قبل الإسلام، وكان التبني شائعاً في الجاهلية، ويظهر مقدار حب زيد لرسول الله (ص) أنه اختاره على أبيه وعمه وأهله عندما جاؤوا إلى الرسول الكريم يطالبون بافتدائه. وقال: «ما أنا الذي اختار عليك أحداً وأنت مني مكان الأب والعم». ويشاء الله سبحانه وتعالى أن يبطل هذه العادة التي كانت منتشرة في الجاهلية فتنزل الآية الكريمة: «ادعوهم لأبائهم، ما كان محمد أباً لأحد من رجالكم». فبعد أن كان زيد يدعى زيد بن محمد، دعاه الرسول الكريم زيد بن حارثة، فيتألم زيد عندما نزع عنه هذا الشرف وهذا الفخر، وعلم الله وحشته من ذلك، فشرفه بخصيصة لم يكن يخص بها أحداً من أخوانه الصحابة وهي أنه ذكر في القرآن قال: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً﴾ الاحزاب ٣٧.

فكان هذا تأنيس له وعوض من الفخر بأبوة محمد (ص) بحيث أصبح اسمه قرأناً يتلى في المحارب، كذلك أنعم الله سبحانه وتعالى عليه بقوله: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾ الاحزاب ٣٧. أي بالايمن، فدل على أنه من أهل الجنة، علم ذلك قبل أن يموت وهذه فضيلة أخرى.

كذلك فإن من العادات التي كانت في الجاهلية أنه لايجوز أن يتزوج العبد من حرة وأن الحسب والنسب هما المقياس، ولكن الدين الجديد نادى بغير ذلك وجعل المقياس هو التقوى وخشية الله، قال رسول الله (ص): «لافضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»، فيخطب الرسول الكريم زينباً بنت جحش إلى زيد بن حارثة مولاه وترفض زينب، لأن العادات الجاهلية كانت لاتزال لها بقية في النفوس، أن تتزوج وهي القرشية من مولى. ويأتي أمر الله من السماء، ﴿ماكان المؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم...﴾ (الاحزاب / ٣٦) فترضخ زينب وتتزوج من زيد.

ومن العادات الجاهلية أن المتبني لايجوز له أن يتزوج زوجة متبناه، ولكن هذا لايتماشى مع تعاليم الدين الجديد، فيطلق زيد زينباً ويتزوجها الرسول (ص) رغم قول القائلين الذين لم يدخل الايمان قلوبهم. اشترك زيد في كل الغزوات، وكان الرسول (ص) لايبعته في سرية إلا أمره عليها، فعن عائشة (رض) أنها قالت: «ما بعث رسول الله زيدا بن حارثة في سرية إلا أمره عليها ولو بقي بعد لأستخلفه، وكانت الغزوات التي كان عليها أميراً غزوة مؤتة حيث استشهد (رض).

مقام جعفر بن أبي طالب

في بلدة المزار، يرقد الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب (رض)، واهتم المسلمون بهذا

المقام على مر العصور الاسلامية، فهناك نقوش أثرية تشهد بذلك، وهي محفوظة في متحف المزار الإسلامي الذي تشرف عليه وزارة الاوقاف الاردنية، ونستدل منها على أن الفاطميين والايوبيين والمماليك والعثمانيين اهتموا بهذا المقام الذي يرقد في داخله الصحابي الجليل ابن عم الرسول (ص)، الذي كان من أوائل الذين آمنوا بالدعوة الإسلامية وتحملوا الشدائد في سبيل نشرها واعلاء كلمة الدين.

بعثه رسول الله (ص) على رأس المهاجرين إلى الحبشة، وبعثت قريش وفدًا برئاسة الداهية عمرو بن العاص لأعادتهم إلى مكة. وجرّت مناظرة بين الخصمين بحضور النجاشي فكان جعفر جريئاً شجاعاً لا يخشى في الحق لومة لائم، ويظهر ذلك عندما سأله النجاشي عما يقول النبي (ص) في عيسى ابن مريم، ورغم ما في هذا الموقف من حرج، إذ أن الجواب على هذا السؤال قد تكون له نتائج خطيرة جداً، فهو وجماعته من المسلمين جاؤوا مهاجرين بدينهم فأقل اجراء يمكن ان يتخذه النجاشي هو تسليمهم لرسول قريش حيث العذاب وارجاعهم إلى عبادة الاصنام، فيرد عليه جعفر، الرجل المؤمن الواثق من نصر الله بقوله: «يقول فيه قول الله عزوجل هو روح الله وكلمته، اخرجه من البتول العذراء التي لم يقربها بشر».

كذلك في معركة مؤتة نراه يتحدى الموت فيحمل الراية بيمينه فتقطع فيحملها بيساره فتقطع فيحتضن الراية بعضديه وينادي على المسلمين وينشد:

ياحبذا الجنة واقترباها طيبة وبارداً شرابها

بل انه لم يهرب او يخف أو يصد بوجهه إلى الوراء. روى عبد الرزاق عن ابن عيينه عن ابن جدعان عن ابن المسيب قال: «قال رسول الله (ص) وسلم مثل لي جعفر وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحه في خيمة من دركل واحد منهم على سرير، فرأيت زيدا وابن رواحه في اعناقهما صدود ورأيت جعفرأ مستقيماً ليس فيه صدود فسألت أو قيل لي «أنهما حين غشيتهما الموت اعرضا، اما كأنهما صدا بوجهيهما، اما جعفر فإنه لم يضل».

كذلك فقد كان كريماً جواداً حتى ان رسول الله (ص) كان يدعو «ايد المساكين» فعن ابي هريرة انه قال: «كنت لا أكل الخمير ولا ألبس الحرير والصق بطني من الجوع واستقرئ الرجل الآية من كتاب الله هي معي كي ينقلب فيطعمني، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن ابي طالب».

كذلك كان خطيباً مفوهاً وسياسياً بارعاً. وكيف لاوقد استطاع ان يتغلب على داهية العرب عمرو بن العاص وجعله يعود إلى مكة يجتر همومه وأحزانه بعد فشل مهمته التي بعثته قريش من أجلها، لقد كان جعفر أشبه الناس خلقاً وخلقاً برسول الله (ص) الذي أدبه الله سبحانه وتعالى فأحسن تأديبه، فكيف تكون اخلاق جعفر اذن؟

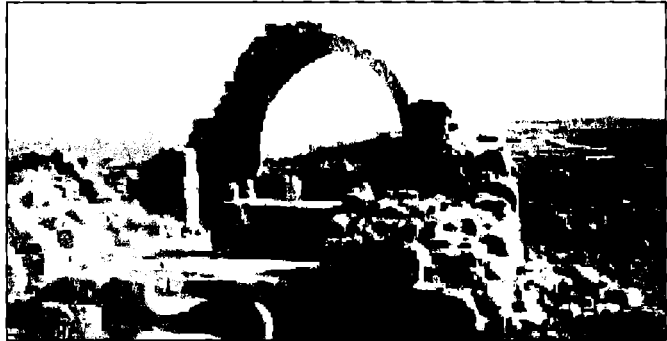
أحب الرسول (ص) جعفرأ كل الحب، ويظهر ذلك من مقدار حزن الرسول الكريم عليه عندما علم باستشهاده، فقال: «علي جعفر فلتبكي البواكي» كذلك يتجلى هذا الحب في عطفه وحنوه على ابناء جعفر بعد استشهاده، قال عبد الله بن جعفر: «كان رسول الله اذا قدم من سفر تلقى

الصبيان من أهل بيته، وأنه قدم من سفر فسبق بي إليه فحملني بين يديه ثم جيء بأحد بني فاطمة إما حسن أو حسين فأردفه خلفه، فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة». وقال (ص): «اللهم اخلف جعفرأ في ولده» وكان جعفر من رواية الحديث، فقد روى عن النبي وروى عنه ابنه عبد الله وبعض اهله وأم سلمة وعمرو بن العاص وابن مسعود، واستشهد وهو في ريعان شبابه وعمره ٣٩ عاماً، وقد شهد الرسول له بالشهادة. يرحمك الله يا جعفر... يا أشبه الناس خلقاً وخلقاً بالرسول (ص)..

مقام عبد الله بن رواحة

في البلدة ذاتها -مئوى الشهداء الأبرار- يرقد الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة الأنصاري الذي نصر الاسلام في وقت كان فيه بأمس الحاجة إلى المساعدة والنصرة، ويعد أن كان عبد الله بن رواحة شاعراً في قومه يدافع عن عشيرته، أصبح شاعر الرسول، رد عنه الأذى إلى جانب صاحبيه حسان بن ثابت وكعب بن زهير، كذلك كان جندياً وفيأ للرسالة التي آمن بها، فقد شارك في جميع الغزوات والسرايا مع رسول الله، فقد ذكر ابن وهب يحيى بن سعيد قال: «كان عبد الله بن رواحة أول خارج للغزو وآخر قافل».

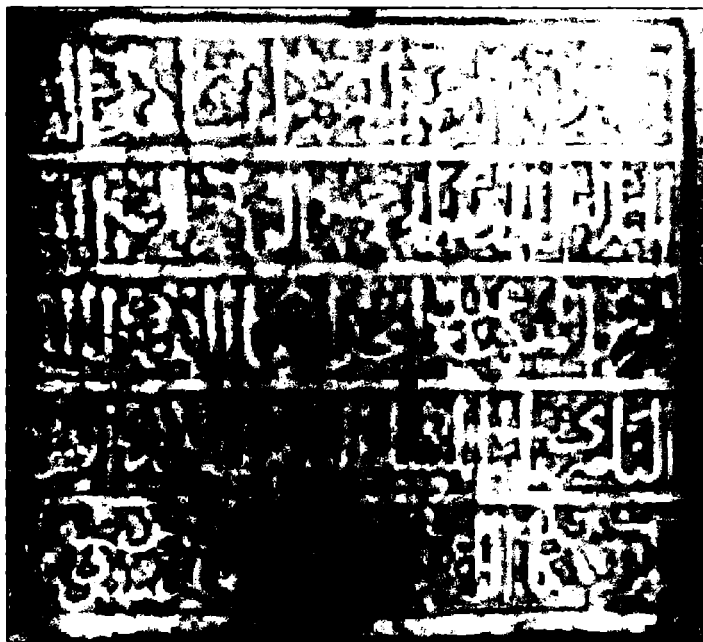
كان القائد الثالث في معركة مؤتة الخالدة، حيث استشهد (رض) ويعد أن انتقل النبي (ص) إلى جوار ربه كانت كلماته تعيش في نفوس أصحابه، فقد روي عن معاذ انه قال: «قال رسول الله (ص)، يامعاذ ان الله عزوجل سيفتح عليكم من بعدي من العريش إلى الفرات، رجالهم ونساؤهم وابناؤهم مرابطون إلى يوم القيامة، فمن اختار منكم ساحلاً من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو في جهاد إلى يوم القيامة». وكأني برسول الله (ص) قد كشف الله تعالى له حجب الغيب فأعلمه بما ستعرض له هذه البلاد من هجوم من قبل الصليبيين واليهود، فحضر المسلمين في كل زمان ومكان على ضرورة التواجد في هذه البلاد للمحافظة عليها والدفاع عنها، فسكانها هم في جهاد دائم إلى يوم القيامة. ويصبح أبو بكر خليفة للمسلمين فيجهز جيوشاً لفتح بلاد الشام، وقد جرت معارك عدة من أهمها فحل واليرموك واستشهد الكثير من صحابة رسول الله (ص)، فضي الاغوار الوسطى والشمالية يوجد عدد من المقامات لهؤلاء الشهداء الأبرار.



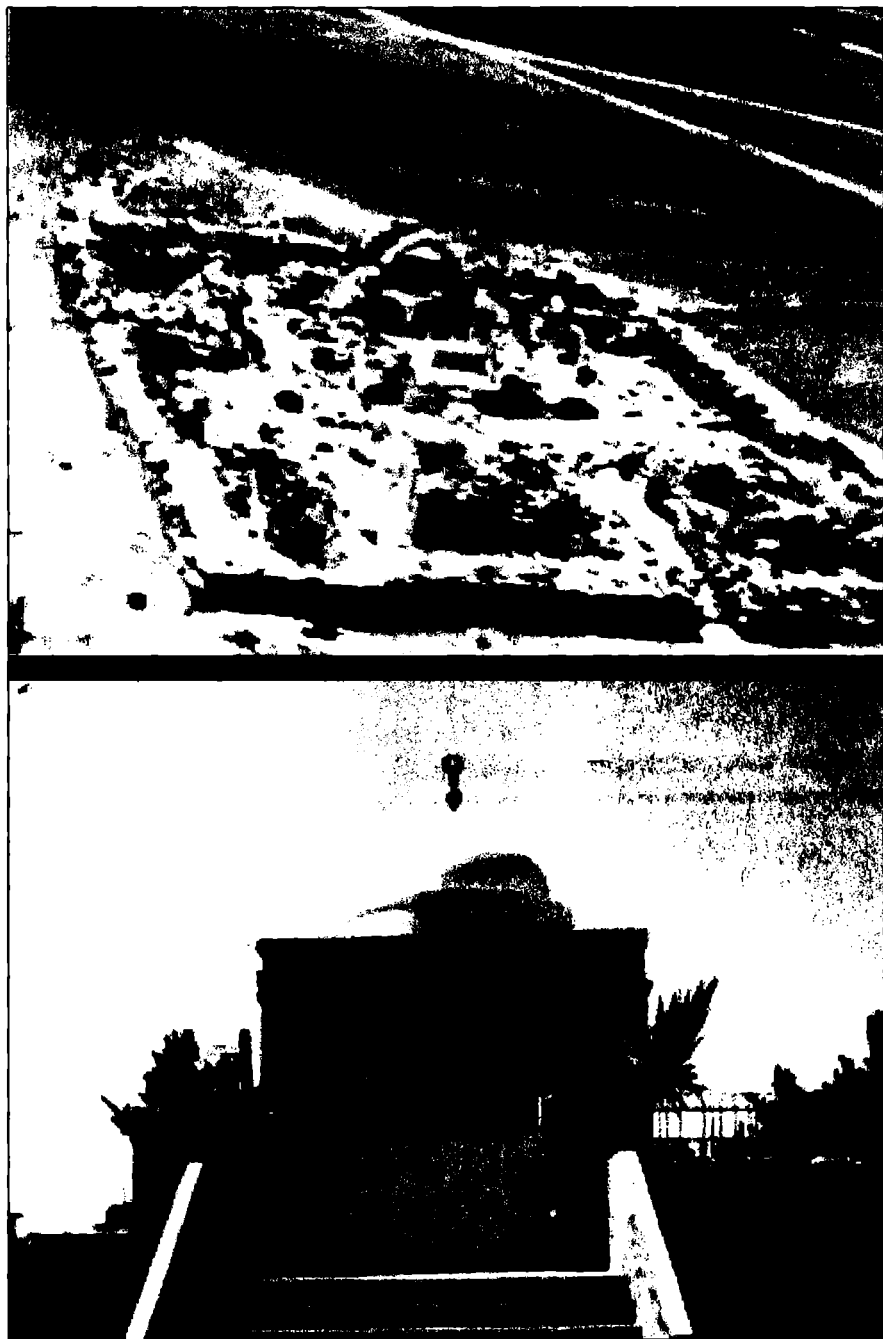
السهل الذي جرت فيه
معركة مؤتة



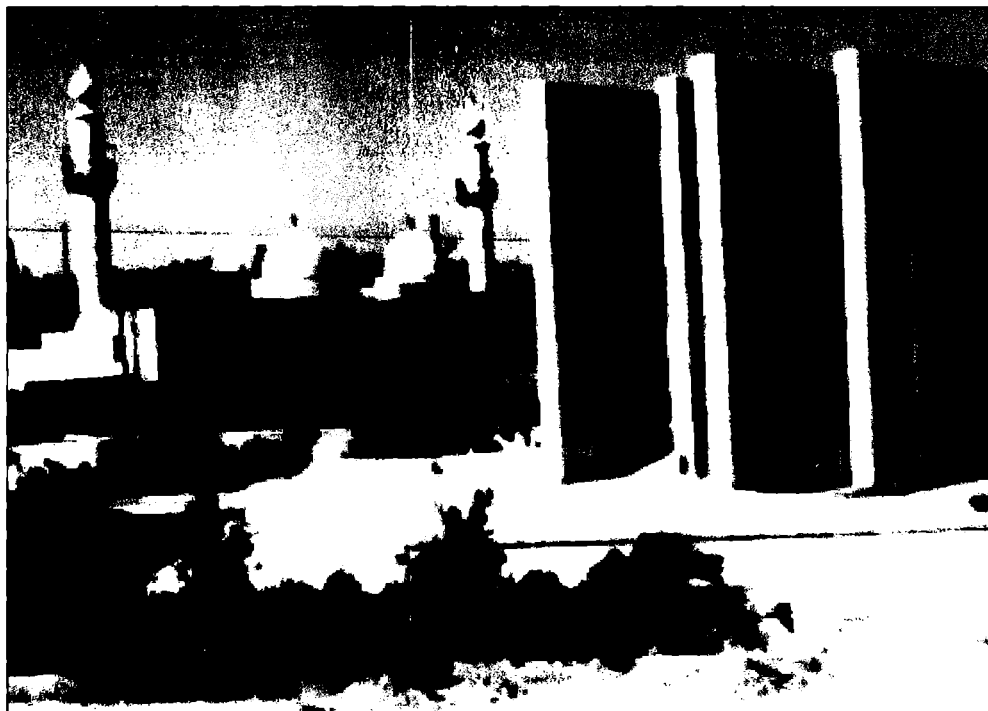
مشهد سيدنا جعفر بن أبي طالب (ع)



كتابة عند ضريح سيدنا جعفر (العهد المملوكي)



سيدنا عبدالله بن رواحة (رض)



مقامات مؤتة



جرة فخارية من العهد المملوكي وجدت بالقرب من ضريح سيدنا جعفر (ع)

شهداء مؤتة ومقام جعفر الطيار

تقف في شوارع العاصمة الأردنية عمان، كيف السبيل إلى محافظة (الكرك) - إحدى المحافظات الجنوبية الأردنية - يرشدك غير واحد من الأردنيين الذين تعج بهم شوارع عمان، يرشدك إلى منطقة الوحدات، حيث (كراج) الوحدات، نسبة إلى مكان الكراج، أو (كراج الجنوب) كما يحلو لبعض أهل عمان تسميته.

تصل إلى حيث تجمع الباصات الصغيرة التي يعود تاريخ تصنيعها لعام (١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) إنه المكان المخصص لنقل المسافرين إلى محافظات الأردن الجنوبية كلها: «معان، العقبة، الكرك، الطفيلة»، تدفع أجرة الطريق من عمان للكرك (٥٠٠ خمسمائة فلساً أردنياً) لموظف التحصيل في الكراج، تأخذ مقعدك يتقاطر عدد المسافرين. يكتمل. وتبدأ الرحلة.

تقرأ اللوحة الكبيرة المنصوبة عند بداية الطريق إلى الجنوب، تعرف إن المسافة من عمان إلى الكرك: ١٢٤ كلم، والطريق المؤدي إليها هو نفسه الطريق المؤدي لمطار الملكة علياء ثم إلى ميناء العقبة الرابطة على حافة البحر الأحمر حيث تلتقي الشمس والماء مع سحر الطبيعة الخلاب وحيث يتوافد السياح من شتى أقطار الدنيا.

تحيط بجانب الطريق من عمان إلى الكرك الكثبان الرملية التي تتخللها بعض القرى المتناثرة، التي لا تخلو من بعض مزارع الزيتون الصغيرة، بعض شركات الشحن البري على جانبي الطريق، يتوقف قربها الشاحنات الكبيرة.

جغرافية الكرك:

يتحدث ياقوت الحموي في (معجم البلدان) عن مدينة الكرك - الذي يذكر بصيغة المذكر - محدداً جغرافيتها فيقول: «قلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة (العقبة) وبحر القلزم (البحر الأحمر) وبيت المقدس، وهي على سن جبل عال تحيط به أودية إلا من جهة الرب» (٤٥١٤) تحد الكرك من الشمال محافظة البلقاء التي تضم بلدة مادبا، وإلى الجنوب من الكرك تقع منطقة الطفيلة، ومركز قضاء محافظة معان، ويقع البحر الميت الذي ينخفض إلى ٤٠٠ متر تحت سطح البحر إلى الغرب منها على مسافة تقرباً (٦٥ كلم) تقع إلى الغرب من المدينة الصحراء السورية.

أما وادي اليابس، ووادي الحسا اللذان يهبطان من ارتفاع ٩٠٠ تسعمائة متر إلى ماتحت سطح البحر فهما الحدود الشمالية والجنوبية للكرك. ويفصل ماء البحر الميت ذو الملوحة الزائدة من جهة الغرب، بينما تتلاشى الجهة الشرقية لمحافظة الكرك في صحراء لا أمطار فيها فعلياً، تنقطها بعض الواحات الصغيرة، وثمة إمتداد جبلي في الوسط يصلها بين جبال الحجاز وجبال البلقاء.

إن محافظة الكرك بأقضيئتها الخمسة: ١- الكرك، ٢- مؤتة، ٣- المزار، ٤- قنطراة، ٥- الغور. تغطي مساحة تقدر بـ (٢٨٥٠) الفين وثمانمائة وخمسين كم^٢، وترتفع عن سطح البحر حوالي ٧٧٠ متراً. وللكرك أنواع متميزة من المناخ نتيجة لتباين جغرافيتها، فالمنطقة المحاذية للبحر منها تمتاز بشتاء دافئ قصير، وأمطار تتراوح ما بين ٥-١٥ سم، وفصول صيف عالية الحرارة جافة، وليس لها ربيع أو خريف، وفي القسم الأوسط من المحافظة تصل كمية الأمطار إلى ٣٥ سم ما بين شهري تشرين الثاني ونيسان ولكن بكميات سنوية شديدة التفاوت، فقد كانت على سبيل المثال (١٠) سم عام (٨٢-١٣٨٣ م / ٦٢-١٩٦٣ م) و (٥٠) سم سنة (٨٣-١٣٨٤ هـ / ٦٣-١٩٦٤ م) على أن من المفيد الإشارة إلى أن المدينة تعتمد في الدرجة الأولى على الأمطار إذ لا توجد فيها أنهار مطلقاً، اللهم إلا بعض الينابيع والجداول التي تصب في البحر الميت حيث ينطبق الاسم على المسمى ذلك أنه لا يعيش أي كائن حي في ماء البحر الميت، بسبب كثافة الأملاح فيه، ولكن هذه الأملاح تعطي الماء خاصيته العلاجية، والتي مازال الناس يستشفون فيها منذ آلاف السنين.

ولقد كانت (الكرك) حلقة الوصل ما بين مصر، بما في ذلك الشمال الأفريقي كله، والديار الحجازية، كما كانت من جهة أخرى تصل ما بين بلاد الشام والحجاز، فكان الحجاج الوافدون من مصر وشمال أفريقيا يمرون ببلدة الكرك للتزود بالماء إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة، كما كان حجاج الشام يشقون طريقهم عبرها إلى الأماكن المقدسة.

الكرك قارخياً:

يذكر المؤرخون أن أول ظهور لمنطقة الكرك كان سنة (٢٤٠٠ قبل الميلاد)، أي في العصر البرونزي، بحضارة زراعية متقدمة مستقرة، بيد أن تلك الحضارة (الزراعية) اختفت فجأة سنة (١٨٠٠) ق.م. دون وجود ما يفسر هذا الاختفاء في الكتب التاريخية.

وبعد ٦٠٠ ستُمائة سنة تقريباً، تطورت حضارة جديدة هي (مملكة مؤاب) وفي هذه الفترة فقط تقرر موقع مدينة الكرك الحالية، وتم تحصينه، وبعد ذلك أصبحت مسكونة باستمرار مع وجود احتمال فترات قصيرة من الانقطاع.

وفي القرن العاشر (ق.م) هزم داود ملك العبرانيين المؤابيين الذين دفعوا له الجزية، بيد أن المنطقة استعادت حريتها سنة ٨٤٠ (ق.م) تحت قيادة الملك المؤابي (ميشع). وخضعت المنطقة أواخر القرن التاسع والثامن والسابع للنفوذ الآشوري.

وفي القرنين اللاحقين خضعت للنفوذ الفارسي، ثم تغلب عليها الاسكندر ذو القرنين (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م) مع بقية آسيا الصغرى - الاناضول - وبعد موته سيطر عليها (بطليموس ٣٦٠ - ٢٨٣ ق.م) حاكم مصر- آنذاك، بالإضافة إلى فلسطين، وهكذا تنتقل المدينة من عهد إلى عهد لتدخل في الإسلام عام (٨ هـ / ٦٣٠ م) وتناوب عليها مد الازدهار وجزره حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم كمدينة تُصنّف من مدن الأردن الرئيسية: عمان، العقبة، الزرقاء، السلطة جرش وإربد.

حديث المؤرخين:

ولقد ذكر المؤرخين والرحالة مدينة الكرك في ما كتبوا من مؤلفات، فهذا الرحالة الأندلسي محمد بن أحمد ابن جبير (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) يذكر أنه سمع في رحلته أن اربعمائة قرية كانت تتبع الكرك، وفي ذلك يقول بالنص: «بين الكرك وبين القدس مسيرة يوم أو أشف (أكثر) قليلاً وهو سرة أرض فلسطين عظيم الاتساع، متصل العمارة، يذكر أنه ينتهي إلى أربع مئة قرية». أما ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) فذكر الكرك في المجلد الرابع صفحة ٥١٤ من مؤلفه الشهير: (معجم البلدان) فقال: «قلعة حصينة جداً في طرق الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة (العقبة) وبحر القلزم (البحر الأحمر) وبيت المقدس، وهي على سن جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة الريض».

ووصف الكرك إسماعيل أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) في كتابه (تقويم البلدان) قائلاً: وهي بلد مشهور وله حصن عالي المكان، وهو أحد المعاقل التي لاترام، وتحت الكرك وادٍ فيه بساتين كثيرة وفواكهها مفضلة من المشمش والرمان والكمثري وغير ذلك».

ونقرأ فيما كتبه زكريا بن محمد القزويني (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) في كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد، نقلاً عن الجيهاني قوله: مؤتة من أعمال البلقاء من حدود الشام، أرضها لاتقبل اليهود ولايتها أن يدفنوا بها. ومن عجائبها أن لاتلد بها عذراء، فإذا قرئت المرأة ولادتها خرجت منها، فإذا وضعت عادت إليها، والسيوف المشرفية منسوبة إليها من مشارف الشام، قال الشاعر:

أبى الله للشم الأنوف كأنهم صوارم يجلوها «بمؤتة»، صيقل

الكرك سجن للمغضوب عليهم:

ويتوقف الباحث وهو يقرأ تاريخ مدينة الكرك حيث يعثر على معلومات تفيد بأن قلعة الكرك كانت في عهد المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٦ م) سجناً فمعظم من وقع عليه غضب السلطان كان فيها جب مخيف يزج به كل من كانت تسول له نفسه الخروج على سلطان ذلك الزمان، وعلى إثر الحفريات التي أجريت في قلعة الكرك شوهدت قبل سنوات من إجراء هذا الاستطلاع جباب عديدة وهي على شكل عمودي تخترق الطباق السبع لقلعة الكرك، كما إنه لايزال في بعضها آثار المقاصل لقتل المساجين، ومن جملة الأسماء التي يحفظها التاريخ عن الذين سجنوا، جمال الدين حجي، أحد امراء الغرب في لبنان غضب عليهم السلطان ظاهر بيبرس وعلى أخوته فسجنه في الكرك لوشاية ضدهم من منافسيهم عائلة أبي الحبش، ومفاد وشايتهم إن امراء الغرب كانوا على اتصال بالفرنجة اعداء الملك الظاهر، في طرابلس شمالي لبنان.

سكان الكرك:

يتألف سكان الكرك من ثلاث فئات:

- ١- مسلمة، ٢- مسيحية، ٣- يهودية، على أن الباحث في التركيبة السكانية لاهالي مدينة الكرك لايمكن أن يقطع برأي يقيني حول أصل اولئك السكان، إلا أن المرجح أن يكون معظمهم

أحفاداً للقبائل العربية التي هاجرت عبر فترات التاريخ إلى شمالي الجزيرة العربية، وجنوبي بلاد الشام. أما السكان النصارى - على ما يذكره بعض المؤرخين - فوجدوا قبل الاحتلال الصليبي (٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م) لتلك المناطق.

وعلى وجه الترجيح فإن قسماً كبيراً منهم هو من أصل عربي من بقايا القبائل الغسانية التي كانت تقطن هاتيك المناطق. ويبقى دور اليهود محدوداً هناك، بل تكاد تخلو منهم المنطقة، إذ هاجروا لفلسطين بعد احتلالها ويبقى طابع المدينة الغالب من حيث ديانة الناس اليوم هو الإسلام. ومن حيث المذهب الذي يعتنقه المسلمون في الكرك، فإنهم في السابق كانوا شوافع أو أحناف، ولم يختلف الوضع اليوم عن الوضع بالأمس، اللهم إلا بوجود بعض المهاجرين إلى الكرك من المسلمين الذين يعتنقون مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشري.

من معالم الكرك:

وبالإضافة لوجود مراقد صحابة رسول الله (ص) من شهداء معركة (مؤتة) في الكرك، فإن قلعة الكرك تعتبر واحدة من أهم القلاع في الشرق الأوسط بعد (قلعتي حلب وبيعلبك)، ولا زالت قلعة الكرك شامخة على الرغم من الظروف الطبيعية الصعبة والحروب التي لم تسلم منها مدينة الكرك. كما هناك قلعة القطرانة عند المدخل الشرقي للمدينة، ومعسكر اللجون، ويعود تاريخ إنشاء هاتين القلعتين إلى ما قبل الحروب الصليبية الغاشمة على بلاد المسلمين (٤٩٠ - ٦٩١ هـ / ١٠٩٦ - ١٢٩١ م) وتقعان في مناطق جبلية وعرة، وفيهما الأروقة والأبراج والاستحكامات التي تدل على طراز الفنون الحربية في القرون الوسطى. وعلى امتداد ما يعرف في مدينة الكرك بـ (الطريق السلطاني) القديم المخترق لوادي الموجب تظهر مدن القصر والرية والسماكية الزاخرة بمواقعها الأثرية، فيما تشمخ إلى الجنوب من المدينة أضرحة شهداء (مؤتة) إذ تعتبر واحدة من أبرز المعالم الإسلامية في الأردن.

قضاء مؤتة:

والمتحدث عن الكرك لابد له أن يتحدث عن أهم أقصيتها، وهو قضاء (مؤتة) الواقع على بعد عشرة كيلو متر إلى الجنوب من الكرك على مسافة عن مركز المحافظة تقدر بنحو (٧٥ كلم)، ويتداخل اسم المدينة وتاريخها مع معركة المسلمين ضد المشركين في العام الهجري الثامن / ٦٣٠ م والتي قاد فيها جيوش المسلمين جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) وبعد مقتله تسلم الصحابي عبد الله بن رواحة قيادة الجيش، ومن بعده زيد بن حارثة.

المزار الجنوبي:

دفن شهداء معركة مؤتة حيث وقعت المعركة، ولقد سميت المنطقة تلك مدينة (المزار) نسبة إلى مزارات أولئك الشهداء. وتشعر وأنت تدخل مدينة (المزار) وكأن ترابها يعبق بدماء شهداء مؤتة، تستقبلك ساحة صغيرة فيها بعض الشتول الصغيرة لأشجار الصفصاف، يتوسطها نصب مكعب الشكل كتبت عليه أسماء الجلالة بالخط العربي الكوفي، وعلى شمال هذه الساحة ثمة

نصب كبير على شكل كتاب مفتوح كتبت عليه اسماء شهداء موقعة مؤتة بالخط الكوفي ايضاً، ويحيط بنصب الشهداء سياج حديدي مطلي باللون الأسود. وعلى يمين الساحة يقع مرقد جعفر الطيار بن ابي طالب، أما على الشمال من البوابة الكبيرة لمرقد الطيار فيستقبلك متحف مؤتة الذي يفتح عادة نهار الجمعة من كل أسبوع، تقف قبالة البوابة الكبيرة، يمتد امامك رواق طويلة تحيط به اشجار باسقة من الجانبين، يمتد هذا الرواق حتى يصل إلى باحة واسعة خصصت لإقامة صلاة يوم الجمعة في حال عدم اتساع المكان للمصلين في مرقد جعفر الطيار لأداء هذه الفريضة.

مرقد ذي الجناحين:

حتى نقف على السبب في إطلاق لقب الطيار علي جعفر بن أبي طالب، نقرأ في بعض المصادر التي كتبت وترجمت له مايفيد: إن رسول الله محمد (ص) قال: «إن لجعفر بن أبي طالب جناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة» جاء ذلك نصاً في ماكتبه ابن سعد في (الطبقات الكبرى) وهو يترجم لجعفر، وفي المعنى نفسه كتب ابن الاثير (الكامل في التاريخ) ضمن احداث السنة الثامنة للهجرة، ومن روائع القصص التي يذكرها الشيخ الصدوق في اماليه عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر (ع) قال: «أوحى الله -عزوجل- إلى رسوله (ص) إنني شكرت لجعفر بن أبي طالب أربع خصال، فدعاه النبي (ص) فأخبره، فقال جعفر: لولا أن الله أخبرك ما أخبرتك: ماشرت خمراً قط، لأنني علمت أن لو شربتها زال عقلي. وماكذبت قط لأن كذبت ينقص المروءة، ومازنت قط، لأنني خفت أني إذا عملت عمل بي، وماعبدت صنماً قط لأنني علمت أنه لا يضر ولاينفع. قال: فضرب النبي (ص) يده على عاتقه، فقال: حق لله عزوجل أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة في الجنة».

هذا هو جعفر الطيار، فماذا عن وصف ضريحه: قبل أن تدخل ضريحه يقع نظرك على لوحة من الرخام وضعت على الحائط قرب الباب بقياس ١٠٠ سم عرضاً و ٨٠ سم طولاً، كتب عليها بخط أسود في ستة سطور: «هذا مقام الصحابي الجليل الشهيد سيدنا جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هاجر الهجرةتين وكان القائد في معركة مؤتة وفيها فقد ذراعيه ثم استشهد، فأخبر الرسول: إن الله أبدله بدلاً منهما بجناحين يطير بهما في الجنة، فسمي رضي الله عنه بجعفر الطيار».

يرتفع الضريح عن الأرض حوالي متر واحد ونصف المتر تقريباً، وقد كسي بكساء من القماش الأخضر، طرزت في أطرافه آيات من الذكر الحكيم، بخيوط ذهبية براقية، أما الأرض قد فرشت بسجاد أحمر اللون، وعلقت على جدران المقام سيرة الطيار على شكل لوحة جميلة في ثلاثة عشرة فقرة تتحدث عن نسبه، وعلاقة مع الرسول وزواجه من أسماء بنت عميس، وهجرته إلى

الحبشة، والمدينة المنورة، وتسميته من قبل الرسول بأبي المساكين، وقد ذيلت اللوحة باسم مهديها للمرقد المحامي أمير كاظم المالحي (بغداد) وبتاريخ الاهداء (٩٥/٤/٧).

في الجهة الشمالية من المرقد ثمة سلم صغير يؤدي إلى منصة حيث مكان الخطيب في هذا الضريح وتزين وسط سقف المرقد (ثريا) مصنوعة من الزجاج الأبيض، تالألأ شعاعها وضياؤها، فأضفت على هيبة المرقد ونوره نوراً وبهاءً وجمالاً.

ثمة ظاهرة تلفت نظرك وأنت قريب من مرقد جعفر الطيار، هي وجود مجموعات من المصلين من غير العرب، تقترب منهم، تحدثهم بلهجتك العربية الدراجة التي تعود عليها، يجيبونك متحدثين بلسان عربي مبين، أنهم من المسلمين الماليزيين الذين يدرسون الفقه الإسلامي، وعلوم الشريعة الإسلامية في جامعة مؤتة التي انشئت عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) تعرفهم مما يرتدون من ملابس تميزهم عن ابناء البلد، فالقميص فضفاض، وتحتة بنطال واسع مع غطاء ابيض على الرأس.. زرنا مقام جعفر الطيار وصلينا فيه الصلاة الواجبة، ثم توجهنا إلى الغرب من مرقد الطيار حيث يقع مرقد الشهيد زيد بن حارثة على بعد (١٥٠) مئة وخمسين متراً، فمرقد الشهيد عبد الله بن رواحة الذي يبعد عن مرقد زيد حوالي مئة متر. ومع عودتنا للعاصمة الأردنية عمان حملنا من عطر الشهداء صفاء وسلاماً.

جعفر بن أبي طالب

• سترشتين

«جعفر، بن أبي طالب ولقبه الطيار (أي الذي يطير إلى الجنة) وهو ابن عم النبي، وكان جعفر من السابقين إلى الإسلام، هاجر مع المسلمين في هجرتهم الثانية إلى الحبشة، وتذهب الرواية الشائعة إلى أنه كان في الواقع زعيم المهاجرين والمتحدث بلسانهم في حضرة النجاشي. ويقول البعض إنه حضر غزوة بدر، ولكنه كان في الحبشة وقت حدوث تلك الغزوة، ولم يعد إلى بلاد العرب إلا في عام ٧هـ (٦٢٨هـ) بعد وقعة خيبر مباشرة، وكان له نصيب في الغنائم التي غنمها المسلمون فيها شأنه في ذلك شأن باقي أتباعه من المهاجرين، وقد أنفذ النبي في العام التالي جيشاً عدته ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة زيد بن حارثة لقتال الروم، واختار جعفرأ نائباً لزيد إذا ما سقط في القتال كما اختار عبد الله بن رواحة خلفاً لجعفر إذا هلك أيضاً في القتال، ولاقى هذا الجيش العدو عند مؤتة غير بعيد من البحر الميت وسقط في القتال كل من زيد وجعفر وابن رواحة على التعاقب ولم يستطع خالد بن الوليد إيقاف المسلمين الذين ركنوا إلى الفرار والعودة بهم إلى المدينة إلا بشق الأنفس.. وكان ذلك في العام الثامن من الهجرة (٦٢٩م) ولا يزال قبر

جعفر الطيار قائماً عند مؤتة، ويقال إن النصارى أيضاً يبجلون قبره كما يبجله المسلمون.
وابتنى المسجد القائم هناك الملك المعظم عيسى الأيوبي؟

المصادر:

(١) ابن سعد، ج٤، القسم الأول، ص٢٢، ومابعدھا (٢) الطبري، طبعة ده غوى، في مواضع مختلفة (٣) تاريخ ابن الاثير، طبعة تورنبج ج٢، ص٤٢- ٩٥ ومابعدھا، ١٦٣. ١٧٨ ومابعدھا (٤) المؤلف نفسه: أسد الغابة، ج١، ص٢٨٦، ومابعدھا (٥) ابن حجر: الاصابة، ج١، ص٤٨٥ ومابعدھا (٦) Der islam im morgen: Muller und Abendland ج١، ص١٥٠ (٧) Annali dell Arabia caetani islam: انظر الفهرس (٨) Die Provincia Arabia - Domaszewski - Brunnov ج١، ص١٠٥ (٩) Arabia Petraea: Musil ج١، ص٦١، ١٥٢، ج٣، ص٢٨٧، ٣٣٠ (١٠) Ursemitische Religion: Curtiss ص٢٠٤ ومابعدھا (١١) المجلة الاسيوية، المجموعة التاسعة، ج٤، ص٢٨٠، سترشتين K.V.Zettersteen دائرة المعارف الاسلامية ٤٧٢/٦ - ٤٧٣

جعفر الطيار

الحمد لله على ما هو

جعفر الطيار هو جعفر بن أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب واسم عبد المطلب شيبه الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة ابن قصي، وامه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. وأبناء أبي طالب جميعاً شخصيات تاريخية، وأكبرهم طالب وكان شاعراً فقد يوم بدر فلم يعرف مصيره، وكان أسن من عقيل بعشر سنين، وعقيل أسن من جعفر بعشر سنين، وعلي كان أصغرهم سناً وأولهم إسلاماً.

وقد أسلم جعفر قبل أن يدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دار الأرقم المخزومي ويدعو فيها، ولم تذكر كتب السيرة وكتب التاريخ اضطهاداً وقع على جعفر بن أبي طالب يدفعه إلى الهجرة إلى الحبشة، وأكبر الظن أنه هاجر ومعه زوجته أسماء بنت عميس الخثعمية فراراً بدينه حتى يقوم بأوامره ونواهي في مأمن من عقابيل العداوة، أقول هذا لأن التعذيب الذي وقع على اتباع الدعوة الإسلامية في مكة لم ينل أحداً من البيت الهاشمي.

وابن اسحاق في السيرة يقول: لما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر أن يمنعه بما هم فيه من البلاء قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً.. ولذلك أقول: إن جعفر بن أبي طالب لم يضطهد حين هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية إليها والهجرة الأولى كان عدد المهاجرين إلى الحبشة عشرة رجال هم أول من هاجر إلى الحبشة، منهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولما وصل جعفر وزوجه إلى الحبشة كان المهاجرون قد بلغوا ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم ويستثنى من المذكورين الأبناء الصغار والنساء. وكان أمير القوم في الحبشة جعفر

بن أبي طالب. فلما رأت قريش أن الذين هاجروا من أبنائها قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة ووجدوا بها داراً وقراراً رأت أن تمكربهم وتردهم إلى مكة ليضتوا في دينهم، فبعثت رجلين جليدين: عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمرو بن العاص السهمي، وأرسلت معهما هدايا للنجاشي ولبطارقته. ووصولاً إلى الحبشة فكانت خطوب وخطوب، تصدى لها جعفر بن أبي طالب بكل ما يملك من ميراث أجداده من الشجاعة والقدرة والذكاء والفصاحة.

ولقد حفلت السيرة النبوية بحكايات أم سلمة المخزومية المهاجرة مع زوجها أبي سلمة المخزومي، فمما ذكرته في هذه المحنة قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذي، فلما بلغ ذلك قريشاً انتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي رجلين جليدين منهم وأن يبعثوا له هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكانت من أعجب ما يأتية منها الأدم «الجلود» فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته أحداً إلا أعدوا له هدية، وقد وقع الاختيار على عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، تقول: فخرجنا حتى أتينا النجاشي، وقدمنا الهدايا إليه وإلى بطارقته.

وقال لكل بطريق قبل لقاء النجاشي، إنه قد لجأ إلى بلد الملك غلمان منا سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا ببدع مبتدع لانعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعرف بهم فقالوا لهما نعم، ووصلت الهدايا إلى النجاشي فقبلهما منهما ثم كلماه، وذكرنا له مذكراه للبطارقة وطلبنا إليه ردهم معهما إلى قومهم، ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلام المهاجرين النجاشي، وصدق البطارقة على قولهما، وأشاروا على الملك أن يردهم إلى قومهم، فغضب النجاشي ثم قال: لاها الله، إذن لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوه فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسن جوارهم ما جاوروني.

فماذا كان؟

قالت أم سلمة: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ماتقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن.

فلما جاءوا وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبد، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث،

وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

قالت -فعدد إليه أمور الإسلام- فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وقتلونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، من عبادة الله تعالى وأن نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: هل لديك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال جعفر له: نعم، فقال له النجاشي فاقرأه على فقراً عليه صدرأ من «كعبيص» سورة مريم قالت: فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ماتلاً عليهم، ثم قال النجاشي: حين سمعوا ماتلاً عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، ثم خاطب القرشيين: انطلقا فوالله لأأسلمهم اليكما ولا يكادون.

لقد كان جعفر بن أبي طالب عند حد المسؤولية واستطاع بايمانه وفصاحته لسانه أن يضع الأمور الإسلامية أمام الحاضرين وفي مقدمتهم الملك.

فهل سكت القرشيان؟ تقول أم سلمة: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لأيتنه غداً عنهم بما استأصل به خضراءهم فقال له زميله عبد الله بن أبي ربيعة - وكان اتقى الرجلين فينا - لا تفعل فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد.

ثم غدا عليه من الغد فقال: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه، فأرسل الملك إليهم ليسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثلها قط، فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله وما جاءنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن. فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا (ص): هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، قالت: فتناخرت بطارقه حوله حين قال ما قال فقال وإن نخرتم والله.

ثم قال لجعفر ومن معه: إذهبوا فأنتم شيوع بأرضي -والشيوع الآمنون- من سبكم غرم وقال في شأن عبد الله وعمرو: ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله من الرشوة حين رد على ملكي، قالت: فخرجا مقبوحين من عنده مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

وهذه الوثيقة التاريخية فيها كثير من معالم إيمان المهاجرين وفضيلة التشاور فهم يتشاورون

كلما حزبهم أمر، واختاروا أقواهم على الدفاع ومحاوره الخصوم وأبلغهم في معرفة حسن الحوار فقد بين في الأولى مكارم الأخلاق التي جاء بها الدين الإسلامي ثم ذكر أركان الإسلام من صلاة وصوم وزكاة وأنهى إليه أنه المختار من جميع الملوك لجواره وأرضه هي الأرض الطيبة.

وعاش في الحبشة طويلاً، رجع عثمان بن عفان وكثير من المهاجرين إلى مكة، ولكنه لم يعد إلا في السنة السابعة من الهجرة، عاد بعد فتح خيبر، وفي الحبشة حضر عقد زواج أم حبيبة بنت أبي سفيان لرسول الله ودفع المهر النجاشي أربعمائة دينار وكان وليها خالد بن سعيد بن العاص وهو من أسرتها وفي سنة سبع من الهجرة بعث رسول الله إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري يطلب عودة أصحابه، فحملهم في سفينتين فقدم بهم عليه وهو في خيبر، فلما التقى جعفر برسول الله قبله الرسول بين عينيه، والتزمه وقال: ما أدري بأيهما أنا أسر، بفتح خيبر أم بقدم جعفر؟

لقد كانت هجرته إلى الحبشة جهاداً في سبيل الله وآن له أن يجاهد بنفسه ماله وسلاحه فكانت غزوة مؤتة وهي قرية من أرض البلقاء بالشام، جند النبي (ص) لها ثلاثة آلاف مقاتل لتأديب المناوئين للدعوة ورسول النبي (ص) إلى الملوك في الشام وبيزنطة، يقول العقاد عنها: كانت «حملة تأديب» عين الرسول لها قادتها، ففي جمادى الأولى من السنة الثامنة من الهجرة كانت تلك الحملة واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: فإن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة. وخرجت الحملة، وقد حشد لها الروم مائتي ألف، منهم مائة ألف من العرب، والتقى الجمعان فقتل زيد بن حارثة فحمل اللواء جعفر بن أبي طالب. ويصف أحد المشاهدين موقف جعفر حين حمل اللواء، يقول: والله لكانني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول:

ياحبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
علي إذ لاقيتها ضرابها

ويصفون قتاله أنه أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاثة وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء، ويكادون يجمعون على القول: «إن لجعفر بن أبي طالب جناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة، وفي هذه الغزوة قتل الأمير الثالث عبد الله بن رواحة، فاختر الجيش قائداً فكان خالد بن الوليد الذي استطاع أن ينجو بالجيش من الهلكة.

ترك جعفر بن أبي طالب أبناءه الصغار المولودين في الحبشة وهم عبد الله ومحمد وعون، ولما خافت أمهم أسماء بنت عميس العيلة قال لها النبي عليه الصلاة والسلام: أتخافين العيلة عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة، ثم دعا لهم بالخير، ومضت الأيام، وتزوجت أسماء أبا بكر الصديق فأنجبت له محمد بن أبي بكر، ثم مات عنها فتزوجها علي بن أبي طالب، فأنجبت له يحيى ولكنها لم تنس جعفرأ رضي الله عنه.

قالوا: تزوج علي بن أبي طالب أسماء بنت عميس ولها من أخيه أولاد ومن أبي بكر ولد، فتفاخر ابنها محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر قال كل واحد منهما: أنا أكرم منك وأبي خير من أهلك، فقال لها علي: أقض بينهما فقالت: ما رأيت شاباً من العرب كان خيراً من جعفر، ولا رأيت كهلاً خيراً من أبي بكر... فقال علي: ما تركت لنا شيئاً، فقالت: والله إن ثلاثة أنت أخسهم لخيار. فقال لها: لو قلت غير هذا لمقتك، رضي الله عن فتى العرب جعفر الطيار.

ذو الجناحين «جعفر بن أبي طالب»



كان جعفر بن أبي طالب هاشمياً من جهة ^(١) أبيه، وهاشمياً من جهة أمه، فأبوه هو أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم. وأمّه هي فاطمة بنت أسد بن هاشم وكان له ثلاثة إخوة، «علي» وهو أخوه لأمه وأبيه، و«طالب» و«عقيل» وهما أخواه من أبيه وحسب. وكان بين «طالب» و«عقيل» عشر سنين ^(٢) وبين «عقيل» و«جعفر» عشر سنين والأمر كذلك بين «جعفر» و«علي».

وقد اتفق الرواة على أن أبا طالب كان كثير العيال ^(٣) قليل المال، لا يكاد يكسبه يغطي نفقاته ونفقات أبنائه وبناته، وأن النبي (عليه الصلاة والسلام) قد كان يعرف هذا أكثر من غيره، لأنه تربى في بيته ^(٤) وقضى شبابه وشطراً من طفولته في كفالته، وتحت ظلال حمايته ورعايته، ومن أجل هذا فإن أهل مكة لما أرموا مشى النبي (عليه الصلاة والسلام) إلى العباس بن عبد المطلب، وقال له: إن أخاك أبا طالب كما ترى من كثرة العيال وقلة المال، فإن شئت أخذت من أبنائه رجلاً، وأخذت من أبنائه رجلاً.

ولما بلغ الخبر أبا طالب قال: ^(٥) «دعا لي «طالباً» و«عقيلاً» وخذا من تشاءان، فضم محمد (ص)، إليه «علياً» وضم العباس إليه «جعفراً» وظل كل منهما في حجر صاحبه حتى جاء الإسلام فأوى إليه «علي» وانضوى تحت لوائه، وراح من فوره يدعو إليه «جعفراً» ويزينه في قلبه حتى انقاد له ودخل فيه. ويقول الرواة إن «جعفراً» قد أسلم وله من العمر عشرون سنة، وإن إسلامه قد كان ولما يدخل النبي (عليه الصلاة والسلام) وأصحابه دار الأرقم بن أبي الأرقم ^(٦)، والدليل على أن دخول «جعفر» في الإيمان قد كان وهو في هذه السن هو أنه قد استشهد في «مؤتة»، وهو في الأربعين، أو في العام الذي يليه ^(٧) والمدة من البعثة حتى هذه الغزوة لاتجاوز العشرين سنة، ومهما يكن من شيء فإن

(١) الطبقات الكبرى - لابن سعد - ج ٤ ص ٣٤ ط دار بيروت للطباعة والنشر.

(٢) الاستيعاب في أسماء الاصحاب لابن عبد البر ج ١ ص ٢١٠ ط دار الفكر، بيروت.

(٣) السيرة النبوية: لابن هشام ج ١ ص ٢٢٨ - ٢٢٩، ط مكتبة الكليات الأزهرية.

(٤) السيرة النبوية: لابن هشام، ج ١ ص ١٦٤.

(٥) السيرة النبوية: لابن هشام، ج ١ ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٦) الطبقات الكبرى: لابن سعد، ج ٤ ص ٣٤.

(٧) الاستيعاب: لابن عبد البر، ج ١ ص ٢١٣.

«جعفر» منذ أوى إلى ظل الإسلام الحنيف حتى غادر مكة مهاجراً إلى الحبشة وهو ملازم للنبي (عليه الصلاة والسلام)، لا يكاد يفارقه.

فقد كان يصاحبه في شعاب مكة، وكان يجلس إليه في دار «الأرقم» بن أبي «الأرقم» وهذا هو السرفيما أوتيه «جعفر» من فصاحة اللسان، وغزارة البيان، وحدة العقل، وتوقد الذهن، وسرعة البديهة، وقوة العارضة، وحسن الخلق، واستقامة السلوك، وهذه القدرة الفائقة على إقناع من يحدثه، وافحام من يجادله، وقد تكون هذه المزايا وغيرها هي السبب الذي من أجله أمره^(١) النبي (عليه الصلاة والسلام) على رفاقه الذين أذن لهم في الهجرة إلى أرض النجاشي بعد أن استضعفهم الناس واضطهدوهم وأذاقوهم من التنكيل والتعذيب ما يعجز الصبر عن احتماله وتضييق النفس عن احتوائه، والاستمرار في العيش معه.

ويقول الرواة: إن «جعفر» رضي الله عنه، قد حمل امرأته^(٢) أسماء بنت عميس، معه إلى الحبشة، وأنها قد أنجبت له فيها «عبد الله، ومنه كان عقبه، وعونا، ومحمداً، ولعقب لهما. والرواة مختلفون في خروج «جعفر» إلى الحبشة، أكان في المرة الأولى أم في الثانية؟^(٣) وفي الرجل الذي دار الحوار بينه وبين «النجاشي» أكان هو أم «عثمان بن عفان»^(٤) وفي الشخص الذي رافق «ابن العاص» لاستعادة المسلمين أهو «عمارة بن الوليد» أم «عبد الله بن أبي ربيعة»^(٥) والذي تسكن إليه النفس، ويستريح إليه البحث والدرس هو أن خروج «جعفر» إلى الحبشة قد كان في المرة الأولى، وأنه هو الذي حاور «النجاشي» وناب عن أصحابه في التحدث إليه. أما رفيق «عمرو بن العاص» فإن خير ما انتهى إليه العلماء بالنسبة له هو أن السفارة إلى «النجاشي» لم تكن مرة واحدة، وإنما كانت مرتين^(٦) وأن «عمارة» قد كان في إحداها، وكان «ابن أبي ربيعة» في الثانية.

ويظهر أن المشركين قد كانوا على يقين من أن المسلمين لن يقيموا في الحبشة إلا يسيراً، وأنهم سرعان ما تضنيهم الغربة ويشقيهم الفراق، ويعودون مرة أخرى إلى مسقط رؤوسهم وموطن آبائهم وأجدادهم، الأيام أكل الفيض قلوبهم، ونهش الحقد نفوسهم، وجمعوا الهدايا للنجاشي، وبطارقته، وكلفوا عمراً وعمارة بالذهاب إلى الحبشة واستعادة المهاجرين منها، وقد أبى الله إلا أن يزرع البغض في قلب كل من هذين الرسولين نحو الآخر. انطلق عمرو إلى البطارقة ودفع إلى كل منهم هديته، ورجاهم أن يؤيدوه في مجلس الملك،

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، ج ٣، ص ٦٧. ٧٠ ط مكتبة المعارف، بيروت..

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد ج ٤ ص ٣٤

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير، ج ٣، ص ٦٧.

(٤) البداية والنهاية، لابن كثير، ج ٣ ص ٧٧.

(٥) البداية والنهاية، مرجع سبق ذكره، ج ٣ ص ٧٢. ٧٣. ٧٤.

(٦) البداية والنهاية، مرجع سبق ذكره ج ٣ ص ٧١ - ٧٥ - ٧٦.

واستأذن على النجاشي، فلما مثل بين يديه، وقدم الهدايا إليه قال: أيها الملك إن غلطة من قومنا سفهاء، فارقوا دين آبائهم وأجدادهم، ولجئوا إلى أرضك، وقد بعثنا^(١) أشراف قومنا إليك لتردهم إليهم.

قال الملك: والله لا أردهم حتى أحضرهم وأسألهم، فإن كانوا كما قلت دفعتهم إليك، وإلا فلا أطردهم من بلادي، وقد لاذوا بي، وأثروني على غيري وجاء «جعفر» ورفاقه، فلما أسمعهم الملك مقالة عمرو فيهم. قال «جعفر»: أيها الملك لقد كنا نعبد الأصنام، ونؤله الأوثان، ونأكل الميتة، ونلعب الميسر، ونأتي الفواحش مظهر منها ومباطن، فبعث الله إلينا رجلاً منا، نعرفه ونعرف آباءه وأجداده، فدعانا إلى عبادة الرحمن ونهاننا عن عبادة الأوثان، وأمرنا أن ندع الزنا والربا وكل منكر من القول والعمل، فصدقناه ودخلنا في دينه، وكان «جعفر» يقول ما يقول في عبارات مؤثرة تهز الأنفوس، وتثير العواطف والمشاعر، وتفعل في قلب الملك ويطارقتة فعل السحر.

فقال الملك: فاقراً علينا شيئاً مما نزل على صاحبك، فراح يتلو من كتاب الله ما حضره فبكى الملك وبكت بطارقتة، حتى بلل الدمع لحاهم. وقال الملك «لعمرو» والله ما عدا هذا الذي سمعت ما نزل على «موسى» و«عيسى» وإنهما ليخرجان من مشكاة واحدة، خذ هداياك وعد إلى قومك، فوالله لا أعيدهم إليهم أبداً، وإنهم لفي حمايتي ما أقاموا في أرضي، وأثروني على غيري، من أذاهم غرم، ومن أساء إليهم عوقب.

وعلى الرغم من هذا الإخفاق الذي أصاب «عمرو» وهذه النتيجة السيئة التي انتهت إليها فإنه لم ييأس ولم يقنط ودخل على الملك مرة أخرى. وقال له: إن «جعفراً» وأصحابه يقولون في «عيسى» و«مريم» قولاً عظيماً، فغضب الملك وبعث إلى القوم فلما حضروا بين يديه قال لهم: ما تقولون في «عيسى» وأمه؟ فقال «جعفر» ما نقول فيهما إلا ما قال الله في كتابه، واستفتح سورة «مريم» وراح يتلو، و«النجاشي» يهز رأسه وينكت الأرض بعود في يده ويقول: هذا والله هو الحق الذي لا أعرف غيره، والذي لا ينبغي أن يتجاوز إلى سواء، وعاد «عمرو» وصاحبه يجران أذيال الخيبة، ويلعنان الوقت الذي أمضياه في أرض الحبشة، وهاجر النبي (ص) وأصحابه إلى المدينة و«جعفر» ورفاقه بين أكناف «النجاشي» لا يسيء إليهم أحد، ولا ينال من مكانتهم خسيس ولا شريف، ومضت غزوة «بدر» وغزوة «أحد» وغزوة «الاحزاب» و«جعفر» ورفاقه لا يزالون في مهجرهم الكريم، وتحت حماية هذا الملك العظيم، حتى إذا غاظ البطارقة انتصار الملك للإسلام، والقائمه ثوب حمايته ورعايته على أهله في بلاده، وتجمعوا لحربه، واستأجر «النجاشي» سفينة ودعا إليه «جعفر» ورفاقه وقال: تعلمون حبي لكم، وحدي عليكم، ودفاعي عنكم، وقد وقع بيني وبين بطارقتي ماترون، وإنني أخشى أن تميل كفة الحرب إلى صالحهم، فينالكم منهم ماتكروهن، وإنني ما أمنتكم من أرضكم، فإن نصرني الله فذلك ماتحبون وأحب، وإن كان الأمر

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، ج ٣، ص ٦٦ - ٩٩.

غير ذلك لم يمسسكم سوء وركب القوم السفينة، ووصلوا إلى المدينة وكان النبي (ص) التزمه وقبله وقال: والله ما أدرى بأيهما أسر، بفتح «خير»، أم بعودة «جعفر»^(١) وأسهم له ولأصحابه في غنائم هذه المعركة ولم يكونوا قد شاركوا فيها.

وقد شاء الله ألا يطول بقاء «جعفر» إلى جانب النبي (عليه الصلاة والسلام) في «يثرب» بل لقد شاء الله ألا تطول حياته بعد عودته فإن النبي «عليه الصلاة والسلام» قد بعث إلى ذات «الطلح»^(٢) وهي بليدة على أطراف الشام خمسة عشر رجلاً من أصحابه يتلون على أهلها القرآن ويعلمونهم أحكام الإسلام، فوثبوا عليهم فقاتلوههم ورووا سيوفهم ورماحهم من دمائهم وهز هذا الخطب الجلل فؤاد النبي (صلوات الله عليه) واشتد حزنه على من قتل من أصحابه وما كاد ألمه (عليه الصلاة والسلام) يختفي وجرحه يندمل حتى أصابته فاجعة أخرى، فقد بعث كتاباً إلى أمير بصري^(٣) يدعو فيه إلى الإسلام ويحذره من الوقوف بينه وبين رعاياه، ولم يكتف هذا الأمير بالرفض والإعراض وحسب وإنما قتل رسول النبي (صلوات الله عليه) أو سلط عليه من قتله، ولا جدال فيما تركه هذا الحدث وسابقه في نفس النبي وأصحابه من الوقع السيء والأثر الشديد وأنه (عليه الصلاة والسلام) إذا لم يؤدب هؤلاء الأعداء ويقلم أظفارهم، فإن هذه الاعتداءات سوف يكون لها مابعداها من الاجترار على دولة الإسلام والنيل من رعاياها واعتراض الدعوة الجديدة حتى لا تمضي إلى أهدافها ولا تصل إلى مراميها وأعراضها ولهذا رأينا رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) يحشد ثلاثة آلاف^(٤) من خيرة أصحابه ويؤمر عليهم: «زيد بن حارثة» و«جعفر بن أبي طالب» و«عبد الله بن رواحة» ويأمرهم أن ينطلقوا حتى يأتوا أطراف الشام ويغيروا على القبائل المنتصرة، ومن يقف إلى جانبها ويشد أزرها من جند الروم، ولأنه (عليه الصلاة والسلام) قد كان يعرف أن هذه المهمة ليست سهلة ولا هي مما يمكن إنجازها في يسر وبساطة وأن المسلمين قد يواجهون ما لا قبل لهم به من متصرة العرب، وفيالق الروم فإنه (عليه الصلاة والسلام) قد قال لأصحابه قبل مغادرتهم أرض المدينة: «إن أميركم زيد بن حارثة» فإن قتل فالأمير «جعفر بن أبي طالب» فإن قتل «فعبد الله بن رواحة» فإن قتل فليؤمر المسلمون عليهم من يختارون.

وفي جمادى الأولى من السنة الثامنة من الهجرة وفي يوم الجمعة على سبيل التحديد غادرت هذه الغزوة أوهذه السرية الجرف ميممة وجهها شطر الشام ولما بلغت «معان» جاءت الأخبار أن «شرحبيل بن عمرو» قد تهيأ للقائهما في مائة ألف وتها «هرقل» أو أخوه «تيودور» في جيش مثله، فاجتمع وجوه المسلمين وتشاوروا، أيمضون حتى يلاقوا عدوهم أم يبعثون إلى النبي (صلوات الله عليه) من يتعرف رأيه فينفذونه؟ ولما طال الحوار قال «عبد الله بن رواحة» يا قوم

(١) الطبقات الكبرى، ج ٤ ص ٣٥، البداية والنهاية، لابن كثير ج ٣ ص ٧٢.

(٢) الطبقات الكبرى - لابن سعد ج ٢ ص ١٢٧. ١٢٨.

(٣) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ج ٢ ص ١٢٨.

(٤) السيرة النبوية، لابن هشام، ج ٤ ص ٧، الطبقات الكبرى، لابن سعد ج ٢ ص ١٢٨.

والله إن التي تكرهون، لا التي خرجتم تطلبون الشهادة، وأنا ما نقاتل الناس بعدد ولا عدة وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذي دخلنا فيه وانقذنا له، وآثرت هذه الكلمات القوية في أنفس القوم فساروا حتى بلغوا «مؤتة» وهي القرية التي دارت فيها رحى المعركة، وقد أخذ الراية «زيد بن حارثة» وقاتل حتى قتل ورأى «جعفر» ذلك فنزل عن فرس له شقراء وعرقبها فكانت أول فرس عرقت في الإسلام وأخذ اللواء وأنغمس في صفوف الأعداء وهو يقول: ^(١)

يا حبيذا الجنة واقتربها طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

على إن لاقيتها ضرابها

ويقول الرواة: إن جعفرأ قد طفق يقاتل حتى قطعت يمينه ^(٢) فتناول الراية بشماله فلما قطعت هي الأخرى تناولها بين عضضيه وراح ينغمس في صفوف الأعداء حتى انقض عليه أحد الروم فضربه فشطره شطرين، وقبل أن تصل أنباء المعركة إلى المدينة صعد رسول الله (ص) المنبر ^(٣) وحدث أصحابه عن الجيش وأنباهم أن زيدا قد قتل، وأن جعفرأ قد قتل هو الآخر ولكنه لم يمت حتى بتر الأعداء ذراعيه فأبدله الله منهما جناحين فهو يطير بهما مع الملائكة، فأطلق عليه من هذه اللحظة ذو الجناحين، وتحدث النبي (ص) مرة أخرى عن أمراء «مؤتة» وذكر استشهاد «زيد» و«جعفر» وابن رواحة، وأعلن أنه رأى هؤلاء الثلاثة على سرر متقابلين في الجنة لكنه لمح في عنق ابن رواحة ازوراراً فسل عنه فقال: إن نفسه قد عافت الموت وحنت إلى الحياة لكنها مالبثت أن سكنت واتجهت نحو الشهادة. ^(٤)

ومهما يكن من شيء فإن المسلمين لما عرفوا خبر «جعفر» كثر البكاء عليه حتى بعث النبي إلى نسائه من ينهأهن عن ذلك وأعلن (صلوات الله عليه) أن أبناءه في كفالتة، ودعا لامراته فخلف عليها «أبو بكر» وأنجب منها «محمداً» ولما مات خلف عليها «علي» وأنجب منها «عونا». وقد كان رسول الله (ص) يطري «جعفرأ» ويسميه أبا المساكين ^(٥) لرعايته للفقراء وعطفه عليهم وتقديمه الطعام لهم، وكان يقول «لجعفر» لقد أشبه خلقك خلقي ^(٦) وأشبه خلقك خلقي. فرحم الله هذا الصحابي الكريم فقد كان من السابقين الأولين وكان من المكافحين والمجاهدين، وكان ممن باعوا أنفسهم لله وأخلصوا قلوبهم له. وقد أبى الله إلا أن يكرمهم في الدنيا والآخرة، فأعطاه جناحين يطير بهما في أجواء الجنة كما يشاء.

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، ج٤، ص٢٤٤.

(٢) الاستيعاب، لابن عبد البر، ج١، ص٢١٠، ٢١١، البداية والنهاية، لابن كثير، ج٤، ص٢٤٤.

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير، ج٤، ص٢٥٤ - ٢٥٩.

(٤) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ج٤، ص٤١.

(٥) - الاصابة في تميز الصحابة، لابن حجر، ج١، ص٢٣٧ - ط دار الفكر «بيروت».

(٦) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ج٤، ص٣٦.

جعفر بن أبي طالب «شهيد مؤتة»

♦ مر أبو طالب ومعه ولده جعفر فرأى النبي يصلي وإلى يمينه ابنه علي، فقال لجعفر: صل جناح ابن عمك وصل علي يساره. فكانت هذه أول جماعة أقيمت في الإسلام.

♦ اختار النبي جعفرًا لقيادة المهاجرين إلى الحبشة، وبعث قريش وراءهم عمرو بن العاص يناوش... فأفحمه جعفر في النقاش أمام النجاشي، وعاد بالمهاجرين والمسلمون فرحون بفتح خيبر.

الرواد المسلمون الأوائل الذين أقبلوا على الإسلام في ضعفه، موطنين نفوسهم على البلاء والمحنة، فكابدوا الشدائد والاهوال، وتحملوا التشريد والترويع، ثم وقفوا نفوسهم على حمايته ونشره، ولم يطمعوا بمغنم ولا فازوا بسلطان، بل كان نصيبهم الاستشهاد، أو الكفاح من جديد لحماية الإسلام من بعض المسلمين، هؤلاء الرواد الأوائل جديرون بالعناية والدرس، ليكونوا القدوة والمثل، ولتظل سيرهم أمام العيون وملء القلوب، تلهم الناس الإيمان والصبر والتجرد والتضحية، ومغالبة الظلم ومصارعة الباطل. ومن أوائل هؤلاء الرواد، الشهيد جعفر بن أبي طالب.

أبوه وأمه وأخوته

كان لأبي طالب ستة أولاد: أربعة ذكور وابنتان، والذكور أكبرهم طالب وأصغرهم علي، وبينهما عقيل وجعفر، وكان كل واحد من هؤلاء يكبر أخاه بعشر سنين، والبنتان هما جمانة وأم هاني، أمهم جميعاً فاطمة بنت أسد، وكانت هذه السيدة للنبي (ص) بمنزلة الأم، حين كفل زوجها أبو طالب ابن أخيه محمداً بعد وفاة جده عبد المطلب، فاحتضنت محمداً (ص) وعُنيّت به عنايتها بأولادها، وقد حفظ النبي (ص) لها هذا الجميل فكان يجعلها أجالل الولد لامه، ولما ماتت كفنّها في قميصه وصلى عليها ونزل في قبرها، ثم خرج وعيناه تذرفان، وحثاً في قبرها، فقيل له: «أيناك يا رسول الله فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد» فقال: «إن هذه المرأة كانت بمنزلة أمي التي ولدتني، وكانت قد اسلمت وهاجرت إلى المدينة وفيها ترفيت.

وطالب الولد الأكبر لأبي طالب كان ممن أكرهتهم قريش من الهاشميين على الخروج إلى بدر، هو وعمه العباس وغيرهما، وبعد بدر اختفى خبره فلم يعلم مصيره، ويبدو أن قريشاً لما قتل

زعماؤها الثلاثة: عتبة وشيبة والوليد بأيدي الهاشمين، حاولت الفتك بمن أخرجتهم معها من الهاشميين فاغتالت طالباً، فلما أحس العباس وغيره بما يجري لجأوا إلى صفوف المسلمين، فاعتبرهم المسلمون أسرى واعتبرهم النبي (ص) كذلك، وأجبرهم على دفع الفداء.

اسلام جعفر

أسلم جعفر بعد اسلام أخيه علي بقليل، بيوم أو نحوه، وذلك أن أبا طالب، وكان معه ولده جعفر، رأى النبي (ص) وعلياً يصليان، وعلي قائم على يمين النبي (ص) فقال لابنه جعفر: «صل جناح ابن عمك وصل عن يساره، فكانت هذه الجماعة أول جماعة أقيمت في الإسلام». ومنذ أسلم جعفر حمل عبء الدعوة مع غيره من الأبطال، ولما اشتد الأذى بالمسلمين ورأى النبي أن يهاجروا من ديارهم، اختار جعفرأً لقيادة قافلة المهاجرين، وكانوا خمسة وسبعين رجلاً واثنى عشرة امرأة، وذلك في السنة الرابعة أو الخامسة من النبوة، وقد خرج جعفر ومعه امرأته اسماء بنت عمس، فولدت له هناك أولاده عبد الله وعونا ومحمداً^(٣) وكانت هذه الهجرة في حياة أبي طالب، فنظم أبو طالب أبياتاً من الشعر أرسلها إلى النجاشي قال فيها:

ليعلم خيار الناس أن محمداً نظير لموسى والمسيح بن مريم
وأنت ما تأتيك منا عصابة بفضلك إلا ارجعوا بالتكرم

المناظرة أمام النجاشي

ورأت قريش في هذه الهجرة حماية للمسلمين فعملت على استرداد المهاجرين، وأرسلت لذلك وفداً مؤلفاً من عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ابن المغيرة (أخي خالد بن الوليد) ليفاوضا النجاشي في تسليم جعفر وجماعته، فجرت في مجلس النجاشي مناظرة طريفة بين زعيمى الفريقين اللذين جمع بينهما النجاشي لسمع من كل منهما مايقول قبل أن يقرر أمراً بشأنهما، وفيما يروي ابن عساكر كما يقول ابن كثير، أن وفد قريش كان يتكلم باسم زعيمها ابي سفيان، وان أبا سفيان أرسل مع الوفد هدية للنجاشي ويطارقته.

وسأل النجاشي عمراً عما يقول، فأجاب عمرو: انه قد صار اليك ناس من سفلتنا وسفهاثنا، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، فادفعهم إلينا.

ويبدو النجاشي في هذا الوقت دقيقاً حكيماً، ويظهر وكأنه حاكم من حكام هذا العصر يدقق في طلب تسليم لاجيء من اللاجئين، فهو لم يرفض رأساً، ولم يوافق رأساً، بل درس الطلب ثم استجوب زعيم المطلوبين، ثم أصدر قراره برد طلب التسليم، فكان بذلك سباقاً لمن وضعوا في عهدنا الحديثة أصول تسليم اللاجئين بين بلدين مختلفين، بل يمكن أن نقول أنه أول من ميز بين المجرم العادي الذي يجوز تسليمه، وبين المجرم السياسي -كما نقول في اصطلاحنا اليوم- الذي لايجوز تسليمه، كما سنرى بعد قليل.

شرح مبادئ الإسلام

وقد كان عمرو بن العاص بارعاً حين أثار أمام النجاشي ويطارقته أمر اعتناق دين جديد. وأدرك جعفر ما رمى إليه عمرو، فركز جوابه على تفصيل أمر الدين الجديد وما يدعو إليه من خير وما ينهي عنه من شر، فقال ما خلاصته: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأتي الضواحيش ويأكل القوي منا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف صدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر، أمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الضواحيش وقول الزور وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة وكل ما يعرف من السيئات، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام والصدقة وكل ما يعرف من الأخلاق الحسنة، فصدقناه وأما به واتبعناه، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك.

وكان هذا الدفاع الذي ألقاه جعفر عرضاً موجزاً لأهم مبادئ الإسلام. وقبل ذلك سأل النجاشي عمراً: أهؤلاء عبيد لكم؟ فقال عمرو: لا، فقال النجاشي: فلكم عليهم دين؟ قال عمرو: لا.

اذن فاللاجئون ليسوا مجرمين عاديين: فلاهم عبيد آبقون، ولاهم مدينون فارون بحقوق الناس، بل هم (لاجئون سياسيون) ذوو مبادئ معينة أوضحها قائدهم، وهي مبادئ لا يستطيع أي منصف أن يجعلها سبباً في تسليم أصحابها لمن يناقضونها بوثنيتهم، وإذا كانت ديناً جديداً فليس فيه ما يؤخذ على أصحابه. وهكذا صدر قرار النجاشي برد طلب الاستيراد. فبرهن بذلك على أنه على أعلى مستويات الإنسانية.

دعوة جديدة

ولم يكن عمرو بن العاص ممن يهزمون بسهولة، فتفتق ذهنه عن داهية رأى، أنها خير ما يرمى به جعفر وأصحابه. فعاد يقول للنجاشي: «إن لهؤلاء رأياً في عيسى يخالف ما أنت عليه»، فدعاهم النجاشي من جديد، فكان وقع هذه الدعوة أليماً في نفوسهم، اذ حسبوا أنه قد بدا النجاشي ما غير رأيه فيهم، وكان جعفر حين تلقى الدعوة الأولى قد عقد مؤتمراً من أصحابه ذكروهم فيه بما يجب أن يكون عليه جوابهم للنجاشي، وبعد المداولة أقرروا كلهم رأى جعفر حين قال لهم: «يجب أن نقول ما علمنا وما أمرنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن، لذلك رأينا حين دخل على النجاشي يسلم عليه تسليماً بسيطاً ويأبى السجود بين يديه على عادة جميع الداخلين عليه، مع أنه كان من المحتمل أن يثيره هذا التصرف ويغضبه

ويسيء لمصلحتهم، ولكن جعفر أبى أن يتصرف إلا على أساس إسلامي بحت، وأن لا يتنازل قيد شعرة عن مبادئه التي لا تجيز السجود لغير الله، ولم يمض هذا التصرف بلا مناقشة، فقد تساءل النجاشي عن تصرفهم الذي خالفوا فيه قواعد الدخول على الملوك، فقال جعفر مامفهومه أن نبينا حدد لنا قواعد السلام بين الناس دون تمييز بينهم وأمرنا بذلك فحييناك بالذي يحيى به بعضنا بعضاً وكذلك رأيناه أيضاً في جوابه الأول غير مجمم ولا موارد، كما كان حين أجاب عن رأيه في نبينهم عيسى: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فلم يجد النجاشي في هذا الرأي ما يمكن أن يؤخذ به اللاجئون، فأنهم إذا كانوا لا يرون رأي النجاشي في عيسى فأنهم لا يقلون عنه احتراماً له ولأمه، لذلك أيد قراره الأول بقرار جديد، ورفض تسليم اللاجئين.

مكة العاصمة

ويظهر مما قاله ابن اسحاق فيما حكاه ابن هشام في سيرته، أن الأمر في مكة كان يدل على أن سلطتين تتنازعا على أمر مكة، وأن اللاجئين كانوا يمثلون سلطة، وعمرو بن العاص كان يمثل أخرى، وأن الطلب لم يكن فردياً أو شخصياً، فعمرو بن العاص حمل معه هدايا، للنجاشي ويطارقتهم وقدمها باسم أبي سفيان ممثل السلطة الفعلية، ورأينا أن أبا طالب أرسل للنجاشي شعراً يشرح له وجهة نظر الفريق الآخر في طلب الحماية لللاجئين.

وهنا أيضاً عندما علم أبو طالب بما كان من أمر إرسال الوفد إلى النجاشي عاد فأرسل إليه شعراً جديداً ضمنه الحنين إلى ولده جعفر، ثم الثناء على النجاشي والاعتماد عليه في حفظ حق اللاجئين في «لجوتهم السياسي» ولعل في كل هذا ما يدلنا على طبيعة العلاقات بين مكة وغيرها من العواصم قبل الإسلام وخلال الدعوة الإسلامية، وعلى أن مكة كان معترفاً بها عاصمة تفاوض وتطالب، وأن قريشاً كان مسلماً لها بالسلطة في مكة، وأن وفدها كان وفداً (رسمياً) معترفاً به.

كما قد يدلنا الشعر الذي أرسله أبو طالب مرتين على أنه كان للغة العربية ولشعرها وأدبها جذور خارج الجزيرة العربية، والا فلماذا استعمل أبو طالب الشعر، وكذلك فإن ابن اسحق وغيره يرون أن النجاشي طلب من جعفر أن يقرأ له شيئاً مما جاء به النبي (ص) فقرأ له صدرأ من (كهيعص) وأن النجاشي ومن في مجلسه تأثروا به سمعوا من القرآن.

محاولة انقلاب على النجاشي

ويروى ابن اسحاق عن بعض المسلمين اللاجئين أن محاولة انقلاب جرت بعد هذه الاحداث كانت تستهدف النجاشي نفسه، ولا يحدثنا الراوي عن أسباب هذه المحاولة وعمما تذرع به

الانقلابيون، بل يكتفى بأن يصف شعور اللاجئين حين سمعوا بالأخبار، فيقول بهذا النص وهو يتحدث عن حسن صنيع النجاشي: «فوالله أنا لعلى ذلك اذ نزل به - أي النجاشي» رجل من الحبشة ينازعه في ملكه، فالله ما حزننا حزناً قط كان أشد من حزن حزنه، عند ذلك تخوفنا من أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي».

وبالرغم من أن هذا الراوي لا يتحدث عن التفاصيل والأسباب، فإن من غير البعيد أن يكون المنازع للنجاشي قد استغل حماية النجاشي لأصحاب الدين الجديد وجعلها من عوامل ثورته وتحريض الناس عليه. لذلك حزن اللاجئون أولاً ثم فرحوا ثانياً، وبدل على ذلك أن بعض أعوان النجاشي ممن حضر مجلس المناظرة لم يكونوا راضين عن الرعاية التي ظفر بها اللاجئون من النجاشي.

الرجوع من الحبشة

ثم مضت الحياة سليمة على جعفر وأصحابه وكانوا يتنسمون أخبار الحجاز، فعلموا بهجرة النبي (ص) وصحبه إلى المدينة، ثم تتابعت أنباء الانتصارات الإسلامية فمضت أيام بدر وأحد وبنى النضير والخندق وبنى قريضة واستقر أمر الإسلام وأصبح قوة تحمي نفسها وأصحابها، ثم يوم خيبر، فيقول النبي: لا أدري بأيهما أنا أشد فرحاً: بفتح خيبر أم بقدم جعفر.

قتل رسول النبي

الخطبة التي أرادها النبي (ص) لنشر الإسلام لم تكن خطة الفتح والغزو على عكس ما يعتقد الناس وما جرى عليه الحال بعد النبي (ص). بل كانت الخطة إرسال الرسل والدعاة مزودين بالاسلام بكل ما في مبادئه من حرية وعدالة اجتماعية وأخوة ومحبة.. وقد رأينا نجاح هذه في البحرين واليمن مثلاً، وفي يقيني أنه لو امتدت الحياة بالنبي (ص) لما سلك غير هذا السبيل ولما لجأ إلى القتال إلا إذا لجئ إليه كما حدث حين أرسل في السنة الثامنة للهجرة رسوله الحارث بن عمير الأزدي داعية إلى بلاد الشام فقتله شرحبيل بن عمرو الغساني أحد حكام العرب العاملين تحت سلطة الروم في بلاد الشام. ومن الطبيعي أن لا يسكت النبي لقتل رسوله المسالم.

غزوة مؤتة

لذلك أعد جيشاً عدته ثلاثة آلاف لتأديب المجرمين، ووجهه إلى البلقاء حيث كان قد وقع الاعتداء، وجعل للجيش ثلاثة قواد يتناوبون القيادة في حال استشهاد أحدهم، هم جعفر ابن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، فاجتمع لحربهم جيش مكون من مائتي ألف نصفهم من العرب ونصفهم من الروم، فأبوا أن يرددوا وفي ذلك يقول عبد الله بن رواحة:

فرحنا والجياد مسوماتُ
أقامت ليلتين على (معان)
فلا وأبى مآب لناأتينها
بذى لجب كأن البيض فيه
تنفس في مناخرها السموم
فاعقب بعد فرقتهما جموم
ولو كانت بها عرب وروم
إذا برزت قوائسها النجوم

والتقت القوتان غير المتكافئتين واستشهد القواد الثلاثة، وعرف عن جعفر أنه اخذ الراية بيمينه فقطعت يمينه فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره، وحاول أن يضم الراية إلى صدره بساعديه المبتورين حتى قتل، وأجمع المؤرخين على أنه وجد في جسده عشرات الجروح ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح، وانتهت الحرب بانسحاب المسلمين.

صدى الاستشهاد

وبلغ النبي الخبر فمضى إلى منزل جعفر وسأل زوجته أسماء: أين بنو جعفر، فجاءته بهم -وهم أطفال- فضمهم وقبلهم ثم ذرفت عيناه فبكى، فقالت أسماء: يا رسول الله لعله بلغك عن جعفر شيء، قال: نعم أنه قتل، ثم قال على مثل جعفر فلتبك البواكي.

مراثيه

قال كعب بن مالك الانصاري يرثيه من قصيدة:

صبروا بمؤتة لئله نفوسهم
ساروا أمام المسلمين كأنهم
اذ يهتدون بجعفر ولوائه
حتى تقوضت الصفوف وجعفرُ
وقال حسان بن ثابت من قصيدة:
غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم
أغر كضوء البدر من آل هاشم
قطاعن حتى مال غير موسد
عند الحمام حفيظة أن ينكلوا
طود يقودهم الهزير المشبل
قدام أولهم ونعم الأول
حيث التقى جمع الغواة مجدل
إلى الموت ميمون النقية ازهر
أبي إذا سيم الظلّامة أصعر
بمعترك فيه القنا متكسر

أَكْبَارُ مِثْرَةِ الْكُوفَةِ

هولنده

ذوالجناحين

للاستاذ محمود الخفيف

(إلى كل مؤمن تهون عليه روحه في سبيل الله)

لذكرى شهادته أطرب وإني بها الساجع المطرب
ألوذ بها في سواد الخطوب فيؤنس روحي ومض لها
كما يؤنس المدلج الكوكب

كمى أبوته هاشم يشع الهدى وجهه الباسم
إذا الهوا ضجت به حومة فكالسهم وثبته في الصفوف
وكالسيف عزم له صارم

أخوه على إمام الهدى وخير السيوف غداة الفدا
شبيه به جعفر في حجاه ويشبهه إذ يهز الحسام
لضرب وإذ يتحدى الردى

أتى الروم آلافهم تزحف بمؤتة واد بهم يرجف
تضييق الأباطح عن سيلهم فلا العين أولهم تستبين
ولا الوهم آخرهم يعرف

خضم ترامى بهم زاخر يغطى الضحى نغمه الثائر
إذا أحصت العين آلافهم رأت حولها مائة أو تزيد
يعج بهم موجه الحادر

دخان هناك ونقع هنا ويرق لهم يبرق الاعينا
وخيل تحمحم مهتاجة ويبض يظلل إيماضها
مثار الغبار وسمر القنا

دنت من مخيم جند العرب جياذ من الروم رُعنُ الخبيب
جياذ تلالاً ديباجها فوارسها يلبسون الحديد
على سرج وشيت بالذهب

تداعوا إلى الضرب إذ أحذقوا بجمع يكاد بهم يغرق
بجيش من البيد لم يدرع بغير اليقين ولا راعه
نضار يراه واستبرق

قليل العديد ضئيل الخطر وما في الصحارى له من وزر
عجاف من الجوع خيل لهم مئات ثلاثون قد هدهم
على قلة الزاد طول السفر

قليل ولكنهم في اللقاء كثير إذا اضطرم الملتقى
 شداد وإن لم يجروا الحديد خفاف إلى الموت إن أقبلوا
 ثقال إذا دخلوا مأزقاً
 تأمر زيد وأعلى اللواء أمير من السيف أقوى مضاء
 له البدء حتى إذا ماهوى فجعفر للجيش بعد الأمير
 بعيد اللقاء ويحيى الرجاء
 مشى بهم الفارس الأروع له الجيش من كفه أطوع
 هم المؤمنون الذين اشتروا فأرواحهم جنة مالهم
 وراء الخلود بها مطمع
 تداعى الرجال فسوى الصفوفا وشد بهم ليخوضوا الحتوفا
 فكأثره الروم إذ غاظهم من القلة البارزين لهم
 حفاظ به يدفعون الألوف
 وراحت بهم ترجف الراجفة رعود المنايا بها قاصفة
 وخفوا يبيعون أرواحهم فكم زلزلوا من صفوف العدو
 وكم حسروا لجة جارفة
 وسار ابن حارثة معجلاً فكان الشهيد بها الأول
 ألحت عليه غلاظ السيوف وكم وثبة هدها سيفه
 وحيداً، وكم فارس جندلاً
 وأقدم من بعده جعفر غضوباً كما وثب القصور
 تلاطم موج الردى حوله وجن جنون الوغى إذ جرى
 على الأرض ذائبها الأحمر
 وقلت بها القلة الصابرة رعى الموت جدت بهم دائره
 على الأرض من حولهم ظلمة غبار ورعد ويرق هنا
 ومن ها هنا كرة سافره
 وخاض الوغى الفارس المعلم يسري له نقعها والدم
 بيمناه رايتها جعفر يثور به عرقه الهاشمي
 كما نضر القصور الضيفم
 تحدى الحتوف وأهوالها وقد هاجت الحرب أبطالها
 ومازلزل القلة المؤمنون وإن غص بالأكثرين الفضاء
 وزلزلت الأرض زلزالها
 تنقل في حرها جاهاً صبوراً للوائها صامداً

إلى أن تصدى له فاتك فأهوى على يده ضارباً
بسيف أطن به الساعدا
تماسك للخطب لم يجزع وكركمى ولم يرجع
بيسراه رايته، واليمين على الأرض ساعدها فلذة
تموت، من البطل الأروع
وظلت بقيتها نازفه وقد صخبته حوله العاصفة
فلله وثبته إذ يفور دم قد سقى الأرض منه
ومن كتب كثرة زاحفة
مضى منهكاً يتلقى الرماحا وصمم ليس يخاف اجتياحا
تراه ورايته في الشمال كنسريجر الجناح المهيض
ويرفع كيما يطير جناحا
وفتيان صدق مضوا حوله وقد رق كل فؤاد له
يدودون عن بطل نازف يقل المثيل له في الرجال
وما فاقه فارس قبله
جليد مع النزف لا يستطار وفي وجهه للحمام اصفرار
تسلل حتى دنا دارع فما زال يضرب حتى هوت
من الليث بعد اليمين اليسار
فهل فزع الحر واستسلما ولم تبق منه السيوف دما؟
تقدم محتضناً ممسكاً بزنديه رايته في الصفوف
وظل الكمي بها المعلما
ترنج مما به الفارس وما وهن الأسد العابس
وظل على صهوات الخطوب يلاقي الردى فلذة فلذة
وما قل عزم له هاجس
واسلم مهجته للظبا كؤوس المنية مستعذبا
فيا هول مصرعه والسيوف تهاوى على جسمه القسورى
وما يملك الليث أن يضربا
تكلم مرتجلاً منشداً «لدين الهدى قل منى الفدا
ألا خسى الكفر والكافرون جزائي غداً جنة المتقين
وأعظم بجننتهم مورداً»
تبسم للموت إذ أغمضا على وجهه لمحات الرضا
فتى بات للمجد أنشودة إذا ذكر المؤمنون الفداء

على الدهر ذكر له أو مضا

تقشع من فوقه العثير وأماق أصحابه تمطر
جراح ثمانون في جسمه ومن عضديه نجيع يسيل

ومن عاتقيه دم يقطر

بقية ليث رداه استبق وجسم بتلك الضيافي مزق
تجاوز في البأس جهد الخيال وأبلى بلاء امرئ صادق

وإين له الند فيما صدق

نعاه النبي وفي قلبه بكاء عليه وبشر به
وصلى عليه الرسول الكريم وقال وفي مقلتيه الدموع

لن علم الرزء من صحبه:

«هنيئاً له نفسه الراضية بجنات عدن غدت ثاوية
سيبدلك الله بالساعدين جناحين يا ابن ابي طالب

فتسبح في الجنة الجنة العالية»

وزاد الرسول: «كأنني أرى هناك الشهيد الفتى النيرا
ففي جنة الخلد رهط يطير ملائكة بينهم جمعفر

يهز الجناحين مستبشرا»

شهير فؤادي له يطرب وإني به الشاعر المطرب
أجدد ذكره مستوحياً فيملاً قلبي وحي لها

يضيء كما بزغ الكوكب

ألم شئ الله ما لا باطل لك في محله

من الكوفة إلى الحميمة

دور بكير بن ماهان في الدعوة العباسية (الفترة الكوفية)

ملامح المصطفى

مضى على الدعوة العباسية كحركة سرية مايقارب الثلث قرن قبل إعلان الثورة في عام ١٣٢ هـ - ٧٤٩ م، وقد نسب المؤرخون الفضل في قيامها إلى أبي مسلم الخراساني، وأبو مسلم الخراساني إنما انضم إلى الدعوة في الستين الأربعة أو الخمسة الأخيرة فقط، فكان حينها يمثل الإمام في مرو - خراسان، حيث قامت الثورة.

في حين أن الدعوة العباسية مرت خلال الثلاثين سنة الأولى بظروف صعبة ومعقدة قدم القائمون عليها كثيراً من التوضيحات، وقد بذلوا جهداً فائقاً في التنظيم وحشد الناس خلف شعارات الدعوة وبرز الداخلين في صفوفها والخلاص من المسيئين إليها، كل ذلك قام به الأئمة العباسيون بجانب الدعاة والنقباء ومختلف أفراد مجالس الثورة، حتى تم النصر لهم وإعلان الدولة العباسية في جامع الكوفة، ثم تبعه الانتصار الحاسم في معركة الزاب الأعلى سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م على آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد / مروان الثاني /.

ومن أبرز هؤلاء الدعاة وأكثرهم فعالية في الفترة السرية، أو بالأحرى الفترة الكفية كان الداعية الفذ بكير بن ماهان، فمن هو بكير هذا؟

يتحدر بكير بن ماهان الذي يكنى بأبي هاشم من أسرة سجستانية، وكان أبوه مولاً لرجل من بني مسيلة، سكن الشام، بالأردن، وكان بكير ابنه ينزل ببني مسيلة من صليبتهم، ومن أهل الديوان وغزا مع يزيد بن المهلب خراسان ودخل معه جرجان حيث افتتحت. ويفيدنا صاحب أخبار الدولة بالقول: «إنما تأثّل أمر الدعوة (العباسية) في بني مسيلة.. تولوا أمرها والقيام بها. (D. Sourdel, Encyclopaedia of Islam, New Edition. p. 1293 أخبار الدولة ١٩٧١ ص ١٩٣).

وينو مسيلة^(١) رهط من عامرين اسماعيل وهم فرع من مذحج، هاجر أفراد منهم إلى الكوفة

* أستاذ التاريخ الجامعة الأردنية، عمان، والبحث مهدي لذكرى المؤرخ الدكتور مصطفى الحياوي أحد أدباء وكتاب المملكة الأردنية الهاشمية، وهو والد صديقنا الأستاذ بكر الحياوي.

(١) من عرب الجنوب وأقارب الحارث بن كعب من مذحج ومن نساء بني الحارث كانت ربيعة زوجة محمد ابن علي أم أبي العباس عبد الله أول الخلفاء العباسيين (نسب قريش ص: ٣).

- عبد الله بن محمد أبو العباس أمه ربيعة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المطلب... ابن الحارث (ابن حزم جمهرة ص ٢٠). وجاء في الطبري أن قاتل آخر الخلفاء بني أمية، هو أبو عون عامر بن اسماعيل الحارثي وهو أيضاً من بني مسيلة، ويقال أن بكير بن ماهان قد تنبأ بذلك (تاريخ الطبري ١٩٩١، ج ٤، ص ٣٦٥).

واقاموا فيها مسجداً، ومن أخبار ثورة المختار بن عبيد الثقفي في الكوفة نعلم أن قبيلة مسيلة من بين القبائل التي ساندته (Black Banners, 1983 page 134) كما جاء في أخبار الدولة ١٩٧١م ص ١٩٢: «وقدم رهط الدعاة الأوائل الكوفة وأبو رياح (ميسرة النبال) رئيسهم وكان مجتمعهم في بني مسيلة وسترُوا أمرهم».

وعند وفاة ميسرة النبال قام سالم الأعمى بأمر الشيعة وكتب إلى محمد بن علي يخبره بموت أبي رياح ميسرة... وسألوا بكيرا بن ماهان أن يخرج بكتبه إلى الإمام فقبل ذلك وسر به ونشط له. وتهيأ بكير للشخص إلى محمد بن علي في الحميمة من أرض الشراة حيث يقيم، ولا ألفت الساعة وتهيأ بكير للشخص للقاء محمد بن علي ورد عليه كتاب من ابن عم له من السند يذكر أن أخاه يزيد بن ماهان توفي وترك مالا كثيراً وقد جمعه وسأله تعجيل القدوم عليه لقبضه.

قال الحسن بن حمزة: فلما أتاه نعي أخيه أتاه الحي يعزونه بأخيه وماهينته وشغله إلا بالجهاز لسفره، إلى محمد بن علي، فقال له سالم: أبداً بوجهك في طلب ميراثك وتبعث بكتابتنا مع موسى السراج، فقال بكير: ما كنت لأؤثر الدنيا على الآخرة، بل امضي إلى صاحبي وألقاه واستأذنه فإن أذن لي في طلب ميراثي شخصت في ذلك فما أسرع الأيام (أخبار الدولة ١٩٧١ ص ١٩٤-١٩٥).

شخص بكير من الكوفة حتى أتى دمشق ثم ابتاع بها عطراً، وحمله على بغل ابتاعه وخرج حتى أتى بعض الشراة في هيئة عطار يبيع عطره، وأتى بعض قراها فباع بعض ما معه حتى شهر بذلك، ثم توجه إلى الحميمة، (أنظر الخريطة) فلما دخلها طلب منزلاً ينزله فبصر بإبراهيم بن سلمة وكان يعرفه بحيان خاله (وحيان العطار هو خال إبراهيم بن سلمة، أخبار الدولة ص ١٨٤) بالكوفة، فقال له وهو ملتئم: «يافتى هل من منزل؟ قال: نعم هذا منزل الضيفان، فخرج به حتى أدخله رحبة واسعة فيها منزل محمد بن علي، وقد أظاف بالرحبة منازل أخوته وولده ومواليهم، وفيها مسجد لهم فيه مجتمعهم ومتحدثهم وأكثر طعامهم، فأدخل إبراهيم بكيرا بيت الضيفان وأدخل متاعه فلما وضع رحله أسفر عن وجهه فلما رآه إبراهيم بن سلمة، عرفه فسلم عليه، فقال له بكير: «لا تظهرن معرفتك بي.. وإذا خلا صاحبك فاعلمه مكاني وسمني له ولا تذكرني له وعنده أحداً، فأدخلني عليه فسلمت تسليماً، وخبرته بأمرنا وما صرنا إليه بعد موت أبي رياح (ميسرة) ودفعت إليه كتاب سالم وكتب أصحابه فقرأها وترحم على أبي رياح ثم قال: كم يبلغ أصحابكم؟ قلت ثلاثين رجلاً، قال: سيكونون ويكثرون عليك بتجاريك هذه أظهر الجد فيها لا يرى من أنت بين ظهرائه أن شأنك غيرها، فقال بكير: فدفعت إليه تسعين ومئة دينار جمعتها شيعة الكوفة، ودفعت إليه من «أم الفضل، طوقاً من ذهب وثوباً مروباً من غزل يدها وسألتني دفعهما، فكان أول مال حملته الشيعة إلى محمد بن علي مع بكير بن ماهان (أخبار الدولة ١٩٧١ ص ١٩٦).

ويتحدث صاحب أخبار الدولة بكثير من التفاصيل عن إقامة بكير في الحميمة عند محمد بن علي، والذي كان يكثر الخلوة به حتى ضج بنو علي من غلبة هذا «العطار» على أبي عبد الله (محمد بن علي).

وقبيل خروج بكير عن الحميمة نصح محمد بن علي أن يتخذ لنفسه منزلاً ينفرد فيه لأمرور الدعوة وينتحي فيه عن جماعة أهل بيته، للحرص والكتمان وخوف أن يفشي السفهاء أمرهم، وقد لاقت هذه النصيحة كل القبول عند محمد بن علي، الذي مازال يحدث نفسه بذلك، لذا اتخذ بكداد منزلاً، بينه وبين منازل ولد أبيه بالحميمة نحو ميلين / لم يحدد موقع كداد حتى الآن / (أخبار الدولة ١٩٧ ص ١٩٠) هذا ووقع اختيار محمد بن علي على موله فضالة بن معاذ ليكون علماً - رسولا - بين بكير بن ماهان وبينه (ن. م، ص: ١٩٧).

فلما تهيأ لبكير انصرافه إلى العراق، قال لمحمد بن علي: إني قد جولت الأفاق ودخلت خراسان وشهدت فتح جرجان مع يزيد بن المهلب، فما رأيت قوماً أرق قلوباً عند ذكر آل رسول الله (ص) من أهل المشرق (أخبار الدولة ص ١٩٨-١٩٩) وهكذا حسن بكير بن ماهان، للإمام أن تكون الدعوة في خراسان والمشرق، وكان اختيار خراسان حدثاً فاصلاً في الدعوة، ذلك أنه سرعان ماتبين أن الكوفة بميولها العلوية واتجاهاتها القبلية وعصبيتها العربية لم تكن المحل المناسب للحركة ويذكر عبد العزيز الدوري أنه: «ناقش الاتباع الوضع سنة ٩٩ - ١٠٠ هـ واتفقوا على اقتراح محل جديد لبث الدعوة، وظهر رأيان: أحدهما لسالم الذي اقترح الشام، والثاني لبكير بن ماهان الذي أكد على خراسان». (الدوري، ضوء جديد، ص ٧٠) وهذا مانجح بكير بن ماهان في اقناع الإمام محمد بن علي فيه.

وان كثيراً من المصادر تشير وبوضوح بأن بكيراً بن ماهان هو الذي مكن الدعوة في خراسان، كما في جرجان، ساعده في ذلك دعاة آخرون كان من أبرزهم سليمان بن كثير الخزاعي.

أما اختيار محمد بن علي العباسي لخراسان بأن تكون مركز الدعوة ومن ثم مكان انطلاق الثورة فكان ولاشك اختياراً موفقاً جداً، ويشير هذا الاختيار إلى إدراك محمد بن علي لحالة الأقاليم والأمصار في الخلافة الإسلامية آنذاك. يقول محمد بن علي في رسالة بعث بها إلى الدعاة:

«أما الكوفة وسواها فشيعة علي، وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف، وأما الجزيرة (الفراتية) فحرورية وأعراب كأعلاج، وأما أهل الشام فلا يعرفون غير معاوية وطاعة بني أمية.. وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر.. وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تنقسمها الأهواء.. وبعد فإني أتفائل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدين ومصباح الحق...» (الهمداني، مختصر كتاب البلدان) ص ٣١٥، عمر فاروق، طبيعة الدعوة العباسية، ص ١٥٥-١٥٦).

وحين أزف وقت خروج بكير بن ماهان من الحميمة إلى العراق، تقدم بكير من محمد بن علي وقال له: أتاني عند شخوصي إليك نعي أخي من السند وقد ترك مالا كثيرا، أنا وارثه، فإن أذنت لي في الخروج في طلبه خرجت ووافيتك عند أوان حاجتك، إلي، فأذن له. (أخبار الدولة، ١٩٧١، ص ٢٠٠).

وعند الوداع أكد محمد بن علي، على بكير بن ماهان أمراً مهماً جداً، في هذه المرحلة من تاريخ الدعوة وهو: «لتكن دعوتكم وماتلقى به العامة، أن تدعوهم إلى الرضا من آل محمد، وتذكر جور بني أمية، وأن آل محمد أولى بالأمر منهم، ومرهم بالكف.. وحذر شيعتنا التحرك في شيء مما تحرك فيه بنو عمنا من آل أبي طالب واحذروا جماعة أهل الكوفة، ولا تقبلن منهم أحداً إلا ذوي البصائر». وانتهى تعليماته بالقول: «يا أبا هاشم (بكير) أنتم خاصتي وثقتي.. سر صاحبك الله وكفاك ووقاك». فذهب بكير إلى العراق ومحمد إلى الصائفة لمقاتلة الروم - البيزنطيين - (أخبار الدولة ١٩٧١، ص ٢٠٠) هذا وقد ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة، وقدم بكير الكوفة، ولقي سالماً وبقية الدعاة وأبلغهم رسالة محمد بن علي، ثم توجه إلى خراسان، مع سعيد الحرشي، فحرك فيها (خراسان) وقوى أمر الدعوة (ن.م، ص ٢٠١).

وقد جاء في أخبار الدولة (ص ٢١١) عن عمر بن شبيب أن «بكير لما أتى خراسان بدأ بجرجان^(١) فلقي جماعة، وأقام عندهم شهراً ثم نفذ إلى مرو.. فأقام نحواً من شهرين عند سليمان بن كثير الخزاعي واجتمع هناك بمالك بن الهيثم وطلحة بن زريق وزيد بن صالح وغيرهم من كبار وأوائل الدعاة، ويبدو لنا أنه في هذه الفترة قد اتسعت قاعدة الدعوة العباسية بدخول كثير من الدعاة في صفوفها بفضل مساعي بكير بن ماهان ومساعديه وأبرزهم كان سليمان بن كثير، وكما ذكرنا فقد أمر الإمام محمد بن علي الدعاة في هذه المرحلة بالكف، أي: اغمد السيف، وأنه محرم عليكم أن تشهروا سيفاً على عدوكم، كفوا أيديكم حتى يؤذن لكم، وبهذا سميت بالكفية لأنهم كفوا أيديهم ولم يشهروا سيفاً. حتى كتب فيما بعد الإمام إبراهيم بن محمد إلى أبي مسلم الخراساني، يأمره بإظهار الدعوة ومجاهرة عدوه فمن هناك فكل من أجاب الدعوة قبل ظهور أبي مسلم فهو كفي، ومن دخل في الدعوة بعد أبي مسلم فليس من الكفية (أخبار الدولة ١٩٧١ ص ٢٠٤ و ٢٠٥) وعليه نؤكد القول إن بكير بن ماهان هو الرجل الأول في الدعوة العباسية في الفترة الكفية.

وهنا نأتي إلى صورة أخرى، في حياة بكير بن ماهان، فعند رجوعه من عند الإمام محمد بن

(١) يظهر أن صاحب كتاب أخبار الدولة هو من جرجان وأن اسمه محمد بن صالح بن مهران بن النطاح، توفي عام ٢٥٢ هـ / ٨٦٨ م. (راجع عبد العزيز الدوري، مقدمة كتاب أخبار الدولة العباسية، وأنظر أيضاً كتاب انساب الخيل لابن الكلبي باعتناء أحمد زكي ص ١٣٥، دار الكتب المصرية ١٩٤٦ م).

علي وتوجهه إلى خراسان، نراه يدخل في خدمة عامل بني أمية الجنيد بن عبد الرحمن والي السند زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك (حكم يزيد بن عبد الملك من ١٠١ - ١٠٥ هـ - ٧٢٠ - ٧٢٤ م) حيث صار بكير ترجمانا للجنيد، (أخبار الدولة العباسية، ١٩٧١، ص ٢٠١)

ويبدو أن وضع بكير بن ماهان المالي قد تحسن كثيراً في هذه الفترة فمن جهة أصاب بكير كثيراً من المال مما تركه له أخوه، ومن جهة أخرى فقد أصاب الكثير من المال بسبب صحبته للعامل الجنيد، ولطفت حاله - بكير - وكان الجنيد بن عبد الرحمن والي السند من قبل يزيد بن عبد الملك، وأصاب بكير مالاً كثيراً من تركه أخيه وفي صحبته الجنيد (أخبار الدولة ص ٢٠١) أما الشيء الملفت للنظر في سلوك بكير بن ماهان هذا الداعية الغيور للعباسيين، أن هذا المال الكثير الذي حصل عليه، من تركه أخيه ومما اكتسبه من العمل مع والي الأموي، قد صرفه في صالح الدعوة وعلى أمورها المتعددة الجوانب. هذا ورغم عمل بكير عند العامل الأموي، بقي على نشاطه لتقوية الدعوة العباسية ونشرها والعمل على انجاحها، فترى في شخصية بكير بن ماهان شخصية الفارس الروماني الذي يبذل ماله وبلا حدود ويكل ما يستطيع في سبيل اعتقاده في الدعوة، وعربونا على حبه لآل البيت، حتى وصل الأمر به بأن استدان مالاً من أحدهم بالكوفة، ولم يستطع الوفاء ودفع المطلوب منه فأودع السجن بسبب ذلك، حتى جاء صهره زوج ابنته حماسة حفص بن سليمان الخلال، التاجر الكوفي الغني والذي خلفه بقيادة الدعوة في الكوفة - كما سيأتي معنا - فدفع المطلوب منه وأخرجه من السجن.

وفي أوائل سني خلافة هشام بن عبد الملك يرسل بكير بن ماهان بموافقة وتوصية من محمد بن علي الداعية أبا عكرمة /زيد بن درهم الهمداني/ حيث يلاقي هذا الموت بسبب نشاطه في الدعوة.. وذلك على يد عامل هشام بن عبد الملك على خراسان، أسد بن عبد الله القسري، كما قتل العامل الأموي وأهان آخرين من دعاة الدعوة العباسية، قال البلاذري: «فقتل أسد عكرمة وضرب غيره (أنساب الأشراف، ١٩٧٨، ص ١١٦) ولقد جاء عند الطبري في حوادث سنة ١٠٧ هجرية مايلي: «وفيها - سنة ١٠٧ هـ - وجه بكير بن ماهان أبا عكرمة الصادق ومحمد بن خنيس وعمار العبادي في عدة من شيعتهم، معهم زياد خال الوليد الأزرق دعاه إلى خراسان، فجاء رجل من كتدة إلى أسد بن عبد الله فوشى بهم إليه، فأتى بأبي عكرمة ومحمد بن خنيس وعامة أصحابه ونجا عمار، فقطع أسد أيدي من ظفر به منهم وأرجلهم وصلبهم، فأقبل عمار إلى بكير بن ماهان فأخبره الخبر (الطبري تاريخ ١٩٩١، م. ج ٤، ص ١٢٠) هذا ويتحدث الطبري في حوادث سنة ١٠٩ هجري وكأنه يكرر ماسبق أن تحدث عنه فقال: «أول من قدم خراسان من دعاة بني العباس زياد، أبو محمد مولى همدان في ولاية أسد بن عبد الله الأولى، بعثه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وقال له: «ادع الناس إلينا وأنزل اليمن والطف بمضر، ونهاه عن رجل من أبرشهر (نيسابور) يقال له غالب، لأنه كان مفرطاً في حب بني فاطمة... فلما قدم زياد أبو محمد ودعا إلى بني العباس وذكر سيرة بني مروان وظلمهم وجعل يطعم الناس الطعام،

فقدم عليه غالب من أبر شهر فكانت بينهم منازعة، غالب يفضل آل أبي طالب، وزياذ يفضل بني العباس، ففارقه غالب وأقام زياذ بمرشوة» (الطبري، ن. م، ج ٤، ص ١٢٦) وعن أبي بكرمة هذا جاء الخبر في أخبار الدولة بما يطابق ما أورد محمد بن علي ما خلا التأكيد على وصية الإمام بن علي في الكوفة، لما أراد محمد بن علي توجيه بكرمة واسمه زياذ بن درهم أحد شيعته إلى خراسان دعاه وقال له: «اكتب بأبي محمد... وقد رسم لك بكير (ابن ماهان) رسماً فاتبعه، وإن كانت نفسك تطيب بالموت فيما تتوجه فيه فامض، وإن جزعت منه، وهو لا محالة أتيك فأقم.. فأني لست أضمن لك الحياة... ولكن أضمن لك ثواب الله... ثم أوصاه محمد بن علي ومما قاله له: «تأتي مرو فتلقى أهلها بتجارتك، وتلقى سليمان بن كثير، والنضر... وأقلل مكاتبتني، ومراسلتي، وانفذ كتبك إلى أبي هاشم (بكير بن ماهان) وإن دعوت أحداً من العامة فلتكن دعوتك إلى الرضى من آل محمد. وليكن اسمي مستوراً.. واحذر غالباً... إن غالباً وأصحابه فاطميين (أخبار الدولة، ١٩٧١، ص ٢٠٣، ٢٠٤)

وكان مما أمر به محمد بن علي أبا بكرمة إخماد السيف حيث قال: إنه محرم عليكم أن تشهروا سيفاً على عدوكم، كفوا أيديكم حتى يؤذن لكم (أخبار الدولة العباسية، ١٩٧١، ص ٢٠٤) بعد مقتل أبي بكرمة زياذ بن درهم مكث محمد بن علي مدة لا يبعث أحداً، ثم بعث أبا الحسن كثير بن سعد، وهو رجل من أهل الكوفة، فنزل على أبي النجم (عمران بن اسماعيل مولى آل أبي معيط) فكان يأتيه الذين لقوا زياذاً فيحدثهم ويدعوهم، فكان ذلك سنة أو سنتين، وكان كثيراً أمياً، فقدم عليه خدش وهو من قرية تدعى مرعم فغلب خدش كثيراً على أمره ويقال كان خدش اسمه عماره فسمي خدش لأنه خدش الدين (الطبري، تاريخ، ١٩٩١، ج ٤، ص ١٢٧ - ١٢٦) يبدو أن كثيراً هذا بقي بعد أبي بكرمة سنة أو سنتين ويسبب قلة خبرته - كما ذكر الطبري (أميته) - إزاحه خدش وغلب عليه بقوة شخصيته، كل ذلك يذكره الطبري في حوادث ١٠٩ هجري، وهنا تواجه الدعوة العباسية قضية شائكة ومعقدة تتمثل بشخصية خدش وآراء وميوله، ودوره. أما خدش فهو عمار بن يزيد، ويقال إن عمار هذا كان فخرانياً من أهل الحيرة، نصرانياً، ثم أظهر الإسلام، وصار معلماً بالكوفة، فلما مات ميسرة (أبو رياح النبال) صير محمد بن علي بكير بن ماهان أبا هاشم مكانه، كما سبق (البلاذري، أنساب، ١٩٧٨، ص ١١٦، ١١٧) ويستمر البلاذري فيقول: «فوجه بكير عماراً هذا، فغير سنن الإمام وبدل، ما كان في سيرة من قبله، وحكم بأحكام منكورة مكروهة، فوثب به أصحاب محمد بن علي فقتلوه... ويقال بل قتله أسد بن عبد الله فصلبه (ن. م، ص ١١٧) وقد عرف أسد بن عبد الله في ولايته الأولى كما في الثانية بتبعية لدعاة الحركة العباسية والحركات الأخرى المناهضة للحكم الأموي، بالملاحقات والضرب والصلب وما إلى ذلك، وأخذ جماعة من دعاة بني العباس في خراسان فقتل بعضهم وكان في من أخذ سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ولاهز بن قريظ وطلحة بن زريق... وغيرهم (بلاذري، أنساب، ١٩٧٨، ص ١١٧).

سبق أن أشرنا أن الطبري قد ذكر ظهور شخصية خراش في حوادث سنة ١٠٩ للهجرة، حيث قدم سنة ١١٨ هـ مايلى: وفيها (سنة ١١٨ هـ) وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيد إلى خراسان، والياً على شيعة بني العباس فنزل -فيما ذكر- مرو، وغير اسمه وتسمى بخداش، ودعا إلى محمد بن علي، فسارع إليه الناس، وقبلوا ماجاءهم به، وسمعوا إليه واطاعوا... ثم غير ما دعاهم إليه، وتكذب وأظهر دين الخرمية ودعا إليه... وأخبرهم أن ذلك عن أمر محمد بن علي، فبلغ أسد بن عبد الله خبره، فوضع عليه العيون حتى ظفر به، فأتى به فسأله عن حاله فأغلظ خداش له القول، فأمر به فقطعت يده، وقطع لسانه وسملت عينه.. ثم أمر بصلبه في أمل (الطبري، تاريخ، ١٩٧١، ج٤، ص ١٦٤، كذلك أنظر ابن الأثير الكامل ١٩٨٧ ج ٤، ص ٤٢٠).

لا شك أن حركة خداش فيها كثير من التناقضات ويسودها غموض، وذلك لقلة المعلومات التاريخية بل وتناقضها أحياناً، ولكن هناك اجماع على أن خداش قد غير وبدل لأبل وتجاوز الحدود المرسومة في أمر الدعوة العباسية، وبذل خلق مشكلة خطيرة بالنسبة إلى سير الدعوة العباسية وإلى شعاراتها وبرنامجها، حتى وصلت الأمور إلى شبه قطيعة، ما بين محمد بن علي والشيعة في خراسان، جاء في الكامل: وكان سبب ذلك أن محمداً -بن علي- ترك مكاتبتهم ومراسلتهم بطاعتهم التي كانت لخداش وقبولهم منه ما روى من الكذب، فلما أبطأت كتبه ورسله عليهم أرسلوا سليمان ليعلم الخبر، فقدم عليه، فعنفه محمد في ذلك ثم صرف سليمان إلى خراسان ومعه كتاب مختوم، ففضوه فلم ير فيه إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فعظم ذلك عليهم وعلموا مخالفة خداش لأمره، ثم وجه محمد بن علي إليهم بكير بن ماهان بعد عودة سليمان من عنده، وكتب معه إليهم يعلمهم كذب خداش فلم يصدقوه واستخفوا به، فانصرف بكير إلى محمد، فبعث معه بعض مضببة بعضها بحديد وبعضها بنحاس، فجمع بكير النقباء والشيعة ودفع إلى كل واحد عصا، فعلموا أنهم مخالفون لسيرته، فتابوا ورجعوا.. (ابن الأثير، الكامل، ١٩٨٧ ج٤، ص ٤٣٥ - ٤٣٦).

هذا وعندنا شكوك في السنة التي قتل فيها خداش، وهي سنة ١١٨ هـ ٧٣٦ م. حيث أن بين ظهور خداش على مسرح أحداث الدعوة العباسية ظهر سنة ١٠٩ هـ بعد مقتل أبي عكرمة /زيد بن درهم/ ومقتل خداش مدة طويلة، تزيد على اثنتي عشر سنة، الأمر الذي لا يسمح بأن تبقى خراسان دون داعية من قبل الإمام مباشرة، لاسيما وأن ظهور كثير بن سعد كان لمدة قصيرة جداً وظهوره نفسه ليس بذى أهمية.

ولكن الشيء الذي يهمنا في هذه الدراسة هو: إبراز الدور الكبير والحاسم، والذي اضطلع به بكير بن ماهان في التغلب على آثار الحركة (الخداشية) وعلى تحريفاتها الخطرة ومحو الأفكار المغالية التي أشاعها وتحقق ذلك بالعمل الكبير في إعادة التنظيم وبناء هيكل جديد على أسس صحيحة تتماشى مع خط العباسيين في الدعوة، وقد جاء في أخبار الدولة.

«ثم أن بكيرا جمع الشيعة لما اضطرب أمر خراسان في منزل سليمان بن كثير، فبعد أن قرأ على الشيعة كتاب محمد بن علي إليهم، والذي جاء فيه: إني بريء من خدّاش وممن كان على رأيه ودان بدينه، وأمركم ألا تقبلوا من أحد أتاكم عني قولاً ولا رسالة خالفت فيها كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم خاطبهم الإمام محمد بن علي وقال: وفقنا الله وإياكم لطاعته، قد وجهت إليكم شقة مني بكير بن ماهان، فاسمعوا منه وأطيعوا وافهموا عنه فإنه من نجباء الله، وهو لسانی إليكم وأمني فيكم فلا تخالفوه ولا تقضوا الأمور إلا برأيه، وقد أثرتكم به على نفسي لثقتي به في النصيحة لكم واجتهاده في إظهار نور الله فيكم والسلام. فلما قرىء عليهم ازدادوا لأبي هاشم / بكير بن ماهان / تعظيماً، وقلدوه أمرهم».. (أخبار الدولة ١٩٧١، ص ٢١٢ - ١٢٣).

ثم إن بكير بن ماهان خاطب الشيعة ومما قال:

يامعشر الشيعة إن الله قد ساق إليكم من كرامته فيما بصركم من هداه ما لم يسقه إلى عامة هذا الخلق، وألف بينكم بالحق وأعزكم به وجعل سببه أقوى من سبب الأنساب، فإن تناصحتهم قويتهم، وقد رأيت أن اختار منكم إثني عشر رجلاً فيكونوا نقباء على من يجيب دعوتكم وضمناً عليهم، (انظر أخبار الدولة العباسية: ص ٢١٤ - ٢٢٠) حيث تورد أسماء النقباء ونظراء النقباء ثم ذكر تسمية السبعين وهم الدعاة الذين تم اختيارهم بعد التخلص من حركة خدّاش.. وأغلبهم سار بالدعوة العباسية حتى النصر...

هذا وقد أكد بكير بن ماهان على وجوب بقاء الشعارات العامة للدعوة قائمة وهي: الدعوة إلى الرضى من آل محمد والتنديد بظلم بني أمية وإظهار جورهم، والتأثر للمظلومين من أهل بيت رسول الله - ص - الذين لهم حق الإمامة.

ثم أخذ بكير البيعة للإمام على من حضره من الشيعة (العباسية) وجمعوا أموالاً كثيرة، وخلف عليهم سليمان بن كثير، ثم سار إلى جرجان وبقي فيها شهراً، وجمع له شيعتها مالاً وحلياً، ثم عاد إلى الكوفة ومكث فيها يسيراً ثم توجه إلى ملاقاته محمد بن علي فدفع إليه ما قدم به وثبت في الحميمة زمناً. بقي أن نقول في مسألة خدّاش، أنه يشوبها شيء من المنافسة ما بين مركز الكوفة النشط / والذي يغلب عليه الطابع العلوي / وبين مركز خراسان الذي لم يكن خالصاً للعلويين، ونرى أيضاً أن الشيء الهام والذي برز بعد مقتل خدّاش وفضح تعاليمه وتوجهاته، هو أن خط الدعوة العباسية قد انفصل تماماً عن خط الدعوات الفاطمية والهاشمية الأخرى، وهذا الأمر عاد بالخير العميم على الدعوة العباسية وسرعت انتشارها. صحيح أن الدعاة العباسيين قد حاولوا جلب كل المقاومة الشيعية (العلوية) إلى صفوفهم مهما كان نوعها، وأظهروا غايتهم الأولى وهي قلب الدولة الأموية، واخفوا الثانية وهي سعيهم لأخذ الخلافة (عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، ١٩٨٨، ص ٢٤) وصحيح أيضاً أن المنظم الأول للدعوة محمد بن علي العباسي جعل الهاشمية ينضمون إلى الدعوة ويكونون نواة الدعوة العباسية، -كما مر معنا- ولكن الظرف الآن قد تبدل، بعد مقتل خدّاش، فالدعوة العباسية أخذت تنأى بنفسها عن الدعوات

والحركات العلوية، وتبرز خطها المستقل فبعد قليل من الوقت نرى أن (بكيراً بن ماهان، يأمر الاتباع بعدم المساهمة في حركة زيد بن علي، والذي ثار بالكوفة سنة ١٢٢ هـ) وطلب منهم التريث إلى أن يحين الوقت. بل إن بكير نفسه قد قام بترك الكوفة حين قامت الثورة، ليتجنب أي خطر أو التباس، وكان هذا الإجراء قد تم بالتفاهم مع محمد بن علي، جاء في أخبار الدولة (ص ٢٣٠) «سمعت أبا هاشم (بكير) يقول: قال محمد بن علي: قد أظلكم خروج رجل من أهل بيتي بالكوفة، يغرر في خروجه كما غر غيره، فيقتل ضيعة، ويصلب. فحذر الشيعة قبلكم أمره». قد يكون هذا الحديث لمحمد بن علي قد جاء لاحقاً للأحداث، ومع هذا تبقى له دلالته، في انفصال الخط مابين الدعوة العباسية والدعوة العلوية، قلنا قد ترك بكير بن ماهان الكوفة متوجهاً إلى خراسان سنة ١٢٢ هـ، فبدأ بجرجان، فأقام بها نحواً من الشهر، ثم شخص إلى مرو والشاهجان، فلما قدمها نزل عند شخص يدعى «كامل بن المظفر»، واختلفت شيعة بني العباس إليه، واطافت به، وانتشر بعض حديثه، وشاع أمر نشاطه، فوصلت أخبار بكير هذه إلى الوالي الأموي آنذاك «نصر بن سيار»، الذي قيل له -وبالخطأ- أن بكير بن ماهان يدعو إلى يحيى بن زيد العلوي، فطلبه ولكن بكيراً اختبأ، وتمكن بالتالي من العودة إلى الكوفة، فاستراح بها قليلاً، ثم سار منها إلى محمد بن علي، فأخبره بكل ما كان من أمره (أخبار الدولة، ١٩٧١، ص ٢٣٣، وأنظر أيضاً حسين عطوان، الدعوة العباسية - تاريخ وتطور - ص ٢١٣، عمان بلا تاريخ).

كانت المرة الأخيرة التي قابل بها بكير بن ماهان الإمام محمد بن علي عام ١٢٥ هـ وهي السنة التي توفي فيها الإمام، وقيل إن الإمام توفي سنة ١٢٤ هـ (البلاذري، أنساب، ١٩٧٨، ص ٨٠ الدوري، العصر العباسي، ٩٨٨، ص ٢٣).

حيث قدم بكير لمقابلة الإمام، وأخذ التعليمات منه، وأثناء ذلك يمرض الإمام، فأقام بكير عشرين ليلة وكأنه على الرضف، ينتظر ما يكون من أمر الإمام حتى كانت وفاته. تؤكد المصادر أن الإمام محمد بن علي قد أوصى بالإمامة من بعده لولده إبراهيم وأوصى إبراهيم بأبي هاشم /بكير/ جاء في أخبار الدولة ١٩٧١، ص ٢٣٨، أن الإمام محمد بن علي قبيل وفاته خاطب ولده إبراهيم قائلاً: «قد كنت تقدمت إليك في طاعة هذا الرجل /بكير/ بما قد علمت... لاتخالضن أمره».

أقام بكير مع الإمام الجديد إبراهيم أياماً... ثم شخص إلى خراسان، وقد كتب معه الإمام إبراهيم كتاباً إلى الشيعة نعى إليهم فيه أباه، وأمرهم بطاعة أبي هاشم /بكير/ والقبول منه. وكان الإمام الجديد إبراهيم بن محمد (المقتول بخران سنة ١٣٢ هـ) أرفع أخوته مكاناً، وأعلاماً شأنًا، وكان عظيم القدر عند أهل مكة، وكان تقياً ورعاً، وحازماً صارماً، وكان له عناية بالحديث ومعرفة بالبلاغة ورواية الشعر، فسعى في بث الدعوة ونشرها، واجتهد في تنظيمها وتسعيها حتى مكنته الفرصة بأن يأمر أبا مسلم الخراساني سنة ١٢٩ هـ، بإعلان الثورة، على الدولة الأموية (البلاذري، أنساب، ١٩٧٨، ١٢٤ - ١٢٦، حسين عطوان، الدعوة العباسية، ص ٢٩٠-٢٩٣، عمان بلا تاريخ).

كان آخر لقاء بين الإمام إبراهيم وبين بكير بن ماهان، قد وقع على الأرجح في سنة ١٢٦ هـ (٧٤٤ م)، وذلك قبيل أكبر أزمة مرت بها الدولة الأموية، حيث في بحر هذه السنة، يثور يزيد بن الوليد على ابن عمه الخليفة الوليد بن يزيد / الوليد الثاني/ ويقتله، وهذه الضحلة كانت أكبر ضربة أصابت البيت الأموي في الصميم، بل إن أبعادها العميقة، كانت من أولى الأسباب في سقوط دولة بني أمية برمتها.

وحين لقي بكير الإمام إبراهيم بن محمد، هذه المرة ١٢٦ هـ. تحدث الرجلان في شؤون الدعوة وأمر الثورة المقبلة، فأخبر الإمام إبراهيم، داعيته بلون رايات الثورة، واطلعه على شعارها، وكلفه الذهاب إلى خراسان ليهيئ شيعة بني العباس ليوم الثورة المرتقب. جاء في كتاب أنساب الأشراف ماييلي: «عليكم / شيعة بني العباس/ بالسواد، فليكن لباسكم، وليكن شعارك يا محمد يامنصور» (البلاذري، أنساب، ١٩٧٨، ص ١٣٦).

فانصرف أبو هاشم بكير هذه المرة، ومعه أبو سلمه حفص بن سليمان، إلى الكوفة أولاً، وهنا في الكوفة حدث أمر عكر على بكير اتمام مهمته، فقد حصل أن قبض عليه في الكوفة، من قبل السلطات والقي بالسجن، وذلك بسبب دين عليه، ومعروف أن بكير بن ماهان رغم كثرة أمواله التي ورثها عن أخيه والتي كسبها أيضاً بعمله كترجمان لدى الجنيد بن عبد الرحمان قد صرفها في سبيل الدعوة كما ذكرنا، فنراه الآن قد وقع في أزمة مالية قادته إلى السجن، عندها اضطر بكير أن يرسل أبا سلمه الخلال إلى خراسان، بدلاً منه، ودفع له ثلاث رايات سود: «واحدة لمرو، يقدمها لسليمان بن كثير، وواحدة لجرجان ويدفعها لأبي عون عبد الملك بن يزيد الأزدي، وهو يومئذ رئيس القوم، والثالثة إلى ما وراء النهر/وعلى الأرجح دفعت لمجاشع بن حريث الأنصاري (الطبري، تاريخ ١٩٩١، ج ٤، ص ١٨٢ وما بعدها).

بقي أبو سلمه الخلال في خراسان أربعة أشهر، قام اثناها بكل المهام التي كان من المفروض أن يقوم بها بكير بن ماهان، وبعد أن أدى أبو سلمه الخلال المهام، وأبلغ الرسالة التي جاء من أجلها، عاد إلى الكوفة، وكان أول شيء فعله أبو سلمه الخلال أن قضى دين بكير بن ماهان واستنقذه من السجن.

وحدث في هذه الفترة وبصورة فجائية أن أبا هاشم بكير، مالبث أن مرض واشتد عليه وجعه وماهي إلا شهرين حتى توفي في نفس السنة ١٢٦ هـ / ٧٤٤ م. وقد أناب منا به قبيل وفاته صهره أبا سلمه الخلال، وأعلم الإمام إبراهيم بتوليته للخلال، وزكاه له واثني عليه ونوه بصدقه وخالصه ووفائه للدعوة فأقره الإمام إبراهيم وثبته.

قال البلاذري (أنساب، ١٩٧٨، ص ١١٨): «احتضر بكير فأوصى إلى حفص بن سليمان أبي سلمه الداعية مولى همدان، وهو صهره، وكان صيرفياً ويقال خللاً وكتب إلى محمد بن علي الإمام^(١) باستخلافه إياه ولرضاه مذهبه ونيته ونصيحته، فكتب إليه محمد بن علي بالقيام بما كان بكير بن ماهان يقوم به».

(١) لاشك أن الإمام في هذه الفترة هو إبراهيم بن محمد بن علي وما جاء في النص عند البلاذري غير دقيق (انظر الجهشياري، كتاب الوزراء والكتاب ١٩٨٠ م، ص ٨٣، القاهرة).

وعن اللحظات الأخيرة من حياة بكير بن ماهان، يذكر صاحب كتاب (أخبار الدولة، ١٩٧١، ص ٢٤٩-٢٥٠): قال عبد الله بن عمير: دخلت على أبي هاشم /بكير/ في مرضه، وعنده أبي سلمه وحمامة ابنته، وهي امرأة أبي سلمه، وجعل أبي سلمه يبكي قلمًا ليكتب به، فأصاب حد السكين يده فقطع منها فسال الدم، فتغير لذلك لون حمامة امرأته، فقال لها أبو هاشم: -تجزعين له من هذا الدم، فكيف لو قد أوتيت به يشخب، فيضع رأسه في حجرك حتى يموت، وجاء أيضاً في تلك الفترة /وأبو هاشم في مرضه/ خبر مقتل الخليفة الأموي: «الوليد بن يزيد» وكان بكير مغلوب لشدة مرضه، فقالوا له: يا أبا هاشم قتل الوليد، فكررنا ذلك عليه حتى فهم قولهم، فقال: أو قتل الوليد؟ قالوا: نعم، قال: قد كنت أتوقع ذلك، فالحمد لله على قضائه، أما لو كانت بي حياة لقرت عيني وعظم سروري، يا أبا سلمه وهو حاضر يومئذ: شمر في امرئ، فقد فتح الله البلاء على بني أمية وفتح الفرج على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وجعل يتكلم حتى غلب، فوالله ما برحنا حتى مات، وصار إلى أبي سلمه أمر الدعاة..

وكانت آخر رسالة من بكير بن ماهان إلى الإمام إبراهيم يخبره أنه في أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا (الطبري، ١٩٩١، ج ٤، ص ٢٩٠) وهكذا انتهت حياة بكير بن ماهان، أبي هاشم، هذا الداعية الكبير من دعاة الدعوة العباسية وزعيمها في الفترة الكوفية.

المصادر والمراجع

المصادر العربية

- الزبيري: أبو عبد الله المصعب بن عبد الله، (٢٣٦هـ/ ٨٥١م) كتاب «نسب قريش»، تحقيق ليفي بروفنسال القاهرة.
- ابن خياط (٢٤١هـ / ٨٥٥م) ١٩٧٧ تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ / ٨٩١م) ١٩٧٨ أنساب الأشراف، تحقيق عبد العزيز الدوري - القسم الثالث - بيروت.
- الدنيوري: أبو حنيفة أحمد بن داود (٢٨٢هـ / ٨٩٥م) ١٩٦٠ الأخبار الطوال /سلسلة تراثنا/ القاهرة.
- اليعقوبي: ابن واضح الكاتب (٢٨٤هـ / ٨٩٧م) ١٩٨٠ تاريخ اليعقوبي، دار بيروت.
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ / ٩٢٣م) ١٩٩١ تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج ٤، دار الكتب العلمية بيروت.
- مجهول: ١٩٧١ أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، بيروت.
- المسعودي: علي بن الحسين (٣٤٦هـ / ٩٥٦م) ١٩٦٦ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، كتاب التحرير، القاهرة.
- الجهشياري: أبو عبد الله محمد بن عبدوس (٣٣١هـ / ٩٤٢م) ١٩٨٠ كتاب الوزاء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وغيره، الطبعة الثالثة، مكتبة الحلبي، القاهرة.
- ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد (٦٣٠هـ / ١٢٣٤م) ١٩٨٧ الكامل في التاريخ، راجعه محمد يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت.

المراجع العربية

- يوليوس فلهوزن: ١٩٥٨ تاريخ الدولة العربية، ترجمة محمد أبو ريده - نشرته لجنة التأليف والترجمة، القاهرة.
- عبد العزيز الدوري: ١٩٨٨ العصر العباسي الأول، دار الطليعة- الطبعة الثانية، بيروت.

- .. عبد العزيز الدوري: ١٩٥٧ ضوء جديد على الدعوة العباسية، مجلة كلية الآداب والعلوم عدد٢، جامعة بغداد.
- صالح الحمارنة: ١٩٩٢ دور القائد قحطبه بن شبيب الطائي في قيام الدولة العباسية أوراق في التاريخ - هزار - لندن.
- فاروق عمر: ١٩٧٠ طبعة الدعوة العباسية، دار الإرشاد، بيروت.
- .. حسين عطوان الدعوة العباسية - تاريخ وتطور - عمان / بلا تاريخ/.

المراجع الانكليزية

- 1- Daniel, Elton: "History of the Abbasid Family," The Anonymous and Its Place in Islamic Historiography. International Journal of Middle East studies 41 (1981).
- 2- Sharon, Moshe: Black Banners from the East (Jerusalem, 1983)
- 3- Lassner, Jacob: The Shaping of Abbasid Rule (Princeton, NJ, 1979).
- 4- J. Oleson, Kh. Amr, R. Schick. T "The Humeima Excavation Project: Preliminary report of the 1991 season" Echos du Monde: Classical Views 36, n.s. 11 (1992), 137.

كهف أهل الكهف في قرية رجب (قرب عمان)

قال تعالى في سورة الكهف محمداً معالم الكهف ومشيراً إلى بعض الآثار الدالة عليه دون الأسباب في التحديد وفي بيان الموقع الجغرافي، كطريقة القرآن عند مروره ببعض الأشياء المشابهة لذلك. يبدو أن في سورة الكهف حركة جغرافية ذات مقاطع مختلفة، في تحرك أصحاب الكهف وتوجيههم اليه، وتحديد معالمه ثم التعامل النقدي وحركة السوق، وذاك التحرك البشري لأهل المدينة للعثور على أصحاب الكهف. إلى حركة موسى (ع) في البحث عن العبد الصالح حينما بلغا مجمع البحرين وموقع الصخرة، وهي علامة يلتقي عندها مع العبد الصالح، ويكاد الفكر البشري يعجز عن إدراك سر حياة الحوت المشوي ونزوله إلى الماء حياً عند الصخرة، ثم مصاحبة موسى(ع) للعبد الصالح والتحرك في خط غير معروف الاتجاه، من عبور نهر إلى الالتقاء بغلام إلى المرور بمدينة وبناء جدار فيها... ويأتي المقطع الآخر حركة ذي القرتين باتجاه الغرب ثم عودته إلى المشرق ثم اتجاهه إلى ما بين السدين. حركة تفتق الذهن عن أبعاد القصة القرآنية والتعامل القرآني مع الأشياء المتناثرة في الكون.

وكذلك يبدو أن سورة الكهف ساقطت تلك القصص ورسمت تلك الحركة لتؤكد ما بدا في آياتها الأولى بقوله تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً، وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرّاً﴾ (الكهف ٨٧) وإن الله تعالى غالب على أمره ولن يعجزه أحد. فاسمعه يختصر قصة أصحاب الكهف بقوله تعالى: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً، ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً﴾ (الكهف ١٠ و ١١) وذاك الذي أحيط

بثمر فأصبح يقلب كفيه دليلاً على الخسران المبين والحياة الدنيا بعد زينتها تصبح هشيماً تذوره الرياح، كما أصبحت صعيداً جزئاً، تراباً سويماً لا أثر لنبات فيه، ولكن الباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً، وتختتم السورة آياتها منتظمة بما بدأت به من تقرير الرسالة والتوحيد والعمل الصالح وتجسيد يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ إنما إليكم إلـه واحد، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ (الكهف ١١٠). وتكاد تتفق الروايات على أن أصحاب الكهف كانوا موحدين كما قال القرآن الكريم: ﴿وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً، لقد قلنا إذا شططاً﴾ (الكهف ١٤) وكانوا من المقربين إلى الملك، وكان الملك يجبر قومه على الشرك، فتواطأوا وقرروا اعتزال الملك وقومهم، ويبدو أن ذاك الكهف كان كهفاً معروفاً وليس كأي كهف بسبب قوله ﴿إن أصحاب الكهف..﴾ وقوله ﴿... إذ أوى الفتية إلى الكهف...﴾ (الكهف ١٠) وقوله ﴿... فأووا إلى الكهف...﴾ (الكهف ١٦) ليدل بذلك على معجزة عدم استطاعة الملك أن يبطش بهم مع معرفة الكهف ووضوحه وقربه.

موقع الكهف الجغرافي: «معالم الكهف في القرآن»

١- موقع باب الكهف واتجاهه بالنسبة إلى حركة الشمس: قال تعالى: ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه..﴾ (الكهف ١٧) معنى تزاور: تمثل، ومعنى تقرضهم، قال الراغب في المفردات: «القرض: نوع من القسط»، وقال أبو علي الفارسي: «معنى تقرضهم، أي تعطيتهم من ضوئها شيئاً ثم تزول سريعاً كالقرض يسترد» والمعنى إن الشمس تميل بالغداة وتصيبه بالعشي، أصابة خفيفة، واحتج أبو حيان في «البحر المحيط» على تفسير أبي علي واخذ عليه أنه يلزم أن تكون القراءة بضم التاء من «تقرضهم» ولكنه عاد ليفسرها بما فسرهما أبو علي فقال: «وإنما التقدير تقرض لهم أي تقطع لهم من ضوئها شيئاً» وقال القرطبي: «إن يصيبهم يسير منها، أي تعطيتهم الشمس اليسير من شعاعها...» وقالوا: «كان في مسها لهم بالعشي إصلاح لأجسادهم». ويبدو كذلك إن الشمس تميل بالغداة، لذا قال تعالى «تزاور عنهم» أي لاتمسهم صباحاً ولكنها تصيبهم من جهة شمالهم عند غروبها، وبهذا فإن باب الكهف لا يكون من جهة الشمال الشرقي، أو جهة «بنات نعل» عند النجم القطبي وهو ما عليه أكثر المفسرين المؤرخين حينما يحصر بعضهم موقع الكهف في مدينة إفسوس أو غرناطة.

٢- العلامة الظاهرة خارج الكهف، وهي آثار المسجد إذ جاء في القرآن قوله تعالى: «قال الذين غلبوا على أمرهم لننتخذن عليهم مسجداً..» (الكهف ٢١) فالإد من آثار مسجد الكهف يشير إلى الكهف وأصحابه.

على أي كهف تنطبق مواصفات القرآن؟

روى المفسرون والمؤرخون أن هناك كهفاً في الأندلس بالقرب من مدينة غرناطة، ولم يصفوا اتجاه بابه وموقعه بالنسبة لحركة الشمس، وهناك آخر قريب من ايلياء في بلاد الشام، وإيلياء هي بيت المقدس، وآخر عند نينوى في بلاد الموصل، وآخر في بلاد الروم. وفي بعض تلك الكهوف تماثيل لرجال ثلاثة أو خمسة أو سبعة، ومعهم كلب، وفي بعضها تجد بين أيديهم قرابين... ويبدو أنه بسبب انتشار قصة أصحاب الكهف بين الناس وفي مختلف الأقطار راح الناس يرسمون تماثيل الرجال والكلب المرافق لهم، وأكثر من أولع بذلك الرهبان المتجردون للعبادة في تلك الكهوف المنتشرة في الأرض، ولكن أين كهف أصحاب الكهف من دون تلك الكهوف؟ ونحن، استنارة واهتداء بالمعالم التي حددها القرآن الكريم نحاول أن نصل إليه.

١- كهف أفسوس:

وأفسوس هي مدينة أثرية واقعة في غرب تركيا على ساحل بحر ايجه جنوب مدينة أزمير التركية وتبعد عنها مسافة ٧٣ كلم، والكهف بسفح جبل ينايرداغ بقرب قرية ياصولوك، وهو واسع وفيه مئات من القبور وبابه متجه نحو الجهة الشمالية الشرقية وليس عنده أثر من مسجد أو صومعة أو كنيسة.. وهذا الكهف هو الاعرق عند النصاري... وورد ذكره عند بعض المفسرين والمؤرخين من المسلمين. وهذا الكهف لا تنطبق عليه مواصفات القرآن الكريم إذ أن بابه متجه نحو الشمال الشرقي وهذا يمنع الشمس أن تقرضهم ذات الشمال. قال صاحب (الميزان) في تفسير القرآن العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي: «لا أثر عند كهف أفسوس من مسجد أو صومعة أو نحوهما. إنه ليس هناك شيء من رقين أو كتابة أو أمر آخر يشهد، ولو بعض الشهادة، على كون بعض هاتيك القبور -وهي مئات- هي قبور أصحاب الكهف».

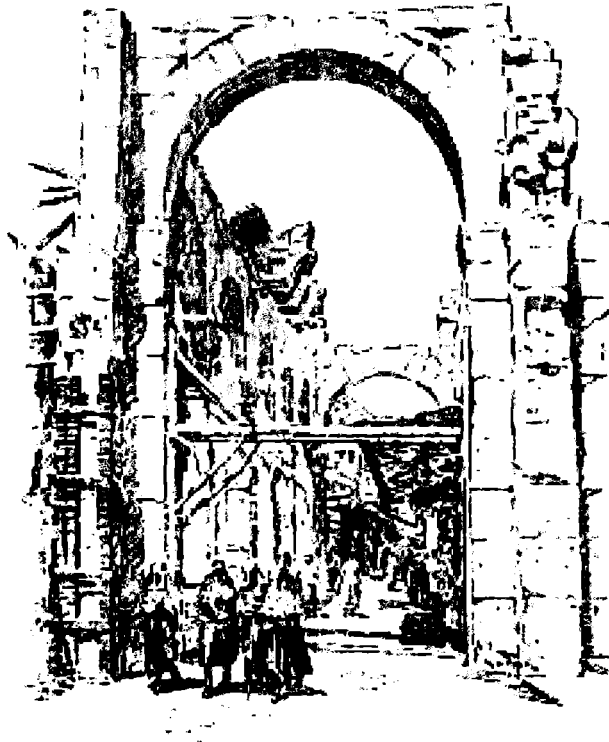
٢- كهف رجب:

قال الحموي في «معجم البلدان» و«بقرب البلقاء من أطراف الشام موضع يقال له «الرقيم» يزعم بعضهم أن به أهل الكهف... وقال أيضاً: أن هناك من يزعم أن بالبلقاء بأرض العرب من نواحي دمشق موضعاً يزعمون أنه الكهف، والرقيم قرب عمان، وذكروا أن عمان هي مدينة دقيانوس». قال الطباطبائي في «الميزان»: «وبلدة عمان أيضاً مبنية في موضع مدينة «فيلادلفيا» الرومانية التي كانت أشهر مدن عصرها وأجملها».

أما اليوم، فرجب قرية على مسافة ثمانية كيلومترات من مدينة عمان عاصمة الأردن، والكهف في جبل محفور على صخرة في السفح الجنوبي منه، وأطرافه من الجانبين الشرقي والغربي مفتوحة، يقع عليه شعاع الشمس منها، وباب الكهف يقابل جهة الجنوب، وفي داخل الكهف صفة صغيرة تقرب من ثلاثة أمتار في مترين ونصف المتر على جانب من سطح الكهف

المعادل لثلاثة أمتار في ثلاثة أمتار تقريباً. وفي الكهف عدة قبور على هيئة النواويس البيزنطية كأنها ثمانية أو سبعة، وعلى الجدران نقوش وخطوط باليونانية القديمة والتمودي غير واضحة لاتقرأ، وهناك صورة لكلب مصبوغه باللون الأحمر وزخارف وتزيينات أخرى، وفوق الكهف آثار صومعة بيزنطية تدل النقود والآثار الأخرى المكتشفة فيها على كونها مبنية في زمن الملك جوستنوس الأول ٤١٨ - ٤٢٧م وآثار أخرى على أن الصومعة تحولت مسجداً إسلامياً، وفي الساحة المقابلة لباب الكهف آثار مسجد آخر بناه المسلمون في صدر الإسلام وهو مبني على انقاض كنيسة بيزنطية.

واهتمت دائرة الآثار الأردنية أخيراً بالحفر والتنقيب فيه، وبدأ الحفر سنة ١٩٦٣م. والف الاستاذ وفيق الدجاني كتاباً سماه «اكتشاف كهف أهل الكهف» وصف فيه خصوصيات حصل عليها في هذا الكهف التي اكتشفت، مما يؤكد كون هذا الكهف هو كهف أصحاب الكهف الذي ورد ذكره في القرآن الكريم. وينكر انطباق الإشارات المذكورة فيه وسائر العلائم التي وجدت هناك على هذا الكهف دون كهف أفسوس أو غيره. ^(١)



(١) شمران العجلي: حول كهف أصحاب الكهف. النور العدد ٤٤ (١٩٩٥).

من دفن أو استوطن دمشق من الصحابة وآل البيت

• محمد أديب لامي الدين المصلي

عدد كبير من الصحابة الأجلاء وآل البيت الأطهار سكنوا أو دفنوا في دمشق الفيحاء وهذه كوكبة لامعة تتشدهم:
منهم جيل بن معاذ قال ابن الحوراني في الإشارات انه بمقبرة باب شرقي معروف ومشهور يزار ويتبرك به.

ومنهم جندب بن عمرو الدوسي روى بعض حملة الأخبار انه قدم مهاجراً إلى المدينة المنورة ثم مضى إلى الشام وخلف ابنته عند عمر بن الخطاب وقال له أن وجدت لها كفوءاً فزوجها ولو بشارك نعل والا فامسكها حتى تلحقها بدار قومها فكانت عند عمر حتى زوجها من عثمان بن عفان ثالث الخلفاء فولدت له عمر من عهد عمر وكان أبو جندب من حكماء العرب، وروى ابن عباس انه قال بلغ ابن عمرو الدوسي من العمر ثلاثمائة سنة حتى كبر ورأى البطن السابع والتاسع من الاولاد وقتل جندب شهيداً باجنادين وقيل باليرموك من أرض الشام.

ومنهم جنادة بن مالك الأزدي سكن مصر ثم تحول إلى الكوفة روى حذيفة الأزدي عن جنادة الأزدي انه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة مع نضر من الأزدي سبعة منهم أنا ونحن صيام فدعانا للطعام بين يديه فقلنا يا رسول الله أنا صيام فقال هل صمتم أمس قلنا لا قال فطروا رواه ابن منده، وأخرج أبو نعيم عن مصعب عن أبيه عن جده جبارة بن ملك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث من أفعال الجاهلية لا يدعهن أهل الاسلام الاستفتاء بالكواكب والطعن في النسب والنياحة على الميت ثم ذكر أبو الحسن الصنعاني من صنعاء دمشق ان جنادة مات ودفن بها.

ومنهم الحسين بن علي بن ابي طالب سبط رسول الله وريحانته من الدنيا وفد على معاوية وتوجه غازياً إلى القسطنطينية اخرج الحافظ عن زينب بنت رافع أن فاطمة أتت أباهما بالحسن والحسين في شكواه التي مات فيها فقالت تورثهما يا رسول الله شيئاً فقال أما الحسن فله هيئتي وسؤددي وأما الحسين فقد نحلته نجدتي وجودي، فقال رضييت يا رسول الله وعن صبيح بن جنادة مرفوعاً أن الله اصطفى العرب من جميع الناس واصطفى قريشاً من العرب واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من قريش واختار لي نضراً من أهل بيتي علياً وحمزة والحسن وجعفرأ والحسن والحسين، قال صاحب شذارت الذهب وفي سنة احدى وستين في يوم عاشوراء استشهد

ابو عبد الله الحسين بن علي بكربلاء عن ست وخمسين سنة ومن أسباب ذلك انه قد أبى البيعة ليزيد حين بايع له ابوه معاوية الناس فلما مات معاوية جاءت كتب أهل العراق إلى الحسين يسألونه القدوم عليهم فصار بجميع أهله حتى بلغ كربلاء موضعاً بقرب الكوفة فكتب يزيد «عليه ما يستحق من العذاب الأليم» إلى الخبيث عبد الله بن زياد بمحاربتة فعرض له المذكور مع جماعته فقتلوه وجاء بعض الفجرة برأسه الشريف إلى ابن زياد وهو يقول (اني قتلت الملك المحجبا) (قتلت خير الناس أما وأباً) فغضب لذلك ابن زياد وقال اذا علمت انه كذلك فلم تقتله لألحقنك به فغضب وضرب عنقه ثم أرسله ليزيد ثم أرسل إلى البقيع إلى جنب أمه فاطمة انتهى. ونقل ابن عساكر في تاريخه بقوله بعد كلام طويل في حالة الواقعة مانصه فقاتلوه فقتل الحسين وقتل معه أصحابه ومنهم سبعة عشر شاباً من أهل بيته وأتى برأسه الشريف إلى ابن زياد فأرسله ومن بقي من أهل بيته إلى يزيد بدمشق ومنهم علي بن الحسين كان مريضاً ومنهم عمته زينب فلما قدموا على يزيد أدخلهم على عياله ثم جهزهم إلى المدينة.

ونقل ابن عساكر أيضاً في ترجمة خالد بن غفران من افاضل التابعين وكان بدمشق قال لما أتى برأس الحسين بن علي إلى دمشق وصلب بها اختفى عن أصحابه فطلبوه شهراً حتى وجدوه فسألوه عن عزلته فقال اما ترون ما نزل بنا ثم انشأ يقول

جاؤا برأسك يا ابن بنت محمد	متزماً بدمائه تزميلاً
وكانما بك يابن بنت محمد	قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشاً نالاً ولم يترقبوا	في قتلك التنزيل والتأويل
ويكبرون بأن قتلت وانما	قتلوا بك التكبير والتهليل

وهو غير خالد القسري من أهل دمشق الذي كان اميراً على مكة المكرمة أيام الوليد الذي كانت داره بدمشق وهي الدار الكبرى التي بمربعة القر وتعرف اليوم بدار الشريف الزيدي واليه ينسب الحمام الذي يقابل باب سنان بباب توما بدمشق.

وقال ابن حجر الهيثمي ولما انزل ابن زياد رأس الحسين وأصحابه جهزها مع سبايا آل الحسين إلى يزيد فلما وصلت إليه قيل انه ترحم عليه وتَنَكَّرَ لابن زياد وأرسل برأسه الشريف وبقية بنيهِ إلى المدينة وقيل بل كانت الرأس في خزانته لأن سليمان بن عبد الملك بن مروان رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام يلاطفه فسئل الحسن البصري عن ذلك فقال لعلك صنعت إلى آلِه معروفاً قال نعم وجدت رأس الحسين مخفياً في خزانة يزيد فكسوته خمسة أثواب من حرير وصليت عليه مع جماعة من أصحابي وقبرته بيدي فقال له الحسن البصري هو ذلك سبب رضاه عليك، فأمر سليمان للحسن البصري بجائزه سنبة فظهر من هذا ان جميع المؤرخين اجتمعت كلمتهم على ارسال ابن زياد الرأس الشريف إلى يزيد بدمشق ثم منهم من ذهب إلى انه ارسل الرأس الشريف إلى المدينة المنورة ومنهم من قال بأن يزيد وضع الرأس الشريف بخزانته شرقي جامع بني أمية المسماة اليوم بمشهد الحسين، قال الشهاب المنيني أن رأس الحسين داخل

باب الفرديس ورأسه الشريف على قوله بأنه هناك في الجانب الشرقي منه مما يلي الطريق وفي ظاهر الجدار كوة غير نافذة يقال إن الرأس الشريف وراء تلك الكوة، وقد جدد محمد المرادي وراء تلك الكوة من داخل المسجد ضريحاً لاحترام مكان الرأس كيلاً يوطأ ما يقرب منه بالاقدام وأيد هذا القول النجم الغزي في الاشارات، ونقل صاحب روضة الانام أن في أصل جدار المحراب رأس الشهيد الملك الكامل وعن يمين الخارج منه بخطوات مكان يسمى بمسجد السادات فيه كثير من شهداء الصحابة لم تعلم اسمائهم ونقل بعضهم وهو القول الضعيف بأن نقل إلى مصر.

ذكر ابن حجر والذهبي انه لما سيق حريم الحسين إلى الكوفة كالأسارى بكى اهل الكوفة فجعل زين العابدين بن الحسين يقول «الآن هؤلاء سيكون من أجلنا فمن ذا الذي قتلنا، وذكر السعودي في تاريخه أن وقعة الحسين وقتله لم يحضرها دمشقي.

ومنهم **حرملة بن الوليد بن المغيرة المخزومي** اخو سيف الله خالد بن الوليد قال ابن عساكر كان مسكنه عند دير البقروفي دمشق ديران أحدهما لخالد بن الوليد اقطعه له ابو عبيدة والآخر لأخيه حرملة مع قرية بالغوطة تعرف بدير حرملة بعد أن كاتب أبو عبيدة فيها الخليفة عمر بن الخطاب فإذن له وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يكون بعدي خلفاء وبعد الخلفاء امراء وبعد الامراء ملوك وبعد الملوك جبابرة وبعد الجبابرة يخرج رجل من اهل بيتي يملأ الأرض عدلاً مات بدمشق ودفن في تلك القرية وقبره معروف.

ومنهم **حبيب بن مسلمة** دخل دمشق وكانت داره بها عند طاحونة السقفيين مشرفة على نهر بردى قال ابن عساكر قويته فيه الروايات انه من الصحابة وانه مات بدمشق سنة اثنتين وأربعين.

ومنهم **الحارث بن هشام بن مغيرة القرشي** ثم المخزومي اخو ابي جهل وابن عم خالد بن الوليد شهد بدرأ ثم شهد احداً مع المشركين حتى أسلم يوم فتح مكة قهراً وكان قد استجار يومئذ بأُم هاني بنت أبي طالب فأراد أخوها علي بن أبي طالب قتله فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أجرتنا من أجرت وأماننا من أمنت ولما أسلم وحسن اسلامه اعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مائة من الأبل من غنائم حنين كما اعطى المؤلفة قلوبهم وشهد معه حنيناً وخرج في زمن عمر بن الخطاب بأهله وماله إلى الشام فمنعه اهل مكة واشتد جزعهم فلم يبق أحد منهم إلا خرج يشيعه وتوجه وكان يضرب به المثل في السؤدد وحسن التدبير، وروى الزبير بن بكار من طريق بن اسحاق في قصته سقيفة بن ساعدة حين اجتمع أصحاب رسول الله (ص) بعد وفاته يتشاورون في الخلافة بعده. وقالت الانصار للمهاجرين منكم أمير ومنا أمير قال فقام الحارث بن هشام وهو يومئذ سيد بني مخزوم ليس أحد يعدل به الا اهل السوابق مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال والله لولا قوله الائمة من قريش ما ابعدنا منها الانصار ولكانوا لها اهلاً ولكنه قول لاشك فيه فوالله لو لم يبق من قريش إلا رجل واحد ليصير الله هذا الأمر به.

قال الواقدي توفي الحارث بالشام في طاعون عمواس وقال غيره قتل شهيداً باليرموك من أرض الشام.

ومنهم **حرملة بن زيد الانصاري** اخو بني حارثة روى ابن منده والحافظ أبو نعيم عن عبد الله ابن عمر قال كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ جاء حرملة بن زيد فجلس بين يديه وقال يا رسول الله الايمان ههنا وأشار إلى لسانه والنفاق ههنا وأشار بيده إلى صدره ولا يذكر الله إلا قليلاً فسكت النبي ورد أي اعاد القول عليه حرملة فاخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسان حرملة وقال اللهم اجعل له لساناً صادقاً وقلباً شاكراً وارزقه حبي وحب من احبني وصير امره إلى خير فقال حرملة يا رسول الله لي اخوان منافقان وكنت رائساً فيهم افلا ادلك عليهم فقال من جئنا كما جئت استغفرنا له كما استغفرنا لك ومن أصر على ذلك فאלله أولاً به ولا نخرق له سترأ وقال البصري دفن بظاهر دمشق بارض الغوطة بقرب من قرية جوبر وله ضريح مفرد وعليه بناء.

ومنهم **حاث بن يزيد بن علقمة التميمي الداري** كان في وفد تميم مع الاقرع بن حابس وغيره حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سنة الوفود وهي سنة تسع من الهجرة واسلم معهم وأخى النبي عليه الصلاة والسلام بينه وبين معاوية بن أبي سفيان ولما اجتمعت الخلافة لمعاوية قدم الحاث وحارث بن قدامة والاحنف بن قيس وكلاهما من بني تميم وكان الحاث عثمانياً والأحنف بن قيس من أصحاب علي فأعطاهم معاوية أكثر من عطاء الحاث فرجع إليه فقال فضلت علي هؤلاء قال اشتريت منهما دينهما ووكلتك إلى هواك من بني عثمان فقال وأنا ايضاً اشتري ديني، نُقل أنه سكن الشام في خلافة معاوية ودُفن بها.

ومنهم **حجر بن عدي بن الادبر الكندي الكوفي** وانما سمي الادبر لانه ضرب بالسيف على اليته كان من فضلاء الصحابة مع صغر سنه ولما ولي معاوية زياد العراق وما ورائها وأظهر زياد الغلظة وسوء السيرة حتى ادى الأمر لحجر بن عدي ان يخلعه بواسطته وتابعه جماعة من اصحاب علي وشيعته ولم يخالفهم معاوية فما مضى مدة قليلة إلا انتقم منهم زياد وكتب إلى معاوية بحقهم فأمره أن يبعث بحجر بن عدي مع وائل بن حجر الحضرمي في اثني عشر رجلاً من الصحابة كلهم في الحديد فلما وصلوا إلى «عدرا» وهي قرية قريبة من الشام لاقتهم جماعة معاوية فقتلوا منهم سبعة وهم حجر بن عدي وشريك بن شداد الحضرمي وصيفي بن قبيل الشيباني وقبيصة بن ضبيعة العبسي ومحرز بن شهاب السعدي التميمي وكدام بن حباب الغزي وعبد الرحمن بن حسان الغزي واستحيوا البقية فبلغ ما صنع بهم زياد إلى عائشة أم المؤمنين فبعثت إلى معاوية عبد الرحمن بن الحارث بن هشام «الله الله في حجر وأصحابه» فوجده عبد الرحمن قد قتل مع أصحابه فقال لمعاوية أين بُعدُ عنك حلم ابي سفيان في حجر وأصحابه أفلا حبستهم في السجون وعرضتهم للطاعون قال حين غاب عني مثلك من قومي قال عبد الرحمن والله لاتعد لك العرب حلماً بعد هذا ابدأ ولا رأياً. قتلت قوماً بعث بهم اليك اسارى من المسلمين قال فما اصنع كتب إلى فيهم زياد يشدد امرهم

ويذكر انهم سيفتقون على فتقاً لا يرقع، ثم قدم معاوية المدينة فدخل على عائشة فكان أول ما بدأ تبين قتل حجر في كلام طويل جرى بينهما لاملح لذكره هنا ثم قال فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا ثم قال لها ما أنا قتلته بل الشاهد قتلهم، والموضع الذي قتل فيه حجر وجماعته يعرف بمرج عذرا قال ابن عبد الرزاق ذكر القاضي محمود ما حصله الصحابة الذين قتلوا في مرج عذراً في سنة احدى وخمسين مع حجر بن عدي قيل دفنوا بمسجد القصب وقيل بمسجد السبعة خارج باب توما ونسبة السبعة اليهم لانهم سبعة في شرقية وقيل هم في غربي مسجد القصب وقيل بعدرا في محل قتلهم من غوطة دمشق والذي ظهر بان جسداهم دفن بعدرا والرؤس مع اقصاب أيديهم وأرجلهم أحضروا لمعاوية بالشام ودفنوا بمسجد الاقصاب المعروف اليوم خارج باب السلام احد ابواب دمشق وقصتهم مع معاوية طويلة مصرح بها في كتب التاريخ.

ومنهم **خزيمة بن فائق** الصحابي الجليل دفن في الشام ولم يعلم قبره ذكره صاحب روضة

الانام.

ومنهم **خالد بن سعد** أخو عمرو بن العاص قتل بدمشق رمي بسهم فمات منه ودفن ما بين

باب شرقي وباب توما ذكره الواقدي في فتوح الشام.

ومنهم **خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخرومي** فاتح دمشق، استعمله أمير المؤمنين

الخليفة الأول ابو بكر الصديق لقتال مسيلمة ومن ارتد من الاعراب بنجد ثم وجهه إلى العراق

ثم إلى الشام وأمره على أمراء اقليم الشام وهو أحد الامراء الذين ولوا فتح دمشق وقد استعمل

في بعض المغازي وكان احد اشراف قريش في الجاهلية وكانت اليه اعنة الخيل ولما حضرته الوفاة

قال لقد شهدت مائة زحف اوزهاؤها وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية

ثم ها أنا ذا أموت على فراشي فلا نامت أعين الجبناء مات سنة احدى وعشرين ودفن بقرية على

بعد ميل من حمص من أعمال الشام في خلافة عمر بن الخطاب وتولى عمر وصيته وكان عمر

يشبه خالد نقل انه لما بلغ عمر أن نسوة من نساء بني المغيرة اجتمعن في دار يبيكن على خالد

فقال عمر وماعليهن ان يبيكن ابا سليمان قال ابو عبيدة سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم يقول خالد سيف من سيوف الله نعم فتى العشيرة، ونقل انه لما فتح دمشق كان في قلنسوته

شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنصر به ويبركته فلا يزال منصوراً وقد اشتهر

بالشجاعة والشرف والرئاسة لولا ما بدر منه في قصة مالك بن نويرة.

ومنهم **دحية بن خليفة بن فضالة الكلبي** الصحابي الجليل أول مشاهده الخندق وكان

يضر به المثل في حسن الصورة وبالجمال مشهور وكان جبريل عليه السلام كثيراً ما ينزل على

نبينا محمد عليه الصلاة والسلام على صورته ذكره الحافظ بن ناصر الدين الحنبلي وانه كان

جميل الصورة وقد اشار إلى ذلك العارف عمر ابن الفارض حيث قال:

وها دحية وافى الامين نبينا بصورته في بدء وحي النبوة

اجبريل قل لي كان دحية اذبا لمهد الهدي في صورة البشرية

وقد شهد وقعة اليرموك ونزل دمشق وسكن في قرية يقال لها المزة وعاش إلى خلافة معاوية كذا في الاصابة وقبره غربي القرية مكشوف ليس عليه بناء تقصده الناس بالزيارة والدعاء عنده مستجاب وقيل إنه لا يقبل بناء فوقه وروى العجلي في تاريخه عن عوانة بن الحكم قال أجمل الناس من كان جبريل ينزل على صورته قال ابن قتيبة في غريب الحديث: كان دحية إذا قدم المدينة لم تبق مخدرة إلا خرجت تنظر اليه، وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى قيصر في الهدنة فأمن به قيصر وأبت بطارفته إن تؤمن بدين الإسلام فأخبر بذلك دحية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ثبت ملكه في حديث طويل وقد روى هو وابو الازهر الانماري الصحابي الشامي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أنه كان إذا اخذ مضجعه قال بسم الله وضعت جنبني اللهم اغفر لي ذنبي واخسيء شيطاني وثقل ميزاني وفك رهاني» وقد افرد في ترجمته رسالة مطولة العلامة حامد العمادي مفتي دمشق سماها «جمال الصورة واللحية في ترجمته سيدي دحية».

ومنهم **ذو مخمر الحبشي** ابن أخي الملك النجاشي وقد علي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخدمه قال في الاصابة نزل الشام والمشهور عند أهلها أنه مات بها ودفن في حي القنوات في المحلة المشهورة باسمه إلى اليوم.

ومنهم **ربيعة بن عمر الجرشي** وهو قرية من أعمال حوران يعد في أهل الشام له أحاديث مروية عنه كثيرة منها انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول يكون في امتي خسف ومسح وقذف قالوا بم يارسول الله قال باتخاذهم القينات وشربهم الخمر قيل انه مات بالشام. ومنهم **رضية الكلبي** الصحابي الجليل قيل أنه دفن في قرية المزة في غربي دمشق.

ومنهم **زيد بن ثابت** كان يكتب الوحي وكانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب بالسريانية وكان تعلم قرائتها وكتب بعده لأبي بكر وعمر قال في الاصابة واستخلف الخليفة الثاني زيد بن ثابت على المدينة ثلاث مرات في حجتين وفي خروجه إلى الشام وكان الخليفة الثالث يستخلفه ايضاً قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افرض امتي زيد بن ثابت وكان الخليفة الأول قد أمره بجمع القرآن في الصحف فكتبه فيها وكان زيد على بيت المال في خلافة عثمان قيل انه مدفون في باب السريجة في جامع يقال له التابتية إلى اليوم مشهور بهذا الاسم ذكره بعض مؤرخي دمشق منهم الفرضي الدمشقي في كتابه الاشارات.

ومنهم **زيد بن حارثة بن شرجيل ابن كعب بن عبد العزي بن امري القيسي** مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت سعدى بنت ثعلبة قد خرجت به معها لتزور أهلها فلقيه خيل بني العثرة فأسروه وباعوه بسوق من أسواق العرب فاشتراه حكيم بن حزام من الشام وقدم به مكة ودفعه إلى خديجة وهي عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستوهبه منها فوهبته له فأعتقه وكان أبوه قد حزن عليه حزناً شديداً ودار في البلاد يسأل الركبان وكل من توجه يسأله عن ولده ولم يزل على ذلك حتى وصل الخبر إلى زيد ما حصل لأبيه عليه من الوجد والحزن وبعث بأبيات إلى أبيه حارثة

فلما بلغت أباه أقبل وعمه كعباً حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك قبل الإسلام فوقف عليه وقال «يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه انتم جيران الله تفكون العاني وتطعمون الجائع كرام من كرام وقد جنتك في ابنتنا هذا لتحسن الينا في فداءه» فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أو غير ذلك» فقال «وما هو» قال «ادعيه واجيره فأنا اختاركما فذاك وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على من يختارني أحداً» فقال «قد أنصفت» ودعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما جاء قال من هذا فقال أبي حارثة وهذا عمي كعب فقال النبي عليه الصلاة والسلام أنا من عرفت ورأيت صحبتي لك وقد خيرتك أن شئت ذهبت معهما وأن شئت أقمت عندي فقال ما أريدهما وما أنا بالذي اختار عليك أحد أنت مني مكان الأب والعم بل أقيم معك فقال له أبوه يا زيد أنت اختار العبودية على أمك وأبيك ويلدك وقومك فقال أني رأيت من هذا الرجل شيئاً وما أنا بالذي أفارقه أبداً فعند ذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده وقام به إلى الملأ من قريش وهم جالسون في المسجد فقال اشهدوا على أن هذا الرجل إبنى وارثاً ومورثاً قطابت نفس ابني عند ذلك وكان يدعي زيد بن محمد فلما نزل قوله تعالى «ادعوهم لأبائهم» قال أن زيد بن حارثة وكان من عادتهم في الجاهلية أن الرجل يتبنى ولد غيره فينسب اليه فيتوارثان حتى جاء الإسلام فزوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم زينب بنت جحش فلما طلقها تزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتكلم المنافقون وقالوا تزوج محمد زوجة ابنه وهو ينهي عن ذلك فأُنزل الله تعالى «وما جعل ادعيائكم ابنائكم» أي حقيقة في الحكم والحرمة والنسب والادعاء جمع دعى وهو الدعي من دعى لغير أبيه، وقال العلامة البصري بعد قصة التزويج أن زيدا هو أول ذكر أسلم ويبيع بعد أبي بكر الصديق وعلي ابن أبي طالب وشهد مع رسول الله عليه وآله وسلم على المدينة حين خرج في وقعة بدر وخرج أميراً في سبع غزوات ولم يُسم أحد من الصحابة في القرآن باسم غيره واستشهد في وقعة موتة وهي قرية صغيرة في البلقاء من أرض الشام سنة ثمان من الهجرة وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام بموته يوم قتل.

ومنهم سعد بن عبادة سيد الخزرج الانصاري كان يكتب بالعربية أكثر من الكوفية لأن أكثر الصحابة كانوا يألّفون الكتابة بهما وبقيت إلى زمن الحجاج بن يوسف الثقفي وكان سعد يحسن العوم في الماء والرمي فكان يقال له الكامل سيداً جواداً مشهوراً بالجود والكرم هو وأبوه وجده وكان في الانصار مقدماً ووجيهاً ذا سياسة ورئاسة يعترف قومه له بها شهد بيعة العقبة وكان أحد النقباء بها وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يزوره ويأكل طعامه ويدعوا له وقال فيه انه من بيت جود شهد بدرأ والمشاهد كلها، روى الدار قطني في كتاب الاسخياء قال كان منادي سعد ينادي على أجمة أي مكان مرتفع من كان يريد شحماً ولحمأ فليأت سعد بن عبادة فكان سعد يقول «اللهم هب لي مجدأ لا مجد إلا بفعأل ولا فعأل إلا بمال اللهم انه لا يصلحني القليل ولا أصلح عليه» وكان يعيش كل ليلة ثمانين من أهل الضيعة واختلفوا في سبب وفاته قال بعضهم انه بال في جحر وهو الثقب في الارض فرمته الجن فقتلته وقت خروجه إلى الشام حين تخلف عن بيعة أبي بكر الصديق بالخلافة وقصته مشهورة وكانت وفاته بحوران سنة ست عشرة، وأجمع

أهل دمشق على أنه نقل ودفن بغوطتها بقرية يقال لها المنيحة وعلى قبره عمارة محكمة وقبة ووقف أهل الخير أوقافاً جزيلاً على مقامه، قال ابن الحوراني كان سعد نقيب ابن ساعده وصاحب راية الانصار في المشاهد كلها.

ومنهم سهل بن الحنظلية أو ابن الربيع الانصاري من بني الحارث من الأوس كان ممن بايع تحت الشجرة وكان فاضلاً عالماً معتزلاً عن الناس كثير الصلاة والذكر لا يجالس أحداً... اسكن الشام ومات بدمشق في أول خلافة معاوية ولا عقب له قال سعيد بن عبد العزيز كان سهل لا يولد له فكان يقول لي لأن يكون لي سقط في الاسلام أحب إلي من ما طلعت عليه الشمس دفن بباب الصغير.

ومنهم سهيل بن عمر بن عبد الشمس القرشي العامري يكنى أبا يزيد كان أحد الاشراف من قريش وساداتهم في الجاهلية وكان خطيب قريش وقال الحسن وياله من رجل ما كان أعقله ثم نقل عنه انه قال «أيها القوم أن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون ولا سبيل لكم والله إلى ما سبقوكم اليه، فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى الله أن يرزقكم شهادة»، ثم نفذ ثوبه وقام ولحق بالشام قال الحسن فصدق والله لا يجعل الله عبداً له اسرع اليه كعبد بطأ عنه، فخرج إلى الشام ومات بها ذكره صاحب الاصابة وقال البصري انه مات بالطاعون سنة ثمان عشرة وقبل قتل باليرموك من أرض الشام.

ومنهم سبرة بن فاتك الصحابي الجليل قال الواقدي دفن بالشام وقت الفتح.

ومنهم سعيد بن زيد القرشي أحد العشرة المجاب الدعوة بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو وطلحة يتجسسان الاخبار في طريق الشام وضرب لهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم سهماً من الغنيمة وقد مات ودفن بدمشق.

ومنهم سرحيل بن حسناء الصحابي الجليل، قال بعضهم دفن في ظاهر دمشق خارج باب توما وقيل إنه مات في ناحية الغور.

ومنهم شرحبيل ابن عبد الله ابن حسنة وهي امه اشتهر بهما وكان من مهاجري الحبشة ومن خيار قريش ثم رجع إلى المدينة المنورة مع الصحابة الذين كانوا معه في الحبشة وسيره أبو بكر الصديق في فتوح الشام ثم لما فتحت الشام وآله عمر بن الخطاب على ربع من أرباع الشام، يقال انه طعن هو وأبو عبيدة بن الجراح في يوم واحد في طاعون عمواس وهو ابن سبع وستين سنة، قال البصري دفن في ظاهر دمشق خارج باب توما بالقرب من الشيخ رسلان، وقال الآخر انه مدفون في الغور قبر عليه قبة معقودة اشتهرت به.

ومنهم شمعون بن يزيد بن خنافة وكنيته أبو ربحانة مشهور بها الازدى الانصاري كانت امه ربحانة سرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال ابن السكن نزل الشام وقيل أنه كان من الكتاب الفضلاء بدمشق وهو رجل من حضر موت سكن بيت المقدس وذكره ابن سميع من جملة الصحابة الذين نزلوا الشام، قبل ابو ربحانة الأسدي هو ممن شهد فتوح الشام وقدم مصر وربط بمياه فارقين من أرض الجزيرة ثم عاد إلى الشام وكان من العباد ومن صالحى الصحابة، قال البصري لم أقف على تاريخ وفاته لكن بدمشق خارج باب الصغير بأرض الشاغور ضريح مشهور يعرف بشمعون فيحتمل أن يكون هو ويحتمل أن يكون غيره.

ومنهم **صهيب بن سنان بن مالك الرومي** وكنيته أبو يحيى وأصله من بني مالك وإنما اشتهر بالرومي لأن الروم سبوه صغيراً، سنة ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين، قال البصري وقد اشتهر في دمشق أنه مدفون في الضريح المدفون به في محله الميدان الحصي خارج دمشق. ومنهم **ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشي الفهري**، قال ابن حيان كان من الصحابة كان فارساً شاعراً، أسلم يوم فتح مكة قال الخطيب «عاش إلى أن حضر فتح المدائن ونزل الشام واستمر بها إلى أن مات وقيل قتل باليمامة شهيداً».

ومنهم **ضرار بن الأزور بن الأسدي** قال البخاري وغيره أنه من الصحابة واختلف في وفاته قيل استشهد باليمامة وقيل شهد وقعة اليرموك وفتح دمشق ومات بها ويدل على ذلك ما رواه يعقوب بن سفيان قال كان خالد بن الوليد قد بعث ضرار في سرية فأغاروا على فرقة من بني أسد فأخذ منهم امرأة جميلة فسأل ضرار أصحابه أن يهبوها له ففعلوا فوطئها ثم ندم فذكر ذلك لخالد بن الوليد فقال حتى نكتب إلى عمر فكتب عمر بن الخطاب إلى خالد أرضخه بالحجارة فجاء الكتاب وقد مات ضرار فقال خالد ما كان الله يؤذي ضرار فهذا يدل على أن هذه الواقعة كانت في فتح دمشق وأنه مات بها وله قبر معروف به الآن ظاهر دمشق خارج باب شرقي واخته خولة حضرت فتح دمشق ورمت توما بسهم ففقت عينيه وهي أيضاً دفنت قرب باب توما وقبرها مشهور.

ومنهم **عبد الله بن حوالة الأزدي** وروي عنه من أهلها أبو أدریس الخولاني وتوفي بالشام وروي عنه أنه قال تذاكرنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الفقر وقلة الشيء فقال أنا لكثرة الشيء أخوف عليكم من قلته وروي عنه أحاديث كثيرة منها قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم له يا ابن حوالة إذا رئيت الخلافة قد نزلت إلى الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والأمور العظام ذكره المصنفاني.

ومنهم **عبد الله ابن السعدي القرشي العامري** وإنما قيل السعدي لأنه كان استرضع في بني سعد قال البخاري وغيره أنه من الصحابة وأنه نزل بأرض الأردن قال ابن حيان مات في خلافة عمر بن الخطاب سنة سبع وخمسين وذكر المصنفاني أنه توفي بالشام وذكر ابن البرقي في تاريخه أنه شهد فتح مصر وولي عليها.

ومنهم **عامر بن أبي عامر الأشعري** ذكره ابن سعد في تسمية من نزل من الصحابة وقال ابن سميع كان على القضاة زمن عمر بن الخطاب وقال ابن حيان سكن الشام ومات فيها في خلافة عبد الملك وذكره أبو زرعة الدمشقي في الصحابة الذين نزلوا دمشق.

ومنهم **عبد الله الخولاني** نسبة إلى خولة قرية بالشام وهو والد أبي أدریس الخولاني شامي له صحبة وكان من فقهاء أهل الشام ومات بها في أحد قراها ذكره في الاستيعاب وقال النجم الغزي في إشاراته ناقلاً عن البصري أنه يقال قبر عبد الله بن مسعود شرقي دمشق وعلي بن عبد الله بن العباس دفن بجانب بلال الحبشي.

ومنهم **عبد الله الهاشمي ابن ربيعة** وامه ام الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب وكان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً وجيهاً ولم يزل مقيماً بالمدينة إلى عهد عمر بن الخطاب ثم تحول إلى دمشق فنزل بها إلى أن مات وكان لولده محمد نور وشرف.

ومنهم **عبادة بن الصامت بن قيس** وجهه عمر بن الخطاب إلى الشام قاضياً ومعلماً فأقام بحمص ثم انتقل إلى فلسطين ومات بها وقال ابن سعد سمعت من يقول انه بقي حتى توفي في خلافة معاوية بالشام روى عنه وعن مالك بن يسار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: اذا سألتكم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها.

ومنهم **عبسة سكن حمص** ومات بها قاله النووي، وبها عوف بن مالك الاشخص نقله الهروي. ومنهم **عبد الله بن أبي مرداس بن وهب بن حذافة** ذكره الزبير وقال مات بالشام في احدى قراها، وبها:

عبد المطلب الهاشمي مات بدمشق ولم يعين قبره،

ومنهم **عبد الله بن سلام الاسرائيلي** حليف الانصار من سبط يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقصة اسلامه مشهورة وهو المراد عند بعض المفسرين بقوله تعالى: ومن عنده علم الكتاب، وقوله تعالى: وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله، مات بدمشق ودفن بقرية سقبا من قرى الغوطة وهو مشهور بها ذكره ابن شقدة وشهد له بالجنة.

ومنهم **عبد الله بن أبي وقاص وعمر بن عبد العزيز الفارسي** الصحابياني قال الشهاب المنيني: ان لهما بسفح جبل قاسيون فوق المغارة الجوعية قبران مبنيان بالاحجار المنحوتة مكتوب على احدهما هذا قبر عبد الله بن ابي وقاص وهو أخو سعد بن أبي وقاص، وعلى الثاني هذا قبر عمر بن عبد العزيز الفارسي.

محلة الشهداء في الصالحية:

وذكر المنيني أيضاً: ان في طريق الصالحية قبور بعض الصحابة الذين استشهدوا في فتح دمشق مكتوبة اسماؤهم على حجر، وهي مشهورة الآن بمحلة الشهداء وهم حرملة بن وائل ومسعود بن جابر والثالث مساعد قال الحافظ ابن طولون: سئلت عن قبور شهداء الصحابة في طريق الصالحية أهي عن يمينك وأنت نازل منها، فقلت: لا أعلم خبرهم لكن المحدث جمال الدين عبد الهادي ذكر أنهم ثلاثة أخوة لأم هم من الصحابة قتلوا في فتح دمشق وانه عمر عندهم مسجد محمد بن فديدار من أصحاب أبي بكر الموصلي فأخذ عنه التصوف واشتهر بالصلاح، حتى ان تيمور لما أراد قدوم دمشق بعث من حماه وأمنه ومن معه فلم يصبهم مكروه ووقف عليهم الارض التي هي شرقي قبورهم، وقد عبثت بها أيدي المتغلبين، وقد أعاد بناية المسجد ولده يوسف فديدار في سنة ٨٤١ وهو باق إلى الآن.

لأصحابه في جامع السنجقدار:

وبهذه المناسبة أقول أن ماشاع عن الصحابة الثلاثة وهم دثار ابن روق وخفاف بن ندبة

وعباس بن مرداس من أنه صار دفنهم في جامع السنجدار وقت الفتح واشتهر ذلك على ألسن أهل دمشق لا أصل له لأنني تعقبت الأثر عنهم في الأصابة وأسد الغابة والاستيعاب وغيرها من كتب تراجم رجال الصحابة فلم أعثر على أنهم دخلوا دمشق وقت الفتح ولا على قول أحد من المؤرخين ذكرهم، وأما بقية الصحابة الذين دخلوا دمشق ثم خرجوا منها ولم يدفنوا بها فلم تذكر أحداً منهم فمن أراد احصائهم فليرجع إلى ابن عساكر.

ومنهم **عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الانصاري** الخزرجي الشاعر المشهور وهو من السابقين الأولين من الانصار وكان أحد النقباء ليلة العقبة شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد وهو الذي جاء ببشارة وقعة بدر وكان من غادته في الغزوات أن يكون أول القوم إذا خرجوا وإذا رجعوا يكون آخرهم، ولما نزل قوله تعالى: «والشعراء يتبعهم الغاؤون الم ترا أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون» قال عبد الله بن رواحة: قد علم الله أني منهم فأنزل الله تعالى: «الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا» الآية. وهو القاتل في غزوة مؤتة:

يانفس أن لم تقتلي تموتي هذا حِمَامُ الموت قد صليت
وان تأخرت فقد شقيت وان تقدمت فقد حظيت

وكان ابن رواحة عظيم القدر في الجاهلية والاسلام قتل في ارض البلقاء.

ومنهم **كناز ابن الحصين بن يربوع** حليف حمزة بن عبد المطلب شهد بدرًا وقد أخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين عثمان بن الصامت، وقال المنيني: إن المشهور بين الناس انه يوجد قبر شمالي قرية بيت رانس به الصحابي كناز اوكناس. ونقل الواقدي: إنه مات سنة اثنتي عشرة من الهجرة وليس على قبره بناء.. وروى عنه وعن كعب بن عياض الأشعري حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لكل أمة فتنة وفتنة امتي المال، ونقل عن الصفاني أنه مات بالمدينة، ونقل ابن عبد الرزاق انه مات في طريق قرية عقريا والله أعلم.

ومنهم **فضالة بن عبيد الانصاري** شهد المشاهد كلها ومنهابيعة الرضوان وشهد فتح مصر وسكن دمشق وولي قضاءها لمعاوية وأمره على غزوة الروم في البحر.. مات بدمشق ودفن بباب الصغير بالقرب من قبر أبي الدرداء سنة ثلاث وخمسين، وحمل بجنازته معاوية وقال لابنه يزيد: أعن بحمل نعشه فانك لا تحمل بعده مثله. وكان لفضالة عقب بدمشق ذكره ابن شقده في تاريخه. ومنهم **مدرك بن زياد الفزاري** قدم مع أبي عبيدة الجراح في فتوح الشام ذكر ابن عساكر أنه مات بدمشق ودفن في قرية الست، ويقال انه دفن بينها وبين قرية يقال لها حجيرة من غوطة دمشق وكان أول مسلم صحابي دفن بها روى حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «سيكون عليكم أئمة أو ملوك يملكون رقابكم يحدثونكم فيكذبون».

ومنهم **محمد بن أبي حذيفة** كنيته أبو القاسم ولد بأرض الحبشة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن خال معاوية بن أبي سفيان وكان تولى على مصر في زمن عثمان، فلما قتل عثمان أرسل علي بن أبي طالب على مصر قيس ابن سعد أميراً وعزل محمد بن

أبي حذيفة، ولما استولى معاوية على مصر أخذ محمداً وحبيه فهرب من الحبس فظفر به مولى لمعاوية فقتله وذكر أبو الحسن الصفاني انه قتل بالشام.

ومنهم **معاوية بن أبي سفيان** لما سير أبو بكر الصديق الجيوش إلى الشام استخلف عليهم يزيد بن أبي سفيان وسار معه اخوه معاوية، فلما مات يزيد بلغ خبر موته عمر بن الخطاب فولاه في محل أخيه، ولم يزل والياً إلى أن قتل عثمان فانفرد بالشام ولم يبايع علياً بالخلافة وظهر الطلب بدم عثمان، فكانت وقعة صفين بينه وبين علي، وبقي أميراً عشرين سنة وخليفة مثلها. وقد اتفق مؤرخوا دمشق على أنه دفن بمقبرة باب الصغير وقبره معروف عليه بناء مكتوب تاريخ وفاته على عامود جانب القبر سنة ستين، وجاء في مروج الذهب انه توفي بدمشق ودفن بمقبرتها وقال الحنبلي في الأنس الجليل أنه صلى عليه الضحاك، ونقل في كتاب الاشارات عن ابن وطولون الدمشقي في كتابه بهجة الانام: ان في الحائط القبلي من جامع دمشق في قصر الامارة الخضراء قبر معاوية وقيل انه دفن بحائط قبر هود، وهود عليه السلام باتفاق العلماء لم يجيء إلى دمشق بل دفن ببلاد اليمن حيث بعث، وقيل بمكة حين هاجر ولم يقل أحد بدمشق واعتمد عليه ابن تيمية في كتابه منهاج السنة.

قال صاحب شذرات الذهب: وفي سنة ستين مات بدمشق معاوية بن أبي سفيان في رجب وله ثمان وسبعون سنة وولي الشام لعمر وعثمان عشرين سنة وتملكها بعد علي عشرين سنة. دفن بدار الإمارة وهي الخضراء، وقيل انه دفن بباب الصغير، ولعله معاوية الصغير، وقيل انه دفن في حائط جامع دمشق خوفاً عليه من الخوارج كما نقله العدوي في تاريخه وابن كثير، ولعل قبر دار امارة الخضراء هو قبر معاوية الكبير، نقل بعضهم عن ابي هريرة انه قال يوماً لأصحابه: «الصلاة خلف علي بن ابي طالب احكم. والطعام مع معاوية ادمم والقعود على هذه الرابية أسلم». ومنهم **المقداد بن معدى كرب الكندي** أحد رجال الوفد الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو معدود من الشام روى ابن الاثير باستناده إلى خالد بن معدان عن المقداد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: للشهيد عند الله خصال يغفر له من أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويحلى حلية الإيمان، نقله البصري إلى آخر الحديث، مات بالشام ولم يعرف قبره عاش من العمر احدى وتسعين سنة.

ومنهم **معاذ بن جبل الانصاري الخزرجي** امام الفقهاء اعلم الامة بالحلال والحرام وكان يتشبه بابراهيم الخليل عليه السلام، بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن قاضياً بعد غزوة تبوك وشيعه ماشياً عند خروجه وكان معاذ راكباً، ولعلم الناس القرآن وشرائع الاسلام ويقضي بينهم، وجعل اليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن، ثم أوصاه وعهد اليه، ثم قال: «يامعاذ يسر ولا تعسر ويسر ولا تنفر وانك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك مامفتاح الجنة فقل شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يامعاذ واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب» وقدم من اليمن في خلافة أبي بكر، جاء في الاصابة: وكانت وفاته بالطاعون في

الشام سنة ثمانى عشرة وهو ابن ثمان وثلاثين، قال البصري: وهو الآن مدفون على الغور عند قرية يقال انها القصير وعلى قبره قبة معقودة.

ومنهم **والله بن الاسقع** كان خادماً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ابو حاتم: شهد فتح دمشق ومصر وغيرهما، قال ابن سعد: كان من أهل الصفة ثم نزل وسكن بالشام وكان منزله على ثلاث فراسخ من دمشق بقرية بالغوطة يقال لها البلاط وشهد المغازي بدمشق وحمص، وقال ابن سميع مات: في خلافة عبد الملك بن مروان وهو ابن مائة سنة في سنة ست وثمانين روى عنه الشاميون الحديث وانتفع منه الكثيرون من أئمة الحديث بدمشق، قال الواقدي: كنيته ابو قرصافة، وقال البصري: هو آخر من مات من الصحابة بدمشق رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، دفن بباب الصغير وقبره معروف يزار وقد ذكره السيوطي ايضاً وروى الامام أبو حنيفة عنه حديثين احدهما: «لا تظهر السماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك»، والثاني: «دع ما يريك إلى ما لا يريك»، والأول رواه الترمذي من وجه آخر وحسنه، والثاني جاء من رواية جمع من الصحابة وصححه ابن حجر.

فيمن استوطن الشام ودفن بها من التابعين وتابعي التابعين

منهم **اويس بن عامر بن مالك القرني** قال الحافظ شهاب الدين ابو شامة الدمشقي في كتابه مختصر التاريخ، نقل انه كان اويس من تابعي أهل اليمن اسلم في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام لكن منعه من القدوم عليه اشتغاله ببراً أمه، وقدم على عمر بن الخطاب ومات في زمن خلافته ويقال ان ذلك كان بدمشق كان يتصدق بما في بيته من طعام وغيره، يقول.. اللهم من بات جوعاناً فلا تؤاخذني به ومن بات عرياناً فلا تؤاخذني به اللهم أني ابرأ اليك من كل ذي كبد جائع، وروي في بعض الاخبار أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: اويس خير التابعين دفن بباب الصغير وقبره معروف وعليه قبة يقصد للزيارة.

ومنهم **الضحاك بن قيس بن خالد** المعروف بالاحنف وهو الذي يضرب به المثل في الحلم وكان من اعظم التابعين، شهد مع علي بن أبي طالب وقعة صفين على معاوية، ولما استقرت الخلافة والسلطنة إلى معاوية دخل عليه يوماً فقال له معاوية: يا احنف ما اذكر يوم صفين إلا كانت حرارة في قلبي إلى يوم القيمة، فقال له الاحنف، والله يا معاوية ان القلوب التي ابغضناك بها لفي صدورنا وان السيوف التي قاتلناك بها لفي اغمادها، وكانت أخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه فقالت يا أمير المؤمنين من هذا الذي يهدد ويتوعد؟، فقال لها هذا الذي اذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من بني تميم لا يدرون قيم غضب، روي أن معاوية لما نصب ولده يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء فجعل الناس يسلمون على معاوية، فقال له رجل يا أمير المؤمنين لو لم تول يزيد أمور المسلمين لأضعتها، وكان الاحنف بن قيس جالساً، فقال له معاوية جزاك الله عن الطاعة خيراً وأمر له بالوف، فلما خرج الاحنف لقيه ذلك الرجل في الباب فقال له يا أبا عمرو أني لأعلم أن شر خلق الله تعالى هذا وابنه ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال

بالابواب والاقفال فليس نطمع في استخراجها إلا بما سمعت، فقال له الاحنف، «امسك عليك فان ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً»، ومن كلامه في الحكم، «ماخان شريف، ولا كذب، عاقل، ولا اغتاب مؤمن» وقال «ما ادخرت الآباء للابناء ولا ابقت الموتى للاحياء افضل من اصطناع المعروف عند ذوي الاحساب والادب»، وقال: «كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروءة ومن لزم شيئاً عرف به» وسمع الاحنف رجلاً يقول ما أبالي مدحت ام ذممت، فقال له: قد استرحت من حيث تعب الكرام، ومن كلامه، جنبوا مجالسنا ذكر الطعام والشراب فاني ابغض الرجل ان يكون زحافاً وزحفه لبطنه وأن من المروءة ومن لزم شيئاً عرف من حيث تعب الكرام، وان من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهي، وعين والياً على حمص من قبل عثمان بن عفان وهو أول وال بها وكان زياد بن ابيه في مدة ولايته للعراق كثير الرعاية للاحنف ولما مات زياد تولى مكانه من قبل معاوية ولده عبيد الله، ثم جمع أعيان العراق وفيهم الاحنف وتوجه بهم إلى الشام للسلام على معاوية، وبقي الاحنف مع معاوية بدمشق، ويقال انه ولاه الكوفة ثم عزله ثم ولاه دمشق، وحضر موت معاوية وصلى عليه: قتل الاحنف بمرج راهط من أرض الشام سنة اربع وستين ونقل بعضهم انه كتب الحسن بن علي عليه السلام اليه كتاباً يستنصره فأجاب الاحنف بالحال.

ومنهم **أبو مسلم الخولاني اليميني** من سادات التابعين وكبارهم وزهادهم وعبادهم وسيد العارفين رحل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اليمن فتوفي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في الطريق فلقي أبا بكر وعمر وغيرهما من الصحابة ثم رحل إلى الشام وسكن داريا إلى أن مات بها في خلافة معاوية ودفن بقرية داريا الكبرى في سنة اثنتين وستين ونقل المنيني وصاحب شذرات الذهب والبصروي وابن عبد الرزاق وغيرهم من مؤرخي دمشق له كرامات ومواعظ كثيرة وقد افرد له العلامة عبد الرحمن افندي العمادي مفتي دمشق في تاريخه المسمى بالروضة الريا في ذكر من دفن بداريا ترجمة مطولة ومواعظ ومناقب تبهر العقول يطول ذكرها هنا وكان على بعد القرية لايسبقه أحد إلى الجامع الأموي بدمشق لاسيما وقت الصبح، وكان ملازماً للجهاد في كل سنة يغزو بلاد الروم مع أصحابه خاصة نقله ابن كثير وله أحوال مشهورة حال حياته بقرية داريا وقبره إلى اليوم يزار ويتبرك به واسمه عبد الله بن ثوب.

ومنهم **أبو سليمان الداراني** واسمه عبد الرحمن بن عطية كان من أعظم السادات وأرباب الجد والمجاهدات وهو من كبار اتباع التابعين نسبة لداريا قرية من قرى دمشق المشهورة مات بها ودفن قبلي القرية وعلى قبره قبة عظيمة ذكره الامام القشيري في الرسالة وأبو نعيم في الحلية وابن الجوزي في صفوة الصفوة وأثنوا عليه، وذكره النووي وصاحب مجمع الاحباب، جاء في بستان العارفين أبو سليمان الداراني من أصحاب الأحوال الباهرة والحكم المتظاهرة وهو أحد مفاخر بلادنا دمشق الشام ومحاولها، قال ابن شقدة وفي سنة خمس ومائتين توفي الزاهد ابو سليمان الداراني العنسي أحد الأبدال والاقطاب كان عديم النظير وله كلام رفيع في التصوف والمواعظ ومن أطف موعظه وكلامه، «من أحسن في نهاره كوفي في ليله وبالعكس، ومن هم في

ترك شهوة ذهب الله بها من قبله والله اكرم من أن يعذب قلباً ترك الشهوة له، أفضل الأعمال خلاف هوى النفس والعنسي نسبة إلى عنس بن مالك رجل من مدحج، ومن كلامه: «كل ماشغلك عن الله تعالى من أهل ومال أو ولد فهو مشؤم عليك» ومن كلامه «الدنيا تطلب الهارب منها وتهرب من الطالب لها فان ادركت الهارب منها جرحته وإن أردركها الطالب لها قتلته»، ونقل البصري عنه: «قال لقمان لابنه يا بني لا تدخل في الدنيا دخولاً يضرك في آخرتك ولا تتركها تركاً يصير به كلاً على الناس»، ومن كلامه «لا خير في قلب يتوقع قرع الباب ويتوقع عطية الناس»، نقل بعضهم انه رؤي بعد وفاته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال: أوقفي بين يديه سنة بسبب عود أخذته من حمل شيخ خللت به شي لا أدري القيته في الحمل أو في الطريق نقله العدوي في ترجمته، وقد رأيت جملة لطيفة منسوبة إليه أحببت نقلها لأنها لا تخلو من فائدة، حكى أن أبا سليمان دخل دمشق فرأى شيخاً فانياً فقال له يا شيخ يسرك أن تموت؟ فقال لا والله! قال: ولم وقد بلغت من العمر ما أرى؟ قال: ذهب الشباب وذهب شره وبقي الكبر وبقي خيره فاذا قمت ذكرت الله وإذا قعدت ذكرت الله تعالى واحب أن تدوم لي هاتان الخصلتان الحرص وطول الأمل وبهذه المناسبة قيل إنه دخل رجل على أحد خلفاء العباسيين وقال له هل أسمعني يا صاحبي حديثاً، فأجابه سمعت حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: إذا شاب ابن آدم شب معه خصلتان الحرص وطول الأمل، فانس من رؤيته واعطاه مبلغاً وافراً لأنه معمر في السن وكان مجيئه راكباً على ظهر رجل وبعد أن خرج من مجلسه رجع وقال يا أمير المؤمنين هذه عطية أم في كل سنة؟ فقال له: صدق معنى الحديث الذي رويته! وبعد يومين توفي ذلك الرجل وفي رواية «حب المال وطول العمر».

ومنهم كعب الأحبار بن مانع العالم بالكتاب والآثار كان من أكابر التابعين وروي عن أكابر الصحابة أسلم في خلافة أبي بكر مات سنة خمس وثلاثين قال الهروي دفن بمقبرة باب الصغير بدمشق.

ومنهم مكحول بن أبي مسلم أبو عبد الله الهذلي التابعي فقيه أهل الشام وعالمهم سمع أنس بن مالك وأبا أماته وواثلة وكثيراً من الصحابة.

قال أبو حاتم لا أعلم أحداً أفقه من مكحول ولم يكن في زمنه أبصر بالفتيا منه، قال الزهري العلماء ثلاثة في ذلك العصور وعد منهم مكحولاً مات سنة مائة وثلاثة قال المنيني: مات بالشام ولم أعلم محل قبره وأني تعقبت أكثر المؤرخين فلم أجد أحداً بين محل قبره. قال ابن شقده، مات فقيه الشام أبو عبد الله مكحول مولى بني هذيل أرسل عن طائفة من الصحابة، قال ابن اسحاق: سمعته يقول طفت الأرض في طلب العلم، قال أبو حاتم: لا يفتي حتى يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ويقول: هذا رأيي يخطيء ويصيب قال سعيد بن عبد العزيز: أعطوا مكحولاً مرة عشرة آلاف دينار فكان يعطي الرجل خمسين ديناراً، قال ابن نصر الدين في شرح بديعة البيان هو ابن مسلم بن شاذل بن سعد بن شروان.

الكابلي الافغاني الهذلي مولا هم الدمشقي ابو عبد الله وقيل كنيته أبو أيوب كان فقيه أهل دمشق ومفتيها وأحد أوعية العلم والآثار مات بدمشق ودفن بها وبمرور الزمان لم يوجد من المؤرخين أحد يقف على محل قبره.

ومنهم **عبد الله السلمي بن مالك الانصاري المدني التابعي** مات بدمشق سنة سبع وتسعين وكان قائداً الابيه مقيماً بها وهو المدفون بمحلة مأذنة الشحم بدمشق ومكانه مشهور إلى اليوم، نقله صاحب شذارات الذهب وابن عبد الرزاق.

ومنهم **منصور بن عمار بن كثير السلمي الخراساني** من أكابر التابعين كان رجلاً عالماً زاهداً واعظاً قد فتح الله تعالى عليه الحكمة وفصل الخطاب لايتلعه ورقة بها اسمه الكريم تعظيماً واحتراماً مات بدمشق ودفن بجبانة باب الصغير إلى جانب الطريق وقبره معروف مشهور.

وقد نقل الهروي في كتابه الاشارات، أن بعض التابعين دفنوا في السلمية من أعمال حماة الشام وبها قبورهم وهي قريبة من محل **المؤتفكة**، ونقل أن أهل المؤتفكة لما نزل فيهم العذاب رحم الله منهم مائة نفس فنجاهم فعمروا هذه المدينة فنسبت اليهم وسميت بهذا الاسم وبها المحارب السبعة. ثم قال وفي طريقها إلى حمص قبر **النعمان ابن بشير التابعي** وبقرتها الرستن وهي مدينة قديمة بها آثار تدل على عظمتها، قيل أنه مدفون بها بعض التابعين ولم تعلم اسماؤهم، وبها كان أصحاب الرس، وقد ذكرت هذه المدينة في الكتاب العزيز.

وقال أيضاً أن في مدينة حمص **مشهد علي بن ابي طالب** وبه عامود وموضع اصبعه فيه، وهناك مدفون أحد التابعين وقبر سفينة مهران مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبها قبور أولاد جعفر الطيار وبها قبر ثوبان والحرث بن عطيف الكندي وخالد الأزرق والحجاج بن عامر. ومنهم **أبو ادريس الخولاني** اسمه عائد الله بن عبد الله فقيه أهل الشام وقاضيهام وهو أول من تلقب بهذا اللقب في دمشق بعد الفتيا لاجتماع الكلمة عليه، سمع من أبي الدرداء وطبقته، مات سنة ثمانين بدمشق ودفن بها نقله العلامة الداودي في مجموعته، قال ابن عبد الرزاق: هو المدفون في داريا وهو ابن عم ابي مسلم الخراساني وخليفته على زوجته بعده. نقل السيوطي عنه مراسلا قال: إذا وضع الطعام فليبدأ أمير القوم أو صاحب الطعام أو خير القوم (الحديث) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: خولان قرية كانت بقرب دمشق وخربت وبها قبر الخولاني وبها آثار باقية تدل على أنها قديمة وبها دير قيس وهي من اقليم خولان ومحلها الآن بالقرب من قرية داريا.

ومنهم **عبد الرحمن بن عمر الاوزاعي** الدمشقي ذكره البصري من التابعين المحدثين، كان في عصره أمام أهل الشام وشيخ الإسلام وأحد الأئمة الإعلام، وعالم الأمة منفرداً بالسيادة مع الاجتهاد، كان يسكن دمشق خارج باب الفراديس ثم تحول إلى ثغر بيروت فسكن بها وهو من تابع التابعين ولد سنة ثمان وثمانين ببعلبك وقد اجتمعت الكلمة على أمامته وكمال فضله واقوال السلف فيه كثيرة مشهورة مصرحة بورعه وكثرة أحاديثه وقيامه بالحق وشدة تمسكه بالسنة لايسعنا ذكرها، مات سنة سبع وخمسين ومائة وقبره مشهور بساحل البحر في ثغر بيروت، وهو

من قرية الاوزاعة خارج باب الفراديس التي هي حي العقيبية بدمشق، قيل انه اجاب في سبعين ألف مسألة وصار يعمل بمذهبه في الشام نحو مائتي سنة وآخر من عمل بمذهبه أحمد بن سليمان بن جندلم قاضي الشام وعمل أهل الأندلس بمذهبه أربعين سنة ثم تناقص بظهور مذهب الإمام مالك، وكان الاوزاعي عظيم الشأن بالشام وأمره فيهم أعز من أمره السلطان، وكان مع علمه بارعاً في الكتابة والترسل.

ومنهم **حزام بن حكيم الانصاري** قال ابن عساكر انه من التابعين ونقل عن محمد بن بكار قوله: انه كان حزام بن حكيم الانصاري من أهل دمشق من بني حزام ودارهم شهيرة عند سوق القمح (يعني البزورية اليوم) وبابها الباب العظيم الذي يفتح شرقاً، ولعلها دار أسعد باشا العظم قبل عمارته لها، قال الحافظ: ان ابن حكيم تابعي ثقة وهو دمشقي مات بدمشق.

ومنهم **سيدي قسم** اختلفت أقوال المؤرخين بشأنه واعتمد الأكثر انه تابعي، دفن بقرية التل من أعمال دمشق خارج البلدة وعليه بناء قبة ولأهل تلك الناحية فيه اعتقاد عظيم، نقله العدوي وصاحب روضة الأنام وغيرهما ولعله قثم بن العباس.

ومنهم **بلال بن سعيد بن تميم الكوفي** إمام جامع دمشق له كلام في كتب المواعظ، حدث عن ابيه وأبي الدرداء روى عنه الإمام الاوزاعي وجماعة وسواه وكان قارئ الشام جهير الصوت، قال ابو زرعه، كان واعظ دمشق وشيخ علمائها مات في دمشق في زمن خلافة هشام، وقال العجلي هو تابعي من الطبقة الرابعة من أهل الشام وهو ثقة وأبوه من الصحابة، روى بأسناده إلى أبي هريرة انه عليه السلام قال: الامام ضامن والمؤذن مؤتمن اللهم أرشد الأئمة وأغفر للمؤذنين قال ابن عساكر في ترجمته نقل عن الاصمعي انه كان يصلي الليل أجمع وكان اذا غلبه النوم في ليالي الشتاء يطرح نفسه بتيابه في ماء بركة كانت في داره حتى ينفر عنه النوم فعوتب في ذلك فقال ماء البركة في الدنيا خير من صديد جهنم وكان من دعائه «اللهم أني أعوذ بك من زيغ القلوب ومن تبعات الذنوب ومن مرديات الأعمال ومضلات الفتن» ومن كلامه «لاتكن ذا وجهين وذا لسانين فتكون عند الله وعند الناس وجيهاً»، لم يعلم محل قبره.

ومنهم **ابراهيم الناجي** شيخ المحدثين كان اماماً ورعاً حافظاً للحديث واللغة والانساب عارفاً بالصحابة ورجال الحديث، سارت بذكره الركبان وشارع فضله في البلدان جاء في الاشارات، له كرامات ظاهرة ومصنفات فاخرة دفن بباب الصغير غربي قبر معاوية الصغير وقبره محجر على الطريق.

ومنهم **علي بن مسافر** من عمدة رواة الحديث ومن الأئمة الإعلام مات بدمشق ودفن في قهوة الجنينة التي صارت اليوم طريقاً وفتحت منها الجادة جانب سوق علي باشا.

ومنهم **أبو سلام الحبشي** واسمه ممطور الباهلي الدمشقي قال صاحب مثير الغرام. انه من التابعين الذين ماتوا في الشام انتقل من حمص إلى دمشق وقال: «البركة تضاعف في الشام».

ومنهم خالد بن ثابت بن ظاعن بن العجلان قال ابن عساكر انه تابعي من أهل الشام وهو الذي وجهه عمر بن الخطاب من الجابية إلى بيت المقدس لفتحها، وذكر انه ينتهي نسبه إلى قيس بن عيلان الفهمي، ولي مصر سنة احدى وخمسين وقيل أنه مات بدمشق.

ومنهم محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب قال النجم الغزي انه دفن بمقبرة باب الصغير وعليه قبة ووقار، نقله العلامة ياسين الفرضي الدمشقي في تاريخه، وقد روى عن كنانة بن بنيه مولى صفية بنت حي قالت: اعتقني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعل عتقي صداقي وقالت سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول: بئس العبد عبد تخيل واعتلى ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد نهى وسها ونسي المبدأ والمنتهى، بئس العبد عبد بغى وعتا ونسي المقابر والبلئ، بئس العبد عبد تجميل الدنيا بالدين، بئس العبد عبد يذله الرعب ويزيله عن الحق، بئس العبد عند طمع يقوده وهوى يضلّه (الحديث).

ومنهم علي الزرعي، قال ابن عبد الرزاق نقلاً عن القاضي محمود: أنه من الأولياء العارفين مشهور عند الناس يتبرك بزيارته، دفن بقرية داريا، ونقل أيضاً الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه الذي سماه «أعوان النصر في تراجم أعيان العصر» في ترجمة صاحب تاج الدين محمد بن حنا قال: وهو الذي اشترى الآثار النبوية على ما قيل بمبلغ ستين ألف درهم وجعلها في مكانها قال الصلاحى: وقد زرت هذه الآثار بمصر ورأيتها مرتين وهي قطعة من العنزة ومروود ومخصف وملقط وقطعة من القصعة.

في بيان من دفن واشتهر قبره في دمشق من نساء آل البيت الطاهرات عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام

مجئهن لدمشق كان من نتائج المصائب الفاقدة والبلايا المؤلمة التي اصابت آل البيت الكرام وعلى رأسهم رئيس البيت العلوي المطهر سيد الشهداء وجماعة من ذوي رحمه في وقعة كربلاء هذه النازلة الشنعاء التي زعزت اركان العالم الإسلامي في أبان ظهوره فكانت المصيبة الأولى في بابها ثم اعقبها وقعة الحرة في المدينة المنورة ونتج بسببهما من النتائج المشهورة المشؤومة التي نقلها المؤرخون من تشيت البضعة الطاهرة من آل البيت اطفالاً ونساء في البلاد إلى أن أمر يزيد بنقلهم إلى دمشق ثم ذكر بعضهم أيضاً انه كان ركوبهم على ظهور الأبل من غير اقتاب ويقدمهم زين العابدين المقيد بالحديد من رجله والجامعة في عنقه ومن بعده ركائب النساء والأطفال. أن قلب كل مسلم يقطر دماً ويذوب حسرة وكمداً كلما طالع تاريخ تلك الحوادث الفظيعة وما وقع من يزيد بحقهم فنترك الحكم بالأمر إلى احكم الحاكمين ولعنة الله على الظالمين، نذكر ما قاله حملة الأخبار عنهم:

ذكر ابن عساكر الوقعة الشهيرة في كربلاء وتفصيل قتل الحسين أن سبعة عشر شاباً من أصحاب الحسين أرسلهم ابن زياد مع رأسه الشريف ومن بقي سائماً من أهل بيته إلى يزيد بدمشق

ومنهم علي بن الحسين وكان مريضاً ومنهم عمته زينب وقال ابن حجر الهيثمي ولما ارسل ابن زياد رأس الحسين واصحابه جهزها مع سبايا آل البيت إلى يزيد بدمشق فلما وصلت إليه قيل انه ترحم عليه وتنكر لابن زياد وارسل برأسه الشريف وبقية بنيه إلى المدينة وقيل بل كان الرأس في خزانة بدمشق ونقل ابن قتيبة في الامامة والسياسة قال ذكروا ان أبا معشر قال حدثني محمد بن الحسين بن علي قال دخلنا على يزيد ونحن اثنا عشر غلاماً مغللين في الحديد وعلينا قميص إلى آخر ما نقله مما وقع من الحديث وما فعله يزيد بهم مما هو مشهور فلا حاجة لاعادة ذكره.. ونقل يحيى بن الحسن بن جعفر العبيدي النسابة صاحب تاريخ أخبار المدينة عند ذكر الزينبيين. قال السيدة زينب الكبرى بنت علي بن ابي طالب رضي الله عنه الملقبة بام كلثوم وزعم انه خطبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وانها ولدت قبل وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ولذلك عدّها ابن عبد البر النسابة في كتاب الصحابة ممن ولد في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. ولما خطبها عمر من علي رضي الله عنهما قال له أنها صغيرة فقال عمر زوجها لي يا أبا الحسن فأني أرصد من كرمها مالا يرصده أحد. وأصدقها أربعين ألف درهم فولدت له زيدا ورقية. وذهب بعضهم أنها ماتت بدمشق ودفنت في باب الصغير قرب بلال، يثبت ذلك وجود الحجر القديم المحفور والمنقوش عليه اسمها، ونقل الفرضي المؤرخ الدمشقي في كتابه الاشارات: إن زينب الصغرى هي المدفونة في الحوطة قرب بلال، والأول هو الأولى، وقال ابن طولون في مصنف له فيها: وذكر لها مناقب كثيرة ومشهدا المشهور الحاوي على الجلالة والعفاف والنور، ما هو لائق بمقام بنت الكرام، وقال العدوي: أنها هي المدفونة بقرية رواية قرب حجيرة من غوطة دمشق، المعروفة بقبر الست. وذكرها المؤرخ الناجي وغيره، ونقل بعضهم أن التي دفنت هناك هي أختها السيدة زينب الصغرى والله أعلم.

ومنهن السيدة سكيئة بنت سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام الذي قال في حقها أبوها ابياتا نقلها كثير من المؤرخين:

لعمرك أنني لأحسب داراً تحل بها سكيئة والرياب

وذكر المؤرخون أنها سيدة الشعراء، وأنها ماتت بدمشق ودفنت في تربة القلندرية داخل القبة، ووجد عليها تابوت قديم من الخشب، ومنقوش ومحفور عليه في الخط الكوفي يشير باسمها، طوله ثلاثة أمتار وعرضه متر ونصف، وارتفاعه متر، صنع في زمن العباسيين حين توليهم الحكم ونبشهم لقبور الأمويين.

ومنهن السيدة فاطمة بنت علي رضي الله عنه، نقل النجم الغزي، في كتابه الاشارات، انها دفنت بمقبرة باب الصغير وعلى قبرها تابوت حجر كبير منقوش عليه اسمها، في الخط الكوفي سنة ٤٣٧ هـ.

ومنهن السيدة خديجة، بنت زين العابدين، قيل أنها أتت من المدينة في وقعة الحرة مع بعض من الزوجات الطاهرات، والله أعلم بالحقيقة.

ونقل الهروي والهوراني وغيرهما من المؤرخين ان **ثلاثة من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم** آتين الشام بعد وقعة الحرة في المدينة وانهن متن بها ودفن في باب الصغير وهن **أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان** وهي أخت معاوية كانت عند النجاشي بالحبيشة مع زوجها عبد الله بن جحش الأسدي حليف بني أمية فولدت له حبيبة بأرض الحبيشة وكان عبد الله بن جحش فخطبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى النجاشي فاصدقها النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع مائة دينار وولى تزويجها عثمان بن عفان بن أبي العاص وهي بنت عمته وأولم عليها عثمان رضي الله عنه لحماً ثريداً وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شر حبيل بن حسنة فجاءه بها وقال أبو عبيدة كان تزويجها في سنة ست من التاريخ وأنها ماتت سنة أربعين وقيل أنها ماتت في المدينة.

أم سلمة بنت أبي أمية زاد الركب حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي كانت قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ابن عمها كان من كبار الصحابة فرزقت منه عمر ودرة وسلمة وزينب رباب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت هي وزوجها أول من هاجر إلى المدينة من الضعائن فتزوجها النبي عليه الصلاة والسلام سنة اثنتين بعد وقعة بدر عقد عليها في شوال وابتنى بها فيه وتوفيت في إمارة يزيد بن معاوية.

وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كانت قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند خنيس بن حذافة السهمي القرشي تزوجها النبي في سنة ثلاث من الهجرة وماتت سنة خمس وأربعين وفي ذلك خلاف وطلقها عليه الصلاة والسلام فبلغ عمر ذلك فحثا على رأسه التراب وقال ما يعبا الله بعمر ولا ابنته. فنزل جبريل عليه السلام من الغد فقال لرسول الله إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر، وأوصى إليها أمير المؤمنين عمر بعد موته وأوصت هي إلى أخيها عبد الله بما أوصى به عمر وبصدقة تصدقت بها قبض عنها النبي عليه الصلاة والسلام وأما زينب بنت مظعون الجحامي القرشي وقيل أنها دفنت بالمدينة قال الهروي وفي بعلبك قبر أم حفصة أخت معاذ ابن جبل، وقيل أنه مات بدمشق أم **الحسن بنت جعفر الصادق بن الحسين** ولم يعلم قبرها، وذكر بعضهم **قبر فضة** جارية السيدة فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام. وماتت بدمشق اسماء بنت سيدنا أبي بكر الصديق وقبرها يزار وهي ذات النطاقين و**خديجة بنت زين العابدين وأم الدرداء وخولة بنت الأزور** أخت ضرار ذكرهن الشيخ ياسين الفرضي في الزيارات.

وذكر أيضاً **رقية بنت علي** رضي الله عنه دفنت في مسجد الرأس عند بلاط معاوية في القباقبية داخل باب الفراديس. قيل أنها أخت زينب الكبرى لأبيها وقبرها في شمالي المسجد داخل الستر المحيط به وكان عليه قبة والآن صار بيتاً وفي أصل جدار المحراب لهذا المسجد رأس الشهيد الملك الكامل وغربي المحراب المذكور في الجدار طاقة على الطريق يقال أن رأس الحسين عليه السلام دفن بها، ثم قال الفرضي "قال شيخنا النجم الغزي في اشاراته ولذا يقال له مشهد الحسين وفي محض المأرب في فضل علي بن أبي طالب لابن المبرد عن ابن أبي الدنيا عن الزبير بن أبي بكر انه ولد لعلي

أيضاً ولدان عمر ورقية الصغرى تؤمان وأمهما الصهباء ويقال اسمها أم حبيب بنت ربيعة من بني ثعلبة من سبي خالد بن الوليد. وقال ابن المبرد ذكر ذلك الذهبي وهذا هو المعمول به ولا يلتفت إلى غيره فإنه هذيان.

وذكر بعض المؤرخين أسماء شهداء كربلاء الذين أتى بهم يزيد إلى دمشق ووضعهم مقدار ثلاث ساعات عند باب الفراءيس ثم أمر بدفنهم وهم عبد الله بن الحسين، أبو بكر بن علي، مسلم بن محمد، عبد الله بن عون، جعفر بن عقيل، حبيب بن مظاهر، علي بن الحسين الأكبر، عمر بن علي، جعفر بن علي، عثمان بن علي، علبد الله بن عقيل، الحر الرياحي، العباس بن علي، عبد ابن علي، محمد بن قاسم بن الحسن، وقد قال في حقهم عارف بك المارديني والي دمشق لما تم ترميم وتجديد قبور آل البيت بمساعي السيد سليم مرتضى قوله:

قف بالمقام تادياً	وارفع أكفك بالدعا
هذا ضريح السادة	الشهداء من آل العبا
فروءس ستة عشرة	منهم دفين بذو الخبا
حملت إلى الفيحاء من	أرض الواقعة كربلا
مع رأس سيدنا الحسين	بن النبي المجتبى
وأتت دمشقاً من نجين	بوقعة الحرا فلا
فأقم فيها مدة	حتى انتقلنا للبقا
كانت قبورهم ثوت	جهلا بهم تحت الثرا
حتى أتاح الله لد	فيحاء وال ذي ولا
فاهتم في انشاءها	شكري وناظم ابتدا
بدلالة الغر الكرام	سيود آل المرتضى
شكر الاله صنيعهم	وأثابهم خير الجزا
ولقد أتيت مكملًا	للسعي حقاً والبنا
تمت بحمد الله هاتيك	القباب كما ترى
يسازانرا آل النبي	ابشر فقد نلت المنى
ارخ بحسن الفوز في	اعلا الجنان لك ارتقا

وقد نقل بعضهم أن قبر عاتكة عمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دمشق وقال الناجي المؤرخ في مولده المسمى بكنز العفاة انها في المدينة وانما المدفونة بدمشق هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية المنسوبة إليها هذه المحلة المعروفة باسمها وبقي ذلك إلى اليوم وبها قصرها وحمامها واسمه حمام الذهب وسيأتي ذكرها ونقل أيضاً أن السيدة رقية بنت الإمام الحسين الصغرى دفنت عند باب الفراءيس ونقل الهروي ان في ميدان الحصى قبلي دمشق قبر أم عاتكة اخت عمر بن الخطاب الخليفة الثاني وهو مشهور بيزان.

ماذكره ياقوت من مزارات الشام المختصة بآل البيت (ع) وغيرهم

دمشق:

وبها مشهد التاريخ في قبلته قبر مسقوف بنصفين وله خبر مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفي قبلي الباب الصغير قبر بلال ابن حماسة وكعب الاحبار وثلاث من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبر فضة جارية فاطمة رضي الله عنها... وأم الحسن بنت جعفر الصادق رضي الله عنه وعلي بن عبد الله بن العباس وسلمان بن علي بن عبد الله بن العباس وزوجته أم الحسن بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخديجة بنت زين العابدين وسكينة بنت الحسين والصحيح أنها بالمدينة ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب.

وهذه القبور هكذا يزعمون فيها، والاصح والاعرف الذي دلت عليه الاخبار أن أكثر هؤلاء بالمدينة مشهورة قبورهم هناك وكان بها من الصحابة والتابعين جماعة غير هؤلاء قيل أن قبورهم حرثت وزرعت في أول دولة بني العباس نحو مائة سنة فدرست قبورهم فادعى هؤلاء عوضاً عما درس وفي باب الفرائد مشهد الحسين بن علي رضي الله عنهما وبظاهر المدينة عند مشهد الخضر قبر محمد بن عبد الله بن الحسين بن أحمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق رضي الله عنه وبالجامع من شرقية مسجد عمر بن الخطاب... ومشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومشهد الحسين وزين العابدين.

(معجم البلدان ٤٦٣/٢)

حلب:

قال: والفقهاء فيها يفتون على مذهب الإمامية، وأما مشاهدا فقال: وعند باب الجنان مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه رؤي فيه في النوم وداخل باب الفراق مسجد غوث فيه حجر عليه كتابة زعموا أنه خط علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفي غربي البلد في سفح جبل جوشن قبر المحسن بن الحسين يزعمون أنه سقط لماجيء بالسبي من العراق ليحمل إلى دمشق أو طفل كان معهم بحلب فدفن هناك وبالقرب منه مشهد مليح العمارة

تعصب الحلبيون وبنوه أحكم بناءً وأنفقوا عليه أموالاً يزعمون أنهم رأوا علياً رضي الله عنه في المنام في ذلك المكان، وفي قبلي الجبل جبانة واحدة يسمونها المقام، بها مقام إبراهيم. (معجم البلدان ٢٨٣/٢ - ٢٨٤)

حمص:

ويحمص من المزارات والمشاهد مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيه عمود فيه موضع إصبه رآه بعضهم في المنام.. وبها قبر قنبر مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقال أن قنبر قتله الحجاج، وقتل ابنه وقتل ميثما الثمار بالكوفة، وبها قبور لأولاد جعفر بن أبي طالب، وهو جعفر الطيار وبها مشهد لأبي ذر..

وذكر ياقوت: إن أهل حمص كانوا أشد الناس على علي رضي الله عنه، بصفتين مع معاوية وأكثرهم تحريضاً عليه وجداً في حربه فلما انقضت تلك الحروب ومضى ذلك الزمان صاروا من غلاة الشيعة حتى أن في أهلها كثيراً ممن رأى مذهب النصيرية وأصلهم الإمامية.

(معجم البلدان ٣٠٣/٢)



مع عدد من شباب دمشق (حي الأمين)

المدفونون في دمشق

دمشق: بلدة كثيرة البركات، غزيرة الخيرات، نعم بلدة الأنبياء، وموطن الأصفياء والأولياء، وبها صحابة من الأجلاء ومقابرها حوت أمثال الفضلاء.

ومنها جبانة باب الصغير بها بلال الحبشي وبها السيدة سكيّنة بنت أبي بكر الصديق، وبها السيدة زينب بنت الإمام علي رضي الله عنهما وبها معاوية، وبها أويس القرني، وبها أبو عبيدة بن الجراح على ما قيل خارج الجامع المعروف به^(١) ويليهما مقبرة محلة القروانة وبها جماعة من الاجلاء والفضلاء. ومنها جبانة باب شرقي بها أبيّ بن كعب، وبها جبل بن معاذ، وبها ضرار بن

* نزهة الأنام في محاسن الشام / ٣٧٣ - ٣٨٣ (القاهرة ١٣٤١ هـ)

(١) - زاد ابن الحوراني في كتابه (الاشارات إلى أماكن الزيارات) أن من الصحابة المدفونين في (الباب الصغير): أوس ابن أوس الثقفي الصحابي من أهل الصفة، ذكره النووي في (تهذيب الاسماء).

وأبا الدرداء عويمر الخزرجي الصحابي، ولي قضاء دمشق لعمر، وزوجته أم الدرداء الصغرى مدفونة بقبريه وواثلة بن الاسقع من أهل الصفة، خدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث سنين، وفضالة بن عبيد، ولي قضاء دمشق لمعاوية ودفن عند أبي الدرداء، وحمل معاوية نعشه وقال لابنه «اعني فاني لا أحمل بعده مثله»، وسهل بن الربيع الأوسي الصحابي، ويسره بن فاتك الأسدي أخا خزيم بن فاتك، وهو الذي قسم دمشق بين المسلمين بعد فتحها. وشمعون بن خثانة أبا ربحان الأسدي الأنصاري ومكحولاً مولى سعيد بن العاص، سمع من أنس وواثلة ونقل ابن الحوراني عن الهروي في (الزيارات) أن في (مسجد التارنج) بباب الصغير ثلاثاً من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفضة جارية فاطمة، وقبر سهل بن الحنظلية، وقبر أم الحسن بنت حمزة بن جعفر الصادق، وقبر علي بن عبد الله ابن العباس، وقبر ابنه سليمان، وقبر زوجته أم الحسن بنت جعفر ابن الحسن بن الحسين، وبمقبرة باب الصغير أيضاً قبر خديجة بنت زين العابدين، هؤلاء في تربة واحدة، وقبر سكيّنة بنت الحسين، وقبر محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وبها قبور كثير من الأولياء والصالحين لم يعلموا، لما قيل من أن مقبرة باب الصغير حرّثت وزرعت بعد مائة سنة، فلذلك لاتعرف القبور.

ونقل عن الحافظ ابن طولون في (بهجة الأنام) أن قبر معاوية الكبير في الحائط القبلي من جامع دمشق في قصر الإمارة (الخضراء) وهو الذي تسميه العامة (قبر هود) أما الذي في الباب الصغير فهو قبر أبي ليلى معاوية الثاني ابن يزيد، وذكر صاحب (مثير الغرام) أن (الوليد بن عبد الملك) الذي بنى مسجد دمشق ومسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبة الصخرة المقدسة في بيت المقدس، دفن سنة ٩٦ بمقبرة باب الصغير شمالي قبر معاوية بنحو عشرين ذراعاً وقبره ظاهر معروف يزار. وفي الباب الصغير من العلماء الشيخ حماد وهو من القدماء، ومنصور بن عماد بن كثير السلمي، وعمر بن الحسن الخرقى من تابعي أصحاب أحمد بن حنبل وهو مؤلف «المقنع»، وأبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي النابلسي شيخ الشافعية بالشام وقد اجتمع به الغزالي واستفاد منه، وأبو البيان محمد بن محفوظ القرشي شيخ الطائفة البيانية ويعرف بابن الحوراني، قال ابن كثير له تأليف كثيرة وكان هو والشيخ رسلان أولاً مجاورين في المسجد الذي في =

الأزور في حارة السادة القدماء. وتليها مقبرة الشيخ رسلان وعنده جماعة من الأمثال واللاجلاء الأفاضل^(١)، وخارج باب توما شرحبيل كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والسيدة خولة (بنت الأزور) وجبانة بيت لهما بها سادة وأعيان وصالحون لهم قدر وشأن.

ويليها مقابر باب الفزاريين بها أبو الدحداح (الصحابي) رضي الله عنه، وبها عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق^(٢) ومقبرة سويقة صاروجا بها صالحون من أجل المسلمين ومقابر الصوفية بها جماعة من العلماء كابن الصلاح وابن تيمية وابن المبارك وغيرهم^(٣) ويليها مقبرة القنوات وباب السريجة وبها علماء الأمة وأهل الرحمة، آخر من دفن محب الدين البصروي الشافعي ومنها جبانة الحميرية^(٤) وبها المرحومون من الأولياء والصالحين ومنها مقابر محلة السيدة عاتكة ويقال أن في ظاهرها ضريح المساك لركاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنها جبانة محلة القبيبات وبها العلماء العاملون والمجاذيب والصالحون كالسيد الشريف الشيخ الزاهد العالم تقي الدين أبي بكر الحصني الشافعي وهذه جملة المقابر التي في المدينة الخارجة عن مقابر الصالحية والقابونين وغير ذلك. وثم صحابة في قرى الضواحي كسعد ابن عبادة بارض المنيحة^(٥) وتميم الداري رضي الله عنه بقريّة تميم التي سميت به وأبو الدرداء رضي الله عنه فإنه

= راس درب الحجر في اواخر السوق الكبير قريباً من الباب الشرقي، والحافظ الكبير ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر صاحب (تاريخ دمشق) دفن شرقي مدفن معاوية، وتاج الدين عبد الرحمن بن ابراهيم الفزاري المعروف بابن الفزاح تلميذ ابن الصلاح والسخاوي وابن عبد السلام، وبدر الدين ابن مالك، وأبو الربيع سليمان ابن بلال الجعفري الهاشمي تلميذ الفزاري والنووي، وابن هشام وابن رجب، وابن قيم الجوزية، وابراهيم الناجي، وأبو العباس أحمد المليي.

(١) قال (ابن الحوراني) الشيخ ارسلان الدمشقي ابن يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد الله الجعبري، مدفون مع شيخه ابي عامر المؤدب: توفي بعد الأربعين والخمسمائة.

(٢) قال (ابن الحوراني): وفي مقبرة باب الفزاريين مشهد الخضر، وعنده قبر محمد بن عبد الله بن الحسن المقدسي ثم الدمشقي المعروف بابي شامة وكان له شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر توفي سنة ٦٦٥ وفي مسجد الأقباص سوق حجر بن عدي الصحابي وأصحابه.

(٣) مقابر الصوفية هي الواقعة الآن في حديقة مستشفى دمشق على نهر بانياس عند محطة البرامكة غربي دمشق، قال ابن الحوراني: ومن دفن فيها (قطب الدين أبو المعالي مسعود ابن محمد بن مسعود) انفرد في دمشق برئاسة الشافعية توفي في رمضان سنة ٥٧٨، ومنهم (الفخر ابن عساكر) توفي سنة ٦٢٠ ودفن مقابل قبر (ابن الصلاح) المتوفي سنة ٦٤٣، ومنهم (عبد الرحمن بن نوح) من أشياخ النووي وكان مفتي دمشق في وقته توفي سنة ٦٥٤، ومنهم (عماد الدين بن كثير البصري القرشي) توفي سنة ٧٧٤ ودفن عند شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨، ومنهم (ابراهيم بن سليمان الحموي) له شرح الجامع الكبير في ست مجلدات وشرح المنظومة في مجلدين، ومنهم (ابراهيم بن عبد الرزاق الحنفي) شارح القدوري توفي سنة ٨٠٧.

(٤) قال ابن الحوراني هي بمحلة الشويكة ومن دفن فيها أحمد بن بدر الدين الحنفي المتوفى سنة ٩٣٤، ومحمد بن الحر الحنفي توفي ٧٨٩.

(٥) نقل ابن الحوراني عن النووي في (تهذيب الاسماء) قال: سعد بن عبادة الصحابي الانصاري الخزرجي الساعدي كان نقيب بني ساعدة وصاحب الانصار في المشاهد كلها، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أنه من بيت جود، شهد العقبة ويدرأ والمشاهد، توفي سنة ١٦ واتفقوا على أنه كان بحوران ومات بها، قال الحافظ ابن عساكر وغيره: هذا القبر المشهور في المنيحة يقال انه قبر سعد بن عبادة فيحتمل انه نقل من حران إليها.

داخل قلعة دمشق، والسيدة زينب الكبرى بنت الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وهي أخت أم كلثوم الكبرى التي تزوجها عمر رضي الله عنه وكانت مع أخيهما الحسين لما قتل وقدمتا الشام وهاتان والحسن والحسين ومحسن الذي مات صغيراً أولاد الإمام علي من فاطمة رضي الله عنهما ثم تزوج بعد موت فاطمة وتسرى فجاءه بنون وبنات ومن جملة البنات زينب الصغرى أم كلثوم الصغرى، هكذا ذكره شيخنا الحافظ برهان الدين الناجي وقال الشيخ العارف أبو بكر الموصلي في كتابه (فتوح الرحمن) توفيت السيدة زينب الكبرى بنت علي رضي الله عنهما بغوطة دمشق عقيب محنة أخيها ودفنت في قرية من ضواحي دمشق اسمها راوية ثم سميت البلدة بها فالآن يقال للبلدة الست ولا تعرف إلا بقبر الست رضي الله عنها قال: وكنت أزورها في أول أحد من العام، ومعى جماعة من أصحابي الفقراء، ولاندخل إلى قبرها بل نستقبله ونغض أبصارنا، لما قرره علماؤنا في أن الزائر للميت يعامله بما لو كان حياً من الاحترام، فبينما أنا في البكاء والخشوع والحضور وكأني بها وقد تراءت لي في صورة امرأة كبيرة محترمة موقرة لا يقدر الإنسان أن يملأ نظره منها احتراماً فأطرقت فقالت: «يابني زادك الله أدباً ألم تعلم أن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه كانوا يزورون أم أيمن^(١) لكونها امرأة محترمة وبشر الأمة أن جدي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وجميع أصحابه وذريته يحبون هذه الأمة، إلا من خرج عن الطريق فإنهم يبغضونه، فلحقني ازعاج من كلامها غيبيني فلما عدت إلى الحس لم أجدها فواظبت على زيارتها إلى يومنا هذا انتهى وبالقريّة المذكورة ضريح السيد الجليل مدرك (الفزاري الصحابي) وهذا الذي وصل إلينا من معرفة من بدمشق من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وثم فيها من الأنبياء والصحابة والأولياء والصالحون غير ما ذكرناه لكن لتوالي المحن واندراس العلم والمعاهد والدمن وبانقراض المخبر انقطع الخبر فلاحين ولا أثر فان الشيخ محيي الدين النووي قال في شرح (سنن) أبي داود الشام من العريش إلى بالس وقيل إلى الفرات وقال ابن السمعاني هي بلاد بين الجزيرة والغور إلى الساحل ويجوز فيها التذكير والتأنيث والهمز وتركه وأما شام بفتح الهمزة والمد فاباه أكثرهم إلا في النسب انتهى والله أعلم.

فعلى هذا انظر مافي بلاد الشام من الأنبياء والصحابة والصالحين قال الحافظ العراقي «دمشق بلاد الأنبياء وموطن الاصفياء من الصحابة والتابعين والأولياء».

ويسندي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه أخبر أنه زويت له مشارق الأرض ومغاربها وقال سيبلغ ملك امتي مازوى لي وأنهم سيفتحون مصر وهي أرض يذكر فيها القيصرات وأن عيسى ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق.

(١) قال الزبيدي في التاج: أم أيمن امرأة اعتقها صلى الله عليه وآله وسلم وهي حاضنة أولاده فزوجها من زيد فولدت له أسامة

الشيخ محمد الحرفوش

المتوفى (١٠٥٩ هـ / ١٦٤٨ م)

الدكتور حسن نصرالله*

محمد بن علي بن أحمد الحرفوشي الحريري، الكركي، لقب بالحريري لأنه كان يعمل بالحرير، والكركي نسبة إلى كرك نوح وهي من قلاع الحرافشة؛ هو أديب عالم، لغوي، نحوي وشاعر؛ قرأ على السيد نور الدين علي بن علي بن الحسيني الموسوي العاملي في مكة كتب الخاصة والعامية؛ ثم عاد إلى دمشق وقطنها وحضر دروس العمادي المفتي، وكان العمادي يحله ويشهد بفضله؛ وكان الشيخ الحرفوش يصنع القماش (العبايات) المتخذ من الحرير؛ وكان الطلبة يقصدونه وهو في حانوته يشتغل فيقرؤون عليه ولا يشغله شاغل عن العلم؛ وحدثت جفوة بينه وبين المولى بن أبي الفتح في دمشق وسعى الفتح في الحكام في قتله بنسبة الرفض إليه؛ فرحل إلى حلب متخفياً، ثم دخل أصفهان فعظمه سلطانها الشاه عباس وجعله رئيس العلماء في إيران. اهتم بالحديث وهو ثقة روى بتسع وسائط عن الإمام علي (عليه السلام) ولايدانيه أحد في علو السند؛ وذكر ابن الأثير في كتاب المقامع أنه له الرواية عن الشيخ محمد الحرفوشي بخمس وسائط، وأنه يروي بتسع وسائط عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) ظل الحريري يؤلف ويعظ حتى وفاته بديار العجم (أصفهان) في شهر ربيع الثاني سنة ١٠٥٩ هـ؛ مؤلفاته ١- اللثالي السنية في شرح الأجرومية (مجلدان).

٢- نهج النجاة فيما اختلف فيه النحاة..

٣- شرح الزبدة في الأصول.

٤- شرح التهذيب في النحو.

٥- شرح الصمدية في النحو.

٦- شرح شرح القطر للفاكهي.

٧- شرح شرح الكافي على قواعد الأعراب لابن هشام.

٨- طرائف النظام ولطائف الانسجام في محاسن الاشعار.

٩- شرح قواعد الشهيد.

١٠- رسالة الخال.

١١- ديوان شعر.

١٢- رسائل متعددة.

شعره: قال المحبي في نضحة الريحانة: هو في المعارف نسيج وحده والأدب طلاع ثنايا نجده، عاش حيناً في حانوت ينسج حلاً ويوشيه، ويطرز متون القراطيس بحبر أقلامه ويحشيه، وشفت ظروف حروف مبانيه، فنمت عن سلافة لطافة معانيه؛ كما نم الزجاج على الصهبا، والنسيم عن شذا الربى، وقد أوردت له من شعره الذي يباهي الديباج الخسرواني، ما يستعير اللطف منه الراح الاجواني^(١).

(١) المحبي: نضحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: ١٨٩/١.

* تاريخ بعلبك ٤٨١/٢ - ٤٩٢ (بيروت ١٩٨٤) وكتابه: تاريخ كرك نوح / ١٤٩ - ١٦٠ / وفي الصفحة الأخيرة ذكر مصادر شتى عن المترجم له.

وتوزع شعره بين المدح والثناء والغزل والحكمة: من غزلياته الرقيقة.

أودع مقلتي الأرقا	حباني الوجد والحرقا
بغير هواه ما علقا	وروع بالجفا قلباً
تسمت بيننا حدقا	رنا بصوارم خذم
بأسود خاله ووقى	حمى أوراد وجنته
له شمس الضحى شفا	ولاح بواضح أضحى
الورى ما زال منتطقا	له خصر بألحاظ
غدا قلبي له أفقا	فيا لله من بدر
حظيت به ونلت لقا	ألا يا حبذا زمن
لشمل الوصل مفترقا	زمان لم أجد فيه
وأهوى واضحا يثقا	أهيم بسالف حلك
ومركطارق طرقا	تولى مسرعا عنقا
على حال وإن رفقا	وطبع الدهر لا يبقى

ومن غزلياته قوله:

سمحت بوعد أو بطيف خيال	يا ليتها اذ لم تجد بوصالي
من أنني سال ولست بسال	جنحت لما رقص الوشاة ونمقوا
بجسيم نيران الصبابة صالي	كيف السلو ولي فؤاد لم يزل
ينجو الورى من سحها المتوالي	ومدامعي لولا زفيرى لم يكد
وسهاد جفن وادكار ليالي	ونحول جسم واحتمال مكاره
فيه سراب أو بلوغ آلال	فالام أظما في الهوى ومواردي
ألقى وقلبي عند ذات الخال	ولم اختياري عن فؤادي كل من
هيف الغصون بقدها الميال	هيفاء رنحها الدلال فأخجلت
يحوي لذيد الشهد والحرمال	في خدها الورد الجنى وثغرها
كرقيق غيم فوق بدر كمال	حجبت محياها الجميل ببرقع
ففرت بهن ولم تناد نزال	ونضت من الاجفان بيض صوارم
أضحى لديها في أشد وبال	ولكم عزيز كان يخشى بأسه
ومذال أهل الحب غير مذال	وأخو الهوى يلقي المذلة عزة

ومن فخره قوله:

الحمد لله أحرزت الكمال وما
وطلت فوق السهى قدراً ومنزلة
ونلت فضلاً به الاعداء قد شهدت
فالشمس ينكرها الخفاش ليس لها
أنا ابن قوم إذا ما جاء حيهم
يعفون عمن أتى في حقهم سفهاً
ويرغبون شراء المجد مكرمة
لكن دهري لم ينهض بكلـكـله
ولم يزل قدر أهل الجهل يرفعه

المديح

له في مدح الشيخ محمد جواد الكاظمي
جرى في حلبة العلواء شوطاً
ففاق السابقين إلى المعالي

بسعي ماعدا سنن السداد
وما هذا ببعد من جواد

وقال في مدح النجم الحلفاوي الحلبي وأرسلها إليه من دمشق إلى حلب:

فؤاد المعنى في التباعد مودع
ففي قلبه شغل من الوجد شاغل
وما باختيار منه أصبح نازحاً
سأشكو من البين المفرق بيننا
فجسمي نحيل قد نأى من أوده
فلو عادني العواد لم يهدهم إلى
ولو عاد من أهوى لعادت به القوى
وهل هم على العهد القديم الذي أنا
فيا سائراً يطوي المفاوز مسرعاً
إلى حلب الشهباء وأبلغ تحيتي
وخص بها عين الأفاضل بل ومن
جلا غيب الظلماء عن كل شبهة
علا رتبة من دونها اقتعد السهى
عليك سلام من محب متيم
فباعدك أضناه وذلك عنده

بحي الذي يهوى فلولموه أو دعوا
وليس له في العيش بالبعد مطمع
وماذا الذي فيما قضى البين يصنع
إلى الله عل الله بالشمل يجمع
وعيني لطول البعد لم تك تهجع
مكاني سوى ما من أنيني يسمع
لجسم بأثواب الغنى يتلفع
عليه مقيم أم لذلك ضيعوا
فعرج وقال الله مامنه تجزع
إلى من لبعد عنهم أتوجع
على فضله أهل الفضائل أجمعوا
وأحيا رسوماً للعلوى وهي بلقع
وأصبح كل نحوها يتطلع
لطول النوى أحشاؤه تتقطع
هو المسك ماكرته يتضوع

وله مستعيراً من علم البيان:

يا حبيباً أضحى جميل المعاني	وهو في الحسن مفرد في الحقيقة
قد مضى موعد بوصلك قدماً	وهو لاشك من عاك وثيقة
قال لي مواعي مجاز فقلت	الأصل في سائر الكلام بحقيقة

وله في الخال:

قال لي من غدا أمام أولي	العضل ورب المباحث الفلسفية
أن عندي برهان حق على نفسي	ألهيولي والصورة الجسمية
قلت ماهو فقال شامة حبي	قد غدت وهي نقطة جوهرية

قصد أن أثبات النقطة مستلزم في الهولي والصورة وقد حاول محاولة عجيبة ومثل هذا الاستعمال من ذكر ألفاظ المتكلمين ونحوهم من المهندسين والنحويين مما قال فيه ابن سنان الخفاجي ينبغي أن لا يستعمل في الكلام المنظوم والمنثور لأن الإنسان إذا خاض في علم وتكلم في صناعة وجب أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وأصحاب تلك الصناعة:

وجود الحريري في قوله:

تروم ولالة الجور نصراً على العدى	وهيات يلقي النصر غير مصيب
وكيف يروم النصر من كان خلفه	سهام دعاء عن قسي قلوب

وله أيضاً في الشكوى:

أشكو إلى الله لا أشكو إلى أحد	مانا بني من صديق يدعى الرشد
-------------------------------	-----------------------------

وتنزه الحرفوش يوماً في روض افترت بواسمه، وتعطرت نواسمه وتفتحت أزهاره، ونطق بلبله وهزاره، فقال يصفه^(١)

ومكان أنس قد حوى من لطفه	من كل وصف رائق مستحسن
فالريح تعبت في الغصون تمايساً	والطير تشدو باختلاف اللسان
فكأنه الفردوس أحرز صفوه	أمل النفوس ومستلذ الأعين ^(٢)

وقال متشوقاً إلى دمشق، وكان مقيماً في حلب:

سقى خلق الفحاء مغنى النواسم	وجاد رباها هاطلات الغنائم
ولا برحت تهدي إليها يد الصبا	نسائم يزري نشرها باللطائم
ولا زال يجري في أنيق رياضها	جداول تنساب أنسياب الأراقم
ودامت على الأغصان تهتف بالضحي	حمائم يشجي صدقها قلب هائم
ألا حبيذا دهر نعمت بظللها	أتيه به ما بين تلك المعالم
هصرت بها هيف الغصون كأنها	غصون أمالتها أكف النسائم

(١) نفحة الريحانة ورشة طلاء الحانة: ٢٠٠/١.

وقال في وصف الخال:

وشحرور ذاك الخال لم يجف روضة
ولكنه خاف اقتناص جوارح
المحيا ومن عنها يميل إلى الهجر
اللاحظ، فوافى عائداً يحمي الثغر

وله في وصف حسناء:

في وجه من أهواه كنز محاسن
في الثغر من در العذار زمرد
فيه لباغية النضيس الفائق
والخد تبر والشفاه شقائق

وقوله:

في الوجه إن فكرت روض ملاحه
فالخد ورد والعذار بنفسج
أضحت تدل على هواه أنفوس
والصدغ آس واللواحظ نرجس

وقوله:

صافيته من ضميري ود ذي ثقة
فعدت من بعده والدهر ذو عجب
فاعتضدت منه بمدق باللسان غدا
لا اصطفي في الوري لي صاحباً أبدا

وللحرفوشي مساجلة مع عدد من الشعراء تمت وقائعها في مدينة بعلبك وتناقلها الرواة وقد دونها سنة ١١٠١ هـ - ١٦٨٩ م نور الدين علي بن أبي الحسن الحسيني العاملي: قال جامع المساجلة^(١) يقول راجي عفوذى المتن، نور الدين علي بن أبي الحسن، إنه ما اتفق من فلتات الزمان وفريدات هذا الأوان، بعد أن ساعدت المقادير، وارتفعت على خلاف العادة المحاذير أن جمعنا جوامع الالتزام، والفتنا أسلاك الانسجام في رواب قد رق بليلها وراق أصيلها، وطابت بها النفوس، وتولعت بكل مانوس فتجارينا بذكر الشعر والأدب، وما اتفق في مطاويه من الطرائف والنخب حتى عد بعضه من الإعجاز، أو السحر المجاز فانبعثت عليه الخواطر والفكر، ودعت إليه دواعي الفكاهة والسمر، حتى أن كلامن الحاضرين، واجلاء الأدباء والمندامين صار ينظم ارتجالاً، ويجيد مقالاً، وكان رئيسهم الذي هو فريد الفن وفي هذا الشأن غاية ما يكون، مولى الشعر والآداب وجليب الفضلاء والانجباب، ذو الجمال والمجد الرياني مولانا الشيخ حسن الحانيني.. متعنا الله بطول أيامه، ولطائف أفاضله وأقلامه، فابتدأهم بنظم أول هذه القصيدة، وبهذا جاءت بالبراعة فريدة، وسلك الجماعة على منواله واقتفوا أثر سجاله، وذلك ببلدة بعلبك العلية التي لها بخصائص الفضل أهلية، فقال أيده الله وحماه وحرسه ورعاه الشيخ حسن الحانيني (المتوفي سنة ١٠٣٥ هـ):

حبيب قلبي له في الجسم نيران
ومدمعي دونه في الخد جيحان

(١) نشرت في مجلة العرفان ج ٥ مجلد ١٤ ص ٤٨٩.

الشيخ محمد الحريري الدمشقي

(وهو محمد بن علي بن أحمد الحرفوشي الحريري الكركي):

وحر شوقي إلى لقياءه متصل
الشيخ بهاء الدين العفيفي
ولا نعرف من حاله شيئاً:
وفكرتني في هواه لا يسكنها
الشيخ محمد الحريري
وكيف لا وهو فرد في الجمال وما
الشيخ حسن الظهيري

وهو الحسن بن علي بن الحسن بن يونس بن يوسف بن محمد بن ظهير الدين:

وقد أهيف كالرمح معتدل
والوجه منه يفوق البدر منزلة
الشيخ عبد الرضي
يميس في برده كالغصن في ميد
السيد أحمد الحسيني الحسيني
والخمر من ريقه تصفو مشاريه
الشيخ محمد الحريري

وخصره مثل جسمي في نحافته
قد ضاع في خده حب القلوب لذا
فلو تجمع في روضات وجنته
لما رنا وانثنى كالصبح غرته
الشيخ حسن:

نظرته لأرى نحسي وطالعه
ففر إنسان عيني نحو جنته

الشيخ بهاء الدين العفيفي:

لم أنسه ورضاب الثغر ينشدنا

الشيخ محمد الحريري:

لله أيامنا في جلق وبه
أيام قد جاد دهري والزمان بها

تمايلت في رياض الوصل أغصان
سارت كما سار بالاحباب أظعان

وطرف عاذلنا بالسكر وسان
وصل وفي القلب أوصاب وأشجان

ونحن في دعة والشمل مجتمع
فجاء من بعد ذا التفريق أبعدنا

الشيخ علي الحلبي:

وقد بدا منه للتفريق أحزان

ودعته وضرام الشوق في كبدي

الشيخ محمد الحريري:

زيادة المرء في دنياه نقصان

فقلت والدمع في الخدين منحدر

السيد نور الدين الحسيني:

علمت أن زمانني فيه خوان

قد جاد لي بوصال بعد طول صفا

لو كان لي من صروف الدهر أعوان

قد كنت أحذر ما لاقيت وأسفاً

محمد بن حماد

ودون ذلك أهوال وأهوان

أطمعت نفسي وقلت الدهر يجمعنا

فللمحبين أسراراً وكتمان

تجرع الصبر تدرك بعده فرجاً

وهذه المساجلة تدل على نهضة أدبية شهدتها بعلبك في بداية عهد الحرافشة: إذا اجتمع عشرة شعراء في مجلس علم وظرف وطرافة نجمت عنه مساجلة شعرية لطيفة، وتنم عن غزارة شاعرية الشيخ محمد الحرفوشي الحريري، وسرعة البديهة التي امتلكها لأنه فاز بأحد عشر بيتاً من أصل ست وعشرين في حين توزع زملاؤه التسعة خمسة عشر بيتاً فقط.



قلعة دمشق - القرن التاسع عشر

العقد الثمين في مقام الأربعين

لجامع الشيخ محمد أمين خادم الأربعين

على جبل قاسيون، وفي محلة «الأربعين» وقرب مغارة الدم، هناك مغارة (الجوع) وفي هذه المغارة مات أربعين نبياً أو ولياً من الأولياء الصالحين جوعاً وكانوا قد اختفوا في هذه المغارة هرباً من جور السلاطين في أزمان سابقة، ورأينا كراسة تتحدث عنهم فنحن ندرجها بتمامها للإحاطة بأحوالهم. حمداً لمن خص بعض الأماكن بما شاء من المزايا وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد أفضل رسله وسائر البرايا وعلى آله ذوي الخصال الحميدة وصحبه ذوي الفضائل السنية العديدة، أما بعد فيقول العبد الفقير إلى الله المعين محمد أمين المعروف بخادم الأربعين لما كنت قيماً على المستغاث بجبل قاسيون، الحايي من المآثر ما تقربه العيون، وكانت ترجمته متفرقة في التواريخ والسير غير مجموعة في كتاب سهل التناول مختصر أردت أن أجمع مؤلفاً حايواً لما قيل فيه من نثر ونظم واستطردت فيه بذكر فضائل الجبل والصالحية ومزاراتها الشهيرة وبقية مزارات دمشق لتكون للرسالة ختماً ولتسهيل الزيارة على قاصديها ويطلعوا على مآثرها وما فيها وربته على ثلاثة أقسام «الأول» في فضل المستغاث والجبل «الثاني» فيما قيل فيهما وفي الصالحية في الأشعار «الثالث» فيما اشتهر من المزارات في الصالحية وبقيّة دمشق وسميته (العقد الثمين في مقام الأربعين) وبالله التوفيق. قال تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدَمَ بالحق إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانَا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ أَنِي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ذكر أهل العلم بالأخبار والسير أن حواء عليها السلام كانت تلد لآدم عليه السلام في كل بطن غلاماً وجارية فكان جميع ما ولدته أربعين ولداً في عشرين بطناً أو لهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أم مغيث ثم بارك الله في نسل آدم عليه السلام قال ابن عباس لم يمت آدم عليه السلام حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاً قال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب.

الأول: إن آدم كان يغشي حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت بقايل وأخته فلم تجد عليهما وحماً ولا وصباً ولا طلقاً ولم تر دماً وقت الولادة فلما هبطا إلى الأرض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته لبودا فوجدت عليهما الوحمة والوصب والطلق والدم وكان إذا كبر أولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى وكان الرجل منهم يتزوج أية أخواته شاء غير توأمته التي ولدت معه لأنه لم يكن يومئذ نساء إلا أخواتهن فكبر قابيل وأخوه هابيل وكان بينهما سنتان فلما بلغوا أمر الله آدم أن يزوج قابيل لبودا أخت هابيل ويزوج هابيل اقليما أخت قابيل وكانت اقليما

أحسن من لبودا فذكر آدم لهما ذلك فرضي هابيل وسخط قابيل، وقال هي أختي وأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة، وهما من أولاد الأرض فقال أبوه آدم انها لاتحل لك فأبى أن يقبل ذلك وقال أن الله لم يأمرك بهذا وإنما هو من رأيك فقال لهم آدم قرياً لله قرياناً فأيكما يقبل قريانه فهو أحق بها وكانت القريابين إذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فأكلتها وإن لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تأكلها الطير والسباع فخرحا من عند آدم ليقريا القريان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام ردي وأضمر في نفسه (لا أبالي أيتقبل مني أم لا لايتزوج أختي أحد غيري) وكان هابيل يصاحب غنم فعمد إلى أحسن كبش في غنمه فقر به وأضمر في نفسه رضاء الله فوضعا قريانهما على جبل ثم دعا آدم فنزلت النار من السماء فأكلت قريان هابيل ولم يأكل قريان قابيل وذلك قوله تعالى: ﴿إذ قريا قرياناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك﴾ ذكر الإمام السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور عند قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله ما نصه واخرج ابن عساكر عن سيدنا علي رضي الله عنه إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال بدمشق جبل يقال له قاسيون فيه قتل ابن آدم أخاه واخرج ابن عساكر عن عمر ابن جبير الشعباني قال كنت مع كعب الاحبار على جبل دير مران فرأى لجة سائلة في الجبل فقال هاهنا قتل ابن آدم أخاه وهذا اثر دمه جعله الله آية للعالمين واخرج ابن عساكر من وجه آخر عن كعب قال إن الدم الذي على جبل قاسيون هو دم ابن آدم وقال هشام عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ياليتني بالغوطة بمدينة يقال لها دمشق حتى آتي موضع مستغاث الانبياء حيث قتل ابن آدم أخاه فاسأل الله تعالى أن يهلك قومي فانهم ظالمون فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد إيت بعض جبال مكة فأو بعض غاراتها لتعقلك من قومك قال فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر رضي الله عنه فوجدا غاراً كثير الذرات فجعل أبو بكر رضي الله عنه يمزق ثوبه ويسد الثقب والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول اللهم لاتنسها لأبي بكر وذكر الحديث. وما روى الحسن ابن شجاع الرعي بسنده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول وقد سأل رجل عن الآثار المباركة بدمشق فقال صلى الله عليه وآله وسلم بها جبل قاسيون فيه قتل ابن آدم أخاه وفي أسفله من الغرب ولد ابراهيم وفيه أوى الله عيسى واغتسل وصلى ودعا لم يرده الله خائباً فقال رجل يارسول الله صفه لنا فقال هو بالغوطة بمدينة يقال لها دمشق وازيدكم أنه جبل كلمه الله تعالى وفيه ولد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فمن أتى ذلك الموضع فلا يعجز في الدعاء فقال رجل يارسول الله أكان ليحيى بن زكريا معقلاً قال نعم اختبأ فيه من هدار رجل من عاد في الغار الذي تحت دم ابن آدم المقتول وفيه اختبأ الياس النبي من ملك قومه وفيه صلى ابراهيم ولوط وموسى وعيسى وايوب عليهم الصلاة والسلام فلا تعجزوا بالدعاء فيه رويناً بالسند إلى الوليد بن مسلم قال اوحى الله تعالى إلى جبل قاسيون أن هب ظلك وبركتك لبيت المقدس ففعل فأوحى الله تعالى إليه أما اذا فعلت فأني سأبني في حضنك بيتاً أعبد فيه بعد خراب

الدنيا أربعين عاماً ولأتذهب الأيام والليالي حتى أرد ذلك وبركتك فهو عندك بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرع وقال كعب الأحبار رضي الله عنه تخرب الأرض قبل الشام بأربعين سنة ويسنده إلى هشام ابن عمار قال سمعت من يذكر عن كعب الأحبار قال اختفى الياس عليه السلام من ملك قومه في الغار الذي تحت الدم عشر سنين حتى أهلك الله الملك وولى غيره فاتاه الياس عليه السلام وعرض عليه السلام فاسلم واسلم من قومه خلق كثير.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما «موضع الدم في جبل قاسيون موضع شريف كان فيه عيسى بن مريم عليه السلام والحواريون ولو كنت فيه لسألت الله تعالى المغفرة فمن أتى ذلك الموضع فلا يقصر عن الصلاة والدعاء فيه فإنه موضع الاجابة» قال مكحول امام أهل الشام رضي الله عنه قال سمعت كعب الأحبار رضي الله عنه يقول مغارة الدم موضع الحاجات والمواهب من الله تعالى فإنه لا يرد سائلاً في ذلك الموضع وقال التاج السبكي في الطبقات في ترجمة الحافظ أبي القاسم علي بن حسن بن عساكر قال ولده الحافظ بهاء الدين أبو محمد القاسم قال لي أبي لما حملت بي أمي رأت في منامها قائلاً يقول لها تلدين غلاماً يكون له شأن فاذا ولدتيه فاحمله إلى المغارة يعني مغارة الدم بجبل قاسيون يوم الاربعين من ولادته وتصدقني بشيء فإن الله تعالى يبارك لك وللمسلمين ففعلت ذلك كله وصدقت اليقظة منامها ونبهه السعد فأسهره الليالي في طلب العلم وغيره سهرها في الشهوات أو أنامها، وقال في الطبقات ايضاً في ترجمة أبي البيان نبأ ابن محمد القرشي المعروف بابن الحوراني مانصه وعن الشيخ عبد الله البطليحي^(١) قال رأيت الشيخ ابا البيان والشيخ ارسلان مجتمعين بجامع دمشق فسألت الله أن يحجبني عنهما حتى لا يشغلاني وتتبعتهما حتى صعدا إلى أعلا مغارة الدم وقد يتحدثان فإذا بشخص قد أتى كأنه طائر في الهواء فجلسا بين يديه كالتلميذين وسألاه عن أشياء من جملتها أعلى وجه الأرض بلد ما رأيته؟ فقال لا فقال هل رأيت مثل دمشق قال ما رأيت مثلها وكانا يخاطبانه يا أبا العباس فعلمت انه الخضر عليه السلام وقال مكحول سمعت أن معاوية خرج بالمسلمين إلى موضع الدم يسألون الله أن يسقيهم فلم يبرحوا حتى جرت الأودية وخرج مكحول مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع دم ابن آدم فسألوا الله أن يسقيهم فسقاهم وقال كعب مغارة الدم في جبل قاسيون موضع الحاجات والمواهب من الله تعالى فإن الله لا يرد سائلاً في ذلك الموضع وروى الوليد بن مسلم أن أهل دمشق كانوا إذا حبس القطر أو غلى السعر أو جار السلطان أو كان لأحدهم حاجة صعدوا موضع الدم في جبل قاسيون فيسألون الله تعالى ويدعونه فيعطيه ما سألوه ويستجيب لهم، وقال أبو مسهر «مغارة الدم موضوع الحمرة موضع الحوائج» يعني بذلك الدعاء فيها والصلاة وروى هشام الرازي عن أبي يعقوب الأزري عن أحمد ابن كثير قال صعدت موضع الدم في جبل قاسيون فسألت الله تعالى الحج فحجبت وسألته الجهاد فجاهدت وسألته

(١) هذه القصة ذكرها القاضي محمود العدوي في كتابه (الزيارات بدمشق) وفاته ١٠٣٢ هـ بتحقيق الدكتور صلاح الدين

الرباط فرابطت وأن يغنيني عن البيع والشراء فرزقت ذلك كله، ورأيت في المنام كأنني في مغارة الدم قائماً أصلي فإذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر الصديق وعمر ابن الخطاب وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين وهابيل بن آدم عليهما الصلاة والسلام فقلت بحق الواحد الصمد وأبيك آدم وبحق محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا دمك فقال أي وحق الواحد الصمد وأبي آدم هذا دمي سألت الله تعالى أن يجعله مستغاثاً لكل نبي وصديق ومؤمن ومن دعا فيجب به ومن سأله فيعطيه سؤاله فاستجاب الله لي وجعله ظاهراً وجعل هذا الجبل آمناً ومغيثاً ثم وكل الله عز وجل به ملكاً وجعل معه من الملائكة بعدد النجوم يحفظونه ومن أتى موضعه لا يريد إلا الصلاة فيه أن يقبل منه فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد فعل ذلك كرماً واحساناً وأني آتيه كل خميس وصاحبائي وهابيل فنصلي فيه لأنه مبارك، ويسنده إلى الزهري أنه قال لو يعلم الناس ما في مغارة الدم من الفضل لما هنا لهم طعام ولا شراب إلا فيها.

وجاء الفرنج مرة يقصدون دمشق فصعد الشيخ أبو عمر بن قدامة وأصحابه إلى مغارة الدم وقرؤوا اثني عشر ألف مرة إنا أنزلناه في ليلة القدر وقل هو الله أحد فارسل الله على الكفار مطراً غزيراً توحلت خيولهم فلم يقدرُوا على الوصول إلى دمشق، واحتاج الناس في بعض السنين إلى المطر فطلع الشيخ في جماعته إلى المغارة وكان يوماً حاراً بحيث طلب الجماعة ماءً للوضوء فتخاصم أهل المغارة لقلة الماء عندهم فدعا الشيخ وأمن القوم فجاء مطر عظيم حتى جرت الأودية، وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال موضع الدم في جبل قاسيون موضع شريف كان يحيى بن زكريا و أمه فيه أربعين عاماً وصلى فيه عيسى بن مريم والحواريون فمن أتى ذلك الموضع فلا يقصر فيه عن الصلاة والدعاء فإنه موضع الحوائج وفي رحلة ابن جبير الكاتب الأديب البارع اللبيب أبي الحسين محمد ابن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسي البليسي تغمدته الله برحمته قال: (وفي الجهة الشمالية من الجامع المبارك على مقربة منه إلى جبل قاسيون مدفن ألف نبي وقيل سبعين ألف شهيد وأن الأنبياء المدفونين به سبعمائة نبي والله اعلم) وخارج هذا البلد الجبانة العتيقة وهي مدفن الانبياء والصالحين وتربتها شهيرة وفي طرفها مما يلي البساتين وهذه من الأرض متصلة بالجبانة ذكرانها مدفن سبعين نبياً وعصمها الله ونزهها من أن يدفن فيها أحد والقبور محيطة بها وهي لا تخلو من الماء حتى عادت قرارة له كل ذلك تنزيه من الله تعالى. وبجبل قاسيون أيضاً لجهة الغرب على مقدار ميل أو أزيد من المولد المبارك (مولد سيدنا ابراهيم الخليل) مغارة تعرف بمغارة الدم بأن فوقها في الجبل دم هابيل قاتل أخيه قابيل ابني آدم صلى الله عليه وآله وسلم تتصل بنحو نصف الجبل إلى المغارة وقد أبقي الله في الجبل آثاراً حمراً في الحجارة تحك فتستحيل وهي كالطريق في الجبل وتنقطع عند المغارة وليس يوجد في النصف الأعلى من المغارة آثار تشبهها فكان يقال أنها حجارة الجبل وإنما هي من الموضع الذي جر منه القتال لأخيه حيث قتله حتى انتهى إلى المغارة وهي آيات الله تعالى وآياته لا تحصى.

وقرأنا في تاريخ ابن المعلى الاسدي أن تلك المغارة صلى فيها ابراهيم وموسى وعيسى ولوط

وأيوب وعلى نبينا الكريم أفضل الصلاة والسلام وعليها مسجد قد اتقن بناؤه ويصعد اليه على أدراج وهو كالعرفة المستديرة وحولها أعواد مشرجية مطبقة بها ويه بيوت ومرافق للسكنى وهو يفتح كل خميس والسر من الشمع والقناديل تنقد في المغارة وهي متسعة وفي أعلى الجبل كهف منسوب لآدم صلى الله عليه وآله وسلم وعليه بناء وهو موضع مبارك وتحتة في حضيض الجبل مغارة تعرف بمغارة الجوع ذكر أن فيها سبعين نبياً ماتوا جوعاً وكان عندهم رغيف فلم يزل كل واحد يؤثر به صاحبه ويدور عليهم من يد إلى يد حتى لحقتهم المنية صلوات الله عليهم وعلى هذه المغارة أيضاً مسجد مبني من بساتين وأرض ورباع حتى أن البلد تكاد الأوقاف تستغرق جميع مافيها وكل مسجد يستحدث بناؤه أو مدرسة أو خانقة يعين لها السلطان أو قافا تقوم بها ويساكنيها والملتزمين لها وهذه أيضاً من المفاخر المخلدة وفي الجملة فهو مكان لطيف شريف عليه الهيبة والجلال والدعاء فيه مستجاب قد دلت عليه الآثار الكثيرة. وفي الفضائل البهية لدمشق المحمية عن بعدنهم أن الأبدال رضي الله عنهم تجتمع في الليالي الفضيلة في المستغاث فيصلون هناك ويسألون الله تعالى ويدعونه وقد ورد بالأبدال أحاديث كثيرة منها ما أخرجه الطبراني عن عوف ابن مالك باسناد حسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «الأبدال في أهل الشام وبهم تنصرون وبهم ترزقون». وما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن علي رضي الله عنه باسناد حسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «الأبدال بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب» وما أخرجه الحاكم عن عطاء ابن رباح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «الأبدال من الموالي ولا يبغيض الموالي إلا منافق» وهذه الأحاديث منكرة في الجامع الصغير للإمام السيوطي.

وقد كتب محشيه العلامة الحفني مقالة بديعة شرحت حال الأبدال وكثيراً من رجال الغيب فلذلك أحببت نقلها ملخصاً قال به (قوله الأبدال سُموا بذلك لأن كل من مات منهم ابدل مكانه غيره أو لأن أخلاقهم بدلت بأخلاق الأنبياء أو لأنهم بدل الأنبياء فقد ورد أن الأرض لما فقد منها الأنبياء اضطربت واشتكت فاوحى الله اليها اسكني واجعل بدل الأنبياء فيك الأبدال يكونون على أخلاق الأنبياء أو لأن الواحد اذا سافر من مكانه وجاء شخص يزوره جعل الله بدله في محله روحانية حقيقية بحيث يتكلم مع الزائر كما لو كان حاضراً وهم أخص من مطلق الأولياء أي أعلى مرتبة وأخص منهم الأوتاد الأربعة كل واحد في ركن من أركان الكعبة والذي في ركن الحجر الأسود على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يمد الخلق بالامدادات العظيمة والثلاثة الباقية كل على قلب نبي من الأنبياء وأخص منهم القطب الذي على الكعبة الذي هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وله التصرف والامداد لسائر الأولياء الأحياء والأموات. (فائدة) قال الشبراملسي في تاريخ بغداد للخطيب عن الكتاني قال «النقباء ثلاثماية والنجباء سبعون والأبدال أربعون والأخبار سبعة والعمد أربعة والغوث واحد فمسكن النقباء الغرب ومسكن

النجباء مصر ومسكن الأبدال الشام والأخيار سياحون في الأرض والعمد في زوايا الأرض ومسكن الغوث مكة فإذا عرضت الحاجة من أمر الأمة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمدة فإن أجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته.

وروى ابن عساكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «الأبدال بالشام يكونون وهم أربعون رجلاً بهم تسقون الغيث وبهم تنصرون على أعدائكم يصرف بهم أهل الأرض البلاء والفرق» وأخرج الطبراني في الأوسط عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن بهم تسقون وبهم تنصرون مامات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر» وفي كتاب أحياء علوم الدين للإمام حجة الإسلام الغزالي من كتاب ذم الكبر والعجب قال أبو الدرداء رضي الله عنه إن الله تعالى عباداً يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء هم أوتاد الأرض فلما انقضت النبوة أبدل الله تعالى مكانهم قوماً من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله تعالى بصبر ثخين وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله تعالى واستخلصهم لنفسه وهم أربعون صديقاً ثلاثون رجلاً قلوبهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام لا يموت الرجل حتى يكون الله تعالى قد أنشأ من يخلفه، واعلم يا أخي أنهم لا يلعنون شيئاً ولا يحرقونه ولا يتناولوا عليه ولا يحسدون أحداً ولا يحرصون على الدنيا هم أطيب الناس خيراً وألينهم عريكة واسخاهم نفساً علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسو اليوم في خشية وغداً في غفلة ولكن مداومون على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدرى عليهم الرياح العواصف ولا الخيل المجرة قلوبهم تصعد ارتياحاً إلى الله تعالى واشتياقاً إليه وقدماً في استباق الخيرات أولئك حزب الله إلا أن حزب الله هم المفلحون قال الراوي قتل يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد على من هذه الصفة فكيف لي أن أبلغها فقال ما بينك وبين أن تكون في أوسعها إلا أن تبغض الدنيا فإنك إذا ابغضت الدنيا اقبلت على حب الآخرة ويقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا ويقدر ذلك تبصر ما ينفعك فإذا علم الله تعالى من عبده حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن أخي أن ذلك في كتاب الله تعالى المنزل (أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) قال يحيى ابن كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله تعالى وابتغاء مرضاته (انتهى) وحكى أبو بكر المطوعي عن رأي الخضر عليه السلام وتكلم معه أنه قال له اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قبض بكت الأرض وقالت إلهي وسيدي لا يمشي علي نبي إلى يوم القيامة فأوحى الله تعالى إليها اجعل على ظهرك من هذه الأمة من قلوبهم على قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا أخليك منهم إلى يوم القيامة قالت له وكم هؤلاء قال ثلاثمائة وهم الأولياء وسبعون وهم النجباء وأربعون وهم الأبدال وثلاثة وهم الأوتاد وعشرة وهم النقباء وسبعة وهم

المختارون وواحد وهو الغوث فإذا مات نقل من الثلاثة أي الأوتاد واحد وجعل الغوث مكانه ونقل من السبعة إلى الثلاثة ومن العشرة إلى السبعة ومن الأربعين إلى العشرة ومن السبعين إلى الأربعين ومن الثلاثمائة إلى الثلاثمائة هكذا إلى يوم يتفخ في الصور (انتهى) وقال العارف بالله تعالى ابن عربي في كتابه حلية الأبدال ما نصه أخبرني صاحب لنا قال بينما أنا ذات ليلة في مصلاي وقد اكملت وردي إذ أحسست بشخص نفض مصلاي من تحتي وبسط عوضه حصيراً وقال صلى عليه فداخلني فزع فقال من يأنس بالله لم يفزع ثم الهمت فقلت له بم تصوير الأبدال ابدالاً قال بأربعة التي ذكرها أبو طالب في القوت وهم الصمت والعزلة والجوع والسهر ثم انصرف ولا أعرف كيف دخل ولا كيف خرج وبابي مغلق (انتهى) (تنبيه) طعن ابن الجوزي في احاديث الأبدال وقال بوضعها وتعقبه خاتمة الحفاظ الإمام جلال الدين السيوطي رضي الله عنه بأن خبر الأبدال صحيح وأن شئت قلت متواتر وبأن هذا بالغ حد التواتر المعنوي بحيث يقطع بصحة وجود الأبدال ضرورة وقال الحافظ ابن حجر في فتاوته الأبدال وردت في عدة أخبار منها ما يصح ومنها ما لا يصح (قائلة) أخرج أبو نعيم عن معروف الكرخي قال قال من قال كل يوم عشر مرات اللهم أصلح أمة محمد اللهم أرحم أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد كتب من الأبدال ذكره العريزي في شرح الجامع الصغير وعن معاذ ابن جبل رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ثلاث من كن فيه فهو من الأبدال الذين بهم قوام الدنيا وأهلها الرضا بالله والصبر عن محارم الله والغضب في ذات الله».

القسم الثاني مما قيل فيهم من الأشعار قال العارف بالله سيدي عبد الغني النابلسي رضي

الله عنه.

جاء النسيم بأطيب النفحات	من قاسيون ومنزل السادات
فشفى غليل غليل قلب وامق	وأسر مضنى دائم الحسرات
يامعهداً بالسفح من ذاك اللوا	لا زلت مأوى الخير والبركات
كم من ولى فيك واره الثرى	بل من نبي في ذرى الهضبات
ياحبذا الكهف الرفيع وحبذا	تلك المغارة منجح الدعوات

وقال رضي الله عنه

بالقاسيون قست قلوب أحبتي	ولكم سرى فيه الصبا فترفقا
جبل كثير الخير كلمه الإله	فجال في ذاك اللسان وانطقا
كم من ولى قد توسد سفحه	بل من نبي حل فيه محققا
وكذلك الشهداء فيه تخالهم	أحياء من عدم البلاء ورزقا
ومغارة الدم والمحاريب التي	للأربعين من الرجال ومن رقى
ومغارة الجوع التي قالوا بها	كم من نبي مات جوعاً والتقى

وقال :

والصالحية يالها من منزل
وبها القصور العاليات تزخرفت
تسمو على أطراف جلق بهجة

وقال :

في الأربعين منازل الأبدال
ومغارة الدم يالها من منزل
لمعت بروق القرب من ارجائها
والأربعون لهم محاريب غدت
والحوض فيه الماء عذب سائغ
وهناك قصر قد تعلق بالهوى
وله شبابيك مطلات على
وبه النسيم تراه يقبل دائماً
وترى قبور الصالحين كأنها
والسفح بالأنوار يشرق كلما
كم من ولي في ثراه قد اختفى
والصالحية لم تزل معمورة
ماغردت في الروض ساجعة وما

أشراق حسن في الورى وجمال
للزائرين غدت شريفة حال
وتكلمت بالعز والأقبال
مملوءة من هيبة وجلال
من ماء غيث للورى هطال
يزهو بأشراق ويرد ظلال
كل الأماكن سهلها وجبال
زاكي الروائح منعش للحال
أزهار دوح في بها وجمال
وردت موارد ربنا المتعال
بل من نبي فيه أهل كمال
بالصالحين على المدى المتوالي
عطفت على الأغصان ريح شمال

وقال حسين العدوي الزوكاري:

وليل أدركنا فضل (قاسون) بيننا
فلم ندر إلا الفجر صار دليلنا
وفينا هداة للطريق وقادة
فسرنا فلا والله لم ندر ما الذي
فلما وصلنا المستغاث أغاثنا
فزرنا وكل نال وما كان ناويا
ومنه ركبنا الجو حتى كأننا
إلى أن هبطنا قبة الملك التي
راينا بها عقد الثريا معلقاً
فلم نر برجاً قبلها حل منزلاً

فكادت قلوب السامعين تطير
إلى سفحه والسفح فيه نفير
لهم كل فضل في الورى وصدور
قطعناه بعد المشي كيف يصير
به الغيث حتى غوثنا لمطير
وفرنا بوقت حسنه لشهير
نجوم سماء والسحاب ثبير
تسمى بنصر مذاعان نصير
وعين الداراي النيرات تشير
يسير إليه الناس وهو يسير

وأعجب شيء أن تراها مقيمة
واعجب من هذا تراها عقيمة
وعدنا فحيانا حيا فصل سحبها
إلى أن رمتنا بعد عالي مكاننا
وجئنا حمانا مطمئنين أنفساً
وتمشي كما يمشي الفتى ويفور
تربى بنات النعش وهي سرير
بريح له وقع الغمام صرير
على مفر فيها المقام غرور
على أن مرقى، المكرمات عسير

وقال القاضي شرف الدين أبو العباس أحمد بن قدامة ابن قاضي الجبل هذين البيتين:

الصالحية جنة
فعلى الديار وأهلها
والصالحون بها أقاموا
مني التحية والسلام

وقال بعضهم:

إن تكن جنة الخلود بأرض
أو تكن في السماء فهي عليها
بلد طيب ورب غفور
فدمشق ولا تكون سواها
قد أبدت هواءها وهواها
فاغتناها عشية أو ضحاها

قال بعضهم:

يامن أراد منازل الأبدال
لاتطمعن بها فلست من أهلها
واصمت بقلبك واعتزل عن كل من
واذا سهرت وجعت نلت مقامهم
بيت الولاية قسمت أركانه
مابين صمت واعتزال دائم
من غير قصد منه للأعمال
إن لم تزاحمهم على الأحوال
يدنيك من غير الحبيب الوالي
وصحبتهم في الحل والترحال
ساداتنا فيه من الأبدال
والجوع والسهر التنزيه العالي

وقال عبد الله بن أحمد بن حسين النصار:

سقى الله ماتحوي دمشق وحياتها
نزلنا بها واستوقفتنا محاسن
لبسنا بها عيشاً رقيقاً رداؤه
وكم ليلة نادمت بدر تمامها
فأها على ذاك الزمان وطيبه
فيا صاحبي إما حملت رسالة
فقل ذلك الوجد المبرح ثابت
فإن كانت الأيام أنست عهدنا
سلام على تلك المعاهد إنها
رعى الله أياماً تقضت بقربها
فما أطيّب اللذات فيها وأهناها
يحن إليها كل قلب ويهواها
ونلنا بها من صفوة اللهو أعلاها
تقضت وما أبقت لنا غير ذكراها
وقل له من بعده قولتي وأها
إلى دار أحباب لها طاب مغناها
وحرمة أيام الصباما أضعناها
فلسنا على طول المدى نتناساها
محط صبايات النفوس وأهناها
فما كان أحلاها لدينا وامراها

وقال آخر:

يا صاح كم في قاسيون وسفحه
فالريوة العليا يفضلها الذي
والنُيرب المشهور يعرف فضله
ومغارة الدم فضلها متواتر
والكهف جبريل الأمين لفضله
ومغارة الجوع الشريفة تحته
ولكم مكان فيه ليس بمسجد
ومقام برزة ليس ينكر فضله
رئي النبي مصليا في سفحه
وبه قبور الانبياء فمن مضى
فأدم زيارته وواظب قصده

وقال بعضهم في المستغاث:

إلا يا أخا العباد بادربهمة
هناك يحط الطالبون حمولهم
فهاموا وداموا بالدعاء لربهم
فذا مستغاث الأنبياء جميعهم
مقام عليه الله أسدى جلالة
به رئي المختار صلى وأدم
وأبدال أهل الشام فيه ابتهاهم
فيامعشر الإسلام لبوا إلى الدعاء
وصلوا وقوموا كل أن بذكره

وقال المرحوم الشيخ محمود أبو الشامات الشاذلي:

هذا قاسيون مرآة إلى
أحمد المختار تاج الأنبياء
فتراه ضاحكاً دوماً كما
فيه فادع الإله وابتهل
فالدعاء فيه مجاب لأمرا
فاقتداء بهم جئنا له
وسألناه قريباً عاجلاً

أحد محبوب رب العالمين
وأمام لجميع المرسلين
أحد تلقاه مثل الضاحكين
ثم ناد يا مجيب السائلين
وبهذا قال جم العارفين
ودعونا الله نصر المؤمنين
أن يغيث الشام بالماء المعين

وبه يحيى زروعاً مثلما
ونرى فصل الربيع عددا
من بلاء ووباء وغلا
فهو والله مجيب ما لنا
صادق الوعد تعالى ربنا
وقال أيضاً:

بدء الربيع به شم النسيم حلا
نحن به خمسة والله سادسنا
كأحرف خمسة في كلمة جمعت
فكلنا أحرف لكننا عدم
في علمه إذ ثبتنا هكذا وإلى

في سفح قاسيون في كهف ثناه علا
بجمعه فهو جمع للجمال جلا
الله قل أو محمد للاملا نزلا
وهو المداد لنا قمنا به ازلا
دوائر الأبد الموهوم مانزلا

القسم الثالث فيما اشتهر من الزيارات:

منها ضريح رأس النبي يحيى ابن زكريا عليهما السلام في جامع بني أمية كما روى زيد ابن واقد وكان موكلأ على العمال لبناء الجامع قال بينما والبنائون يبنون اذ وجدنا مغارة فاخبرنا الوليد بن عبد الملك فلما كان الليل جاء الوليد وبيده الشمع فنزل فاذا موضع ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع وفيه صندوق ففتحة فاذا فيه طست وفي الطست رأس ومكتوب على الطست هذا رأس نبي الله يحيى بن زكريا عليهما السلام فرده إلى مكانه وقد بنى عليه ضريح من الرخام الأبيض وعليه قبة خضراء مطرزة بالذهب. وعن عثمان ابن أبي العاتكة قال في قبلة دمشق قبر هود عليه السلام وقال ابن عساكر ومسجد علي بن حسين هو زين العابدين في جامع دمشق محروس معروف. (ومنها) ضريح نبي الله ذي الكفل عليه السلام، في سفح قاسيون وقبره ظاهر يزار وعليه بناء وعنده من الجلال والهيبة ما يحقق وجوده هناك (ومنها) كهف جبريل عليه السلام وهو مقام لطيف كما ذكره الحافظ ابن عساكر وابن بطوطة في رحلته وابن جبير الكناني في رحلته أيضاً أنه من الأماكن المباركة. واخبر الشيخ محمد الحايك البعلبكي من جماعة الشيخ عبد الرحمن بن داود الدمشقي الساكن في صالحة دمشق والمخير المذكور ثقة من أهل الخير والصلاح أنه توجد إلى الكهف المذكور فرأى خادمه وعنده جماعة فأخبره ان بعض الحاضرين ذكر أن في ذلك الكهف فدخلوا المغارة التي عند الباب وحضروا هناك فظهرت لهم بلاطة كبيرة فقلعوها ونزلوا فوجدوا مغارة سعتها نحو خمسة أذرع وأكثر وفي شمالها أيوان عليه سبعة أنفوس طوال مسجين بأكفانهم على هيئة العرب فتهيبوا من أن يدانوا ورجعوا واعادوا البلاطة إلى موضعها والمسجد فوق الغار المذكور وفيه سبعة محاريب إشارة إلى من في داخل الغار (انتهى).

(ومنها) حضرة الشيخ محي الدين بن عربي الطائي صاحب المقامات والكرامات والكشوفات

الظاهرة والخوارق الباهرة سلطان أهل الحقيقة وشيخ مشايخ أهل العرفان والطريقة وكم له مناقب شريفة وفضائل عليه منيفة رضي الله تعالى عنه ونفعنا ببركة علومه قبره ظاهر وعليه بناء عظيم ضمن جامع المرحوم السلطان سليم وفاته رضي الله عنه سنة ٦٣٨ هـ وولده محمد سعد الدين توفي سنة ٦٥٠ ودفن عند أبيه وولده محمد عماد الدين أيضاً توفي سنة ٦٦٧ ودفن عند والده كما افصح به القاضي محمود السبكي وفي ليلة السبت يقام به الذكر على طريقة الخلوتية.

وقال البربر:

رعى الله رعى صالحية جلق	ومن أمها بالوخذ والنص والسبت ^(١)
فكم ارشفتنا من كؤوس معارف	على يد محي الدين في ليلة السبت ^(٢)
سبتنا بها شعر الشعور فأحرزت	مناسكنا التكميل من ذلك السبت ^(٣)
مدى الليل ايقاظاً نراعي نجومها	وأهل الهوى والجهل في ظلمة السبت ^(٤)
فمن كان منا أصبح السبت عبده	والا فذاك النذل من أعبد السبت ^(٥)
ومن زار محي الدين جاء فتوحه	فلم يك محتاجاً لزائرجة السبت ^(٦)
فيا نفس ان ناسبت خدمة بابيه	فطوبى وبشراك ان انت ناسبت

(ومنها): الشيخ عبد الغني بن اسماعيل النابلسي العالم العارف صاحب التصانيف العالية والتأليف البديعة وله الكرامات والكشوفات الظاهرة توفي رضي الله عنه سنة ١١٤٣ ودفن في داره في الصالحية وقبره ظاهر يزار ويتبرك به وعليه بناء عظيم ضمن مسجد لطيف رضي الله تعالى عنه. (ومنها) أبو السعود الجعفري الولي الصالح قيل كان بينه وبين الشيخ أرسلان الدمشقي أخوة ومما قيل فيه أن من أم باب أبي السعود وجاء في حاجة بلغ المراد ونالها توفي رضي الله عنه سنة ٦٠٦ ودفن في سفح قاسيون بمقامه المشهور بالشيخ ابراهيم. (ومنها) الشيخ العارف أبو بكر ابن قوام ولد سنة ٦٥٧ ودفن في سفح قاسيون بمحلة المهاجرين. (ومنها) الشيخ العارف أبو بكر العرودكي ومن كلامه رضي الله عنه هذان البيتان من الشعر:

يقولون لي ضيعت عمرك في الهوى وما فاتني شيء اذا كنت ألقاكم
لئن كان قوم في الزوايا تقييدوا فأني أرى كل الوجود زواياكم

وكان من أهل المحبة والتوحيد عظيم المهابة توفي سنة ٦٧٢ ودفن في سفح قاسيون وله مقام عليه الجلال رضي الله عنه. (ومنها) محمد ناصر الدين المعروف اليوم عند أهل

(١) الوخذ والنص والسبت: صفات واسماء لهينات من المشي والسير.

(٢) اسم لليوم. (٣) الخلق. (٤) أي النوم.

(٥) الدهر. والنذل بالبدال المهمل: الوسخ، والنذل بالذال المعجمة: الخسيس من الناس الساقط.

(٦) الزائرجة: السبتية وهو اصطلاح. يعرفه من يؤم ذلك المقام ويلازمه.

دمشق والصالحية بالأسد الولي الصالح صاحب الأحوال والكرامات توفي سنة ٧١٣ ودفن في سفح قاسيون بزاويته المعروفة في زاوية الصوفية يقام بها الأذكار إلى الآن وتعليم القرآن وهي بيد أهل بركات الرفاعي الشيخ عبد الفتاح بن المرحوم الشيخ أسعد بحير. (ومنها) **الشيخ جمال الدين بن مالك النحوي** اللغوي الصوفي توفي في دمشق سنة ٦٧٢ ودفن في الصالحية في سفح قاسيون. (ومنها) **قبر الصحابي عبد الله بن وقاص وعمر بن عبد العزيز الفارسي، والشيخ ياسين الكيلاني** رضي الله عنهم جدد البناء عليهم سنة ١١٤٦ في سفح قاسيون. (ومنها) **الشيخ خالد النقشبندی** صاحب الأحوال السنية والكرامات العلية ومجدد الطريقة النقشبية توفي سنة ١٢٤٢ ودفن في سفح قاسيون في محلة الأكراد وعليه بناء وقبة رضي الله عنه. (ومنها) **عبد الرحمن العيني الصالحي** صاحب التصانيف الجليلة وله شرح الدرر وشرح البخاري وشرح النقاية وشرح ألفية العراقي وغير ذلك توفي سنة ٨٩٣ ودفن في تربته في الجامع الجديد في صالحة دمشق. (ومنها) **تربة أكراد الأيوبية** في جادة الأكراد وعليهم بناء وقبة. (ومنها) **الشيخ محمد تقالة** دفن في مسجد العفيف في صالحة دمشق رضي الله عنه توفي سنة ١٢١٧. (ومنها) **قبر بلال ابن حمامة الحبشي** مولى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجاهداً إلى الشام وأقام بها إلى أن مات سنة سبع وعشرين ودفن في مقبرة باب الصغير وقبره ظاهر معروف يزار. (ومنها) **أويس ابن أويس الثقفي** وكان من أهل الصفة توفي في خلافة عمر رضي الله تعالى عنهما. وقبره في مقبرة باب الصغير مواجاة الباب الرئيسي (ومنها) **أبو الدرداء** عويمر الخزرجي الصحابي الانصاري توفي بدمشق في خلافة سيدنا عثمان ودفن في مقبرة باب الصغير وزوجته التابعة المدعوة أم الدرداء الصغرى مدفونة عنده بقربه. (ومنها) **معاوية ابن أبي سفيان القرشي الأموي** مات بدمشق ودفن في مقبرة باب الصغير توفي في رجب سنة ٦١ وله من العمر ثمانون سنة وقبره ظاهر.. يزار.

(ومنها) **معاوية** الذي خارج باب الصغير. فإنه أبو ليلى وكان منه عفة ودين. (ومنها) **والثلة بن الاسقع** من أهل الصفة توفي في خلافة عبد الملك ابن مروان سنة ٨٣ وعمر ١٥٠ سنة ودفن في مقبرة باب الصغير وقبره معروف يزار. (ومنها) **سهل بن الربيع الانصاري** الصحابي الأوسي مات في خلافة معاوية ودفن في مقبرة باب الصغير سنة ٥٣ (ومنها) **فضالة بن عبيد** سكن دمشق ولي قضاءها لمعاوية توفي بدمشق ودفن في مقبرة باب الصغير. (ومنها) **بسرة بن هاتك الأسدي** وهو الذي قسم دمشق بين المسلمين بعد فتحها توفي بدمشق ودفن بها. (ومنها) **شمعون بن حنانة الأسدي الانصاري** توفي بدمشق ودفن بأرض

الشاغور. (ومنها) مكحول مولى سعيد بن العاص توفي بدمشق ودفن في مقبرة باب الصغير. (ومنها) ثلاثة من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجارية السيد فاطمة رضي الله عنهن في تربة باب الصغير. (ومنها) خولة بنت الأزور الصحابية وشرحبيل بن حسنة بقرب باب توما. (ومنها) ضرار بن الأزور الأسدي الصحابي. (ومنها) قبر أبي الدحداح وقبر عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما في مقبرة الدحداح. (ومنها) الشيخ ارسلان الدمشقي بن يعقوب بن عبد الرحمن ابن عبد الله الجعبري وقبره مشهور بظاهر باب توما توفي بعد الأربعين وخمسمائة. (ومنها) السيدة زينب بنت الإمام علي رضي الله عنهما وبجوارها السيدة سكينة في مقبرة باب الصغير. (ومنها) السيدة زينب أم كلثوم ابنة علي ابن أبي طالب أمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توفيت بغوطة دمشق في قرية الست. (ومنها) سعد بن عبادة الصحابي سيد الخرج توفي سنة ١٤ من الهجرة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ودفن في قرية مليحة. (ومنها) دحية الكلبي الصحابي رضي الله عنه توفي سنة ١٦ من الهجرة ودفن في قرية المزة. قالت عائشة الباعونية رضي الله عنها في محاسن دمشق.

نزد الطرف في دمشق ففيها	كلما تشتهي وماتختار
هي في الأرض جنة فتأمل	كيف تجري من تحتها الأنهار
كم سما في ربوعها كل قصر	أشرققت في سمائه الأقمار
وتناغيك بينها صادحات	خرست عند نطقها الأوتار
كلها روضة وماء زلال	وقصور سكانها أبرار

ومن أقوال الشيخ محمد المبارك:

مقامي دمشق الشام خير منازل	بها صفوة العز الأماجد تلبث
حدائقها تزهو بأبهى خمائل	بافنانها يلهو النسيم ويعبث
وتنفث مسكاً أزفراً نضحاتها	فتسحر الباب الوري وتنفض
وماهي إلا جنة في ربوعها	عرائس أكار المعارف تطمئ
بها من بحور العلم بحر مطمطم	تزج المطايا نحوه وتحث
هو الفرد محي الدين واحد دهره	وأعلم من عنه الملا يتحدث

والحمد لله في البدء والختام في ٧ شعبان المعظم سنة ١٣٤٨ من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

السيد حسين الحسيني آل مرتضى

المتوفي سنة ١٢٥٨ هـ - ١٨٤٢ م

• الدكتور حسن نصرالله*

السيد حسين (نور الدين) بن أبي سعيد حسن بن مصطفى الحسيني آل مرتضى ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم (عليه السلام).^(١) ولد في دمشق وأخذ علومه من مشايخها، ثم انصرف إلى دراسة اللمعة، وأكب على دواوين الفحول ينمي موهبته الشعرية، وحفظ قصائد دعبل والفرزدق في آل البيت. انقطع إلى العبادة وقول الشعر فامتدح آل العظم في دمشق. ثم زار بعلبك في نهاية القرن الثامن عشر واتصل بالحرافشة، فراقهم منطقته وسحرتهم حكمته وأنسوا إلى ثقافته الدينية فتطلعوا إليه ليكون عالم الشيعة الجعفرية في بعلبك. أغراه امراء الحرافشة إذ وهبوه ريع مئتي فدان في قرية دروس^(٢) مقابل قضائه فصل الصيف عندهم، وربما لأنه وجد غالبية سكان بعلبك يوالون آل البيت بينما أهل الشام يوالون الأمويين. وقد أشار إلى ذلك بقوله:

رأيت بني الشام أقل ودا لأهل البيت من كل العباد
وأكثر ميلهم والود منهم لآل أمية وبني زياد^(٣)

لم تنقطع زيارته عن دمشق حيث خلف ولده الوحيد محمد وقد ابتاع له دكاناً في سوق الحرير قبالة (حمام القيشاني) سنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م.^(٤)

إطمأن السيد حسين إلى بعلبك فاستقر فيها ينظم شؤونها الدينية والقضائية، وازدادت الهبات من قبل الحرافشة فأقطعوه أرضاً في دروس وتمنن وعلي النهري... تحدياً لتركبة التي حصرت الافتاء الرسمي بالمذاهب السنية، ورفضت إحداث مركز للافتاء الجعفري في البلاد فحقق الحرافشة إفتاء شعبياً أثناء حكمهم عندما اختاروا علماء جعفرين أولوهم شؤون الافتاء، وفي طليعتهم السيد حسين. وبما أن تركبة رفضت إصدار مرسوم يقره مفتياً، فبتقاضى راتباً من الأوقاف الإسلامية، ظل عمله شعبياً، ولم يصدر تواقيعه بسمه الافتاء أو القضاء، بل كان يوقع السيد حسين الحسيني، وإذا كانت الوثيقة الصادرة عنه تقرر نسب أحد الأشخاص أضاف عبارة (النسابة في القطر الشامي السيد حسين الحسيني).

(١) قال الأمين في أعيان الشيعة: «السيد حسين أبو سعيد بن السيد حسن، وفي بعض المواضع السيد حسين بن أبي سعيد حسن» ج ٢٥ ص ١٣٧. وأخذت تعريفي عن النسب الموجود لدى أحفاده، وقد كتب في عهده.

(٢) دروس: قرية مجاورة لبعلبك. (٣) وثيقة من مخطافات الشاعر. (٤) وثيقة شراء.

* تاريخ بعلبك ١٤١ / ١٦٠، بيروت ١٩٨٤

أصاب السيد حسين غنى في بعلبك على أيدي الحرافشة، فحجّ سنة ١٢٣٨ هـ / ١٨٢٢، وصادف وجوده في الحرم الشريف فمدح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقصيدة، ثم زار النجف والقى قصيدة رائعة في مشهد الإمام علي عليه السلام توحى مضامينها بأن السيد حسين عانى أمراً صعباً مازالت أسبابه مجهولة، ردها الرواة إلى حادثة سلب تعرض لها في طريقه، بينما أكد بعض المشايخ أن السبب سياسي يرتبط بمصايفات الاتراك لبنى الحرفوش الذين عايش مجموعة كبيرة من أمرائهم أشهرهم مصطفى توفي ١٧٨٦ م، وأولاده سلطان، وجهجاه توفي ١٨١٧ م وأمين ١٨٤١ م وقبلان بن أمين توفي ١٨٦٤ م وأبناء عمهم قاسم توفي ١٢٠٤ هـ / ١٧٨٩ م وجواد قتل سنة ١٨٣٣ م.

ظل السيد حسين يضطلع بمهامه الدينية من وعظ وإفتاء وقضاء وتعليم مما أحدث حركة علمية أمنت وجود العلماء الشيعة في بعلبك بانتظام. وقد خلفه ابنه السيد محمد بعد وفاته سنة ١٢٥٨ هـ - ١٨٤٢ م، ودفن بمقبرة باب الصغير في دمشق. (الأمين: أعيان الشيعة: ١٣٧/٢٥)

آثاره:

- ١- ديوان في آل البيت، مخروم الأول والآخر، مكتوب بخط جيد بقي منه أربع وسبعون صفحة في كل منها عشرة أبيات.
- ٢- قصائد متفرقة لم تجمع في كتاب، معظمها في المدح (لدي صورة عن هذه الوثائق).
- ٣- مجموعة رسائل إلى ولده محمد، مضمونها الوعظ والارشاد والحكمة.

المديح:

لم يعن بجمع مدائحه وظلت في أوراق بعثرها الزمن فضاع قسم منها، وما وجدته يكفي للدلالة على منحاه المدحي، لقد وزع قصائده بين أمراء دمشق وبعلبك وجبل عامل والأمير بشير الشهابي وابراهيم باشا المصري. وفي أغلب الظن انه مدح أمراء دمشق قبل اتصاله بالحرافشة لأن المدائح تبوح بطلب المساعدة المادية. ففي قصيدتين موجهتين إلى محمد آل العظم وولده عبد الله ركز على الكرم والعطاء وطيب الأصل. ووجه بضع قصائد إلى جبل عامل للسيد علي بن محمد الأمين جد السيد محسن صاحب كتاب (أعيان الشيعة)، واتصل بالأمير الشيخ محمد الناصيف ابن الأمير ناصيف آل نصار، وهناك بالعودة إلى جبل عامل، وكان الجزار قد انزل بآل نصار الشدائد وأخرجهم من بلادهم وصادر املاكهم، وبعد وفاة الجزار أعادهم الوالي عبد الله باشا الخزندار إلى ديارهم (الأمين أعيان الشيعة: ١٣٨/٢٥).

ولما ورد ابراهيم باشا إلى بعلبك سنة ١٨٣٢ م انشده اليد حسين قصيدة معانيها الشجاعة والكرم وحسن السياسة، ويبدو أن اللقاءات تكررت بين السيد وابراهيم باشا، فخاطبه يوماً بأبيات أنهاها بقوله:

يا بني الزهراء والنور الذي ظن موسى إنه نار قبس
صح عندي أن من عاداكم هو من آخر سطر في عبس^(١)
فنهض إبراهيم باشا وقال: «أنا لست منهم، أنا لست منهم».

مع الحرافشة

لعله أكثر من مدائحهم لكنني لم أعر إلا على ثلاث قصائد الأولى فيها ذكر الأمير أمين والثانية في قبلان والثالثة في جهجاه.

وقد وجه قصيدته للأمير أمين مستغنياً به من أذى واعتداءات على أراضيه التي منحه إياها الحرافشة في قرية تمنين، ونفذ الاعتداء (ياسين) شيخ تمنين المشرف عليها.

إننا نعيذ معاليكم بياسين	ونستعيد بكم من شرياسين ^(٢)
أشقى شيوخ قرى بعل وأكثرهم	أذية وفساداً شيخ تمنين
المستحل أذى أبناء فاطمة	رهط النبي وأبناء الميامين
أرى أذاه ولكن لا أرى أحداً	الا الأمير أمين منه ينجيني
حسبي عليه أبو قبلان منتصراً	ومنجداً منه يشفيني ويحميني

وتقول الرواية أن الأمير أمين أوكل إلى ولده قبلان القاطن في رياق أن يضع حداً لشيخ تمنين وتجاوزاته المتكررة، فأحضره واعدمه شنقاً (في سلم كبير) أما المعاني المدحية فالأمير أمين صاحب المكارم التي لا تحصى وتفوق رمل يبرين، منيع الجار له سطوة السلاطين، شمانله أبهى من الورد، وطيب ذكره كنشر المسك، وتبدو الروح الشيعية المتبادلة بين الأمير والسيد عندما تمنى أن يلقياً معاً يوم القيامة الإمام علي، ويسقيهما من الكوثر:

ووالدي المرتضى ساقى العطاش غداً من حوضه سوف يسقيه ويسقيني

ولما مدح الأمير قبلان عدد مآثره ووقائعه التي رواها الناس بطولات فريدة. في سنة ١٨٣٢م دخل إبراهيم باشا بعلبك وطرد الأمير أمين وولده قبلان لميولهما إلى الأتراك وأرسل وراءهما أربعماية فارس من الهنادي فأدركوهما قرب (القريتين)، فوقف الأمير أمين يحرس الحريم، وكر ولده قبلان مع اثني عشر فارساً على الهنادي واخترق بسيفه جموعهم، ورجاله يحمون ظهره، فبدهم مرقاً وقتل منهم عدداً. فأشار شاعرنا إلى هذه الواقعة بقوله:

سل عنه يوم (القريتين) وقبله	في يوم (حمص) فذاك يوم ثان
وسل الهنادي ما لقوا لما التقوا	معه وما لاقوا من الخذلان

ومن مزايا جهجاه انه صنو الجود والندی، له فتكات بكر، رد جيوش الوزراء عن بعلبك وأهلك أعداءه.

(١) آخر آية في سورة عبس هي: (اولئك هم الكفرة الفجرة) سورة ٨٠ آية ٤٢.

(٢) ياسين الأولى سورة في القرآن الكريم، والثانية اسم شيخ تمنين.

أما خصائصه المدحية فتميزت بمراعاة صفات الممدوح، من منصبه السياسي إلى مكانة اجتماعية.. فالأمراء: الحرافشة، وبشير الشهابي، وإبراهيم باشا... هم رجال سياسة وسيف وعلم وعدل.. وتجلّى مدحه للحرافشة بعاطفة دينية أو أصرها محبة آل البيت، فأشرك نفسه معهم وذكرهم بنسبه الشريف، وقد خصهم بتعداد معاركهم التي روت بطولاتهم وشجاعتهم، واقتصر في مدحه للعلماء على الزهد والتقوى والنسب الشريف، ويبدو أن الموهبة الشعرية لم تسعفه دائماً إلى إبداع الصورة، فكررنا من ممدوح إلى آخر وقد داول قصائده مقايضاً بين الأسماء، مغيراً القافية دون المعنى والوزن واجتزئ بمثال واحد، أنشد في الأمير بشير الشهابي:

غدت الشام منيرة لما غدا
لا غرو فالبدو المنير إذا بدا
وقال في الأمير قبلان:

غدت الشام منيرة لما غدا
لا غرو فالبدو المنير إذا بدا
وردد الصورة نفسها في مدح إبراهيم باشا:

غدت الشام منيرة إذ حلها
أسد كريم العنصرين جسور

وإذا كان قد مدح جملة من الأمراء فقد خزن هجاء ليصبه علي والي عكا أحمد باشا الجزائر. لم يشغف بالهجاء إنما تعرض لمن آذوه، أو ظلموا الشعب عامة، فجردهم من الرحمة ومن وصمهم بالكفر أمثال شيخ تمنين والجزار الذي نال قصيدة بعد وفاته آتت سجلاً حافلاً بصور الواقع الاجتماعي المرير الذي فرضه على البلاد ولم يهمل الشاعر مظلمة واحدة بل تحرى فصول الحياة فألفها تعيش النكد وتعرية الخريف لأن الجزائر كان جزراً خبيراً بمهنته، اصطفى الأثرياء وسلبيهم كل ما يملكون، إختار سمان القوم وأعرض عن عجفائهم، لكن جشعه مال به إلى عامة الشعب فسقاها كأس الردى وبدد شملهم، فلاذ الناس بالهجرة مغادرين إلى بلاد بعيدة. في حين لاقى الصامدون ضروب الشقاء والمذلة.

وأتى على ذكر (كنج الشقي) ^(١) السابلة، فلزم الناس منازلهم خشية الحكام - قطاع الطرق، وياتت الأسواق والدروب خالية من المتجولين، وتظاهر الناس بالفقر، وبدلوا ثياب العز بملابس رثة. وابتغاء خلاص الأذى، لكن كنج نشر أكراده يسطون على المتاع والمال والغلا والجواري حتى انقلب التجار الأغنياء إلى متسولين. ولاحت من الشاعر التفاقة إلى خنق الحريات، فالشكوى تودي بصاحبها إلى الاعتقال وفي عكا تصدر أوامر الإعدام غرقاً في البحر. اعتبر الشاعر نفسه

(١) هو كنج بن محمد الحرفوشي عيَّنه الجزائر - بمساعدة والي الشام اظن إبراهيم باشا - متسلماً لبعلبك سنة ١٧٨٧م ثم طرده الأمير جهجاه الحرفوشي وسعى به فقتل سنة ١٧٨٨م.

أرث هموم الشعب وحامل آهاته ودموعه فأجاد تصميم الصورة المأساوية رسمها لوحة ملونة بالتنسفي من موت الجزار. لأن المرارة لا تتمثل في مقاطعة دون أخرى بل شملت بلاد الشام بأسرها، وللقصيدة منحى سياسي ديني تنم عنه نغمة الفرح المسيطرة على المطلع، ألا يكفي أن يموت حاكم ظالم ما عرفت البلاد مثيلاً له في القسوة والتسلط، فجر أحقادهم ضد الشيعة: أحرق مصنفاتهم وشرذ بهم، وقتل علماءهم وزعماءهم في جبل عامل فغادروا إلى العراق وبعلبك، وكان الهجاء تشفيماً بموت أحقر وزير معتد باغ ظالم كافر...

وبعد أن صبّ عليه اللعنات أرخ وفاته بقوله:

وقال لي الخاطر قد زال الصدا اذ سقي الجزار من كأس الردى
قل وأرخ «أي أن فقد» لاسقى الله ثراه أبداً

الشعر الديني:

ذخره ليوم المعاد مدائح الرسول الكريم والإمام علي ورثاء الحسين، ولما كان الثواب منيته أطل قصائده، وجاوز بها المائتي بيت^(١) كان يفتح بذكر الرسول ويشدد على أخلاقه السامية من صدق وأمانة وتسامح، وعرج على المعجزات، فالما نبع من بين أصابعه والشجرة آتته طائفة... وهو نور هداية:

لما بدا نور الحبيب تقشعت غمّاؤها وانجاب ليل دجاها
ومزج مدح النبي وعترته الطاهرة: بدأت بمدحي إذ به بدء فطرتي
بأكرم خلق الله رب الشريعة وعترته الأظهار خير البرية^(٢)
محمد مبعوث للناس رحمة

ولما كان الإمام علي (عليه السلام) موضوع الخلاف بين المسلمين أفاض الشيعة في الحديث عنه وكأنهم يبغون انصافه فالسيد حسين أكد إمامته وعصمته، وحشد الحجج والبراهين العقلية والنقلية في دعم آرائه. واستشهد بآيات القرآن الكريم التي نزلت بحق الإمام علي واردفها بأحاديث النبي المفسرة للقرآن، فكانت القصيدة كتاباً جامعاً لفضائل علي شارحة لعقيدة الشيعة.

أنبأت آية التباهل عنه فاسأل العارفين ممن تلاها
والكتاب العزيز شاهد صدق فإرع آياته كمن قد رعاها

لكن المغالاة ترقى به إلى درجة التأليه تلك الخاصة التي نهي عنها الإمام علي بقوله: «هلك في أثنان محب غال وبمغض قال» ومع أن شعراء الشيعة برروا اعتقادهم بعلي وأكدوا إنسانيته فقد منحوه في أشعارهم أبعاداً إلهية. وهذا السيد حسين يعترف بأن الإمام علي دون الأله وفوق البشر لكنه نفس النبي محمد وأخوه:

هو دون الإله، والخلق طرا دونه إذ علاه فوق علاها

(١) بلغت قصيدته في مدح الإمام علي مائتين وثمانية وأربعين بيتاً.

(٢) ديوانه: ١٣

غدت الشام منيرة لما غدا
 لا غروراً بلد المنير اذا بدا
 هو ما جد ما انت له بين الوري
 وهو الذي رفع اليه يمن قدرة
 وهو الشهاني الذي اخلاقه
 والضمم القرم الذي صلواته
 واخو المعارق والعوارق حسبه
 اسدى الجمل الى الانام ففعله
 لم تجر يا بني الهمة ما بين الوري
 يا ايها الشهر الجليل ومن له
 اني نظرت الى الرجال فلم اجد
 والمجد اجمعه باجماع الوري
 من قال يوجد في الشبكة مثلكم
 سعت الانام سياسة ما ساسها
 وبسطت بسط العدل في هذا الوري
 وماتت افئدة الرجال محسبة
 الازلت في فكك المعاني مشرقاً
 اولني سلماً مع نكرك مطلقاً

في فطرها السامي الاير بشير
 ليلاً فان به البلاد تنير
 في كل مكرمة تعد نظير
 فوق الوري فله الرجال نشير
 روض اربع والاكن جود
 نردى العبد اساقها وتبير
 لا السطة الانام وجمع الجمهور
 المحمدين بين الناس والمشكور
 الاتضوع مندل وعبيد
 الاحلال والتعظيم والتوقير
 الاعليك رعى العلاء تدور
 وفق عليك وانت فيه حدير
 اخذ فذاك من الرسل انفع
 كسر انوشروي ولا سا بور
 فلدى الخلايق ذكرك المعطور
 لك يا بشير فحبت انت امير
 ابدوا حوككم من بينكم بدور
 ابدوا حوككم من بينكم بدور

هـ

ظيّر الأفراس في الدرع هذا
 وبشر الغيرة في الفتح هذا
 قد نعى شرّ وزير هذا
 ظلم ما حاتم من هذا وردها
 طامحاً في الدنيا وبها هذا
 ولكم التي كرمها بردا
 ما التفت منه صفاء وردها
 حشر العالم عزها بددا
 ورعي المورق من هذا هذا
 لا أرى الجزار أن هذا
 إذا صار الفتح من هذا هذا
 ومنزل الصالحين السعدا
 فكيف لم يزل هذا
 سلم كيف التيقن لهذا
 له توفيق عليه اعتقادا
 يطيعه في كل شيء هذا
 أو جاء بالعباد من هذا هذا
 جاء البها من هذا هذا
 خلق إذا ما لره ناهكتا
 سيجسام ظلمه وجردا
 واستمر من الفلق وناقالا
 اتاه به كالجرح من هذا
 باقيد بالآثار أن أم هذا
 في الخشب الطريق على هذا
 ويرتج وسطا سوا بالهذا
 وعش أن تبصر من هذا هذا
 كم في من خوف قد لهذا
 ثم سعت العتاب هذا
 نحلها الجاد سوي لهذا

وهذا الشرح الكرم هذا
 أحد الخبز وأما هذا هذا
 واحد الخلق بعد ما هذا
 منه قطر الشام إلا هذا
 دلو من بيت جي هذا
 وسماه الخبز حتى هذا
 لها من هذا هذا
 كل شخص راجع إلى هذا
 وعليه عدة الكتب هذا
 جازة لله والبعث هذا
 وهي كناية على هذا هذا
 ومنزل الصالحين السعدا
 وعلى من قال فيه رشدا
 أو رآه منه رتباً أو هذا
 وإن شاء الله بلاء هذا
 وسجدة الله المثل هذا
 له على وعلى هذا هذا
 وفيه فلعن هذا هذا
 وشام ربح ملكه تسليدا
 وهو ربح من هذا هذا
 ثم التفت إلى من هذا
 أو من هذا من هذا هذا
 ربح من هذا هذا هذا
 ربح لا تبصر فيها هذا
 ثم تقي به أو كغير هذا
 ليس من من هذا هذا
 في بيته وشاع أنه هذا
 أو أعما ما ليس من هذا
 ما أن عرفنا سبطهم ما هذا

من كل كرم إذا ما هذا هذا
 صعدت في الدنيا من هذا
 لم يزل لظلم من هذا
 فإذا حصل على شخص هذا
 يفتح الإنسان ما هذا
 وقد رأى شخصاً من هذا
 ما هذا الجزار من هذا هذا
 لأن من أطاع قد سعدا
 وليس من هذا هذا
 ناله قد ناله من هذا
 ذاك الذي به الإرو هذا
 وما عليه كخبر هذا
 فظلمه وعليه أبدا
 لهذا ليس من هذا
 ولهذا ذكر ما قد هذا
 به وقع الإنسان ما هذا
 ثم لا رجاء له هذا
 كم ما شاء أحرقاً قد هذا
 وعظماً أو من هذا
 ما على أبصر هذا
 وأضاع هذا هذا
 قد سلوا متعة وأخذوا
 ثم كسوا وسفوا هذا
 هذا كم من هذا هذا
 وبعضها من هذا هذا
 بالرافض ما هذا
 لنفس الكرم من هذا
 وبينما الأمر قد هذا
 أو البشر قال هذا هذا
 فخرت الخلق جميعاً هذا
 وقال في هذا هذا هذا
 فله ربح أي أن هذا

إردع قطا شخص هذا
 إلى عتاب خيفت هذا
 لا ولم يحسن المكي هذا
 حبره من سرج متعبا
 طه الذي حارب هذا
 الهدى الذي به الإرو هذا
 ومن عصاة دخل النار هذا
 ما أن كرمه جوهرا هذا
 كرمه من هذا هذا
 يملأها ما هذا هذا
 وعنها خلقاً من هذا
 وفي من هذا هذا
 أنهم من هذا هذا
 من ذكر ما صار وما كان هذا
 من شاع وبجميع الولا
 وربما سلك طرق الفتح
 بعد ما يروى ما لهذا
 وفي الآن علنا ما هذا
 أم كعبي لهذا هذا
 مرشد ما من حلل هذا
 من بيته وفرضه في هذا
 وزبح وسطا من هذا
 شاعه وبسبب من هذا
 طر شامت علنا قد هذا
 مثا له قطا على طول هذا
 وماتت العالم من هذا
 وناره قد عطلت من هذا
 بشر كم الجزار في الرض هذا
 وشكر الدار من هذا
 أو سفي الجزار من هذا
 لا سفي الله لراه أبدا
 لهذا

واستغرق في المدح وكأنه نسي التمهيد لما خلق في رحاب علي وعاش أجواءه القدسية فراح يثير الشبهات ويضفي على الإمام صفات إلهية عاذراً كل المغالين:

أبلام امرؤ اذا قال فيمن	حارفي كنه ذاته عقلاها
لم ألم فيك من دعاك إلها	ودعا الناس للغلو اشتباها
شاهدوا قدرة الإله عيانا	فيك فاستأمر الغلو حجاها ^(١)
قد حباك الإله ما اختص فيه	من صفات بها عرفنا الإله
لم تشاركك في صفاتك ذات	غير من كنت نفسها وأخاها ^(٢)
بك أهلاكها استدارت وسارت	كل سيارة ببرز سماها
ولقد كنت للعوالم سراً	سراي جادها وسريقاها ^(٣)

وإذا جزنا إلى رثاء الحسين واجهتنا العاطفة الصادقة المتشحة بلون الحزن، فالدموع تبلل الكلمات الراسمة مصرع الحسين، البطل الملقى على الأرض، ويحمل الخيال الشاعر إلى ساحة كربلاء فيشيم الخيول ترض أضلع جده، والسهام تأوي إلى جسده فتدميه، ويكمل مسيرة الفاجعة بلوحة جديدة متحركة عنصرها الأساسي رأس الحسين مرفوع على سمر القنا تطاف به البلدان ويستقبله يزيد في دمشق بشماتة ولؤم، وتثور حفيفة السليل فيعرض بيزيد وابن زياد ويصفهما بأولاد العواهر. ثم التفاته راصدة إلى المآتم فيان خلوا من أهل بيت الحسين وأصحابه، اذن من يقيم المناحات؟ لم يجد شاعرنا سوى الطبيعة تشارك بكل عناصرها الأرضية والسموية: الأشجار والجبال والجن والنجوم والملائكة، وكأنني به نسي تصوير بطولات الحسين وأهداف ثورته، واكتفى بعرض الفاجعة مشحونة بالمبالغات.

هذه قصة شاعر من بعلبك عنت يد الجهل على نتاجه فضاع قسم منه، وربما كان الضائع أحصى بتصوير الحياة السياسية والاجتماعية.

نماذج من شعره

قال يمدح الأمير أمين الحرفوشي، وينتصر به على شيخ تمنين.

إننا نعيد معاليكم بياسين	ونستعيد بكم من شرياسين
أشقى شيوخ قرى بعل وأكثرهم	أذية وفساداً شيخ تمنين
المستحل أذى ابناء فاطمة	رهط النبي وابنائه الميامين
والبائع المتجر الباقي بعاجله	والمشتري الحظ من دنياه بالدين
أخو الشقاء الذي مازال يقصدني	بالضر منه، ولم يبرح يناويني
أما درى أننا قوم محبتهم	فرض على الناس من عال ومن دوني

(١) استأمر: شاور.

(٢) نفسها وأخاها: كناية عن النبي محمد.

(٣) الديوان: ٣١.

كانت وآدم بين الماء والطين
من حوضه وهو لا ينفك يؤذيني
إلا الأمير أمين منه ينجيني
ومنجداً منه يشفيني ويحميني
بالبشر منه ويعطيني ويولينني
ولا كطيب ثناء مسك دارين
من حوضه سوف يسقيه ويسقيني
طول الحياة وفي عز السلاطين

قال من قصيدة طويلة في مدح الإمام علي (عليه السلام):

لا نبي ولا وصي حواها
أيضاهي فتى به الله باها
لم ترم أن تنالها أنبيهاها
كل راء بناظره يراها
والتعامي قضى لها بعمها
دونه، إذ علاه فوق علاها
فاسأل العارفين ممن تلاها
فارح آياته كمن قد رعاها
جاوزاً منتهى ارتفاع علاها
دونه كان مرتقى أوصياها
وعلي وأحمد مقلتاها
حارفي كنه ذاته عقلاها
ودعى الناس للعلو اشتباها
من علا فيه ذو البصيرة تاهها
فيك فاستأسر الغلو حجاها
من صفات بها عرفنا الإلهها
فيك كل بعينه قد رآها
غير من كنت نفسها وأخاها
كل سيارة ببرز سماها
سراي جادها وسربقاها
دونها في الظهور شمس ضحاها
يعمل العاملون في دنياها

وإننا من بني قوم ولايتهم
فكيف يسقيه في الأخرى أبو حسن
القى أذاه ولا ألقى إذا احداً
حسبي عليه أبو قبلان^(١) منتصراً
وهو الأمير الذي مازال يتحفني
أقسمت ما الورد أبهى من شمائله
ووالدي المرتضى ساقى العطاش غداً
لا زال في نعم يغدو وفي رغد

لعلي مناقب لاتضاهي
من ترى في الوري يضاهي علياً
رتبة نالها الوصي علي
فضله الشمس للأنام تجلت
ومراض القلوب عنها تعامت
هو دون الإله، والخلق طرا
أنبات آية التباهل عنه
والكتاب العزيز شاهد صدق
وسواء كلاهما في المعالي
غير ما أن للنبوة مرقى
ما أرى الكائنات إلا كنفس
أيلام امرؤ إذا قال فيمن
لم ألم فيك من دعاك إلهها
حير الواصفين ما أنت فيه
شاهدوا قدرة الإله عياناً
قد حباك الإله ما اختص فيه
وصفات الجليل جل علاه
لم تشاركك في صفاتك ذات
بك أفلاكها، استدارت وسارت
ولقد كنت للعوالم سراً
قد تجلت لك الغيوب جهاراً
أنت عين الإله تنظر فيما

(١) أبو قبلان: الأمير أمين الحرفوشي.

لتكون الرقيب مادمت فيهم
كل قوم توسلت بنبي
عنه سل آدمأ بمن تاب عنه
وبه قد نجت سفينه نوح
وبه الله قال للنار كوني
ولقد كان بردها بسلام
وعلي هو المناجي لموسى
وعلي به توسل عيسى
ملاً الأرض والسموات نوراً
سورة النور فاتلها إن فيها
لفظها مخبر عن الله لكن
مركز الكائنات كان علياً
علم ماكان أو يكون لديه
إذ هو الباب للمدينة للعلم
والمزايا التي تجمع عن فيه
ولقد خص دونهم بصفات
عمل واحد كضربة عمرو
أمر الشمس أن ترد فردت
وعلى البيت أن يطوف ويسعى
وهو يأتي بما عليه ولكن
كانت العرب صخرة وعلي
فعلى الكافرين سوط عذاب
عنه سل خيبراً وبدراً واحداً
من حروب كثيرة ليس تحصي
حصد المشركين حصداً ذريعاً
لم يذر منهم سوى من يرى في
دينها حبه ويفض عداه
واسأل الناكثين كيف لقاهم
واسأل القاسطين تنبيك عنه
فتح الله مكة بعلي
فاسأل الكعبة التي بيديه
جعل الله بيته لعلي
لم يشاركه في الولادة فيه

وتكون الحسيب يوم جزاها
وبه قد توسلت انبيائها
ربه في خطيئة قد آتاها
حين ما الموج قد طغى وطماها
فاذا برد زمهرير الظاهها
لم يمس الخليل قط اذاها
عند تكليمه بوادي طواها
عند آياته التي أبداها
وهدي فهو نورها وهداها
آية حيرت بليغاً تلاها
ما سواء المراد من معناها
وهو القطب من مدار رحاها
من لدن بدؤها إلى منتهاها
التي ما ارتضى الإله سواها
فرقت في الوري على أنبيائها
من صفات الإله جل علاها
دونه ما أتى به ثقلها
لتكون الصلاة وقت أداها
حول من طاف حوله ثقلها
خشية من غلونا اخفاها
مذ وطاها تفتت فذراها
زمرأ ساقها إلى مهواها
وحنيناً وخذقاً وسواها
إذ أراها بسيفه ما أراها
بادياً بالرؤوس من رؤساها
صلبه نطفة هواه هواها
قد جفت فيه أمها وأباها
لعلي غداة سل ظباها
إن شبه السيول فيض دماها
فأئت بعدها الفتوح وراها
كان تكسير كل جبت علاها
مولداً يا له علأ لا يضاها
سيد الرسل لا ولا انبيائها

يا لها يا لها مناقب شتى
وهي كالشمس ليس فيها خفاء
بل لدى الشمس دونها لأفول
ومعاليه لم تغب قط كلا
بل عن الله في المعاد اليه
فغريق مخلد بنعيم
والمحبون آمنون جميعاً
أيها الضيقة التي بولاهها
وانطوت صفح ما جنت سفهاكم
بدلت سيئاتهم حسنات
إنما النار والعذاب لقوم
إذ بيوم الغدير سبعون ألفاً
قائلاً إنما الخلافة بعدي
تالياً إنما وليكم الله وما
عنه سل هل أتى ونونا وصادا
والحواميم مع طواسين سلها
ستراها بمدحها وثناها
ثم يدع آية تنص عليه
كامل الدين في الغدير بخم
أمر الله جبرائيل ألا قل
بلغ المسلمين أن علياً
هو لا غيره الخليفة حقاً
أكثر المسلمين كانوا مراضا
فسقاها الغدير ماء حياة
يا بني الوحي أنتم لي حصن
انتم ملجأ العباد جميعاً
بل بكم يرتجى انقلاب الخطايا
ذرة من ودادنا لعلي
اذ جبال الذنوب تغدو هباء
بين الأكسير والمودة فرق
ذنبي الليل والولاية شمس
أو تخشى من الذنوب رجال

لم يجد منكراً لها من رواها
بل هي الشمس ماعليها غطاها
كل يوم تراه في مجراها
عن أفول وشبهه حاشاها
أمر كل العباد مع خصماها
وفريق مخلد بلظاها
من جميع الذنوب يوم لقها
لعلي تنال أقصى مناهها
ولطي السجل كان انطواها
ومحى الخوف ما بها من رجاها
قدموا غيره عليه سفاها
شهدوا خطبة النبي شفاها
لعلي فانه مرتضاها
جاء فيه مما سواها
وكذا الذاريات سلها وطه
وسواها كفاطر وسباها
لعلي كشمسها وضحاها
محكمات الكتاب إلا تلاها
إذ به بان للأنام هداها
لنبي الهدى المطهر طاها
سيد الأوصياء مع أنبيائها
مرتضاها ينوب عن مصطفاهها
ويماء الغدير كان شفاها
خلدت في الجنان نفس سقاها
من أمور مهولة أخشاها
من على أرضها وفوق سماها
عملاً صالحاً بيوم جزاها
شبه الأكسيريل نراه وراها
بقليل الوداد عند لقاهها
من وجوه كثيرة ستراها
جعل الله محوه بضياها
حبيكم لا سواه ملء حشاها^(١)

(١) ديوان السيد حسين الحسيني مخطوط (٣١ - ٥٥).

الأمير فضل باشا علوي الحسيني المليباري المكي وحفيده الشريف عبد الله آل علوي الحسيني

● محمد سعيد الطريحي



هو الأمير السيد فضل بن السيد علوي بن السيد محمد بن السيد سهل الحسيني المليباري المكي «مولى الدويلة، أمير ظفار، ولد وتعلم في المليبار بالهند، وورث زعامة والده وجده للمسلمين في المليبار» جنوب الهند، وبالأخص طائفة الماييلا الذين ينحدرون من أصل حضرمية وبحرينية، وتميز بذكاء حاد وتطلع لجمع الزعامتين الدينية والسياسية فتوجس منه الانجليز خوفاً وقد كانوا آنذاك في أوج قوتهم من الهيمنة على شبه القارة الهندية، فنفوه إلى الحجاز حيث مسقط رأس جده في مكة المكرمة، ولم يهدأ نشاطه السياسي هناك حيث أخذ صيته يذيع في كافة الأرجاء حتى ضايق بوجوده شريف مكة، أو أن الأخير شعر بخطرته على مقامه في وقت تتكالب فيه القوى الأجنبية للسيطرة على الحجاز، وبمشورة الانجليز شنت عليه حملة ظالمة كان من آثارها كتيب هزيل كتبه محمد أمين المكي (أمين بن حسن

الحلواني) طبعه في القاهرة في ٢٧ ص بعنوان «القول الصحيح في فجور فضل القبيح، لكن تلك الحملة لم تثنيه عن عزمه في كسب جميع علماء مكة الذين كانوا يحترمونه ويبجلونه بل أن صلتة الدينية وإرشاداته الدائمة كانت تصل إلى مسقط رأسه (المليبار) وكان لا يتوانى عن منحهم توجيهاته بل وتحريضه على الوجود البريطاني الاجنبي في الهند وكان أحد الأركان التي اعتمدها ثوار الهند في ثورتهم التحريرية سنة (١٢٧٣هـ - ١٨٥٧م).

ثم زار (اسطنبول) (الاستانة) فحشدت له السلطنة العثمانية تأييدها أيام السلطان «عبد العزيز» واتصل خبرة بأهل «ظفار» فقدم زعماءها إليه يطلبون أمارته عليهم فاستجاب لهم فذهب اليهم مؤيداً من سلاطين بني عثمان وذلك سنة ١٢٩٢هـ فاستقر بها ودانت له القبائل المجاورة لها واستمر إلى سنة ١٢٩٧هـ، فقام بفرض الزكاة على أهلها، وسعى إلى محاربة تجارة العبيد التي كانت تعد من أبرز الأعمال التجارية التي يشتغل بها أهالي ظفار وحضرموت، وظل في ظفار مدة ست سنوات، وخلال حكمه سعى إلى تطوير ظفار وحضرموت، مع فرض ضرائب محدودة وفق أنماط الزكاة والصدقات وفرض ذلك

على الشيوخ المسيوريين الذين تدمروا من ذلك مما أدى إلى الانتفاضة ضده عام ١٨٧٦م/١٢٩٣هـ. ولم يكن المكر الانجليزي ببعيد عن تلك العملية لاسيما بعد محاولة الأمير فضل التوسع في امارته لتشمل «منطقة المكلا»، وحاكمها آنذاك النقيب عمر ابن صلاح الكسادي ودفع الانجليز احدى القبائل للتمرد على الأمير فحاربها، وأعانها الانجليز مما اضطر الأمير فضل للتخلي عن ظفار والاستقرار في اسطنبول «الاستانة».

وفي زمن السلطان عبد الحميد بلغ مرتبة رفيعة في السلطنة العثمانية ومنح رتبة الوزارة فأحضر أولاده وكان من أقرب الناس للسلطان، فتفرغ لخدمته والاتصال به من ناحية، ولاكمال بحوثه وكتبه التي طبع بعضها من جهة أخرى. ومن تلك المؤلفات:

- ايضاح الاسرار العلوية ومنهاج السادة العلوية (مطبوع).

- تحفة الاخيار عن ركوب العار (مطبوع).

- عدة الامراء والحكام (مطبوع).

- كتاب في المواعظ والأخلاق.

توفي في أواخر جمادى الثانية سنة ١٣١٨هـ - ١٩٠٠م وخلف اسرة كبيرة بعضها يسكن تركيا والآخر في اللاذقية في سورية وممن سكن في لاذقية سورية ولده المجاهد الفذ السيد عبد الله، الذي ترك عدة مؤلفات وأثار طيبة، وقد تعرفت بولديه الفاضلين وربطتني بهما صداقة ومحبة وكانا من أهل الفضل والدين والكياسة ومن السائرين على طريق آل البيت عليهم السلام. وقد ورد في جدهما الأمير فضل بن علوي العديد من المدائح فمن ذلك ماكتبه العلامة أبو بكر «بن شهاب رحمه الله» حيث أنشد فيه هذه القصيدة التي اسمها «برق الرضا» وفيها يقول:

وتذري دمعا كالإيقايت احمرأ
فواق ويبقى والهأ متحيرا
يزخرف تزويراً من القول منكرأ
ينوس لسانى بالبديع محبرا
من الوصل تابأها الفتوة مصدرا
أنازعها فيها الحديث وأنظرا
يعود به غرس الأماني مثمرا
ومن نكبات الدهر قاصمة العرى
لها لحظة عني بمن جار واجترى
لدى المرء مغناطيس كل حبو كرى
أبى الدهر إلا أن يرى غير ما أرى
لنيل العلا والمجد يعدو إلى الورا

علي لها أن تنبذ المقلة الكرى
وأن ليس يسلوها الفؤاد ولو مدى
وأن لاتضيخ الأذن سمعا لعاذل
وأن ليس إلا في نعوت جمالها
وأن ليس تجري في ضميري مطامع
نعم غرضي والشاهد الله وقفة
ويا حبذا أن روقت كأس قرقف
ومن لي بآمالي ودوني من النوى
لحا الله سوء الحظ من صاحب أما
كان خلال المجد مهما تجمعت
إذا رمت أمراً منصبى فوق نيله
ويا طالما كانت صها المجد مفرشي

ولو غض عني الطرف في حب فاطم
إذا فزت من ذاك المحيا بنظرة
محجبة يصبو بها كل ماجد
شموع إذا ما الريح مَرَّ بَحْيَها
وماشم أذكى من شذاها سوى ثرى
هو الفضل رب الفضل قطب دوائر
أغر المحيا في أسارى وجهه
ومعلي منار الدين بالدعوة التي
له طأطأت أعناقهم كَمَلُ الورى
بطلعت يهيم الغمام وينجلي
إذا رفع الكف الكريمة داعياً
هو القانت السجاد في حندس الدجا
مقيم قناة الملحين بعزمه
له همة علياء لو رام لاقتنى
وبالحكمة القطعية الصدق لو يشا
يشير ببادي رأيه ثم لم تكذ
يريك مصير الأمر قبل وقوعه
إذا زرتك شاهدت من نور وجهه
شأ في العلا حتى إذا لم يجد له
بمن ذا لعمري أو بمن ذا اقيسه
له العزمات المجفلات خصومه
مفيض العطايا من ندى راحة إذا
ومهما جثى الراجي بأرجاء جوده
إذا أمه حر لخطب فأنني
شمائله مثل النسيم لطافة
واخلاقه كالروض باكره الحيا
سري عظيم الشأن مختار فتية
يتيمة عقد ودت الزهر أنها
تضرع من بيت عنت لمقامه
هو البيت مرفوع القواعد بالذي
وبالأنزع الكرار والجأش ثابت
وبالدرة العصماء سيدة النساء

لأبراته عن كل حق تأخرا
علمت يقينا أن برق الرضا شرى
إذا ما زناد الحب في قلبه ورى
تضوعت الدنيا عبيرا وعنبرا
بنعل أبي سهل الأمير تعطرا
الولاية ركن الملة الشامخ الذرى
سرى السر من نور الرسول واسفرا
بها عاد ليل المدلهمات مقمرا
ولم ير منهم من أبى وتكبيرا
القتام ويلقى الخصب أنى تديرا
ترى وأبل الجود الالهي ممطرا
هو الملك السامي إذا الليل ادبرا
مقالا وفعلال للكعوب مكسرا
بها الأرض ملكا والبرية عسكرا
لساس أمور الخافقين ودبرا
فراسته تخطي القضاء المقدرا
ولم يأت إلا مثل ما كان خبرا
وهيبته بدر الدجا والغضنفرا
نظيرا بنى برجاً هناك ومنبرا
هدى وندى أين الثريا من الثرى
جفول الظباء العفر إن شمن قسورا
بها مس عودا يابساً عاد أخضرا
رأى الكف بحرا والأنامل انهدرا
ضمنين له في أن يؤوب مظفرا
يفوح لها من عرفها المسك اذفرا
وكلله در الندى ثم أزهدرا
لهم من بني الهادي الخيار مكررا
به انتظمت درا نفيسا وجوهرا
ورفعته الأملاك جونا واحمرا
إلى القاب أو أدنى من الحجر قد سرى
إذا فار تنور الردى وتسعرا
مقدسة الذات الزكية عنصرا

منار الهدى ربحانتي سيد الورى
 لأسمائه الحسنى ذليلاً ومظهراً
 فلم يلدوا الاتقيا مطهراً
 ابان الهدى والصادق البحر جعفر
 وفرع على منهج أجداده جرى
 «بني علوي» موقدي النار للقرى
 المصون عن الاغيار كي لا تغيرا
 ورودهما حوضاً لأحمد كوثر
 سلوكاً وارشاداً وورداً ومصدراً
 مسلمة لاريب فيها ولا امتر
 ملائك أن جن الدجا وتعكرا
 العلية قدراً والعظيمة مفخراً
 إلى المجتبى «مولى الدولة» يبحر
 حظياً ومن عاداه أمسى متبراً
 لسائر أنواع الفضائل مصدراً^(١)
 عميق فجاج الأرض كي تحمد السرى
 البرية مخدوم الجنب موقراً
 بناجذ طول الاغتراب وكشراً
 على ابن أبي سلمى وحارث يشكراً^(٢)
 لناظم غالي درها حيث قصراً
 مدائحك الغرا اختلاقاً ولا افتراً

وبالسيدان السابق حلبة التقى
 عليهم سلام الله قوم أقامهم
 وطهرهم عن كل رجس ووصمة
 كذي الثغفات الحبر والباقر الذي
 وأولادهم من كابر بعد كابر
 ولا سيما أعلامهم وهداتهم
 فهم وارثو علم الرسول وسره
 وهم وكتاب الله في قرن إلى
 لهم نسبة بالاتباع لجدهم
 ونسبة ميلاد قويم عمادها
 ملوك على كل الملوك أعزة
 ونخبة تلك العصابة العلوية
 هو السابق الذكر الإمام الذي انتمى
 هو الفضل من وآله أمسى مبجل
 إلى الفضل فليهرع ضرورة كونه
 ولا غرو أن شدت إليه الوفود من
 فيا أيها المولى الذي لم يزل من
 اليكم من النائي الذي عضه النوى
 خريدة آداب تجر ذيولها
 وتبسط كف الاعتذار اليكم
 وتمت بصدق القول إذ لم تكن بها

قلت: ومن أولاد الأمير فضل، المرحوم يوسف الفضل الذي جاء إلى العراق في ركاب الأسرة الهاشمية المالكية، وتعيينه مديراً للأوقاف النبوية، وكان موجواً في منصبه طيلة عهد الملك فيصل الأول وولده الملك غازي.

ومن أولاده أيضاً: الأمير سهل باشا المتوفى في ليلة الأحد ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٨ هـ - الموافق ١٨ آب ١٩٢٩ عن عمر بلغ التسعين عاماً.

المصادر

- مجلة المرشد العربي (سورية). - جمال حزام محمد النظاري، الهجرات الحضرمية إلى الهند

(١) قوله: ضرورة كونه، عبارة يستعملها بعض المتكلمين ومعناها التعليل بالضرورة، أي لضرورة كونه.

(٢) أولهما زهير بن أبي سلمى، وثانيهما الحارث بن حلزة اليشكري

وتأثيراتها منذ بداية القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين أطروحة دكتوراه فلسفة في التاريخ الحديث، كلية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد ١٩٩٩ م. - بضائع التابوت (مخطوط). - الإعلام الشرقية: ٢٣/١ رقم ٢٩. - إيضاح المكنون ١٥٣/١. - معجم المطبوعات ١٤٢١. - الأعلام ١٥٠/٥. - الأوزي: تاريخ وذكريات / ٩١ (سنة ١٩٨٢). - تاريخ المكتبة الخديوية رقم ١١٤٠ - ١١٤١. - محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأب العربي في عهد الاصفهانية من (١٨٤٨) ١٩٤٨ م، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، مقدمة إلى قسم اللغة العربية، الجامعة العثمانية حيدرآباد، الهند، ١٩٨٧ م. - الموسوعة اليمنية: ١٣٢٣ - ١٣٢٥. وفيها وفاته (خطاً) ١٣٠٨ هـ. - مجلة الهلال (مصر) السنة ١٧ (سنة ١٩٠٨ م) العدد ١٠ ص ٥٩٣ - ٥٩٤. - معجم المؤلفين ٧٠/٨ (كحالة) - ابن شهاب ٢٢٨ وما بعدها. - مجلة الموسم العدد ١٩.

تذييل:

الجفري (شيخ بن محمد)

١١٣٧ - ١٢٢٢ هـ / ١٧٢٥ - ١٨٠٨ م

هو شيخ بن محمد بن شيخ بن حسن الجفري، عرف بكونه متصوفاً ولد بقرية (الحاوي) قرب مدينة تريم بحضرموت، تعلم في بداية حياته على يد عدد من علماء تريم ثم أخذ يشتغل في البلاد ينهل العلوم الدينية وغيرها من العلوم، ثم سعى إلى تأدية فريضة الحج، وتعرف خلالها على عدد من العلماء المسلمين هناك، وأخذ منهم الكثير واتجه فيما بعد للتنقل والترحال في بلاد كثيرة يستلهم منها المعارف، ثم حظ رحاله واستوطن مدينة كاليكوت أحد أقاليم ساحل المليبار، وهناك التفت حوله طائفة (المابيل) التي سكنت جنوب غرب الهند من زمن طويل، وأغلب أهلها ينحدرون من أصول حضرمية، وقد توفي بمنطقة كاليكوت عام ١٢٢٢ هـ - ١٨٠٨ م.

كان من الطبيعي أن تلتف طائفة المابيل حول الشيخ الجفري بمجرد وصوله إليهم مما زاد من تمسكهم بعقيدتهم واتبعوا الجفري إلى حد التعصب، كما كان تمسكهم بعقيدتهم على المذهب الشافعي واشتهروا بحبهم للاستشهاد في سبيل دعوتهم الإسلامية وليزيد من وصول آل الجفري وغيرهم من الحضارمة، وبعد بروز شخصية الجفري بوصفها شخصية دينية اعتبارية تمتعت بالقوة في التأثير، اتجه في عمله نحو الدعوة الدينية والإصلاح في تلك المنطقة من جنوب غرب الهند، ثم تبعه إلى هناك علوي بن فضل بن سهل مولى الدويلة ومن بعده ابنه السيد فضل اللذين أسهما في قيادة طائفة المابيل والمسلمين عموماً في تلك النواحي، ف شعر الانجليز بخطورتهم فاتجهوا للتفكير بالقبض عليهم، إلا أن ذلك لم يكن لصالحهم، حسبما أشار إلى ذلك المقيم البريطاني في المليبار الذي كان يلاحظ تطور علاقة الحضارمة بمسلمي تلك المناطق عن كثب، وأن عملية اعتقال أولئك الزعماء الحضارمة بزعامة شيخ الجفري يعني قيام ثورة كبيرة نتيجتها غير معلومة، ولا سيما أن علوي بن فضل الذي ظل يسير على نهج شيخ الجفري وطريقته وسار فضل بن علوي بن فضل على الطريق نفسه. وللسيد شيخ الجفري مؤلفات عدة من أبرزها:



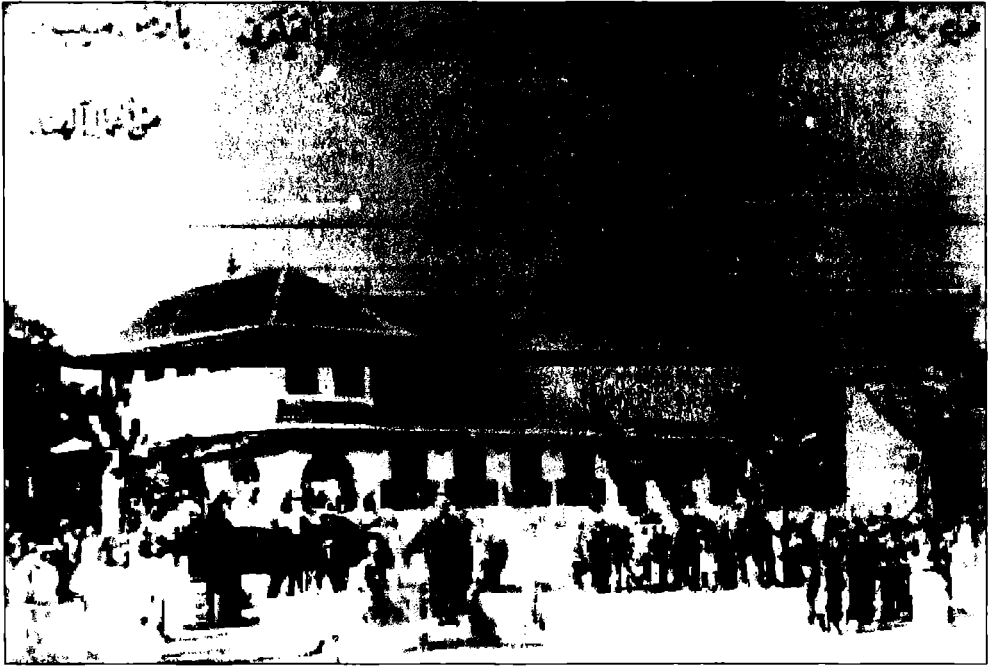
الطريحي متحدثاً للشيخ علي عزيز

البراهين الكسبية والأسرار الوهية الغيبية، المقام الكوكب الدري في نسب السادة آل الجفري، ديوان شعر، عدد من الرسائل العلمية والإصلاحية في أمور الدين.

دفن شيخ الجفري في منطقة (تيرونجادي) أو (ممبرام) التي أصبحت فيما بعد مركزاً إصلاحياً ودينياً سياسياً على المنهج الصوفي تزعمه الجفري، وتعد اليوم من أبرز المراكز الإسلامية الإصلاحية على سواحل المليبار. جمال حزام محمد النظاري، الهجرات الحضرمية الحديثة إلى الهند وتأثيراتها منذ بداية القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين أطروحة دكتوراه، فلسفة في التاريخ الحديث، كلية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد، ١٩٩٩م. عن الموسوعة اليمنية ٨٨٣ - ٨٨٥.



من اليمين: السيد رضا مرتضى،
أولاد الشريف عبدالله، الحاج
مهدي البهبهاني، الشيخ سليمان
ظاهر، السيد محسن مرتضى



مرقد الشريف علوي بن محمد سهل العلوي في المليبار، كيرلا، الهند



من اليمين: الشيخ سليمان ظاهر، الشريف عبدالله، الحاج مهدي البهبهاني، السيد محسن مرتضى
ويقف خلفهم أولاد الشريف عبدالله والسيد المهندس رضا مرتضى

الشريف عبد الله آل علوي الحسيني



الشريف عبد الله بن الشريف حسن، بن الأمير فضل باشا الحسيني، وبقية نسبه ونسب جده الأمير فضل نجله مشروحاً في مقالنا عنه بمجلة الموسم العدد ١٩ (ص ٣٦٥ - ٣٦٩) تحت عنوان: من تاريخ الإمامية في البلاد الشامية: الشريف عبد الله آل علوي الحسيني (صدر العدد سنة ١٩٩٤ م - ١٤١٤ هـ).

ويمكن الرجوع إليه لتفاصيل أخرى تتعلق بترجمته، وهنا أود الاشارة بمجلته الموسومة «المرشد العربي» التي كرسها لخدمة القضية العربية والإسلامية، وكان داعية من دعاة التعاون والحوار والتعايش السلمي بين كافة التوجهات الدينية، والقومية، وبالإضافة إلى عدد من الكتب التي أصدرها وفي مقدمتها صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر التي كرسها للرد على المتعصبين والمتنطعين باسم الدين كما أنه كان ينشر بين وقت وآخر بيانات وممنشورات تدعو للإصلاح العام مدفوعاً بالروح

الوطنية ومن ذلك المنشور الذي أصدره تحت عنوان (تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله) الذي كرسه لرفع الحيف والظلمة عن طائفة كبيرة من طوائف الاسلام، ونظراً لأهميته فيما نحن بصدد من التوثيق، فإننا نعيد نشره احياءاً لذكره وتنوياً بمواقفه النبيلة التي بقي مواظباً عليها حتى ادركته المنية في ضحى يوم الخميس الأول من ذي الحجة سنة ١٣٩٥ هـ الموافق لليوم الرابع من كانون الأول سنة ١٩٧٥ ودفن في مقبرة السيدة زينب عليها السلام جنوبي دمشق.

رئاسته للجمعية الجعفرية

يعد الشريف عبد الله المؤسس الحقيقي للجمعية الجعفرية باللاذقية، وكان رئيسها منذ تأسيسها سنة ١٩٥١ وحتى وفاته سنة ١٩٧٥ وكانت الاجتماعات تعقد في منزله قبل أن يهيء لها المكان الخاص، ويعتبر جامع الإمام الصادق (ع) في حي الرمل الشمالي باللاذقية، مفخرة أعمال الجمعية، وكان حريصاً أشد الحرص على تمتين أواصر الوحدة بين جميع أبناء الشعب كما كان بالمرصاد لكل من يحاول النيل من هذه الوحدة وكان يحذر الحكومة في حينها من دسائس الطائفيين والمفرقين ومن ذلك هذا الكتاب الذي وجهه الشريف عبد الله إلى محافظ اللاذقية بتاريخ ٢٠/١٠/١٣٧٩ هـ الموافق لـ ١٦/٤/١٩٦٠ وقد جاء فيه:

عطوفة محافظ اللاذقية الأفخم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، لقد تكررت الكتابات المغرضة المؤذية بحق طائفة مخلصه لهذا الوطن العربي ألا وهي العلويون الجعفريون وحيث أن التعرض لنواح طائفية لا يخدم إلا مصلحة الإستعمار جئت بكتابي هذا لافتاً نظرکم الثاقب إلى ما ينجم عن إثارة النفرات الطائفية من عواقب وخيمة تفرح الاستعمار وأذنا به وعيونه التي تستخدم هكذا وسائل للنيل من وحدة هذه الأمة المتماسكة ويقيني أنها لدوافع استعمارية بغیضة حدت بقبضة من الكتاب لإثارة هذه المواضيع التي عفا عليها الزمان، ويسرني يا صاحب العطفوة أن أذكر لكم هنا أنني منذ نصف قرن وأنا أعالج موضوع وحدة الصف الإسلامي وغيره من الوظائف وخصوصاً مسألة العلويين الجعفريين حتى وفقنا إلى إظهار عملنا هذا بشكل الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية التي تضم نخبة خيرة من ثقات علماء الجبل العلوي هدفنا الأول والأخير هو التقريب بين المذاهب الإسلامية وغيرها من الطوائف الأخرى، وها إن عملنا هذا بدأ يعطي ثمراته في بعض أنحاء المحافظة.

وبينما نحن في عملنا الإصلاحی هذا وإذا بالاستاذ المجذوب يطلع علينا بمقالته في مجلة التمدن الإسلامي بتعرضه لأعظم شخصية إسلامية بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ألا وهو الإمام علي عليه السلام، وقد أحطناكم علماً به بحينه فبادرتم مشكورين للإهتمام بالأمر، وبعد فترة قريبة طلعت علينا مجلة الأزهر بمقال عن العلويين بإمضاء السيد حسن عمر يهاجم بها العلويين ويخرجهم من حظيرة الإسلام، وكذلك الشيخ عبد اللطيف المشتري الذي نسب لنفسه هدي خمسة آلاف من العلويين إلى حظيرة الإسلام كأنهم ليسوا من الإسلام في شيء إلا بعد تشريفه لهذه المحافظة مما أثار سخط الكثيرين حتى انبرى للرد عليه وعلى من سبقه من الكتاب علماء الجبل فحللنا دون ذلك بناء على ما أخذنا على أنفسنا من عدم إثارة المواضيع الطائفية التي لاتخدم إلا مصالح الإستعمار وكانت ثالثة الأثافي في ما كتبه محمد عبد الله عنان بالحرف الواحد. «النصيرية المشار إليهم هنا وفي رسائل الدعاة، هم طائفة من الباطنية ما تزال منها اليوم بقية في اللاذقية وطرابلس وحماه ودمشق، وهم كالدروز يتظاهرون بالإسلام، ويعتقدون في الوهية علي بن أبي طالب، وينقسمون كالدروز في عقلاء وجهال، ويعقدون مثلهم اجتماعاتهم الدينية السرية في الخلوات، والمعروف أنهم يبيحون عشرة المحارم من البنات والأخوات ونساء بعضهم بعضاً، وعندهم أن المرأة لا يكمل إيمانها إلا بإباحة نفسها لأخيها المؤمن بيد أنها لاتبيح نفسها للأجنبي، وهم يعتبرون المرأة كالحیوان مجردة عن النفس، والظاهر أنهم يرجعون في الأصل إلى نفس الدعوة السرية، التي اشتق منها مذهب الدرّوز، ويعتقدون معظم مبادئ الإباحية التي تنسب إليهم»...

ومن هذا يتبين لكم الغايات والأغراض الدنيئة التي يقصد منها عرقلة سير الوحدة والتماسك



تحت راية لله لله محمد رسول الله

هدية



١٤٣١

المؤسسة العامة للكتاب

الطبعة الأولى: ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

«إن من غلة هذا اليوم غلة غداً»

www.mawana.com

الذي ينشده المخلصون الغيارى لهذه الأمة العربية التي لا يمكن لها التقدم والإزدهار إلا بوحدتها في مختلف شؤونها. ويهمننا يا صاحب العطوفة أن تضرب الحكومة الرشيدة بيد من حديد على مثيري الفتنة كتاب السوء ليكونوا عبرة وعظة لكل من تحدثه نفسه بالإساءة لهذه الوحدة. وختاماً تفضلوا بقبول الإحترام.

وبفضل الجهود التي بذلها الشريف عبد الله واتصالاته الواسعة فقد حظيت الجمعية الجعفرية بمباركة قادة العلم والرأي في العالم العربي والإسلامي ولا أدل على ذلك من الرسالة التي وجهها الامام السيد موسى الصدر إليه وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

عطوفة الأمير الجليل الشريف عبد الله الفضل أعزه الله

أصحاب السيادة العلماء الأجلاء رجال الحق والدين والجهاد دامت بركاتهم.

أيها الأخوة الأعزاء أعضاء المؤتمر الكرام.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تحية الإسلام الطيبة مشفوعة بالأشواق والتمنيات الداعية للنجاح ولتسديد الخطى مقرونة

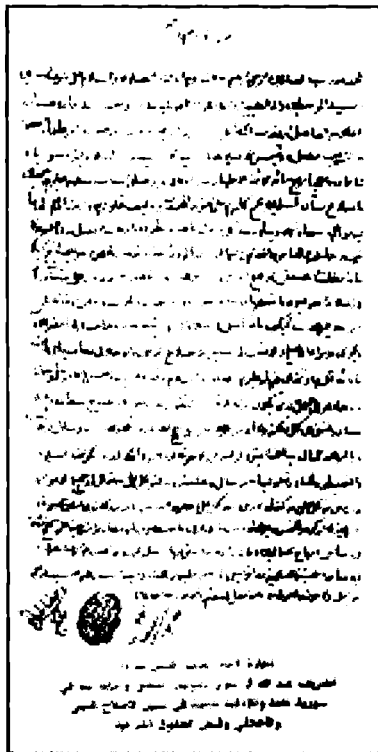
بالاعتذار من الحضور لالتزامات سابقة خارج البلاد.

وبعد: فإن الليل المدلهم الذي غشي هذه الأمة والأخطار المحدقة بها من كل جانب بل ومن الداخل ومن البيوت والنفوس والعقول التي تعرض بعضها للغزو الإستعماري الكافر وبعضها لنزع الشيطان، وأعاذنا الله منهما. إن هذا الليل المظلم وتلك الأخطار تهيب بنا أن نجند كافة طاقات هذه الأمة أفراداً وجماعات وإن ندخل ميدان السباق والتحدي فنستमित في سبيل البقاء وأن نستعمل في هذه المعركة المصرية أفضل أرصدتنا وأقوى قيمنا. وانطلاقاً من هذا الواقع يشعر علماء المسلمين الذي يستقون من معين آل بيت الرسول عليه وعليهم الصلاة والسلام، أن الواجب العيني المحترم أن يخرجوا من زوايا الإنعزال، ويتخطوا حواجز الفرقة والخلافات ليدخلوا الميدان، ميدان الخدمة والقيادة الفكرية. أن المطلوب من هؤلاء العلماء الذين اتخذوا من الأئمة المعصومين قادة ومن سيرتهم مذهباً وجعلوا ولايتهم والتمسك بهم معراجاً ومنهاجاً، إن المطلوب منهم أن يذنبوا في سبيل عرض المذهب وإيضاح أبعاده وتجسيد قيمه في حياتهم حتى يعرضوا تجربتهم الإسلامية الرائدة على الأمة وعلى العالم فلا غرو إذاً في اجتماعكم الكريم في سبيل التشاور والحوار وتوحيد المواقف وآراء والأفكار والفتاوى وتقديمها للأمة الحائرة التي تعيش في الآفاق القريبة والبعيدة عن النور وعن العروة الوثقى التي لا انفصام لها.

ولا عجب إذا نجد المحاولات الصادقة السريعة لاغتنام الفرصة التي تمر على الإنسان مرور السحاب، من هذا المنطلق وفي هذا الألق فإنني كأخ لكم في الله وفي دين الله وفي مذهب آل بيت رسول الله أبعث إليكم بتحياتي وتبحيات مئات الألوف من إخوانكم في لبنان بل بأدعية عشرات الملايين منهم في أقطار الأرض. أحبيكم باسم هؤلاء الصابرين المحسنين الذين أبلاهم الله خلال قرون بلاء حسناً فخرجوا من المحن والفتن رافعي الرؤوس. أحبيكم شركاء في الآلام والمحن وفي الآمال وصدق العزيمة وفي مسؤوليات القيادة مؤكداً أن هذه المبادرة بإدارة الاجتماع هي الحاجة وهي قصد السبيل.

أحبيكم واضعاً طاقات المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان إلى جانبكم بصدق وإخلاص، دون توفير أو انحياز المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، المؤسسة التي حققت لأول مرة في تاريخنا حلماً كان يراود السابقين الأولين، والتي تجسد أيضاً جهداً ونضالاً شاقين لأمثال لهما في المؤسسات المشابهة.

سادتي الأعزاء، إخواني الأكارم



إنه لشرف عظيم أن نعيش يوماً نعرض فيه هذه التجربة الإسلامية الرائدة، مذهب آل البيت، دون تقية أو مسابرة وأن يقف هذا المذهب وعلماءه وأبنائه إلى جانب المذاهب الإسلامية الكريمة، يقف إلى جوارها في سياق أخوي في سبيل تأدية الرسالة ولأجل إنقاذ الأمة ومفكرها ومثقفها. وإن لكم أيها العلماء المجاهدون ولنضال إخوانكم، فضلاً كبيراً في تحقيق هذا اليوم فشكراً لله على مساعدكم وجزاكم عن الإسلام وعن رسوله وآل بيته خيراً. فلنغتنم هذه الفرصة السانحة ولنبدأ بالعمل الموحد والشاق، ولنبتعد عن ملهيات الطريق ومغرياته ولنقف صامدين أمام دوافعه وسوائفه. إن الأمة تنتظر ورسول الإسلام ينادي وإن علينا إمامنا وولينا يقول أعيونوني بورع واجتهاد وقوة وسداد أيها السادة الأكارم.

إن دقة الموقف، سيما بعد، يجري إلى جانبنا في أوساطنا، تتطلب المزيد من اليقظة والتطلع إلى المستقبل القريب والبعيد ذلك لكي لا نترك مجالاً لاستغلال الظروف والمشاعر، ولكي نضع الخصلة الواضحة التي تتطلبها الأيام الصعبة والأخطار المحدقة.

إن موقفكم اليوم أيها السادة الأجلاء هو موقف تاريخي لانشك لحظة في صدره عن كفاءاتكم الواعية وعن تحملكم لمسؤولياتكم بنزاهة وتجرد فليكن الله معكم ناصراً ومعيناً وهو نعم المولى ونعم الوكيل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان

السيد موسى الصدر^(١)

وتحت عنوان جماعة جديدة في اللاذقية نشرت مجلة رسالة الإسلام الصادرة في القاهرة العدد ٣ سنة ١٩٥١. «تألفت أخيراً باللاذقية في سورية جماعة خيرية إسلامية جعفرية، تضم كبار العلماء من طائفة العلويين، والغرض منها نشر الثقافة الإسلامية، ومناصرة الفضيلة وبحث فكرة التقارب بين المذاهب الإسلامية، والعمل على كل مايفيد المسلمين عامة، والطائفة العلوية خاصة. وقد دعا إلى تأليف هذه الجماعة السيد المبجل الشريف الهاشمي الأمير عبد الله الحسيني، وصاحب السماحة الشيخ العلامة الجليل حبيب آل إبراهيم، وأسندت رياستها إلى السيد الشريف بالإجماع. وقد استقبلت هذه الخطوة بالتأييد والاستحسان من الرأي العام هناك شيعية وسنية، وتناقلت الصحف نبأها مرحبة مستبشرة، ودارت بين سمو الأمير الجليل رئيسها، وسماحة السكرتير العام لجماعة التقريب مكاتبات في شأنها والترحيب بها.

واننا نهنيئ إخواننا العلويين وسائر المسلمين بهذه الخطوة المباركة، ونسأل الله جللت قدرته أن يبارك أعمالهم، ويوفق مساعدتهم، وأن يؤيد كل عامل على جمع كلمة المسلمين، وأعتصامهم بحبل الله المتين»^(٢).

(١) هاشم عثمان تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام الشمالي ص ١٧٤-١٧٩ بيروت ١٩٩٤.

(٢) مجلة رسالة الإسلام، القاهرة ص ٣٣٠ العدد الثالث (سنة ١٩٥١).

تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله

تأليف الشريف عبد الله آل علوي الحسيني
ابن المغفور له الأمير الشريف حسن بن فضل باشا أمير ظفار

أنظر إلى شخصية ممتازة	نبئت عناصرها من الإيمان
شرفت أرومتها وطاب نجارها	فتخصصت بالفضل والإحسان
جبلت على الإصلاح فهي كما ترى	مشغولة في خدمة الأوطان
لاغرو أن كثرت مناقب فضلها	إن الفضائل في بني عدنان
من عبقريتها بدا في رسمها	سرفلا تحتاج للبرهان

محمد سلامة الصوفي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ سورة الإسراء / ٨١

حمداً لله وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله الهداة وأصحابه الثقة ومن اتبعهم وأحبهم ووالاهم.

وبعد: فقد أثرت في هذه الأيام العصبية والأمة أحوج ماتكون إلى راب الصدع، وجمع الكلمة، وائتلاف القلوب، وتوحيد الجهود، قضية خطيرة في دعوى فرض نفقة أقامها رجل سني على أخويه العلويين وكان أبوه تزوج امرأتين إحداهما علوية سجل ابنها علويين وأخرى سنية سجل ابنها سنيين وتوفي الرجل وزوجته السنية فقام ابنها هذا منه وهو ضرير يطلب فرض نفقة له على أخويه لأبيه وحكم له غياباً بالنفقة ثم اعترض أخواه على الحكم وقبلت دعواهما شكلاً في المحكمة الشرعية السنية في اللاذقية ولما ردت الحجج التي تذرعا بها للتخلص من النفقة كإنكارهما أولاً أخوة المدعي بطلب النفقة عليهما لجأ المحامي الذي أقاماه إلى طريق اختلاف الدين ودونك الصيغة الحرفية الواردة في دفاع المحامي لأجل تقرير هذه القضية اخذت صورتها عن محضر الدعوى في المحكمة المذكورة قال: «إن طائفة المعترضين تقول بالتثليث كما جاء في كتاب سوسنة سليمان للعقائد والأديان وكما جاء في كتاب الباكورة وكتاب ولاية بيروت وهذا التثليث يتضمن الباب، والاسم، والمعنى وهؤلاء الثلاثة أقاليم تشكل الذات الألهمية وبما يتعلق بمحمد فإن سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) صاحب رسالة عند العلويين ولكنه غير خاتم الأنبياء ولهم تفاسير أيضاً ببعض الصفات الروحانية كانت تلازم الرسول، تختلف اختلافاً

جوهرياً عن الصفات التي يذكرها الشرع السني الحنيف».

وقد أخذ القاضي الشرعي بهذه الأقوال على علاقتها واعتبر سكوت أحد المعارضين على ما أورده المحامي في دفاعه اقراراً بصحة ما ذهب إليه مع أنه لم يرد في وكالته صيغة الإذن بالاقرار عن موكله الغائب أحدهما عن الجلسة وحكم بقطع النفقة لاختلاف الدين دون أن يلتفت إلى النقطة الهامة في هذه القضية وهي أن المحامي أقر عن موكله أنهما علويان وأن طائفتهم تعتقد بهذه الأقوال ولم يسأل من علماء هذه الطائفة إذا كانوا يجيزون هذه الأقوال ويتدينون بها أم لا .

وأحدث هذا الحكم وهذا الافتراء في دفاع المحامي ضجة كبرى في الأوساط الإسلامية وثارت ثائرة علماء الطائفة العلوية فأجمعوا على رد هذا الافتراء والبراءة من كل ما يخالف جوهر العقيدة الإسلامية وسننشر فيما يلي صورة الفتاوي التي أصدرها هؤلاء العلماء والبيان الذي اذاعه الزعماء العلويون يفندون بهما هذه المزاعم التي تلصق بهم وهم منها براء ويعلنون بصراحة ما بعدها صراحة أنهم لا يقرون كل ما يخالف مذهب الأئمة الطاهرين من آل بيت النبوة المعروف في العالم الإسلامي بمذهب الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) واضعين بذلك حداً للتخرصات والمزاعم التي رافقت دور الفوضى والابهام والغموض أيام لم يكن للعلويين في هاته الربوع محاكم شرعية خاصة بهم تحكم على مذهب الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام) ونفوا بذلك كل ما نسب إليهم زوراً باسم طرق التصوف التي تعرض التكتّم في بعض اجتهاداتهم لنسبة مزاعم ومفتريات تنافي ما عليه جمهور المسلمين وانتهى بموقفهم الصريح القول بمسلك العلويين الغامض فأصبح النظر إليهم لا يختلف عن النظر إلى الشيعة الإمامية وحلت المشكلة التي رافقت العصور القائمة وسببتها الأغراض السياسية التي لعبت دورها في تمزيق الجامعة الإسلامية وإيقاد نار الفتنة بين أبناء الأمة العربية.

لذلك ترانا نهمل لهذه الفرصة التي سنحت عن غير قصد والتي كنا نرتقبها ونعمل لأجلها منذ سنين فنبهت العلويين أن يخرسوا أصحاب الأغراض الفاسدة بموقفهم هذا المشرف الحاسم وتراهم الآن قد ادركوا عظم المصيبة التي ابتلاهم بها عنت السياسة وتركهم طيلة أجيال في مظاهر كمظاهر البداوة ليس فيها الا رسول ضئيلة عن مواسم الشريعة الغراء فقد أصبح المجتمع العلوي يجيش كالبركان طالباً التجرد عن الجمود الناجم عن هذه المظاهر وأن تحل الشريعة السمحاء محلها الأسمى في هذه النفوس الحائرة ويصطبغ المحيط العلوي اصطبغاً تاماً بالأحكام الشرعية بدلاً من التقاليد والعوائد التي سنتها فكرة العشيرة والبداوة ونفزع أهل الغيرة منهم إلى ميدان الجهاد في هذا السبيل معاهدين الله أن لا ينزعوا عن فكرتهم وجهادهم حتى تتم لهم امنيتهم وتلبس طائفتهم لباسها الحق الذي يرضاه لها الإسلام والعروبة.

أجل: فقد جاهر مفكرو العلويين أنهم لا يألون جهداً في هذه السبيل ولن ينزعوا عن جهادهم حتى تتم كلمة الحق وحتى يركسوا فتنة العصبية والجهل في دركها الأسفل ويحققوا ما تصبوا إليه نفوس طالبي المصلحة الكبرى للجامعة الإسلامية والساعين لانقاذها من مزالق الأهواء

والبدع فتحقق بذلك أحلام الجامعة العربية التي نشأت عن روح الإسلام وغذيت به وبلغت به شأوها الراسخ الخالد.

فمجلة «المُرشد العربي» التي وقفت جهودها وتابعت جهادها لخدمة هذه الأمنية النبيلة تحيي هذه العاطفة الشريفة في صدور العلويين تحية إسلامية مليئة بالعواطف الطاهرة الزكية الموروثة عن الآباء والأجداد وتهلل لهؤلاء المفكرين الذين يعملون لهذه الغاية المقدسة بكل تواضع وإخلاص، لا تغرهم الضوضاء ولا تستهويهم الشهرة الفارغة ولا يسيرون إلا على ضوء نبراس الحقيقة وطريق المثل العليا سد الله خطواتهم إلى الفلاح وأعانهم على نوال القصد.

وبهذه المناسبة الحسنة ننقل لك أيها الساعي إلى جمع كلمة الموحدين وتسوية صفوف المسلمين، نبذة يسيرة عن كتاب الفصول المهمة في تأليف الأمة لمؤلفه حجة الإسلام ومرشد الأنام السيد الشريف عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي (أحسن الله إليه وإيده بروح من عنده).

قال في خطبة سفره الجليل المذكور بعد البسملة والحمد لله والصلاة على النبي وآله:
لا تنسق أمور العمران، ولا تستتب أسباب الارتقاء، ولا تثبت روح المدينة، ولا تنبغ شمس الدعة من أبراج السعادة، ولا ترفع عن أعناقنا نير العبودية بيد الحرية، إلا باتفاق الكلمة، واجتماع الأفئدة، وترادف القلوب، واتحاد العزائم، والاجتماع على النهضة بنواميس الأمة، ورفع كيان الأمة، وبذلك تهتز الأرض طرباً، وتمطر السماء ذهباً، وتتفجر ينابيع الرحمة من قلب المواساة، فتجري في سهوب الترقى وتتفرق العمران، واخاديد الحنان والاتحاد، فتتشر روح الإنسانية من أجدانها، وتحشر الأمة الفطرية من رفاتها، ويتبلج القسط بازغة أنواره ويستوسق نظام العدل خافقة بنوره، ويتفقد الحاكم أمر رعيته، تفقد الوالد العطوف أمر ولده، وعندها تجب مؤازرته في إحياء مواتها، وعمارة فلواتها، ورتق ما انفتق، وإصلاح ما فسد، وإرشاد من ضل، وجهاد من بغى، وإعانة من ضعف، وتعليم من جهل.
أما إذا كانت الأمة أوزاعاً متباينة، وشيعاً متباغضة، لاهية بعبثها، غافلة عن رقيها، لتكونن حيث منابت الشيع ومهافي الريح، أذل الأمم داراً، واجدبها قراراً، مذقت الشارب، ونهزة الطامع، وهدف السهام، وقبس العجلان، في باحة ذل، وحلقة ضيق، وعرضة موت، وحومة بلاء، لا تأوى إلى جناح دعوة، ولا تعتصم بظل منعة، فحذار حذار من بقاء الفرقة، وتشتت الألفة، واختلاف الكلمة، وتنافر الأفئدة: لا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم»^(١) «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»^(٢) «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون»^(٣)

إلا وأن في عصر العلم، ودور الذكاء والفتنة، قد تفجر لذوي العصر ينبوع الحكمة، وتقشعت عن أبصارهم غياهب العشوة، فزهر كهرياء النور من أفكارهم، وأشرق شمس الفاضل من وجوههم، فهلا شرعوا خطي أقلامهم وجردوا صوارمها وتوتروا قسي أفكارهم وناضلوا بثواقبها، فازهقوا

نفس العصبية، ومحقوا آثارها، وصدعوا بوظائف الإنسانية ورفعوا منارها، وهتفوا بدعوة التمدن، واعتنوا باتحاد التشيع والتسنن، بخطابة تملأ مسمع الدهر، وملامة تقلقل جلايد الصخر، فمتى يطلقون عنان براعتهم، ويحملون على جيوش التوحش ببراعتهم، وينهضون باجتماع الاملاء، ويصدعون بأسباب التمدن والارتقاء، ويحذرون الأمة مما يصطلم حوزتها، ويفرق جماعتها، فإن الله (سبحانه وتعالى) يقول: **«ولا تنازعوا فتفشلوا»** ^(١) وإن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وماتو فريقي إلا بالله عليه توكلت وإله أنيب.

ثم أورد في الفصل الأول من كتابه المذكور نبذة مما جاء في الكتاب العزيز والسنة المقدسة من الترغيب في الاجتماع والألفة منها قوله تعالى: **«إنما المؤمنون أخوة»** ^(٢) **«والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض»** ^(٣) **«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا»** ^(٤).

وقول النبي الكريم الصادق الصدوق (صلى الله عليه وآله وسلم): **«لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحاربوا أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: افشوا السلام بينكم»** ^(٥) وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم وهم يد على من سواهم فمن أخضر ^(٦) مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف ^(٧) ولا عدل ^(٨).

وقول الإمام الصادق (عليه السلام): **«المسلم أخو المسلم هو عينه ومرآته ودليله لا يخونه ولا يخذعه ولا يظلمه ولا يكذبه ولا يغتابه»** ^(٩).

وقوله (عليه السلام) جماعة من شيعة: **«اتقوا الله وكونوا إخوة بررة متحابين في الله متواصلين متواضعين متراحمين تزاووا وتلاقوا واحبوا أمرنا»** ^(١٠).

وعن عبد المؤمن الأنصاري قال دخلت على الإمام أبي الحسن (الكاظم) (عليه السلام) وعنده محمد بن عبد الله الجعفري فتبسمت إليه فقال (عليه السلام):

اتحبه قلت نعم وما أحببته إلا لكم فقال هو أخوك والمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، ملعون ملعون من اتهم أخاه ملعون ملعون من غش أخاه، ملعون ملعون من لم ينصح أخاه، ملعون ملعون من استأثر على أخيه، ملعون ملعون من اغتاب أخاه ^(١١).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): **«عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة إلا تسمعون إلى قول أهل النار»** ^(١٢) **«هنا لنا من شافعين ولا صديق حميم»** ^(١٣).

(١) الأنفال / ٤٦. (٢) الحجرات / ١٠. (٣) التوبة / ٧١.

(٤) الحجرات / ١٣.

(٥) راجع كلمة الرسول الأعظم للشهيد السيد حسن الشيرازي (قدس سره). الناشر

(٦) نقض عهده وغدره. (٧) فرض ولانفل. (٨) المصدر السابق.

(٩) راجع وسائل الشيعة وأصول الكافي. (١٠) المصدر السابق.

(١١) المصدر السابق. (١٢) غرر الحكم ودرر الكلم. (١٣) سورة الشعراء / ١٠٠.

وفي الفصل الخامس منه عن صحيح البخاري بالاسناد إلى عبادة، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»^(١).

وفيه عن الصحيحين عن معاذ بن جبل، قال: «بينما أنا رديف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس بيني وبينه إلاخرة الرحل، فقال يامعاذ: قلت لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال يا معاذ: قلت لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم قال يامعاذ: قلت لبيك رسول الله وسعديك، قال، هل تدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على عباده أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة فقال: يامعاذ بن جبل: قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق العباد على الله أن لا يعذبهم».

وفيه صحيح البخاري عن عتبان، قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لن يوافي عبد يوم القيامة بقول لا إله إلا الله، يبتغي به وجه الله، إلا حرم عليه النار».

وفي الفصل الرابع منه قال في يسير من نصوص أئمتنا (عليهم الصلاة والسلام) في الحكم بإسلام أهل السنة، وأنهم كالشيعية في كل أثر يترتب على مطلق المسلمين، وهذا في غاية الوضوح من مذهبنا، لا يرتاب فيه ذو اعتدال منا، ولذا لم تستقص ما ورد من هذا الباب إذ ليس من الحكمة توضيح الواضحات، وهاك ما عقد الفصل للإشارة إليه.

قال الإمام أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) في خبر سفيان بن السمط: «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام رمضان».

وقال (سلام الله عليه)، في خبر سماعة: «الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، والتصديق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبه حققت الدماء وعليه جرت المناكح والموارث، وعلى ظاهره جماعة الناس» وقال الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) في صحيح حمران بن أعين من جملة حديث: «والإسلام ما ظهر من قول أو فعل، وهو الذي عليه جماعة من الناس من الفرق كلها، وبه حققت الدماء، وعليه جرت الموارث، وجاز النكاح، واجتمعوا على الصلاة والزكاة ولاصوم والحج، فخرجوا بذلك عن الكفر، وأضيفوا إلى الإيمان».

(١) وبعد هذا الحديث بعدة أحاديث وبالإشارة إليه وضع المؤلف تنبهاً خاصاً قال فيه ما لفظه: يجب أن يعلم أن عصاة المؤمنين، يعذبون يوم القيامة على قدر ذنوبهم، ثم يناولون الكرامة، في دار المقامة، على ذلك اجماع أهل البيت وشيعتهم، بل هو من الضروريات عندهم. فالأخبار الحاكمة بنجاة أهل القبلة على ماكان من العمل ليست نازرة إلى أن العصاة منهم لا يرون العذاب أصلاً، وإنما المراد أنهم لا يخلدون كما يخلد الكفار وبهذا لا يبقى لهم تمسك بهذه الأحاديث ونحوها، وليس لهم بما اجترواها إلا التوبة والندم، أو العذاب في جهنم على قدر ما يستحقون، أو يتداركهم الله بعفوه وغفرانه وشفاعة الشافعين عليهم السلام.

إلى آخر ما هو مأثور عنهم في هذا المعنى، مما لا يمكنني استيفاءه ولا يسعني استقصاؤه، وهذا القدر كاف لما أردناه، موضح لما قصدناه.

وفي الفصل السادس قال في لمعة مما أفتى به علماء أهل السنة من إيمان أهل التوحيد مطلقاً ونجاة أصحاب الشهادتين جميعاً أوردناها ليعلم الناس توافق النص ولافتوى في ذلك، والغرض لم شعث المسلمين باجتماعهم، ورتق ما انفتق بتدابيرهم ونزاعهم، لأن العاقيل إذا رأى نصوص صحاحه، وفتاوى علمائه، تحكم بالإيمان على مطلق أهل التوحيد وتعلن نجاة جميع أصحاب القبلة، لا يبقى بعدها أمر يدعو إلى هذه النفرة أو يصده عن الوثام والألفة: **«والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض»**^(١) فما بالهم وهم في الدين إخوة قد انشقت عصاهم، بفواقر الفتن، ولو رجعوا إلى ما أفتى به المنصفون من علمائهم لأيقنوا أن الأمر على خلاف ما زعم المرجفون وإليك منه ما عقد الفصل بيانه.

ذكر العارف الشعراني في المبحث ٥٨ من اليواقيت والجواهر، أنه رأى بخط الشيخ شهاب الدين الأذري صاحب القوت، سؤالاً قدمه إلى شيخ الإسلام تقي الدين السبكي وصورته:

ما يقول سيدنا ومولانا شيخ الإسلام في تكفير أهل الأهواء والبدع؟

قال فكتب إليه أعلم يا أخي: «إن الإقدام على تكفير المؤمنين^(٢) عسر جداً، وكل من في قلبه إيمان يستعظم القول بتكفير أهل الأهواء والبدع مع قولهم لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإن التكفير أمر هائل عظيم الخطر، إلى آخر كلامه.. وقد أطال في تعظيم التكفير وتفضيع خطره، ودونك يواقيت الشعراني فإنها تنقل الجواب عن خط السبكي على طوله، وفي آخر ما هذا لفظه: فالأدب من كل مؤمن، أن لا يكفر أحداً من أهل الأهواء والبدع، اللهم إلا أن يخالفوا النصوص الصريحة التي لا تحتمل التأويل عناداً لله وجحوداً لما علم حكمه بالضرورة من دين الإسلام، وقد دق في هذه الفتوى أصلاب المرجفين، واستل السنة المتشدقين، وقطع أمل من يبتغي تفريق المسلمين من كل أفاك أثيم.

وقال الشيخ ابن العربي في باب الوصايا من فتوحاته: «ياكم ومعادات أهل لا إله إلا الله، فإن لهم الولاية العامة فهم أولياء الله، ولو اخطأوا وجاؤا بقرب الأرض من الخطايا وهم لا يشركون بالله شيئاً فإن الله يتلقى جميعهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربهه وأطال إلى أن قال، وإذا عمل أحدكم عملاً توعده الله عليه بالنار، فليمح به بالتوحيد، فإن التوحيد يأخذ بناصية صاحبه لا بد من ذلك».

وعقد العارف الشعراني، في الجزء الثاني من اليواقيت والجواهر مبحثاً مسهباً لثبوت الإيمان لكل موحد يصلي إلى القبلة، وهو المبحث ٥٨ قال في آخره: «فقد علمت يا أخي مما قررناه لك في هذا المبحث، أن جميع العلماء المتدينين، أمسكوا عن القول بالتكفير لأحد من أهل القبلة» **«فبهذا هم اقتده»**^(٣).

(١) سورة التوبة / ٧١.

(٢) انظر كيف أطلق لفظ المؤمنين على أهل الأهواء والبدع بدون تكلف للتفصيل راجع الفصول المهمة للمرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين (قدس سره).

(٣) الأنعام / ٩٠.

ونقل جماعة كثيرون منهم الشعراني في المبحث المتقدم ذكره، عن أبي المحاسن الروياني وغيره من علماء بغداد قاطبة، أنهم كانوا يقولون: «لا يكفر أحد من المذاهب الإسلامية لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله مالنا وعليه ما علينا».

وقال ابن حزم، حيث تكلم في من يكفر ولا يكفر في صفحة ٢٤٧ من أواخر الجزء الثالث من كتاب الفصل، في الأهواء والملل والنحل ماهذه ألفاظه: «وذهبت طائفة، إلى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أوفيتا، وأن كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور على كل حال، إن أصاب فأجران وإن أخطأ فأجر واحد.

قال: وهذا قول ابن أبي ليلى، وأبي حنيفة، والشافعي، وسفيان الثوري، وداود بن علي، وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة لانعلم منهم خلافاً في ذلك أصلاً.

قلت: هذه الفتوى من هؤلاء الأئمة، تقطع دابر المشاغبيين، وتنقض أساس المهوليين، لأن خصومهم من أهل القبلة، لم يقولوا قولاً، ولم يعتقدوا أمراً، إلا بعد الاجتهاد التام، واستفراغ الوسع والطاقة، وبذل الجهد في الاستنباط من الكتاب والسنة وكلام أئمة الهدى من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يدينوا إلا بما رأوا أنه الحق، واعتقدوا أنه عين الصواب، فيكونوا بحكم هؤلاء الأعلام، وهم أئمة السلف والخلف مأجورين، إن أصابوا أو أخطأوا على رغم من يبتغي تكفير المؤمنين، ويدأب مجتهداً في تفريق المسلمين.

وكان أحمد بن زاهر السرخسي وهو أجل اصحاب الإمام أبي الحسن الأشعري يقول: فيما نقله الشعراني عنه في أواخر المبحث ٥٨ من يواقيته: «لما حضرت الشيخ أبا الحسن الأشعري الوفاة بداري في بغداد، أمرني بجمع اصحابه، فجمعتهم له، فقال اشهدوا على أنني لا أكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، لأنني رأيتهم كلهم يشيرون إلى معبود واحد، والإسلام يشملهم ويعمهم». هذا كلام إمام السنيين وكفى به حجة تدحض أقاويل المبطلين.

وقال شيخ الإسلام المخزومي فيما نقله الشعراني عنه في المبحث ٥٨ من يواقيته: «قد نص الشافعي على عدم تكفير أهل الأهواء في رسالته، فقال لا أكفر أهل الأهواء بذنب».

قال وفي رواية عنه: «أكثر أحداً من أهل القبلة بذنب».

قال وفي رواية أخرى عنه: «ولا أكفر أهل التأويل المخالف للظاهر بذنب».

وأجمع الشافعية على عدم تكفير الخوارج، واعتدروا عنهم -كما في خاتمة الصواعق- بأنهم تأولوا فلهم شبهة غير قطعية البطلان. وقال العلامة ابن عابدين في باب المرتد من حاشيته الشهيرة الموسومة برد المحتار، ماهذا لفظه: وذكر في فتح القدير، أن الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم ويكفرون الصحابة، حكمهم عند جمهور الفقهاء وأهل الحديث حكم البغاة قال وذهب بعض أهل الحديث إلى أنهم مرتدون، قال قال ابن المنذرولا أعلم أحداً وافق أهل الحديث على تكفيرهم، قال وهذا يقتضي نقل اجماع الفقهاء (على عدم تكفير الخوارج).

هذا مع أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نص على أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأنهم شر الخلق والخليقة، وأنهم ليسوا من الله في شيء، وإن طوبى لمن قتلهم

أو قتلوه، وإذا كان هؤلاء مسلمين بالاجماع فما ظنك بمن دخل باب حطة، وركب سفينة النجاة، واعتصم بحبل الله وتمسك بثقلي رسول الله، ودخل مدينة علمه من بابها، ولجأ إلى أمان أمته من اختلافها وعذابها. (رحم الله الشافعي حيث يقول):^(١)

ولما رأيت الناس قد ذهب بهم	مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركب على اسم الله في سفن النجا	وهم آل بيت المصطفى خاتم الرسل
وامسكت حبل الله وهو ولاؤهم	كما قد امرنا بالتمسك بالحبل
إذا افترقت في الدين سبعون فرقة	ونيف كما قد صح في محكم النقل
ولم يك ناج منهم غير فرقة	فقل لي بها يا ذا الرجاحة والعقل
أفي فرق الهلاك آل محمد	أم الفرقة اللاتي نجت منهم قل لي
فإن قلت في الناجين فالقول واحد	وإن قلت في الهلاك حفت عن العدل
إذا كان مولى القوم منهم فإنني	رضيت بهم لازال في ظلهم ظلي
فخل علياً لي إماماً ونسله	وأنت من الباقيين في سائر الحل

ثم قال وإذا كان الخوارج مسلمين فمن غيرهم من أهل القبلة يكون كافراً، وأي ذي نحلة من أهل الإسلام ليس له كشبهتهم.

نقل علي بن حزم الظاهري عن الأشاعرة، ما لا يتسنى معه القول بتكفير أحد اصلاً، وإليك عبارته بحروفها، قال في أثناء شنع المرجئة في صفحة ٢٠٦ من الجزء الرابع من فصله، وأما الأشعرية، فقالوا: إن شتم من أظهر الإسلام لله (تعالى) ولرسوله بأفحش ما يكون من الشتم، وإعلان التكذيب لهما باللسان بلا تقية، ولا حكاية، والإقرار بأنه يدين بذلك، ليس شيء من ذلك كضراً. وعن الأوزاعي: «والله لئن نشرت لا أقول بتكفير أحد من أهل الشهادتين». وعن ابن سيرين: «أهل القبلة كلهم ناجون». وسئل الحسن البصري عن أهل الأهواء: «فقال جميع أهل التوحيد من أمة نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) يدخلون الجنة البتة».

وسئل الزهري عن لابس الفتن وقاتل فيها، فقال: «القاتل والمقتول في الجنة، لأنهم من أهل لا إله إلا الله».

وعن سفيان الثوري لاتحل عداوة موحد وإن ماله به الهوى عن الحق لأنه لا يهلك بذلك. وعن سعيد بن المسيب، لاتعاد منتحلاً لدين الإسلام وإن أخطأ فكل مسلم مغفور له. وعن ابن عيينة لأن تأكل السباع لحمي، أحب إلي من أن ألقى الله (تعالى) بعداوة من يدين له بالوحدانية ولمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنبوة. انتهى ما أردنا نقله عن صاحب (الفصول المهمة في تأليف الأمة) بغاية من الاختصار.

(١) هذه الأبيات التي هي من نظم الشافعي هي استشهد منا على ما سبقها وليست من كلام صاحب الفصول المهمة.

واليك بعض ما أورده «الشریف عبد الله آل علوي» في مؤلفه -صدق الخبر- قال في صفحة ٢٠٦ منه .

لا إله إلا الله محمد رسول الله . برزخ حاجز بين الكفر والإيمان

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾. ^(١)

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾. ^(٢)

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾. ^(٣)

وفي الآية الأخرى: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ ^(٤)

قال ابن عباس: «حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة».

قال ابن القيم في أعلام الموقعين، قال الإمام الشافعي: فرض الله سبحانه طاعته على خلقه ولم يجعل لهم من الأمر شيئاً وأن لا يتعاطوا حكماً على غيب أحد بدلالة ولا ظن لقصور علمهم عن علم أنبياء الذين فرض عليهم الوقوف عما ورد عليهم حتى يأتيهم أمره.

فإنه (سبحانه) ظاهر عليهم الحجج فما جعل عليهم الحكم في الدنيا إلا بما ظهر المحكوم عليه -ففرض على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقاتل أهل الأوثان حتى يسلموا فيحقق دماءهم إذا أظهروا الإسلام.

واعلم أنه لا يعلم صدقهم في الإسلام إلا الله (تبارك وتعالى)، ثم اطلع الله رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) على قوم يظهرون الإسلام ويسرون غيره ولم يجعل له أن يحكم عليهم بخلاف الإسلام - ولم يجعل له أن يقضى عليهم في الدنيا بخلاف ما أظهروا - فقال (تعالى) لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ ^(٥)

يعني أسلمنا بالقول مخافة القتل والسبي ثم أخبر أنه يجزيهم أن أطاعوا الله تعالى ورسوله يعني أن أحدثوا طاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقال في المنافقين وهم صنف ثان: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّكَ لِرَسُولِهِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ اتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ ^(٦) يعني وقاية من القتل. وقال تعالى: ﴿وَيُحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ ^(٧)

فأمر بقول ما أظهروا ولم يجعل سبحانه لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يحكم عليهم بخلاف حكم الإيمان وقد أعلم الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنهم في الدرك الأسفل من النار.

(٣) سورة التوبة/٥.

(٦) سورة المنافقون /١.

(٢) آل عمران/٨٥.

(٥) سورة الحجرات/١٤.

(١) آل عمران / ١٩.

(٤) الأحزاب/٥.

(٧) سورة التوبة/٥٦.

فجعل حكمه على سرائرهم وحكم نبيه في الدنيا على علانيتهم إلى أن قال -الشافعي- وقد كذبهم في قولهم في كل ذلك وبذلك أخبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بما أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد عن عبيد الله بن يزيد بن عبيد بن الخيار: أن رجلاً سار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يدر ما سارهُ حتى جهر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإذا هو يساره في قتل رجل من المنافقين -قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: بلى ولا شهادة له، فقال: أليس يصلي؟ قال: بلى ولا صلاة له، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم.

ثم ذكر الشافعي حديث: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، إلى أن قال فحسابهم بصدقهم وكفرهم وسرائرهم على الله العالم بسرائرهم المتولي الحكم عليهم دون أنبياءه وخلقه وبذلك مضت أحكام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما بين العباد في الحدود وجميع الحقوق. واعلمهم أن جميع أحكامه على ما يظهرون والله يدين بالسرائر.

فمن حكم على الناس بخلاف ما أظهر عليهم استدلالاً على ما أظهروا خلاف ما أبطنوا بدلالة منهم أو غير دلالة لم يسلم عندي من مخالفة التنزيل والسنة، إلى أن قال: ومن أظهر كلمة الإسلام بأن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل ذلك منه ولم يسأل عن كشف حاله وعن باطنه وعن معنى ما لفظ به. وباطنه وسريته إلى الله لا إلى غيره -فهذا حكم الله ودينه الذي أجمعت عليه علماء الأمة، انتهى كلام الشافعي ببعض اختصار.

قال ابن القيم بعد ذلك: وهذه الأحكام جارية منه (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم هي التي مشى عليها الصحابة والتابعون لهم بإحسان الأئمة وسائر المتبعين له (صلى الله عليه وآله وسلم) من علماء أمته إلى يوم القيامة.

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية في كتاب (الإيمان) الظاهر هو الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن فإن المنافقين الذين قالوا آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين. هم في الظاهر مؤمنون يصلون مع المسلمين ويناكحونهم ويوارثونهم كما كان المنافقون على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يحكم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم بحكم الكفار المظهرين للكفر لا في مناكحتهم ولا في موارثتهم ولا نحو ذلك بل لما مات عبد الله بن أبي وهو من أشهر الناس في النفاق ورثه ابنه عبد الله وهو من خيار المؤمنين وكذلك سائر من يموت منهم يرثه ورثته المؤمنون وإذا مات لهم وارث ورثوه مع المسلمين وإن علم أنه منافق في الباطن وكذلك كانوا في الحدود والحقوق كسائر المسلمين وكانوا يغزون مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعهم من هم بقتل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في غزوة تبوك ومع هذا ففي الظاهر تجري عليهم أحكام أهل الإيمان إلى أن قال: ودماؤهم وأموالهم معصومة لا يستحل منهم ما يستحل من الكفار الذين يظهرون أنهم مؤمنون بل يظهرون الكفر دون الإيمان

فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وإني رسول الله فإذا قالوا ما عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله».

ولما قال لأسامة اقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ قال، فقلت: إنما قالها تعوذاً قال هل شققت عن قلبه، وقال إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم.

وكان إذا استؤذن في قتل رجل يقول أليس يصلي أليس يشهد فإذا قيل له أنه منافق قال ذلك، فكان حكمه في دماءهم وأموالهم كحكمه في دماء غيرهم ولا يستحيل منها شيئاً مع أنه يعلم نفاق كثير منهم.

وقال أيضاً أما أهل السنة فأجمعوا على أن الجاهل والمخطئ من هذه الأمة ولو عمل من الشرك والكفر ما يكون صاحبه مشركاً أو كافراً أنه يعذر بالخطأ والجهل حتى تتبين له الحجة التي يكفر تاركها، وهي أن يدعوهم إمام - أي خليفة المسلمين - أو نائبه ويبين له بياناً واضحاً لا يلتبس على مثله ومن أصول أهل السنة: أنه من تكلم من المسلمين بكلمة كفر لا يعرف معناها فليس بكافر بإجماع السلف والخلف من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والصوفية وغيرهم من أهل النظر والاجتهاد، قال واجمع أهل السنة أن الشخص إذا كان ممن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وحصل منه بعض الإشراف في العبادة جهلاً وتقليداً أو تأويلاً لم يلحق بالكافر المكذب برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بل غايته أن يكون من عصاة الموحدين فإن كان مجتهداً فالإثم موضوع عنه ويثاب على اجتهاده وإن كان جاهلاً فهو معذور أيضاً، فكما لا يكون الكافر مؤمناً إلا بإختياره للإيمان كذلك لا يكون المؤمن كافراً من حيث لا يقصد الكفر ولا يختاره (بإجماع الأمة).

وقال ومن البدع المنكرة تكفير الطائفة وغيرها من طوائف المسلمين واستحلال دماءهم وأموالهم وهذا عظيم لوجهين، أحدهما أن تلك الطائفة الأخرى قد لا يكون فيها من البدعة أعظم مما في الطائفة المكفرة لها بل قد تكون بدعة الطائفة المكفرة أعظم من بدعة الطائفة المكفرة وقد تكون نحوها وقد تكون دونها وهذا حال عامة أهل البدع والأهواء الذين يكفرون بعضهم بعضاً وهؤلاء من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْماً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾^(١).

الثاني لو فرض أن إحدى الطائفتين مختصة بالبدعة والأخرى موافقة للسنة لم يكن لهذه أن تكفر كل من قال قولاً أخطأ فيه فإن في القرآن آية تقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ

أَخْطَاْنَا﴾^(٢).

وثبت في الصحيح عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن الله تعالى قال قد فعلت.

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾^(٣).

(١) سورة الأنعام/ ١٥٩.

(٢) سورة البقرة / ٢٨٦.

(٣) سورة الأحزاب/ ٥.

وروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «إن الله تجاوز لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»، وهو حديث حسن رواه ابن ماجة وغيره.

وقد اجمع الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين على أنه ليس كل من قال قولاً أخطأ فيه أنه يكفر بذلك ولو كان قوله مخالفاً للسنة ولكن للناس نزاع في مسائل التكفير قد بسط في غير هذا الموضع.

إلى أن قال: قال الإمام أحمد أكثر ما يخطيء الناس من جهة التأويل والقياس. وقال أيضاً: «إني دائماً ومن جالسني يعلم مني إني من أعظم الناس نهياً من أن ينسب (معين) إلى تكفير أو إلى تفسيق أو إلى معصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً تارة وعاصياً أخرى.

وإني أقر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية والمسائل العلمية وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد منهم معين لأجل ذلك لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية. إني أن قال: التكفير إنما يكون بإنكار ما علم من الدين بالضرورة أو بإنكار الأحكام المتواترة المجمع عليها إجماعاً جلياً قطعياً يعرفه كل من المسلمين من غير نظر وتأمل.

إلى أن قال: هذا الذي عليه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجماهير أئمة الإسلام. نقول إن ماتقدم من كلام الأئمة والعلماء واجماع جماهير المسلمين عليه خلصاً عن سلف كاف للاقتناع وموجب للإطمئنان وفيه بلاغ لقوم يعقلون.

صورة السؤال الذي وجه إلى علماء الطائفة العلوية في القضية التي وقعت في المحكمة الشرعية السنية في اللاذقية

ماقول السادة الأجلاء علماء الطائفة العلوية دام فضلهم؟

في أقوال وردت في دفاع المحامي المدعو ابراهيم عثمان اعتراضاً على فرض نفقة يطلبها سني من اخويه لأبيه أمهما علوية تزوجها أبوه قبل أمه السنية واحتج المحامي بهذه الأقوال لأجل منع النفقة لاختلاف الدين وهذا ما أدلى به في المحكمة الشرعية السنية في اللاذقية بالحرف الواحد جواباً على سؤال القاضي الشرعي له عما إذا كان موكله يعتقد أن الله بالوحدانية ولمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرسالة أم لا:

إن طائفة المعترضين (يقصد العلويين) تقول بالتثليث كما جاء في كتاب سوسنة سليمان للعقائد والأديان وكما جاء في كتاب الباكورة وكتاب ولاية بيروت وهذا التثليث يتضمن الباب والإسم والمعنى وهؤلاء الثلاثة أقاليم تشكل الذات الإلهية وبما يتعلق بمحمد فإن سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) صاحب رسالة سامية عند العلويين ولكنه غير خاتم الأنبياء ولهم

تفاسير خاصة ببعض الصفات الروحانية كانت تلازم الرسول تختلف اختلافاً جوهرياً عن الصفات التي يذكرها الشرع السني الحنيف. فهل يقر السادة العلماء هذه الأقوال كعقيدة العلويين أم يرفضونها ويتبرأون منها، نرجوكم الجواب الصريح ولكم الفضل.

٦ جمادى ثانية سنة ١٣٥٧ الموافق ٣ آب ١٩٣٨

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١).

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً

وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٣).

قرأنا هذا البهتان المفترى على العلويين طائفة أهل التوحيد ونحن نرفض هذا البهتان أياً

كان مصدره ونرد عليه بأن صفوة عقيدتنا ما جاء في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه

ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٤).

وإن مذهبنا في الإسلام هو مذهب الإمام جعفر الصادق والأئمة الطيبين الطاهرين (عليهم

السلام) سالكين بذلك ما أمرنا به خاتم النبيين سيدنا محمد بن عبد الله رسول الله (صلى الله

عليه وآله وسلم) حيث يقول:

«إني تارك فيكم ما إن تمسكتهم به لن تضلوا بعدي الثقلين أحدهما أعظم من الآخر كتاب

الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض

فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

هذه عقيدتنا نحن العلويين أهل التوحيد وفي هذا كفاية لقوم يعقلون.

مفتي العلويون في قضاء صهيون يوسف الغزال، قاضي طرطوس علي حمدان، مفتي العلويين

في قضاء جبلة علي عبد الحميد، قاضي المحكمة المذهبية في قضاء مصياف محمد حامد،

المحامي عبد الرحمن بركات، عبد ديب الخير، كامل صالح ديب، صالح ناصر الحكيم، يونس

حمدان عباس، حسن حيدر، في ٩ جمادى الآخرة ١٣٥٧ هـ.

(١) آل عمران / ١٩.

(٢) سورة آل عمران / ٨٥.

(٣) سورة آل عمران / ٦٤.

(٤) سورة الإخلاص.

صورة عن فتوى الرؤساء الروحيين في صافيتا المنشورة في جريدة النهار

طالعنا في جريدتكم الغراء بعددها المؤرخ في ٣١ تموز ١٩٣٨ آب عدد ١٤٤٨ مقالة لمراسلكم في اللاذقية تحت عنوان «هل مسلمون»؟ تتضمن المفتريات الكافرة التي نسبها المحامي ابراهيم عثمان لعقائد العلويين وتكفيره لهم بادعائه وزعمه أنهم ليسوا بمسلمين ينكرون (والعياذ بالله وناقل الكفر ليس بكافر) شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنهم يدينون بدين غريب يقوم على فكرة التثليث وينكرون فكرة التوحيد.

لذلك فقد اجتمعنا نحن الرؤساء الروحيين في قضاء صافيتا وأصدرنا الفتوى الآتية راجين نشرها بنفس الصحيفة التي نشرتم بها كلمة المراسل عملاً بقانون المطبوعات. إن تصريحات المحامي الموما إليه هي محض الكفر الصريح وأن المسلمين العلويين بإجماعهم المطلق يستنكرونها أشد الاستنكار ويبرأون منها ومن مثيرها إلى الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويعلنون في الدنيا والآخرة أنهم على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله شهادة حق وصدق فمن آمن منهم بالشهادتين والوحدانية فهو منهم ومن جحدتها فهو غريب عنهم كافر بهم ومن يتخذ من اتباع المسلمين العلويين مذهب الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) سبباً لابعادهم عن الدين الإسلامي الحنيف نعتبره بدعواه جاحداً للحق ناكراً للصدق عاملاً بالباطل.

صافيتا في ٣ آب سنة ١٩٣٨.

الشيخ ياسين عبد اللطيف يونس، الشيخ علي حدمان قاضي المحكمة المذهبية الشرعية بطرطوس، الشيخ يوسف ابراهيم قاضي المحكمة المذهبية الشرعية بصافيتا، الشيخ محمد محمود، الشيخ محمد رمضان، شوكت العباس، الشيخ عبد الحميد معلا.

صورة عن البيان الذي نشره زعماء العلويين في جريدة النهار في العدد ١٤٥٤ في ٩

آب سنة ١٩٣٨

المفتريات الكفارة التي نسبها المحامي ابراهيم عثمان لعقائد العلويين وتكفيره لهم بادعائه وزعمه أنهم ليسوا بمسلمين ينكرون (والعياذ بالله وناقل الكفر ليس بكافر) شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنهم يدينون بدين غريب يقوم على فكرة التثليث وينكرون فكرة التوحيد هي محض الكفر الصريح وأن العلويين بإجماعهم يستنكرونها إلى أقصى حدود الاستنكار ويبرأون منها ومن مثيرها إلى الله وإلى رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويعلنون في الدنيا والآخرة أنهم على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله شهادة حق وصدق فمن آمن منهم بالشهادتين والوحدانية فهو منهم ومن جحدتها فهو غريب عنهم كافر بهم ومن يتخذ اتباع المسلمين العلويين مذهب الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) سبباً لابعادهم عن الدين الإسلامي الحنيف يكون بدعواه جاحداً للحق ناكراً للصدق عاملاً بالباطل وللباطل.

سليمان مرشد، علي شهاب ناصر، منير العباس، صقر خير بك، ابراهيم الكنج، علي محمد كامل، أمين رسلان.

وهذه صورة عن الفتوى التي أفتى بها العلامة المفضل الشيخ سليمان أفندي الأحمد ووقعها العلامتان الفاضلان الشيخ صالح ناصر الحكيم والشيخ عيد ديب الخير.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ سورة آل عمران/ ٨٤.

رضيت بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبالقُرآن الكريم كتاباً وبمحمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رسولاً ونبيّاً وبأمر المؤمنين علي (عليه السلام) إماماً برئت من كل دين يخالف دين الإسلام أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

هذا مايقوله كل علوي لفضلاً أو اعتقاداً ويؤمن به تقليداً أو اجتهاداً.

لمحة عن العلويين

إن العلويين يقطنون الجبل العلوي الأشم وسهوله الرحبة في محافظة اللاذقية هذا عدا عمن يسكن منهم بجهات حمص، وحماة، وانطاكية، واسكندرون، وبلاد أطنّة، كلهم عرب اقحاح ترجع انسابهم إلى إلى أعرق البيوتات العربية تدلنا على ذلك دلالة واضحة أخلاقهم وعاداتهم، وأطوارهم، وأوضاعهم، وأزيائهم، وأسماء العشائر.

ويوجد فيهم العلماء، والزعماء، والفضلاء، والأدباء والشعراء، والأطباء، والمحامون، والصحفيون، وحملة الأقلام الحرة، والشبيبة الناهضة المثقفة التي هي مثال الفيرة والحماسة والأخلاق العربية الكريمة.

وجلهم من حملة الشهادات المدرسية العالية التي تؤهل أربابها إلى تسنم أرقى المناصب، ومنهم عدد ليس بالقليل في بلاد المهجر قد افتتحوا النوادي، وألفوا الجمعيات الخيرية، وتعاطوا المهن الحرة، والتجارة، والزراعة، وغيرهما من الحرف، وصدروا الصحف والمجلات، وهم لا يزالون متمسكين باسلاميتهم، وحبهم لأوطانهم، لذلك تراهم لا تتر بهم فرصة من الفرص إلا وهم في طليعة أبناء الإسلام شمماً وأباء وكرماً ونبلأ.

فإذا ما رأيتنا في هذه الفينة أيضاً نقف منهم هذا الموقف فإنما نريد أن نعبر عن حقيقة راهنة، ونترجم عن أمر واقع، نقصد من ورائهما جمع الكلمة، وإزالة ما ولدته الحوادث، والتطورات، من الحجب الممزقة والأستار البالية ليس إلا.

نصح وإخلاص

ولابد لنا في هذه المناسبة التي هي أعظم ركن في أركان الدين، وأجل قاعدة في قواعد الاجتماع، ألا وهي بذل النصح لكافة من تظللهم راية الضاد وخصوصاً منهم الشخصيات البارزة كالعلماء، والزعماء، وأرباب الأفكار الناضجة، وحملة الأقلام العالية، الذين يقدرّون بما أوتوا من علم، ووجاهة، وعبقريّة، على التأثير على أفكار الرأي العام، إذ كلهم مسئول. قال المصلح الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.

فهؤلاء العباقرة الأفاضل، داخل الحكومة وخارجها، مكافؤون ومسؤولون، أمام الله والوجدان، عن كل ما يصيب الأمة من خير وشر.

وأن من أعظم ذلك، تباعد القلوب، وانكماش الأرواح، وتوتر النفوس، بناء على اختلاف نظريات يرجح كل فريق منهم أنها مفيدة للوطن. فهذه النظريات، توجد في كل أمة، وفي كل شعب، حتى الأمم والشعوب المتمدنة لا تكاد تخلوا منها، ولكنها لا تكون سبباً للتنافر والتدابير، والتقاطع والتناحر، بل ربما كانت عندهم من أسباب التسابق في ميدان الحضارة والنشاط، ونحن أولى وأحق برعايتهم منهم. قال سيد العرب معلم الناس الخير (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث..

وقال روعي له الضاء: «اثنان خير من واحد وثلاث خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة» إلى آخر ما قال وهو الرؤوف الرحيم.

وأنني أصرح بكل إخلاص ولا أخشى بعد ذلك بأساً بأن أمتنا السورية العربية لو تمسكت بمعنى هذين الحديتين الشريفين الذين هما مدار إصلاح، ومنار لكل نجاح، لكانت في حالتها الحاضرة، أقوى ركناً، وأعز جانباً، وأمضى سلاحاً، ولعلني انشاء الله (تعالى) قد أصبت الهدف، وتوفقت كما أرجو أن يتصافى ويتصافح الجميع، فيصبحوا وهم على قلب رجل واحد ولا أشك أنهم بعد ذلك يرون قضيتهم تسير مسرعة إلى ما يرضي الله والأمة.



سعيد بن حيدر آل حيدر

(١٣٠٧ - ١٣٧٧ هـ - ١٨٩٠ - ١٩٥٧ م)

• الدكتور حسن نصرالله*

أحد رجال السياسة والنضال القومي، حقوقي، صحافي، محام، كان من المع رجالات سورية في النصف الأول من القرن العشرين. ومن كبار المناهضين للانتداب الفرنسي على سورية ولبنان، والعاملين للقضية العربية^(١) ولد في بعلبك سنة ١٣٠٧/١٨٩٠ وتلقى علومه الابتدائية في بعلبك. وأنهى علومه الثانوية في تجهيز دمشق، ثم التحق بمدرسة الحقوق بالآستانة، ونال شهادتها العليا، وأتقن اللغتين العربية والتركية انصرف إلى السياسة فانتسب إلى حزب الفتاة، ثم انضم إلى حزب الاستقلال في العهد العثماني، وانخرط في صفوف حزب الشعب إبان عهد الانتداب. درس الحقوق الدستورية في معهد الحقوق بدمشق، وعمل عضواً في محكمة جنابات دمشق. فعضوا منتخبا في المؤتمر السوري. حضر اجتماع (المستر كراين) في حي الميدان بدمشق سنة ١٩١٩ م.

وشارك سعيد حيدر في إعداد الوثائق والمستندات التي تشرح حقوق العرب مطالبهم، وقد بعثها إلى رئيس لجنة التحقيق (المستر كراين) صباح الخميس ٦ نيسان. وكانت التوصيات ترفض الانتداب، فاعتقل مع زملائه الذين أعدوا الوثائق، جاء في مذكرات الشهبندر «وفي مساء هذا اليوم تم القبض على حسن الحكيم وسعيد حيدر، ومنير شيخ الأرض وسجنوا في قلعة دمشق». وحكم على سعيد حيدر بالسجن لمدة خمس عشرة سنة، ونقل مع زملائه إلى قلعة بيت الدين بتاريخ ٢١ نيسان سنة ١٩١٩ م. لكن الحكومة الفرنسية أفرجت عن المعتقلين بعد اضطرابات كثيرة أدت إلى اضطرابات خطيرة. وشارك سعيد حيدر في اجتماع إعلان الثورة السورية الكبرى في (بيت الشرياتي) سنة ١٩٢٥ م ونزح إلى شرقي الأردن. عاد إلى دمشق سنة ١٩٣٧ عقب العفو العام الذي صدر بعد عقد المعاهدة الفرنسية السورية فعين عضواً في مجلس الشورى (١٩٣٨) وانتخب نائباً لرئيس المجلس وفي سنة (١٩٤٢) ترأس مجلس الشورى، وعمل في محكمة التمييز العليا، وانتخب عضواً في لجنة الدستور فرئيساً لها ولما تحولت الجمعية التأسيسية إلى مجلس النواب سنة ١٩٤٩ انتخب نائباً عن دمشق فنانب رئيس المجلس النيابي السوري، وعين رئيساً للجنة

(١) داغر: يوسف: مصادر الدراسة الأدبية: ج ٣ ق ١ ص ٣٥٠.

* تاريخ بعلبك ٢ / ٢٢١ - ٢٢٤.

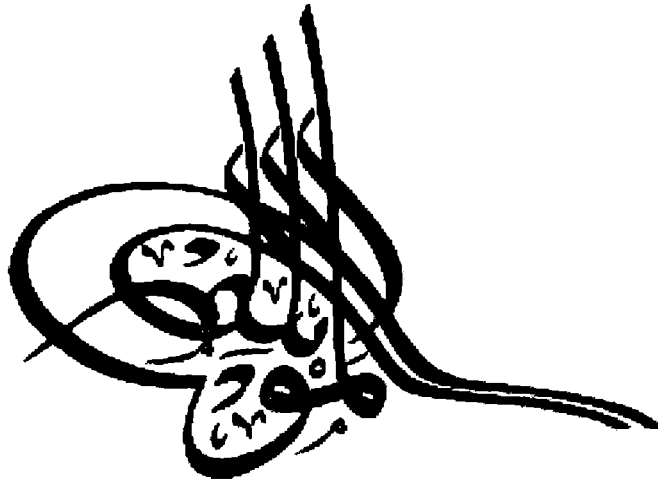
الدستورية أو عضواً في لجنة الشؤون الخارجية، مارس الصحافة مع أخيه يوسف ومارس المحاماة. توفي بدمشق ودفن (بقرية الست) في (مقبرة السيدة زينب) بضواحي دمشق في ١٣ صفر ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م.

مصادر ومراجع:

- ١- من هو في سورية: ٢٤٦ - ٢٤٨ ، ٢- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين: ٢٢٢/٤ ، ٣- يوسف داغر: مصادر الدراسة الأدبية ج ٣ ق ١ ص ٣٥٠ ، ٤- مجلة الأديب: ١٦ عدد ١٠ ص ٧٦ ، ٥- العرفان: ٤٥ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ٣٠٣ ، ٦- جريدة الأيام الدمشقية: عدد ٦٢١١ .
- وكتبت الأضاحي عنه هذه المقالة:

«علم من أعلام الوطنية شاءت السياسات أن يظل بعيداً عن وطنه وغريباً في منفاه ناء عن أهله وأقاربه ولكن المنفى والبعد مهما طال لم يذهبا بشيء من عقيدته الوطنية وإخلاصه لبلاده فهو ضحى وسيضحى في سبيل غايته المثلى مؤثراً البعاد على أن يرى هذا الوطن البائس فوقه راية غير رايته. تلقى علومه في مدارس القسطنطينية ونال منها شهادة الحقوق، اليوم هناك يمتهن حرفة المحاماة باللغة التركية التي سابق بها أبناءها، كاتب متضلع من اللغة شر بعض مقالاته في جريدة المفيد الدمشقية. خطيب ملسان رافق عبد الرحمن الشهبندر إلى منفاه في أرواد مع رتل من الزعماء الوطنيين حيث جلسوا هناك يتلون على الشرق درساً في الوطنية والتضحية في سبيل استقلال البلاد العربية، وقد حكم على سعيد حيدر بعد انقضاء الثورة السورية كما حكم على كثيرين بالاعدام، فلذا لا يتمكن من دخول بلاد أحبها حتى العبادة... نشر في الصحف مقالات فياضة تلمس فيها روح الكاتب البليغ والوطني الصادق» «جريدة الأضاحي عدد

١١٧ سنة ٤ / ١٩٣٠..



الإمام السيد محسن الأمين

(ترجمته بقلمه)

وقد قدمها للمجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية) بعد نيله العضوية فيه وقد قدم المجمع لترجمته بالمقدمة التالية:

صرف العلامة السيد محسن الأمين رحمه الله وقته ونفيس عمره بالاشتغال بالعلم درساً وتحصيلاً، وتعليماً وتصنيفاً، وطبعاً لمؤلفاته ومؤلفات بعض المتقدمين النافعة، فنشر عشرات الكتب الدينية والتاريخية والأدبية، وأنشأ بهيمته العالية ومساعدته الحميدة المدرستين المحسنية واليوسفية للذكور والإناث في حي الأمين، وألف بعض الكتب المدرسية في الأدب والدين.

كان الفقيه العظيم فقيهاً أصولياً، عالماً مؤرخاً، أديباً متفنناً، باحثاً مجتهداً نظاراً. ومن أجل الكتب التي ألفها في العهد الأخير، تاريخه الكبير الذي سماه «أعيان الشيعة» وقد نشر منه حتى الآن (٣٥) جزءاً، رتبته على حروف المعجم، وقدم له مقدمة في مجلد حافل، وهو الجزء الأول من هذا الكتاب وفيه كل ما للإمامية الأثنى عشرية من أخبار وآثار، ومن أهم ما جاء فيه وأفضله ما كتبه المؤلف تحت عنوان (نصيحة مهمة) وجه فيها النصيح والتذكير إلى قومه العرب وأخوانه المسلمين سنيين وشيعيين دعاهم فيه إلى الكف عن معادلة بعضهم لبعض، وعن القدر والتضليل، والظعن والتشهير، وقد أن لهم أن يعلموا أن الذي فرق بينهم هو السياسة، وأنها تقضي عليهم اليوم باتفاق الكلمة، لا سيما وهم إخوان في الدين. وجاء في هذه النصيحة مانصه: «وانتم أيها الأخوان الشيعيون عليكم أن تعلموا بما أمركم به إمامكم إمام أهل البيت جعفر بن محمد الصادق من التحبب إلى أخوانكم أهل السنة من زيارتهم، والصلاة في جماعاتهم، وتشجيع جنائزهم، وعبادة مرضاهم، وتجنب كل ما يوغر صدورهم، حتى يقولوا: رحم الله جعفر بن محمد ما أحسن ما أدب به أصحابه، ثم أوصى جميع المسلمين بمعاملة أبناء وطنهم بالرفق واللين»، واستشهد بخطاب الله لنبيه بقوله: «وجادلهم بالتتي هي أحسن» وختم هذه الوصية القيمة بالدعاء لله سبحانه أن يوفق الجميع لما فيه الصلاح والإصلاح.

هذا وقد انتخب الفقيه الجليل عضواً في المجمع العلمي العربي في ٩ محرم سنة ١٣٣١ وفي ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٢ فحضر بعض جلساته، واستمع لمحاضراته، وكتب ماعهد إليه به في مجلته، وهماهي ذي ترجمته التي كتبها بخطه وكانت محفوظة في خزانة المجمع العلمي بين تراجم إخوانه الاعضاء.



بأحسن مايجزي من البرّ والرّفد
وهم حفظوا عهدي على القرب والبعد

جزى الله عنّي في دمشق عصابة
هم وصلوني والمهامه بيننا

محسن الأمين

«المجتهد الأكبر السيد محسن الأمين هو النموذج الأبرز على العلاقة الخلاقة بين العمل الوطني والاسلامي وكان في دمشق إمام العمل الوطني السوري ومرجع المذهب الشيعي الأعلى وعلى الصعيد الديني لم يقل أثراً وسعة أفق عن محمد عبده، وعلى الصعيد الوطني كان رأس الوطنيين السوريين، وفي بيته أعلنت الحركة الوطنية في سورية سنة ١٩٣٦ الاضراب الخمسيني الشهير ضد الفرنسيين».

منح الصلح

نسبه:

هو محسن ابن الشريف السيد عبد الكريم ابن العلامة الفقيه السيد علي ابن السيد محمد الأمين ابن العلامة الفقيه المحدث السيد ابي الحسن موسى ابن العالم السيد حيدر ابن السيد أحمد ابن السيد ابراهيم الحسيني الحلبي العاملي المنتهي نسبه إلى الحسين ذي العبرة ابن زيد الشهيد ابن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

مولده

ولد بقرية شقراء من جبل عامله التابعة قضاء مرجعيون من عمل بيروت سنة ١٢٨٤ هجرية وبها نشأ.

تحصيله

قرأ أولاً في مدارس جبل عامله النحو والصرف وعلوم البلاغة والمنطق ومبادئ أصول الفقه ومبادئ الفقه وأصول الدين ودعي إلى الامتحان في بيروت للأعفاء من الخدمة العسكرية خمس سنين فأجاب فيها.

ثم هاجر إلى العراق سنة ١٣٠٨ هجرية لطلب العلم وتوطن النجف فآتم بها قراءة علمي الأصول على مشاهير علمائها استدلالاً موجزاً ثم استدلالاً تاماً حتى بلغ رتبة الاجتهاد والفتوى ونال الشهادة بذلك من مشاهير المجتهدين وأجيز بالرواية وتخرج عليه في جبل عامله والنجف كثير من الطلاب هم من أفاضل العلماء.

وبقي في النجف إلى سنة ١٣١٩ هجرية ثم جاء إلى دمشق فتوطنها ولم يزل إلى اليوم وهو ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ هجرية وقد أشرف على الثمانين مجداً في المطالعة والتأليف والتصنيف ونشر العلم والتدريس والوعظ والتذكير والسعي في المصالح العامة بهمة لاتعرف الكلال، معرضاً عما سوى ذلك من أمور الدنيا. نقول هذا تحديتاً بنعمه تعالى.

أعماله الخيرية العامة

أنشأ بدمشق سنة ١٣٢١ (المدرسة المحسنية) للذكور واشترى لها بمساعدة أهل الخير دارين فخمتين وتمكن من إيجاد أوقاف لها تزداد سنة فسنة، وأنشأ بعدها بمدة قليلة (المدرسة اليوسفية) للإناث التي اشتراها وقام بنفقاتها المحسن الشهير الحاج يوسف بيضون وأسس بدمشق (جمعية الإحسان) لمساعدة الفقراء وهي أول جمعية إسلامية خيرية أسست بهذا البلد الطيب. ثم أسس (جمعية الاهتمام بتعليم الفقراء والأيتام).



انزواؤه

هو في جل أوقاته منزو في منزله مشغول بالمطالعة والتأليف والتصنيف وأجوبة المسائل معرض عن معاشره الناس وقد دُعي مراراً لتولي أعلى المناصب الدينية في الدولة فأبى.

تأليفه بين المسلمين؛

وقد سعى جهده وبما في وسعه في كل فرصة وعند كل مناسبة في التأليف بين طوائف المسلمين حتى أزال كثيراً من سوء التفاهم وقرب بين القلوب وظهرت ثمرات جهوده في ذلك.

أسفاره؛

حج بيت الله الحرام وزار المدينة الطيبة سنة ١٣٢٠ - ١٣٢١ هجرية ثم حج ثانياً بيت الله الحرام سنة ١٣٤٠ - ١٣٤١ وتمر

بمصر القاهرة في كلا السفريين. وزار المدينة المنورة بالقطار الحديدي من دمشق مرتين وزار بيت المقدس مرتين. وفي سنة ١٣٥٢ - ١٣٥٣ سافر إلى العراق وإيران وزار الأماكن المقدسة وعرج على أكثر مدن المملكتين وأقام فيها وزار خزانها الكبيرة والصغيرة واطلع على مافيها من المؤلفات المخطوطة النادرة ونقل منها كثيراً لمؤلفاته واستنسخ عدة من الكتب المخطوطة النادرة النفيسة واشترى بعضها وبقي في هذه السفره نحواً من ١١ شهراً لم يأل فيها جهداً في التفيتش والتنقيب وعمل فيها رحلة مطولة.

مؤلفاته؛

ألف في أنواع العلوم مايزيد على مائة وعشرين مجلداً أكثرها مطبوعة وبعضها طبع مراراً. وأكثرها لاينقص عن ٥٠٠ صفحة وجملة منها لم يؤلف مثلها في معناها.. ومن أهمها كتاب أعيان الشيعة الذي طبع منه حتى لأن ١٧ مجلداً أكثرها يزيد عن ٥٠٠ صفحة إلى ٨٠٠ صفحة ولم يتجاوز المطبوع حرف الجيم إلى جندب بن جنادة والباقي كل مواده جاهزة.

السيد محسن الأمين الحسيني العاملي.

أعيان الشيعة (عرض وتعريف)

عرف الإمام السيد محسن الأمين بموسوعته الرائدة أعيان الشيعة وبهذه المناسبة ننشر كلمة الشيخ سليمان ظاهر عضو المجمع العلمي العربي بدمشق، التي استعرض فيها الموسوعة وأثنى على جهوده العلمية والخيرية، قال رحمه الله في كلمة نشرت في شباط عام ١٩٥٠.

لا يدرك أمد الأقدمين ممن عرفوا بسعة التأليف والاضطلاع بأعباء التصنيف من علماء المسلمين في عصور العلم الذهبية غير مؤلف هذا الكتاب «أعيان الشيعة» علامة عصره وفريد دهره السيد

محسن الأمين العاملي الفقيه المتكلم الأديب الشاعر المرجع في التقليد العامل في نشر العلم المؤسس للمدرسة العلوية في حي الخراب سابقاً وحي الأمين اليوم، والموسومة اليوم بالمدرسة المحسنية التجهيزية التي ماشت روح التعليم العصري إلى التثقيف الديني واشتملت على قسمين داخلي وخارجي والمشارك للمحسن الكبير المرحوم الحاج يوسف بيضون في تأسيس مدرسة الإناث الموسومة باليوسفية التي أنفق ذلك المحسن المال الكثير في ابتاعها وإصلاحها ولا تزال تشرف على إدارتها كبرى كريماته وللمدرستين أثر كبير في تخريج نشء الإسلام في هذا البلد الطيب وناشاته جامعين الدين والدنيا ولحاجتي الروح والجسم إلى تفوق المتخرجين منهما في التحصيل والنسبة المثوية في الفحوص وإذا أضيف إلى ذلك ما ينفقه هذا العلامة الجليل من وقت غير قليل في المراجعات من استفتاءات دينية من مختلف الأمصار الإمامية ومن فض منازعات ومن غشيان الزائرين وهم كثر في عاصمة كبيرة كدمشق من دمشق ومن الطارئین عليها وإذا ذكرت قيامه في هذه المهمات وهي وحدها تكاد تستغرق القسم الأكبر من وقته الثمين الي كله عمل فيأخذك العجب كيف أتيح له أن يقوم بتأليف هذه الموسوعة أو المعلمة منفرداً بالتأليف والمراجعة والنسخ وتصحيح الطبع وما إلى ذلك مما له علاقة ماسة بالكتاب دع ما يخرج من كتب أخرى بالوضع والطبع كإخراجه كتاب (أبي تمام) الضخم الذي لم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بهذا الشاعر الخالد إلا احاط بها إحاطة منقطعة النظير، ومثل ذلك إخراجه لكتاب أبي فراس الحمداني وأخيراً دعبل الخزاعي الذي استقصى به أخباره ونفائس أشعاره.

أما مجلدات الأعيان فقد بلغت الإحدى والثلاثين مشتملة على خمس وثلاثين وأربعمئة وستة آلاف ترجمة وهي لم تتجاوز حرب (الراء).

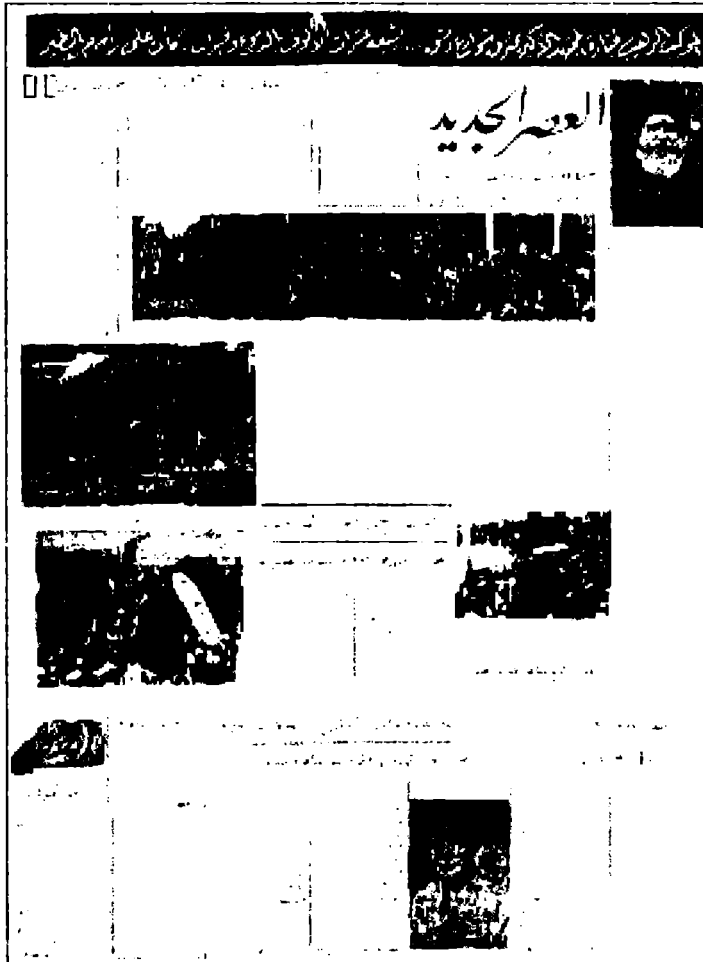
وفي تراجم الرجال الذين ترجم لهم من الأخبار ما يغني من يراجع عن أمهات كتب التراجم وكتب التاريخ مضافاً إلى ذلك التحقيق والتدقيق والنقد التاريخي المذهب وجل من ترجم لهم من معاصريه ومن تقدمهم تجنب فيه المبالغات والاعراق في المدح فجرى على خطة القدماء في تراجم الرجال. ففي الكتاب تاريخ وأدب وشعر إلى أخبار وحوادث قد يصعب على الباحث الوقوف على مظانها وإلى ذكر رجال لولا الأعيان لظلوا مغمورين مجهولين.

وفي الكتاب مزية أخرى وهو أنه أول كتاب ظهر للإمامية في موضوع الرجال التاريخي، وأنه لم يقتصر على ترجمة رجال الرواية أو رجال الدين بل جمع إلى تراجمهم تراجم رجال الدنيا، ومزية ثالثة للكتاب عني بها المؤلف وهي قلما تتسع لها أناة مؤلف فإنه استطاع الحصول على مصادر في رحلته العراقية الإيرانية المباركة في اللغتين العربية والفارسية ذات قيمة تكاد لاتصل إليها أيدي الباحثين الذين ينفقون في الوصول إلى أمثالها عامة وقتهم فكيف بمن شغل القسم الكبير من وقته في تلقي الوافدين لزيارته من رجالات العراق وإيران من مختلف الطبقات وله مركزه الديني المرموق ومقامه العلمي والأدبي الطائر الشهرة أضاف إلى ذلك إيفاءه حق كل زائر زيارته بمثلها أو أحسن منها إلى مذكرات علمية وأدبية مع رجال العلم والأدب ومع ذلك كله من هذه المهام استتب له الظفر بمادة غزيرة لكتابه ومزية رابعة وهي عثوره في زوايا بعض المكتبات الخاصة والعامة على

أوراق نسجت عليها العناكب وقلما أبه لها خازنوها ولها اتصال بكتابه الثمين فأعاد لها رواءها وضمها إليه مهندبة صافية. ومزية خامسة وهي إحياء ترجمة مغمورين لم يترجم لهم مترجم ولم يذكرهم ذاكر، وقلما عثر على بعض ما خلفوه من الآثار باحث وذلك مما يزيد في قيمة الكتاب. ومزية سادسة وهي استنساخه وسعه للوقوف على ترجمة كل منسوب إلى التشيع من مختلف الأمصار والأعصار ممن ترجم لهم إخوانهم السنة وقد أغفل تراجمهم من رجال الشيعة إلى غير ذلك مما يطول به وصف هذا الكتاب الفذ في بابه.

وبعد فإن صاحب الأعيان العظيم أشبه بتأليفه كتابه من حيث ما بذل فيه من الجهد والتعمق في البحث للعثور على ما عثر عليه من مادته الغزيرة وخاصة الرجال المغمورين المجهولين ممن رد إليهم حياتهم الأدبية بالعالم الأثري الذي ينفق المال الكثير والوقت الطويل ويتحمل المشاق للوصول

من الأحافير إلى أثر من آثار الأمم الدراسة يضمه إلى المتاحف الأثرية ويخدم به التاريخ القديم. وكان من مثل هذه الطرف النادرة الشيء الكثير لمؤلف الأعيان لينظم مفاخرها، تليدها وطريفها، متناسقة لألبها الغالية في سمط عقده الفريد كتابه الخالد «الأعيان».



الصفحة الأولى من جريدة
العصر الجديد الدمشقية
اليومية الصادرة في ١٩٥٢/٤
٣ وقد حملت نعي السيد
الأمين في أولى صفحاتها



الشيخ ابراهيم عبد اللطيف

● الشيخ عبد اللطيف ابراهيم

عليه من توقده دليل
فليس يضره الجسم النحيل

تراه من الذكاء نحيف جسم
إذا كان الفتى ضخم المعالي

مولده ونشأته^(١)

ولد نهار الأحد لعشر بقين من ربيع الأول سنة ١٢٩٦ هـ في قرية (بيت ناعسة) التابعة لقضاء صافيتا، فلما اتم السنة الأولى من عمره توفي والده (رحمه الله) فنشأ يتيماً في حجر أمه وكانت علائم الذكاء والفتنة لائحة عليه ودلائل الفصاحة والبلاغة واضحة لديه.

فلم يكد يبلغ الثامنة من عمره حتى ختم القرآن العظيم وأحسن تجويده واتقن الخط الثلث والنسخي والتعليق على يد الاستاذ المدرس (الشيخ حمدان شروف)^(٢) وفي سنة ١٣١١ بادر إلى العلامة الفاضل (الشيخ أحمد حسن صارم)^(٣) فقرأ عليه التصريف والنحو وشيئاً من الحديث.

وفي أواخر عام ١٣١٥ وافى صافيتا حضرة الأديب الغيور (الخوaja ابو حنا سعادة اللبناني)^(٤) وتفرغ للتعليم فنهض إليه على قدم الجد نهضة الحاذق اللبيب ناصباً نفسه الطاهرة لرفع لواء العلم وكسر جيوش الجهل فلم تمض عليه برهة من الزمن حتى أصبح استاذ اللغة ورجل البيان والمنطق. وفي سنة ١٣١٨ لازم العلامة السيد مصطفى^(٥) وأخذ عنه علمي الفقه والفرائض ولم يزل يتردد عليه إلى أن هلت أعمار حكمه البهية ويزغت شمس علومه السنية وطار في الأقطار ذكره وفاح بين الأنام نشره فتهافت الطلاب عليه افواجاً وتدفقت عليهم شآبيب آدابه أمواجاً فجلا بحكمته صداً قلوبهم وقذى أبصارهم وكان لهم منه تلك النهضة والرقى والتمدد العربي، كيف لا: وقد بث في نفوسهم روح العرفان والعوارف وزرع في صدورهم بذور العلوم والمعارف وبذل

(١) هو الشيخ ابراهيم بن الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ ابراهيم بن الشيخ مرهج بن الشيخ منصور بن الشيخ موسى بن الشيخ حيدر بن الشيخ ابراهيم بن الشيخ يوسف بن الشيخ رضوان التنوشي.

(٢) احد شيوخ القرية كان من القراء الذين يعول عليهم وقد قضى عمره بذلك الفن.

(٣) كان من اعظم النحاة وكان على جانب عظيم من لين الجانب ودماثة الأخلاق والاخلاص.

(٤) أحد العلماء اللبنانيين كان ضليعاً بفنون اللغة العربية وأحوالها.

(٥) كان من أفضل وأجل أهل زمانه وكان في الدرجة القصوى من الزهد والعبادة والتقوى ويجتمع نسبهما بالشيخ مرهج.

مجهوده في نزع تلك الخرافات والتقاليد القديمة التي خيمت على أفكارهم واستولت على عقولهم منذ مئات من السنين يوم لم تكن إلا مدة يسيرة حتى أفاق ذلك الشعب المسكين من نومه العميق وأماط عن وجهه تلك الحجب الكثيفة المظلمة حجب الجهل والخمول وانتقل من حالته السالفة إلى العصر الذهبي عصر التنور والتجدد.

اجتماعاته:

وفي سنة ١٣٢٥ اجتمع هو والاستاذ العلامة الشيخ سليمان الأحمد في صيدا مع صاحب العرفان الشيخ أحمد عارف الزين والسيد عبد الحسين شرف الدين والشيخ محمد الحسين النجفي والشيخ أحمد رضا وغيرهم من السادة العلماء الأفاضل وقد جرت بينهم مكاتبات لايسعنا اثباتها هنا.



● الشيخ عبد اللطيف ابراهيم

هيئته وصفاته:

كان رحمه الله متوسط القامة نحيف الجسم اسمر اللون واسع الجبهة اشهل العينين رقيق الشفتين خفيف العارضين وكان عالماً عاملاً فاضلاً كامل شاعراً فصيحاً ناثراً بليغاً لطيفاً كريماً أوامهاً حليماً حسن السيرة صافي السريرة إذا قال فعل وإذا حكم عدل وإذا سئل أجاب وإذا نطق أصاب عليه سيمة الوقار والجلال وهيئة اللطف والكمال ومن بديع كلامه تستدل على رفيع مقامه فإليك طرفاً من شعره وعقدأ من ثمين دره:

قال متغزلاً ومادحاً آل الرسول عليهم السلام

حردمع لبينهم مطلول
فتمشى الفؤاد إثر الحمول
شرق الربع فيه بعد الرحيل
رهن حالين زفرة وعويل
قصي الحبيب داني العذول
وعن الحي رث رسم محيل
خل عن ذكر حومل والدخول
حيث برء الضنى ويرد الغليل
لتنال القبول بالتقبيل

كم شجي أسال بين الطلول
سارت العيس بالأحبة عنه
شرق الجفن منه بالدمع لما
فهو بين الرسوم يمسي ويضحى
حاضر الشخص نازح القلب حيران
مستعيضاً عن الشراب سرايا
سائق الظعن إن مررت بنجد
واعطف الركب نحو حي سعاد
حيث تهوي القلوب من كل فج

حيث تأتي الركبان فوق قلاص
حيث عين المها منيعة وصل
كل حوراء تخجل الشمس والطبي
صاح دعني وحسرتي وشجوني
لذ لي الذل في سعاد فأمسيت
وبها عند وحشتي طاب انسي
أسعدي ياسعاد لطفاً بعطف
طال عهد الوصال عني وقد كنت
لهف نفسي متى أفوز بقرب
ليس إلا ولايتي واعتصامي

ضامرات من وخدها والزميل
بين سمر القنا وبيض النصول
بوجه ضاح وطرف كحيل
واتركني ورقتي ونحولي
لعذب العذاب غير ملول
وبآيات ذكرها ترتيلي
فيه محيا فؤادي المتبول
أظن الهجران غير طويل
يشتفي فيه داء قلب عليل
بسفين النجاة آل الرسول

ومن مرثاة في استاذہ الأعظم (السيد مصطفى)

واهاً لذا الدهر كم اردت فواقره
خطب جليل دعا ما دونه جلا
فأي مقلّة حرّ لا تفيض دماً
لفقد رب المعالي مصطفى حسن
تراه من زهده في زي محتقر

فقد دهانا بما كنا نحاذره
ورد أعظم رزء وهو صاغره
حزناً عليه ولم تفطر مرائره
نجم الهدى السيد الميمون طائره
وفي العرين تحاماه قساوره

من أشعار الشيخ عبد اللطيف إبراهيم بلادي

بلادي لا عدمتك من بلاد
مشيت على الليالي بدر تم
تقودين المعالي سابقات
كأنك ما ارتديت لباس عز
وما حازت يمينك كل فخر
وما جردت سيفاً في كضاح
وما انجيت أسادا كماً
بنفسي وهي لا تأبى: بلاد
اهيم بحسنها الضاحي فالهو
تشتت رأيها حتى اضاعت

وظل شريف حبك في فؤادي
فها أثر المحاق عليك .. ساد
فهل يرضي أبائك أن تباد
وما غنى بطيب ثنائك شاد
وما نادى بفضلك كل ناد
وما ارسلت خيلاً في طراد
بأجام من السمر الصعاد
سرى في جسمها داء الفساد
به عن حب هند أو سعاد
بسبل الغي منهج الرشاد

فأصبح ذو السداد بلا مطيع
يناقض ذاك ذا قولاً وفعلاً
إذا حدقت نحوهم بطرف
بلادي إن الوتك نصح حر
وقائلة وما كتمت جميلاً
لقد اسمعت لو ناديت حياً
إلى الشيخ سليمان الأحمد:

حدق الطرف بالوجود ملياً
شاعر مترع الخيال من الإبد
خلقته إلهة الحب للحب
بكتاب منور تقرأ الأجـ
عالمي حنا على كتب الوحي
غريل الناس والعقائد والاخـ
يسكب النور في العيون ويجلو
يانبي الشباب في الوطن البا
حثة للوئام والحب وأنفخ
انت كالشعلة الكبيرة في الصحـ
شوقت للسرى فما وجد السا
حولت نظرة الحياة إلى أر
فحببت نحوها العيون الكسالى
قائد الفكر باعث النهضة الكبـ
إن في ذمة الشباب وما ثقف
لك حق وواجبات عليه
إلى طلب العلى

نهوضاً بني قومي إلى طلب العلى
رقدتم طويلاً فاستفيقوا من الكرى
لعمركم الفتى: ما العيش إلا ركوبه
يعز عليه أن يرى متقاعد
إلى العلم والعرفان شدوا رجالكم
فما العلم إلا جنة يتقى به

وذو الأمر المطاع بلا سداد
ويسلقه بالسنة حداد
ترى قوما ولكن من جماد
كبا طرفي وما وريت زنادي
يقر على الطروس به مدادي
ولكن لا حياة لمن تنادي

وانبرى يرسم الخلود جلياً
داع يوحى البيان عذبا شهياً
وأهدته للشباب نبياً
يال فيه ثقافة ورقياً
ونقي لبابها الجوهرية
لاق واجتاز بالعصور جرياً
من شعاع العيون فجرا مضياً
نس نبه شعوره الأخويـ
فيه روح الشهامة العربية
راء يطوي شعاعها الليل طياً
ري على ضوءها ضلالاً وغياً
وع منها شكلاً وأبداع زياً
تستمد النشاط شياً فشيـ
رى وحامي لوائها العلويـ
ت منه (يوييلك الذهبية)
ومن العدل أن يكون وفيـ

فو الله لا يغني نزار ولا فهر
ولا تلبثوا وهنا فقد طلع الفجر
متون الظبي: والعيش من بعده مر
وليس له في كل واقعة ذكر
ولا تقعدوا جبناً: وقد عظم الأمر
فلا فاضة تبلى ولا عسكر مجر

(وفي الليلة الظلماء يفقد البدر)
ونار على من ساقه المكر والغدر
وفيهم: لعمري: من يحق له القدر
تقصر عن ادراكها الأنجم الزهر
ويبسم والأعداء كالحية غبر
إذا قيل عنه صدق الخبر الخبر
فجاءه من سيفه الفتح والنصر

هو البدر إن ليل الخطوب عراكم
هو العلم نار أوقدت تبعث الهدى
فما بالكم لا تقدرون رجالكم
بهم كل مغوار يروح بعزمة
يخوض غبار الموت: والموت عابس
فكن رجلاً ضرباً حكيماً مجرباً
رمته يد الأقدار في كل نكبة

بني وطني

فهل فارقت اسماعكم عندها الوقرا
تسومكم داء من الجهل لا يبرا
علت في سماء العلم أباًؤكم قدرا
بمرقاها هم هام المجرة والشعري
ويلسعكم عتبي كأن به جمرا
فمن بابها تحظون بالغاية الكبرى
اقدمها لا ابتغي منكم أجرا
والا فقد اديت في نصحي العذرا

بني وطني قد أن تنفع الذكرى
بني وطني ما هذه السنة التي
وسامتكم قدرا وضيعا وطالما
رقوا درج العلياء حتى تجاوزوا
لقد أن أن تستيقظوا من رقادكم
لجوا كل باب للمدراس تفلحوا
بني وطني هذي نصيحة مخلص
فإن تقبلوها فهي حظي وحظكم
إلى الشيخ عبد الرحمن الخير

لا تزل بالسرور والانعام
والمحبون من أولي الارحام
ب وفي كل مجلس ومقام
على الحوض مع موالى الإمام (ع)

كل يوم وكل شهر وعام
ياسليل الأخيار دمت بخير
ونصير الاسلام في الشرق والغرب
ورفيقي فتى وكهلا وشيخاً

هجرته ووفاته:

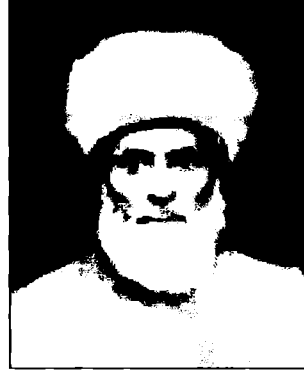
وفي أوائل سنة ١٣٣٤ هـ هاجر هو وعائلته إلى مدينة (حمص) فسكنها أربعة أشهر وفاجأته المنية مأسوفاً عليه لاثنتين مضتا من جمادى الأولى ونقلت جنازته لمدفن آبائه الكرام (إلى بيت ناعسة) رحمهم الله أجمعين.

بنظيره الأيام ليست سامحة

الله يعلم: والدلائل واضحة

الشيخ محمد مرعي الأمين الانطاكي

(١٣١٤هـ)



ولد سنة ١٣١٤هـ في قرية (عنصو) وهي تبعد نحو أربعة فراسخ من مدينة انطاكية (التابعة اليوم إلى تركيا) رزقه الله حب العلم منذ صغره فدرس مع أخيه الشيخ أحمد لدى الكتائب ثم اختلف على مشايخ قريته، وبعدها انتقلوا إلى انطاكية ودخلوا مدرستها وبقي فيها نحو سبع سنين وكان من اساتذته فيها الشيخ نظيف ووالده الشيخ أحمد أفندي الطويل وصادف أن أتى إلى انطاكية في تلك البرهة من الزمن العلامة الشيخ محمد سعيد العرفي منفياً إليها من دير الزور بسبب نشاطه السياسي ضد الاحتلال الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٩ فدرس عنده وغرس فيهما بذرة التشيع التي تمت فيما بعد، حيث ارتحلا إلى مصر ودرسا في الجامع الأزهر، وكان من اساتذتهما هناك الشيخ مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر، والشيخ محمد أبوطه المهني وغيرهم، وبعد عودتهم سكنا حلب الشهباء وكانا من علماء المدينة، ثم أعلنا اعتناقهما للمذهب الجعفري واشتهر أمرهما في سائر البلاد فاقتنع بهما من أقتنع وأخذ برأيهما وامتنع من امتنع وحاربهما ومن بين من امتنع شخص حلبى يدعى أمين عيروض اذ أسس مع مجموعة من المعارضين على الانطاكي هيئة اسموها «الدعوة المحمدية إلى الصراط المستقيم» وألفوا كتاباً فيه من التهم الشنيعة على الانطاكي ومذهبه، فقام الانطاكي بتأليف كتاب اسمه «لماذا اخترت مذهب أهل البيت عليهم السلام» وشرح فيه قصة تحوله إلى المذهب الجعفري واثبت فيه كثير من المناظرات والمجادلات.

وبعد تشييعه سافر إلى العراق سنة ١٣٧٠هـ لزيارة مرآة الأئمة عليهم السلام، والتقى بمراجع المسلمين هناك كالسيد عبد الهادي الشيرازي، والسيد محسن الحكيم، والسيد محمود الشاهرودي،

والسيد أبو القاسم الخوئي، والشيخ عبد الحسين الاميني، والسيد مرزّه أغا الاصطهباناتي، والشيخ محمد حسين كاشف العظام، والسيد محمد البغدادي، والشيخ محمد حسن المظفر وغيرهم.

وفي كربلاء التقى السيد مهدي الشيرازي، والشيخ محمد رضا الاصطهباناتي الحائري، والشيخ محمد الخطيب والميرزا هادي الخراساني، والشيخ جعفر الرشتي، والسيد محمد طاهر البحراني وغيرهم، وفي الكاظمية التقى السيد أحمد الكيشوان، والسيد علي الصدر، والسيد محمد المهدي الاصطهباناتي والشيخ مرزّه علي الزنجاني وفي بغداد السيد محمد الصدر (وكان يومها رئيساً للوزراء) كما التقى السيد هبة الدين الشهرستاني والسيد علي نقی الحيدري والاستاذ أحمد أمين الكاظمي.

ثم رحل بعد ذلك إلى ايران فزار مشهد المقدسة وقم المقدسة والتقى هناك بالمراجع: السيد صدر الدين الصدر والد السيد موسى الصدر، والسيد محمد الحجة، والسيد شهاب الدين المرعشي، والسيد محمد تقی الخونساري، والسيد كاظم شريعتمداري السيد محمد رضا الكلبايكاني، والسيد روح الله الخميني (الإمام الشهير) والسيد الداماد. وفي طهران قابل السيد أحمد الخونساري، والسيد مرزّه حسن اللواساني، والإمام أبو القاسم الكاشاني والسيد مير محمد البهبهاني، والشيخ محمد الغروي حجة زاده الكاشاني، والخطيب الفيلسفي، وفي خراسان حظي بتكريم السيد محمد هادي الميلاني. وكان الشيخ الانطاكي كثير الثناء على شخصيتين من كبار العلماء الشيعة وهما الإمام السيد حسين البروجري، والسيد عبد الحسين شرف الدين. والشيخ الانطاكي كان شاعراً ومن شعره قوله:

لماذا اخترت مذهب آل طه	وحاربت الأقارب في ولاها
وعفت ديار آبائي وأهلي	وعيشاً كان ممثلاً رفاهها
لأنني قد رأيت الحق نصاً	ورب البيت لم يألّف سواها
بالاستمساك بالثقلين حازت	بأولاهها وأخراها نجاها
وصارت أعظم المخلوق قدراً	وأورثها الولا عزاً وجاهها
ولا أصغي لعدل بعد علمي	بأن الله للحق اصطفاها
ولا أهتم في الدنيا لأمر	إذا ما النفس وافاها هداها
فمذهبي التشيع وهو فخر	لمن رام الحقيقة وامتطاها
وفرعي من علي وهو در	صفا والدهر فيه قد تباها
وهل ينجوا بيوم الحشر فرد	مشى في غير مذهب آل طه؟

رحمه الله تعالى وحشره مع أوليائه الأبرار.

السيد عبد المطلب الأمين

(دمشق ١٣٣٣ - بيروت ١٤١٩ هـ)

السيد عبد المطلب بن السيد محسن الأمين، اصغر أولاد الإمام السيد الأمين ولد بدمشق ومات ببيروت ودفن في شقرا (بجنوب لبنان).

درس بدمشق حتى نخرج من كلية حقوقها، وفي عام تخرجه عين مدرساً للغة العربية في دار المعلمين الريفية ببغداد، ثم رجع إلى دمشق وكان أحد اثنين أسساً وزارة الخارجية السورية ثم عين قائماً بأعمال السفارة السورية بموسكو، ومنها نُقل إلى السفارة السورية ببغداد ثم إلى الإدارة المركزية بدمشق، وحين قام انقلاب حسني الزعيم وقف ضده وهجاه بقصيدة مجلجلة ففصل من وزارة الخارجية، فانتقل إلى لبنان وعين قاضياً لمحكمة أميون فمارس القضاء بضع سنين ثم تركه وعمل محامياً في الكويت ثم أثار العودة إلى لبنان حيث انصرف للكتابة والترجمة حتى وفاته، له شعر كثير ضاع أكثره وما بقي منه نشره شقيقه الاستاذ حسن الأمين (رحمها الله) في مجموع صغير باسم «شعر عبد المطلب الأمين» ومن غرر شعره قصيدة يمدح بها مسقط رأسه دمشق وقد تناولها بالبحث زهير مارديني فقال: ومع أن عبد المطلب من جبل عامل فلم يلتصق بهذا الجبل... لقد التصق بدمشق التي أحبته وأحبها، وشأن المحبين فرض عليهما الفراق، فإذا به يعيش ببقايا جسمه في بيروت، وبكل روحه في دمشق... فإذا كان المجنون في الأدب العربي قد جن بليلى العامرية، فإن عبد المطلب قد جن بدمشق.. إنه يخاطبها (بأمي دمشق!).

عبق الجنان على ثراك تجسدا
طفلاً بأحضان الأمومة وسدا
ثمل بأنغام الوفا قد عريدا
والحب والذكرى السخية والصدى
كالوشم إبقاء ورفقاً كالندى
للمجد كم راض النجوم وجندا
غنى الهوى فيها وسار وأنشدا

طبيبي دمشق ثرى وطبيبي محتداً
وأشم تريك عاشقاً، بل مدنفأ
طال الفراق وما سلوت ولا غفا
بيتي القديم وحاترتي ومدارسي
كم في دروبك من خطاي معالم
كم في سمائك من خيالي موكب
كم في رياضك من فؤادي صبوة

أما إن يقس الزمان فما قسا
لاتنكري يا شام حبي، لهفتي
محراب حبك أن وقفت ببابه
وإذا الوفاء بكى الوفاء فحسرة
أنا إن عقت فظل عفوك وارف
قلب الوليد الطفل فيك بل اهتدى
أملني صلاتي وابتهالي والندا
وقف الوفاء ملوعاً متنهدا
وشراسة فيها العقوق تجسدا
والبازل المعطاء إن أهدى هدى

ثغر الشام أعز في عرف الهوى
ثغر الشام لقبلة معطاء
لكنه شرس شراسة لبوة
وحنان حضنك يا دمشق مضمخ
لاتحسبي يا شام أني سائل
الجوع أشرف من عطاء معن
من أن ينال تحدياً وتعمدا
كضم الحبيبة عابقاً وموردا
أعطت بنيها كل ما ملكت يدا
فيه من الخير اليقين المبتدا
يبغي العطاء ويستطيب المورد
الجوع نبراس لمن رام الهدى

طفل أنا يا شام أهوى دفقة
عيناك نبراس العروبة قائدا
كفاك والرحمات بعض شمائل
من ثديك الحاني وأغضوا سيدا
ثدياك ينبوع الكرامة والندی
منها لكم خشت على وجه العدى

هكذا كان عبد المطلب يتعامل مع محبوبته دمشق، يحزن وبيتسم من خلال دموعه محاولاً أن يستدعي مشاعره مؤمناً بهذا السحر الغامض للحب، مدركاً قدرته على البقاء إلى جانب من أحب.. لم يزل طفلاً يعيش على مشاعره، لم يزل طفلاً يؤمن بالبراءة والسحر الحلال، ولعل قيمة الديوان تنبع من احتفاظ الشاعر بطفولته، أن صورته تزداد تشرداً، وأخيلته الشعرية تتجاوز الزمان والمكان، ولكن الكلمات لم تزل تحتفظ بندي البراءة الطفولية، وخاصة مناجاته لمحبوبته دمشق. ومهما كان رأي رفاق عبد المطلب بسيرة رفيقهم، وطريقة حياته، فإن الشاعر يتحمل بشجاعة نزوات قلمه ويقف إلى جانبه، على طريقة انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، والمسألة مسألة مبادئ غمس عبد المطلب نفسه في العقائد، وكان شاباً متمرداً على المألوف يخرج من مشكلة معقدة ليقع في أشد منها، وهو إنسان يحمل نفسية (ماركو بولو) الرحالة... أو قل إنه أقرض ماركو بولو جزءاً من نفسيته، ومن هذا الجزء رحل ماركو بولو ماشاء له الله أن يرحل... وعبد المطلب شاعر لا يدع جدولاً أو نهراً من أنهار الحياة أو الضن إلا ألقى بنفسه فيه واغترف منه حتى ارتوى... وربما غرق في نهر غير أنه لا يعبأ... وإذا كانت حياته بهذا القلق المجنون غير المستول فإن فنه لا يقل جنوناً عن حياته.. أليس فنه صورة حياته... هو ملاح مهاجر من ميناء إلى ميناء، ومن شاطئ إلى شاطئ.. يذلف بقسوة إلى الغابات المليئة بالأفاعي السامة، فوق جواد الظلمة.

في أي صقع أستقر وأسكن
 ألف السرى قدمي فما يحلو له
 من كل أرض في نعال غبرة
 الليل بيدائي على ظلمائه
 أهوى الظلام وعمقه وسكونه
 سوداء حالكه ولو ناجيتها
 حجت مفاتها فلم يطلع على
 حفت به الأشباح ناشزة المنى
 يا سائلي حلم الشريد تشرد
 طال السرى فيه وذى قدمي وهت
 سألت دماء الجرح تهدي تائهاً
 بالأمس كنت إذا ألح على دمي
 تأسو جراحتي يد مجهولة
 قد كان دربي في شعاب غضة
 قد كان في هذا الظلام تعلتي
 قد طال للوادي الخصيب تطلعي
 لي في حنايا الواد أهل ضيعوا
 ولاي ظل أستريح وأركن
 إلا التشرد فهو أشرس أركن
 ولكل ربح في ثيابي مسكن
 تاهت خطاي وضاع ما أتبين
 ورؤاه لا تزهو ولا تتلون
 لفتنت منها بالذي لا يفتن
 دنيا الوري إلا سراب أركن
 مجنونة صخابة لا تدعن
 ومصير حلته ضلال بين
 وتلك الجرح القديم المزمّن
 ضل الطريق وسائراً يتبين
 نزفي وناء به الجريح المشخن
 ليست يدا تهب الأذى وتمن
 يندى به الحجر المطيع اللين
 وسرابي العذب الذي لا يأسن
 وحنين تطوافي الطويل الموهن
 أثري وفي أحشائه لي موطن

وينقلنا عبد المطلب أحياناً إلى جناحي هواه وذكرياته.. إلى اسكنديناфия، حيث كان زورق أحلامه يسبح في لجة العينين الزرقاوين شراعه، ومجدافه نشوان من غمرة الدعاب، فتزهه الذكرى.

بنت الشمال ندية ذكراك
 ريانة وكأنما - خساً الظلما -
 عام مضى وندي عطرك لم يزل
 وعلى فمي لما تزل شفتاك
 بالأمس مربها سخي لماك
 وكأنما بالأمس فوح فاك

في شعر عبد المطلب الأمين يظهر قلبه الذي ملأه الألم، ويزداد الخصب في الكلمات فتنبت أشجار الفن بدون تنسيق كما تنبت في الغابة البعيدة عن يد الإنسان ومقصه، وليكن ما يكون من أمر الثمار المريرة التي تتعثر فيها في الديوان، أن مرارة ثمار الفن لاتعني أنها غير قادرة على التطهير... لا بأس بالبراءة التي تولد داخلنا ونحن نقرأ أشعار عبد المطلب الأمين.

ولسوف نحس من قراءة ديوانه أن أسلوب عبد المطلب الوحشي في الصياغة لم يزل مجموعة سريعة من الصور التي تصور لنا فارس الديوان ويطله وهو يجري فوق جواده الأسود وسط غابة عريقة وعميقة... وسوف يقول لك عبد المطلب إنه يجري مع الألم، غير أنك تحس أنه في

الطريق لاكتشاف مجهول جديد لم يسبق لغيره أن اكتشفه.. ويمضي الأمين في ديوانه فتبعث دموعه زنوبيا من قلب الصحراء العربية، وتلك هي الفجيرة، ولذلك نرى الأمين يصرخ ألمه ويبكي أحزانه وتخطف رجوع صوته رياح هوج وتبدد في الصحاري نداءه. ولكن هل استطاع الديوان أن يجمع كل ما قاله الأمين من شعر؟ بالتأكيد لا...! ولو كان عبد المطلب شاعراً ولد في بلد غير عربي لكان رامبو الشرق، ولكن أين شعره؟ أين نثره، أين مذكراته؟ أن الديوان لا يحتوي على أكثر من واحد بالمئة مما قاله الأمين، أما الباقي فموزع في الصحف الأدبية والسياسية، القليل منها نشر بالرغم عنه، والكثير الكثير ضاع على الأرصفة.

لقد كتب على ورق ممزق، وأقلام حبر بالكاد تتلمسها نظراتك، وبحروف هي أقرب (للكرشونية) لقد تشرد شعره نتيجة العدى من قائله.. كما تشردت نكاته أيضاً، وبعدها تشردت السيرة والسريرة. الست لغات التي يتقنها، وكمية المواهب التي كانت تغلي في عروقه، وشاعريته، وسخريته، كل هذا كان أعجز عن أن يخضعه للسير الوثيد.. لقد ظل يستعجل الرحيل لأنه سئم الحياة لا يستطيع أن يحياها على هواه..

رضا النحاس

الموفي سنة ١٩٦٩

الحاج رضا بن الحاج علي النحاس، من وجهاء الشام، ساهم في وقف المدرسة المحسنية كما شارك في تعليم الأيتام وساعد الكثير من المشاريع الخيرية والإنسانية بدمشق، توفي سنة ١٩٦٩ وارك بعضهم وفاته بقوله:

يا أيها الذين آمنوا اصبروا	لفقد شهم كان ذا فضل عظيم
بصالح الأعمال قد بنى له	بيتاً علياً ذكره فيه مقيم
وكم بنى للشعب من مدرسة	وعلم الفقير فيها واليتيم
وفاز بالتقوى وفي أخلاقه	قد اهتدى إلى الصراط المستقيم
وفي جوار زينب لما ثوى	قالت له يا مرحبا جار كريم
ادخل بتاريخ (بهي يزدهي	رضا علي النحاس جنات النعيم)

شفيق نحاس

من عائلة (نحاس) الشامية كان من الوجهاء والتجار. وكانت له مشاركات وطنية، ومن ذلك مطالبته الحكومة الفرنسية بانصاف بني وطنه من السوريين، كما تدل على ذلك رسالته التي بعثها يوم كان في باريس عام ١٩٣٣ والموجهة إلى وزير الخارجية الفرنسية ومما جاء فيها:

انا لو معنا النظر في الانتداب السوري لوجدنا أن معظم الرجال الافرنسيين الذين عهد لهم بتمثيل الشعب الأفرنسي في سورية ولبنان أهملو وظائفهم أو عجزوا عن ايجاد سياسة عادلة لازالة سوء التفاهم الذي ينتج غالباً لوجود الامتيازات الافرنسية في سورية بينما أن السوريين القاطنين البلاد الافرنسية لايمكنهم أن يتمتعوا ولا بقيراط واحد من الامتيازات التي يجدها الافرنسيين في البلاد السورية حتى اصبح العمال السوريون غير مقبولين في فرنسا ولايسمح لهم الدخول مطلقاً أما بقصد النزهة أو التجارة فلا يسمح لهم بالدخول مطلقاً أما بقصد النزهة أو للتجارة فلا يسمح إلا إلى ما كانت حالته المالية مساعدة ودفع الضمانات الكافية مع أخذ التعليمات اللازمة لإثبات حالته الاقتصادية والادبية معا وأما الفرنسيون مقبولون بلا قيد ولا شرط مع الامتيازات التي تضمن حقوقهم بل تميزهم عن كل وطني ولو كان من أفاضل رجال العلم والسياسة، مع أن الفرنسي ممكن أن يكون من إحدى القرى حيث لايجد عملاً هناك على الغالب، لأن الفرنسيين المتعلمين والقاطنين البلاد الكبيرة هم بغنى عن بلادنا وعندهم ما يكفيهم من التجارة وخلافه التي لاتضطهرهم للمهاجرة أما معاشات الموظفين الفرنسيين فهي أضعاف معاشات الوطنيين، فمثل هذه السياسة لايمكن أن تسود ما دامت مؤسسة على غير العدالة والمساواة وأنا على يقين بأن الرأي العام الفرنسي غافل عن ذلك ولم يرض به لأن الجمهورية الفرنسية مشهورة بالعدل والمساواة. فهل يمكن صديقنا العزيز المسيو بول بونكور وزير الخارجية

الفرنسية أن يلاحظ باقرب وقت هذه السياسة ويتدارك الخلل وبذلك يكون قد قام بمهمة عظيمة يقدرها له الشعب السوري خير تقدير.

باريز - شفيق نحاس - شارع

لدرورولان ٣٦



السيد صائب نحاس متحدثاً لصاحب الموسم



عبد الكريم الناعم

١٩٣٥

ولقد في قرية حريبنفسه في سنة ١٩٣٥، في ريف حماة السورية، حيث كانت تسود أفضع العلاقات الاقطاعية القروسطية، ونشأ فوجده والده عاملاً في سكة الحديد، فلم يمارس، بحكم هذا، إلا القليل من الأعمال التي كان يقوم بها الأولاد في القرية من أبناء جيله، وكانت نساء عائلته معفيات عن السخرة، بسبب وضع خاص كان لجده الذي اشتهر بشجاعته.

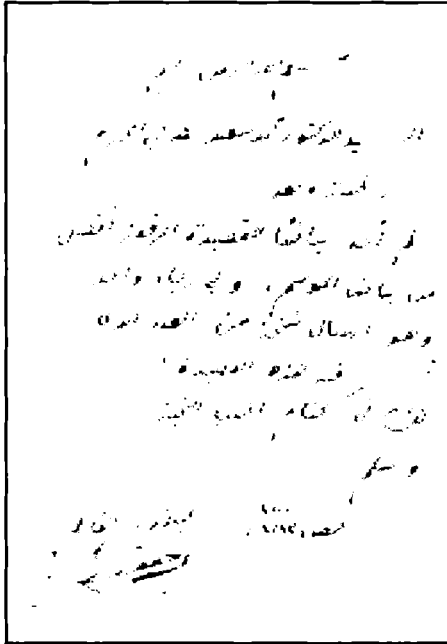
في عام ١٩٤٧ أخذه أبوه من القرية لمدينة حمص ليدرس في مدارسها، إذ لم تكن ثمة مدرسة في كامل الريف الذي هو فيه، وكان الاقطاعيون يحاربون وجود هذه المدارس في الريف، واختار أبوه مدينة حمص لوجود أخته فيها (أخت الأب) حيث بقي لمدة عام بين أبناء عمته، وتم تسجيله في مدرسة الخالدية الابتدائية الخاصة، وفي الصف الثالث بعد سبر معلوماته التي تلقاها في (كتاب) القرية. وفي عام ١٩٤٩ ترك أبوه القرية وانتقل بعائلته إلى حمص بعد أن اصطدم بمالك الأرض.

وفي عام ١٩٥٢ في العام الدراسي ١٩٥١ - ١٩٥٢ وفي اعدادية خالد بـحمص تعرف إلى أفكار حزب البعث العربي الاشتراكي الناشطة في أوساط الشباب، فانتسب للحزب، وأدى قسم الانتساب وانخرط في العمل السري للحزب بعد أن حل أديب الشيشكلي الاحزاب في سورية، وطرد من المدرسة بسبب نشاطاته المناوئة لذلك العهد، واستمر بالتزامه الحزبي بعد اندماج البعث العربي، والعربي الاشتراكي، ونفذ المهام الحزبية التي طلبت منه، وسمح له بالعودة إلى المدرسة بعد سقوط الشيشكلي.

وفي عام ١٩٥٣ حاز على شهادة الكفاءة نهاية المرحلة الإعدادية، وكانت تؤهل حاملها للعمل، وبسبب الوضع المادي لعائلته تقدم لمسابقة انتقاء معلمين فنجح، وبعد صدور قرار تعيينه، وتحديد القرية التي سيعلم فيها، فوجيء بشطب اسمه من المسابقة أيام الشيشكلي، فعاد للدراسة في حمص، لعام دراسي واحد، أمضاه في تنفيذ النشاطات، والمهام الحزبية.

وفي عام ١٩٥٥ تقدم لمسابقة التعليم من جديد، فنجح، وعين في منبج، «محافظة حلب»، وبقي في منطقة منبج المدينة، وبعد قيام الوحدة عام ١٩٥٨ في إحدى قراها (البابيري) بقي من ١٩٥٥ - ١٩٥٩ أدى خلالها خدمة العلم لمدة سنتين، وفي منطقة منبج وريفها كان له، مع عدد من رفاق البعثيين، نشاط واسع.

وفي عام ١٩٥٨ أعلن عن قيام الجمهورية العربية المتحدة، وحل حزب البعث العربي الاشتراكي في إطار حل الأحزاب، فسعى للانتقال إلى إحدى قرى المنطقة (البابيري) لتوقف النشاطات الحزبية،



قرباية نهاية هذا العام أصيب ولده البكر (معن) بشلل الأطفال في القرية المذكورة وله من العمر ثلاث سنوات فحضرت الحادثة في نفسه ألماً ظلت في أعماقه، وفي التماعات شعره، أحس أن رحمة قد تداركت الجميع حين توفي عام ١٩٦٠.

وفي عام ١٩٦٠ راسل الشاعر المعروف بدر شاكر السياب، وتسلم منه أربعة رسائل، وفي هذا العام أرسل قصيدة لمجلة (النقاد) في دمشق، فنشرت باهتمام، ولا يذكر، كما أن ليست لديه وثائق، فيما إذا كان قد نشر أولى قصائده في مجلة الآداب اللبنانية، وكان الوصول للآداب شهادة - لا يذكر هل نشر أولى قصائده فيها في هذا العام أم قبله.

وفي عام ١٩٦١ انخرط في مقاومة حكم الانفصال، وكلف بعدد من المهمات، بعد نقله من تدمر إلى حمص. وفي عام ١٩٦٣ ذهب لدمشق بطلب من قيادة الحزب للعمل في جريدة البعث، وكان مسؤولاً عن الصفحة

الثقافية، إلى جانب مهام أخرى، وهناك نجح في التعاون مع عدد من أبناء جيله، والجيل الذي تلاه في فتح آفاق ثقافية تواكب المرحلة والتطلع، يذكر منهم علي كنعان، ممدوح عدوان، أحمد اسكندر أحمد،

وفي عام ١٩٦٤ دعي لمهرجان الشريف الرضي الذي دعي إليه المجلس الأعلى للفنون والآداب - كما يظن أن اسمه هكذا - وكان قد تقدم بقصيدة لمسابقة أعلن عنها هذا المجلس، وكانت القصيدة تزوج بين نظام العمود ونظام التفعيلة، وقد طلب إليه أحد المسؤولين في هذا المجلس أن يتقدم بقصيدة عمودية، وسيكون الفائز فرفض، وكان وحده من أبناء جيله من قرأ قصيدته أكثر من نصفها من نظام التفعيلة، ويذكر من المتسابقين آنذاك، وقد فاز صالح هوار، وممدوح عدوان، ومن المشاركين يوسف الخطيب، وعلي كنعان.

وفي عام ١٩٦٣ زار مجلة شعر، وهناك وعن طريق الفنان التشكيلي فاتح المدرس تعرف على النحات سعيد مخلوف، وأجرى معه الفنان فاتح المدرس مقابلة طلب أن تكون إجابتها فورية، ارتجالية، وقد نشرت في أحد أعداد مجلة شعر.

وفي عام ١٩٦٥ انقطعت علاقته التنظيمية بحزب البعث نتيجة احتدام التناقضات، وفي هذا العام صدر ديوانه الأول: «زهرة النار» عن وزارة الثقافة بدمشق.

وفي عام ١٩٧٣ صدر ديوانه «حصار الشمس» عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

وفي عام ١٩٧٤ صدرت مجموعته الكتابية علي جذوع الشجر القاسي، عن اتحاد الكتاب العرب

بدمشق.

وفي عام ١٩٧٥ صدرت مجموعته «الرحيل والصوت البدوي» عن مؤسسات بن عبد الله في تونس.

وفي عام ١٩٧٦ صدرت مجموعته «عين حبيبتي والاغتراب» عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

وفي عام ١٩٧٩ صدر مجموعته «تنويعات على وتر الجرح» عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

وفي عام ١٩٨١ صدرت مجموعته «عنود» عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

وفي عام ١٩٨٢ فقد ابنته (فرات) وهي في الثالثة عشرة من العمر إثر حادث اصطدام بسيارتين أصابته أحدهما، فتركت حضورها الخاص في عدد من قصائده.

وفي هذا العام صدرت مجموعته «دائرة» عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

وفي عام ١٩٨٤ صدرت مجموعته «احتراق عباد الشمس» عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

وفي عام ١٩٨٦ صدرت مجموعته «أقواس» عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

وفي عام ١٩٨٨ فقد زوجته، وبلا مقدمات، وخلال يومين، فكان لرحيلها حضوره الخاص في عدد

من قصائده، وفي هذا العام صدرت مجموعته «من مقام النوى» عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

وفي عام ١٩٩١ صدر

كتابه «في أقانيم الشعر»

عن دار الذاكرة بحمص،

وهو بحث في الإبداع

والشكل - الحداثة

وطرائق التعبير الشعري

- الإيقاع وقيمتها النفسية

الجمالية التعبيرية.

وفي عام ١٩٩٢ صدر

مجموعته «أمير الخراب»

عن اتحاد الكتاب العرب

بدمشق.

وفي عام ١٩٩٣ صدر

كتابه «كشوفات» عن اتحاد

الكتاب العرب بدمشق.

وهو دراسة في عشر

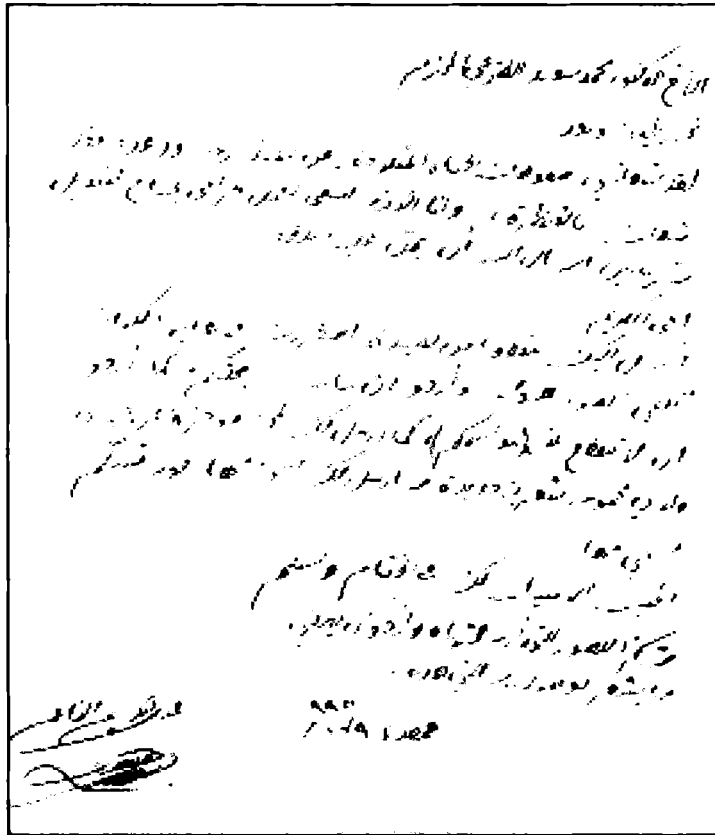
مجموعات شعرية.

وفي عام ١٩٩٥

مجموعة من شكر الطين

- شعر - عن اتحاد الكتاب

العرب بدمشق.



زينب زهرة حزن النبوة في ميلاد السيدة زينب عليها السلام

من شعر الأستاذ عبد الكريم الناعم

بميلاد زينب طوق.. نجيع القلوب مداه الحنون
لميلاد زينب أفق.. نشيب على خطوه العلوي القرون
بميلاد زينب باب يقود إلى سير في حالكات الزمان وصوت مبین
تنام الوعود على قدر في الأماني.. فتدنو سماء وتندى غصون

❖ ❖ ❖

ترى حين تُقفل دائرة الوقت هل يستعاد مسار النقاط؟
وهل رمية السهم... سهم الألوهة يرسم قوس النزول، ابتهاج الصراط؟
وهل كل تاج يليق بذاك البلاط؟

بميلاد زينب تاج يشع على دمناء المستشاط

❖ ❖ ❖

لزينب أفق كأن الإشارة فيه انبشاق العبارة
حين القراءة فتح البيان
وحيث الكشف رموز... وحيث النجيع ابتداء
لزينب ماخبا الوحي من سابغ مضاع بالدلالات ربا
وما كتبته على اللوح تلك الدماء

وبعض الرموز ابتكار... تجدد فيه المعاني

ففي كل يوم لديه استواء

وزينب زهرة حزن النبوة

بوحى حزين... فيبكي على صمتها الأنبياء

كان شجرة طوبى... وقد ظللتها ثمار المعاني

من الماء ما لا تراه الدلاء

لزينب دور تخف على جهره العبقري...

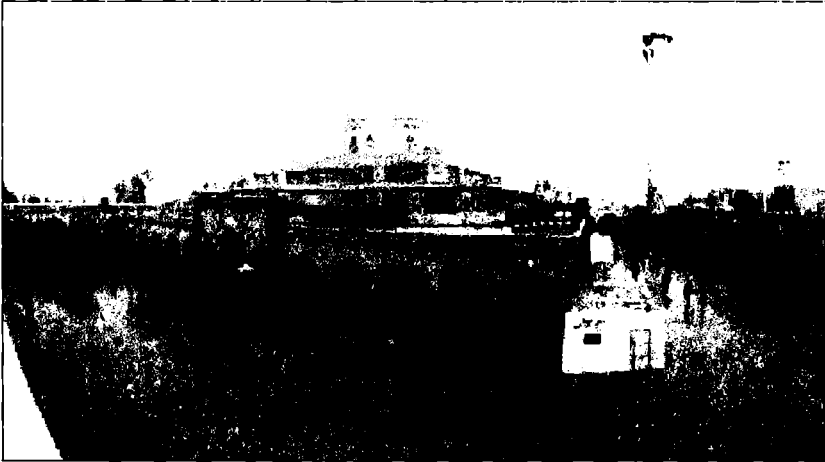
فتنعم الوضوح الخفاء

على عجل حين قام (الحسين) إلى دمه كي

يعيد الوضوح... وقد أخذت بهمة الصلف

السلطوي تهدد جدار السماء... بدا دورها في عبور البرازخ

لا الزوج، لا الإبن، لا ذكريات المكان
 فثمة نقطة بدء على كربلاء
 وكان على الطف ظل من العبق الهاشمي
 رسول على الطائف الخطو يدمي
 وسرا يهاجر في حلقة حاملا وحيه
 وحين أراد استباق الحوادث.. كيلا يجز نخيل السماء
 ادعوا أنه قال هجرا
 فاي المسافات بين الّا يهاجر والّا يهجر؟
 الموكب الحلم...
 أوغل في البعد متى تناءى
 وثمة نقطة (عود) على كربلاء!
 وثم وصي^(١) تخضب وجه الإمامة فيه
 فصار الإمام المضي وراء
 وهذا الحسين
 فيا أخته جهزيه.. هو القلب يحبس
 بعض الطيور إذا داهمتها العواصف
 تدخل فيها
 من كل هذي الاضاحي؟
 الأب الشعلة... القوس... قوس الصعود
 الأخ الأحموان وقد سمّموه^(٢)
 وهذا الحسين وصفوة آل تنادوا عليهم
 ولو أن سيفاً يجز رقاب الكلام



لما لوا على ماتبقى
هي المضمرة على الحق قد ترى
وزرق النيوب بسم الكراهة تسقى
أمن أجل عرش
ألا ألف سحراً
ركاب إلى الطف تمضي
وزينب تعلم أن البلاء قريب
وتعلم أن الجراح إذا قل فيها الأساة
فقد يؤنس النزف فيها النحيب

أحاط بهم من يرى أن حين يرضى «إلى مزيد»
فلا بأس في غضب الله جهراً
فما زال في النفس شيء من (التمر)
ينضو سفيه التأله عنها نواها
وثم الذئاب التي أجريت في الخلايا
صغار أهلة هذا النبي على عطش في الحنايا
كأن سعيماً تشعب في الحلق... والروح ظمأى
الدواب، الوحوش، الهوام لها الماء جرياً
ويمنع عنه الحبيب الحفيد
أهل ثم دين جديد؟
يصاغ على قدر حلم الكراسي
يصاغ على قد مامن جنان
ولا من سعيير
ليرقى يزيد؟
وزينب كانت مياهاً وعشياً
تطوف على الأهل
تمنح هذا عصارة روح
وتعطي لذاك من النخل سريراً
وزينب إسم وعين المسمى^(٣)
هنا القفريدرك دور التي جهزت لاقتحام
الصعب ... فيزداد رعباً
أحاط الزناة.. العتاة... بسبط النبي
- «دعوني أعود إلى دار جدي»
تدار النفوس على حقدتها العبشي،

«إلى أي أرض»
 وليس سوى القتل دار
 - إذن ذاك لاغير
 (إذا كان دين محمد لا يستقيم إلا بقتلي
 فيا سيوف خذيني^(١))
 وزينب كانت بلاداً
 ونهراً فراتاً
 تدور على الأهل:
 تؤوي... وتعصر ماء الكلام
 وتخصب قُصْر الصحارى
 وتلمح في البعد جرحاً شتاتاً
 فهذا ابتداء زمان جديد
 يقوم على الدم يتلى على كربلاء... وهذا السرار
 وليس سوى القتل دار



وحين لم يعد يغيث هذه البلاد غير
 دفقة من دمه
 تقدم الحسين تالياً كتابه
 بالسيف والدماء
 وشاهراً حسامه
 في لحظة التقاط هذي الأرض ... رعشة السماء
 تكشف الغبار والنجيع عن شهادة الحسين
 سيد الذين يفتحون بالدم الطهور
 سكة العروج نحو مبدع الوجود
 معلنين أن أول الأذان: العدل في البشر
 وأن بين ما يريده الطواغيت الكبار
 وما يريده المضمخون بالسند والاضرار
 بهاء شعلة تظل باسم العدل
 تفتح المدى للمنتظر
 تكشف الغبار
 لم يبق غير نسوة
 وصبية صغار
 وزينب التي أعدها بديع هذه الرموز
 لاكتمال دورة الكتاب بين أول السطوع

في (حراء) وانشداه سطوة القفار
 تكشف الغبار
 الجسد الطهور مسبل دماءه
 تحلق الجنة مدركين أنهم يسددون للنبي
 كل طعنة...
 وأكل القتل الممض للأب الحنون
 قتلهم أبناءه
 تقدمت
 وللأسى ميراثه
 وحزنه العظيم
 - «يا زينب المدي»
 حنت على الحسين
 قبلت جبينه
 - «يا زينب الردى»
 مدت ذراعيها
 وأشهرت وضاعة الجسد
 وأفردته عالياً
 وأرسلت نداءها الكليم
 - «يا رب
 يا أحد
 تقبل القرين،
 وأنت الصوى
 وأفرد المدي انكساره
 وغامت الشيطان

يامن رأى (الآل) قد عَنَاهم الآل	عسفاً يساقون، والأمداء أغلال
سوق السبايا، أهذا ما أفاض به	محمد؟ أصريح القول إشكال؟
هدي الكتاب وآل البيت تركته	سمت الهداية إما زاغ ضلال
أين المودة في القرى، ولو خبروا	معنى المودة ما صدوا ولا مالوا
الجاهلية فيهم كل إرثهم	فكيف يرقى لمعنى الوحي جهال؟
أملك لا الوحي، والدنيا وزخرفها	والسيد البرق من أسرى به المال
وزينب الجرح في السبي الزنيم، لها	في كل حالكة في الدرب إهلال

وَأَن زَيْنَبُ الْفَصَاحَةِ الْبَيْتَ الْعُلَى
إِلَى الْبِلَاطِ أَدَخَلَتْ،
وَكَانَ فِي وَاجِهَةِ الْبِلَاطِ ذَلِكَ الِ يَزِيدُ
وَقَرْدَهُ، وَثَلَّةٌ مِنَ الْمُؤَلَّهِينَ بَازِدًا لَهُمْ لَكَعْبَةِ النُّقُودِ
وَأَخْرَجَ الْبِزِيدَ مَا فِي جَوْفِهِ
مِنْ إِرْثِهِ الْحَقُودِ
تَكَشَّفَتْ سَيِّدَةُ الْعِزَّاءِ عَنْ فَصَاحَةِ
الْبَيْتِ الْعُلِيِّ، وَاخْتَرَانِ مَنَا أَفَاضَهُ
الرَّسُولُ جَدَّهَا، فَأَلْقَمَتْهُ جَمْرَةً
وَنَاحَتْ النِّسَاءُ فِي الْخُدُودِ
وَأَطْرَقَتْ مِنْ خَزِيهِ الْعَصُورُ
وَكَانَ فِي كَلَامِهَا
حَمَامَتَانِ مِنْ أَسَى
وَعِغِمَتَهَا بِخُورِ
وَمَا يَزَالُ عَطَرُهَا يَفْرَحُ حَيْثُ تَطْلُقُ الدِّمَاءُ
وَرْدَةَ الْإِشَارَةِ الَّتِي تَضُمَخَتْ بِمَا يَخْبِيءُ
الْمُصَوِّرُ الْبَدِيعُ فِي رَحَابِ هَذَا الْكُونِ مِنْ طَيُوبِ
وَحِينِ تَشْهَرُ الرِّمَاحُ كِبَرِيَاءَهَا
فَتَنْتَضِي بِسَالَةِ الدَّرُوبِ
تَسْقِي الْمِيَاهُ حَيْثُ يَعْطَشُ الْمُدَافِعُونَ عَنْ
حَقُوقِ وَاهِبِ الْحَيَاةِ حَقَّ كُلِّ نَاسٍ أَنْ
يَكُونَ لِلْبِلَادِ خَبِزُهَا، وَصَوْتُهَا، وَوَرْدُهَا
وَحَلْمُهَا الْمُهَيِّبِ
وَأَخِرُ التَّجْلِيَّاتِ فِي صِيَاغَةِ أَزْدَهَارِهَا
كَمَا يَقُولُ قِرَاءُ التَّفَاصِيلِ الْبَهِيْجَةِ الْمَدَى
تَفْتَحَتْ مَا بَيْنَ قِمَّةِ «الْخَلِيلِ»
وَانْبِثَاقِ دَوْرَةِ الْجَنُوبِ

(١) إشارة إلى اغتيال علي (عليه السلام).

(٢) إشارة إلى سم الحسين (عليه السلام).

(٣) الزينب لغة: شجر حسن المنظر طيب الرائحة (٤) كلمة قالها الإمام الحسين (عليه السلام).

مهدي بديره

(ولد ١٩٣٣ - ...)

- مهدي بن محمد علي بديره، من سكان ومواليد مدينة دمشق - حي الأمين - عام ١٩٣٣ .
درس المراحل الأولى الثلاث (الابتدائية والأعدادية والثانوية) في الثانوية المحسنية .
- ترك الدراسة بعد نيله الشهادة الثانوية - الفرع العلمي - لظروف عائلية قاهرة، بضع سنوات
وأنتهى الخدمة الإلزامية وحضر حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ضد إسرائيل كضابط احتياط .
- درس الأدب الانكليزي في جامعة دمشق وتخرج منها في عام ١٩٦٥
- رشح إلى دورة اليونيسكو في طرق تدريس اللغة الإنكليزية التي جرت في دمشق - ثانوية
جودة الهاشمي . في صيف عام ١٩٦٦ وتفوق منها ونال كتاب شكر من وزير التربية آنذاك (الدكتور
مصطفى حداد) .
- ألف بضعة كتب عن فنون اللغة الانكليزية وطبعت عدة طبعات واعتمد مكتبة الرازي بدمشق
ناشراً وموزعاً لها وهي:
١- قواعد كتابة اللغة الانكليزية وأدائها .
٢- قواعد لفظ اللغة الانكليزية (بناء على رموز اللفظ العالمية)
٣- موسوعة قواعد اللغة الانكليزية في ثلاثة أجزاء ١٠٨٠ صفحة Phonetics .
٤- قواعد الترجمة من وإلى اللغة الانكليزية .
٥ قاموس المترادفات وأضداد (انكليزي - عربي) للمرحلتين الاعدادية والثانوية .
واستمر في التأليف ولا يزال، من كتبه التي لم تطبع بعد:
١- تركيب الجمل الانكليزية .
٢- حروف الجر (دراسة كاملة مع أمثلة لكافة حروف الجر الانكليزية بأنواعها الثلاثة: البسيطة
والمركبة والمعقدة) .
٣- قاموس الجناس التام في اللغة الانكليزية (انكليزي - عربي) .
٤- كراس يحوي جميع الكلمات العربية الأصل الداخلة في اللغة الانكليزية .
٥- قاموس المترادفات والأضداد (للباحثين) وهو قاموس يفيد المتخصص والباحث يتألف من
أكثر من (٢٠٠٠) صفحة مخطوطة من صفحات الدفاتر المدرسية العادية) .

٦- قاموس المأكولات والمشروبات.

٧- قاموس الفيزياء والكيمياء والرياضيات.

- نال شهادة بالترجمة المحلفة (عربي - انكليزي) من وزارة العدل السورية في عام ١٩٨٥.

- ترجم عدداً كبيراً من الكتب الجامعية والعامة.

- جمع وحقق ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (الإمام الوصي عليه السلام) لما رأى أن

الدواوين الحاوية على شعره حتى الآن لم تجمع إلا اليسير من شعره وما بقي فلا يزال مخبأ في

طيات الكتب فدأب على جمعها معتمداً على ٤٧ كتاباً من أمهات الكتب والدواوين المختصة

بشعره، فجمع ما يربوا على الألفي بيت من شعره مع التحقيق وشرح المفردات.

أديب الروماني

دكتوراه في العلوم المالية، عمل مديراً لمصرف الرافدين بدمشق، وشغل عدة مناصب هامة في

وزارة المالية وصنف في أيار ١٩٤٨ عضواً في اللجنة السورية للمجلس الأعلى للمصالح المشتركة

السورية اللبنانية، ثم مفتشاً فيها ثم عين مديراً لمصرف الرافدين.

علي الروماني

رئيس دائرة الضرائب غير المباشرة ومدير صندوق الدين العام وكالة ولد عام ١٩٠٧ وهو ابن

السيد عبد الله الروماني، تلقى علومه في تجهيز دمشق ثم نال شهادة التجارة العليا من المعهد

العلماني الفرنسي.

عين استاذاً للرياضيات في الشرق العربي عام ١٩٢٦ - ١٩٣٠ ثم محاسباً للبنودول ثم رئيساً

لدائرة الضرائب غير المباشرة، ومديراً للصندوق العام وكالة في وزارة المالية، متزوج وله ثلاثة أولاد.

الشيخ حسين شحادة

(ولد ١٩٥٢ - ٢٠٠٠)



الشيخ حسين بن أحمد شحادة، من مواليد بيروت ١٩٥٢ وبها أنهى دراسته الثانوية ثم هاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٩٦٩ متفرغاً لدراسة العلوم الدينية ثم انتقل بعدها إلى خراسان تحت رعاية حوزة الإمام السيد محمد هادي الميلاني، ثم إلى قم حيث عمل في دار التبليغ الإسلامي، وساهم في تحرير مجلة الهادي.

انتقل إلى سيراليون (بافريقية) وأسس الجمعية الثقافية الإسلامية كما أسس المعهد العالمي للدراسات الإسلامية الذي كان يضم ٢٠٠ طالباً من جميع دول إفريقيا، شارك في تأسيس عدة مدارس ابتدائية وثانوية، وساعد في تأسيس عدة مساجد في غرب إفريقيا (كونا كرى كامبيا - غانا) عمل على إنشاء منظمة محجوبة فاعتبرته رابطة العالم الإسلامي (السعودية) ندا لها في النشاطات الإسلامية هناك.

عضو اللجنة التأسيسية لرابطة أهل البيت العالمية (في لندن) عاد إلى لبنان (بعد ظروف القاهرة) عام ١٩٩٠ ويقيم اليوم في جوار السيدة زينب جنوبي دمشق.

مؤلف وناقد وأديب مشرق العبارة. وكاتب مبدع غزير الإنتاج، أصدر مجلة متخصصة بالدراسات القرآنية والحوار بين الديانات والثقافات المختلفة، اسمها (المعارج) وقد أسهمت في تمتين أواصر الاخاء والتفاهم والتسامح الانساني وله عدد من الكتب:

- ٢- الخمس
- ٣- النظرة الإسلامية للتربية
- ٤- العمل في الإسلام
- ٥- اشكاليات الحوار الإسلامي المسيحي
- ٦- معاركنا الخالدة
- ٧- على مشارف مكة، (رواية مستوحاة من شخصية الإمام زين العابدين (ع))
- ٨- في جوار السيدة زينب (رواية)
- ٩- دعوة إلى الحوار الشيعي الشيعي في لبنان قراءة نقدية للأزمة بين حركة أمل وحزب الله.. نشر في السفير اللبنانية وهي عبارة عن حوار أجراه اسماعيل فقيه. [لقاء مع الشيخ شحادة، فندق الكارلتون ١٨/١٢/١٩٩٣ انتويرب (بلجيكا) .. ينظر الموسم العدد ١٦/ص ٢٩٢، العدد ١٠ و ٢٩، ٢٩٤. كراس بعنوان المعهد الثقافي للتخصص والدراسات القرآنية (اللقاء السنوي الأول ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م) وفيه كلمات تقدير لمجلته المعارج للسيد محمد حسين فضل الله ومحمد حسن الأمين والنائب جعفر شرف الدين وغيرهم من أعلام الفكر.



الشاعر الراحل حامد حسن مع الطريحي والشيخ حسين شحادة



حسين قطان

ولد الاستاذ حسين قطان بدمشق سنة ١٩٤٧ ودرس في الثانوية

المحسنية وتخرج منها سنة ١٩٦٥ وعمل معلماً فيها (في القسم

الابتدائي) مدة أربع سنوات، استفاد من الدروس الدينية والتاريخية التي كان يلقيها الإمام المقدس السيد حسين يوسف مكي العاملي (قدس سره) ونظم الشعر مبكراً وجل شعره في مدائح ومراثي آل البيت عليهم السلام، تعرفت عليه بدمشق عام ١٩٨٠ وكان يلقي بعض اشعاره في المناسبات الدينية، وكنت التقيه في جامع الإمام علي عليه السلام كما كنت التقى والده المرحوم علي القطان وكان من الأخيار المواظبين على صلاة الجمعة في الجامع المذكور، كتب لي حسين قطان مجموعة من نظمه في كتيب صغير مؤرخ بسنة ١٩٨١ ومنه اخترت هذه المنظومات، ومنها:

آل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

هم عمدتي ووسيلتي وسلامي
وتر الشفاء ملحن الأنغام
فيسكرني عتيق مرامي
آي ربي في دفين عظامي
والآل أفكار ويروي الظامي
العشاق يورق عودها المتسامي
عرجت إلى نحو السما بسنام
وكان مرآها يلوح أمامي
سامر وكانني بمنام
مطالبني وسموت كالأعلام
وأرى الحياة تروق كالأعلام
أن تكسى السما بظلام
والسرف في الآمال والآلام
لمحمد في قعدتي وقيامي

آل النبي أحبتي ومرامي
في القلب سكناهم وحبهم على
طه الرسول وذكره خمري أعتقه
فالأحظ الصحراء في عمق والحد
وتذوب في سحر المديح بأحمد
فتعود تشرق من قريب بسمة
وتعيش روعي في المديح كأنها
ورأت جمال الله في أفلاكه
فأهيم في عمق وانظر في خيال
بمديحك يا آل أحمد نلت كل
يصفو الفؤاد إذا شدت مديحك
ياروعة الله الجليل وياجمال النور
فيكم رحيق الزهر بل عبق الندى
لازلت أذكر للأنام مفاخرأ

هو أحمد المختار نوراً سره
حتى أتم الله خير ولادة
قد جاء فيهم والمساوي جامع
ليل الجهالة ناشر في الكون ظلمته
أكلوا الحقوق وأدرست قيم الألى
قتلوا البنات وحللوا أكل الربا
عبدوا الإله مجسدين قوامه
حتى بدت شمس الرسول بنورها

وقال في شهادة الحسين عليه السلام:

ذاكرناك نور ساطع متوقد
لكنها سهم أصاب فؤادنا
أه يذكرني هلال محرم
رزء أصاب بني النبي بكريلا
وتجرعوا في الحق أهوال القضا
وعلت على أفق السما راياتهم
في كل يوم في المحرم نقتضي
فتح الآله له الجنان رحيبها

من علوياته:

أمل حديث من عادي علياً
وأرغب في مديح «أبي تراب»

وقال في الحسين وأصحابه (عليه السلام):

فجر عميق الحزن والأشجان
هذا المحرم قد أطل مذكراً
سكبوا على أرض الفداء دماءهم
ينمو بهم دين الإله مجدداً
هم آل أحمد ذكرهم عم الدنيا
أهل العباء ومن سوى أهل العبا
ويذاك قد عصموا عن الذنب الذي
والله أوجب ودّهم فرضاً كما

قد كان في الأصلاب والأرقام
والأمّ آمنه النساء بسلام
لا يرعوي أو ينثنى بلجام
فعم القلب أي ظلام
داسوا النهى وشريعة العلام
لم يرع في التقتيل أي ذمام
بالعجل والأخبار والأصنام
ورست على الوديان والأكام

اشعاعها يهدي الأنام ويرشد
وجراحه عبر المدى تتجدد
رزاً بكى منه النبي محمد
فتفرقوا وتشتتوا وتشردوا
وتجلدوا بالصبر حتى استشهدوا
ذكرى لكل الثائرين تجدد
أثر الحسين إلى الحقوق ونشد
هذا مآل الخالدين مجسد

١٩٧٠

ولو قلّ الحديث عن الثواني
ولو طال المديح مدى الزمان

واسكب دموع القلب والاحقان
بدم الحسين وصحبه الشجعان
تروي جذور الدين في الإنسان
عمر الحياة وبذرة الإيمان
ومديحهم قد جاء في الفرقان
قد طُهِروا في محكم القرآن
في غيرهم باق على الأزمان
فرض الصلاة وعد في الأركان

فبطاعة الأطهار تشرق دائماً
 صلى الحسين بكريلاء مع الصحاب
 من حوله أحقاد بدر اشترعت
 هيهات يختار المذلة راضع
 نادى الصحاب وآله فتحاوطوه
 يا قوم أنكم من الاخيار اعرفكم
 وعدونا يرجو دمائي دونكم
 فتفرقوا عني فاني قد أذنت
 فبكوا جميعاً والقلوب تفضطرت
 والله لانبقيك وحدك للعدا
 نفديك ياسبط النبي بروحنا
 أعظم بهم فيهم زهير والحبیب
 طبع الاله النور في قسماتهم
 حتى غدوا مثل الملائك طاعة
 باتوا على حال التضرع ليلهم
 حتى اسيلت في البطاح دماؤهم
 في جنة الرحمن كان ورودهم
 قتلوا فودعهم أبو الاشبال
 سكب الدموع عليهم مدرارة
 أمسى وحيداً لاحميم يذوب
 ظام وما استسقى النبي بغيره
 مازال فيهم ثابتاً ومقاتلاً
 حتى ارتوت منه السيوف بغدرها
 ناداه أحمد والبتول وحيدر
 هذي الجنان تهيات وتهللت
 لبي اليهم مسرعاً ودماؤه
 قدشع في كل الدنى ليفجر الثورات
 لتنير في الإنسان أنوار الهدى
 صلى عليهم ربنا ما أشرقت
 فهم الدنا والدين أشرق فجره

شمس الهدى وتغيب بالعصيان
 الغر والأهلين والخلان
 والغدر أمسك بالقضيب الجاني
 لبن الإيا من نبعة الإيمان
 بكل بأس ظاهر وحنان
 فأنتم زينة الاخوان
 وأرى نجاتكم من العدوان
 لكم مع الأطفال والنسوان
 من شدة الإيمان والتحنان
 والروح باقية على الأبدان
 والروح دون الطيب العدناني
 ومسلم ويرير الهمداني
 وأنا قلبهم بنور ثاني
 والذكر شغلهم بكل لسان
 والصبح أسفر عن لقا الاقران
 والسبط أبئهم بخير بيان
 أكرم بهم في جنة الرحمان
 في بأس الليوث ورقة الغزلان
 بالنفس أفدي باكي الاعوان
 عنه ضراوة الاحقاد والشنآن
 يالبحود مقابل الإحسان
 رغم الجراح وقلبه الظمان
 وتلا السيوف السهم والسهمان
 والسبط: أبشر في رضا الرحمان
 شوقاً لرؤية سيد الشبان
 نجم الشهادة واضح العنوان
 بركاناً على بركان
 وتُحرق الطفغيان بالنيران
 شمس على الأكام والوديان
 وهم دماء القلب والشریان

التشيع في الشام وجبل عامل خاصة

الشيخ محمد بن أبيه

قال الشيخ أحمد رضا: أن التشيع في بلاد الشام هو أقدم منه في كل البلاد غير الحجاز، وهذا من العجيب أن يقوم أول ركن وتنتشر أول دعوة للشيعة في بلاد محكومة لأعدى الناس لهم. لما سَير أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه) منفياً إلى الشام بأمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رضي الله عنه) لمقالة بلغته عنه، أقام في دمشق مدة يبث دعوته، لا يهرب في أمره صولة ولا يخشى قوة ولم يكن نفيه هذا ليلين من شكيمته شيئاً، فكان ينشر مذهبه في العلوية وأراءه الاشتراكية من حيث عدم استئثار الأغنياء بأموالهم دون الفقراء حتى استجاب له قوم في نفس الشام لا يزالون ثابتي المعتقد في التشيع إلى اليوم، ثم كان يخرج إلى الساحل فكان له مقام في قرية الصرْفند القريبة من صيدا، ومقام آخر في قرية ميس المشرفة على غور الأردن، وكلتاهما من قرى جبل عامل والمقامان إلى الآن معروفان وقد اتخذنا مسجدين، فكان له حينئذ في هذه الديار من استجاب دعوته وهم كثيرون، وعرفت العلوية في جبل عامل منذ ذلك الحين، أما معاوية فقد استغاث بعثمان (رضي الله عنه) من أبي ذر، وكتب إليه أن أبا ذر أفسد علينا الشام فأمر برده إلى المدينة فإرساله إليها مهاناً، على بعير ضالع بلا وقاء ولا غطاء بعد أن شتمه ونال منه ما اشتهى، كما ذكره ابن الأثير في كامله والطبري في تاريخه، وإن كرها أن يذكرها بعد ذلك أسباب نفيه للريذة، ولا يمكن التسليم بأن الأمر الذي أخرج معاوية فأخرجه عن حلمه حتى فعل بأبي ذر ما فعل. هو رأيُه هذا وحده، بل هو أمر أهم من هذا وأعظم، ألا وهو الدعوة العلوية، التي كانت تقضي على آمال معاوية كلها، ويكاد يغص لذكرها بالماء الفرات.

إن أبا ذر كان معروفاً بميله الشديد إلى الهاشميين عامة؟ وإلى علي عليه السلام خاصة وقد كان ممن تخلف مع علي عن البيعة يوم السقيفة على مارواه أبو الضاء وغيره، بل هو أول من أطلق عليه اسم الشيعة، فقد ورد في كتاب الزينة في تفسير الألفاظ المتداولة بين أرباب العلوم لأبي حاتم الرازي كما نقله عنه صاحب الروضات أن أول اسم ظهر في الإسلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الشيعة، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة وهم أبو ذر، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، إلى أن أن أوان معركة صفين فاشتهر بين موالي علي (ع) انتهى! وقال أيضاً: ولم يكن أبو ذر يهرب قوة في المهاجرة برأيه وحسبك شاهداً ما أتى به في مجلس

عثمان (رضي الله عنه) لما احضرت أموال عبد الرحمن بن عوف وما صنعه وقتئذ بكعب الأحبار على ما رواه المسعودي، انتهى^(١)

ولقد عقب الأمير شكيب^(٢) فقال أما كون التشيع في جبل عامل هو أقدم منه في العجم بل في كل قطر حاشا الحجاز، فمن الحقائق التي لا خلاف فيها، بل التشيع في العجم أحدث منه في سائر بلاد الإسلام^(٣) ثم استطرده تاريخ ظهور التشيع في إيران ثم ذكر أنه في العرب وبلاد الشام لم يكن ظاهراً وأن الشيعة كانت تستمسك بحبال التقية خوفاً على أنفسهم، ولذلك تجد المؤرخين يتجافون عن نسبة علماء الشيعة إلى التشيع الا اضطراراً، ثم ذكر شواهد كثيرة على ذلك ملخصها: أن جملة من أعيان الشيعة وعلمائها المعروفين وقد صرح بأسمائهم واحد واحداً - ترجمهم المحبي وغيره ولم ينسبهم إلى تشيع أو رفض، وإنما نسب من قتل منهم بأنه رمي بالرفض فقتل إلى أن انتهى إلى فريد عصره الشيخ بهاء الدين العاملي فحكى عن المحبي أنه ورد الشام ونزل بمحلة الخراب وهي محلة الشيعة منذ فتحت الشام حتى اليوم ونقل في حقه عبارة للشيخ أبي الوفاء العرضي وهي أنه لما قدم حلب في زمان السلطان مراد بن سليم، حضر دروس الوالد أي الشيخ عمر وهو لا يظهر أنه طالب علم حتى فرغ من الدرس فسأله عن أدلة تفضيل الصديق علي المرتضى، فذكر حديث ما طلعت الشمس ولا غربت فرد عليه وأخذ يذكر أشياء كثيرة تقضي تفضيل المرتضى، فشتمه الوالد، وقال له رافضي شيعي وسبه، فسكت، ثم أن البهائي أمر بعض تجار العجم أن يصنع وليمة يجمع فيها بين الوالد وبينه، فصنعها ودعاها فأخبره أن هذا هو الملا بهاء الدين عالم بلاد العجم وقال للوالد: شتمتمونا، فقال له ما علمت أنك الملا بهاء الدين ثم قال أنا سني، أحب الصحابة ولكن كيف أفعل سلطاننا شيعي ويقتل العالم السني، قال المحبي: ولما سمع بقدمه أهل بني عامل تواردوا عليه أفواجاً أفواجاً فخاف أن يظهر أمره فخرج من حلب، الخ، انتهى.

قال الأمير شكيب: ومن هنا يظهر أن الشيعة كانوا لا يزالون معتصمين بالتقية ومتكتمين في أمرهم مئين من السنين، لأنهم لا جدال في كونهم موجودين في الشام منذ أوائل الفتح الإسلامي ومع هذا، فالمؤرخون لا يذكرون هذا الأمر إلا عرضاً، وربما لا يذكر اصلاً.

ومما يدل على القدم والتكتم، كون الاسماعلية والدروز قد خرجوا من الشيعة، ويقال: أنهم خرجوا من الشيعة السبعية، أي القائلين بالأئمة السبعة وقد وقع في أواخر القرن الرابع للهجرة وأوائل القرن الخامس منه في أيام الدولة الفاطمية الغالية في التشيع، فالشيعة كانوا في هذه

(١) كلام الاستاذ رضا، العرفان ٢٨ ص ٢٢٩.

(٢) في مقال نشره في المقتطف ونقلته مجلة العرفان في المجلد الثاني صفحة ٤٤٨ لتعلقه بمقالات نشرها الاستاذ رضا فيها.

(٣) وقد عقب الأمير شكيب ارسلان كاتب آخر تبريزي بتوقيع (علي بن موسى) استعرض فيه تاريخ التشيع ونسب نفسه إلى تبريز.

الجبال قبل هذه الطوائف التي خرجت منهم، ومنازل الفريقين لم تزل متناوذة، مما يستدل به على وحدة الجرثومة، فضلاً عما بين كثير من عشائر الفريقين من القرابات^(١) والكلايات والانساب المتحدة في الأصل متواتراً ذلك خلفاً عن سلف، يؤيد كون هذه الطوائف كلها راجعة في أصلها إلى العرب، انتهى بلفظه.

وقد ذكر الاستاذ ظاهر ما يقرب من كلام صاحبيه قائلًا: إن قدم التشيع في هذا القطر يعني جبل عامل يمتد إلى خلافة عثمان (رضي الله عنه) وإلى عهد نفي أبي ذر^(٢).

وقال الحر العاملي^(٣): إن تشيعهم -يعني العامليين- أقدم من تشيع غيرهم، فقد روى أنه لما مات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن من شيعة علي إلا أربعة مخلصون: سلمان، وأبو ذر، والمقداد وعمار، ثم تبعهم جماعة قليلون، اثنا عشر وكانوا يزيدون ويكثرون بالتدريج، حتى بلغوا ألفاً وأكثر، ثم في زمن عثمان لما أخرج أبا ذر إلى الشام، بقي أياماً فتشيع جماعة كثيرة ثم أخرجه معاوية إلى القرى، فوقع في جبل عامل، فتشيعوا من ذلك اليوم، ثم لما قتل عثمان، وخرج أمير المؤمنين (ع) من المدينة إلى البصرة، ومنها إلى الكوفة، تشيع أكثر أهلها ومن حولها، ولما تفرقت عماله وشيعته كان كل من دخل بلاداً تشيع كثير من أهل تلك البلاد بسببه، ثم لما خرج الرضا (ع) إلى خراسان تشيع كثير من أهلها، وذلك مذكور في الواريخ والأحاديث، فظهر أنه لم يسبق أهل أجل عامل إلى التشيع إلا جماعة محصورون من أهل المدينة، وقد كان أيضاً في مكة والطائف واليمن والعراق والعجم وشيعة قليلون، وكان أكثر الشيعة في ذلك الوقت أهل جبل عامل، انتهى بلفظه.

قلت: ومن عرف ما كانت تشتمل عليه مكتبة الحر صاحب الوسائل وما تهيأ له من الأعوان، وعرف ما أنفق من عمره الشريف في التأليف والتصنيف، والضبط جزم بكل ما في كلامه، وأشد ارتباطاً فيما نحن فيه قوله: ثم أخرجه معاوية إلى القرى فوقع في جبل عامل، فتشيعوا من ذلك اليوم، فإنه نص صريح في المطلوب.

وقال العلامة الأمين معقبا على ما ذكره الحر العاملي: ثم إن اقتصار صاحب أمل الأمل على الأربعة، والاثني عشر في عدد الشيعة، بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غير صواب، فقد كان جميع بني هاشم شيعة، وكان معهم الزبير، لم يفارقهم، وعندما امتنع علي (ع) عن البيعة، ودخلوا عليه البيت، كان الزبير مع بني هاشم في البيت، وحضر دفن الزهراء (ع) لما دفنت ليلاً، وما تغير حتى نشأ ولده عبد الله، وكذلك جل أهل اليمن والطائف كانوا شيعة، بل قيل أن أهل البطحاء بالبادية لا يعرفون غير التشيع، انتهى.

قلت: لا ريب أن أبا ذر هو الذي حمل التشيع في عهد عثمان من المدينة المنورة، إلى دمشق، وبذره فيها، ولم يزل يعيش فيها حتى الساعة، ويشهد لذلك جميع ما أسلفناه.

(١) يؤيد ما قاله الأمير شكيب ارسلان أن الدروز حتى اليوم يزعمون أن الشيعة أولاد عمهم.

(٢) العرفان م ٣٠ ج أول وثاني تحت عنوان: (اغلاط الاعلام).

(٣) في كتابه (أمل الأمل في علماء جبل عامل) في الطبعة الملحقه برجال الميرزا محمد المعروف بمنهج المقال ص ٤٢٤.

ويشهد له أيضاً: أن المعروف عند العاملين أنفسهم، أن أبا ذر هو الذي نشر التشيع في بلادهم وهم يتناقلون ذلك خلفاً عن سلف، ويسمون أنفسهم شيعة أبي ذر، ويتبركون بهذه التسمية ويتمنون بها.

ومن الشواهد التاريخية على ذلك أيضاً، التي لا تكاد تقبل الشك، أن بلاد عاملة، لاتزال تحتفظ بمكانين، يزعمون أن أبا ذر كان يقيم فيهما، وقد أصبحا على طول الزمن مسجدين ينسبان لأبي ذر، ويزورهما الخواص من المؤمنين. ويصلون فيهما تبركاً، أما أحد هذين المسجدين ففي بلدة ميس الجبل، المشرفة على بحيرة الحولة، وأما الآخر، ففي بلدة الصرفند، الواقعة بين صور وصيدا على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وقد صليت فيه أكثر من مرة قبل ثلاثين سنة تقريباً، وهو مسجد صغير، مبني على الطراز القديم (قبو)، ويقع على قمة جبل صخري متلاصق الصخور، يصعب السلوك إليه، وكان في ذلك الوقت منعزلاً عن البلدة في تلك القمة. وهذا المكان يشبه الأمكنة المنسوبة إلى أنبياء بني اسرائيل، مثل مقام شمع وصافي ومحبيب وغيرهم. ولعلمهم كانوا يختارونها طلباً للعزلة عن الناس، يساعدان النفس على التوجه لمناجاة الخالق، والشعور بالقرب منه، ويث الشكوى إليه، والاستعانة به.

بقي علينا أن نشير إلى السبب في مجيء أبي ذر إلى الشام، وفي خروجه منها إلى جبل عامل فنقول: أما مجيئه إلى دمشق فكان بأمر من عثمان وكان السبب في ذلك هي البوادر الشاذة اسلامياً، التي صدرت في عهد عثمان من حاشيته وأقاربه، والتي لم يستطع المخلصون من الصحابة السكوت عليها، فطالبوا عثمان بتداركها بالحاح وتكرار، فكان يتنصل من بعضها، ويصر على بعضها غير مكترث، وأعقب هذا أمر مهم. وهو أن من أحسن الظن به اتهمه بالضعف، ومن أساء الظن فيه اتهمه بالانحراف، وقد أدى ذلك في النهاية إلى تجمهر عظماء المسلمين من مصر والعراق والحجاز، وتجمعهم في المدينة المنورة، واجتماع رأيهم على تنحية عثمان من الحكم.

وكان عثمان قبل ذلك قد أعاد أبا ذر من الشام إلى المدينة. على حال لم يرتضها المسلمون، ثم نفاه إلى الريدة انتقاماً منه، بعدما سأله عثمان قائلاً: أي البقاع أحب إليك؟ فقال: الريدة، فأمره بالخروج إليها. ونهى الناس عن تشييعه مخافة تجمهر المسلمين. لأنهم كانوا يعظمون أبا ذر ويكبرونه، فامتنعوا ولكن أمير المؤمنين علياً (ع) والحسين وبعضاً آخر خرجوا لتشييعه، وخرج بعض خاصة عثمان لينبهم على ذلك، فقال علي (ع): أو كلما قال عثمان نطيعه فيما قال؟

وكان مشهد الوداع والكلمات التي قيلت فيه مشهداً مؤثراً. ولما أمره عثمان بالخروج، قال: أخبرني حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً: يا أبا ذر تعيش وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك.

وهكذا كان.. فقد مات أبو ذر في الريدة وحده قبل مقتل عثمان، وعندما حضرته الوفاة كان وحده ولم يكن عنده إلا ابنته الوحيدة، التي قالت له في تلك الساعة العصبية: يا أبتى.. تموت غربياً ليس معي من يساعدني على شأنك؟ فقال لها: إذا أنا قضيت، فاجلسي على قارعة الطريق، فيمر بك ركب من المسلمين، فاخبرهم بخبري، فإنهم يقومون بأمرى، ففعلت، فاجتاز بها ركب من

المسلمين العراقيين ساعة موته، وكان مالك الأشتر من بينهم، فاخبرتهم بخبره، فعظم عليهم ذلك، ثم غسلوه وكفنوه ودفنوه، وأبنوه بكلمات خلدت مع التاريخ بخلود أبي ذر، وحملوا ابنته معهم، وأنزلوها في دار أمير المؤمنين علي (ع) وشاع الخبر طبعاً، فكان هذا الحدث هو الحدث الأخير، الذي أحفظ المسلمين، وزاد في سخطهم على عثمان إلى أبعد حد، ثم حوَّصر عثمان في داره، وانتهى الأمر بموته قتلاً، وبقي أياماً لم يدفن ملقى على حش كوكب في ضاحية المدينة المنورة.

والذي نعتقه أن عثمان كان يتحامي أبا ذر، وأنه أرسله للشام لابعنوان الانتقام، بل بعنوان البعث، فإن المدينة المنورة كانت تصدر القادة والجيوش إلى الأمصار والثغور، وكانت تدون أسماء هؤلاء، فكان أبو ذر في بعث الشام، ويشهد لذلك قول عثمان لأبي ذر: الحق بمكتبك، والظاهر أن هذا هو المقصود من هذه الكلمة.

ولكن، لماذا اختار له الشام، وهي أطيب من البلاد الحجازية مناخاً، وأكثرها رفاهاً. والذي نعتقه أنه إنما اختار ذلك بعد فشله في محاولة شرائه بالمال طمعاً بتطويق أفكاره المناهضة للاتجاه السياسي والاقتصادي. الذي كانت تخططه الدولة في ذلك العهد وتسير عليه، فإن عثمان أغدق على أقاربه وخاصته، وكان منهم مروان بن الحكم ووالده الحكم، اللذان طردهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته من المدينة، وسمياً طريدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبقياً طريدين في أيام خلافة أبي بكر وفي أيام عمر أيضاً، ولما انتهت الخلافة إلى عثمان، أرجعهما للمدينة لقربابتهما منه، فاغضب ذلك المسلمين، وكان معاوية في ذلك الوقت حاكم الشام وهو من أقرب الناس إلى عثمان، ومن أكثرهم استفادة من سلطانه، ولعل عثمان كان يظن أن معاوية سيريحه من أبي ذر، أو يظن أن أهل الشام لا يستمعون لكلام أبي ذر ولا يابهنون به، ولكن الأمر كان على العكس فإن معاوية كان أكثر حصافة وأبعد نظراً، ومن ثم لم يسء لأبي ذر بأكثر من حرمانه من العطاء المقرر له، وأما أهل الشام فإنهم تجمعوا حول أبي ذر وصدقوه لشهادة الصحابة له بالصدق، مستنديين في ذلك إلى شهادة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) به.

وبعد ذلك أصبح أبو ذر يتمتع بحصانة التصديق، وأصبح يهاجم معاوية في عقر داره، فكان يدخل على معاوية في قصره، أو يقف على باب ذلك القصر، ويحاسبه على ما انفقه فيه، ويقول: جاء القطار بحمل النار، وما أشبه ذلك، وبعد ذلك كتب معاوية إلى عثمان كتاباً يقول فيه: أما بعد فإن أبا ذر أفسد أهل الشام عليك، فإن يكن لك بها حاجة فخذك إليك، فأمره عثمان بإرجاعه إلى المدينة، فأرجعه إليها على مركب خشن، وأمر مرافقه أن يسير به بعنف، وأن لا يسمح له بالاستراحة. ولعله كان يظن أن ذلك سيؤدي بحياته لضعفه وشيخوخته، فوصل إليها على أسوأ حال، وفتح هذا العمل باباً آخر على عثمان، واستغله خصومه.

ثم إن سبب خروج أبي ذر إلى بلاد عاملة ولم يزل مجهولاً، فمن المحتمل أن يكون قد خرج إليها بأمر من معاوية، وبه حدثنا الحر العاملي حيث قال: ثم أخرجه معاوية إلى القرى، فوقع في جبل عامل، فتشيعوا من ذلك اليوم إلى أن قال: وذلك مذكور في التواريخ والأحداث انتهى^(١).

ومن المحتمل أن يكون قد خرج إليها مختاراً، طمعاً في نشر دعوته في زاوية من زوايا بلاد الشام منقطعة عن العاصمة، وبعيدة عن الرقابة، ومن المحتمل أن يكون قد خرج إليها تسكيناً لغيظ معاوية من جهة، واستفزازاً لنشر دعوته من جهة أخرى، ولكن لأطريق لنا من الوجهة التاريخية إلى الجزم بشيء من هذه الاحتمالات، وعلى كل حال، فقد نجح أبو ذر، فإن جبل عامل لا يزال يحمل عقيدته ويحتضنها ويحامي عنها إلى يومنا هذا^(١).

وقد ظهر من جميع ما قدمناه، أن التشيع بكل معانيه كان موجوداً في عهد عثمان، وأنه لم يولد بعد مقتله، كما يقوله أكثر المستشرقين، وجمع من خصوم الشيعة والتشيع، وجمهور ممن يقلد المستشرقين ويعتقد بأرائهم، ولا ريب أن مؤرخي المسلمين هم اعرف بتاريخ الإسلام وبتاريخ فرقته من الغبراء عن الإسلام والمسلمين.

وظهر أيضاً أن غضبة عثمان ومعاوية وأنصارهما على أبي ذر، لم تكن لمجرد ابداء الملاحظات والمحاسبات، بل لما كان يهدف إليه أبو ذر... فإنه كان يهدف إلى تحويل مجرى الخلافة وأرجاعها لأهلها. ومن الغريب بقاء التشيع منذ ذلك العهد إلى اليوم في بلاد عامل، وفي الشام نفسها مع مطاردة الحكام للشيعة ومناوأتهم للتشيع... ومن الغريب أيضاً أن يعيش التشيع في دمشق نفسها في ثلاث مناطق كلها شيعية وأن يبقى من ذلك العهد إلى هذه الساعة، وتلك المناطق هي: الخراب والجورة والصالحية، وبعض القرى المجاورة لدمشق.

انتشار التشيع في سورية

في القرن الثالث إلى السادس للهجرة

• السيد محسن الأمين^(٢)

لقد انتشر التشيع في بلاد الشام عموماً في غير جبل عامل انتشاراً عظيماً ولا سيما في عصر البويهيين وبنو حمدان والفاطميين وذلك في أواخر القرن الثالث، وقد كانت في ذلك العصر ملوك الإسلام كلها من الشيعة: ففي العراق وفارس بنو بويه، وفي حلب والشام والجزيرة بنو حمدان، وفي مصر والمغرب الخلفاء الفاطميون. وكان الغالب على أهل سورية في ذلك العصر إلى القرن السادس بل والثامن هو التشيع فإن أهل حلب كانوا شيعة.

في تاريخ الحكماء في ترجمة المختار بن الحسن بن عبدون المعروف بابن بطلان النصراني أنه كتب إلى الرئيس هلال بن المحسن بن إبراهيم بعد خروجه من بغداد إلى حلب بصفة ما لقي في

(٢) الشيخ محمد تقي القفزي: جبل عامل في التاريخ ٣٤ وما بعدها

(٣) فيما كتبه السيد الأمين في خطط جبل عامل ٨٦ وما بعدها.

سفرته فقال: إنه خرج من بغداد مستهل شهر رمضان سنة ٤٤٠ هـ إلى أن قال عند ذكر حلب والفقهاء يفتون على مذهب الإمامية (انتهى) فدل على أن أهل حلب في ذلك الحين كانوا أمامية.

واستمر التشيع في حلب وما والاها بعد بني حمدان زماناً طويلاً فمن ملكها بعد الحمدانيين بنو مرداس والظاهر أنهم كانوا شيعة، قال ابن الأثير في حوادث سنة ٤٦٣ هـ في هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب للقائم بأمر الله وللسلطان ألب أرسلان لأنه رأى إقبال دولة السلطان وقوتها فجمع أهل حلب وقال هذه دولة جديدة ونحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون دمائكم لأجل مذهبكم. والرأي أن نقيم الخطبة قبل أن يأتي وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل فأجاب المشايخ ذلك ولبس المؤمنون السواد - شعار العباسيين - وخطبوا للقائم بأمر الله والسلطان فأخذت العامة حُصْر الجامع وقالوا هذه حصر علي بن أبي طالب فليات أبو بكر بحصر يصلي عليها بالناس، وأرسل الخليفة الخلع إلى محمود مع نقيب النقباء طراد بن محمد الزيني فلبسها ومدحه ابن سنان الخفاجي وأبو الفتيان بن حيوس.

وسار السلطان ألب أرسلان إلى حلب فقال محمود للنقيب أسألك الخروج إلى السلطان واستعفاء لي من الحضور عنده فخرج وأخبر السلطان بأنه قد لبس الخلع وخطب فقال أي شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون حي علي خير العمل ثم خرج إليه ليلاً مع والدته فقبله «انتهى». ونقل صاحب مجالس المؤمنين عن ابن كثير الشامي أنه في سنة ٥٠٧ هـ فرغ الملك صلاح الدين ابن أيوب من مهم ولاية مصر توجه إلى أخذ بلاد الشام وجاء منها إلى حلب ونزل بظاهرها فاضطرب والي حلب من ذلك وطلب أهلها إلى ميدان باب العراق وتضرع إليهم وبكى وحضهم على صلاح الدين فعاذه جميعهم على ذلك وشرط عليه الروافض إعادة حي علي خير العمل في الأذان وإن يكون لهم جامع الجانب الشرقي وهو الجامع الأعظم وأن ينادى بأسماء أئمتهم أمام الجنائز - مما دل على أن هذا كان معروفاً عندهم وهو من باب التبرك بأسمائهم الشريفة وليس فيه نص خاص - وإن يكبروا على الجنائز خمساً وأن يفوض أمر عقودهم وأنكحتهم إلى الشريف ابن زهرة الذي كان مقتدي شيعة حلب. فأعطاهم ذلك (انتهى).

واستمر أهل حلب على التشيع زماناً طويلاً وكان فيهم العلماء والفقهاء كأبي الصلاح الحلبي وبنو زهرة وآل أبي جرادة وغيرهم، ومن المعروف عن علماء حلب أنهم كانوا يوجبون الاجتهاد عينا لا كفاية.

والمشهور على الألسن وإن كنا لم نره في كتاب ونحن بريئون من عهدته أن الشيعة في حلب قتلوا قتلاً عاماً في المسجد الجامع يوم الجمعة بحيلة دبرها عليهم حاكم البلد فأظهر لهم أنه منهم فاطمأنوا لقوله ثم أنه جمعهم وقال لهم أريد أن أنعم عليكم يوم الجمعة القادم في المسجد وأريد أن تجعلوا لكل منكم علامة يعرف بها فليجعل الحناء على حنصره ليعرف فينعم عليه فاغثروا بذلك وفعلوا ما أمرهم به فلما كان يوم الجمعة واعد جنده وأعوانه أن يهجموا عليهم بالسلاح في المسجد ويقتلوا كل من على حنصره أثر الحناء فقتلوا قتلاً عاماً ولم يسلم إلا من

كان خارج المسجد أو هرب منه وتشتتوا في البلاد وخلصت حلب من الشيعة من ذلك اليوم إلى يومنا هذا. ومن هرب من حلب إلى دمشق بعد تلك الواقعة عائلة آل اللحام وآل الواسطي وغيرهم من سكنة دمشق وبقي منهم بقايا إلى اليوم يعملون أعمال من تسموا بأهل السنة ومع ذلك يُعَيَّرُونَ بالتشيع.

وقد جرى على الشيعة في المغرب أيام المعز بن باديس بأفريقية من القتل العام نظير ما جرى على أهل حلب فقتلوا في جميع أفريقية وكان ذلك شهوة العسكر وأتباعهم طمعاً في النهب وأغراهم وحرصهم حاكم البلد لأنه بلغه أن ابن باديس يريد عزله فأراد إفساد البلد. ذكره ابن الأثير في حوادث سنة ٤٠٧ وذكره غيره.

وأهل الفوعة في بلاد حلب قديمو التشيع وهم شيعة إلى اليوم ويوجد اليوم أيضاً من الشيعة في بلاد حلب أهل كفريا ونبل والنضالة وبعض أهل معرة مصرين.

ويوجد بحلب مشهد ينسب إلى الحسين عليه السلام وله أوقاف جملة يصرف ريعها على الإطعام يوم عاشوراء وهي باقية إلى الآن لكن أهل حلب يصرفونه على الأطعام في ذلك بعنوان أنه يوم عيد لا يوم حزن والظاهر أن هذه الأوقاف من الشيعة الذين كانوا بحلب، أما المشهد فلا نعلم أصله وربما كان من زمن سيف الدولة.

وكان الغالب على أهل دمشق وما والاها في أوائل القرن السابع هو التشيع فقد قال ابن جبير في رحلته عند وصف دمشق أن الشيعة في هذه البلاد أكثر من أهل السنة وكانت رحلته في أوائل القرن السابع.

وقد كان أهل طرابلس الشام وما والاها كلهم شيعة وتولى القضاء فيها القاضي عبد العزيز ابن البراج أحد علماء الشيعة في القرن الخامس ثلاثين سنة وكان من تلاميذ السيد المرتضى وبنو عمار أمراؤها كانوا شيعة.

والمسائل الصيدافية للسيد المرتضى تدل على كثرة الشيعة في صيدا وكان فيها مقر الكراجكي محمد بن علي بن عثمان نزيل الرملة البيضاء صاحب كتاب كنز الفوائد وكان في القرن الخامس وكلامه في ذلك الكتاب يدل على أن أهل رملة فلسطين التي بنواحي اللد كانوا شيعة واحتمال أنها البلد التي بين صيدا وبيروت يدفعه أن هذه الرملة بالتصغير لا الرملة وقيل أن الرملة التي يحكى عنها الكراجكي هي بمصر والله أعلم. وابن الأثير يقول في حوادث سنة ٥١٩ أن عامة دمشق يغلب عليهم مذهب أهل السنة فدل على كثرة التشيع فيها لكن الغالب غيره.

وكان التشيع فاشياً في حمص وحماه ونواحيها وديك الجن الشاعر المشهور كان من أهل حمص وكان شيعياً ولا يزال في مدينة حمص بعض الشيعة.

وإن صح أن سديد الدين محمود الحمصي عالم الإمامية في الري المعاصر لفخر الدين الرازي وشيخ فخر الدين منسوب إلى حمص المدينة المشهورة لا إلى الحمص الحب المشهور كان ذلك من أدلة وجود التشيع وانتشاره في حمص في المائة السابعة.

ويوجد إلى الآن في وعر حمص قرى كثيرة أهلها شيعة أمامية لهم أخلاق عربية جميلة وميل إلى الدين ومحافظه على شعائر الإسلام مثل الغور والدبوز وأم العمد وتل الأغر والسماقيات وزفتة وغيرها وقد هاجر كثير من أهلها إلى جبل عامل وغيره في الأزمنة السابقة بسبب توالي الظلم والتعصبات المذهبية وجهل أهلها أو تسلط البكوات والأفندية من متنفذي حمص، فقد كانوا يخافون من الخدمة العسكرية فيها جرون من بلادهم لذلك وسألتهم مرة لم لا تغرسون الأشجار المثمرة في بلادكم فقالوا نخاف إذا غرسناها أن لاتطيب أنفسنا بهجر أوطاننا، وطلبت الحكومة مرة الأموال الأميرية من قرية فأجابوا أنها خراب وكانت مسكونة فأنت بجماعة من مهاجري التركمان وأنزلتهم في بيوتهم وأخرجت أهلها منها قهراً وملكتها التركمان، وهم وإن كانوا مخطئين فيما فعلوا لكن ذنبهم لا يستوجب هذا العقاب وقرية الدبوز سلمها أهلها غنيمة باردة لآل الدروبي في حمص ليحموهم من الظلم. وأهل الغور تملك بعض أفندية حمص قسماً من قريتهم الخصبة الواسعة بسبب جهلهم وكانوا يتركون قراهم المملوكة لهم بسندات طابور ويختارون الزراعة في قرى أملاك الدولة ليحتموا بها من الظلم الذي ليس له حد، وكنا يوماً نسير في العربة من حمص إلى الغور فلاحت لنا قرية على جبل أبيض في أثناء الطريق فسألنا الحوذي عنها فقال اسمها البويضة وأهلها شيعة، ولا عهد لنا بقرية هناك بهذا الاسم أهلها شيعة فاستقصينا منه الخبر فلم يشأ بعد ذلك أن يخبرنا بشيء كأنه ندم على ما قال ثم سألنا عنها غيره فأخبرنا أن أصل أهلها شيعة حداثم على ترك مذهبهم الضغط والمعاشرة وهم الذين على سفح الجبل دون القنة وإذا وقع بين أهل القنة والسفح خصام يعبر الأولون الثانيين بمذهبهم.

كما أنه يوجد ببلاد حماه عدة قرى للشيعة وكان أهمها قرية الشيخ علي كيسون الواقعة على أربعة فراسخ من حماه وهي من أخصب بلاد الله وأوسعها جلا أهلها عنها وتشتتوا في البلاد بسبب جهلهم الذي أدى إلى التجاء بعضهم إلى بعض متنفذي حماه وبيعه قسماً من أراضيهم انتقاماً من أهل بلده فأحضر الأفندي قوماً باسم جماعة أحياء وجماعة قد ماتوا من قبل وأخذ سندات طابو بقسم من القرية ولما رفع أهلها شكواهم إلى الحكومة أقيمت عليهم الدعاوى الزوربة التي أودعتهم السجن ثم أخرجوا من قريتهم قهراً واحتلتها الحمويون المتنفذون وذلك في عهد الاتراك.

هذا ولكن تعاقب الدول الغاشمة وظلمها والتعصبات المذهبية والاضطهادات أوجبت قلة عدد الشيعة في سورية عما كانت عليه قبل فخلت حلب من الشيعة بعدما كان كل أهلها أو جلها شيعة كما مر وقل عدد الشيعة في غيرها، وثبت أهل جبل عامل على تشيعهم القرون والأحقاب مع ماتوالي عليهم من الفتن والظلم والاضطهاد في كثير من الأعصار.

متفرقات دمشقية

• حتى الكوفة

الود المنقوص،

استطاع الأمويون خلال ملكهم أن يكسبوا الشاميين إلى جانبهم مستغلين بذلك بُعد قاعدة حكمهم دمشق عن الحجاز وغياب وجوه وأعيان الصحابة فأفرطوا بالدعاية لأنفسهم وأهليهم خوفاً من آل البيت النبوي وحقداً على سيد هذا البيت أمير المؤمنين عليه السلام، وقد استطاعت سياسة التجهيل بحق آل البيت أن تؤتي ثمارها المرة وكانت سبباً مباشراً للأحقاد التاريخية المثيرة للطائفة المقيتة، وكان الشائع في الشام الانتقاص من أمير المؤمنين عليه السلام، حتى قال في ذلك الشاعر:

رأيت بني الشام أقل وداً لأهل البيت من كل العباد
وأكثر ميلهم والود منهم لآل أمية وبني زياد^(١)

وقد ذكر الآبي من باب النوادر:

قال: بعضهم: دخلت الشام فرأيت جماعة يتنقصون أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) ومنهم من يشتمه، فأنكرت ذلك، وجزعت له، ولجأت إلى مسجد كان مني بالقرب، فشكوت ذلك إلى المؤذن، فقال: ما أنكرت؟ قد كان هاهنا منذ أيام رجل يتنقص أبا محمد الحجاج بن يوسف^(٢) ومن الغريب أن أجد أبياتاً للشيخ عبد الغني النابلسي في الذم وهو محسوب في أهل الشام، يقول في ديوانه الحقائق:

اتعبتني بقر الشام وهي في نقض وإبرام
مولدي فيهم ولاعجب جواهر في صدف كامي
قال خير الخلق سيدنا الجفا والبغي في الشام^(٣)
وفي الديوان نفسه مادحاً آل البيت (ع):
إن آل النبي في كل عصر من زمان وما هوأت
شمس فضل بها القلوب أضاءت فرأينا الأعمال بالنيات^(٤)

ومن العوائل الشيعية في الشام

النحاس - اللحام - الحكيم - الشمعة - الحامض - الحلباوي - البيشلي - الصوص - بلوق - صندوق - مرتضى - الخياط - نظام - بيضون - ماضي - الشعار - الزيات - الزين - القطان - شعبان - ديروان - زلزلة - صالح - الشبلي - زهوة - الخضري - لطف - شاكر - وهبة - عبيد -

(٢) نثر الدر لأبي ٣١٢/٧ القاهرة.

(١) تاريخ بعلبك ١٤١/٢

(٣) ديوان الحقائق للنابلسي ص ٣٢١ وفي تاريخ علماء دمشق ١٧٠/١ هجاء دمشق لأحد ابنائها

(٤) ديوان الحقائق للنابلسي ص ٧٤.

الراعي - الاشقر - الروماني - ذياب - بغدادي - الواسطي - النوري - المونس - الصيداي -
 العضل - شحادة - جليلاتي - بيطار - حيدر - كريم - الخضر - القزويني - حمد - الراحلي -
 راشد - الصالحاني - الطهراني - فواز - عرقوب - نور الدين - غازي - شمس - محفوظ - مكي.
 أما الأسر المنتسبة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من طرف علي والزهاء عليهم السلام
 فكثيرة ومن أبرز من ذكرهم محمد عز الدين عربي كاتب في كتابه الروضة البهية ص ٥٤ هم:
 بني حمزة - وبني عجلان - وبني زين العابدين - وبني الحجار - وبني نصري - وبني الكيلاني
 - وبني تقي الدين - وبني الحسيني - وبني زند الحديد - وبني التقي - وبني الصلاحي - وبني
 الكزيري - وبني الأمير عبد القادر الجزائري - وبني مرتضى.

أسرة نجفية شامية

من الأسر النجفية التي استوطنت النجف واصلها من الغوطة بدمشق الشام هي أسرة آل
 الفطاوي وهي من الأسر العلمية ذكرها جعفر محبوبة في ماضي النجف وحاضرها (٢٧٤/١).
 وهناك أسرة آل شربة المعروفة في النجف، رأيت جماعة في حلب وهم من الجعفرية يعرفون
 بآل شربوا (بالواو) يقولون أن بعض أجدادهم نزحوا إلى النجف وعرفوا هناك بآل شربه.

شجرة آل زلزلة بدمشق

آل زلزلة أسرة حسينية النسب وتشترك مع أسرة الصوص وأسرة البيشلي بنسب واحد وآل
 البيشلي نسبة إلى عملة تركية تدعى البيشلي... وقد عرض عليها أحد السادة من آل زلزلة
 واسمه مسلم بن محمد بن سليم زلزلة شجرة نسب قديمة وذلك ببيتنا بدمشق سنة ١٩٨٠ وفي
 أولها كتب مايلي: مشجرة آل زلزلة المعروفين بآل البيت لي:

هذا هو النسب الذي حاز الشرف وسما على افق السما وببرودة المجد التحف

«قل لا أسألكم عليه اجرا إلا المودة في القربى»

الحمد لله الحليم الذي ستر العصاة بحلمه، الحكيم الذي قهر العتاة بحكمه ... الخ.

ومن جملة المنسوين فيها:

السيد أحمد بن سليم بن أحمد بن علي بن قاسم بن حسين بن حسن بن مصطفى بن محمد
 بن علي بن ابراهيم بن علي بن أحمد بن حسن بن ذياب بن عبد الله بن عبد الله بن محمد بن
 يحيى بن محمد بن داود بن شرف الدين بن موسى بن عبد الله بن أبي حسن موسى بن عبد الله
 المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط، ولهذا السيد أحمد المذكور ولدان هما حسن
 وحسني، أما حسن فلم أجد له عقب وأما حسني فاولاده هم: محمد رضا ومحمد سليم وأحسان
 ومحمد فتحي ومصطفى وكامل ومحمد سعيد.

ورأيت تواقع جملة من العلماء عليها ومنهم: علي الأمين الحسيني، حسن الموسوي آل صدر
 الدين، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، جواد مرتضى الحسيني، محمد دبوب، نجيب الدين
 فضل الله الحسيني، محسن الأمين العاملي، عبد الكريم الزنجاني.

المتاولة أو الشيعة في جبل عامل*

• الشيخ أحمد رضا



طائفة تشغل قطعة من سواحل سورية الغربية تجمع

إلى مساكنها لواء بيروت وقضاء بعلبك وبعضاً من جبل لبنان في مقاطعات جزين والمتن والبترون وكسروان غير أن مجتمع سوادها الأكبر في بلاد بشاره المعروفة قديماً بجبل عامل أو جبل بني عامله نص عليه أبو الفداء في تاريخه وجعله نسبة إلى عاملة بن سبأ من مهاجرة سيل العرم.

اطلاق هذا اللقب عليهم

هذا اللقب أو هذه اللفظة «متاولة» هي جمع متوالي مشتق «على غير قياس» من تولى أي اتخذ ولياً ومتبوعاً من ولانهم لأهل البيت النبوي الطاهر الذي هو الركن الركين في مذهب الشيعة أو مشتق (على القياس) من توالي أي تتابع من تتابعهم استرسالهم خلفاً عن سلف في موالاة آل البيت عليهم السلام.

كان يطلق عليهم بعد اسم الشيعة في جبل عامل اسم

العلويين منذ نشأت فرقنا العلوية والعثمانية في أواخر عصر

الخلفاء الراشدين واختص أشياع علي القائلون بتفضيله باسم العلويين وأشياع عثمان القائلون بتفضيله وتفضيل من تقدمه باسم العثمانيين كما انقسم المعتزلة إلى هاتين الفرقتين من بدأ العصر الثاني إلى نهاية العصر السابع للهجرة.

ومازال اسم العلويين في هذه الديار يرادف الشيعة حتى نسخ الأول لقب متاولة وحل محله الجيل الحادي عشر للهجرة كما يظهر تحقيقه فيمايلي، قال الأمير حيدر الشهابي في تاريخه في حوادث سنة ٥٨٤ مأنصه بالحرف «وكان حاكم القرايا التي بالقرب من صور رجلاً علوياً منشاؤه العجم (كذا) وكان يحكم على ستين ألفاً من العلويين وكان حين تملك الأفرنج على تلك النواحي

* مجلة العرفان، ٢، (سنة ١٩١٠)، (٢٣٧ - ٢٤٢)، (٢٨٦ - ٢٨٩)، (٣٣٠ - ٣٣٧)، (٣٨١ - ٣٩٢).

هاندنهم على جزية سنوية تدفع إلى صاحب صور وكانوا يقتلون من يستفردونه من عسكر المسلمين ويخطفون من الافرنج ما أمكنهم»...

ثم قال «وينسبون إلى العلويين القاطنين بعلبك» ثم ذكر في حوادث سنة ٦٣٥ مانصه «يذكر بارنيوس في هذه السنة ظهرت شيعة المتاولة في بلاد العجم وكان لهم عشر مدن ليسكنونها بإذن أجناد الهيكليين المتسلطين يومئذ على تلك الجهات وكانوا يؤدون لهم الجزية وكانوا يدعون أنهم من نسل علي بن أبي طالب وأن الخلافة بعد عمر بن الخطاب كانت لهم وخرجوا بهذه الشيعة كما سيأتي ذكره»، ولم يذكر بعد ذلك في هذا الشأن شيئاً.

إن الرواية الأولى من هاتين الروايتين تخبرنا أن العلويين وهم ستون ألفاً كانوا يدفعون الجزية لصاحب صور، والرواية الثانية تخبرنا بأن المتاولة الذين ظهروا في سنة ٥٦٣ هـ ١٢٣٧ م وهم يعمرن عشر مدن لهم كانوا يدفعون الجزية لأجناد الهيكليين المتسلطين يومئذ على تلك الجهات والناظر في صحف التاريخ يعلم أن جنود الهيكل أو فرسان الهيكل كان لهم يومئذ في صور قدم راسخة وزعيمهم العظيم في صور شفع في «غوي دى لوزنيان»، قائد عسكر اورشليم بعد أن سقطت القدس في يد السلطان صلاح الدين الايوبي والتجأ غوي هذا إلى صور سنة ٥٨٣ هـ وأن صور لم تعط الطاعة للمسلمين إلا في زمن الملك الاشرف خليل في نهاية القرن السابع للهجرة وأن ايران أو العجم كانت في ذلك الزمن خاضعة لسلطة الفاتحين المهاجمين من جيوش جنكيز خان المغولي بعد أن انجلت عنها سلطة الدولة الخوارزمية فالهيكليون الذين اذنوا للمتاوله بسكن العشر مدن هم إذا أصحاب صور وعكا والمدن هي في عملهم وفي ولايتهم لكن ظهور طائفة كبيرة مهاجرة إلى سورية لتعمر فيها عشر مدن في نواحي صور وعكا يعد من الامور التاريخية التي لا يحسن اغفالها واهمالها ولو صحت هذه الرواية لم ينفرد بخبرها بارنيوس وحده ويعرض عنها كل مؤرخي الشرق في ذلك العصر وما بعده.

نعم إن الوهم الذي وقع فيه بارنيوس من أن أصل الشيعة أو المتاولة في جبل عامل من بلاد العجم قد وقع فيه غيره فهذا صاحب «الاعيان في تاريخ لبنان» يقول أن آل حمادة الشيعيين أو المتاوله في جبل لبنان منشاؤهم العجم، والعلامة فاندريك في «المرآة الوضعية» يجعل الشيعة في جبل عامل من العجم وماذا كل له إلا من وحدة المذهب حيث يجمع الجميع مذهب الشيعة الإمامية. وبينما ترى روايتي صاحب الاعيان والمرآة الوضعية، تجد العلامة الدويهي يقول بعد أن خضعت الشام للسلطان سليم العثماني «إن الناس قصدت لبنان من كل جهة فأتى فريق من المتاولة من بلاد بعلبك وتوطنوا فاذا وجراجل وبقعاتا «الخ» والامير حيدر يقول إن علوية بلاد بشارة ينسبون إلى العلويين القاطنين بعلبك.

إن رواية بارنيوس تقول أن المتاولة ظهروا في سنة ٦٣٥ هـ ١٢٣٧ م ولكن قد رأيت في بعض السالنامات التركية القديمة لولاية سورية أن ابتداء ظهور المتاولة كان سنة ١١٠٠ هجرية والفرق بين القولين اربعمائة وخمسة وستون عاماً وهو فرق كبير لا يستهان به إلا أنه يدل على الخلط

والتشويش في التحقيق وأعجب مافي رواية بارنيوس قوله «وكانوا يدعون أنهم من نسل علي ابن ابي طالب وأن الخلافة بعد عمر بن الخطاب كانت لهم» فليتأمل المتأملون وليحكم المنصفون.

إن رواية السالنامة التركية هي أقرب الروايات إلى التحقيق ولم نجد مؤرخاً نشأ بين هذين الزمنين ٦٣٥ و ١١٠٠ يُطلق لفظ المتأولة على شيعة هذه الديار فإن ابن بطوطة الرحالة المغربي يقول أنه مرَّ على صور وهي خراب وبخارجها قرية معمورة (ولعلها قرية القليلة) سكانها من الأرفاض ولم ينبزهم بالمأولة مع أن رحلته كانت سنة ٧٢٦ هـ أي بعد زمن خبر بارنيوس بما يقرب من قرن والمحبي في خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر المتأخر عن زمن هذه الرواية مدة خمسة أجيال ترجم كثيراً منهم مثل بهاء الدين العاملي والشيخ محمد بن محمود المشغري العاملي والشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي والامير موسى الحرفوشي وكثير غيرهم ولم يعرف هذا اللقب ولو عرف في زمنه أو قبل زمنه لأطلقه عليهم أو على واحد منهم كما فعل بالامير فخر الدين المعنى فقد ذكر أنه كان درزياً على أنه ذكر في ترجمة الامير فخر الدين هذا عند ذكره شقيف ارنون (من بلاد جبل عامل المشرف على مرجعيون) ان اهل هذا العمل رافضة وفي ترجمته الامير موسى بن الحرفوش البعلبكي أن هؤلاء القوم أي البعلبكيين من الغلاة في الرفض (كذا) وفي ترجمة بهاء الدين العاملي أنه لما سمع بقدومه أهل جبل بني عامل تواردوا عليه. أما ما ذكر من أن اصلهم العجم فيدفعه، أن مذهب الشيعة عرف في جبل عامل قبل ايران بمدة طويلة. أن التشيع في بلاد الشام هو أقدم منه في كل البلاد غير الحجاز وهذا من العجب أن يقوم أول ركن وتنتشر أول دعوة للشيعة في بلاد محكومة لأعدى الناس لهم.

لما سیر أبو ذر الغفاري رضي الله عنه منفياً إلى الشام بأمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان لمقالة بلغته عنه أقام في دمشق مدة يبيت دعوته لا يهرب في امره صولة ولا يخشى قوة ولم يكن نفيه هذا ليلين من شكيمته شيئاً فكان ينشر مذهبه في العلوية وأرائه الاشتراكية من حيث عدم استثناء الأغنياء باموالهم دون الفقراء حتى استجاب له قوم في نفس الشام لا يزالون ثابتي المعتقد في التشيع إلى اليوم ثم كان يخرج إلى الساحل فكان له مقام في قرية الصرْفند القريبة من صيدا ومقام آخر في قرية ميس المشرفة على غور الاردن وكلتاهما من قرى جبل عامل والمقامان إلى الآن معروفان وقد اتخذا مسجدين فكان له حينئذ في هذه الديار من استجاب دعوته وهم كثيرون وعرفت العلوية في جبل عامل منذ ذلك الحين أما معاوية فقد استغاث بعثمان رضي الله عنه من ابي ذر وكتب اليه ان ابا ذر أفسد علينا الشام فأمره برده إلى المدينة فأرسله إليها مهاناً على بغير ظائع بلا وطاء ولا غطاء بعد أن شتمه ونال منه ما اشتهى كما ذكره ابن الاثير في كامله والطبري في تاريخه وان كرها ان يذكر أسباب نفيه بعد ذلك للريضة مانسباه إلى المعتزدين من رأي ابي ذر الاشتراكي ولا يمكن التسليم بأن الأمر الذي أخرج معاوية فأخرجه عن حلمه حتى فعل بابي ذر ما فعل هو رأيته هذا وحده بل هو أمر أهم من هذا وأعظم الا وهو الدعوة إلى العلوية التي كانت تقضي على آمال معاوية كلها ويكاد يغص لذكرها بالماء الفرات.

إن ابا ذر كان معروفاً بميله الشديد إلى الهاشميين عامة وإلى علي خاصة وقد كان ممن تخلف مع علي عن البيعة يوم السقيفة علي ما رواه ابو الفداء وغيره بل هو من أول من أطلق عليهم اسم

الشيعة فقد ورد في كتاب الزينة في تفسير الألفاظ المتداولة بين أرباب العلوم لأبي خاتم الرازي كما نقله عنه صاحب الروضات «إن أول اسم ظهر في الإسلام على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الشيعة وكان هذا لقب أربعة من الصحابة وهو أبو ذر وسلمان الفارسي والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر إلى أن أن أوان صفين فاشتهر بين موالي علي عليه السلام انتهى... ولم يكن أبو ذر يهرب قوة في المجاهرة برأيه وحسبك شاهداً ما أتى به في مجلس عثمان رض الله عنه لما حضرت أموال عبد الرحمن بن عوف وما صنعه وقتئذ بكعب الاحبار على ما رواه السعدي.

أما الشيعة في إيران أو العجم فقد كان مبدأ أمرها في أوائل الدعوة العباسية ولم تكن يومئذ ثابتة الأركان حتى ولا في زمن آل بويه والدولة العلوية هنالك إلى أن انقضى أمر الخوارزمية في إيران وأقام المغول حكومتهم في قلب إيران وتعاقب ملوكهم إلى زمن السلطان الجاتيو محمد المغولي الملقب بشاه خدا بنده فهو الذي أظهر التشيع في إيران ودعى إليه وأمر بأن يُخطب بأسماء الأئمة الاثني عشر على المنابر في بلاد إيران بعد أن جمع لديه جماعة من علماء السنة والشيعة منهم الشيخ نظام الدين عبد الملك المراغي الشافعي والشيخ العلامة الحسن بن المطهر الحلي الشيعي وأمرهم بالمناظرة في المذهب كما رواه صاحب الروضات عن تاريخ الحافظ وقد قال ان من سوانح سنة ٧٠٧ أظهر خدا بنده شعار التشيع بأضلال الحسن بن المطهر ولكن دولة العجم لم تصبح شيعية محضة قبل زمن الشاه عباس الكبير الصفوي الذي كان في القرن العاشر وكان صاحب الفتيا لديه بل مرجع ايران كلها في زمنه هو المحقق الكركي العاملي ويقول جودت باشا في تاريخه أن الشاه عباس هو الذي بث مذهب التشيع في ايران وأقام الدولة الصفوية على أساسه فترى مما تقدم كله أن الشيعة في جبل عامل هي أقدم منها في العجم بل قد كان لتثبيت دعائم التشيع في إيران يد لابناء جبل عامل بما انتشر من علماء في تلك الديار في ذلك العصر واخصهم المحقق الكركي. إن الذين أجابوا دعوة أبي ذر من بلاد الشام وسروا على مبدئه لم يكونوا في أمن على أنفسهم إذا جهروا برأيهم فتكتموا في ستر أنفسهم واستمسكوا بجبال النقية ما شئت لهم الاحوال حتى إذا امنوا واطمأنوا اظهروا متعدهم وجهروا بمذهبهم.

وأول اطلاق لفظ متاولة عليهم اشتهاهم به لم يكن قبل أواخر القرن الحادي عشر حيث كانت الفوضى ضاربة أطنابها في بلاد الشام وكان كل فريق يعتمد على قوته بحيث انتشرت الحماسة الوطنية والمدة القومية فكان ابناء هذه البلاد من الشيعة يقبون أنفسهم ببني متوال بحيث جعلوه لقباً خاصاً لهم لما فيه من الإشارة إلى مذهبهم وكانوا في ذلك العصر يفتخرون بهذا اللقب وشاعرهم الرجلي في ذلك الوقت يقول من قصيدة طويلة:

لابني متوال ظهر العاديات من ظهور الخيل يمضون الصقال
مايفوت المير ديرتنا حرام ولو نبت من فوق طر بوشه نخل

على أننا لم نجد هذا اللقب قد انتشر إلا بين الذين غامروا في لهوات الحروب في ذلك العصر وانغمسوا في تلك الفتن مثل سكان بلاد بشاره وبلاد بعلبك وكسروان أما الذين لم يندمجوا في هذا السلك الأحمر كسكان دمشق منهم وارباض حلب فلم يكن لهم من اطلاق لفظ متاولة عليهم

نصيب ولا يزال إلى الآن سكان محلة الخراب والجوره منهم في دمشق يعرفون باسم الشيعة أو الرافضة كما يريد مطلق الاسم ويهديه إليه رشده وسكان محلة الصالحية منهم يعرفون بالمتاولة لانهم من مهاجرة بعلبك وهذا برهان جلي يؤيد ماقلناه في حادثة اطلاق هذا اللقب وبيان سببه. **بلادهم:**

عرفت بلاد المتاولة باسم جبل عامل كما سبقت الإشارة إليه وعرفت باسم بلاد بشارة نسبة إلى أحد حكامها في العصور الوسطى قيل إنه من أمراء بني معن وقيل هو بشارة بن مقبل القحطاني وكل ذلك لم يبق عليه برهان والذي يدور على اللسان أن مركز امارته في قرية زيقين من أعمال صور حيث لا تزال الآثار الفخيمة فيها تدل على ذلك.

وتقسم بلاد بشارة إلى قسمين بشارة الشمالية ونهايتها في الشمال نهر الأولى شمالي صيدا ويفصلها عن الجنوبية نهر الليطاني الذي يصب في البحر المتوسط شمالي صور حيث يعرف هناك بالقاسمية وبشارة الجنوبية ونهايتها في الجنوب نهر القرن الجاري شمالي طرشيحا وجنوبي قرية الزيب وهي التي اشتهرت أكثر من أختها الشمالية بهذا الاسم وكانت بلاد بشارة عموماً تقسم إلى ثمان مقاطعات، أربع في بشارة الجنوبية وهي تبين وهونين وقانا ومعركة وكان حكامها من آل علي الصغير وقبلهم بنو شكر ويتألف الآن منها قضاء صور وقضاء مرجعيون، وثلاث في بشارة الشمالية وهي الشقيف والشوم والتفاح المعروفة الآن بناحية جباج وحكام الأولى منها آل صعب وحكام الاخيرتين آل منكر ويتألف من الثلاث الآن قضاء صيدا والتامنة مقاطعة جزين الداخلة في قضاءها من جبل لبنان الآن وكان حكامها المقدمون المعروفون بمقدمي جزين ومن بلاد المتاولة بلاد بعلبك وهي التي كانت في سلطة الامراء آل الحرفوش من أعظم أمراء الشيعة في الشام حيث كانوا أصحاب الحول والطول فيها إلى عهد متفاهم منها في أواسط القرن الثالث عشر حيث اصبحت قضاء معروفاً باسمها ومن بلادهم مقاطعة وادي علمات في كسروان مقر المشايخ آل حماده حكامها إلى عهد الأمير بشير وقد كانت رتبته في الدرجة الثانية بين زعماء لبنان بعد الأمراء الشهابيين وهي تضارع رتبة الأمراء اللمعيين نص عليه جودت باشا في تاريخه.

حاليهم السياسية:

إن الشيعة في سورية أو المتاولة مازالوا كسائر أبناءها ينالهم ماينال البلاد سراء وضراء لامتياز حالهم العامة عن حالة مجاوريههم بشيء حتى الحقت بلاد جبل عامل بحكومة جبل لبنان في زمن الأمير فخر الدين المعني في سنة ١٠٢١ (وكانت قبل ذلك قطعة مستقلة في اية صيدا كما صرح به (جودت باشا) فأقطع الأمير المذكور مراكز حكومتها رجاله وفقدت حينئذ استقلالها وقصرت يدها عن التغلب على حاكميها وكان ولاية بني معن عليها يحلبون در منافعها بكل طريق ولو كان فيه خراب الديار ومهاجرة المحكومين.

إن المرء مهما كانت السكينة غالبية على طبعه إذا اثقله حمل الاستبداد وأخذ الظلم بمخنقه نضر منه وحاربه بمنتهى جهده واستبسل في منع حوزته ورفع الضيم عن نفسه ما امكنته الفرصة وساعدته الحال وبقي للنخوة واباء الضيم فيه أثر وأن المحافظة على الاستقلال من الملكات الراسخة في النفوس.

إن الأمير فخر الدين المعنى بعد أن انتهب قرية الكوثرية في مقاطعة الشومر من جبل عامل وكانت محلاً لآل علي الصغير من زعماء المتاولة ترك عسكره تعيث فيها ثلاثة أيام بعد أن قتل المقاتلة وسبي الذرية: كان عامله على قلعة الشقيف حسين الطويل وإليه عمل الشومر والتفاح قد تنازع مع حسين اليازجي عامل المعنيين في قلعة بانياس وليه شرقي بلاد بشاره فأرسل هذا عسكره مغيراً على قرى حسين الطويل وأهلها متاولة وأرسل الطويل عسكره مغيراً على قرى اليازجي حيث هاجم قرية عيناثا وأهلها متاولة أيضاً لكنه ارتد عنها بخسارة بعض رجاله وهكذا كانوا يتنازعون والمتاولة دريئة هجماتهم ثم في سنة ١٠٤٨ دخل الأمير ملحم بن معن إلى قرية أنصار من مقاطعة الشومر مفتشاً على منازره في الإمارة الأمير علي علم الدين وكانت هذه القرية مقراً لآل منكر حكامها فاستلحم أهلها واستمر القتل فيهم ولم يشف حقه مقتل ألف وخمسمائة من المتاولة في هذه المغارة حتى استباح القرية نهباً وسلباً هذه الطواري وتلك الهجمات نبهت في المتاولة الشعور لدرء الضيم والاستقلال في سبيل الاستقلال فاغتنموا فرصة الوهن الذي طرأ على الحكومة المعنية في زمن الأمير أحمد فأعلنوا استقلالهم عن لبنان وخرجوا من طاعة امرائه فغزاهم الأمير أحمد في سنة ١٠٧٧ في النبطية مقر الصعبيين حكامها فارتد عنها عسكره منهزماً بعد ملحمة كبرى فاستجاش عليه وإلى صيدا فاتاها هذا في العام القابل غازياً وكان نصيبه كصاحب المعنى حيث لحق المتاولة المنهزم إلى عين المزراب قرب صيدا ثم استعرت بعد ذلك نار الوقائع بني امراء لبنان ومشايخ المتاولة فكانت بينهما سجلاً ولكنها اضرمت في نفوس بني متوال شعلة النجدة وياتوا حذرين متأهبين لدفع كل ملمة حتى بلغ من شدة حذرهم في زمن الشيخ عباس العلي حاكم صور في أواسط القرن الثاني عشر أن رجالاً منهم كان قائماً على مزرعة له يحرسها من الوحوش ليلاً فاطلق عياراً نارياً فظن أهل القرى المجاورة أنه طلق مستغيث أو مخبر بدخول العدو فأجابوه باطلاق الرصاص طلباً للنجدة وتبعهم في ذلك أهل القرى المتصلة حتى امتد الصوت على ما قيل من جباج في سفح لبنان إلى البصة على حدود عكا وما انجلى عمود الصبح حتى كانت الألوف ترد وتحتشد والفرسان مهينة للطلعان.

بلغوا بهذه النجدة وهذا التناصر اقصى درجات الشهرة في قوة البأس وشدة الشكيمة في ذلك العصر عصر الغارات والحروب وقد قال المؤرخ المحقق جرجي يني في ماكتب في مجلة المقتطف في كلامه عن ظاهر العمر مانصه «بل رأى أن قوته تزداد كثيراً بانضمام المتاولة إليه وكانوا يومئذ في سمت عزهم يبلغ جيشهم زهاء العشرة آلاف فارس من الأبطال المجريين ولهم حكم بلاد بشارة ومدينة صور وقد ارتفعت عنهم طاعة ولالة لبنان فتمادوا في سلطتهم حتى كانوا يغيرون على اطراف ولاية الشام ويمسكون المال السلطاني عن والي صيدا» إن محالفتهم التي ذكرها جرجي افندي يني مع ظاهر العمر بنيت على أساس من الدم وقد كان بينهم وقائع مشهورة أهمها واقعة طربخا التي أثارها اختلافهم على قرية البصة على الحدود بين عكا وبلاد بشارة وكانت هذه المعركة للمتاولة على الصفديين وفيها يقول أحد شعرائهم الحاريسي مراسلا الشيخ عبد الحليم النابلسي في عكا من قصيدة طويلة:

وافى^(١) بها في يوم طربخا^(٢) وقد
 طافوا عليها بالصوارم والقنا
 فسطا ونادى لا فرار فأدبرت
 عافت هنالك خيلها وسلاحها
 ياعصبة رأت الجميل وماوفا
 وتعمدت^(٣) سفك الدماء ومارعت
 أنسيتم أيام سخنين^(٤) التي
 جافت جفون كماننا طيب الكرى
 والصقر^(٥) لولا الخوف من عقابنا
 حتى خلت تلك البلاد وفرقت
 جاست خيول الدارعين خلالها
 فكأنهم قطع الغمام حيالها
 تلك الجيوش ونالها مانالها
 والرعب عن تلك السروج امالها
 وينت على نياتها اعمالها
 سنن النبي حرامها وحلالها
 لم ينسكم طول المدى احوالها
 فيها وعافت عذبها وزلالها
 ماأزمت عن أرضكم ترحالها
 من كان يبغى حربها ونزالها

غير أن لناطلا لعلنا لعم فطلى لحق وقفل محل بخصني وثاني تحيلوا فستطوبوه ليلنا صيف وظاهر
 جرى في عكا يوم الجمعة ثامن رجب سنة ١٠٨١ فكان بعد ذلك لظاهر من هذه المحالفة عون في
 امتداد سلطته إلى ما وراء صيدا ولناصيف منه عون في وقائعه مع اللبنانيين.

قبل زمن ظاهر العمر واتفاقه مع المتاولة لم يعد هو الظهير في أمورهم فقد كان لهم من
 امراء الحرافشة البعلبكيين نعم العون ولولا البعد ما بين البلادين لكانت المعونة أظهر وأقوى وقد
 كان الحاج ناصر الدين المنكري محلاً لغضب الأمير فخر الدين المعني الكبير لأنه كان منصرفاً
 بكليته إلى الأمير يونس الحرفوشي وكان هذا الأمير بعدها شقيقاً للباشاريين عند الأمير فخر
 الدين لما اثقل المتاولة بطلب متأخرات الاموال الاميرية بعد رجوعه من أوروبا قلنا إن ظاهر العمر
 كان عوناً للمتاولة في حروبهم مع اللبنانيين وأن أهم تلك الحروب الواقعة المعروفة بواقعة كفرمان
 أو واقعة النبطية التي شبت نارها في سنة ١١٨٥ حيث ساق الأمير يوسف الشهابي الجيوش
 الجرازة لاكتساح بلاد المتاولة فكان عسكره على رواية الأمير حيدر عشرين ألفاً وعلى رواية الشيخ
 علي رضا في مخطوطاته ثلاثين ألفاً وبعد أن نهب قرية جباع^(٦) الحلاوة حل في كفرمان^(٧)
 وناوشه القتال من عسكر المتاولة المخيم بالنبطية خمسمائة فارس بقيادة الشيخ علي الفارس
 الصعبي فأدركوا النصر على ذلك الجيش العظيم قبل أن يرجع الصريح من صفد بعسكر ظاهر
 العمر وقبل أن تهيج بقية العسكر بالنبطية وتفرق اللبنانيون منهزمين لايلون على شيء وقد

(١) يريد الشيخ ناصيف النصار زعيم المتاولة وقائدهم في هذه المعركة

(٢) طربخا قرية في بلاد بشارة مجاورة بلاد صفد.

(٣) يشير بدء الصفديين بالعدوان

(٤) محل واقعة بين الصفديين وعرب الصقر انهزم فيها الصفديون واستصرخوا بالمتاولة.

(٥) عرب الصقر طردهم المتاولة والصفدية من بلاد صفد لما استعان ظاهر بناصيف لذلك.

(٦) قرية في سفح لبنان من جبل عامل.

(٧) قرية تقع على مسافة ميل واحد من النبطية.

روي الأمير حيدر أن لبنان لبس لهذه الواقعة السواد فكانت النساء كالغريان وفي هذه الواقعة يقول الشيخ علي رضا أن الشيخ ناصيف ادرك الأمير يوسف في القرب من قرية جرجوع فألبسه الفرو مقلوباً وهو أشبه بجزر الناصية عند العرب.

بدء خضوعهم

ولما استقل الجزار بعكا بدأ باخضاع المتأولة فكانت له معهم وقائع آخرها واقعة يارون حيث ساق الجزار عسكره على بلاد بشاره فجاء في ٥ شوال سنة ١١٩٥ فأسرع إليه ناصيف بعسكره والتقى في قرية يارون من جبل عامل قريبة من صفد فكانت النصر لناصر العسكر الجزار وزلت بناصيف قدم فرسه فابتدره أحد الجنود بطلق أصاب منه مقتلاً وتفرق العسكر وتشتت أمره وجاس الجزاريون خلال البلاد نهياً وسلباً وقتلاً ولم يمهلوهم ليجمعوا شيتهم ويملكوا أمرهم فاستولى الرعب على البلاد ثم هدمت القلاع وحوصرت قلعة شقيف ارنون شهرين ثم فتحت وهدمت وهرب مشايخ البلاد إلى الشام والعراق ثم لجأ جماعة منهم إلى عكار فاستأمن الجزار بعضهم حتى اذا وثقوا بأمان غدر بهم إلى أن ماتوا في سجنه وعذابه ثم وزع عماله على البلاد وكانت البقية الباقية من مشايخ البلاد تتحفز بقوتها الضعيفة لصد قوة أحمد باشا الجزار الهائلة حتى اذا خرج حمزة بن محمد النصار على متسلم تبنين وقتله ارسل إليه الجزار سرية عسكرية واقعة في قرية شحور سنة ١١٩٨ فتشتت شمل الشيخ حمزة وقبض عليه وقتل اشرها قتلة.

ولما دخل العسكر الفرنسي تحت قيادة نابليون بونابرت بلاد الشام اعطاه المتأولة والصفديون الطاعة من أنفسهم تخلصاً من عسف أحمد باشا الجزار وظلمه الشديد ولما انجلى الفرنسيون واطمأن الجزار في ولايته اشتد على بلاد بشاره وساحل صفد ولم يسمع بكبير اوزي وجاهة الا اخذه أخذ عزيز مقتدر، واستصفى امواله وتركه لرحمة زبانية عذابه في سجنه، ودامت الحال من ١٢٠٩ إلى ١٢١٩ عشر سنين هلك فيها الحرث والنسل ولما توفي الجزار رجع إلى البلاد بعض الراحة وانصرف العاملون إلى عمارة ارضهم والسعي في معاشهم إلى أن تولى عبد الله باشا الخزندار واشتدت عدواته مع درويش باشا والي الشام فرأى عبد الله باشا أن يعيد للمتأولة سابق عزهم فرد مشايخهم حكماً عليهم وأقطع الذين صادر اموالهم الجزار من مشايخهم مقاطعة الشومر كلها لتكون لهم بدلاً من املاكهم المصادرة كان ذلك منه ليستعين بهم على حرب درويش باشا فكانوا في جيشه الذي اجتمع على جسر بنات يعقوب على نهر الأردن وفي واقعة المزة وغيرها من وقائعه مع درويش باشا ورأيت شخياً هراً أخبرني أنه كان مع من حضر في واقعة جسر بنات يعقوب تحت قيادة الشيخ فارس الناصيف سنة ١٢٣٧ ولما حل الجيش المصري هذه الديار تحت قيادة البطل المشهور ابراهيم باشا أدخل بلاد بشاره في عمالة الامير بشير الشهابي

فقااست من رجاله عسفاً وارهافاً مبعثة تلك الحروب السالفة التي كانت بين اللبنانيين والمتاوله فكان في محبسه في صور زهاء الالف رجل لكن لم يطل ذلك كثيراً فرفع ابراهيم باشا سلطنة لبنان عن بلاد بشاره حتى اذا كانت سنة ١٢٥٥ خرج الشيخ حسين بن شبيب في مانتى رجل ففاجئه اللبنانيون بخمسماية رجل وماية فارس فهرب الشيخ حسين واصبحت البلاد عرضة لاستبداد العسكر اللبناني.

في اثناء هذه الكوارث لم يكن لأبناء البلاد يد في لم الشعث ودفع الضيم لما تخلل بينهم من الزعانف اولى الفساد فكان المرء يخشى شر قوله ولو في كسر بيته وكان لعسكر الارناؤط والدالاتيه حيث يغدون بين عكا ودمشق وصيدا وببيروت ويقيمون في البلاد سلطة استبدادية تضارع سلطة الانكشارية في آخر مدتهم وكان فرضاً على البلاد ان تقوم بضيافتهم واعطائهم ما يطلبون إلى حد الرضا والوقوف عند ارادتهم كائنه ما كانت بغير مقابل ولا عوض، ولما انجلى العسكر المصري عن سورية رجعت مشايخ بلاد بشاره إليها وتولى الحرب مع بقية الجيش المصري حمد البيك من المشايخ حيث كان قبل ذاك في عسكر الدولة في وقائع حمص وما ورائها فقاد المتاوله ودافع جيش المصريين في وادي الجيش قرب عكا ثم صفد وطبريا وفي ذلك يقول الشيخ الكاظمي «من الشعراء» مادحاً حمداً المذكور.

واطيء الهام احتكم فيها بما	تنصف الحكمة في البين اقتساما
ودع الحكمة تعطى قسمها	للظبي هاماً وللتيجان هاماً
برميش كيف اوطننت العدى	لضمرات فنكست النظاما (كذا)
اذ لوى مير اللوا عنه اللوى	وانثنى كالظبي يحتل الاجاما
هل درى الوادي من احتل به	اجدل شام بواديه حماما
ولك السطوة أورث زندها	بفلسطين فاكضيت اللهاما
إلوانكيت وثليانيت قلباً موجعاً	بشفا عمرو وأحييت رماما
هكذا من لرضى سلطاناه	يجعل الاعداء أشلاء رماما
ويقول العلامة السببتي	

لنا يوم الحبس وأي يوم	منعنا شوس مصر أن تناما
وقبل يوم حمص لو تارانا	أثرنا نفع حرب قد أغاما
تقاعس كل الشوس مشمخر	ويجر الموت يلتطم النظاما

ولما اتم انجلاء العسكر المصري قدرت الحكومة عمل أحمد البيك قائد المتاوله فاعطته حكومة البلاد باسم شيخ مشايخ بلاد بشاره وسكنت البلاد في زمنه إلى الراحة وأخلدت إلى السكون وتمتعت بالرغد إلى أن أجاب داعي ربه سنة ١٢٦٩ قام بالامر بعده ابن اخيه علي بك الأسعد الشهير صاحب المواقف المشهورة في حوادث ١٨٦٠ المندفعة لدى فؤاد باشا المشهور وفي

بعضها يقول:

بني عمنا من آل فهر ويعرب
نشدتكم هل موقفي كان هينا
حماة العذارى في الهياج وسورها
لدى الحضرة العليا التي عزّ طورها

فكانت أيام علي بك أيام رغد وهناء زهراء ممرعة لو لم تشب في آخر مدتها بنزاع ابن عمه تامر بك الحسين معه وأنقضت أيامه باعتقاله واعتقال ابن عمه محمد بك الأسعد في صيدا ثم في الشام حيث توفيّا هناك سنة ١٢٨٢هـ وقُسمت البلاد بعدها إلى ثلاثة اقضية كما هي الآن ورسخت فيها قدم الحكومة ولله عاقبة الأمور.

حالهـم الاقـتصادية

ان البحث في تاريخ بلاد بشارة وجبل عامل الاقتصادي قبل القرن العاشر لايزال قاصراً عن بلوغ درجة التحقيق ولايخرج البت والقطع فيه عن درجة الظن والترجيح ولا تصرح كتب الاخبار ومخطوطات الاوراق المودعة في زوايا المكاتب بشيء من ذلك ولكن المدقق في النظر يرجح بأن الفقر كان متمكناً في هذه البلاد الزراعية حيث كان الاستبداد فيها بالغ حده وبعد أن انجلت الدولة العلية عن بلاد الشام وقامت على اثارها الدولة النورية والصلاحية وانبعثت من جانبي بغداد في الرصافة والكرخ روح التفريق بين السنية والشيعة وحمى وطيس التعصب بين الفريقين واستحكم النصور كان الشيعيون في هذه الديار مأخوذين بجريرة أولئك وأصبحوا وفيهم مجال لظهور نيات حكامهم السنيين على قدر صلاحها أو فسادها وإذا صحت رواية الامير حيدر من انهم هادنوا الصليبيين وأعطوهم الجزية أيام استيلائهم على صور، فيكون من أسبابها تلك الروح وهاتيك الحالة ونستدل على أنهم إنما لجأوا إلى غير حاكمهم تخلصاً من ضنك المعيشة وكثرة المغازم وبعداً من هوة الفقر والخراب كما تخلصوا من عنف الجزار وظلمه بانضوائهم إلى حماية جيش نابليون الأول «التاريخ يعيد نفسه» ومن عرف محبة الحاكم في ذلك العصر وهذا المصير للمال واقتناصه بأي وسيلة كانت مع فساد نية الحاكم على محكوميه بفعل التعصب الذميمة علم مقدار الفاقة والظلم ورجح بأن الفقر كان ضارياً بجرانه في هذه الديار.

أما في أوائل القرن الحادي عشر لما اخذت نيران الفتن تلتهب في سورية عموماً وفي لبنان خصوصاً فقد ازدادت الحال سوء واشتغل بعدها الفلاح بالفتن والحروب عن النظر في زراعته وموارد رزقه فنضب معين الثروة وعاد أكثر الاراضي مهملاً بوراً وبعد أن كانت الاراضي الزراعية متسعة الأرجاء في بلاد بشاره أصبحت على طول المدة والاهمال أحراجاً واسعة ومراعي خصبة الا بعض الارضين المجاورة للقرى والمزارع فانها كانت عاملة لحاجة الاهلين الضرورية فتقوم بما يتبلغ به صاحبها القوت ويؤدي معها بعض الضرائب.

إن الفتن والاشتغال بها ليست هي السبب الوحيد لاهمال الزراعة ونضوب معين الثروة بل ان عدم الامن والاختلال طرقه وقلة التواصل مع البلاد التجارية دعى إلى بقاء المحصولات الارضية في بيوت أصحابها فهبطت قيمتها وزهد بالزراعة الزارعون ولم تكن حاجيات السكان في ذلك

العصر شيئاً مذكوراً بل لم يكن للأسراف بينهم معنى ليعرفونه فكانوا يقتاتون بما تخرجه لهم أرضهم من الغلات ويلبسون ثيابهم من قطن أرضهم منسوجاً على أنوالها ويكتفون بالتافه من ذلك كله وحسبك أن أكبر ما كان يوصف به الغني عندهم أنه (الفي) أي يملك الألف غرش ولا غرابة في ذلك فقد كان للغرش بعلو قيمته وقلة وجوده منزلة حسنة بل كان للغرش في كل البلاد العثمانية في ذلك العصر شأن غير شأن اليوم.

ومن الأمور البديهيّة أن قيمة النقد وأسعار الببوع كلها أمور نسبية فإذا كانت قيمة سلعة مثلاً غرشاً واحداً والدينار عشرة كانت نسبة السلعة إلى الدينار نسبة واحد إلى عشرة في ذلك العصر اتت على هذه البلاد سنة مجدية قاحلة بلغ بها الغلاء حداً متناهياً بعد أن طاف بها جيش الجراد فلم يبق ولم يذر وهي سنة ١٠٧١ وعلى ما رواه الأمير حيدر أن غرارة الحنطة (وهي سبعمائة وعشرون اقة اسلامبولية) بيعت بثمانين غرشاً في جبل لبنان، وفي بعض المخطوطات أنها هي سنة ١٠٧٠ وإن الغرارة بيعت بسبعين غرشاً في جبل عامل ورطل الخبز بيع بثلاثة غروش في دمشق والرطل اقتان ٨٠٠ درهماً وافقت الروايتان على أن الجهد بلغ حده في هذه السنة حتى اكلت الناس العظام ولحوم الميتة أما في سنة ١٠٨١ بعد هذا الغلاء المفرط باحدى عشر عاماً بيع الشعير في بلاد بشاره غرارة ونصف ١٠٨٠ اقة بغرش واحد وفي جبل لبنان اربعة اكيال حنطة ٢٤٠ اقة بغرش واحد كما نقله الأمير حيدر ثم عاد الغلاء في سنة ١١٥٩ حتى بيعت الحنطة والقول مدان ٢٠ اقة بغرش واحد والدخان (التبغ) القنطار ٤٠٠ اقة بمائة وخمسين غرشاً ولكنه في سنة ١١٧٠ ابيععت الحنطة الغرارة ٧٢٠ اقة بتسعة وعشرين غرشاً.

مما تقدم نعلم ان الحال ارتقت قليلاً في أواخر القرن الثاني عشر عن حالها في القرن الحادي عشر كان الغرش في ذلك الزمن اربعين بارة كما هو الآن ولكن نسبته إلى الذهب هي غير نسبته اليوم فقد ورد في تاريخ الأمير حيدر في سنة ١١٩٩ ان المشخص (ذهب المجار) كانت قيمته اربعة غروش وربعاً وهو يعادل نصف الذهب الانكليزي فنسبة الغرش في ذلك العصر إلى الليرة الانكليزية في هذه الأيام نسبة اثنين إلى سبعة عشر فهو اذاً من غروش اليوم ستة عشر غرشاً وكسور، ولكن جودت باشا في تاريخه يقول انه ضرب الغرش بوزن ستة دراهم في زمن السلطان سليمان في القرن العاشر ومثله ضرب في زمن السلطان احمد في القرن الحادي عشر فاذا كانت فضة القرش حينئذ خالصة (ولا اظنه) كانت قيمته الآن تعادل ثلاثة ارباع ريال أو أكثر قليلاً ولا يتجاوز ذلك الثمانية عشر غرشاً الرايجة في هذه الايام ثم يقول بعد ذلك ان الذهب المعروف بزر محبوب كانت قيمته سنة ١١٤٦ ثلاث وغروش وربعاً وهو يقابل نصف ليرة عثمانية فتكون نسبة الغرش إلى الليرة العثمانية نسبة اثنين إلى ثلاثة عشر وهي تبلغ الآن تسعة عشر غرشاً من رايح اليوم وكما ترى هي اعلى من قيمة سنة ١١٩٩ ويقول بعد ذلك ان الغرش في زمن بكوات الفنار يعدل ١١ غرشاً صاغاً.

إن حصول الغلاء المفرط الشديد في سنة ١٠٧١ حيث بلغت الاقة من الحنطة مبلغاً عظيماً

لا يناله الفقير وهو اربع بارات (لاتزيد في غروش هذا الزمن عن الغرش الواحد) فاستحل لذلك أكل الميتة يدلنا بأوضح برهان على مقدار الضيق وقلة النقود في ذلك الزمن على أن لبلاد بشارة من ذلك النصيب الاوفر والقسط الاكبر فإن في سنة ١٠٧١ التي بلغ بها الجهد مبلغه في سورية كان الرطل الواحد من الخبز في الشام بثلاثة غروش ولكن رطل الحنطة في جبل عامل بلغ الثمانية بارات والفرق بين السعيرين كالفرق بين ثروة البلادين.

بقيت البلاد العاملة في فقرها هذا تتراوح عليها ازمان الشدة والرخاء حتى حل الجيش الفرنسي تحت امرة بونابرت أرباض عكا فكان يبتاع ما يحتاجه من بلاد بشاره وبلاد صد بأثمان عالية تعادل عشرة أضعاف قيمتها قبل ذلك فعرف أهل البلادين طعم الثروة وكثرت النقود بين ايديهم حتى اذا انجلى العسكر الفرنسي عن عكا واخلى البلاد الشامية رجعت الحال القهقري وأرهقهم ظلم الجزار فصادر الاموال وتتبع الرؤساء في جبل عامل فلم يبق ولم يذر إلى أن أهلك وتولى الايالة سليمان باشا العظم وبعده عبد الله باشا الخزندار فانصرف الاهلون إلى زراعتهم وموارد رزقهم فأصلحوا الارض وجددوا الاغراس ولكن البقية الباقية من شراذم العساكر غادية ورائحة ومقيمة كانت لاتزال مانعة من ركون الفلاح إلى الراحة ووثوقه باستدامة الحال.

كان الفلاح في البلاد العاملة يفر من عمارة أرضه الا ما تدعوه اليه الحاجة الضرورية فرار الجبان من الزحف حيث كان من يعرف بأنه من ذوي الاملاك محلاً لضيافة العساكر التي تجول في البلاد أنا بعد أن ومغرمًا للظلمة ومناخاً للاستبداد فكان الشقي كل الشقي من كان ذا أرض واسعة وملك كبير.

وقد روى لنا الثقات ان وجيها من ابناء بلاد بشاره كان من ذوي التجارة غضب عليه أحد زعماءها فأراد نكايته فأقطعه قرية كبيرة بتمامها فاستغاث التاجر واستجار من هذه البلية ولم يفر الا بازاحة ثلاث ارباع القرية عن ملكه حيث بقي له ريعها وهو مصدر ثروة ابناءه اليوم.

دامت الحال كذلك حتى اكتسح ابراهيم باشا المصري بلاد الشام وفتح ابواب التجارة بعد أن نشر الامن في البلاد عموماً وعرف الناس كيف يتاجرون بمحصولات ارضهم واصبحت بعد ذلك مصر سوقاً للدخان (التبغ) البشاري فكان منه ثروة عظيمة للبلاد جاءت بكل خير ونعمة وامسى الزارع يرفل بثوب السعادة، بلغني ان قد استضاف بعضهم أحد كبار المأمورين فلما مد الفلاح المائدة جعل في جملة الوان الطعام صفحة مملوءة بالذهب الوهاج فعجب المأمور الكبير لذلك وسئل الفلاح عن ما اراد بهذا فكان جوابه لكي تعلموا ان النعمة قد فاضت واستفاض خيرها في بلادنا بعدل دولتنا العلية فبكي ذلك المأمور الكبير سروراً وكان بعض القصابين (اللحامين) في سوق النبطية واقفاً يثابر على عمله فاتاه أحد زراع الدخان ليشتري منه لحماً وليس لديه غير العملة الذهبية وليس مع القصاب نقد يرجعه إليه فقبض منه ذهباً ليعيد له البقية وبعد ذلك آتاه فلاح آخر فكان كالاول وهكذا إلى أن قبض خمسة عشر ذهباً من خمسة عشر فلاحاً لم يكن

معهم إلا الذهب وعلمت أن بعض الزارعين باع من محصولات اراضيه تبغاً في سنة واحدة قيمته ثلاثمائة ليرة عثمانية قبضها دفعة واحدة فجيداً هذا اليسار وحيداً تلك النعمة التي ليست البلاد بها ثوب الهناء.

حتى اذا امضت الحكومة شروط انحصار الدخان في الممالك العثمانية مع شركة (الريجي) واستلمت تلك الادارة اعمالها ضغطت على هذا المورد العظيم ووضعت العقوبات في سبيل زراعته وبيعه فاحجم عنه التجار وهبطت اسعاره هبوطاً عظيماً والقيت عليه الرسوم الباهظة في مصر فزاحمه الدخان اليوناني وغيره وعملت ادارة احتكاره الريجي على ائتلاف مورده فكان الزارع لا يجد المشتري لبيعه ولا المشتري يقدم حتى لا يقع في شرك ادارة الاحتكار ولا يقدر الفلاح على ابقائه في بيته خوفاً من مصادرة ادارة الريجي له ولاهي تشتريه بثمن تعوض به على الفلاح تبعه فيكون بعدئذ طمعاً للوقود.

منعت ادارة الريجي الفلاح أن يحمل سيكارة واحدة من محصولات اراضيه الا ما يخرج من (انبارها) موسوماً بسمتها ووضعت الزبانية (الوردانية) في منعطفات الطرق وعلى متون الشوارع تفتش جيوب الفلاحين لتغرهمهم الجزاء النقدي لانهم شربوا سيكارة من دخانهم المحصول من ارضهم.

هذا العمل من هذه الشركة واسعاف الحكومة الحميدية لها كانا ضربة قوية اثرت في جسم البلاد الاقتصادي اثرأ مدهشاً ولم يمض على النعمة التي كان فلاح بلاد بشاره يتفيء ظلالتها يسحب ذبوله في نعيمها بضع سنوات حتى انعكس الحال واصبح الفلاح بعد ذلك يبيع ارضه واملاكه سداً لمصارفاته التي عودته عليها نعمته السابقة من العيش الناعم والحالة الرضية ولم تتم العشر السنوات على ادارة الريجي حتى كانت اكثر القرى لذوي الثراء من تجار المدن وسكانها واصبح الفلاح يكد يومه ويشقى علمه ليملاً جيب ماله وكان حظه الاوفر من مغارم الحكومة فلم تقم اعانه (أو بلصه) باصطلاحهم إلا وحملت عليه وقلدت في عنقه وكان على الزارع المسكين ان يقني مالك ارضه (أو شريكه) ويملاً جيب المختار والتحصيل دار وملتزم الاعشار وانفار الجاندرمة وان يقنع رئيسه فلا يتقضي زمن البيادر إلا وبيته أفرغ من فؤاد ام موسى خالياً خاوياً ولكن للضيق ازمان والحاجة تدفع المرء إلى سبيل الخلاص من إشراكها فرأى سكان بلاد بشارة أن في المهاجرة إلى الديار الاميركية فرجاً وغنى فهاجروا زرافات ووحدانا فكان يرجع الكثير منهم بالقليل من الكسب لكنه كثير بكثرتهم فارتاشت البلاد ثم تصاعدت اسعار الحبوب فكان للزارع من ذلك الراحة والفرج واسترد بعض الزراع اراضيهم من ملاكها بأثمان عالية مضاعفة.

حسنت حال أرباب الزراعة اجمالاً رغباً عن الجهل الفاضح بادارة الفلاح اعماله على الاصول الجديدة وان المحراث الذي استعمل منذ الفي سنة لا يزال بعينه محراث فلاحنا اليوم لم يسر عندنا في سنة الارتقاء.

لما رأى الزراع أن أعمالهم تعود عليهم بالثمرة زادت الرغبة في توسيع دائرة أرضهم لا سيما

بعد ارتفاع اثمانها فعمدوا إلى الاحراج فاكتسحوها حتى جعلوها ايضاً صالحة للزراعة وتعلق الفلاح بسفوح الجبال ومنعطفات الاودية يضيق على الماشية مسارحها باذلاً أقصى جهده في استنبات الغلات ليأخذ منها جزء عمله ويستدر منها اخلاف رزقه ولولا الاعشار وعنف ملتزميها وضجر الاهالي من استبداد الملتزمين وطمعهم العظيم ومساعدة الحكومة لهم للسير في اعمالهم فضلاً عن مطاعم مأموري الحكومة الاشعبية في الزمن الغابر لو لا ذلك لكان سعة في الرزق والنعمة والثراء عند فلاحي هذه البلاد قدم ثابتة.

إن التجارة في هذه البلاد قد نالت قسطها من النور والارتقاء حيث قام بها وفرة الحاجيات لدى ابناء البلاد واخذهم باسباب الرفاهية اخذاً دعاهم للسرف في ماينفقون فكثرت حاجاتهم وكثر المتاجرون بها ومازال من قرون تقام في نواحي جبل عامل اسواق اسبوعية يجتمع اليها الاهلون بمتاعهم يبيعونه ويشترى ما يريدون وقد استغرقت هذه الاسواق أكثر الاسبوع فلا يمر يوم إلا وله في احدى جهات جبل عامل معرض زراعي تجاري صغير واكثر هذه الاسواق اجتماعاً واعظمها تجارة السوق الذي يقام في النبطية يومي الاحد والاثنين من كل اسبوع وبه اصبحت هذه البلدة نقطة التجارة في جبل عامل ومقدار مايباع فيها سنوياً بما يزيد عن المائة ألف ليرة من حبوب واقمشة وحيوانات وغير ذلك.

حاليهم العلمية

تنقسم حالهم العلمية إلى ادوار ثلاثة من أول زمنهم إلى القرن الحادي عشر ومنه إلى آخر القرن الثالث عشر ومنه إلى هذا الأوان.

أما الدور الأول فقد كانت حركة المعارف ترتقي فيه شيئاً فشيئاً حتى بلغت في أواسط هذا الدور وأواخره مبلغاً حسناً وقد كانت مدارس العلم حافلة بطلابها في النصف الآخر من هذا الدور سواء في بلاد بشارة حيث مدارس ميس وعيناثا وغيرها تزدهم فيها طلاب العلوم وفي بعلبك حيث مدارس الكرك وبعلبك تزدهي بعمرانها ومشايخ العلماء وجهابذتهم جالسون في منصات دروسهم ينشرون فوائدهم مما جعل لبلاد عامل شهرة طائفة بحيث جعل اسمها يقرن بالاجلال والاعظام في كل اقطار الشيعة من الهند إلى روسيا وايران وغيرها من البلاد كان معظم دروسهم والعمدة في تحصيلهم على علوم الفقه واصوله والحديث والكلام والمنطق والعلوم من النحو والصرف والمعاني والبيان واللغة ويدرسون اذا اراد الطالب الهيئة والحساب والفلسفة على الاصول القديمة وغير ذلك من الفنون ويشهد لقوة تحصيلهم ومبلغهم من العلم مؤلفاتهم الكثيرة التي اخذت من الشهرة مكاناً عالياً وطبع كثير منها في ايران والهند مرات مثل كتاب «معالم الدين في أصول الفقه» للشيخ الاجل الثقة الشيخ حسن بن زين الدين الجبعي العاملي المتوفي سنة ١٠١١ وكتاب اللمعة الدمشقية في الفقه للشيخ السعيد شمس الدين محمد بن مكي الجزيني المعروف بالشهيد الأول المتوفي سنة ٧٨٧ وشرحه المسمى «بالروضة البهية» للشيخ

العلامة زين الملة والدين بن علي المعروف بالشهيد الثاني المتوفي سنة ٩٦٦ وهذا الكتاب مع متنه حوي ابواب الفقه بأوجز عبارة وابلغها للمرام واسجمها مع اشارة إلى أدلة المسائل ومأخذها وأشهر الأقوال وتمحيصها وقد اشتهر كتاباً «المعالم واللمعة» في مدارس الشيعة بين طلابها بحيث لا تجد فيها احداً لم يدرسهما ومن مؤلفات العاملين التي طارت شهرتها «كتاب المسالك» للشهيد الثاني و«كتاب المدارك» لسبطه السيد محمد وهما في الفقه و«كتاب الوسائل» للحر العاملي في الحديث ومؤلفو هذه الكتب جعيون عامليون وكلها مطبوعة في ايران ومنتشرة بين ايدي العلماء والطلاب في سائر الاقطار ومن اطلع على كتاب «أمل الأمل في علماء جبل عامل» للشيخ الحر رأى من أسماء مؤلفات العاملين ما يعيد بالآلاف كلها في مواضيع جليلة.

وممن اشتهر من علماء جبل عامل في هذا الدور اشتهاراً عظيماً حتى عد في الطراز الأول بين علماء الشيعة على الاطلاق الشيخ السعيد محمد بن مكي الجزيني العاملي صاحب كتاب اللمعة الدمشقية التي سبقت الاشارة اليه والذكرى والدروس والبيان والقواعد ألف كتاب اللمعة وهو معتقل في قلعة دمشق وليس لديه من الكتب غير كتاب المختصر النافع للمحقق الحلبي مما دل على غزارة علم ومزيد فضل وقيل ألفه واهداء إلى علي بن المؤيد صاحب خراسان لما دعاه اليه بكتاب يقول فيه «وأنا لا يوجد فينا من يوثق بعلمه في فتياه أو يهتدى الناس برشده وهدهاء...

والمأمول من اكرامه وانعامه أن يتفضل علينا ويتوجه إلينا (إلى ما آخر ماكتب) فلم يجيبه إلى طلبه لما هو به من الاعتقال حيث أقام في قلعة الشام احدى عشر شهراً كان فيها غرضاً للوشاية من اعدائه حتى استشهد هناك رحمة الله تعالى وممن نبغ في هذا الدور من علماء جبل عامل الشيخ الاجل زين الدين بن علي الجبعي شارح اللمعة كما سبقت اليه الاشارة وهو صاحب المؤلفات الكثيرة والسياحات الطويلة في طلب العلم واجتناء فوائده ونشر فرائده هاجر أول أمره إلى مدرسة ميس حيث قرأ على صاحبها المحقق الميسي العربية وشيئاً من الفقه والاصول ثم إلى الكرك حيث درس الكلام والفقه وكثيراً من الفنون ثم إلى دمشق إلى الفيلسوف المحقق محمد بن مكي حيث قرأ عليه الطب والهيئة وشيئاً من الحكمة الاشراقية وقرأ على غيره التجويد ثم إلى مصر فاقام سنة يأخذ عن علماءها ما شاء ثم إلى العراق ثم إلى القسطنطينية حيث حصل على اذن في التدريس في المدرسة النورية في مدينة بعلبك ثم استقرت به الدار في بلده وعاد بعد ذلك ثانية إلى القسطنطينية فاستشهد رضوان الله عليه في طريقه إليها واخذ له بثاره العلامة السيد عبد الرحيم العباسي مفتي الروم في ذلك العصر وصديقه الصادق فقتل قاتليه وهو صاحب كتاب «تنبيه المريد في آداب المفيد والمستفيد» و«التنبهات العلية في اسرار الصلوة القلبية» و«شرح الارشاد» في الفقه وكتاب «تمهيد القواعد» وغيره من الكتب المفيدة التي تريب على المائتي مؤلف على مارواه الحر العاملي في أمل الأمل وقد قال في حقه الشيخ محمد بن العودي الجزيني انه كان شيخ الامة وفتاها ومبدء الفضائل ومنتهاها لم يصرف زمناً من عمره إلا في اكتساب فضيلة وذكر عنه انه بلغ الغاية في الادب والفقه والحديث والمعقول والهيئة والحساب والهندسة وغير ذلك رحمه الله.

ومن مشاهير علماء العاملين في ذلك الدور الشيخ علي بن عبد العال الكركي المعروف بين علماء الشيعة بالمحقق الكركي والمحقق ثاني الذي يقول فيه التفرشي في رجاله «شيخ الطائفة وعلامة وقته صاحب التحقيق والتدقيق كثير العلم جيد التصنيف وتوفي سنة ٩٢٧ بعد مانال المقام الارفع في الدولة الصفوية في ايران فكان فيها المرجع العام وصاحب الكلمة العليا والمنزلة العظمى».

ومن مشاهيرهم الشيخ محمد بن الحسن المعروف بالحر العاملي المحدث المشهور صاحب أمل الأمل في علماء جبل عامل وكتاب الوسائل في الحديث المعروف بتفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة دخل في ستة مجلدات كبار وكتاب الهداية في الحديث وغير ذلك في الكتب.

ومن مشاهير العاملين الشيخ محمد بن الحسين المعروف ببهاء الدين العاملي صاحب الكشكول مؤلف الخلاصة في الحساب والزبدة في الاصول والصمدية في النحو وتشريح الأفلاك في الهيئة وهذه كتب على اختصارها ذات فوائد جمة يعرفها من راجعها وهو مؤلف كتاب الحبل المتين ومشارك الشمس واكسير السعادتین والعروة الوثقى في التفسير وبحر الحساب والتفسير الكبير الموسوم بعين الحياة والصحيفة في الاضطراب وغير ذلك من بدائع التصانيف وهو بعد أن صفت له من الدنيا المناهل وكان في ايران له المرجع الاعلى واليه مشيخة الاسلام فيها أثر السياحة على الدنيا ولذا انها فساح في طلب الافادة والاستفادة ثلاثين عاماً ثم استقر في ايران وتوفي سنة ١٠٣١ هجرية.

ومن مشاهيرهم الشيخ علي بن يونس النبطي نسبة إلى النبطية صاحب كتاب الصراط المستقيم في الكلام ومختصر مجمع البيان في التفسير واللمعة في المنطق والباب المفتوح إلى ما قيل في النفس والروح وغيرها.

في ذلك الدور لم يكن العلم مقصوراً على الرجال في عامله بل كان فيه للجنس اللطيف سهم وافر واشتهرت بالفضل والعلم ورواية الحديث أم الحسن فاطمة بنت محمد بن مكي الجزينية المدعوة بست المشايخ اجازها في رواية الحديث والدها الشيخ وشيخة ابن معيه اجازة وافية ولما توفي والدها وقسمت تركته بين ابناؤه قنعت هي منها ببعض الكتب النفيسة ورأيت مع بعض بني شمس الدين المنتسبين إلى أبيها نفس الصك الذي كتب في القسمة وهو مكتوب بماء الذهب وفيه «أما بعد فقد وهبت الست فاطمة أم الحسن اخويها الشيخ أبا طالب محمداً وأبا القاسم علياً سلالة السعيد الاكرم والفقيه الاعظم محمد بن احمد بن حامد بن مكي قدس الله سره... جميع ما يخصها من تركة ابيها في جزين هبة شرعية ابتغاء لوجه الله تعالى ورجاء لثوابه وقد عوضا عليها كتاب التهذيب للشيخ رحمه الله وكتاب المصباح له وكتاب من يحضره الفقيه وكتاب الذكرى لأبيهم وطاحونة الجامع والقرآن المعروف بهدية على بن المؤيد وقد تصرف كل منهم (الخ).

وقد اشتهر في اواخر هذا الدور من العاملين جماعة في الأدب ترجموا في سلافة العصر لابن معصوم والريحانة للخفاجي ونفحة الريحان وخلاصة الاثر للمحبي وغيرها ومن شعرائهم في ذلك الزمن من يسيل شعره رقة وسلاسة ويأخذ بالالتياب انسجاماً وعدوبة مثل الشيخ محمد بن علي بن محمود المشغري القائل:

قف بالمنازل حيث أوقفك الهوى	وكل البكاء إلى الحمام العيف
اني غسلت من الدموع أنا ملي	ومسحت من اثر البكاء كفوفي
وقفت بي الوجناء بين طولهم	لولا مكان الريب طال وقوفي
ارتاد في عرصاتها فكأنني	طيف ألم بناظر مطروف
فصممن حتى لايجبن مسائلي	وعمين حتى لايرين عكوفي

ومن شعره من أبيات:

لعب الفراق بنا فشرّد من يدي	ريحانتي صديقتي وصديقي
لله ليلتنا وقد علقت يدي	منه بعطف كالقناة رشيق
ايقظته والليل ينفض صبغه	والسكر يخلط شائقا بمشوق
والنوم يبعث بالجفون وكلما	رق النسيم قست قلوب النوق
والبرق يعبث بالرحال وللصبا	وقضات مصغ بالحديث رفيق
ثم انثنيت وزلفه بيد الصبا	وشميمه في جيب المشقوق

ومثل الشيخ نجيب الدين بن مكي العاملي الرحالة القائل وقد كتبها في رقعة صفراء بمداد أحمر

مدمعي مثل مداي والورق	لونه لوني ولكني ارق
طلق النوم جفوني ولذا	عوضي عنه بتزويج الارق

انقضى هذا الدور وتلاه الدور الثاني ففتح القرن الثاني عشر بالحروب والفتن التي امتدت اليه من القرن السابق عليه وقل الاشتغال حينئذ بتحصيل العلم وانصرف هم القوم إلى لم شعئهم وحفظ كيانههم بين مجاورتهم في تلك الفوضى السائدة وقل فيهم عدد أهل الفضل ولكنه لم ينقطع بل لم تخل البلاد من العلماء الزهاد كالسيد حسين نور الدين والسيد حيدر نور الدين في النبطية ومن العلماء المؤلفين كالشيخ محمد بن مهدي الفتوني العاملي استاذ الشيخ الكبير صاحب كشف الغطا ومن العلماء والادباء والشعراء المشاهير مثل الشيخ ابراهيم يحيى ذي الشعر الرائق والمقطعات النفيسة والنفس الابية وقد هجر وطنه في عامه وهاجر إلى دمشق الشام لما اجلب عليه الجزار بخيله ورجله ومن ذلك قوله من أبيات متشوقاً إلى وطنه واصفاً له بما رآه وسمعه:

من لي برد مواسم اللذات
ورجوع أيام مضين بعامل
عهدي بهاتيك المعاهد والدمى
والشمل مجتمتع واخوان الصفا
والروض أفيح والجناب ممنع
اذ لا ترى الا كريما كفه
أو مولعا بالجود تفهق قدره
تختال في المغنى الرحيب ضيوفه
أو فارسا يغشى الوغى بمهند
يجلو بهمته الخطوب اذا دجت
مادام في قيد الحياة فدهره
أو عالما حبرا اذا خضخضته
واذا اقتبست النور من مشكاته
أو عابدا لله تعظيما له
يخشى الاله وما أصاب محرما
حتى اذا سيم الهوان رأيته
او شاعرا ذرب اللسان تخاله
يأتي بكل غريبة وحشية
ويصوغ كل بديعة حضرية
لهفي على تلك الديار وأهلها
خطب دعائي للخروج من الحمى
وتركته خوف الهوان وربما

والعيش بين فتى وبين فتاة
بين الجبال الشم والهضبات
فيهن مثل الحور في الجنات
احنى من الأبناء والأمات
والورد صاف والزمان مؤاتى
والوجه عين حيا وعين حياة
ويداه بالمعروف واللزبات
أن الكرام رحيبة الساحات
ينقض مثل النجم في الهبوات
ان الهموم تزول بالهمات
يومان يوم وغى ويوم هبات
حشد المحيط عليك بالغمرات
أهدى اليك البدر في الظلمات
لم يعن بالرغبات والرهبات
فكانما يخشى من الحسنات
كالليث أيقظته نطاح الشاة
قحا ترعرع في الزمان العاتي
نشأت مع الأرام في الفلوات
مصقولة الجنبات كالمرأة
لو كان تنقع غلتي لهفاتي
فخرجت بعد تلوم واناة
ترك النمير مخافة الهلكات

ومثل الشيخ علي الخاتوتي الذي هاجر في طلب العلم مدة ثم رجع إلى بلاده فقيها طبيبا متفننا أدبيا بعد أن علا ذكره واشتهر أمره في بلاد إيران وعرف فيها في الفقه والطب والرياضيات ولكنه بلي بفتنة الجزار فصور ماله وضبطت أملاكه وحبس مرتين ولم تقبل منه فدية ثم أخذت المكتبة الكبرى التي كانت لآل خاتون والشيخ المذكور ولي أمرها وكانت تحوي خمسة آلاف مجلد من الكتب الخطية النادرة فأاست في عكا طعاً للنار، ومثل السيد أبي الحسن بن السيدر حيدر الأمين صاحب المدرسة المشهورة في قرية شقراء التي حوت من الطلاب فوق الثلاثمائة فيهم الفضلاء الاجلاء كالسيد جواد العاملي مؤلف مفتاح الكرامة الذي طبع في مصر والشيخ ابراهيم يحيى المتقدم ذكره.

ومثل الشيخ حسن سليمان الزاهد العالم والشيخ محمد الحر الفقيه المحقق الذي فَرَّبَنفسه من ظلم الجزار معتصماً بآل حرفوش امرء بعليك فكان فيهم آمناً مطمئناً حتى اتاه البشير بمولود له جديد ويموت أحمد باشا الجزار في وقت واحد سمي ولده سعيداً ورجع إلى بلده جيع وهو مخلى السرب.

وامثال هؤلاء الأفاضل بين المتاوله في هذا الدور كثيرون ولكن ظلم الجزار بلغ مبلغاً عظيماً في الضغط على العلماء والكبراء حيث تعقبهم قتلاً وسجناً وتعذيباً ومصادرة وتشنت من بقى منهم في اقطار الأرض واستصفى الجزار آثارهم العلمية فكان لأفران عكا من كتب جبل عامل ما اشغلها بالوقود اسبوعاً كاملاً وكانت هي الضربة الكبرى على العلم واهله وماظنك ببلاد حرص أهلها على طلب العلم حرصاً شديداً ولم ينقطع عنها مدده وجاب علماؤها البلاد النائية في طلبه واقتناء كتبه جمعت لديهم تلك الذخائر في قرون واجيال كانت بعد ذلك طعماً للنار في مصادرات الجزار.

وقد أخذ منها نزر قليل اقتناء بعض فضلاء تلك الجهات وكان لبعض أفاضل طرشيحا والزيب منها سهم حسن ألقى على المتاوله الخذلان بعد قتل زعيمهم ناصيف النصار ووقعوا في هاوية عسف الجزار ومصادراته فضتت الهمة في سبيل العلم وغلقت مدارسه ووقع أبناء بلاد بشاره من ذلك في بحران عظيم لم تنجلي عنهم غمته حتى أجاب الجزار داعي ربه فاستفاق الناس من ذلهم ورجعت حركة العلم إلى عهددها وفتحت مدرسة الكوثرية بإدارة العالم المحقق الشيخ حسن قبيس فكانت مصدر فائدة ومعرفة على البلاد تخرج فيها حمد بن محمد بن محمود بن نصار أخي ناصيف النصار المعروف باسم حمد البيك الذي تولى بعد ذلك الزعامة في بلاد بشاره عموماً ولقب بشيخ مشايخها وكان شاعراً عالماً فأوى إليه الشعراء والعلماء وأصبح ناديه منتدى الادباء يساعده على ذلك اخلاذ البلاد إلى السكون وسكون الفتن والمنازعات فتفرغ كل امرء لما يعنيه والتف حوله عديد من أهل العلم والأدب مثل العالم اللغوي الشيخ علي بن محمد السبيتي صاحب كتاب البواقيت في البيان والعقد المنضد في شرح قصيدة علي بك الأسعد وغيرها من الكتب والشاعر البليغ الشيخ علي بن ناصر زيدان الذي يقول من أبيات راثياً:

عزيز على من عزه الصبر أن يرى	منازل من يهوى على غير ما يهوى
منازل أقمار أفلن وطالما	حبسن على ساحات اعتبارها نضوا
هاتفة في الروض تشكو من الجوى	تعالى اقاسمك الصباية والشكوى

وكالشاعر الخريف الشيخ حبيب الكاظمي القائل يعني نفسه ويذكر اباءه:

أبسى أن لا يسقيهم بدار ذل	ولا يدنو إلى طرق الدنيايا
إذا ضاقت به ارض قلاها	ولو ملأ النصار بها الركاييا
وليس معجب خوض الفيافي	إذا اعتاد الفتى خوض المنايا

وكالعالم المحقق المفلق الشيخ ابراهيم صادق حفيد الشيخ ابراهيم يحيى السابق ذكره الذي نظم فنظم عقود الدر في سمط الكلام فخلب الالباب وسحر العقول من ذلك قوله"

تجنب رياض الغور من أرض بابل فثمّ قدود يانعات واحداق
واياك اياك الغوير وقريبه وقلبك فاحفظ أن طرفك سراق

وقد نما الادب في عصر حمد البيك نمواً باهراً وبرع يومئذ في قرض الشعر رجل امي اسكاف يدعى أحمد البيك لم يحضرني منهما شيء ولكن احفظ له بيتين يخاطب بهما أحد أصحابه وقد آخلف وعده:

وعدت قلبي بوعد غير منتجز حاشك لمثلك ان يوفي بما وعدا
وعد تماطل لا يوفى وان وقعت ام السماء وقام الدهر أو قعدا

وكانت الأدباء والفضلاء تختلف إليه في دكانه فكانه في عصره الخبزارزي الشاعر الأمي المشهور.

واشتهرت في الأدب بعد ذلك امرأة في بنت جبيل تدعى منى كان لها في نقد الشعر خبرة حسنة وفي معرفة النجوم ومبادئ علم الهيئة حالة مقبولة وكانت تجالس الأدباء وتساجل الشعراء وراء حجابها وروايتها للشعر وحفظها لجيدة تدل على سلامة ذوقها وحسن اختيارها.

قلنا بعد أن هلك الجزائر رجعت حركة العلم إلى مجراها وفتحت مدرسة الكوثرية وقد تخرج في هذه المدرسة جماعة كانوا المرجع في الفتاوى جبل عامل مثل المرحوم السيد علي ابراهيم الذي كان له في الفقه الباع الاطول وكان ذا همة عالية ونفس أبية ومثل المرحوم العلامة الشيخ عبد الله نعمه الجبعي الشهير مرجع الشيعة في جبل عامل على الاطلاق في عصره صاحب المنزلة العالية في نفس بني وطنه خرج من مدرسة الكوثرية وأم العراق فكان فيها علماً يشار إليه بالبنان ثم سكن مدينة رشت في ايران بضع سنين فكانت إليه الفتيا في المدينة وما والاها ثم عاد إلى وطنه قرية جبع من جبل عامل في سفح لبنان وافتتح مدرسته الشهيرة فحفلت بطلابها وكانت العناية فيها مصروفة للعلوم العربية أكثر منها لغيرها وبعد أن زهرت مدة أربعين سنة أفل نجمها وقل عديد مستفيديها واليها يحن المرحوم الشيخ عبد الله المشار اليه بقوله:

اذا ذكرت نفسي زمانا تصرمت لياياله بالدهنا وشملا تجمعا
هتفت بهاتيک الصحاب كأنني وليد تمنى بالعشية مرضعا

لم يأفل نجم مدرسة جباع حتى أضاء مصباح حناويه في ضواحي صور تحت ادارة العلامة المتقن المرحوم الشيخ محمد علي عز الدين فكانت دائرة التعليم فيها أوسع من التعليم في مدرسة جباع وكان رئيسها المشار إليه متفناً في علومه فقيهاً متكلماً محدثاً شاعراً كاتباً أحب شيء إليه ساعة يصرفها في انشاء فائدة وتحبير مؤلف وكانت مؤلفاته سهلة متينة التركيب

جيدة التحقيق منها كتاب روح الإيمان وريحان الجنان في علم الكلام وهو كتاب جليل عاجلته
المنية قبل اتمامه وكتاب تحفة القارئ صحيح البخاري في الحديث وكتاب سوق المعادن جمع فيه
من كل شاردة فكان في مجلدين كبيرين وجمع ديوان شعره وبدائع نثره بيده ومن احسن ماسمعه
من مقطعاته قوله متعزلاً.

ضللت في ليل بدا يحكي الفسق	من طرة في جبهة تحكي الفلق
فخلت ناراً فسعيت اصطلى	فكنت موسى منذراً النار صعق
مذ شمتة سكرت إلا أنني	نظرت في تفاح خد كالشفق
فقممت أجني فرأيت أسوداً	كأنه موكل في من سرق
فقلت ياهذي كذا شأن الهوى	قالت كذا وما بقي منه ادق

وقوله:

اصبحت بعدكم في ذي غانية	ما مس زينتها جن ولا بشر
كحلي سهادي وغسلي مدمعي ودمي	خضاب كفي ومن ذكريكم العطر

وقوله:

من زرع الورد على وجنتك	من أطلع السوسن في طلعتك
من عرض الاس على عارض	عارضه النرجس من مقلتك
من صاغ هذا الجيد من فضة	من أفرغ الدر على لبنتك
من شق هذا الصدر من عسجد	رماد بالرمان من جننتك
سبحانه من خالق باري	اعطاك ما لم يلف في حسبتك
اعطاك ما اعطاك كي يبتي	مثلي في منحك أو محنتك

هذه المدرسة كانت مجمعا لفضلاء الطلاب ودائرة لثنون مختلفة وكان للأدب والشعر
فيها سوق عامرة ولا غرو فقد غدى بدها أمثال السيد الأجل العلامة السيد نجيب الدين
فضل الله والعالم الفهامة الشيخ ابراهيم عز الدين رئيسها اليوم وقد كان لها من زعيم
البلاد العاملة في عصره علي بك الأسعد الوائلي عناية بعثت في نفوس طلابها حب الأدب
وكسب الفوائد.

في ذلك الزمن كانت دار علي بك الأسعد في تبين محطاً لرجال الادباء والشعراء بل والعلماء
وكان فيهم مثل الشيخ الحافظ الشيخ محمد حسين مروه، نادرة عصره في الرواية والحفظ ومن
الشعراء المجيدين ومن شعره.

أمرتج نحو الحمى تبتغي سدى	فسرعان أن الحي أموا بها نجدا
---------------------------	------------------------------

منها:

الم تذكروا عصر الشباب بعامل	وعيشا مضى في قريكم ناعما رغدا
فسقيا لا يام بعاملة غدا	شبابي بها غضا وعيشي بها رغدا
تكدر صفو العيش بعد احبة	مضوا كسيوف الهند واستوطنوا للحداد
واني وابناء الزمن كعاطش	غدا طالبا آلا فلم يدرك الورداد
دعاني اجل شرق البلاد وغربها	لكيما انال المجد أو ابلغ الجهداد
سيعجم هذا الدهر مني ماجدا	صبوراً على لاوائه صلباً جلداد

وقد سمعت منه رحمه الله انه كانت له صلة معينة سنوية من الأمير عبد القادر الجزائري يتقاضاها في دمشق فقبضها في بعض السنين واجاز بها بعض رفقاؤه ولكنه انف ان يرجع إلى بيته صفر اليدين فعرج في طريقه على دار محمد بك الأسعد في الطيبة وثبت عنده اياما ولم ينصرف الا باربعة آلاف غرش صلة واحدة غير ما يسبقها منه له ويلحقها بهذا الكرم الحاتمي اشتد ساعد الادب وبرع فيه الكثيرون، وحسبك بالشاعر اللغوي الشيخ عباس القرشي نزيل عاملة وخريج مدرسة جيع بعد أن كان يقول:

الضت عسري حتى لايفارقني	كعاشق لم يزل الضا لمعشوق
وما فؤاد ام موسى يوم فارقتها	موسى بأفرغ من كيسي وصندوقي
اصبح يقول مخاطبا علي بك بعد محاولته له بالاذن وانصرافه عنه بلا اذن:	
زرت ابن اسعد فانهلت انامله	علي من جوده كالوابل الغدق
ثم انصرفت بلا اذن ولا عجب	اني خشيت على نفسي من الغرق

وقد كان حمد البيك أمير عاملة وشيخ مشايخها عنى بتشطير قصيدة البردة ووقف عند بيت منها اغلق عليه تشطيره فخرج إلى مجلسه وهو حافل بالشعراء والأدباء قتل على عليهم ما نظمته حتى انتهى إلى قوله:

خفظت كل مقام بالاضافة اذ	نوديت بالرفع مثل المفرد العلم
فقرأه بلا تشطير فابتدر ابن اخيه علي بك مرتجلاً تشطيره وانشد:	
خفظت كل مقام بالاضافة اذ	سموت للفلك الاعلى بلا قدم
حيث السما التمتت تشريفها فلذا	نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

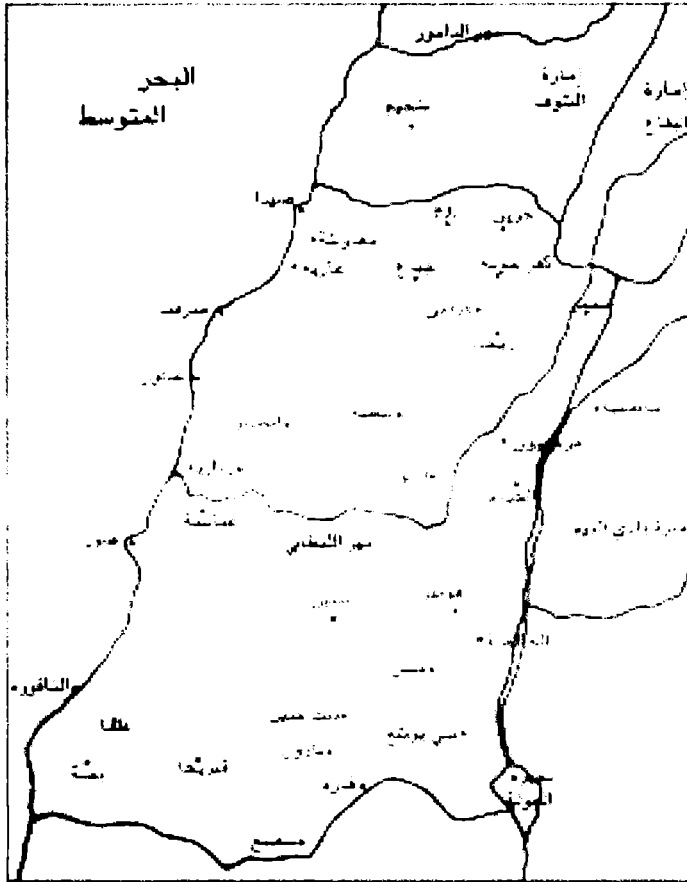
وحسبك بأمرأ تكون هذه مجالسهم أن يفيض معين الأدب في بلادهم والرعية على دين ملوكها.

والمعجي المطرب في ذلك الزمن أن محمد علي بن عبد النبي كان مع جنونه المطبق ينظم الشعر فيجيده ومن ذلك قوله:

البحر شانك والتبريح لي شان
ما سر قلبي بوصل منك أونة
ان نار قلبي حكّت نار الخليل فقد
ناديت ريعك لما ان مررت به
قد كنت معتقداً رام بهم علقت
والحسن عندك لكن ليس إحسان
إلا واعقبه هجر وسلوان
جرى لنوح بجفني منك طوفان
وهاج بي منه اطراب واشجان
ايدي الفراق فقل لي اين هم بانوا

دخل الدور الثالث ومدرسة بنت جبيل التي عمرها بالافادة والاستفادة رئيسها العلامة الشيخ موسى شرارة حافلة بطلابها وفضلائها وقد أفل نجم مدرسة حناويه بوفاة رئيسها الشيخ محمد علي عز الدين فانضم طلابها إلى مدرسة بنت جبيل فكانوا فيها كسواد الناظر في الوجه الصبيح وكان الجد والاجتهاد فيها على أتمه حتى اذا دخلت سنة ١٣٠٤ هـ اختطفت المنون شخص رئيسها وموسسها فماتت بموته وكانت مدرسة (انصار) في ذلك الزمن زاهرة برياسة السيد حسن ابراهيم ولكنها أشبهت زهرة طيبة غصة المجنى والمثبت لفحها حر الغيظ فعادت هشيماً ولم يمض عليها ثلاث سنوات حتى أصبحت اثرأ

بعد عين وكذلك كانت المدارس بعد ذلك تزهر ثم تذوي ولايطول أمدّها حتى ضعفت الهمّة وقلت الرغبة وانصرف الناس عن طلب العلم بعد أن ضربت الكوارث مخيمها في بلاد المتأولة وحلت بهم النكباء من العسر الذي بعثه اليهم احتكار الدخان وفساد التربية الذي نشره بينهم فساد الحكومة بفساد ابناءها ولنا بعد في تفصيل احوال حصل عامل يحث طویل يستوفيه كتابنا الذي نشره فيه مع اخينا الفاضل الشيخ سليمان ظاهر في تاريخ جبل عامل وكلام مختصر في «المتأولة اليوم» نودعه مقالاً آخر وكل أت قريب.



جبل عامل

الشيعة في جبل عامل

● الأمير شكيب أرسلان^(١)

اطلعت في «المقتطف» على ماكتبه حضرة الفاضل الشيخ أحمد رضا من أدباء جبل عامل بشأن طائفة الشيعة المعروفة بالمتاولة في هذا الجبل وتأملت فيما أورده من تاريخ ظهورها فيه مع سبب اشتهاار الشيعة في بر الشام دون غيرهم باسم «المتاولة» إلى غير ذلك من التنقيبات الحريّة بالاعتبار فأثرت أن أضّم إلى هذا البحث بعض ماخطر لي فيه اتماماً للفائدة ووفاءً. بالبلاغ لآمن قبيل الاعتراض ولا على جهة الحاجة بل من قبيل اضافة رأي إلى الآراء والقاء دلو بين الدلاء فأقول. ذكر الكاتب أن لقب «متاولة» مشتق على غير القياس من «تولى» أي اتخذ ولياً لأنهم تولوا آل البيت النبوي رضوان الله عليهم أي اتخذوهم اولياء أو هو مشتق من توالى أي تتابع نظراً لتواليهم خلفاً عن سلف في موالاة العترة المصطفوية. والذي اراه ان التوجيه الأول هو الاقرب وانه هو الاصل في التسمية فان «تولى» يأتي في اللغة بمعنى اتبع كما يأتي بمعنى انصرف فكانه من الاضداد وهذا منزع معروف للعرب وقد جاء منه في الكتاب العزيز بمعنى الاعراض «وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم» وجاء بمعنى الاتباع «ومن يتولهم منكم فإنه منهم» أي من يتبعهم وينصرهم. والشيعة قد تولوا آل البيت أي اتبعوهم ف قيل في اسم الفاعل «متولي» وتحرفت الكلمة بطول الزمن على السنة العامة فقيل «متوالي» وجمعوه «متاولة» وكان الأولى أن يقال فيه «متولية» والوجه الثاني هو من توالى في حب آل البيت أي تتابع فيكون اسم فاعله «متوالي» ولا تحريف عندئذ فيه من جهة مفردة لكن يبقى التحريف في جمعه اذ لا جمع «المتوالي» على «متاولة» بل جمعه الصحيح «متوالية» وقد سمعت وجهاً ثالثاً من فم استاذنا الإمام الشيخ محمد عبده المصري أكرم الله مثواه، وهو انهم كانوا يقولون للعلوي «مت وليا لعلي» وكان يحرض الشيعة بعضهم بعضاً على الثبات في حب آل البيت بهذا الكلام فصيغت من ذلك كلمة «متولى» ثم صارت بتوالي الأيام «متوالي» وكلها وجود غير بعيدة والغربة ليست فيها بل في كون هذه اللفظة غير معروفة الا لشيعة بر الشام بل لشيعة جبل عامل وجبل لبنان ويعلمك ففي العراق شيعة لا يقال لهم متاولة وفي اليمن شيعة يقال لهم «الزيدية» ولا يقال لهم متاولة وفي العجم شيعة أكثر من كل محل ولا يقال لهم متاولة وبين مسلمي الهند ملايين من الشيعة ولا يعرفون بلقب متاولة. واغرب من هذا أن في نفس دمشق الشام محلة يقال لها الخراب سكنتها من العلوية ويقال لهم هناك «روافض» ولا يقال لهم متاولة. وبالاجمال فالشيعة في جميع بلاد الإسلام تحت القاب شيعة وعلوية وامامية «جعفرية وزيدية واتنا عشرية وغير ذلك وكلمة متاولة مخصوصة بشيعة بر الشام على أن المجانسة بالمعنى بين التشيع والموالاة ظاهرة يل المعنى واحد في اللفظين فالولي أو المتولي هو المشايخ أو المتشيع.

(١) كتب هذه المقالة تعقيباً على بحث الشيخ أحمد رضا «المتاولة» وقد اعتمد فيه على ما نشره الشيخ أحمد رضا في مجلة المقتطف المصرية، والتعقيب هذا مما نشر كذلك في المقتطف، وأعدت نشره «العرفان» في سنها الثانية (١٩١٠م) ص ٤٤٤ - ٤٥٠.

ورد في كتابة «غاية الاختصار في اخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار» للسيد الشريف تاج الدين بن محمد بن زهرة الحسيني نقيب حلب قوله «كل قوم امرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيعة وشيعة الرجل اتباعه وانصاره ويقال شايعة كما يقال والاد من الولي والمشايع».

هذا ما حضرني الآن من جهة كلمة «متأولة» وأنا موافق لصاحب البحث على كونها حديثة العهد جرت على اللسان منذ نحو مائتي سنة فقط لأن المؤرخين لم يذكروا هذه اللفظة عند ذكر شيعة بر الشام مع كون هذه الطائفة موجودة في هذا القطر منذ أوائل الفتح الاسلامي.

أما ما ذكره من جهة مبدأ التشيع في الشام وأنه من سيدنا ابي ذر الغفاري الذي نفاه الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنهما إلى الشام وكان يخرج إلى الساحل وله مقام بقرية الصرْفند ومقام آخر في مشارف الغور إلى غير ذلك فهو قول متواتر بين الناس وربما كان اقرب الاقوال إلى الصحة ولكن كنت أحب أن يكون الكاتب أورد عليه النصوص التاريخية من امهات الكتب أو نقل من الروايات ما فيه زيادة تفصيل وشفاء للخليل فان التاريخ المعروف لدينا قصير العبارة جدا عن هذا الحادث وهذه الظلمة فيه هي التي أضلت كثيرا من المؤرخين في حقيقة أصل الطائفة الشيعية في جبل عامل وحملت بعضهم على الظن أنهم أقوام أتوا من العجم فلا انكار أن أبا ذر كان مواليا لعلي أي كان شيعيا وأنه من المتخلفين عن مبايعة الصديق في يوم السقيفة وله في ذلك شركاء من الصحابة نصت على ذلك الامهات.

فأما مقامه بالشام فغاية ما ذكروا فيه انه كان ينكر علي معاوية جمع الاموال ويشنع عليه بهذا السبب حتى شكاه معاوية إلى عثمان فنفاه إلى الربذة. ذكر ابو الفداء في حوادث سنة ٢٥ وفاة ابي ذر الغفاري واسمه جندب بن جنادة قال «وكان بالشام ينكر علي معاوية جمع المال ويتلو: (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله)، الآية: فكتب معاوية إلى عثمان يشكوه فكتب إليه عثمان أن أقدم المدينة فقدم إلى المدينة فاجتمع الناس عليه وصار يذكر ذلك ويكثر الشناعة على من كنز الذهب والفضة فنفاه عثمان إلى الربذة».

اما تسمية هذا الجبل بجبل عامل أو جبل عاملة فلم أجد الكاتب تعرض لها مع أن فيها ما يثبت كون سكان هذا الجبل عربا لا عجماء وذلك لأن مؤرخي العرب اتفقوا على كون حمير وكهلان وأشعر وعمرو وعاملة هم من ولد قحطان وأن اباهم هو يشجب بن يعرب بن قحطان وأن من حمير التبابعة وبني شعبان وقضاة ومن كهلان الأزدوطي ومدحج وهمدان وكندة وممراد وانمار من كل من هؤلاء بطون وافخاذ كثيرة واما أشعر فهي القبيلة التي ينسب اليها ابو موسى الاشعري واما عمرو فمنهم لحم وجذام واما عاملة فانهم خرجوا إلى الشام ونزلوا بالقرب من دمشق بجبل عرف بجبل عاملة ومنهم عدي بن رفاع الشاعر. وعلى هذا يكون أصل سكان هذا الجبل من عرب اليمن وربما يكون نزل فيه ايضا قوم من السكاسك وهما قبيلتان على ما حققه ابن الجواني النسابة الأولى من كندة والثانية من حمير وهم بنو زيد بن وائلة بن حمير ويلقب بزيد السكاسك وكلاهما باليمن والذي يحملني على هذا الظن وجود أرض يقال لها السكسية إلى الجنوب من الصرْفند على سيف البحر.

وقد ورد ذكر جبل عاملة في مواضع كثيرة. قال ياقوت في معجم البلدان عند ذكر هونين: بلد في جبال عاملة. وقال عند ذكر تبنين: بلدة في جبال بني عاملة المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور. وورد في تاريخ ابن الاثير عند ذكر حصر الافرنج تبنين: ان الملك العزيز خرج من مصر لنجدة المسلمين في الشام ورحل هو والعساكر إلى جبل الخيل ويعرف بجبل عاملة. ومن الغريب أنه لم يرد في الكتب القديمة ذكر هذا الجبل باسم بلاد بشارة كما هو معروف به اليوم والشيخ احمد رضا يقول ان نسبة هذه البلاد هي إلى أحد حكامها في العصور الوسطى قيل أنه من أمراء بني معن وقيل هو بشارة بن مقبل القحطاني وان كل ذلك لم يقم عليه برهان. وقوله هذا هو الصحيح اما الامراء بنو معن فلم نجد في تاريخهم من اسمه بشارة واما بشارة بن مقبل القحطاني فحبذا لو ورد شيء من تاريخه لنعلم اين كان مقره ومن كان صاحب هذا الاسم اذ لو عرفنا شيئاً من أمره لكان يمكن ترجيح هذه الرواية على غيرها. وما دام صاحب هذا الاسم مجهولاً فالأولى أن تكون هذه البلاد منسوبة إلى حسام الدين بشارة من أمراء الدولة الايوبية. قال ابن شداد في سيرة صلاح الدين يوسف أنه أتى عكا فاقام بها معظم سنة ٨٥ ورتب بها بهاء الدين قراقوش سنة ثمان وثمانين وصل كتاب من حسان ادين بشارة يذكر أنه تخلف في صور مئة راكب وانضم اليهم من عكا خمسون وخرجوا لنش الغارات في البلاد الإسلامية فوقع عليهم العسكر المرصد لحفظ البلاد من ذلك الطرف وجرى بينهم قتال شديد. وقد ورد ذكر حسام الدين بشارة مرة ثالثة في تاريخ ابن شداد عند حلف اليمين للأفضل بن صلاح الدين بعد وفاة والده وظهر من كلامه انه كان من أكابر امراء تلك الدولة. فلا يمنع ان يكون تولى هذه البلاد ونسبت اليه وهو اقرب وجه في هذه النسبة حتى يقوم مايدل على رجحان خلافه.

اما كون التشيع في جبل عامل هو أقدم منه في العجم بل كل قطر حاشا الحجاز فمن الحقائق التي لاخلاف فيها بل التشيع في العجم أحدث منه في سائر بلاد الإسلام. فجودت باشا في تاريخه يقول أن الشاه عباس هو الذي بث مذهب التشيع في إيران وأقام الدولة الصفوية على أساسه والمحبي يقول ان الشاه عباس بن السلطان محمد خدا بنده بن طهما سب ابن الشاه اسماعيل ابن سلطان حيدر ينتهي نسبه إلى الإمام علي وان أول من بالغ في التشيع وأظهره هو السلطان حيدر وكان ذلك سنة ست وتسع مئة وهذا مخالف نوعاً لما قال جودت باشا وعلى كلا القولين فالتشيع في العجم غير قديم كما انه في العرب وفي بر الشام لم يكن ظاهراً بل كانت الشيعة تستمسك بحبال التقية خوفاً على أنفسهم ولذلك تجد المؤرخين يتجانفون عن نسبة علماء الشيعة إلى التشيع الا اضطراراً. فقد ترجم المحبي محمداً بن علي بن محمود الشامي العاملي المعروف بالحشري ونقل عنه ماقاله ابن معصوم في السلافة من الثناء والاطراء وذكر أنه خرج من الشام إلى العجم ولم يذكره بتشيع ولا رفض، وكذلك ترجم حسناً العاملي الكوفيني مادح الأمير فخر الدين بن معن ولم يقل انه شيعي وترجم حسناً بن زين الدين الشهيد العاملي الشهير بالشامي ولم ينسبه إلى التشيع وذكر حفيده زين الدين بن محمد بن حسن كذلك. انما في ترجمة محمد بن علي بن احمد المعروف بالحريري وبالحرفوشي العاملي الاديب الشاعر ذكر اخراجه من دمشق وسعي يوسف ابن ابي الفتح عند الحكام بقتله بنسبة الرفض اليه وانه سار إلى

بلاد العجم وان سلطانها الشاه عباس صيره رئيس العلماء في بلاده. كذلك عندما ترجم محمداً الحر العاملي الشامي نقل عن ابن معصوم صاحب السلافة أنه قدم مكة في سنة سبع أو ثمان وثمانين وألف وفي الثانية منهما قتلت الأتراك جماعة من العجم لما اتهموهم به من تلويث البيت الشريف وان المترجم خاف على نفسه فالتجأ إلى السيد موسى بن سليمان ونجا وذكر المحبي أن ممن قتلوا بتلك التهمة السيد محمد مؤمن وكان رجلاً متعبداً إلا أنه معروف بالتشيع.

ولما وصل إلى ترجمة فريد عصره بهاء الدين العاملي صاحب الكشكول ذكر انه ولد ببعلبك عند غروب شمس الاربعاء لثلاث عشرة بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وتسعمئة وانتقل به ابوه إلى بلاد العجم ومازال يتدرج في سلم الفضل إلى أن ولي مشيخة الإسلام في تلك الديار وقلما وغالت تلك الدولة في قيمته واستمرت غيث الفضل من ديمته فوضعت على مفرقها تاجاً وأطلعت في مشرقها سراجاً وهاجاً وتبسمت به دولة سلطانها شاه عباس واستنارت بشمس رأيه عند اعتكار حنادس الباس فكان لايفارقه حضراً ولا سفراً.. الخ، ثم نقل عبارة الطالوي في حقه التي أطره فيها بما لم يسمح به لأحد وقال ان شاه عباس طلبه لرئاسة علماء بلاده لكنه لم يكن مذهب الشاه في الزندقة لانتشار صيته في سداد دينه إلا أنه غالي في حب آل البيت.

وذكر المحبي أنه لما ورد الشام نزل بمحلة الخراب وهي الآن محلة الشيعة ونقل في حقه عبارة للشيخ أبي الوفاء العرضي وهي انه لما قدم حلب في زمان السلطان مراد بن سليم حضر دروس الوالد أي الشيخ عمرو هو لا يظهر انه طالب علم حتى فرغ من الدرس فسأله عن ادلة تفضيل الصديق على المرتضى فذكر حديث ماطلعت الشمس ولا غريب على أحد بين النبيين أفضل من أبي بكر فرد عليه وأخذ يذكر أشياء كثيرة تقضي تفضيل المرتضى فشمته الوالد وقال له «رافضي شيعي» وسبّه فسكت. ثم أن صاحب الترجمة أمر بعض تجار العجم أن يصنع وليمة يجمع فيها بين الوالد وبينه فصنعها ودعاها فآخبره ان هذا هو المنلا بهاء الدين عالم بلاد العجم وقال للوالد شتمتمونا فقال له ما علمت انك المنلا بهاء الدين ثم قال انا سني أحب الصحابة ولكن كيف أفعل سلطاننا شيعي ويقتل العالم السني قال المحبي ولما سمع بقدمه أهل جبل بني عامل تواردوا عليه افواجا فخاف أن يظهر أمره فخرج من حلب.

ومن هنا يظهر أن الشيعة كانوا لا يزالون معتصمين بالتقية متكتمين في امرهم مئين من السنين لانه لا جدال في كونهم موجودين في الشام منذ أوائل الفتح الإسلامي ومع هذا فالمؤرخون لا يذكرون هذا الامر الا عرضاً وبما لا يذكروه اصلاً ومما يدل على القدم والتكتم كون الاسماعيليين والدروز قد خرجوا من الشيعة ويقال انهم خرجوا من الشيعة السبعية أي القائلين بالاثمة السبعة وقع ذلك في أواخر القرن الرابع للهجرة وأوائل القرن الخامس في أيام الدولة الفاطمية الغالية في التشيع فالشيعة كانوا في هذه الجبال قبل هذه الطوائف التي خرجت منهم ومنازل الفريقين لم تزل متناوذة مما يستدل به على وحدة الجرثومة فضلاً عما بين كثير من عشائر الفريقين من القرابات والكلالات والانساب والمتحدة في الاصل متواتراً ذلك خلفاً عن سلف يؤيد كون هذه الطوائف كلها راجعة في أصلها إلى العرب. والله تعالى من وراء العلم

شكيب ارسلان

تعقيب آخر من تبريز:

إلى حضرة الفاضلين منشيء المقتطف

طالعت الجزء الأول والثاني من المجلد السابع والثلاثين ووقعت على ما أفاده الفاضلان السيد أحمد افندي رضا والأمير شكيب ارسلان فاحببت أن اتحف قراء المجلة الغراء ببعض الفوائد القاء للدلو في الدلاء كما قاله الأمير شكيب.

أقول ما ذكره الأمير شكيب في الصفحة ٧٤٠ من أمر مبدأ التشيع في الشام فهو كما ذكر لادليل عليه من الامهات ولم يتعرض أحد لذكر نفي ابي ذر إلى القرى حتى من المعتصبين له وللخليفة. نعم ذكر ذلك الفاضل الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفي سنة ١١٠٤ في مقدمة كتابه أمل والأمل ورواه رسلاً. قال في الصفحة ٧٤٣، أما كون التشيع في جبل عامل هو أقدم منه في العجم بل في كل قطر حاشا الحجاز... أقول ان كان دليل قدم التشيع في جبل عامل هو اقامة أبي ذر في الشام أو نواحيه مع ماظهر منه من المخالفة لخليفة عصره فاهالي مصر يجب أن لا يكونوا متأخرين عن أهل الشام في التشيع لأن محمداً بن أبي بكر كان عندهم وهو من الد الخصوم لعثمان. ويمكن اطلاق ذلك على أهل اليمن أيضاً وأما بلاد العجم فأمرها كما قاله.

وأول ما ظهر من أمر التشيع في العجم هو زمان بث الدعوة العباسية في خراسان وميل بعضهم إلى تأييد أمر العلوية كما نطقت به اخبار الإمامية وتشيع أهل سبزوار وقم وبعض البلاد الأخرى من نواحي خراسان والري وكون بلادهم مركزاً لرواة اخبار الإمامية وعلمائهم مما لايدانيه ريب. ومانقله عن تاريخ جودت باشا والمحبى فكلاهما لايد له من تأويل ولعل مرادهما بث مذهب التشيع في جميع ايران وجعله مذهباً رسمياً. مع أن أول من أعقب نفسه في تأييد مذهب الامامية من السلاطين الصفوية هو الشاه اسماعيل مؤسس السلطة الصفوية ابن السلطان حيدر المقتول في شيروان سنة ٨٩٢ وفي تلك السنة بعينها كانت ولادة الشاه اسماعيل قبل واقعة ابيه بشهرين تقريباً وكان خروجه من جيلان في محرم^(١) سنة ٩٠٥.

والتاريخ الذي ذكره المحبى هو تاريخ خروج الشاه اسماعيل تقريباً خرج طالباً لدم ابيه وجعل ترويج مذهب الامامية نصب عينيه كأبيه السلطان حيدر وجده السلطان جنيد ثم تلاه بعده ابنه الشاه طهماسب المتوفي سنة ٩٨٤ ثم حفيد طهماسب الشاه عباس الكبير المتوفي سنة ١٠٣٦. ومن عهد الشاه اسماعيل اخذ علماء الامامية يزدحمون على بابيه ويظهرون من زوايا الاختفاء ويردون عليهم من اقصى البلاد خصوصاً من جبل عامل منهم الشيخ حسين والد شيخنا البهائي وقبله الشيخ علي بن عبد العالي الكركي المتوفي سنة ٩٤٠ وغيرهما من افاضل جبل عامل والبحرين. وان كان مراد جودت باشا وغيره غير ما ذكرناه فهم محجوجون بما لايرده أحد من المؤرخين من شيوع مذهب الامامية في العجم من زمان قديم وتقلد بعض سلاطينهم لمذهب التشيع وسعيهم لاشاعته منهم آل بويه وآل كرت وغيرهم ممن تقدم عليهم أو تأخر واعظمهم السلطان أو لجائيتو المغولي المتوفي سنة ٧١٦ الذي تقلد مذهب الامامية وتشيع على يد العلامة الحلي. وعذر بعض المؤرخين في ذلك معلوم فانهم لم يراجعوا تواريخ ايران أو لم تكن عندهم أو أخذهم التعصب والله اعلم.

تبريز - علي بن موسى

(١) لم يرد محرم عارياً من الألف واللام في كلام العرب وانما هو المحرم.

المتاوله في سورية

بقلم: حرجي ديمتري سريسق

كتبت هذه المقالة سنة ١٩٠٨ هي عبارة عن رؤوس نقاط ولمحة موجزة عن الشيعة في لبنان ونحن نثبتها هنا كوثيقة مدونة منذ مايزيد على قرن من الزمان ونترك أمر المعلومات الواردة فيها «من الخطأ أو الصواب» لتقييم الدارسين والمعنيين بالموضوع. وقد تم تدوينها طبقاً للأصل الذي وردنا.

أصلهم

إن أهل السنة يدعون المتاوله بالشيعة والرافضة وبني متوال وأما هم فيدعون أنفسهم الشيعة العلوية والعادلية والمتوالين. قال أحد اشرافهم المنتمين إلى الإمام علي وقد سألته عن أصل كلمة متوالي «سمينا بذلك لأننا اتخذنا الإمام علياً ولياً فاصل كلمة متوالي متوالي وان أسما الشيعة العلوية». وكنت سألت يوماً رجلاً من عامتهم مدينه فأجاب على الفور «أنني متوالي» ثم راجعت صفحات المعاجم العربية فلم أجد في واحد منها بحثاً وافياً في أصل كلمة متوالي ولا إشارة إليها إلا في محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني، فقد ورد فيه مانصه بالحرب الواحد «المتوالي واحد المتاوله وهم الشيعة سموا به لأنهم تولوا علياً وأهل بيته ومعنى تولوه أي نصروه».

إن المؤرخين الذين بحثوا في تاريخ سورية عرباً كانوا أم افرنجة لا يذكرون مايروي الغليل عن أصل المتاوله وأول من ذكر هذه الكلمة هو البطريق الماروني اسطفان الدويهي في تاريخه عن أصل الموارنة ثم الامير حيدر الشهابي بتاريخه عن آل شهاب. وقد اتفق البطريق والامير على أن بني حمادة مشايخ المتاوله أتوا مع زمريتهم من بلاد الفرس وأن أصلهم من تلك البلاد. أما قولته الفيلسوف الفرنساوي فقد أثبت في كلامه عن سورية أن المتاوله من أهالي سورية الاصليين وانهم كانوا يسمون الحمادية ثم لقبوا بالمتاوله في ابتداء القرن الثامن عشر. وذكر رنان الفرنساوي في كتابه «مهمتي في فينيقية» كلاماً للسمعاني مؤداه أن السلطان سليم الأول رأى من اللازم أن يولي على مقاطعة الكورة في جبل لبنان الأمراء الايوبيين الذين استحضروهم من كردستان ليكفوا الناس شر الحمادية وكان ذلك سنة ١٥١٥ مسيحية. ويقول الجغرافي ملطبرون ان المتاوله هم من أهالي البلاد السورية الاصليين. وارتأى القس طمس في كتاب التحريات عن الاديان في سورية أن أصل المتاوله من بلاد آشور. وذكر المؤرخ العثماني جودت باشا المتاوله في تاريخه وقال «سموا ببني متوال نسبة إلى شيخ لهم اسمه متوال».

ويغلب على ظني أن أصل المتأولة من العرب وهذا لا ينافي اختلاطهم بالاجناس العديدة التي قطنت سورية. ومن مراجعة التواريخ يفهم أن أول ظهورهم كطائفة كان في بعلبك بعد تقلص ظل الصليبيين ومن هذه البلدة أتوا إلى أعالي لبنان وتملكوها ولم يصددهم أحد عن التقدم فسكنوا تلك الجهات وتكاثروا مع الأيام حتى وصلوا إلى شاطئ البحر وكان امرؤهم في بعلبك الحرافشة. وهي اسرة معروفة بعزة الجانب وشدة المراس اشتهر أفرادها بالنجدة والشجاعة وأصلهم على مايقولون عربي من قبيلة خزاعة وهي منتشرة إلى الآن في ضواحي بغداد، حدثني رجل من افراد هذه الطائفة في بعلبك انه لما ضايقته الحكومة امراء الحرافشة نظراً لعبثهم في البلاد فساداً نزح بعضهم إلى قبيلة خزاعة الأنفة الذكر فاستقبلهم رجالها احسن استقبال واکرموا وفادتهم واعترفوا لهم بصلات النسب. واما رؤساء المتأولة الذين توطنوا لبنان فهم آل حمادة الذين استفحل نفوذهم وقويت شوكتهم مع الأيام ولا تزال هذه الاسرة إلى الآن ذات مقام رفيع عند قومها في الهرمل ولبنان. وجميع أهالي قصبة الهرمل وضواحيها هم من هذه الطائفة. قلت أن مؤرخي لبنان ادعوا أن أصل آل حمادة من بلاد فارس ورووا بأن كبيرهم حضر من تلك الأقطار ومعه أولاده سرحان وأحمد المكنى بابي زعزوعه وذئب فاستوطنوا لبنان. على أنني أرى أن هذه الأسماء عربية محضة سُمي بها من القديم أودية واقعة جنوبي شرقي الشام كوادي سرحان وبرية حمادة كما أن أسماء عشائر المتأولة الساكنين جبال صيدا وصور المعروفة بجبل عامل جميعها عربية كبني صعب وبني منكر وبني شكر وبني جابر وبني الشاعر وبني الصغير في مرجعيون.

وورد في تاريخ الأمير حيدر أنه بعد افتتاح السلطان سليم الاول سورية ومصر استتبّت الراحة في البلاد وتقاطر الناس وسكنوا الاماكن التي كانت خالية فاتى المتأولة من جهات بعلبك وحلوا في قرى فاريا وحراجل وبقعاتا من مقاطعة كسروان اتى السنيون من جهات البقاع وسكنوا ساحل علما وفيترون وعرمون وجديدة كسروان واتى الدروز من جهات الشوف وسكنوا برمانا والمثن أما النصراري فرجعوا من قبرس والشواطئ البحرية وسكنوا الفتوح والكفور وعرمون... فيتضح من ذلك أن أصل المتأولة عربي لا فارسي كما يزعم البعض وفي درس هيئات أهل هذه الطائفة دليل آخر على صحة رأينا فإنه يغلب فيهم بياض اللون وزرقة العيون وشقرة الشعر واحمرار اللحي مما يدل على أنه حصل في القديم امتزاج بينهم وبين الاجناس الاخرى التي سكنت سورية كالافرنج والروم.

عاداتهم واخلاقهم

أما ملابسهم فالساكنون في ضواحي المدن لا يختلفون في الملابس عن باقي الاهالي على أنه في حمص وحماه والهرمل وبعلبك وجبل عامل لهم زي خاص بهم. فأنهم يغطون رؤوسهم بالكوفيات ويقمطونها بالعقالات السوداء ويرتدون العباءة ويحتذى أكثرهم بالجزمات كما يفعل

البدو. أما شرفاءهم يتعممون بعمائم من الشاش الأبيض ويلبسون بالعمائم الخضراء ومشايخهم أو علماءهم يتعممون بعمائم من الشاش الأبيض ويلبسون الجبة وجميعهم يرسلون لحاهم ويتركون ذؤابة في رؤوسهم ومن لاعقال له يتعمم بخرقاة أو مندبل. أما نساءهم الفسطنان وتحت سراويل من خام مصبوغ ويلقن على رؤوسهن قناعاً طويلاً يستر بعضهن به أنوفهن ويتقن به سائر الوجه إذا علمن بأحد ينظر اليهن. أما نساء الشرفاء والمشايخ فيبالغن بالتستر ويحترسهن من أن يرى أحد شعر رؤوسهن.

والسواد الاعظم من المتأولة يمتنون حراثة الارض وزراعتها يشقون في ذلك ولايكسبون شيئاً يذكر حتى تراهم بحالة يرثى لها من الفقر أما المتاعب التي يعانها نساؤهم فحدث عنها ولا حرج فإنهن فضلاً عن الاشتغال البيتية يشتغلن في الحقول ويحملن الاحمال الثقيلة ويقمن بكثير من أشغال الرجال وقد شاهد بعضهم نساء منهم قد شددن إلى النير للفلاحة بدلاً من البهيمة. واثباتاً لما ذكرته عن فقر المتأولة اروي انه داهمني المساء يوماً وأنا في قرية بقرب سهل حمص فالتمست مأوى ابيت به ليلتي فطفت القرية وانتقيت افضل مساكنها وكان عبارة عن مراح داخله مقسوم إلى مصطبة للناس ومذود للحيوانات ولم يكن فيه من ضروريات المعيشة سوى بيضتين ملفوفتين بأوراق وموضوعتين في جراب مخفي في كوة من الحائط يصعب الاهتداء اليها لأول وهلة وقد فهمت أن سبب هذه الاحتياطات الخوف من ظلم جباة الرسوم الاميرية.

وبعض المتأولة في ضواحي حمص وحماة وفي الهرمل يحيكون أنسجة ملابسهم بأيديهم كالعباءات والاغطية المعروفة بالكوافي والعقالات والقنابيز (الاقبية) وبعض المقيمين في قرى صيدا وبيروت وحمص يعتنون بتربية الدجاج وجمع بيضه وارساله إلى المدن لبيعه وأكثر نقله الاحمال على الجمال هم من المتأولة ومنهم ايضاً من ينقلونها على البغال والحمير اما التجار منهم فلايتجاوز عددهم بضعة عشرات وثلاثة أرباع الحمامة أو الشيالة في بيروت وصيدا وصور منهم وكذلك الحفارون ونقله الحجارة والفلة والمبيضون والصقالون وصباغو الاحذية ويكتفون بأجرة طفيفة تتراوح بين خمسة غروش وثمانية كل يوم. وهم متقشفون جداً لهم جلد على احتمال الشدائد وقد ابلت الجنود المأخوذة منهم بلاء حسناً في الحروب التي حاربتها الدولة العثمانية حتى ضرب المثل بشجاعتهم وصبرهم.

وعامة المتأولة على جانب عظيم من الجهل أما المتعلمون منهم فيعرفون الصرف والنحو والبيان وقرض الشعر ولهم فيه ذوق سليم وأكثر مشايخهم يبرعون في درس القرآن وهم لا يعترفون بالحديث ولهم المام في المباحث الدينية الاسلامية يجادلونك ساعات طوالاً ليقنعوك بانهم هم المسلمون الحقيقيون ويبغضون أهل السنة بغضاً شديداً كما هو مشهور عنهم والعامة تحترم المشايخ والمجتهدين احتراماً عظيماً ويطيعونهم طاعة عمياء ومع وجود المحاكم المدينة من جزئية وحقوقية فانهم يؤثرون فصل مايقع لهم من الدعاوي والمشاكل على ايدي مشايخهم ومجتهدتهم. واتفق اني كنت يوماً في بيت أحد مشايخهم فرأيت عنده جمعاً من غرباء ملته اتوا

من جهات بعيدة ليقضي بينهم في حادث قتل كتموه عن الحكومة المحلية فقضي لهم وذهبوا راضين ولهم مجتهد واحد في سورية يقضي على مذهبهم درس علومه في كربلاء وبيده شهادة من مجتهد هذه البلدة يأذن له بها في تعاطي الافتاء واحكامه مبرمة واسمه علي محمود مسكنه قرية شقرة في جبل عامل من قائممقامية صيدا وصور ومرجعيون وهذه اسماء بعض علمائهم:

السيد محمد نور الدين	في قرية النبطية العليا
السيد محمد محمود	في قرية شقره
السيد حسن ابراهيم	في قرية انصار
السيد حسن يوسف	في قرية النبطية السفلى
الشيخ عبد الحسين صادق	في قرية الخيام
الشيخ مهدي شمس الدين	في قرية مجدل سالم
الشيخ حسين الحر	في قرية جباع

وهذه هي القرى التي يقطنها المتأولة وعدد سكانها في شمال سورية:

العدد

٧٠٠	في عشر قرى من خراج حمص وحماه
٣.٠٠٠	في مديرية الهرمل وهو جبل تابع لقضاء البترون من أعمال لبنان لكنه منفصل عنه يطل على سهول حمص وعلى مقربة من نبع نهر العاصي وتدعى قصبة هذه المديرية الهرمل وجميع سكانها متأولة
٢.٠٠٠	في عشر قرى من قضاء البترون تشرف على الجهة البحرية
٧٠	في قرية من قرى قضاء الكوره
٣.٨٠٠	في اثنين واربعين قرية من قضاء كسروان
٦٥٠	في خمس قرى من قضاء المتن
٦٠٠	في خمس قرى من قضاء الشوف
١.٥٠٠	في ثماني عشرة قرية من قر قضاء جزين
٥٠	في قرية بقرب بلدة زحلة
٢٣.٠٠٠	في بعلبك وقرى هذا القضاء التابع لولاية سورية
١٢.٤٧١	في قضا صيدا التابع لولاية بيروت
٢٣.٨٠٥	في قضا صور التابع لولاية بيروت
٣٥.٤٨٧	في قضا مرجعيون التابع لولاية بيروت
١٠٧.١٣٣	المجموع:

يرى القارئ أن المتأولة في الأماكن الأخيرة أكثر منهم في باقي الجهات وقد نقلت عن تقويم الحكومة الرسمي لسنة ١٨٨٧ بعض هذه التعداد ومن التاريخ المذكور أدمجت الحكومة عدد المتأولة بعدد السنين ولم يعد لهم ذكر في السجلات الرسمية كطائفة خصوصية.

وقد فقد المتأولة في هذه الأيام ما كان لهم من النفوذ قديماً حتى أن أكثرهم باعوا أملاكهم ولم يبق لهم منها شيء يذكر إلا في بعلبك حيث لا يزال لهم ثلثا أملاك القضاء بعد أن كان كله لهم. ومنذ برهة هاجر جماعة من ذكورهم لجهات أمريكا لكنهم لا يقيمون فيها كثيراً فكل من اكتسب منهم مئة إلى مائتي ليرة رجع إلى وطنه ظافراً

الفرق بينهم وبين السنة

وتتمه للفائدة اذكر بعض مواضع الخلاف بين المتأولة والشيعية والسنين وبعض ما يختص به المتأولة في بلادنا:

إن أهل السنة يؤمنون بعد البسملة والمتأولة لا يؤمنون. أي لا يقولوا آمين.

السنين يسرون بصلوة الصبح والغروب والعشاء ويسرون بصلوات الظهر العصر، السنين يصلون صلات الغروب والعشاء ويجهرون بصلوة الظهر والعصر أما المتأولة فيجهرون بصلوة الصبح والغروب عند غروب الشمس والمتأولة عند ظهور النجوم السنين يصومون رمضان بانتهاً شعبان أو بحكم القاضي برؤية هلال رمضان ويعيدون بحكم الرؤية أو بأمر شيخ الإسلام، أما المتأولة فيصومون على الرؤية ويعيدون على الرؤية ويتمون الصوم ثلاثين يوماً.

السنين يكتفون أيديهم على صدورهم وقت الصلوة والمتأولة يسبلون أيديهم على أجنابهم، السنين عند الوضوء يبتدئون بغسل اليد من المعصم وينتهون إلى الكوع والمتأولة يغسلون أيديهم من الكوع وينتهون برؤوس الأنامل.

السنين عند الوضوء يغسلون وجوههم بالراحتين والمتأولة باليد اليمنى فقط.

يتخذ المتأولة قرصاً شبه بدائرة صغيرة معجوناً من تراب كربلاء محل مقتل الحسين بن علي فيعضون جباههم به وقت الصلوة.

السنين يكتفون بمسح الخف عند الوضوء لا سيما مدة السفر والمتأولة لا يتم عندهم الوضوء إلا بمسح الرجل.

السنين يأكلون من ذبيحة أهل الكتاب إذا ذكر الذابح بسم الله قبل أن يذبح أما المتأولة فلا يأكلون من ذبيحة النصارى واليهود لا يعتبرهم إياهم نجسين.

يعتقد المتأولة أن الكفار نجسون والمشركون عندهم كفار ولذلك هم نجسون فكلما يلمسه الكافر من السوائل يحرم عليهم أكله لأنه نجس.

المتأولة لا يسمحون للنصارى بدخول بيوتهم لاسيما إذا كانت أثوابهم مبلولة ولا يخبزون لهم خبزاً بأفرانهم لئلا تتنجس شربت مرة من ميزاب عين جارية في قرية يسكنها المتأولة وأتت في تلك الأونة امرأة لتستقي وقبل أن تملأ وعاءها غسلت الميزاب الذي وضعت فمي عليه.

لا يشرب المتأولة من وعاء شرب منه غير ابن ملتهم.

قل أن يرشدك المتوالي إلى الطريق.

السنينون عندهم الخلافة غير محصورة فمن بايعه المسلمون كان خليفة أما المتأولة فيحصرون الخلافة بسلالة الإمام علي وبنيه ويعتقدون أن القضاة الذين يسميهم الخليفة ليسو قضاة بحق لأنه متى بطل الأصل بطل الفرع ولا يجوز الحكم عندهم إلا لعالم مجتهد مشهور ومأذون له من كبير علمائهم المتصل نسبة بالإمام علي وبناء عليه لا يعتدون بحلف اليمين الكاذبة أمام القضاة السنيين. أما بخضرة عالمهم المأذون له بالحكم فلا يجوز لهم أن يقسموا يميناً كاذبة.

إن أُرهب يمين يتجنبه المتوالي هو القسم بأن يكون بريئاً من الوصاية للإمام علي وأن يكون شريك قتلة الحسين.

يتبع المتأولة في مسائل الأثر قول القرآن ويختلفون في بعض الأحوال عن السنيين. يجوز المتأول المتعة وهو عقد نكاح مؤقت ببدل معلوم فمتى انقضى الأجل بطل العقد فتطلق الزوجة بتاتاً وإذا كانت في حالة العدة تبقى إلى انقضائها فإن وجدت حاملاً تبقى حتى الولادة. ولا تحسب مثل هذه المرأة شرعية لأن المرأة الشرعية لا يجوز تطليقها لا بعد المرافعة عند المجتهد حتى إذا وجد أسباب جوهريّة شرعية أصدر حكماً بالطلاق لا يجوز المتأولة الدفن تكراراً في قبر واحد مالم يحف رسم ذلك القبر ويجعل المدفون فيه ويفضلون فتح قبر جديد لكل متوفي منهم ويكرهون جداً الدوس على القبور لأنهم يبالغون في احترام موتاهم. يعتقد المتأولة بالخيرة وهي أن يؤخذ من سبحة جزء مجهول العدد ثم تتلى البسملة وبعده يعد لقسم المأخوذ من كل جهة حبتين حبتين فإن كان الباقي حبة واحدة كان من الموافق للمرأة أن يعمل العمل الذي ينويه وإن بقي اثنتان يكون عمله مشنوماً وإن بقي ثلاث يخير بين العمل وعدمه وإن لم يبق شيء فيراجع الامتحان.

للمتأولة في كل سنة عشرة أيام احزان ابتداءها بداية شهر المحرم وانتهاءها في اليوم العاشر منه يختمونها بالبكاء والعويل وهي تذكّار مقتل الحسين في كربلاء فلا يجوز لهم في هذه المدة تغيير ملابسهم ولا حلق شعورهم ولا مصافحة أحد ولا يصومون ولا يكتحلون ولا يطبخون العدس والفول والحمص واللوبياء والحنطة والشعير والدرّة ولا يأكلون الجرجير مطبوخاً مع اللحم. يميل المتأولة إلى الايرانيين وقد ساعدتهم هؤلاء مراراً في أمورهم مع الدولة العثمانية نظراً لوحدة المذهب. ورجال الدولة يكرهون المتأولة كرهاً ظاهراً.

قلنا أن هذه المدونة عن «المتأولة» كتبت قبل مايزيد عن قرن من الزمان، وليس بالضرورة أن يكون مافيها صحيحاً ولسنا بصدد تتبع الأخطاء أو الإشارة إلى مواضع الصواب منها، لقد اثبتناها هنا كوثيقة كتبت لأحد المراقبين من عند أبناء ملتهم، لانعرف شيئاً عنه، وبالرغم من أنها ملاحظات عابرة لكنها معبرة عن حقائق رغم مايشوبها من بعض المعلومات التي دونت على عواهنها من دون الرجوع إلى المصادر.

وثيقة أخرى:

جاء في مجلة الهلال (السنة ٤ «١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م، ص ١١٦ - ١١٧:

السنيون والشيعة في حمص

كتب إلينا الأديب المذهب الحاج محمد طه السكاف الحمصي رسالة مطولة يشرح فيها أموراً تقع في بعض القرى التابعة لحمص من الخلاف والنزاع والتفرق والشقاق بين الفريقين الذين يدعون أهل السنة والذين يدعون الشيعة وذكر بعض المسائل الخلافية التي يكثر فيها الجدل والمرء كمسح الرجلين في الوضوء والمتعة والمفاضلة بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم. ومن أعجب ما ذكره قوله أن العلماء في حمص يكفرون الشيعة بمسئلة مسح الرجلين ويمنعون الناس من أكل ذبائحهم مع أنها مسألة اجتهادية ويشهد لمذهب الشيعة فيها ظاهر القرآن فإن إعراب «وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم» على قراءة النصب بالعطف على المحل أقرب من إعرابها على قراءة الجر بأن الأرجل مجرورة بالمجاورة بل هذا غير معروف عن العرب في مثل هذا التركيب. ولا ينافي صحة المسح ثبوت الغسل في السنة فإنه مسح وزيادة ولذلك أرجحه بالعمل مع الاعتقاد بمقابله، وعهدنا بالعلماء الراسخين انهم يتوقفون عن تكفير من يخالفهم في الأصول الدينية إذا كان متأولاً وان كانت مما يكفرون به غير المتأول.

وذكر الكاتب مسألة فضيحة جداً وهي أن رجلين (أحدهما الملازم مصطفى اغا والثاني أحمد بن علي الداغستاني) شتماه ولعنياه وضرباه على وجهه بالنعال حتى كاد يموت ذلك بأنهما اتهماه ببغض سيدنا الصديق رضي الله عنه وشتمه وما كان الصديق شتاماً ولا لعاناً ولا معتدياً ولا رامياً للناس بالبهتان. وقد كانا سألاه عن الصديق فذكره بالخير واستمطر له الرضوان من الرحمن فلم يعبأ بقوله ولكن بما نَمَّ عليه الفاسقون. ثم انه ثبتت براءته عند القاضي الشرعي بعد ما لبث في السجون سبعة عشر يوماً.

هؤلاء الناس يزعمون أنهم على هدى الاسلام. وسنة النبي عليه الصلاة والسلام. الذي أمر أن يخاطب عبدة الاصنام، بمثل «وأنا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، قل لا تسألون عما جرمننا ولا تسأل عما تعملون». ولولا هذه الطريقة الالهية المثلّى لما ألقت قلوبهم «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم».

هؤلاء المتحمسون المتعصبون وأمثالهم هم الذين فرقوا كلمة هذا الدين وجعلوا أهله شيعاً حتى صار بأسهم بينهم شديداً، وذهبت ريحهم، وخبت مصابيحهم، وتقوضت صياصبيهم، وتمكن العدو من نواصبيهم، وذاقوا مرارة الخلاف، وأن لهم أن يعودوا إلى الائتلاف، فعسى أن يكون العلماء أول من يسعى بجمع كلمة المسلمين ووحدتهم.

صفحة من التاريخ الدامي للشيعة في الشام

• الدكتور محمد علي مكي

كسروان من التشيع إلى المورنة

كسروان هي اليوم قضاء في محافظة جبل لبنان مركزه بلدة جونيه، وفي القديم كانت مقاطعة لبنانية تمتد بين نهر الكلب ونهر ابراهيم، وكانت من مراكز الشيعة في لبنان إلى أن قضى عليهم المماليك سنة ١٣٠٥ ميلادية وفعلوا بهم الأفاعيل من الذبح والهتك والحرق والهدم والسبي. وذلك نتيجة التعصب الأعمى المجرم وتحريض مشايخ السوء وفتاواهم. فحل الموارنة المسيحيون محل الشيعة في تلك المنطقة ولم يبق منهم فيها اليوم إلا بقايا قليلة.

ولقد كان لابن تيمية وتحريضه أكبر الأثر في ذلك ثم أصدر فتوى يبرر فيها كل الفضائح التي جرت، ويحرض المماليك على الشيعة في مناطق أخرى، في دمشق وفلسطين وطرابلس وحمص وحماء وحلب.

ومن المؤسف أن كاتباً لبنانياً نشر في مجلة تصدرها دار الفتوى الإسلامية في بيروت اسمها «الفكر الإسلامي» في شهر جمادى الثانية سنة ١٣٩٨ الموافق حزيران ١٩٧٨ مقالاً أراد منه أن يكون تمهيداً لنشر فتوى ابن تيمية. فرد الدكتور محمد علي مكي مفترياته بما يأتي:

لو كان لصاحب المقال حس غير التعصب الأعمى لكان أشار إلى الخطأ الاستراتيجي الذي ارتكبه المماليك بالقضاء على شيعة كسروان وتفرغ المنطقة منهم، لأن عملهم ذاك سبب امتلاء بالموارنة فيما بعد، كما سبب خطأ العثمانيين تفرغ جزين من الشيعة لتمتلى بعد ذلك بالموارنة. وناخذ على كاتب المقال قصر نظره في التاريخ فقد أهمل الظروف التي كانت سائدة في الربع الأخير من القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر ومنها: العداوة الإقطاعية والمذهبية بين تنوخيي الغرب وشيعة كسروان، وتحالف الشيعة مع ممالك دمشق وأمرائها الأيوبيين وكلهم سنة، ومحاربة الشيعة مع قلاوون وسيرغي حاكم جبيل ضد الصليبيين في طرابلس والصراعات المملوكية فيما بينهم للوصول إلى السلطة وتحالفاتهم مع المغول ومع الصليبيين، كل ذلك أهمله كاتب المقال ليخرج علينا بهذه الفتنة التي أسماها التحالف الشيعي الماروني الانفصالي تحالف الروافضة. الموارنة لتحقيق المخطط الانفصالي.

نأخذ على كاتب المقال أنه لم يزور فحسب بل هو يهين للفتنة.

هذا هو موقفنا العاطفي من الزاوية الدينية الإسلامية، أما الموقف العلمي فيقوم على مقارعة النص بالنص وتقديم الحجة الدامغة.

المنافضة العلمية للمقال

هناك قاعدة في دروس التاريخ وفي الشرع، وهي أن قول نصف الحقيقة هو تزوير وكتّم معلومات وفي شرح الحروب الكسروانية كما أوردها كاتب المقال قول لنصف الحقيقة، وها نحن نقدم، ولمن يشاء الحقيقة عن تلك الحروب، مأخوذة من مختلف مصادرها، ونقسمها من أجل الوضوح إلى أربع مراحل: مرحلة أولى تتناول موقف السلطان بيبرس من الشيعة، ومرحلة ثانية هي تحالف الشيعة مع الأمير المملوكي سنقر الأشقر ضد قلاوون، ومرحلة ثالثة هي الصراع التنوخي الأشقر ضد قلاوون، ومرحلة ثالثة هي الصراع التنوخي الكسرواني، ومرحلة رابعة وأخيرة هي تصفية الشيعة الكسروانيين.

المرحلة الأولى: بيبرس والشيعة:

استلم المماليك السلطنة في مصر، وهم غير عرب وكان العالم الإسلامي بدون خليفة بعد سقوط بغداد في أيدي المغول، وقد عمل السلطان بيبرس على إعادة الخلافة العباسية ونقلها إلى القاهرة، ثم عمل على توحيد جميع المذاهب الإسلامية بمذاهب السنة الأربعة، وحرم بقية المذاهب وعاقب عليها ابتداء من سنة ١٢٦٧ ميلادية، وفي ذلك يقول المقرئزي: أمر بيبرس باتباع المذاهب السنية الأربعة وتحريم ما عداها، كما أمر بأن لا يولي قاض ولا تقبل شهادة أحد ولا يرشح لإحدى وظائف الخطابة أو الإمامة أو التدريس ما لم يكن مقلداً لأحد هذه المذاهب، المقرئزي -ج- ٤- ص ١٦١.

ويقول ابن حجر كان الناس إذا أرادوا أن يكيدوا لشخص دسوا عليه من رماه بالتشيع، فتصادر أملاكه وتنهال عليه العقوبات والإهانات حتى يظهر التوبة من الرفض، ابن حجر الدرر الكامنة -ج- ٧- ص ٦٦. بهذه الروحية وبهذه العقلية قدم المماليك إلى لبنان، حيث كانت الطوائف تعيش متألّفة ومتجاورة لاتعرف التعصب ولا تتعامل به.

ولكن بما أن السواحل اللبنانية كانت ماتزال في أيدي الصليبيين، فإن قرارات بيبرس الدينية لم تأخذ طريقها إلى التنفيذ وبالتالي فإنها لم تؤثر في المناطق اللبنانية.

ولم يسجل التاريخ أي تصادم بين شيعة كسروان والظاهر بيبرس، بينما سجل التاريخ التصادم بين التنوخيين وبيبرس، وكذلك التصادم بين موارنة الشمال وبيبرس بسبب تعاونهما مع صليبي طرابلس وبيروت.

لقد كان السكان في لبنان مايزالون غير واثقين من متانة الحكم المملوكي الجديد بسبب الوجود الصليبي في السواحل ووجود الأمراء الأيوبيين في الداخل ووجود المغول ما وراء الحدود، وقد ظهر ضعف الثقة هذا في موقف أمراء الغرب التنوخيين الذين انقسمت أهواؤهم بين المماليك والأيوبيين مع المغول والصليبيين مما جعل بيبرس يعمد بعد استقراره في الحكم إلى سجن ثلاثة زعماء منهم في سنة ١٢٧١ وهم: زين الدين بن علي وجمال الدين بن حجي وسعد الدين خضر، وظل هؤلاء في السجن حتى وفاة بيبرس أما شيعة كسروان فبقيت غير خاضعة رسمياً للدولة الجديدة بسبب الوجود الصليبي في الساحل.

المرحلة الثانية: تحالف الشيعة مع الملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر:

بعد وفاة السلطان الظاهر بيبرس سنة ١٢٧٧ والفترة القصيرة التي حكمها ولداه بركة وسلامش استولى على السلطة في مصر أحد مماليك بيبرس وهو السلطان المنصور قلاوون فما كان من الأمير المملوكي شمس الدين سنقر الذي كان في دمشق إلا أن أعلن نفسه ملكاً على بلاد الشام باسم الملك الكامل وقد استفتى سنقر هذا قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في قتال الملك المنصور فأفتاه بجواز قتاله. ابن عبد الظاهر، تشریف الأيام والعصور - ص ٦٨ - وبذلك أصبحت بلاد الشام سنة ٦٧٨ هجرية مملكة مملوكية منفصلة عن المملكة المملوكية في مصر، وقد تحالف الملك الكامل سنقر الأشقر مع التتوخيين ومع الجرديين شيعة كسروان ومع أمير العرب عيسى بن مهنا آل فضل على بناء الدولة الجديدة.

هذا الحلف الإسلامي الواضح صوره كاتب المقال حلفاً بين الموارنة والروافضة فسبحان الله، وكان مع الملك سنقر عدد كبير من الأمراء المماليك، ولم يكن هذا الحلف متعصباً مذهبياً كما كان أمر بيبرس، ولذلك مال إليه اللبنانيون بمختلف طوائفهم ومقاطعاتهم، البعلبكيون والكسروانيون، والتتوخيون، وجاءت جيوش قلاوون من مصر إلى الشام فانهزم سنقر الأشقر وأعوانه وانفرد عقد ذلك التحالف إذ هرب سنقر الأشقر إلى قلعة صهيون في شمالي سورية وهرب معاونه عز الدين ازدمر الحاج إلى جبال الجرديين (كسروان) حيث لقي منهم الحماية وأقام عندهم مدة وتحصن بهم ابن عبد الظاهر - تشریف الأيام والعصور ص ٦٨ - ودخلت المناطق اللبنانية المحررة من الصليبيين في طاعة السلطان قلاوون، وأصدر السلطان عفوا عاماً عن جميع الناس الذين اشتركوا في حركة سنقر الأشقر، ثم عاد السلطان فأرسل رسالة إلى دمشق يؤكد فيها عفوه بقوله: إنا قد عفونا عن الخاص والعام، وما يليق أن يخص بالسخط أحداً على انفراد، وغير خاف ما يتعلق بحقوق القاضي شمس الدين بن خلكان وقديم صحبته وخدمته، وأنه من بقايا الدولة الصالحية ابن عبد الظاهر - تشریف الأيام والعصور ص ٦٩ - ٧٠.

أما سنقر الأشقر وأمير العرب عيسى بن مهنا فقد راسلا المغول ودعوههم إلى البلاد وأنهم على استعداد لمساعدتهم. وفعلاً تحرك المغول واجتاحوا حلب وشمالي سورية، فتحرك جيش المماليك من دمشق إلى حماه لصد المغول وعلى رأسهم الأمير بدر الدين بكتاش النجمي، وعند حماه راسل المماليك شمس الدين سنقر الأشقر الموجود في قلعة صهيون وعز الدين ازدمر الحاج الموجود في قلعة شيزر وقالوا لهما:

العدو قد دهمنا وما سببه إلا الخلف فيما بيننا، وما ينبغي أن نهلك المسلمين في الوسط، والمصلحة أننا نجتمع على دفعه فنزل عسكر شمس الدين سنقر الأشقر من صهيون والحاج ازدمر من شيزر وخيمت كل طائفة تحت قلعتهما، ولم يتجمعوا بالمصريين، واجتمعوا على اتفاق الكلمة ودفع العدو - ابن عبد الظاهر - شريف الأيام والعصور - ص ١٦.

هكذا يظهر ابن عبد الظاهر، المعاصر لتلك الفترة والذي كتب في ديوان قلاوون في القاهرة، الحقيقة عن الاتصال بالمغول، فليست شيعة كسروان هي التي دعت المغول، كما تجنى عليها كاتب المقال، أن أمراء المماليك هم الذين قاموا بذلك العمل، وقد آن الأوان لتصحيح التزوير التاريخي.

وبعد هزيمة المغول هرب أمير العرب عيسى بن مهنا إلى العراق والتجأ سنقر الأشقر إلى قلعة صهيون وذهب عز الدين ازدمر الحاج إلى القاهرة مستسلماً وذهب أمير التنوخيين ابن حجي إلى دمشق خاضعاً، ثم تم الصلح بين قلاوون وسنقر الأشقر فتمت سيادة المماليك على البلاد ماعدا مقاطعة كسروان، ثم تمكن السلطان قلاوون من أخذ قلعة صهيون وجوارها من يد سنقر الأشقر بعد افتاقهما وانتقل سنقر إلى القاهرة وبقيت مقاطعة كسروان الشيعية هي الوحيدة من ذلك التحالف السابق التي لم تخضع بعد للحكم الجديد.

وقرر نائب السلطان في دمشق لاجين غزو تلك المقاطعة وأرسل بذلك رسالة إلى الأمراء التنوخيين في الغرب يستعديهم على شيعة كسروان، فقد أورد صالح بن يحيى في تاريخ بيروت يقول: ومن مضمون مثال من ملك الأمر لاجين نايب الشام عن الملك المنصور قلاوون إلى جمال الدين وزين الدين بن علي أنه إذا بلغهما توجه المقر الشمسي سنقر المنصوري بالعساكر المنصورة إلى جهة كسروان والجرديين يتوجها إليه بمجموعهما وأهويتهما، وأن من نهب امرأة منهم كانت له جارية أو صبية كان له مملوكاً ومن أحضر منهم رأساً فله دينار، وأن سنقر توجه لاستيصال (لاستصال) شافتهم ونهب أموالهم وسبي ذرايعهم وأنفسهم، تاريخه سابع جمادى الأولى سنة ٦٨٦ هـ (تاريخ بيروت صفحة ٥٣) ونبادر هنا إلى توضيح بسيط حول سنقر المذكور فهو غير سنقر الأشقر حليف الشيعة سابقاً.

ونلاحظ من هذا النص أمرين: أولهما أن قلاوون لم يشمل بالعضو شيعة كسروان، وربما لأنهم لم يكونوا بعد قد أصبحوا من رعاياه، وثانيهما أن قلاوون عاد يتابع ساسية بيبرس الدينية من حيث محاربة المذاهب الإسلامية غير السنية وقد جاءت رسالة نائب السلطان في دمشق تعبر عن هذا الاتجاه بإباحة كسروان إباحة كاملة للجند المملوكي وللتنوخيين، بدون أي ذنب على الإطلاق اللهم إلا الاختلاف في المذاهب الدينية، بينما نرى كاتب المقال يجعل الانتقال من شيعة كسروان سببه أن الكسروانيين نهبوا العسكر المملوكي المهزوم أمام المغول سنة ٦٦٩ هـ فإذا كانت أحداث سنة ٦٦٩ هـ هي سبب النقمة المملوكية سنة ٦٨٦ هـ الواردة في رسالة نائب الشام لاجين؟ وبين المناسبتين ١٣ سنة. إن من واجب المؤرخ أن يتحرى الأحداث وأسبابها ليستقيم له الربط التاريخي. وألا يصبح التاريخ كالبينات الحزبية، أعور لا يرى إلا بعين واحدة.

ونعود إلى المسلسل الحزين للأساة الكسروانية، فالمماليك لم يتوجهوا إلى كسروان وفقاً للأمر الصادر من نائب السلطان في دمشق، وربما أن ذلك عائد إلى أن الساحل اللبناني كان بمعظمه مايزال في أيدي الصليبيين.

لذلك لم يتحرك التنوخيون في الغرب لغزو كسروان في الشمال. وفي السنة الثانية أي سنة ٦٨٧ طلب السلطان قلاوون أمراء الجبال إلى مصر وأخذ أملاكهم وأقطاعهم وأولاد أمير الغرب ما حضروا فأخرج أملاكهم وأقطاعهم صالح بن يحيى - تاريخ بيروت ص ٧٠ ويستدل من ذلك أن قلاوون كان ناقماً على الكسروانيين والتنوخيين فصادر أملاكهم، ولم يتسرع التنوخيون أملاكهم وأقطاعهم إلا في عهد الأشرف خليل.

وهنا نأتي إلى ذكر تهمة الكسروانيين بمساعدة الصليبيين في طرابلس سنة ٦٨٨ هـ - (١٢٨٩ م) وفي هذه التهمة التباس انطلى على كاتب المقال، فالكسروانيون الشيعة لم يتدخلوا في معركة طرابلس بدليل أن أحدا من المؤرخين المعاصرين لفتح المدينة لم يذكر ذلك. ومن المعروف أن المؤرخ أبا الفداء كان حاضراً في معركة طرابلس مع قلاوون ولم يشر إلى ذلك على الإطلاق. كما أن صالح بن يحيى التنوخي، وهو خصم الشيعة الكسروانيين لم يشر إلى ذلك، ولو كانت التهمة صحيحة لكانت في مصلحة التنوحيين، ولكن الالتباس حدث مع أن المؤرخين كابن الفرات والمقريزي ذكروا أن قلاوون عانى كثيراً من اعتداءات المردة (الموارنة) سكان الجبال المجاورة لطرابلس، وأنه قتل بسببهم عدة قادة مماليك (ابن الفرات - ج ٨ - ص ٨٥) و (المقريزي - السلوك - ص ٧٤٧) وبما أن الموارنة سكنوا كسروان بعد ذلك، أي بعد تفريغ كسروان من الشيعة، وأصبحوا يعرفون كذلك بالكسروانيين، فقد اختلط الأمر على بعض المؤرخين المحدثين من حيث الأسم، فجعلوا المساعدة المارونية للصليبيين أيام طرابلس مساعدة كسروانية وتناسى صاحب المقال الفارق الزمني بين السكنيين: الشيعي والماروني في كسروان وهو حوالي قرنين ونيف من الزمن ونتيجة لهذا الالتباس أنشأ صاحب المقال تصوره بوجود حلف موارنة - روافضة، فكان تصوره ينم عما في النفس من هوى ويظهر كم هو بعيد عن الموضوعية في التاريخ.

المرحلة الثالثة - الصراع التنوخي - الكسرواني:

بعد سقوط طرابلس، أصبحت سيطرة المماليك كاملة في شمالي لبنان وأواسطه ساحلا وجبالا، وبقيت أملاك وإقطاعات التنوحيين وأمرأ الجبال بما في ذلك أملاك الكسروانيين مصادرة بأمر السلطان قلاوون. وكان واقع الحال يدعو قلاوون إلى ضم كسروان نهائياً إلى دولته لأن شيعة كسروان كانوا آخر حليف لسنقر الأشقر، ولكن قلاوون أثر تأجيل ذلك حتى ينتهي من صليبي عكا وجوارهم. ولم يتح العمر لقلاوون أن يحقق ذلك فقام بعده ابنه الأشرف خليل بإنهاء الوجود الصليبي في الشرق سنة ١٢٩١ ميلادية.

ثم عاد الأشرف خليل يتابع سياسة والده وخطته. فأمر بإرسال حملة عسكرية إلى كسروان. أما التنوحيون فقد وحدوا كلمتهم والتفوا حول السلطان الجديد الأشرف خليل، فتمكنوا من استرداد أملاكهم وإقطاعاتهم المصادرة منذ أيام قلاوون بينما بقيت أملاك بقية الجبلين (الكسروانيين) مصادرة وفي سنة ١٢٩٢ توجهت الحملة المملوكية بقيادة الأمير بيدرا، ولنترك صالح بن يحيى في تاريخه عن بيروت يروي لنا تفاصيل تلك الحملة ثم نحلل ماخفي منها وعنهما.

«توجه الأمير بيدرا بمعظم العساكر المصرية وصحبة من الأمراء الأكابر شمس الدين سنقر الأشقر والأمير قرا سنقر المنصور والأمير بدر الدين بكتوت الأتابكي والأمير بدر الدين بكتوت العلالي وغيرهم وقصدوا جبال كسروان وأتاهم من جهة الساحل ركن الدين بيبرس طقصوا، والأمير عز الدين أيبك الحموي وغيرهما والتقوا بالجبل، وحضر إلى الأمير بيدرا من أثنى

عزمه وكسر حدته فحصل الفتور في أمرهم حتى تمكن من بعض العسكر في تلك الأوعار ومضايق الجبال، فاضطر الأمير بيدرا إلى إطابة قلوبهم والإحسان إليهم وخلع على جماعة من أكابرهم، فاشتطوا بالطلب فأجابهم إلى ما التمسوه من الإفراج عن جماعة منهم كانوا قد اعتقلوا بدمشق للذنوب وجرائم صدرت منهم وحصل للكسروانيين من القتل والنهب والظفر مالم يكن في حسابهم، وحصل للأمراء والعسكر من الألم ما أوجب تصريح بعضهم بسوء تدبير الأمير بيدرا ونسبوه إلى أنه أهمل أمرهم وفتّر عن قتالهم حتى تمكنوا مما تمكنوا منه لطمعه أنه تبرطل منهم وأخذ منهم جملة كثيرة واحتج الناس بذلك» تاريخ بيروت ص ٢٦.

هذه الرواية لا اختلاف عليها عند المؤرخين فماذا نستنتج منها؟ إن فيها عدة ملاحظات مهمة ينبغي الإشارة إليها:

- ١- إن الحملة الغازية لكسروان تحولت إلى تفاهم عميق بين بيدرا وقادته من جهة وبين زعماء كسروان الشيعة بحيث وصل التفاهم إلى تطيب قلوبهم والإحسان إليهم والخلع على جماعة من أكابرهم فهل يدل ذلك على تمرد الكسروانيين الشيعة وضلالهم وتحالفهم مع الموارنة؟ أم أنه يدل على تفهم قادة المماليك للكسروانيين والشعور معهم بالظلم والعدوان عليهم؟
- ٢- كان من الطبيعي أن تتحول تلك الحملة من حملة تأديب، كما اشتى التنوخيون وبعض الدمشقيين إلى حملة سلام بمجرد أن اشترك فيها شمس الدين سنقر الأشقر الملك الكامل سابقاً لأنه كان حليفاً للشيعة أيام انفصاله عن قلاوون واستقلاله بسورية.
- ٣- إن اجتماع بيدرا مع سنقر ومع بقية أمراء المماليك في كسروان هياً للجميع فرصة التداول فيما بينهم والاتفاق على مخطط معين ظهر بمجرد عودتهم إلى مصر، فقد عمد الأشرف خليل إلى قتل سنقر الأشقر ويدر الدين بكنوت وركن الدين طقصوا خنقاً مما أدى إلى انقلاب بيدرا على الأشرف خليل وقتله.
- ٤- لم يعجب التنوخيون وبعض الدمشقيين ماتم من تفاهم مملوكي شيعي في كسروان، فكان الدس من كل جانب، على شيعة كسروان وعلى الأمراء المماليك، حتى اتهموا بيدرا بالارتشاء، وخاصة أن هؤلاء الأمراء كانوا يمثلون الجناح المعتدل في دولة المماليك.
- ٥- دخلت الدولة المملوكية، بعد تلك الحملة السلبية في دوامة انقلابات دموية، أضعفت قوتها وأنقصت هيبتها حتى نهاية القرن السابع الهجري والثالث عشر الميلادي وأدت تلك الفوضى إلى اتصال عدد من كبار أمراء المماليك بالمغول مجدداً لاستعدادهم على الدولة المملوكية، ثم صارت تلك التهمة سبباً لقتل المتهم بها، فقتل معظم أمراء المماليك بسببها.
- ٦- هدأت الأوضاع في كسروان بعد حملة بيدرا واطمأنت الشيعة إلى سلامة موقفها فتكاثروا واشتدت شوكتهم واعتصموا بجبالهم المنيعه وجموعهم الكثيرة، بينما كان المماليك غارقين في انقلاباتهم الدموية حتى كانت غزوة المغول الثالثة سنة ١٢٩٩ ميلادية فتجددت المشكلة الكسروانية التي أدت إلى تصفية الشيعة في كسروان.

المرحلة الرابعة - تصفية الشيعة في كسروان:

خلال ثماني سنوات من سنة ١٢٩٢ إلى ١٣٠٠ ميلادية عرفت البلاد حكم ستة سلاطين جاؤوا بالانقلابات وذهب أكثرهم بالقتل، وكان البارز من هؤلاء حكم زين الدين كتبغا (١٢٩٤ - ١٢٩٦) الذي كان مغولي الأصل وشجع مجيء المغول إلى البلاد، وبالفعل جاءت إحدى القبايل المغولية المعروفة بقبيلة الأويراتية المؤلفة من ١٨ ألف عائلة، فأسكنهم كتبغا في شمالي فلسطين، والغريب في هذا السلطان أنه كان يقتل أعداءه بتهمة الاتصال بالمغول بينما كان هو يتصل بهم ويشجع قدومهم (مراجعة المقرئ في السلوك أخبار سنة ٦٩٥ هـ) وفي سنة ١٢٩٨ أعاد المماليك السلطان الصغير محمد بن قلاوون إلى الحكم ولكن عددا من أمراء المماليك التحقوا بالمغول واجتاحوا شمالي سورية وهزموا الجيش المملوكي في الشام، وأدى تشتت الجيش المملوكي إلى التجانه إلى الجبال هربا من ملاحقة المغول، وقد تعرض هؤلاء الجنود للنهب والسلب والأسر من أهالي الجبال، كما يحدث للجيوش المهزومة عادة. وكان الكسروانيون من جملة الذين نهبوا وسلبوا واسروا جنود المماليك.

فلما انتهت الحرب ورجع المغول إلى بلادهم، عادت الدولة المملوكية فوجهت سنة ١٣٠٠ ميلادية حملة تأديبية على كسروان، وفي ذلك يقول صالح بن يحيى: إن الهاربين من عساكر الملك ناصر محمد بن قلاوون من قازان سنة ٦٩٩ (١٢٩٩) تفرقوا في البلاد فحصلت لهم الأذية من المفسدين خصوصا من الأهالي كسروان بالغوا إلى أنهم أمسكوا بعض الهاربين وباعوهم للفرنج، وأما التشليح والقتل فكان كثيرا، وكان ناهض الدين بحتر إذا مر عليه أحد من الهاربين أحسن إليه وأضافه وقام له بما يحتاج إليه، وكذلك فعل علاء الدين علي بن حسن بن صبح في قرية حديثا، فشكرا وصار لهما ذكرا، فلبسا اثنيهما الخلع في نهار واحد كل منهما بإمرة طبلخاناه وذلك بواسطة ملك الأمراء جمال الدين قوش الأفرم نايب الشام لمحاربة المفسدين، ثم عاملوا أهل كسروان بما ذكرنا (صالح بن يحيى تاريخ بيروت ص ٧٨).

من هذا النص يتبين أن الأذية التي لحقت بالجنود المملوكية كانت واسعة ومنتشرة في البلاد كلها وليست فقط في كسروان، وقد صار التركيز على كسروان لإبراز دور الأميرين ناهض الدين بحتر وعلاء الدين بن صبح اللذين أصبحا بإمرة طبلخاناه، وكلقا بمحاربة المفسدين، وهنا كان يقتضي من كاتب المقال أن ينتبه إلى عادة جميع الناس بنهب الجنود المهزومة، ولم ننس بعد ماذا حل بجنود الدولة العثمانية في فلسطين وسورية من نهب وقتل في نهاية الحرب العالمية الأولى بعد هزيمتها في فلسطين كما كان يقتضي من كاتب المقال أن يستوعب مشكلة الصراع الطائفي القبلي بين الغرب التنوخي وكسروان الشيعي لأنها واضحة في نص صالح بن يحيى التنوخي، خاصة وأن المؤرخ المذكور يعترف بصراحة أن أهل كسروان أظهروا الخروج عن الطاعة (تاريخ بيروت - ص ٢٧) ومعنى كل ذلك بوضوح أن كسروان كانت قد أصبحت في طاعة المماليك منذ حملة بيدرا - حملة السلام والتفاهم - ولكنها لم تكن في طاعة التنوخين.

وقد نجم عن حملة أقوش الأفرم على كسروان سنة ١٣٠٠ سيطرة المماليك العسكرية على المنطقة واستسلامها ومناداتها بالأمان، وغرمت بالمال والمنهوبات.

وكان من المفروض أن تنتهي المشكلة الكسروانية بعد تلك الحملة لو لم يعتمد نايب الشام أقوش الأفرم إلى تسليم الاقطاع الكسرواني للأمراء التنوخيين، وانكشفت بذلك غاية التنوخيين بالسيطرة الاقطاعية على كسروان، ولقد رفض الكسروانيون أن يخضعوا للتنوخيين، وفي ذلك يقول سعيد عاشور: أرسل الأمير الأفرم نائب دمشق إلى الكسروانيين يأمرهم بأن يصلحوا أمورهم مع التنوخيين ويدخلوا في طاعتهم بوصفهم أصحاب الأراضي والإقطاعات (سعيد عاشور - العصر المملوكي - ص ٨٠٢) وأدى رفض الكسروانيين الطاعة للتنوخيين إلى تأزم الوضع بينهما مما دعا نائب الشام أقوش الأفرم إلى إرسال بعثة توفيقية بين الجانبين برئاسة نقيب الاشراف في دمشق زين الدين محمد بن عدنان الحسيني ولكن البعثة فشلت في مهمتها (أما رئيسها فنجح في أنه تزوج أميرة تنوخية) وأرسل قوش الأفرم بعثة ثانية اشترك فيها قراقوش وابن تيمية، ولكن الكسروانيين ظلوا على موقفهم يرفضون الخضوع لجيرانهم التنوخيين فأفتى ابن تيمية فتواه المشهورة بهدر دماء الشيعة الكسروانيين وهدم بيوتهم وحرق وقطع أشجارهم. وكانت الحملة المأساة المذبحة الكبرى سنة ١٣٠٥ التي انتهت بقتل معظم السكان وتهجير الآخرين إلى جزيين وجبل عامل والبقاع وتفرغ كسروان من شعبه وتحريم سكناه على الشيعة.

هذا ما اقتضى توضيحه حول الاخطاء العلمية الواردة في مقالة الدكتور عمر عبد السلام التدمري عن الحملات الكسروانية.

أما من الناحية العاطفية الإسلامية فلقد كان على كاتب المقال أن يقيم نتائج تفرغ كسروان من أهله وتحول هذه المنطقة إلى سكن ماروني فيما بعد، طالما أنه يكتب من منطلق إسلامي كما يقول، لقد كان عليه أن يتساءل في النهاية من كان عدوا بالفعل للإسلام، أقوش الأفرم وأعوانه؟

تعقيب حول الموضوع للسيد حسن الأمين:

إن أزهى أيام طرابلس كانت في عهد بني عمار الشيعة وأن شيعة كسروان انقذوا كسروان من أيدي المردة (الموارنة) منذ القرن التاسع الميلادي وجعلو دياراً للإسلام. وحمود بعد ذلك من الاحتلال الصليبي طيلة الحكم الصليبي في الشرق، وكانوا دائماً خير مرابطين في هذه المنطقة، ولم يتخل الشيعة الكسروانيون عن كسروان إلا بسبب الخطيئة المميته التي ارتكبتها أقوش وأعوانه. ويقول حسن الأمين تعليقاً على ما مر: إيغالا في التضليل وتشويه الحقائق واتهام الشرفاء، يسمى كاتبو تلك الاحداث الجيش الذي هزم المماليك، بسمونه بـ (المغول) لما توحى به كلمة المغول من الوثنية وسفك الدماء والتخريب والتدمير، ولما لها في نفوس الناس من التأثير السيء فيتذكر السامع والقارئ (جنكيز) و(هولاكو). وبعضهم يفعل ذلك عن غفلة، كما فعل ذلك صاحب المقال في حين أن الجيش الذي غزا المماليك كان جيشاً إسلامياً يقوده ملك مسلم، فاسم المغول انتهى من بعد هولاكو، وانفصل مغول إيران والعراق عن عرقهم الأصلي، وأصبح اسمهم (الايخانين)، وبدأوا بالاندماج في الحياة الإسلامية إلى أن أسلم ملكهم (غازان) وأعلن إسلام

المملكة الأيلخانية، وعاد من كان أجدادهم مغولاً وثنيين - عادوا إيلخانيين مسلمين.

فالقatal كان دائراً بين جيشين إسلاميين: جيش إسلامي يقوده ملك مسلم، من أصل غير مسلم، وجيش إسلامي يقوده ملك مسلم، هو الآخر من أصل غير مسلم، فالممالك كالإيلخانيين كانوا من أصل غير إسلامية.

فإذا تخرب أهل كسروان وغير أهل كسروان للإيلخانيين على الممالك، كانوا كمن يتحزب للممالك على الإيلخانيين سواء بسواء.

فالتحويل بأن أهل كسروان الشيعة تعرضوا للجيش المملوكي المهزوم من الإيلخانيين - تعرضوا له (بالسلب والنهب والأسر) وتسمية الإيلخانيين المسلمين بالمغول.

إن هذا التحويل وهذه التسمية كان يراد بهما تبرير ما فعله السفاحون بالشيعة بتحريض المتعصبين العمي، ذوي القلوب السوداء والعقول السوداء من أمثال ابن تيمية.

لم يكن شيعة كسروان وحدهم هم الذين تحزبوا للإيلخانيين المسلمين، وتعرضوا لأعدائهم الممالك، بما سماه مزيفو التاريخ (بالنهب والسلب والأسر) ثم زادوا على ذلك ما أوحته لهم عصبياهم وأحقادهم. بأنهم أمسكوا بعض الهاربين وباعوهم للإفرنج!

وما دخل الإفرنج هنا، والحرب بين جيشين مسلمين، وأين كان الإفرنج يوم ذاك، ولماذا يبيعونهم للإفرنج، وليس للفرنج وجود؟ ولماذا لا يبيعونهم لأعدائهم الإيلخانيين، لو كان ذلك صحيحاً؟

لم يكون شيعة كسروان وحدهم هم الذين تحزبوا للإيلخانيين على الممالك، بل انقسمت البلاد كلها بين الممالك والإيلخانيين. وجميع سكان البلاد تعاملوا مع الجيش المملوكي المنهزم بمثل ما تعامل أهل كسروان فلماذا التركيز على أهل كسروان وحدهم؟

يقول ابن خلدون في الجزء العاشر (المجلد الخامس)، الصفحة ٨٩٢ من طبعة دار الكتاب اللبناني: «عاقب الأفرم كل من استخدم للتتر من أهل دمشق، وأغزى عساكره جبل كسروان والدرزية لما نالوا من العسكر عند الهزيمة».

إذن حتى أهل دمشق انقسموا قسمين: قسماً مع الإيلخانيين وقسماً مع الممالك. وإذن فكل الناس - مال من مال منهم مع هؤلاء. ومال من مال مع هؤلاء. وإذن فكل الناس نالوا من الممالك المنهزمين، ابتداء من سهول دمشق حتى جبال لبنان.

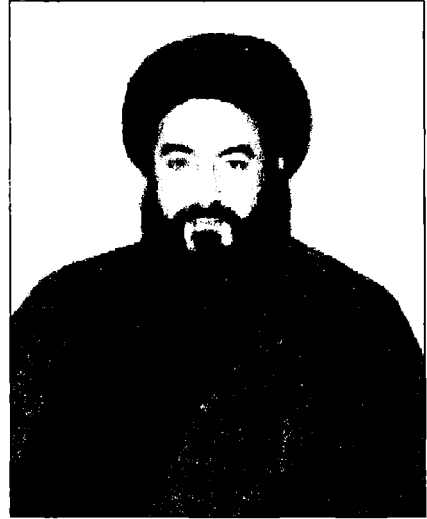
وجاء في كتاب (خطط الشام ص ١٣٩ ج ٢) أرسل أقوش الأفرم نائب دمشق إلى الجبليين والكسروانيين الشريف زين الدين عدنان يأمرهم أن يصلحوا شؤونهم مع التتوخية ويدخلوا في طاعتهم. ثم أرسل إليهم الإمام ابن تيمية في صحة بهاء الدين قراقوس. فلم يحصل اتفاق. فافتى العلماء حينئذ بنهب ديارهم بسبب استمرارهم على العصيان وابطأهم الدخول في الطاعة (انتهى).

فصاحب خطط الشام في هذا القول يعترف بأنه كان المطلوب من شيعة كسروان هو أن يدخلوا في طاعة أعدائهم وكان من الطبيعي أن يرفضوا هذا الدل، وكان هذا الرفض هو ذنبهم الوحيد لما نزل بهم، لا ما يدعيه المدعون.

الحوزة العلمية الزينية لؤسسها الإمام الشهيد السيد حسن الشيرازي (قدس سره)

أسسها السيد الشهيد الإمام السيد حسن الشيرازي
في منطقة السيدة زينب عليها السلام، جنوبي دمشق
سنة (١٩٧٥ م - ١٣٩٥ هـ)

بعد أن بدأت السلطة في العراق ومنذ عام ١٩٦٨
بمضايقة الحوزات الدينية والتشديد على علماء وطلبة
العلوم الدينية وهجرت أو اعتقلت معظم رجال الحوزة
فمنهم من قضى في السجون والمعتقلات ومنهم من
استطاع الفرار إلى خارج العراق. وكان السيد الشيرازي
أحد الذين اعتقلوا وعذبوا في (قصر النهاية) ببغداد
وبعد خروجه من السجن فر إلى خارج العراق وأقام في
الشام، ولحرصه على استمرار الدراسات الدينية وسداً
للنقص ورأباً للصدع الذي نال من حوزة النجف، فقد



أقام هذه الحوزة بدمشق والتف حوله آنذاك مجموعة من الاساتذة والطلبة الذي كانوا قد هجروا
من حوزة العراق، فأقيمت الحوزة وشرع الجميع بالدراسات الشرعية منذ ذلك الحين. والحوزة
الزينية أول المؤسسات العلمية التي أقيمت في جوار السيدة زينب عليها السلام، ولم يكن آنذاك
للمرقد الشريف تلك الأهمية السياحية والشهرة العالمية وهنا فلا بد من القول أن السيد الشيرازي
كان أحد بناء هذه النهضة الدينية والعمرانية الشاملة التي تتمتع بها المنطقة اليوم إذ تكاثرت
المؤسسات والمساجد والحسينيات والحوزات بعدئذ، بسبب الآثار الجانبية للحرب العراقية - الإيرانية
فشهدت الثمانينات من القرن العشرين الماضي هجرة عدة آلاف من اتباع آل البيت عليهم السلام
إلى قرية السيدة وضواحيها وازداد النشاط العلمي والسياحي والثقافي وكان للتسامح والانفتاح
والتعاون الذي بذلته الحكومة أثراً في نجاح التعايش والانسجام والتطور العمراني الذي شهدته
(السيدة) وكان له لهذا الأمر تأثيره الاقتصادي الذي امتد إلى عدد من دول المنطقة.

وبعد اغتيال السيد حسن الشيرازي ببيروت في عام ١٩٨٠ تولى إدارة الحوزة العلمية الزينية،
تلميذه ورفيق جهاده العلامة السيد محسن الخاتمي، واستطاع أن يطورها ويستمر في الانضاح
عليها وتسيير امورها، وفي العام ١٩٨٦ اقترحت عليه اقامة مؤسسة علمية للتحقيق والبحث



الإمام الشيرازي مع عدد من الشخصيات السورية
في صحن السيدة زينب (ع)

العلمي، وقد اجتهدنا أنا والدكتور العلامة السيد فاضل الحسيني الميلاني. والاستاذ غالب الشابندر لوضع اللبنة الأساسية لهذه المؤسسة وقام السيد الخاتمي بدعمها بكل قوة ونشاط وأدخل جملة من الأفاضل لتسيير الأمور وخاصة بعد افتتاح فرعها في بيروت الذي إداره الشيخ فؤاد الصادق، وانضم إلينا في ذلك الحين ما يقرب من خمسين شاباً وباحثاً بينهم عدد من المحققين اللامعين كالاستاذ الدكتور عدنان آل طعمة والخطيب العلامة السيد مصطفى السيد مرتضى القزويني وغيرهم، وقد أصدرنا عشرات الكتب والمطبوعات، وبفضل هذه المؤسسة أصبح للحوزة الزينية مكتبة كبرى تضم أمهات المصادر والمراجع، وبعد هجرتنا السيد الميلاني إلى بريطانيا، والشابندر إلى السويد، وأنا إلى هولندا، استمر عمل المؤسسة إلى

برهة من الزمن ثم سمعت باستقالة السيد الخاتمي من إدارة الحوزة ومؤسساتها وتفرغه لأموره الشخصية والعلمية في مدينة مشهد المقدسة وبذلك انقطع عمل تلك المؤسسة التي استمرت في عملها العلمي لنحو عقد من السنين.

كنت أواظب الحضور إلى مقر الحوزة في ذلك الحين وكان ممن يعمل معنا مجموعة من المشايخ ومعظم من إخواننا الأفاضل وفيهم مجموعة من المجتهدين والعلماء الأفاضل، وفي تلك الأيام (منتصف الثمانينات) سألت أحد الإداريين منهم في الحوزة وهو الشيخ محمد موسى الفرقاني وأصله (من بهبوسود غرب أفغانستان) عن عدد الطلبة في الحوزة فأجابني أنهم نحو مائة طالب وهم من (أفغانستان، باكستان، الهند، العراق، لبنان، السعودية، أفريقية، إيران).

يدرس الطلبة ضمن مستويين المقدمات (العلوم الدينية الأولية) وهم عشرة صفوف أو شعب، الصف الأول: يوجد فيه ١٠ طلاب، الثاني: ٩ طلاب، الثالث: لا يوجد، الرابع: ١٤ طالب، الخامس: ٥ طلاب، السادس: ٥ طلاب، السابع: ٧ طلاب، الثامن: طالبان، التاسع: ٧ طلاب، العاشر: ٦ طلاب،

وأما المستوى الثاني ٢- بحث الخارج (العلوم الدينية المتقدمة) ويدرس فيه حالياً (سنة ١٩٨٦) ٣٥ طالباً، وهناك طلبة يلتحقون بالدروس من خارج الحوزة ولا يوجد لديهم تسجيل رسمي. وبالنسبة لكتب ومباحث دروس الخارج فهي معروفة لجميع المختصين أما بالنسبة للدروس الأولية (المقدمات) فهذه هي المناهج التي يدرسها الطلبة بحسب الصفوف العشرة في الحوزة. **الصف الأول:** الاشتقاق والتصريف من جامع المقدمات. العقائد الإسلامية للسيد حسن الشيرازي، الأخلاق: كتاب الفضيلة الإسلامية للسيد حسن الشيرازي، التفسير: شير، الفقه: المسائل الإسلامية للسيد محمد الشيرازي، وهناك تمارين على ممارسة الخطابة وقراءة كتب أخرى من أمثال: العوامل والهداية والصمدية من جامع المقدمات. **الثاني:** كتاب شرائع الإسلام للحلي، المنطق للمظفر، الأخلاق لشير، شرح المغني لابن عقيل، شرح التصريف من جامع المقدمات.

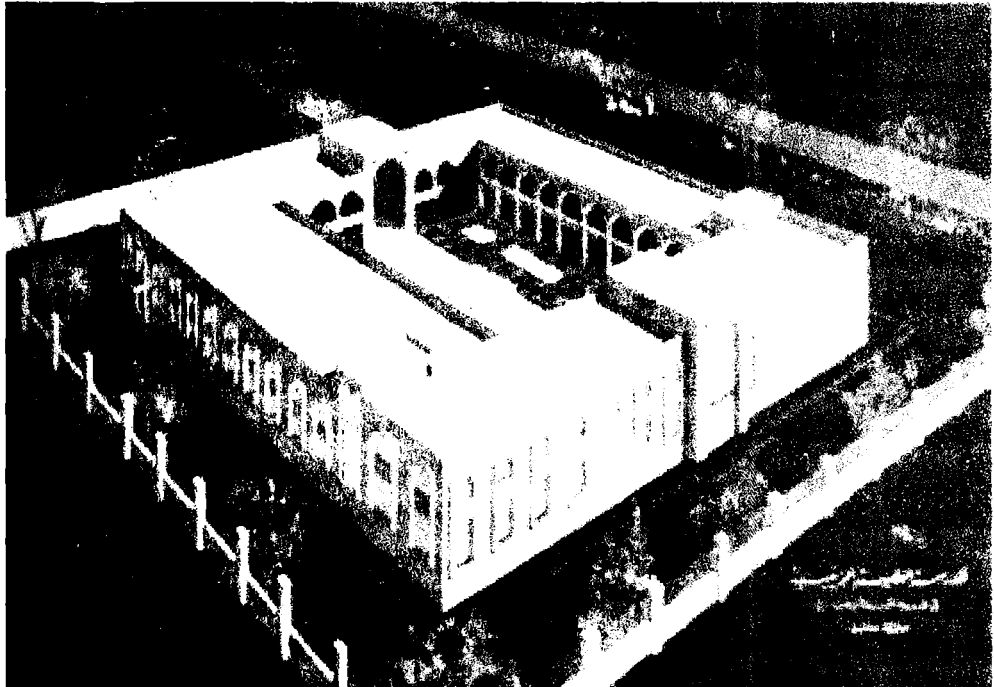
الثالث: المنطق للمظفر، شرح ابن عقيل الشرائع.

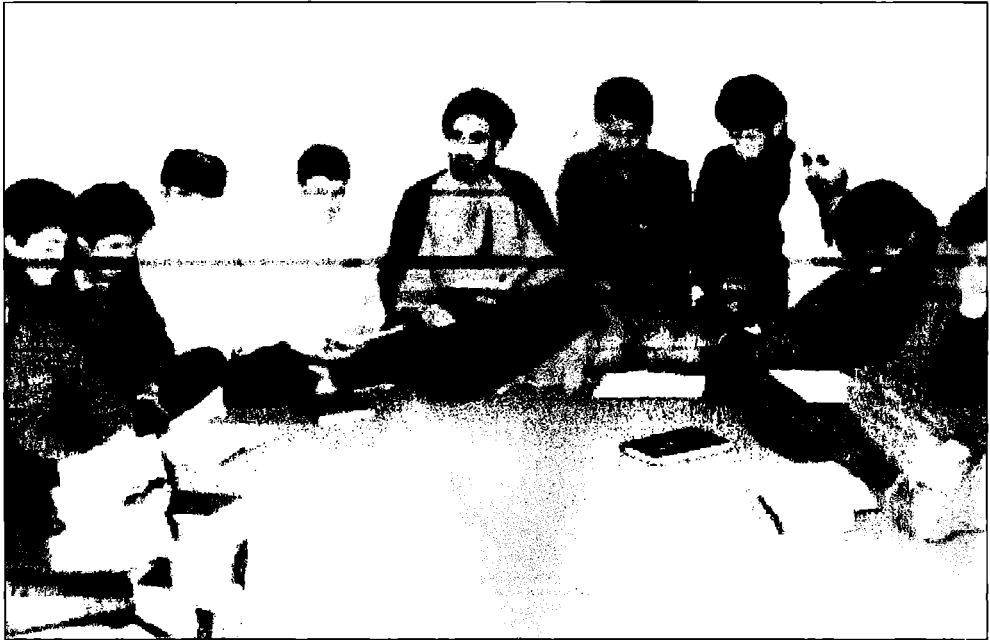
الرابع: اللمعة الدمشقية، المنطق للمظفر، الأصول للمظفر، مختصر المعاني.

الرابع: اللمعة، مناطق المظفر، أصول المظفر، مختصر المعاني.

الخامس: اللمعة، أصول المظفر، مختصر المعاني.

السادس: الدراية للبهائي، الرسائل للانصاري، اللمعة، شرح التجريد.





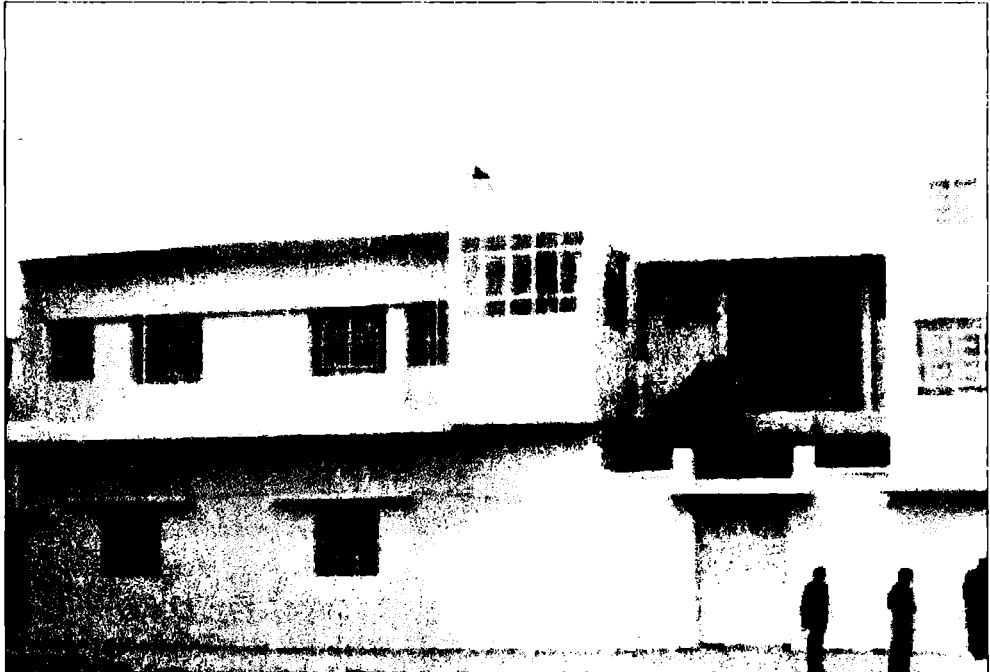
طلبة الحوزة الزينية أثناء الدرس



جمع من أساتذة الحوزة الزينية



مبنى الحوزة الزيتية أثناء إنشائه في أول سبعينات القرن العشرين



القسم الداخلي للحوزة الزيتية حيث يقيم بعض طلبتها



عدد من العلماء والوجهاء حول مائدة السيد الشهيد الشيرازي (رض)

السابع: شرح التجريد، رسائل الانصاري، اللمعة.

الثامن: المكاسب للانصاري، الرسائل للانصاري، جامع الرواة في الرجال، شرح المنظومة للسبزواري في الفلسفة.

التاسع: المكاسب، شرح المنظومة، كفاية الأصول، كتاب السياسة للسيد محمد الشيرازي.

العاشر: المكاسب، كتاب الاجتماع للسيد محمد الشيرازي، كفاية الأصول، شرح المنظومة. هذا ووقت الدروس يومياً عدا أيام العطل من الساعة الثامنة إلى العاشرة صباحاً، ومن الساعة الخامسة إلى الساعة السادسة مساءً.

والعطل الرسمية: يوم الجمعة، وأيام الأعياد، وأيام مواليد ووفيات المعصومين الأربعة عشر، بالإضافة إلى ثلاثة أشهر هي: شهر رمضان، وذو الحجة. ومحرم الحرام.

وبعد أن يتخرج الطالب بنجاح من الصف العاشر (ومدة كل صف سنة واحدة) يحق له الالتحاق بالمرحلة التي تليها وهي مرحلة (بحث الخارج) ومدة هذه المرحلة غير محدودة.

ولكل مدرس وطالب راتب من الحوزة يختلف من شخص إلى آخر بحسب أهمية العلمية وحالته الاجتماعية.

اسماء الاساتذة (بحسب معرفتنا) هم استاذ بحث الخارج الشيخ محمد علي الفاضلي، والشيخ غلام علي محمدي والشيخ محمد جمعة المقدس، والسيد قاسم الرضوي، والشيخ محمد حسين آخوند، والشيخ سلطان فاضل، والشيخ سلطان الافكاري، والشيخ محمد رضا الاحمدي، والشيخ محمد حسين النوري، والشيخ محمد اسحاق الاصغري، والسيد أحمد الهاشمي، والشيخ حسن



الشهيد الشيرازي يؤم المصلين في صحن السيدة زينب(ع)

الاميني، والشيخ محمد الواعظي، والسيد عارف الصوص، والشيخ محمد حسن رجائي، والسيد جواد فاضل زاده، والشيخ محمد علي فاضل، والشيخ خان علي العلمي، والشيخ عسكر حيدري، والشيخ محمد قاسم الأخوند، وفي الحوزة خطباء منهم «الشيخ أحمد علي فخر الاسلام، والشيخ سلطان الافكاري، والشيخ محمد اسحاق الاصغري، والشيخ محمد حليمي، والشيخ حسين الفاضلي، والشيخ محمد جواد جعفري». أما مدير المكتبة فهو الشيخ محمد ابراهيم الصالحي.

نشاطات أخرى

لعل الشخصية الثانية بعد السيد الشيرازي في اهتمامها وبروزها الديني والثقافي في (السيدة زينب) هو العلامة السيد أحمد الواحدي فقد أقام في السيدة زينب بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران وأسس بيتاً كبيراً لا يزال حتى هذا اليوم حافلاً بالانشطة الدينية والاجتماعية والثقافية المختلفة، ومن بعده جاء العلامة السيد أحمد الفهري الزنجاني ممثلاً دينياً للإمام الخميني (قدس سره) وأسس حوزة الإمام الخميني سنة ١٩٨٤، ثم أسست حسينية لإمام الصادق للسيد آية الله محمد تقي المدرسي، وحسينية مؤسسة أهل البيت (أسسها العلامة السيد حسن السيد محمد هادي الصدر) والحسينية الحيدرية (لحزب الدعوة الإسلامية) وحسينية الزهراء للعلامة الشيخ حسن الصفار القطيفي، وحسينية الكتاب والعترة للسيد محمد علي الطباطبائي، وحسينية السبيطنة للشيخ حسين الراضي وحوزة المرتضى، وحوزة أهل البيت.. الخ.

ثم تكاثرت الحسينيات ومقرات المراجع حتى أصبح لكل مرجع ممثلية خاصة به ولا يوجد بينهما نظام يجمعها فאלكل مستبد برأيه وحسب، والله المعين على ذلك.



أحد أساتذة الحوزة الزينبية أثناء اللقاء أحد الدروس



في الوسط: الراحل الفقيه الشيخ أحمد عيد الخير أثناء زيارته للحوزة



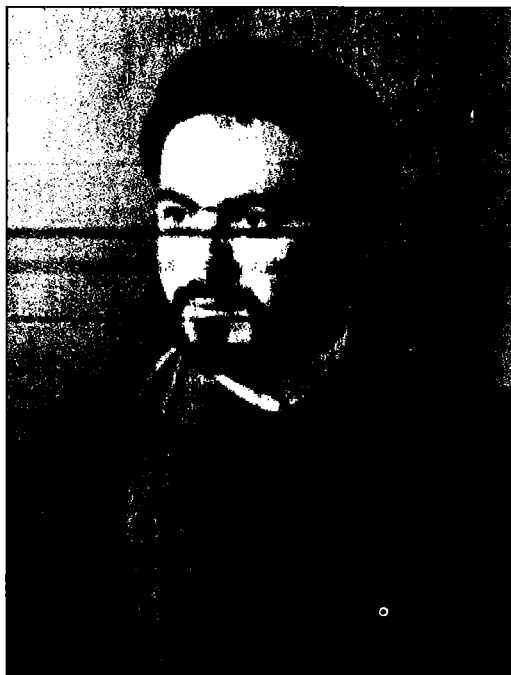
احدى احتفالات الحوزة ويبدو من اليسار السيد علي أكبر محتشمي سفير إيران الأسبق
بدمشق والأستاذ حبيب عمراني كرندي



عدد من ضيوف الامام الشيرازي



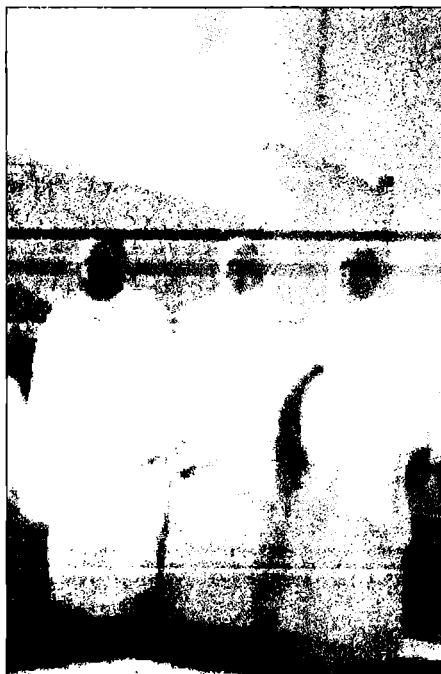
الامام الشيرازي في شبابه



الامام الشيرازي وشقيقه آية الله العظمى السيد صادق والسيد المجتبي



الامام الراحل السيد محمد الشيرازي



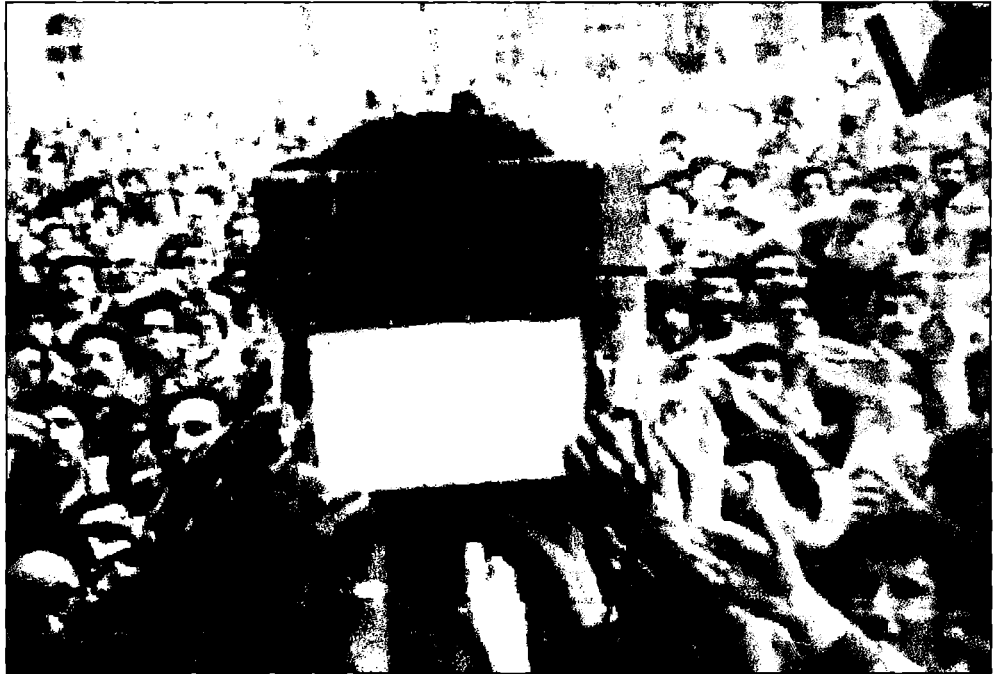
الامام الشيرازي في لباس الاحرام مع رفيقيه المكرمين



الامام الشهيد وبجانبه الشيخ سليمان اليحفوفي - لبنان



مراسم الصلاة وتشيع الشهيد الشيرازي ويرى آية الله الراحل السيد مرعشي نجفي

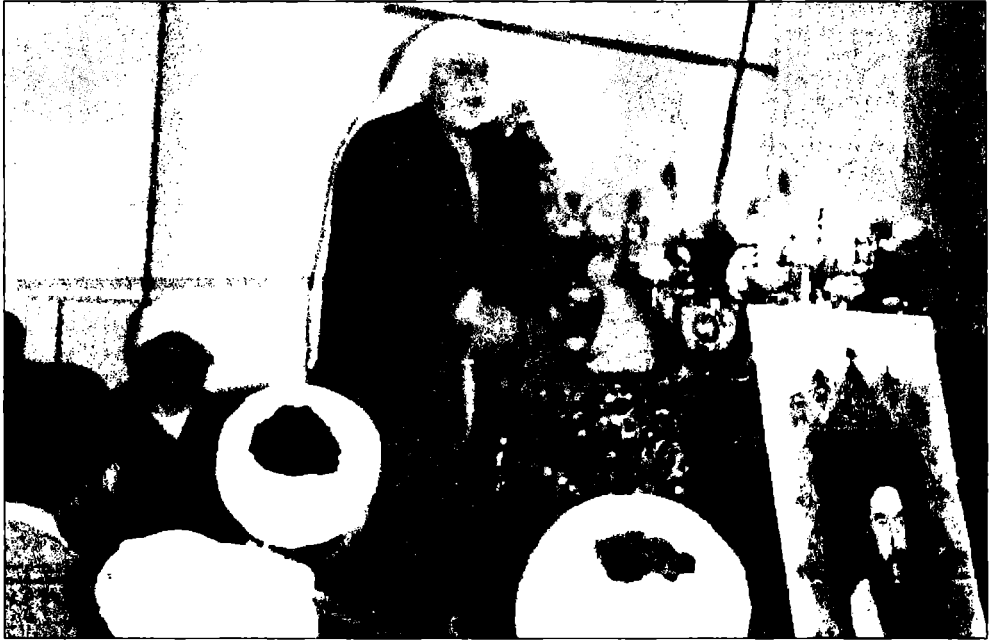


مراسم التشييع



إمام مسجد الامام الحسين في صافيتا أثناء تأبين الشهيد الشيرازي





العلامة الراحل الشيخ أحمد عيد الخير يلقي كلمته أثناء التابين



المفكر البروفيسور أسعد علي يلقي كلمته



أحد علماء دمشق يلقي كلمة أثناء التابين



كلمة السيد محسن الخاتمي

رحلة مرتضى آل مرتضى الى الحرمين الشريفين سنة ١١٢٠ هـ

تبعه ١١٢١ هـ - ١٧٠٩ م

السيد مرتضى بن علي بن علوان الحسيني، من أعيان دمشق، ومن أجداد أسرة آل مرتضى المعروفة بدمشق. اشتهر من خلال رحلته التي دونها خلال تشرفه بالحج لبيت الله الحرام، واصل الرحلة مخطوطة بمكتبة برلين (في المانيا) فمن مجموعة تحت عنوان:

Ahlwaxdt. No6173- Bible stein I I No.1860. I'ol 102a-1156.

نشر عبد الله العثيمين تعريفاً بها بمجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ١٢ السنة ٣ (أكتوبر ١٩٧٧) وكتب عنها المستشرق الألماني ulrich haarmann ضمن مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج٢، القسم الانجليزي ص ٢٥١ - ٢٤٧.

ونشرت الرحلة بالسعودية الطبعة الثانية ١٤٢٥ هـ، بتحقيق الدكتور سعيد بن عمر آل عمر. ويعود زمن الرحلة إلى اوائل القرن الثامن عشر اذ انطلق السيد مرتضى آل مرتضى مرحلته من دمشق في ٢٦ شوال ١١٢٠ هـ - ٨ يناير ١٧٠٩ م. وزار وحج الأماكن المقدسة في مكة والمدينة ثم اتجه نحو العتبات المقدسة في العراق عن طريق نجد والاحساء والكويت وكان يسجل معظم الامور التي يراها مهمة خلال ترحاله حتى عودته إلى مدينته دمشق في ١٩ رجب ١١٢١ هـ - ٢١ سبتمبر ١٧٠٩، وفيمايلي النص الكامل للرحلة كما وردت في الأصل المحفوظ.

رحلة مرتضى آل مرتضى إلى الحرمين الشريفين

(١١٢٠ - ١١٢١ هـ / ١٧٠٩ م)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وآله الطاهرين وأصحابه نجوم الدين ويعد فيقول العبد الفقير إلى الغني المنام مرتضى ابن علي بن علوان أنني قد حججت ولله الحمد في أيام الصبا وعنفوان الشباب وذلك في عام ثمانية وثمانين بعد الألف من هجرت من له الشرف وكتبت منازل الحاج كل منزلة باسمها فلما من الله علينا بالوصول إلى الوطن تذكرنا ما ضيعنا من الفطن وهو أن لو كنا ضبطنا كل قناة سيره كم ساعة لعلمنا بالضرورة من الشام إلى عرفات كما ساعة فحكمنا على أنفسنا أن من الله

علينا بالحج إلى بيته الحرام ثانياً. نستلفي ما فات أولاً مما ذكرنا من ضبط المسافة وإن كان العلم في ذلك لا يغني عنه شيء فهو من باب العلم بالشيء.

فأقول لما أن من الله علينا بالحج ثانياً وله الحمد ونرجو منه الثالثة وذلك في سنة عشرين ومائة وألف يسر الله ذلك صحبة الشيخين الأكرمين والأخين الاجلين مولانا الشيخ زين العابدين وأخيه الأعز الأفاضل والعالم العامل الأكمل الموفق في الدنيا والدين شقيقه الشيخ جمال الدين ولدي المرحوم المبرور ذوي الفضل الحاسم المعروف بحسن الخلق والمباسم مولانا المرحوم وعمنا المبرور الشيخ محمد قاسم سقا الله ثراه صبيب الرحمن والرضوان وجمعنا به في مستقر رحمته في غرف الجنان بمحمد وآله سيد ولد عدنان ونسأل الله لنا ولهما العناية والتوفيق بمحمد وآله أولي التحقيق وكان أمير الحاج إذ ذاك. الوزير المكرم نصوح محمد باشا كافل الشام أدام أيامه. وكان السردار فخر الأعيان عبد الله آغا أغتر اينكجريه بدمشق والجاويش محمد آغا المعروف بكتكوت وقاضي الركب مع قضاء مكة المشرفة مولانا المحترم عبد الله أفندي ابن حامد أفندي حفظه المعيد المبدي وذلك أننا اشترينا وأياهما جمالا على سبيل الشراكة وكانت ساعة بركة والمقصد وفي ذلك هدأت بالناس في الطريق وخوفاً أن نقع مع بعض القوميين في المتاعب المهلكة. خرجنا بعد أن صرفنا وخرجنا من منزلنا المبارك بدمشق نهار الثلاثاء بعد أن صلينا الظهر وهو اليوم السادس والعشرين من شهر شوال المبارك سنة عشرين ومائة وألف وقد كان مضي من كانون الأول عشرين يوماً والفائدة في ذكر كانوا ليعلم السامعون أنه فصل شتاء هتون ولبله أطول من نهاره وكان توجهنا مع الركب الحلي والسبب الداعي لتأخرنا عن الشامى أنه توجه يوم الخميس حادي عشر النهار المذكور، صار في ذلك اليوم مطر عظيم غزير مدرار هتون طير النوم من العيون وأجرا من الجفون عيون وعطل الناس عن الشيوئ وأتصل بالجمعة والسبت فمن كان له النصيب توجه ذلك وأستوفى ما ناله من النصيب والنصيب. ولا شك أن الأجر على قدر المشقة ومن كان له بالتوفيق أدنى نصيب تخلف إلى نهار الثلاثاء المذكور هو السادس والعشرون من الشهر المشكور وكنا منهم ولله الحمد فخرجنا بمن شيعنا من الأولاد والأحفاد والأقارب والأصحاب والأعزاء والأحباب إلى محل يقال له - المفقر - وقرأنا فاتحة الكتاب حال الوداع وسألنا الله منه فضله حسن الاجتماع:

ومن حين فارقنا عزيز جنابهم	مانالنا مكروء إلا فراقهم
فأسأل ربي أن يطيل بقائهم	ويمدد لي حتى أنال لقاءهم
ولا يرحوا ذبي أسود العين شخصهم	مقيم سويداء الفؤاد مقرهم
وقد راعني يرم التودع دمعهم	فلا فرق الرحمن شملا يضمهم
وسألت ربي بعد أن عاد ركبهم	يخصهم في كل خير يعمهم

وبتنا تلك الليلة بمنزل دنون وما وصلنا إلا بعد نوم العيون وكان سيرنا خمسة من الساعات ومنها سرنا إلى الصنمين فرأينا آثار من سبقنا من الركب الشامي في غاية الحين وكان سيرنا عشر ساعات وقمنا إلى المزيريب فوصلناها بعد مضي خمس ساعات ضحوة نهار الخميس وأقمنا بها النهار المذكور والجمعة والسبت واستهلينا الشهر المبارك بالمنزل المذكور وهو (ذو) القعدة الحرام نهار الأحد وتوجهنا ضحوة نهاره المشكور إلى المفرق ولم ينصب الناس إلا بعض الخيام وكنا ممن نصب من غير نصب واستقمنا حتى غلينا وعلقنا وتعشيننا وصلينا المغرب وركبنا على بركة الله فوصلنا الزرقا بعد الظهر من نهار الاثنين فكان سيرنا عشرين ساعة فإذا هو قنّاق متعب قبيح ذات ظهور وبطون يبتغي ماشية تارة نفقا في الأرض وتارة سلماً في السماء فوصلنا وأرفاقنا ودوابنا من التعب والنصب عن جانب عظيم وحين حللنا بها واكلنا وشربنا وذبحنا وطبخنا. نسينا ماسحبنا من الجفا من أعطائها ثم توجهنا نهار الثلاثاء في الساعة الرابعة على بركة الله ونقلنا معنا الماء إلى القطرانة ومررنا على البلاطه وقطرنا خلف البيرق وكنا مع أصحاب اليمين ولله الحمد فوصلنا مع طلوع الشمس وكان سيرنا ثمانية عشر ساعة ثم رحلنا من البلقة في الساعة السادسة من نهار الأربعاء وصلنا القطرانة نهار الخميس طلوع الشمس فكان سيرنا خمسة عشر ساعة وإذا بالاقنّاق متعب في أثائه واد يقال له وادي النسور وشعاب كثيرة وأما قلعة القطرانة فهي قلعة لطيفة ذات عمارة معتبرة محكمة التريبع مشيدة البناء بالاحجار البيض والكلس والمون ولها باب معتبر من الجهة القبليّة وكان مأبها يجتمع من المطر والسيل وأن السنة ما جاءها ماء جديد وأن هذا من العام الماضي وأقمنا قربها إلى وقت الأصيل وزعق النفير فما حمل الحاج إلا وصار المغرب فصلينا معاً في القناة وسرنا على بركة الملك الخلاق إلى الحسا فوصلناها بعد طلوع الشمس بساعتين فإذا هو قنّاق متعب شين في اثنايه شعاب ووديان وسمعنا بعض القوم يعبروا عنها بلأساً ولم يوجد فيها شيء من الذخاير أصلاً وكان سيرنا إليها ستة عشر ساعة وقمنا منها بعد العصر قاصدين عترة ونقلنا الماء معنا من الحسا وفوصلنا عترة بعد طلوع الشمس بساعة فإذا هي دار واسعة ورحمة الله اوسع ونبنى عن خان عظيم آثار الملوك عليه أن البناء إذا تعاظم أمره فيه الدليل على عظيم الباني غير أنه خراب وبعض جدره متساقطة وكان مسافة سيره خمسة عشر ساعة ولم نجد في ذلك القنّاق شيئاً من الحطب بل استقصوا في هذا القنّاق والمذكور قبله حطب الشيخ النابت في صحراهما ثم سرنا على بركة الله بعد المغرب إلى معان مشينا سبع ساعات من الليل وبركنا قرب وادي السوخ إلى الصباح فصلينا الصبح ومشينا فدخلنا مع طلوع الشمس فكان سيرنا ثمان ساعات فإذا مدخلها آتعب من مخرجها ومخرجها آتعب من مدخلها ذات أكام وأجام وبطون أودية وظهور أندية ذات شعاب متفرقة متحطمة بأحجار قبيحة بأخبار أضيق من أهلها الذخاير فيها قليلة والشورور فيها كثيرة أقمنا فيها ثمانية عشر ساعة وخرجنا منها بعد الزوال في سابع ساعة وحملنا الماء معنا من منزلتها وتوجهنا على بركة الله إلى ظهر العقبة فإذا هو قنّاق سهل رثنا في أثائه

شجرة كبيرة والناس حولها يلعبون ويضحكون وبعض الشباب حولها يطوفون فسألنا عنها فقلنا اسمها (شجرة) أم عياش وإذا مر الناس عليها يضحكون على بعض المغفلين ويقولون له لا يصح حجبك يا لاش ما لم تطوف حول أم عياش فوصلنا إلى ظهر العقبة بعد طلوع الشمس بدون الساعة فكان سيرنا تسعة عشر ساعة وأقمنا قليلاً بعد أن ارتاحت الأودام وعلقت الجمال وتوجهنا بعد صلاة الظهر في الساعة السادسة إلى جفيمان وصار للحاج تبريكة نفيسة ارتاح بها الحج وتنفس وأكل الحلوات النفيسة بعد أن سحبوا فيها من الضيق ما يخفى على التحقيق ومن القطارات والمتاعب ما إليه النهايات وصلوا المغرب في التبريكة وساروا على بركة الله الرحمن فمع الشمس وصلنا جفيمان فكان سيرنا إليها خمسة عشر ساعة جميعها كد وسعى من غير التبريكة ومن غير أوقات الصلوات فغير محسوب في السير المطلوب فإذا هي منزل رحيب سهل الفضا متسع الرمضا فسألنا عن جفيمان ما جفيمان فدلونا على تل هناك يدعى بجفيمان فأقمنا عنده برهة من الزمان حتى غلينا وعلقنا وسرنا على بركة الله في سابعة ساعة من النهار، هذا والمياه معنا منقولة من معان إلى ظهر العقبة إلى جفيمان إلى ذات حج فوصلنا ذات حج بعد مضي سبع ساعات من الليل فإذا هو منزل رحب ينبئ عن قلعة محكمة البنا مشيدة المبنا في حايطها بركة ماء يخرج إليها الماء من باطن القلعة إلى الخارج وكان مائها قليل متغير اللون والطعم وفي أثناء طريقها محل ذات أحفاف من الرمل فسألنا عنه ما يقال لهذا المحل فقلنا يدعى بحالات عمار وراينا في القلعة المذكورة صاير بعض خلل ويقولون إنه من العرب وهو أنه في سنة ثمانية عشر ومائة وألف سقط نصف جدارها الغربي إلى عضادة بابها وقد مال الباب إلى الآن ولم يسقط وكان حولها بيوت صغار سكن (ل) بعض الأعراب (على) شكل قرية فخلت من أهلها ولم يبق في القلعة ولا في جوارها أحد ودخل حضرة الباشا المكرم دار في جهاتها وطلع إلى أعلاها ودار على بدننها ومايلها وأطلع على ظواهرها وخوافيها ليخبر السلطنة العلية فيها ويعيدها كما كانت إن شاء الله وكان السير إليها ثمان ساعات ثم قمنا من ذات حج من ثامن ساعة من النهار فوصلنا القاع طلوع الشمس فإذا هي منزل رحيب فسيح المجال والماء مصحوب معنا من ذات حج فكان سيرنا إليها أربعة عشر ساعة وقمنا من القاع إلى تبوك دخلناها في السادس ساعة في الليل فكان سيرنا ثمان ساعات وساعة رياضة بعد صلاة العشاء فإذا هي منزل رحيب فيه قلعة عظيمة والترتيب والمعنى فيها جند من قول السلطان وماء كثير شربنا وحملنا إلى الأخيضر لأنهم ذكروا لحضرة الباشا أن الأخيضر قليلة الماء وأن فيها بركة لبنى منجك.

وبركة لبنى مزلق وأنهما في هذه السنة ما أوصلا العرب صرهما ولم يصير لهما تعزيل فنبه الباشا على حمل الماء جزاءه الله خيراً ثم قمنا من قلعة تبوك إلى الأخيضر على بركة الله فوصلناها بعد مضي أربع ساعات من الليل فكان السير عشرين ساعة إلا أنه صار رياضتين قرب ساعتين فصح سيرنا ثمانية عشر ساعة فإذا هو قنقاق متعب ذو شعاب وضرورب وبغازات ونقوب يعبر بنقب الأخيضر فوصلنا إلى قلعة عظيمة البنا والصورة بجند مولانا السلطان معمورة وإن

لم تكن بالخيرات مغمورة لكن مايبها كثير ولله الحمد عرفوا مولانا الوزير ولم يوجد فيها من الذخائر إلا القليل. وبتنا تلك الليلة في رحابها وجانا تلك الليلة مطر عظيم غرق من الإبل رحالها:

ولما آنحنا بالأخضر رحلنا ونحن لما نلناه في شدة النصب
أناخت علينا من بروق رعودنا سحابة مزن صيرت سيرنا خب

ثم خرجنا منها ثاني يوم وصولها وقد كان باقي من النهار خمس ساعات على العظيم الأعظم فوصلنا بعد مضي ساعتين من النهار الثاني إلى قلعة المعظم فكان ترحالنا عشرين ساعة ضاع منها ثلاث ساعات رياضات في محل الصلوات فكان جد السير سبعة عشر ساعة لكن نلنا من مسافتها من المشاق ما لا يطاق من أماكن تعرف بجنانين القاضي والصاني والنقب ومن الغدران والغيلان وضيق المسالك في النقوب بين الحجاج والدواب والمحمل والركاب وتعب كل من أولئك غاية التعب فلما وصلناها إذا هي قلعة عظيمة البناء لانسبة لغيرها بها وعلى كل حالة

أن البناء إذا تعاضم أمره فيه الدليل على عظيم الباني

إلا أنها معطلة قفرا ومن أهلها مستوحشة صفراً وفي بركتها قليل ماء من المطر سنيلنا عنها فقل لنا أن بئرنا نشف مائه وتعطل وصار سابقاً بين محافظها والعرب عداوة قديمة آلت إلى تركها ثم قمنا منها على بركة الله تعالى وكان باقي من الليل ست ساعات إلى أن مضى من النهار عشر ساعات وصلنا الدار الحمراء وبتنا تلك الليلة من غير خيام والماء معنا من الأخضر فكان سيرنا ستة عشر ساعة ثم قمنا وقد كان باقي من الليل خمس ساعات إلى المداين فوصلناها بعد التعب البايين وقد مضى من النهار سبع ساعات فكان سيرنا اثنا عشر ساعة فإذا هو قنق متعب حطم في اثنا عشر ساعة محل يقال له الزلاقات وبعده شق العجوز وبعده مبرك الناقة وباليها من أماكن لكل متحرك وساكن وبتنا تلك الليلة في منزل المداين استقينا ومن المنام استوفينا وصلينا الصبح في المنزل وأغدينا فوصلنا العلا بعد مضي أربع ساعات من النهار المرقوم وكان نهار الجمعة المبرور عشري القعدة الحرام ولم نرا فيها شيئاً من الذخاير والسبب أن الجراد في العام الماضي أثر عندهم وشوش عليهم فما كان إلا التبن وبعض تمر وقليل من الليمون وبعض الذبائح وبتنا تلك الليلة وثاني يوم نهار السبت إلى بعض الظهر وكان باقي من النهار أربع ساعات فتوجهنا على بركة الله بعد أن كتبنا المكاتيب وأعطيناها إلى الكتاب وتوجهنا على مطران فوصلناها بعد طلوع الشمس بساعة فكان سيرنا إليها ثمانية عشر ساعة وأقمنا بها إلى (أن) غلينا وعلقنا والماء معنا منقول من العلا والشعير قد خلص من عدنا وعند غيرنا فصرنا نحن وغالب الحجاج نعلق على البغال المعبوك يفركوه بالماء ويوضع في المخالي وبعض خياله رأيناه يشتري كل مد بقرش وقد تاه الدليل تلك الليلة وتعب الحاج كثير ومنها سرنا إلى شعب النعام وقد كان باقي من النهار أربع ساعات فوصلنا القنق أول الفجر فكان سيرنا ستة عشر ساعة فإذا هو قنق متعب وظهور بوطون وأحجار وغيلان وفي أثناء الطريق وادي متعب يقال له وادي النار وبعده محل يقال له البير

الجديد استقى منه بعض الحاج ونقل منه غالب السقاية الماء إلى الشعب المذكور ثم قمنا إلى هديه وكان باقي من النهار أربع ساعات فوصلنا بعد طلوع الشمس بساعة فإذا هو منزل لأبأس به غير أن الغيلان في دربها كثير ووجدنا من السيل في أثنائها نهر عظيم يدور على ثلاثة أضرب كأنه ثلاثة أنهر سيثلنا عنه قليل قد جاء في صحراء العراق سيل كثير عرمرم وهذا ممتد منه وكان قناتها ثمانية عشر ساعة ثم قمنا منها إلى الضلعتين وكان باقي من النهار ساعتين إلى أن مضى من النهار الثاني خمس ساعات فنزلنا قاطع الضلعتين والمياه معنا من العلا ومن هديه من السيل المذكور لكنه قنات متعب نال الحاج من غاية التعب والنصب وفي أثنائه عقبة يقال لها العقبة السوداء على ماسميت نال الحاج منها التعب وتقطعت القطر وتاه إلى الناس بعض جمال وأبغال وأحمال وما زاد في عيبيها إلا تطاولها وقد بلغ السير عشرين ساعة وفي جل القضية وتماهما أنزل الله سحابة مطر ولا حول ولا قوة إلا بالله تراكمت الآتعب من كل وجهة ومعظمها أن كادت النفس تزهد ثم سرنا من المنزل المذكور إلى المنزل المشكور وهي المدينة المعظمة على الحال بها أفضل الصلاة وأتم السلام وتلاآت الأنوار ونسينا ما نالنا من سابقة ذلك النهار مررنا على وادي العقيق فصرنا نظنه مناما ولانظنه على التحقيق ولله الحمد. وقلت ارتجالا ..

ولما غشت وادي العقيق جمالنا	ونحن بحمد الله في غاية الصفا
وكان محل الضجر فأنفجرت لنا	مفاتيح أنوار النبي المصطفا
وكان نهار للخميس مبارك	وليلته الغرا العروبة الطفا
فيا سعد من أيام سعد وطيبها	بطيبة لو مئت علي فتصطفا

فدخلنا المدينة المنورة نهار الخميس المبارك محل الظهر فكان سيرنا عشرين ساعة والقانون المألوف أن من هديه إلى المدينة ثلاثة مراحل فحضرة الباشا لأجل العليق عملها شيلتين وكلف الناس هاتين المسافتين ولله الحمد قد أقبلنا على أنوار عظيمة ومشاهد كريمة أقمنا بها ثلاثة أيام بليلها:

وأيام لو كانت تباع شريتها	بمالي وماضمت يداي وما أهوى
وأسأل ربي أن تعاد قريبة	وبشرت نفسي في مناهي وماتهوى
وصرفناها ولله الحمد في عبادات وزيارات وقراءات قرآن ومشاهدة مشاهد عظام نسأله.	
من فضله القبول وخرجنا منها بالمكره نهار الأحد بعد الظهر. على الشهداء.	
خرجت على رغمسي وعز خروجه	علي ولكن هكذا قدر الله

لأن حضرة الباشا المذكور ذكر أنه تعوق في المدينة بزايد يوم فاختار أن يجعل من المدينة إلى بدرقناتين فكلف الناس ذلك فكادوا أن يعقوا في المهالك. مشينا ظهر الأحد إلى الأبيار أحرمتنا ولله الحمد بعد أن اغتسلنا ومن معنا وصلينا في المسجد بين الظهرين ومشينا بقية النهار وثاني يوم إلى قبيل الظهر. نزلوا قرب بير ذات العلم وقد تفرجنا على البير فإذا هو كبير موهل

موحش وكان السير إليه ثمانية عشر ساعة وخرجنا من المحل قبل المغرب بساعتين ورأينا الهلال تلك الليلة ابن ليلتين في صلاة المغرب ومشوا على بركة الله إلى بدر ووصلوها وكان باقي من النهار خمس ساعات فكان سيرنا جملة عشرين ساعة لكن قد وصلناها والأنفس قد بلغت حد التراق والجمال والدواب وقفوا على ساق وبتنا تلك الليلة في بدر ونحن في حالة كالبدري وإذا في التنبيه أن الشيل بعد صلاة المغرب فضاجت الناس لذلك لكون الأنفس زهقت والدواب هلكت فعاد حضرة قاضي مكة سلمه الله أرسل إليه بابن جاويش يعرفه حال الناس وماهم فيه من التعب ففي الحال أجاب الجواب المنادي ينادي مافيه شيل إلى غد ضحوة النهار ورفعوا الإشارات وصار عند الناس فرحة كثيرة وبشارات وكان من جملة ماوقع للحاج في الليلة الماضية وهم في قرب الجديدة في محل نصف الليل نقزت الجمال ونفرت وصارة حالة مزعجة وقع غالب الركاب وفق بعض أسباب سقطت وفي الحال لقطت وماكان إلا شيطان دخل بين تلك القطارات مع أن الناس دانما في التلبية والذكر والتسبيح إلا في تلك الحصة كانت الساعة سكوت وجلال ولكن الله سلم.

وقد دخلنا بدرا ودرنا في رحابها فإذا هي بلدة كبيرة عظيمة فيها مسجد يقال له مسجد الغمامة زرناد وصلينا فيه ودعونا لأولادنا وأخواننا وهو جامع تقام فيه الجمعة يشتمل على منبر قديم البناء وزرنا شهداء بدر فوق المسجد المرقوم بحصة وفي هذه البلدة سوق كبير ظننا أنه يقوم أيام الحج فقط فأخبرني رجل من أهله أنه هكذا طول السنة لايفتر وأن عليه مرد من البحر والينبع مسافة يوم واحد وفي السوق المرقوم قهوتان كالتني في مكة في محل أم عابدة.

وتوجهنا من بدر وكان الباقي من النهار أربع ساعات إلى القاع دخلناها وكان سير سبعة عشر ساعة برياضاتها وكان قنق متسع رحب وصار للجمال في ليلته جفلتان. إلا (و) ذكروا أن في هذا القنق دائما يصير الجمال جفلة وفي أثناء هذا القاع سبيلان عظيمان كل سبيل يشتمل على مسجد وبئر ماء وصهريج كبير عليه قيب لكته خراب من تقادم الزمان وتغير الأيام. بين كل سبيل وسبيل خمس إلى ست ساعات وقمنا من القاع إلى رابع وكان باق من النهار أربع ساعات فوصلنا وقد مضى من الليل عشر ساعات فكان سيرنا أربعة عشر ساعة فهذا هو قنق واسع عظيم الاتساع في أثنائه قرية يقال لها المستورة مررنا بها وقت صلاة المغرب ونقلنا الماء معنا من بدر إلى القاع ثم إلى رابع وأحرمت الحنضية من رابع وعلقوا على الجمال وشال الحج إلى قديد وكان باقي من النهار خمس ساعات إلى أن مضى من النهار الثاني خمس ساعات فكان أربعة وعشرين ساعة فإذا هو قنق متعب صعب ذو تلال ورمال وتلايات صعب وتاه الدليل وضل الجادة والسبيل وفي صباحه يسر الله وقطعنا عقبة السكر وإذا هي عقبة متعبة مهولة تطلع فيها إلى جبل من الرمل وتنزل إلى بحر من الرمل نزلنا وأقمنا إلى أن بقي من النهار خمس ساعات وتوجهنا إلى وادي فاطمة قصدناه فوصلناه مثل الوقت الذي مشيناه فكان سيرنا أربعة وعشرين ساعة لكن صار رياضات فيه وفي القنق الذي قبله ساعتين ساعتين فتححرر كل قنق اثنين وعشرين ساعة لكن

في هذا القنّاق مررنا على خليص قبيل المغرب وعلى مدرج عسفان ريع الليل وعلى سبيل الجوفي بعد نصف الليل وصلنا وادي فاطمة وكان باقي من النهار خمس ساعات كما حررنا من قبل بتنا تلك الليلة في الصباح ثم أغدينا اتجاه مكة المشرفة وهو نهار الاثنين يوم التروية الثامن من ذي الحجة الحرام وصلنا بعد مضي خمس ساعات من النهار المرقوم نزلنا أم عابدة بمن معنا من الأرفاق والأتباع والحجاج وكان جملتنا ثلاثة وثلاثين نفر وضرينا الخيام واحدة لنا وواحدة إلى النساء والثالثة للأتباع تغدينا وارتحنا وبالحال نرحنا وللمكة المشرفة توجهنّا وبمحل السيد الشريف محمد ابن السيد علي بن حيدر حللنا فسلمنا عليه وذلك بعد أن كان قد وصل كتابنا إليه ثم نزلنا إلى المسجد الحرام وقبلنا الركن وطفنا في ذلك المطاف وصلينا في ذلك المقام ودعونا لكم ولسائر الأخوان وشريتنا من زمزم واغتسلنا ومن باب الصفا خرجنا وإلى المروة سبعة أشواط في طاعة الله سعينا ومصرنا ثم إلى المسجد الحرام عدنا فنوينا الحج من تحت الميزاب وعقدنا ثياب الإحرام ولبينا ثم شدينا من أم عابدة بعد العشا ونزلنا عرفة ومن أم عابدة إلى عرفات ثلاث ساعات فها لها من ليلة مؤتلفة لنا بها المراد وحمدنا الله رب العباد والحد لله رب العالمين. وكانت ليلة عظيمة الشأن في السر والإعلان وأصبحنا نهار الثلاثة الوقفة المباركة في جمعيتنا مع قومنا واحبتنا. وقد شرفنا السيد الأجل الأمجد المرقوم أولاً السيد محمد حيدر مع ولديه العزيزين السيد رضي الدين والسيد علي وكان نهار عبادة ودعاء إلى أن غربت الشمس فنفرنا مع حضرة الباشا أمير الحاج الشامي وتوجهنّا إلى المزدلفة وجمعنا العشائين وبات كل منا والله الحمد قرير العين وقد واجهنا في طريقها المبارك حج مقبل علينا فسالنا عنه فقبل لنا حج مخلط أعجاب ومشاهدة يقال له الحج العقيلي وقد دخل مكة بعد العصر وصار له غاية الحصر فبعضهم طاف وسعى وتتم حجه بالتمتع على الوجه الاضطراري ووقف بعرفة ليلا وبعضهم نقل تمتعه إلى الأفراد ووقع في بلاء بين العباد وأما نحن فقد لقطنا الجمار ولكم الهنا وتوجهنّا بعد طلوع الشمس إلى منى رمينا وذبحنا وحلقنا ثم نزلنا للمسجد الحرام طفنا وسعينا وعدنا إلى منى تمام العيد أقمنا وتفارقنا من هناك كما هو المفهوم وصار لكل من ربنا ومنا شرب معلوم. دخلنا مكة المشرفة بعد العصر فها له من نهار مشهود أعاده الله عليكم وأعادكم لأمثاله كان منزلنا بيت السيد الأمجد المذكور أولاً السيد محمد بن علي حيدر أمد الله أيامه وجمل في زمانه ولازال مصدر القاصدين وكعبة الوافدين بحرمة أجداده الطاهرين وحفظ الله عليه ولديه الأعزّين علي الأصغر وشقيقه الكبير رضي الدين وأقمنا مجاورين بيت الله الحرام ولله الحمد والخمس فرائض تؤديها اتجاه البيت الشريف بلغة أيامنا في تلك المجاورة أربعين يوماً أتينا في أثنائها ولله الحمد بعمره مفردة. (وأقمنا) في منزل السيد محمد المرقوم - سلمه الله - مع حجة الأشراف والأحبة (و) في نهار السبت رابع المحرم الحرام افتتاح سنة واحداً وعشرين بعد المائة والألف أحسن الله ختامها وختمنا من القرآن العظيم اتجاه البيت الشريف ثلاثة ختم أهديناهم لوالدينا ولبعض أهاليها ونسأله من فضله القبول وزرنا الأماكن المكرمة والمدافن المعظمة ولله الحمد

وحضرنا ليلة النوروز المبارك وكان ليلة التاسع من المحرم بعد مضي خمسة وخمسين درجة من الغرب وكانت جمعة خير مباركة وفي هذه المدة ترددنا على الشريف المكرم حامي حمى بيت الله الحرام حالا الشريف يحيى أدام الله أيامهم وصار لنا منهم ولله الحمد الإكرام الزائد واجتمعنا بأعيان مكة المشرفة مجعلاً ومفصلاً وبتنا في الحرم الشريف ليلة وكانت ليلة جمعة مباركة وكانت ليلة عبادة ولله الحمد وفي صبيحتها دخلنا داخل البيت العظيم الحرم وسألنا الله المغفرة لنا ولوالدينا ولأولادنا ولإخواننا جميعاً وكانت مجاورتنا نعمة خير ولله الحمد ختمنا فيها ثلاث ختم من القرآن العظيم اتجاه البيع الشريف وفي إقامتنا جميعها ما صلينا فريضة جارة الحرم أصلاً ولله الحمد بل الخمس أوقات نؤديها بأوقاتها في الحرم الشريف ثم بعد تمام المدة المرقومة عزمنا على التوجه لتقبيل أعتاب الرسوم العظيم والنبى الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم صحبة مولانا الشريف المبارك أخو عبد المحسن لأنه كان متوجه إلى زيارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فتوجهنا نهار الثلاثاء إلى الأبطح المزبور ثلاثة عشر يوماً حتى جمعوا فيها دوراً من الأعجام ما مقداره من الذهب السكة أربعين ألف أحمر طرلياً لطف الله بهم ومما نالنا من العوارض في ليلة الحادي وعشرين من الشهر المرقوم أن قمنا من النوم فراينا جميع أسبابنا مسروقة من الخيمة بالاستغراق في النوم ولم يبق لنا إلا ما كان منا في الأعناق وكذلك ولد أختنا السيد حسن ووالدته وبعض أرفاقنا وأتباعنا ونسئيل الله العافية وغالب النحاس ودابتين ملانيتين سمنا. فتوجهنا إلى الشريف واشتكنينا له بكمال التعريف فأرسل من جانبه الكريم من يقص الأثر ويجب الخبر فذهبوا وعادوا وقصوا الخبر واستجادوا فراؤا في الأثر ما كان من بعض مكاتيب وأسباب لا ينتفعون بها كمسد وقلتين وقاووق وبابوج جديد فاتوا بهم وأخبروا حضرة الشريف وأن اللصوص ثلاثة وأنهم من هذيل فمسكوا شيخهم ووضعوه في السجن والحديد فاستقام يومين ولم يظهر لهم أثر فأكثرنا الكلام على حضرة الشريف حتى قد انحصر وأمر بالمحبوس أن يشنق فشنع فيه بعض العمال وأخذوا له مهلة لعله يظهر لهذا الأمر حال ثم ضاق امرنا وعزمنا على السير فعاد حضرة الشريف وحيرنا بين الإقامة والسفر فتخيرنا السفر ووكنا في طلب ذلك جناب مولانا السيد المحترم محمد حيدر بمعرفة حضرة الشريف على يد حضرة عبد القادر أفندي الصديقي المفتي الحنفي بمكة المكرمة وكتبنا له وكالة ودقتر بمفردات الأسباب وختمناه وسلمناه إلى السيد المرقوم وتوجهنا على بركة الله تعالى نهار الاثنين السابع والعشرين من الحرم المرقوم إلى وادي فاطمة على بركة الله تعالى ونسأله العافية وتشوش السيد إسماعيل في أثناء ذلك وعافاه الله تعالى. ثم رأينا هلال صفر بالوادي المرقوم ليلة الجمعة وتوجهنا على المدينة المنورة على الحال فيها أفضل الصلاة وأتم السلام وجئنا ليلة الهلة المرقومة سيلة عظيمة من قبيل المغرب إلى العشاء وكانت ساعة موهلة مانشت أسباب الناس والخيام إلا لثاني يوم وفي هذه الماجرية المرقومة والحالة المذمومة قلت أبياتاً ارتجازاً على طريق المجاز وإن لم تكن شيئاً وإلا اشغال وقت:

ولولا المزعجات من الليالي
لما عرف القطا طيب المناامي
وهي هذه:

الحمد لله الذي لا يــــرام ننهي إليكم بعض ما قد جرى
والشكر لله الذي لا يضام
في آخر الليل بجناح الظلام قد أبرك الله بتلك الخيام
في منزل الأبطح ياسائلي
لما انقضت أيامنا من منى جاورنا فيه كماد قضى
عدنا إلى البيت العتيق الحرام
إلى هنا ميعاد موسى تمام ذاك الرحيب الأشرفي المقام
ثم خرجنا منه للأبطح
بتنا به سبع ليالي مضت وليلة الثامن ياسيدي
ماخلتها إلا كطيب المنام
قد نالنا فيها أشد الملام وخمسة خارجها من قيام
في داخل الخيمة خمس رقود
جاء لصوص لا تروا مثلهم حاروا من الخيمة ما ينبغي
في آخر الليل وكل نيام
حَمَلُ به أسبابنا بالتمام ودبتين السمن تحت الحزام
وبعض أسباب لأرقاقتنا
وفروة فيها النحاس الذي قمنا قبيل الفجر ميعادنا
ندعوه بالمطبخ بين الأنام
شفنا أمورا ماله انتظام قال أخذنا جل من لا ينام
ناديت من قد كان في قربنا
جانا قضاء صائب نافد أخذوا وما أبقوا بلى قد بقى
حل بنا من دون تلك الخيام
بعض أثاث نايد وبعض حطام مع المكاتب وسرخ عظام
مصحفنا المعلوم مع كتبنا
قد صانهم رب الكتاب العظيم لو لم يكن هذا ولا ذا ولا
الواحد الفرد الحفيظ السلام

كنا بقينا يا خليلي تمام مع خلقه لاتدركه الأنام
 لكن لطف الله فيما قضى
 رحنا إلى عبد الكريم الشريف وإلى ابن زيد محسن صنوه
 أقامه الله ليوم القيام
 وزيره القائم له بالمقام فقال سبحان الذي لا ينام
 ثم اشتكين بالذي قد جرى
 دعى بهتان الذي يدعى وقال أرسل من يقص الأثر
 بالفايد الحاكم وقود الزمام
 ولا تهاون تلقى مني الملام حتى أتوا موضع قسم الحطام
 أرسل في الحال فقصوا الأثر
 راوا بعض آثار ونمل جديد عادوا وسألوا للشريف الكلام
 أيضاً وقاووق لابن الكرام
 وعرفوه من هذيل الحرام وحطهم في الحال وسط الظلام
 أرسل قبض ثلاثة شيوخ
 قالوا لنسى من يكون الذي قال خذوا هذا أصلبوه قوام
 سرق ونظر ما ما يكون الكلام
 واثنين أبقوهم ليأتي الكلام شرعاً ولانقلوا ولكن حرام
 فلم نر في الصلب في وجهاً له
 فعاد في الزنجير مستودع مشى الحجج أرفاقنا في الصبام
 ثلاث أيام ورابع تمام
 ولم يسعنا عنهم من قيام قلنا له ما الحال في ذي المقام
 عدنا إلى عبد الكريم الشريف
 فقال أما امكثوا عندنا في الحال ولكن الشريف العزيز
 أووكلو من شئتم في الأنام
 السيد الأمجد ابن الكرام ابن حيدر نال أعلا مقام
 محمد ابن علي الذي يدعى
 ثم كتبنا مضررات الذي في دفتر تاريخه قد أتى
 سرق وسلمناه بين الأنام
 إحدا وعشرين ومايه بعد الألف عام من بعد ذلك تعلموا والسلام
 ثم خرجنا طالبين العوض

ولنرجع إلى ما كنا فيه ثم أننا مع تيسير الله ومشيبته وصلنا المدينة المنورة نهار الأربعاء (و) العشرين من شهر صفر المبارك نزلنا في محل يقال له فوق الحرة بين المدينة وسيدنا حمزة لكن عن المدينة أبعد وإلى سيدنا حمزة أقرب. أقمنا في جواره خمسة أيام وخمس ليال كنا نصلي الصبح وننزل نقبل أعتاب النبي العظيم ونستقيم إلى بعد صلاة العصر ونخرج إلى الخيام وكذلك نفعل في البقيع على الحالين فيه أفضل الصلاة وأتم السلام وكانت أياماً من العمر وبإيها من أيام نسأل الله من فضله وهو أهل ذلك أن يمن علينا بالعود لتقبيل تلك الاعتاب وبالأطراح حول تلك الروضة العظيمة وتلك الأبواب وبرمي الأثقال في ذلك الفنا.

هو الشفيع الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال والخطر
وقد زرنافي مقام السيد حمزة مصعب ابن عمر وعبد الله ابن جحش وشماس ابن عثمان ابن مضعون وفي عصرية الأحد رابع عشرين الشهر المذكور ودعنا النبي العظيم صاحب اللواء المنشور عليه وعلى آل بيته الكرام أفضل الصلاة وأتم السلام وودعنا الصحابة الكرام وأودعنا عندهما العهد الذي تلقى الله تعالى عليه رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم وودعنا جدتنا السيدة الجليلة صاحبة الفضل والفضيلة السيدة فاطمة عليها أفضل الصلاة وأتم السلام ثم خرجنا إلى البقيع وقبلنا أعتاب الأئمة العظام وودعناهم وودعنا عهدنا عندهم وخرجنا من أعتابهم ونسأل الله من فضله العود ثم العود أنه أهل ذلك والقادر عليه وفي الصباح وهو الاثنين المبارك خامس عشرين الشهر المذكور توجهنا على بركة الله اتجاه الحسا نسأل الله العافية والسلامة وكان سيرنا تحت جبل أحد المشهور ولما سرنا كان يسارنا إلى أن أبعدنا عنه وحين كنا في جوار سيدنا حمزة كان قريب إلى منزلنا وهو جبل عظيم له إضاءة ونور وعظم في مقداره وذكرنا لنا أن المسافة من الحسا إلى مكة أتوها الحاج بثمانية عشر يوماً وأن الإياب من مكة إليه يبلغ خمسة وعشرين يوماً فحمدنا الله على ذلك وتوجهنا كما ذكرنا على بركة الله نهار الاثنين المذكور وكان انتهاء السير والوصول إليها نهار الأحد تاسع شهر ربيع الآخر فكان جملة السير إليها ثلاثة وسبعين يوماً ماعدا الإقامة في الأبطح فسحبوا الناس في هذه المدة ماشاء الله من المتاعب وتغير المياه وقلة الذخاير وسئمو من بعضهم للطولة وضيق الذخاير وغير ذلك ولا شبهة إن السفر يسفر عن أخلاق الرجال وكان حمل دارنا رجل مشهدي اسمه عباس وكنا نعرفه أولاً بالاسم ففي هذه المدة اتضح اسماً ورسماً. وقدر ما سحبنا منه من الحمق والجفاء قلت:

عباس أن تعلم أوصافه	فاسمه من بعض أوصافه
كان لنا علم به سابق	نجهل فيه قبح أخلاقه
حتى اتخذناه لنا سائساً	صرنا له من بعض سياسه
لكن وقعنا والفضيح اللبيب	إذا وقع يسكت من ذاته
ونسأل الله تمام الطريق	وقطعه مع قطع عاداته

وكان لنا أرفاق أختيار أعرضنا عن التعرض بذكرهم أما رغبة فيهم أو رغبة عنهم وقلت فيهم:

قد كان لي في الأصدقاء أخلة	علمي بهم وبودهم صدق الوفا
والود فيما بيننا بكتابة	منا ومنهم دائماً بتلطفا
لكن مالي معهم من عشرة	لتبين من أطباعهم ماقد خفا
حتى اصطحبنا معهم في سفرة	قد أسفرت عن ودهم تكلفا
لكنني سايرتهم وسبرتهم	وتركتهم لايعلموا طرق الوفا
عابتهم شان الأكامل بينهم	الهجر أبقى من معاتبة الجفا
فليحترز أهل النهى عن مثلهم	لاخير في ود يكون تكلفا

وفي هذه المسافة مررنا بقفار عظام طوال عراه لايعلمها إلا خالقهم سبحانه وتعالى ومن الجملة محل يقال له سد عنتر لايوصف غير أنه سهلة عظيمة محيط بها جبال عظام والطلوع منها والدخول إلى هذا المحل لايمكن إلا كما يسرب النمل قطار أقطار بين شعاب الجبال إلى أن يلطف الله بعباده ويخرجون على خير.

وفي هذه المسافة مررنا على بلاد نجد فإذا هي بلاد عظيمة رحبية البقاع عظيمة الاتساع طيبة الهوى لطيفة الماء والربا وردنا منها ثلاثة من البلاد الأولى يقال لها نفي. والثانية بعد يومين والثالث دخلنا بلداً يقال لها ثرمدا. والثالثة بعد يومين والثالث دخلنا بلداً اسمها العيينة هي أعظم الثلاث وفيها من الحمض الكبار والنفاس ما لا يوجد مثله إلا في صالحة دمشق الشام وأما المياه فلا تقاس بغيرها طيباً وصفاً وهضماً سألنا عنها فقيل كلها آبار وبعضها مألحة وفي هذه البلاد أرزاق وخيرات كثيرة وقد حصل لنا تشويش مزاج في هذا الطريق مدة ثلاثة وثلاثين يوماً إلى أن وصلنا هذه البلاد وشربنا من مائها وتعطرنا بنسيمها وحللنا رباها بفضل من الله له الحمد علينا بالعافية فلما تحركت الحرارة الغريزية قلت ارتجالاً على طريقة البديهة وكتبت معها كتاباً وأرسلتها إلى الشام:

لقد صرت في نجد فأين التلاقيا	ومن مخبر عني بما أنا لاقيا
وهذي ربا نجد الذي عم ذكرها	وعرف شذاها في الأقاليم راقيا
أنخت بها رحلي وشوقي مشوش	وجسمي تحيل والفؤاد مشاقيا
أقمت بها يوماً ويوماً وأربعاً	فما كان إلا من صباها شفافيا
ذكرت بها قومي وولدي ومعشري	فحرك مني الشوق ما كان خافيا
فما كان لي إلا رسائل أدمع	مع الوجد من نجد إلى من يلاقيا
وحملته مني لقومي تحية	تحل دمشق الشام غربا وشرقيا
وتخبرهم أنني حفيظ لعهدهم	وإن فؤادي عندهم تم باقيا
وقلت له بلغ صبا نجد معشراً	أعزة قوم وجدهم متراقيا
وبالغ إذا بلغت وجد منجد	ولاتنخلج واسلم وذكرك باقيا

لأن حركت مني الغرام بداهة
صبا نجد حركة الغرام وخاطري
صبا نجد سلم لي عليهم وقل لهم
صبا نجد قلبي عندهم قد تركته
وأني صبور ما تشاغلعت عنهم
وقصدي يكونوا في أسر معيشة
وأنظرهم قبل الممات هنيئة
صبا نجد سلم لي على «حسن» الذي
هو الفضل من فضل الإله وصفوه
وأما «محمد الصغير» أخيهما
فقبل هما مني سحير ولا تخف
وبلغهم مني سلاماً مرتباً
وبث لهم وجدي وما قد شهدته
وبالله إن وافيت وادي «بعلبك»
هناك عزيز من أعزه معشر
سمي «خليل» الله «علوان» جده
تسلم عليه مع أخيه وولدهم
وعرفه أني مشوق لذاته
ومن بعد ما حملت بلغ تحية
ففي أي وادي قد حلت فهم به
لحا الله أيام الوداع ونظرتي
ولكن ذكرنا قول من قال قبلنا
«وقد يجمع الله الشيتيتين بعدما

وصيرت شوقي فوق ماهو راقيا
وحطيت بي من دون رهطي مراقيا
مقيم كما قد تعهدون وباقيا
فعرفهم لم يبق لي منه باقيا
بزيد ولا عمر ولا منه لاقيا
مد الدهر أياماً لهم ولياليا
أمتع بهم عيني حين التلاقيا
له في سويد القلب أرقى المراقيا
له في سواد المقلتين مساويا
«علي» و«موسى» بغيتي ومراديا
ولطف وأحذر أن يقوموا بواكيا
وأشرح لهم حالي وكيف اشتياقيا
وأن اشتغالي ذكرهم في دعائيا
فقف لتكن لي بالغرام مساويا
له علم من اسمه متعاليا
ومسكنه جسمي وإن كان نائيا
لهم حالة عليا حال دعائيا
وأني لمن يوليه مادمت واليا
لكل خليل في الأحبة زاكيا
«دمشق» وأقطار لها وأقاصيا
إليهم ويندي الدمع ما كان خافيا
مقال اعتبار في الحقيقة راقيا
يظنان كل الظن ألا تلاقيا»

وقد كان مدة تشویشننا (كما أسلفت) تزيد عن ثلاثين يوماً والحمد لله على العافية ومما نالنا من العوارض بعدما من الله علينا بالعافية من التشویش المرقوم (ب) يومين اثنين فقط ففي اليوم الثالث صرنا في أرض يقال لها الضواحي كناية من وديان من الرمل فعارض جمل شارد لجمالنا على حين غفلة على أعلى شفير الوادي فقطع خطام جمالنا وألقانا وأياها مع التنبيلت فما هدأنا إلا سفلى الوادي ولكن الله سلم ولم نفق إلا ونحن على الأرض لانعلم ما حصل علينا ولم نستطع النهوض فاطف اللطيف بنا وركبنا بمحمل معنا إلى أن وصلنا إلى القناق فرأينا أطرافنا بخير وله الحمد غير أن عروق فخذنا اليسار صار لهم تضعضع وتعقد فاستقمنا بعد

ذلك أربعة أيام مجدين السير بلا يأس إلى أن وصلنا في اليوم الخامس الحسا فإذا هي بلدة عظيمة البناء واسعة الرحاب كثيرة المياه تشتمل على عيون جارية وأبار معينة ومساجد وعلماء وصلحاء ورعاية الجميع سمت العرب محصولها النخيل وجل غالها التمر مع الرخص أقمنا بها خمسة وعشرين يوماً نعلل رجلنا وسألنا عن مجبر صادق فدلونا على رجل يقال له حجي ابن شهيون من قرية من قراها يقال لها الهشة خارج البلد بخمس فراسخ أرسلنا إليه فجاء وبأشر خدمتنا وتعليلنا الأيام المذكورة جزاه الله خيراً وكان من أخواننا الموفقين وما خرجنا منها إلا نمشي وله الحمد وأما ماكان من وصف هذه الحسا فمواشيهم جميعاً الإبل والبقر والحمير مع أهاليها أكلهم التمر غير أن البقر يحلون لهم التمر بالماء ويسقوهم إياه والنوا يغلوا عليه في الماء حتى يلين ويجعلوه لهم علفاً وأما البيذنجان فخلقه لطيفة شريفة كبير يباع بالعدد وأما القثا فطويل سبط معوج يزيد طول كل واحدة عن الذراع وخيراتها كثيرة لأهلها أصلح الله حالهم ويذكروا أن نصف أهلها شيعة ونصفها سنة ومتحدين إتحاد الأهل من غير عناد وكذلك قراها وكافلها وواليتها وحاميتها يقال له الشيخ سعدون من عرب خالد ووزيره شيعي يقال له الشيخ ناصر وأنه من أولاد مروان ابن الحكم كما أخبرنا واجتمعنا ببعض أهل البلد من الفريقين وكل منهما راض عن الآخر^(١)... وسألنا عن نخيلها وأن إذا غرس كرم نخيل كم سنة حتى يطعم فقالوا خمس أو ست سنين وفي العاشرة يكون كمل حمله وسياقه ويزرعون تحته القث وهو القصد لأجل الماء والسقاية في كل أسبوع والنخيل والتمر الذي فيها لا يوصف.

وذكروا لنا أن اسمها هجر بفتح الجيم وهي الذي ضرب بها المثل كمهدي التمر إلى هجر وإنما سميت الحسا لحساء الماء فيها وتخلله في أراضيها ويقوم فيها سوق عظيم في نهار كل خميس وتأتيه أهل القرى من سائر الأطراف ويبيع فيه من سائر الأشياء وقال لي بعض العلماء من تلك الديار أن هجر اسم يطلق على البحرين والحويزة والحسا هذه الثلاثة. وقد اجتمعنا فيها برجل سيد يقال له السيد عبد الله ابن السيد علي المشهدي ذكر لي أن أصلهم مشاهده وصاروا من أهالي الحسا من مدة مديدة وله همة عالية في قضاء حوائج الإخوان جزاه الله خيراً وتقيد في مصالحننا وله بعض (جهود) علمية يسر الله أمره واجتمعنا في رجل من أجلاء الإخوان يقال له الشيخ أحمد ابن حمي من أفاضل العلماء قائم بأعباء مصالح أخوانه جزاه الله خيراً ثم خرجنا مع تيسير الله تعالى اتجاه النجف الأشرف نهار الجمعة بعد العصر وهو الرابع من شهر جماد الأول فكان إقامتنا برحابها كما ذكرنا خمسة وعشرين يوماً بدار خارج البلد في محله يقال له البرانية ومن لفاظهم المجمعين عليها أن يسمو باب المدينة الدروازة وداخل البلد الكوت (فيقولون) خرج فلان من الكوت دخل فلان إلى

(١) بعد هذه الكلمة اثنا عشر سطراً ونصف السطر، حذفها محقق مخطوطة رحلة مرتضى بن علوان وقد أشار لذلك ص ٩٨ هامش (٤) من طبعته.

الكوت، والنار يسمونها ضو بجميع أصنافها كثيرها وقليلها وإذا سألوا من بعضهم يقول يافلان يافلانة عندكم ضو ثم من نهار خروجنا الى مضي خمسة عشر يوما دخلنا بلدا يقال لها الكويت بالتصغير (وهي) بل لا باس بها تشابه الحسا إلا أنها دونها ولكن بعمارتها وأبراجها تشابهها وكان معنا حجاج من أهل البصرة نشرق عنا من هناك على درب يقال له الجهراء ومن الكويت الى البصرة أربعة أيام وفي المركب (البحري) يوما واحدا لأن ميناء البحر على كتف الكويت وأما الفاكية والبطيخ وغير ذلك من اللوازم يأتي من البصرة في كل يوم في المركب لأنها اسكلة البحر أقمنا بها يوما وليلتين وتوجهنا على بركة الله اتجاه النجف الأشرف نهار الأحد عشري الشهر المذكور وهذه الكويت المذكورة اسمها القرين ومشينا قبل وصولنا إليها على كنار البحر ثلاثة أيام والمراكب مسائرتنا والميناء على حدود البلدة من غير فاصلة وهذه البلدة يأتيها سائر الحبوب من ابجر حنطة وغيرها لأن أرضها لاتقبل الزراعة حتى مافينا شيء من النخيل ولاغير شجر أصلا وأسعارها أرخص من الحسا لكثرة الدفع من البصرة وغيرها ورأينا هلال جمادى الثاني ليلة الخميس قبل وصولنا النجف الأشرف بستة أيام ثم بعد ذلك من الله علينا بالتوفيق والعناية ودخلنا النجف الأشرف ضحوة نهار الثلاثة المبارك سادس الشهر المذكور ولله الحمد يالها من نعمة بها كمال الدين وتمام النعمة ونسأله من فضله عز وجل إن يمن علينا بالوصول إلى تقبيل أعتاب أولاده والائمة العظام عليه وعليهم أفضل الصلاة وآتم السلام وكان إقامتنا في جواره وتقبلنا في أعتابه اثني عشر يوما وماهي أيام ولا هي ليال ولكن أيام الحيو التي تدوي والحمد لله رب العالمين دخلنا تحت تلك القبة البيضاء وقبلنا تلك الأعتاب وزرنا عنا وعن والدينا ووالد والدينا وولدنا وولدهم من ينسب إلينا ويؤول علينا ونسأله من فضله القبول بجاء الرسول ثم زرنا عن من قلدنا الزيارة جملة وتفصيلا وتوجهنا في ذلك الأيام مع جملة من الاخوان إلى مسجد كوفان وكان نهار الجمعة المبارك ١١ الشهر المذكور وحمدنا الله تعالى حمد عبد شكور ودعونا سبحانه وتعالى لنا ولساير الإخوان ونسأله من فضله القبول استوفينا أماكننا وزيارتها وله الحمد وقد زرنا في جوار المشهد المقدس النجفي مدفن الشيخ الفاضل العلامة الشيخ جمال الدين بن مطهر والشيخ الفاضل العالم العامل صاحب التاليف الشيخ أبي جعفر الطوسي رحمهما الله تعالى واجتمعنا مع بعض علماء المشهد المعظم بمجالسهم ومدارسهم منهم الفاضل العالم العامل الملا الشريف أبو الحسن خال المولى السيد الأجل الفاضل السيد محمد صالح شيخ الإسلام وكان يقرى درسا عاما في (موضوع) من لايحضره الفقيه وحوله قرب العشرين من أفاضل الطلبة وذلك في داره في محل الدرس وقد كلفنا بعض الأفاضل إلى أماكنهم بارك الله فيهم جميعا وقد أقام في خدمتنا مدة إقامتنا في النجف الأشرف الرجل

الصالح والأخ الفالح الحاج محمد ابن المرحوم الحاج شرف الدين تويج بارك الله فيه وجزاه عنا خيراً وأخذ لنا سكناً في جواره وكان لا ينفك عنا ليلاً ولا نهاراً وفي خدمتنا سرّاً وجهاراً وطهر أولاده ونحن عندهم أقر الله عينه بهم قاسم وزين العابدين ودعونا الله له أن يزوجهم ويرى أولادهما بمنه وكرمه ثم دعنا أمير المؤمنين وتوجهنا لتقبيل أعتاب ولده الإمام الحسين ونحن بالتوفيق والعناية والأمن مؤتمنين وذلك نهار السبت سابع عشر الشهر المرقوم وجعلنا دربنا على الحلة الفيحاء وبتنا ليلتين ودخلنا بعض حماماتها وزرنا أماكنها المشرفة وخرجنا منها نهار الاثنين عصرته فدخلنا إلى أعتاب الإمام الجليل أبي عبد الله الحسين صبح الثلاثاء عشري الشهر المشكور ولله الحمد والحمد لله رب العالمين على كمال إنعامه ونزلنا في جواره بمحل قريب جداً لباب الحرم يُعرف ببيت الخطيب وأقمنا في جواره مجاورين وفي أعتابه متقبلين ثلاثة عشر يوماً وزرنا عنا وعن والدينا وولدنا ومن ينسب إلينا ومن قلدنا ذلك من أخواننا وفي أثناء هذه الأيام المباركة حضرنا هلة الشهر المعظم رجب من شهور سنة ١١٢١ هـ وكانت ليلة الجمعة المعظمة الغراء وصار جمع عظيم من سائر الأطراف حتى أتى والي بغداد وحرمه وجنده وكانت ليلة كليلة منى ويوم كيوم غرفة وأقمنا بأرغد عيش وتصاحبنا وتعاشرنا مع زمرة من السادات وغيرهم المجاورين لذلك العظم والمشهد الكريم يسر الله أمرهم أجمعين ثم ودعنا تلك الأعتاب معضرين جباهنا بالتراب وقصدنا زيارة الإمامين المعظمين أئمتنا الكاظمين عليهما الصلاة والسلام وتوجهنا إلى بغداد دار السلام بالسلام وذلك نهار الاثنين رابع شهر رجب المبارك والله الموفق والميسر بتنا على شط الفرات في قرية يقال لها المسيب بعد أن قطعنا الفرات ثم قمنا من ذلك المحل نصف الليل. صلينا الصبح في محل يقال له بير النصف وسرنا على بركة الله إلى ضحوة النهار (حيث) وصلنا إلى خان يقال له خان زادة ومقابلة قرية باسمه وأخبرنا سكان ذلك المحل أن هذا الخان كان مقطع وملفى للأعراب من الأعراب قطاع الطريق. ففي أيام حضرة الوزير المكرم حسن باشا والي بغداد حالاً أدام الله أيامه مهد الطرقات وأمن السبلات وطفر الأعراب وعمر هذا المحل وغيره وكان يوم تاريخه شارع في عمارة جسر على الفرات لتقطع المارة عليه عوضاً السفن واستقمنا في ذلك الخان إلى أن صلينا الظهرين وتوجهنا على بركة الله تعالى ودخلنا دار السلام بغداد آخر نهار الأربعاء قبل الغروب ونزلنا عند الأخ الصالح حامي الحرمين الشريفين الحاج زين العابدين النعلبنة جزاه الله خيراً وقد أرسل ولديه فلاقونا في الطريق وأقمنا في بغداد ثمانية أيام في إعزاز وإكرام زرنا فيها الإمامين العظميين الإمام موسى الكاظم. والإمام الجليل محمد الجواد عليهما أفضل الصلاة وأتم السلام وكان ذلك نهار الخميس وليلة الجمعة ويومها نزلنا عند رجال من جيران الإمامين المعظمين يقال لهم الحاج حاكم وحاتم

وهاشم جزاه الله خيراً وزرنا ولديه الاعظمين مولانا السيد الجليل جدنا ابراهيم المرتضى وأخيه السيد الجليل اسماعيل في جواره داخل دار الحرم عليها سلام الله ورضوانه وبالله من حضرة عظيمة ورحم الله من عمر، ودرنا في أسواق بغداد ودخلنا بعض حماماتها وزرنا سلطان الأولياء حضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني والإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين وزرنا الأولياء المدفونين في أطرافها والصالحين المجاورين بأكنافها وتسوقنا ما احتجنا من جوخ وكسرة وخلطنا أسباب كثيرة وأقام بخدمتنا الحاج زين العابدين المذكور جعل الله سعيه مشكور طول إقامتنا وبعد ذلك توجهنا إلى زيارة الكاظمين عليهما أفضل الصلاة والسلام وخرجنا من بغداد نهار الثلاثاء ثاني عشر شهر رجب المبارك وهي زيارة ثانية ووداع ونسأل الله العود ثم العود إلى تلك الرحاب المعظمة والبقاع المكرمة زرناها وودعناها واستقمنا إلى عصرية الأربعة ونزلنا في السفينة وقطعنا على طريق المعظم أبي حنيفة النعمان زرناه ثانياً وبتنا على طريق الشط ومعنا من الأصحاب والأحباب جماعة أعزاء شيعونا سلمهم الله تعالى وتوجهنا إلى سر من رأ وصلنا إلى قرية يقال لها القاطاني بلد أهلها لنا إخواناً بتنا فيها وودعنا أسبابنا وأمتعنا عند أخيار أهلها وتوجهنا منها لتقبيل أعتاب الإمامين العظميين العسكريين الإمام علي الهادي والإمام الحسن العسكري عليهما سلام الله ورحمته ورضوانه فزرنا ولله الحمد وانحظينا غاية الحظ ودرنا في دمنها ورحابها وتفرجنا على جامعها العظيم المبني برسم بني العباس الذي ما بقي منه إلا رسمه وفيه آثار منارة عظيمة كان المؤذن إذا صعد أعلاها ليؤذن درجها خارج بدننها فيكون المؤذن يصعد ويدور في الدرج وهي على يساره إلى أن يصل إلى أعلاها وعلى غير جهات فيها وهي الأصل بلد كبيرة جداً وصارت الآن في غاية الخراب وأما أهلها لطف الله هم فقراء دنيا وأخرى واستوعبنا الزيارات الذي هناك الإمامين العسكريين ونرجس أم الإمام الحجة المنتظر وحليمة أخته ومحل مولد المهدي عليه السلام ونزلنا السرداب وهو محل الغيبة وودعناهم كما زرناهم عليهم سلام الله وانتهت زيارتنا عصرية الأحد ومشينا تلك الليلة فطلعت لنا الشمس صبح نهار الاثنين في المحل الذي خرجنا منه وهو القاطاني المذكور أولاً والمودوع فيه أمتعنا فأقمنا تمة ذلك النهار وأخذنا أمتعنا وودعنا من كل معنا من رفقتنا وتوجهنا على بركة الله مستعينين بحوله وقوته إلى تقبيل أعتاب الإمام الأعظم الضامن الثامن علي بن موسى الرضى ليلة الثلاثاء المسفر صباحها من تاسع عشر الشهر المعظم رجب المرقوم وكان قناقنا إلى قرية يقال لها يعقوبا ونسأل الله تمام المقصد والسلامة والحمد لله وحده وكان مدة هذا السير من ٢٦ شوال ١١٢٠ هـ إلى ١٩ رجب ١١٢١ هـ فيكون عشرة أشهر وتمة الزيارة كان والعودة إلى مطلع صفر ١١٢١ هـ والحمد لله رب العالمين.

فصول من كتاب تاريخ الإمامية في البلاد الشامية

تأليف: محمد سعيد الطريحي

تاريخ آل صندوق وتراجم أعلامهم

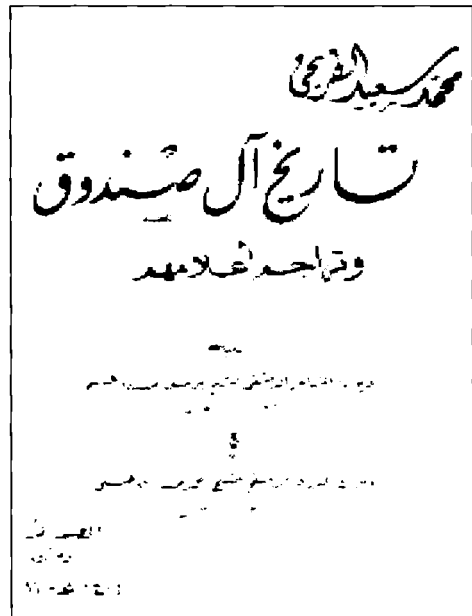
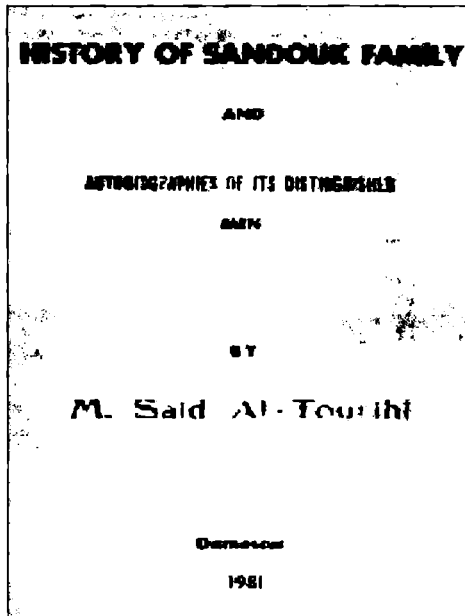
تنتسب أسرة «آل صندوق» الدمشقية إلى سيد الشهداء وسبط المصطفى (ص) الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، بسلسلة ذهبية من أجدادها، وكانت تعرف بآل مسلم ثم عُرِفَتْ بهذا اللقب نسبة إلى جدّها الأعلى العارف بالله، المغفور له السيد محمد بن مساعد الملقب بالصندوق، وقد عُرِفَ بهذا اللقب لغزارة علمه، ولقبه بذلك العلامة الأجل السيد فخر الدين الموسوي، وذلك عندما سافر بمصر فاجتاز بدمشق واجتمع بالسيد محمد بن مساعد وذلك سنة ٨٢١هـ فحاض معه في عدة مسائل من فنون العلم فعجب السيد فخر الدين من غزارة علم السيد محمد بن مساعد وجامعيّته وأحاطته لفنون العلم والأدب وإطلاعه على أسرار العرفاء وأهل الولاية مع شدة التقية يومئذ في بلاد الشام فقال السيد فخر الدين له ذات يوم في أثناء المذاكرة:

«أنت صندوق السر» ودفع إليه رقعة مكتوب فيها هذه الأبيات:

وعندي ألف من براهين جعفر	وألف حديث مسند وقوي
رواها ثقة المسلمين كأحمد	ووطنها من قبله الأصبحي
وآيات قرآن رواها ابن شافع	تدل على أن الإمام علي
فاودعتها (الصندوق من آل مسلم)	فصندوقهم بالمكرات ملي
أمام همam طيب النفس راشد	تقي نقي بالعلوم روي

ثم توجه السيد فخر الدين إلى مصر وتوفي بها في نفس السنة التي التقى فيها بصاحبه السيد محمد الصندوق وهي سنة ٨٢١هـ على ما ذكره صاحب تاريخ (عبر أهل السلوك في تداول الدنيا بين الملوك).

وأما السيد الصندوق فقد توفي سنة ٨٣٨هـ، وفي كتاب (مناهل الضرب في أنساب العرب) للسيد جعفر الأعرجي المتوفى سنة ١٣١٣. أن السيد محمد بن مساعد الصندوق أعقب من رجلين هما: السيد ناصر، والسيد مساعد، فأما ناصر فله عقب من ابنه محي الدين وعقبه



غلاف الطبعة الأولى من كتاب آل صندوق سنة ١٩٨١



اجتماع لعائلة آل صندوق عام ١٩٥٤ - دمشق

بدمشق، والسيد مساعد أعقب من ولده الشريف محمد، والسيد محمد من ولده أبي الحسن علي وعقب أبي الحسن من رجلين صالح وعبد الحليم وعقبهما منتشر بدمشق»^(١).
وأما سلسلة نسبه فهي كما يلي:

السيد محمد الصندوق بن السيد مساعد بن أحمد شمس الدين بن نجم الدين مكّي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن أيوب بن الحسين ابن الشريف محمد بن جمال الدين بن علي بن جمال الدين بن مسلم ابن أبي عبد الله أحمد بن أبي العلي مسلم الأحوال كبش بني عبيد الله بدمشق ابن الأمير أبي علي محمد أمير الحاج بن الأمير أبي الحسين محمد الأشتر^(٢) بن عبيد الله الثالث بن أبي الحسن علي بن عبيد الله الثاني بن علي الصالح بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن سيد الساجدين وزين العابدين الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وهذا النسب الشريف من الأنساب الصحيحة المتلقاة بالقبول ولا سبيل إلى الطعن فيه وممن صرح بصحته ووثاقته من العلماء الأخيار والنقباء الأبرار، القاضي أحمد بن مانع بن علي بن إسماعيل الأربلي وكان معاصراً لشيخ الإسلام سيف الدين محمد بن قطب الدين يحيى بن محمد بن سعد الدين بن مسعود التفتازاني ومات في عام واحد سنة ٩١٠ هـ، ومنهم: السيد الجليل نقيب صفد شرف الدين بن الحسين بن علي بن محمد بن إبراهيم المنتهي نسبه للشهيد زيد بن زين العابدين علي بن الحسين (ع). والسيد عبد الله بن عجلان النقيب بدمشق. ورأيت تواقعهم وتواقيع العشرات أمثالهم على الشجرة الأصلية المخطوطة لآل صندوق وممن شهد بصحتها من علمائنا المعاصرين، الإمام المرزا حسين النائيني، والإمام السيد محسن الحكيم والإمام السيد حسين آل مكّي، والسيد جعفر الأعرجي النسابة، والسيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني، والشيخ أحمد كاشف الغطاء النجفي، والنسابة السيد عبد الرزاق كمونة واضرابهم من العلماء.^(٣)

(١) مناهل الضرب مخطوط بمكتبة الشيخ آغا بزرك الطهراني صاحب الذريعة: في النجف الأشرف.

(٢) لقب بالمشطب والأشتر لضربة كانت في وجهه ضربه إياها غلام الزيدي وهو الذي مدحه أبو الطيب المتنبي بالقصيدة

التي مطلعها: أهلاً بدار سبائك أغيدها أبعد ما بان عنك خردّها
ومنها يذكر الضربة التي في وجهه:

يا ليت بي ضربة أتبع لها كما أتيت له مُحَمَّدُها
أثر فيها وفي الحديد وما أثر في وجهه مُهَنَّدُها
فاغتطبت إذ رأت تزئنها بمثله والجراح تُحَسِّنُها
وأيقن الناس أن زراعها بالمكر في قلبه سيَحْصِدُها

انظر العرف الطيب لناصر اليازجي/٣ فما بعدها.

(٣) ما تزال الشجرة القديمة مخطوطة محفوظة، أخرجها الوجه السيد أبو صبحي محمد علي صندوق، وهناك مشجرة ثالثة أوسع منها حبرها السيد الجليل الراحل الحاج محمد حسني صندوق وهي مخطوطة أيضاً.

ولأسرة آل صندوق عدة أفخاذ منها الفخذ المعروف بنفس الاسم في (ببيلال) الموضع المشهور بطريق الست زينب (ع) وهم الآن من أهل السنة، وفخذ آخر في العراق^(١) توطنه منذ أكثر من قرن ونصف ويعرفون فيه بنفس الاسم أيضاً ومنهم في النجف وكربلاء وبغداد عدة عائلات، وفخذ في الأردن يعرف (بآل السفرجلاني) وعلاقتهم بهم مقطوعة تقريباً.

وإذا كنا قد استعرضنا نسب الأسرة وتاريخها فيجدر بنا الآن أن نذكر بمشاهير رجالها من أعلام الأدب والفكر وهذا ما وقفنا عليه من تراجمهم وآثارهم.

(١): الشيخ^(٢) داود بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمد بن حسين بن عبد الحليم بن أبي الحسن علي بن السيد محمد الملقب بالصندوق، الحسيني، الدمشقي.

كان من أهل الفضل والتدين والورع، يشتغل بصناعة الحرير معروفاً بالصلاح شاعراً فاضلاً كاملاً، توفي حوالي سنة ١٩٠٨م وأعقب السيد محمد سليم وهو ولده الوحيد وأعقب السيد محمد سليم السيد شفيق والسيد محمد والسيد حيدر.

وقد ضاع أكثر شعره ولم يبق منه إلا النزر القليل وجدته في مجموعة خطية للخطيب الدمشقي المرحوم الشيخ صادق الخياط.^(٣)

ومن شعره راثيا الإمام أبي عبد الله الحسني الشهيد(ع):

خليلي ما بال المحبة والنوى	رديفين في الأحشاء قد أسعر الجوى
بيت فؤاد الصب مضمئ مؤلهاً	ويصبح ملدوع الحشا فاقد القوى
يزيد جوى في كل يوم وليلة	وسقماً له من دمع أجفانه دوا
شربت النوى صاباً فلما علمته	مصاباً على جمر الغضا قلبي أنشوى
أيا منزل الأحباب أصبحت بلقعاً	خلاء على أطلالك الذنب قد عوى
أيا منزل الأحباب جادتك أدمع	من الصب أن لم تسمح السحب بالروا
(وقد لامني اللاحون في سفح أدمع	بعثت بها حمراً إلى أرض نينوى
نقلت لهم كفوا الملام فإنما	بها ابن رسول الله عن سرجه هوى
ولم يسق من ماء الفرات وإنما	شبا الصارم الهندي من دمه ارتوى
عجبت لأسرافيل لم يهو نافخاً	إلى الصور لما الشمر من فوقه استوى ^(٤)

(١) ممن هاجر إلى بغداد السيد محمد سليم بن إبراهيم بن أحمد بن ابن حسن بن حسين بن عبد الحليم بن علي بن محمد الصندوق، وله عقب فيها.

(٢) المتعارف في الشام أن تطلق كلمة (الشيخ) على ذوي العلم والفضيلة حتى وإن كان منتسباً لرسول الله (ص) على عكس العادة في العراق حيث تبقى كلمة السيد ملازمة للمتتبعين إلى الرسول (ص) سواء كان من أهل العلم أو لم يكن.

(٣) أعارني إياها الحاج أبو ياسر حسن الخياط، من رجالات حي الأمين الأبرار الأخيار ومن المعروفين بالورع والتقوى بالإضافة إلى شاعريته المفعمة بمحبة أهل البيت (ع).

(٤) الأبيات الأربعة لأخيه الشيخ يوسف صندوق.

عجبت لجبرائيل ما انقضَّ صائحاً
عجبت لميكايل لم يغد طاوياً
وقال مشطراً، والأصل للإمام الشافعي:
(يا آل بيت رسول الله حبكم)
وفي الغدير أتى نص الولاء لكم
(يكفيكموا من عظيم الفخر أنكم)
وفي الصلاة أتى من بعد جدكم
وقال مادحاً الإمام علي، والسيدة رقية، وبآخر القصيدة تاريخ تجديد مقامها المعروف
بمحلة العمارة بدمشق:

(لُذْ في رقية سر الله كعبته
وزر حماها فللزوار أن دخلوا
وهو الإمام علي خير منتجب
قد شاد للدين ركناً لا انهدام له
هذا هو النور نور الله أظهره
يلوح من حضرة قد قدست وسمت
مغنى لدرة قدس من بني مضر
من معشر باهت الأرض السماء بهم
هم آل بيت رسول الله من بهم
نشرت من أدمعي ذراً بمأتمهم
صلّى عليهم إله العرش ما غريت
مقامهم في العلى نادى مؤرخه
وله عليه الرحمة والرضوان مادحاً صاحب الزمان (عجل الله فرجه):

أعلامه السود إعلام بسؤدده
يحيي الشريعة من بعد الدثور كما
فالحضر يخدمه، عيس يقدمه
وأن دهاني مالا أستطيع له
وأن تمل بي آثامي إلى درك
أن قلت مدحة من هائم وردت
ونور طلعت كالشمس بالأسد
يحيي له الله أمواتاً بلا فند
وقت الصلاة بأمر البارئ الصمد
عني دفاعاً فأنتم في الوري عددي
من الشقاء فقد أعدتكم سندی
يا برد هذا الذي قلت على كبدي

(١) هذا البيت والذي قبله لأخيه الشيخ يوسف.

(٢) الشيخ يوسف بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمد بن حسين بن عبد الحليم بن أبي الحسن علي بن السيد محمد الصندوق، الحسيني الدمشقي.

ولد بدمشق نحو سنة ١٨٦٦م، أديب، وفقه، وشاعر، لازم شقيقه الشيخ داود صندوق (المتقدم ذكره) وأخذ عنه مقدمات العلوم وكان يشتغل معه في صناعة الحرير في ما يسمى آنذاك (بالتسداية اليدوية) التي كان ماهراً فيها إلى حد كبير. وبعد وفاة شقيقه لازم العلامة السيد محسن الأمين العاملي واستفاد منه كثيراً واتصل بالعديد من شخصيات الشام وأعلامها، وكان رحمه الله متفانياً في حب أهل البيت عليهم السلام، لهج اللسان بذكر فضائلهم ومناقبهم قوى الحجة والبيان في ذلك وهذه السمة واضحة في شعره الذي جاء أكثره في مدحهم وراثتهم عليهم السلام، وهو يجري في شعره على طريقة الماضين كاستهلال المديح بالنسيب والتشبيب، والاتجاه إلى نظم التشطيرات والتخميسات والتواريخ وأحياناً نظم القصائد على حروف أبجد إلى غير ذلك مما هو معروف متداول في عصره.

وله في الفخر والحماسة مقطوعات تدل على إباءه وغيرته على قومه وافتخاره بهم ولا عجب فهو من الدوحة العلوية الطاهرة وهو ابن بجدها وتحدر منها، فمن ذلك قوله:

جوادى من الجرد العتاق الضوامر	وسيفي من البيض الرقاق البواتر
وقمصي منيعات الدلاص سوابغ	ورمحي من السمر اللدان الشواجر
عفوت عن الأعداء لاعفو عاجز	عن الضرب في الهامات بل عفو قادر
فرمحي سوى هاماتهم غير ناظم	وسيفي سوى هاماتهم غير ناشر

وهو يعتقد أن الشعر يجب أن يكون وسيلة للإرشاد والتوجيه والنصيحة لا غاية لابتزاز الأموال والتقرب من السلطان والإسفاف المبتذل فهو يقول:

إذا شئت نظم الشعر فاجعل بما به	موازين أعمال المئين ترجح
فما بالمجيددين الذين شقوا وأن	أتو بعظيم المعجزات وأفصحوا
ولكن أجاد الفائزون بنظمهم	وأن كان لا شيء يُعد ويقبح

وشاعرنا الذي تقلبت حياته من فاقة إلى غنى ومن غنى إلى فاقة تراه قنوعاً بما كتب الله له غير مكترث بطوارق الحدثان ولم يذم كما ذم أكثر الشعراء الزمان فاسمعه منشداً:

ألا لا اليوم الزمان إذا	أراني من بعد صفو كندر
فيوم علينا ويوم لنا	ويوم نساء ويوم نسر

ويحمل شاعرنا عاطفة مشبوبة ذات رقة وخيال تشهد على ذلك قصائده الغزلية ويتضح جلياً في أماديحه ومرثياته لمحبيه ومعارفه.

وعلى ما يظهر أن الشاعر الشيخ يوسف صندوق لم يعتني بشعره ولم يجمعه ولهذا فقد ضاع أكثره وأما ما جمعناه وأخرجناه فالفضل يعود في ذلك إلى تلميذ الشاعر الأديب الخطاط

الشيخ صادق بن الحاج محمد الخياط^(١) حيث وجدنا أكثر قصائده في كتابه الموسوم «عرائس الأفكار»، وهو ما زال مخطوطاً وقد ابتدأ فيه مؤلفه الخياط يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول ١٣٢٧ هـ ويضم مجموعة مختارة من القصائد في مدح ورثاء أهل البيت (ع) مع نخبة من الأشعار الحكمية والموعظة وغيرها وفي أوله تقرير لشاعرنا الشيخ يوسف يقول فيه:

هذا كتاب عرائس الأفكار في مدح سادات الوري الأبرار
الصادق الخياط) راقمه فلا زالت مآثره مدى الإعصار

وعثرنا على قصائد أخرى له في مجاميع أخرى مخطوطة وجمعناها إلى بعضها البعض فكونت ديوانه الذي تراه قبل المجموعة الشعرية للشيخ أحمد صندوق. وكانت وفاة شاعرنا الشيخ يوسف سنة ١٩١٦ وقد أعقب - رحمه الله - من الأولاد: السيد إبراهيم والسيد عارف، والسيد حسين.

(٣): الشيخ محمد علي أبو حسن بن علي بن إبراهيم بن إسماعيل بن حسين بن عبد الحليم بن علي بن محمد الصندوق، الحسيني، الدمشقي فقيه وخطيب، له إطلاع في علوم الدين وتفسير الكتاب المبين، وفقه شريعة سيد المرسلين. قابلته مرات ومرات فلم أعرف عنه إلا خيراً وحضرت بعض محاضراته فلم ازد منّا إلا علماً ومعرفة وهو على كبر سنه حفي بشباب الحي يوجههم ويلقي بينهم كلمات الوعظ والإرشاد، ويقصده بعض الناس لحل مشاكلهم الاجتماعية، ويتناوب هو والشيخ الفاضل الجليل علي الجمال على إمامة الناس في جامع الزهراء بحي الأمين وما أكثر ما سمعت خطبه البليغة في الجماعات وفقه الله ومدّ في عمره. ولجناب الشيخ ولدان هما: السيد أمير وقد توفي في ريعان الشباب، والأستاذ محمد حسن الذي يُكنى به.

وولادته في حي الأمين بدمشق في ١ ذي الحجة ١٣١٩ هـ وتعلم في الكتاتيب في صغره على الحاج درويش صندوق جده لأمه وتعلم الخط على السيد رضا شاكراً وتفنن قراءة القرآن وعمره تسع سنين. ولما أسس السيد محسن الأمين (رض) المدرسة العلوية دخلها ودرس فيها على أساتذتها ومنهم: السيد الأمين، والسيد عبد الوهاب بيضون والسيد صالح آل مرتضى الحنفي وعلي أفندي والشيخ كامل الأبوني وغيرهم ومن أقرانه في الدراسة: الشيخ أحمد صندوق، والشيخ توفيق الروماني والسيد علي بيضون (القاضي) والسيد محمد علي علّيا قاضي بعلبك. ثم أنه تخرج من المدرسة متوجّهاً للدراسة الخاصة علي يد العلامة الأمين وفي نفس الوقت كان يعمل في الأعمال الحرة فعمل في الطباعة والتجارة مدة طويلة كما أنتدب للتدريس في المدرسة المحسنية مدة (١٥) سنة، وموجّهاً دينياً في حي الجورة من قبل العلامة الأمين ووزارة الأوقاف ويقوم الجماعة في جامع زاوية الشيخ رسلان منذ (٤٠) سنة.

(١) راجع مجلة الموسم، العدد الخامس الصادر سنة ١٩٩٠ وفيه ملف عن الشيخ صادق الخياط وكراسة من خطوطه الرائعة التي تنشر لأول مرة

وأراني مجاميع عديدة نمقتها بخطه الجميل وهي من جمعه ونثره وشعره، واستعرت بعضها منه أياماً ولما أرجعتها له سألته عن سر تعلقه بالأدب وغلبة الطابع الأدبي عليها فأجابني (أنني أعشق الأدب كما أعشق الدين) ولم يطبع من هذه المجاميع إلا مجموع صغير أسماه (مواظ وذكرى) يحتوى على بعض الخطب الدينية وهذه نماذج من شعره وقفت عليها أثناء مراجعتي لمجاميعه المخطوطة ومن ذلك قوله:

يا عدتي في كريتي	وصاحبي في شدتي
أنت ولي نعمتي	وعمدتي في حاجتي
أرحم الهي وحدتي	ووحشتي في حفرتي
ولقني عند لقاء الـ	ملكين حجتني
وقد أتيت تائباً	فأقبل إلهي توبتي
ظنني أن تغفر لي	ذنبي فحقق ظنني
أدعوك راجياً وخا	ئفا فأمن روعتي
وأعطني سؤلي في الـ	دنيا وفي آخرتي
واغفر خطاياي التي	عملتها في خلوتي
وأن تعاملني بما	عملت طالت حسرتي
وأن ذنوبي عظمت	واستوجبت عقوبتي
فأنت عدل بالقضا	فادفع الهي بالتي
لمن ذخرت العفو إن	لم تعف عن جريرتي
وأنت وحدك الذي	في يده ناصيتي
فكن إلهي مرشدي	في غدوتي وروحتي
وليس لي من ناصر	ينظر في قضيتي
غيرك يا مولاي فار	حم ذلتني وفاقتي
وأنت عالم بما	أخفيه في سريرتي
فإن رحمت سيدي	فذاك أقصى منيتي

وقال:

يا رب ذنبي عظيم	وليس غيرك يغفر
وأن قلبي كسير	وليس غيرك يجبر
وأن عيبي كثير	وليس غيرك يستر
ولست يا رب ممن	بنعمة لك يكفر
وأنتي يا إلهي	ممن فضلك يشكر

وقال:

أرجو من الله الكريم	زيارة البيت الحرام
---------------------	--------------------

وأقوم بالشكوى إليه
وأقول يا من يُرتجى
أنا عبدك الجاني وأنت
لمنْ أذخرت العفو يا
إذ قلت: ادعوا استجب
أنت العليم بحاجتي



يا ساكنين بطيبة
أن غبتم عن ناظري
أترى وجود لي الزما
فتوسلي وتعلقي
داعي الأنام إلى الهدى
صلى عليه الله ما
والآل أهل البيت من
والصحب من تبع الهدى
يا آل بيت محمد
فنزيلكم يا سادتي
أنتم إذا خطب عرى
يا سادتي أنتم ملاذ
وولاكم ديني وحبكم
هل تشفعون لذنبي
وعليكم مني السلام



وله أيضاً:

وعبدتني ليلى بأن ألقاها
وجهها البدر قدها الغصن، خمر
لا تسلني يا صاح أين فؤادي
قتلتني بأعين فاتنات
جرعتني كأس الفراق دهاقاً
يا ليالي الوصال عودي علينا
يا نسيم الصبا ثحمل سلامي
فعسى قلبها إذا ذكرتني

ولقاها للنفس أحلى منهاها
ريقها، واللحاذ ما أمضاها
ففؤادي غدا أسير هواها
فسلوها من الذي افتاها
فمتى احتسي رحيق لماها
فليالي الهجران طال مداها
وتلطف بأن تنال رضاها
يتعطف على قتيل هواها

ومطال وما جنيت جناها
تر شبيبي تعرض وتبد جفاها
أرباً فالشبيب أعدي عداها
غير مدحي لسيد الرسل طه
خير من ضم أرضها وسماها
وبودي له أدين إلا لاها
ويشيراً بجنة نعطهاها
سعدت أمة له مسعاها
أطلب العفو للذي يخشاها
يا كريماً أفضاله لا تنأها
قاب قوسين منه أو أدناها
في محكم قرآنه بأي تلاها
تلك والله منحة لا تضاها
الدرجات العلى إلى منتهاها
بك أرجو النجاة من عقباها
وأخشى الجحيم أن أصلاها
في دوحته وعالي رباها
أهل العبا وذوي قرباه
اتبعوا سبلك التي ترضاها

ضاع عمري ما بين صد وهجر
شاب رأسي من صدها وهي لما
ليس للغانيات في ود مثلي
ما أراني اذخرت للحشر ذخراً
أعظم الأنبياء قدراً وجاها
من بمدحي له تشرف شعري
يا رسولاً للعالمين جميعاً
يا صراطاً إلى الهدى مستقيماً
يا شفيعاً للمذنبين من النار
يا رؤوفاً بالمؤمنين رحيماً
قد تقربت في مقامك حتى
وحباك الإله في المدح
بصفات ميزت بخلق عظيم
شرف حزنه وفيه بلغت
كن شفيعي يوم الحساب وأني
فذنوبي كثيرة لست أحصيها
فصلاة عليك ما غرد القمري
وعلى السادة الميامين من ألك
وعلى صاحبك الكرام الذين
ومن غزلياته قوله:

في هواها أسرتني
حتى صرعتني
والثنايا أسكرتني
الخد شكلاً حيرتني
بان هزت فسببتني
ثم جوراً أخلفتني
صخر ظلماً كلمتني
مران حتى كل متني
نار جواها فصلتني
مراض والهجر كوتني
ومن الشيب جفتني
وصلها ما وعدتني

فتنتني تيمنتني
ورمتني بسهام اللحظ
ويريق من لهاها
وبجام المسك فوق
ويقد مثل غصن ال
وعدت بالوصل يوماً
ويقلب مثل صم ال
وحملت الصد والهج
ورجوت الفصل من
وينار الصد والأع
شيبتني بجفاها
ليتها إذ عودتني

(٤): الشيخ محمد علي بن الشيخ عبد الغني آل صندوق الدمشقي الحسيني:

فقيه جليل، من العلماء الأفاضل، ومن الأدباء والشعراء المرموقين، ولد بدمشق وبها نشأ وتربى ثم نزح إلى النجف الأشرف وعكف على الدراسة الدينية حتى لمع نجمه وطار صيته بالعلم والأدب والفضل، ولما اندلعت ثورة العراق ضد الإنكليز سنة ١٩٢٠ كان من مجاهدي الثورة وروادها المعروفين وكان من صحابة المرجع الديني الكبير في عصره السيد كاظم اليزدي، وقد توفي في النجف وبها دفن وعقبه إلى الآن في العراق. ومن شعره هذه القصيدة التي يرثي بها القارئ الشهير المرحوم الشيخ محمد صندوق المتوفي في ٢١ رجب ١٣٥٦ هـ، قد بعث بقصيدته من النجف إلى أبناء عمومته في الشام:

أوهى الهدى رزء أصاب محمدا	حزناً وقد أشجى العلى والسؤددا
ومصيبة طرقت فأورت في الحشا	نارا على طول المدى لن يخمدا
يا ميتاً حملوا بحمل سريريه	ورعا ونسكا صالحا وتهجدا
حملوا الصلاة بحمله فلذاك حول	النعش كبر بعضهم وتشهدا
يا من أياديه وغر فعاله	جلت عن الإحصاء أن تتعددا
يهنيك في الضردوس دار كرامة	أوتيتها وبها سكنت مخلدا
فقد اتخذت الزهد فينا عادة	والمرء في الدنيا وما قد عودا
تالله لو قبل الحمام بفدية	قد كنت بالنفس النفيسة تفتدا
دفنوا الصلاح بدفن جسمك في الثرى	والزهد والمجد المؤثل والندا
دفنوا أياساً في الذكاء وأويس في ال	تقوى وسلماناً وحاتم في الندا
يا آل صندوق الهداة استشعروا	صبراً على فقدانه وتجلدا
فلأنتم رمز لكل فضيلة	ولأنتم في النائبات المقتدا
عز الحسين ^(١) به وقل صبرا على	هذا المصاب فأنت عين المنتدى
ولأنت في كل الأمور عميدنا	وعلى سواك خناصرى لن تعقدا
وآعز فيه بنى أبيه أصيداً	منهم على هذا المصاب فأصيда
هاكم بنى عمي عروساً عادة	هيفاء غانية تفوق الخردا
نظمتمها بمديحك فحلا بها	نظمي فكانت لؤلؤاً قد نضدا
وسقى ضريحاً حل فيه محمد	سحب من الضردوس يقطر بالندا

(١) هو السيد حسين بن إسماعيل. وكان زعيم الأسرة في عصره.

(٥): الشيخ أحمد بن السيد حسن بن إسماعيل بن حسين بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمد بن حسين بن عبد الحليم بن أبي الحسين علي بن السيد محمد الصندوق، الحسيني، الدمشقي.

ولد بدمشق في ١٨ رجب سنة ١٣١٥ هـ، وتعلم في مدرستي العلوية (المحسنية الآن) واللعازرية بدمشق، ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى وتوفي والده في الحرب اضطر الشيخ أحمد لترك المدرسة واشتغل في المهن الحرة لكنه بقي ملازماً للعلامة السيد محسن الأمين العاملي فقرأ عليه علوم اللغة العربية وآدابها والفقه والتاريخ والمنطق وغيرها، كما لازم عم والدته الشاعر السيد يوسف صندوق فاستفاد منه كثيراً وكان على جانب عظيم من قوة الذاكرة والحفظ والاستعداد الفطري للعلوم فبرع باللغة العربية والتأريخ براعة فائقة ونبغ نبوغاً ملحوظاً فأتجه إلى التدريس في المدرسة العلوية التي أصبح مديرها فيما بعد، وفي المدرسة اليوسفية طيلة ثلاثاً وثلاثين سنة وقد لقب (أستاذ الحي) فقد علم الأب والابن وأهل حي الأمين مديون لثقافته وتعليمه ومثابرته.

وقد وصفه تلميذه الحاج محمد حسني صندوق فقال (كان هادئ الطبع لطيف المعاشرة حسن الفهم والتفهم، شديد التمسك بالدين وأحكامه، وبمكارم الأخلاق).

وقال السيد الأمين في الأعيان «وبالرغم من قساوة الحياة عليه وسعيه ليعيش كريماً وما اقتضاه ذلك من عناء وجهد فإنه لم ينصرف عن المطالعة والتتبع والبحث حتى تكونت له ثقافة عميقة واسعة جعلت منه شاعراً مجيداً وكاتباً مبدعاً وياحداً بعيد الغور، ولو قدرت له الظروف المواتية من اطمئنان العيش وظهور في المجتمع لعرف في سورية كالمع ما يعرف حملة الأقلام ولكن الأيام ظلمته فأثر العزلة وانطوى على نفسه ولم ينطلق في الميادين الرحبة المفروضة أن ينطلق فيها أمثاله لذلك ظلت آثاره دفينه لم يكتب لها الانتشار والذيع، انتهى.

توفي رحمه الله أثر مرض عضال بدمشق ليلة الجمعة ٢٢ شوال ١٣٧٥ الموافق ١ حزيران ١٩٥٦ ودفن يوم الجمعة بمقبرة الباب الصغير في جوار مقامات أهل البيت، وله من الأنجال السادة: زهير ويسام، وعبد اللطيف، وموفق، وكان يوم وفاته مشهوداً في حي الأمين إذ كانت مواكب العزاء تترى لتشيع الشاعر الخالد وأستاذ الحي الراحل.

وقد زرنا قبره وقرأنا الفاتحة لروحه الطاهرة وعلى شاهد قبره كتبت هذه الأبيات:

علمُ تغمده الثرى	بالشمّ قد أزرى قضاؤه
يحكي سنانه النيرا	ت كذاك طاولها سناؤه
للعلم جاهد مخلصاً	حتى استوى وسما بناؤه
هو أحمد بناء أجيال	سيعجزهم وفاؤه
فكان ساعة غاب عني	غاب عن طرفي ضياؤه
أنا لم أغال العلم أرخ	(بعدها كسفت ذكاؤه)

وقد أقيمت على روحه الفواتح، كما أقام له الحي حلقة تأبينية كبرى في دار الوجيه الحاج عارف بن الشيخ يوسف صندوق شارك فيها شعراء من العراق والشام منهم الشيخ عبد الصاحب آل نوح الكاظمي والخطيب الدمشقي الشيخ عباس شرف، ومن بين القصائد التي قيلت فيه عثرنا على هذه القصيدة للتلميذ المرحوم الحاج محمد حسني صندوق:

يا لأنمي لو كنت تعرف ما بيا	لكفت مرّ ملامتي وعتابيا
بل كنت تعذرني ولم تك عادلاً	ولكنت برّاً بي ولم تك جافيا
أولم تنبأ بالذي قد شـفني	أو ما علمت بما الغداة دهانيا؟
أنـي فقدت منادمي وخليليا	أألام أنـي قد أطلت بكائيا؟
فقد الأحبة غربة وأنا الذي	ودعت صفو شببيتي وهنائيا
لم يبق لي من بعد أحمد ملجأ	شابهت في الدنيا الغريب النائيا
قد كنت فيه معزراً وبموته	أعطيت كرهاً للزمان قياديا
ما نلت من دهري الخؤون مراديا	هيهات لن يلقي الزمان مصافيا
وارحمته لراحـل ترك الأسى	والحزن للقلب الكليم محاذيا
روحي فدا كبد له مقروحة	أضحى لها قبل المنية راميا



يا أيها الحائي عليه ترابه	مهلاً أتدري من غدت مواريا؟
واريت بحراً بالكمـارم زاخراً	ودفنت طوداً بالفضائل راسيا
أبكيه للرأي السديد فقد قضى	براً كما قد عاش حرّاً زاكيا
أن عوّض الرحمن عنه مؤرخاً	من سوف يخلفه أديباً راقيا
هو كامل واخترت بحراً كاملاً	لرثائه وكذا انتخبت كلاميا
عذراً إذا أسففت في أقواليا	هول المصاب أضاعني أفكاريا
لو قيل لي: أسرفت في بثّ الجوى	فأجيب والزفرات ملء ردائيا
ما شأن عدائي بذاك وشانيا	قد كدت أفقد للمصاب صوابيا
موسى على هرون شقّ قميصه	أألام إن أرسلت دمعي قانـيا
ولقد فقدت مهدي وخليليا	ومؤدبي بل عدتي وعديديا
لو أن أحداق النواظر أدمع	ليست تفيه ولو تسيل سواقيا
لا كان يوم فيه غبت وإن أرى	بين الورى لك يا ابن عمي راثيا
أنت الرضي وإنني مهيّاره	لو لم يكن نسب هنالك باقيا
(إن قلت أني قد وفيتك بالرثا	من بعد موتك ما أقل وفائيا)
فأنا أجلك عن شؤون نواظري	أحرى بأن يبكي نجيع فؤاديا
ولقد أريتـك والمنية تدني	وتقول ماذا قد دهى أحشائيا

رياه، هل سيكون صبرى منقذى
قد كنت أرضى أن أقبلك بمهجتي
بمئين ممن يدعون قداسة

أم صار لقياك الكريم دوائيا
ولو أن في يدي القضا لقضى ليا
أفديك، لو يرضى الجمام فدائيا

❖ ❖ ❖

قد كنت نجماً ثاقباً بسماننا
ونهلته من بحر (الأمين) معارفاً
ما ضاع عندك جهده وعلومه

ثم اجتهدت فصرت بداراً زاهيا
حتى ارتويت وظل غيرك ظاميا
وله حييت مصافياً ومواليها

❖ ❖ ❖

أأفي علاك إذا اصطفت مقاليا؟
أمهذب الأجيال أقسم صادقاً
ورعيت هذا النشئ حق رعاية
أنت الذي وجهتني، أنت الذي
ركن شديد قد أويت لظله
أنا أشهد البارى وأشهد خلقه
لك منة عندي كمنته والدي
عند اللطيف قد احتسبتكما عسى

قد أعجزت غر الصفات بيانيا
قد كنت في إصلاحهم متفانيا
حتى الممات ولم تكن متوانيا
ثقتني، أفديك براً حانيا
صانعت وجهاً واحداً وكفانيا
لك منة ما دمت حياً باقيا
من بعده أصبحت قلباً داميا
في خلده أن نستعيض تلاقيا

❖ ❖ ❖

أنا ما عهدتك لا تجيب ندائيا
كم كنت أرجو أن أسائل عاقلاً
بالله أطلعني وأنسك صادقاً
ماذا وراء البعث أفصح أننسى
أنا لست في ريب ولكن ابتغي

بل كنت أفضل من عرفت مناجيا
فطناً تقدمني يحدث رائيا
كيف الجزاء إذا لقيت حسابيا
أخشى بتفكيرى يزيف رشاديا؟
فهماً لأسرار وبعض معانينا

❖ ❖ ❖

علمتني قول الحقيقة جهرة
ولرب شخص عاب فضلك ضلة
وبصيح، يا لك ثلثة في صرحنا
أسفاً فلم ينصف ومدة عمره
قد كان أولى أن يزود زاده
فاغفر له وارحمه أنت وليه
وأحشره في الأطهار آل محمد

حاشا وفائي أن أكون مرائيا
حياً وجاء اليوم يبكي جاثيا
كاد البناء لها يرى متداعيا
سلوا عليه من العقوق مواضيا
حياً ولا يبكي لقي متواريا
زيّاه وأسكنه جنائك راضيا
من أصبحوا للعالمين مواليا

❖ ❖ ❖

خير العزاء لنا وأفضل سلوة	تطفي ضراما في الجوانح خافيا
بركات مفضال تقى حجة	لا زال غيث علومه متواليا
من نال بالجد المرام من العلى	ورقا بموهبة الذكاء مراقيا
الحجة العلم الحسين ومن غدا	خلف الذي بجوار زينب ثاويا
المحسن السلف الأمين على الهدى	والدين والدنيا ولست مغاليا
أعلى الإله مقامه بجواره	ورعى الحسين وردّ عنه أعاديا

آثاره:

للمرحوم الشيخ أحمد صندوق عدة آثار خطية وأكثرها خطب وبحوث متفرقة تتناول قضايا أدبية وتاريخية ودينية ووقفنا له من الكتب المستقلة على ما يلي:

١- الأبرار من الصفوة حول المختار، دراسة تاريخية تحليلية عن صحابة رسول الله (ص) تقع في ٢٦٠ صفحة من القطع المتوسط، أملاها الأستاذ صندوق على الشيخ علي الجمال أيام تدريسه في المدرسة العلوية (المحسنية).

٢- المنتقى من المصباح، اختار فيه مجموعة من الأدعية التي يضمه كتاب المصباح للكفعمي وقد أسماه (بغية الزائر والمتعبد) وهو فيما يحتاجه المؤمن من العبادات والزيارات والأدعية الواردة في الليالي والأيام يقع في نحو ٦٠ صفحة ابتداءً به يوم السبت سنة ١٩٤٨ وكلاهما لدى نجله زهير صندوق.

شعره:

بين يدي مجموعة ضمت أكثر أشعاره وقد جمعها وحبرها بخطه المرحوم الحاج محمد حسني صندوق، فعكفت عليها محققاً إياها وبوبتها إلى أربعة أبواب هي (المدائح والمراثي، الشعر السياسي، الأغراض المختلفة، التواريخ الشعري) وأضفت إليها بعض التعليقات المناسبة، وبعض الأشعار غير المدونة في المخطوطة، والديوان المخطوط الذي بين يدي مؤرخ في ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٨١ أي أنه جمع بعد نحو ست سنين من وفاة الشاعر.

وشاعرية الشيخ أحمد صندوق تنم عن علم غزير وإطلاع واسع في اللغة العربية وأدائها ومن يتصفح شعره يجد جلياً قوة السبك في ألفاظه وطلاوته وحسن التصرف في مفرداتها وجمال الأسلوب وقوة المعاني وجريه في شعره على طريقة القدماء وهو ما أمتاز به شعراء عصره أمثال أستاذه وصديقه العلامة السيد محسن الأمين وللاستاذ حسن الأمين كلمة مناسبة في ذلك^(١) قال فيها:

ظروف الحياة التي عاناها هي التي حدّت مواضيع شعره، ولولا الحلقات التي كانت تعقد في مجالس (السيد محسن الأمين العاملي) فيكون منها حافز للنظم لما قدّر لكثير من شعر

(١) أعيان الشيعة ٧/٥٥ فما بعدها. بيروت ١٣٨٢/١٩٦٣.

المترجم أن يظهر للوجود وهكذا نرى أن من أوسع المواضيع التي نظم فيها المترجم وأجاد في النظم هي ما كان يدور حول (السيد الأمين) سواء في التحدث عن مآثره أو وصف مجالسه أو رثائه ويمكن القول أن صفوة شعر المترجم كانت في هذه السبيل ولكي تدرك مقدار فجيعة المترجم بأستاذة أقرأ رثاء له ذلك الرثاء الذي يعتبر أفضل ما نظمته من الشعر أسلوباً وفكرةً وواقعياً، ويمكن القول كذلك بما نظمته في مدحه وليس هذا المديح مديحاً تقليدياً مبعثه الرغبة أو الرهبة، بل هو مديح أصيل مبعثه الإعجاب والتقدير، مديح نابع من أعماق النفس.

وإذا تجاوزنا هذا الموضوع نرى أن المترجم قد عاش أحداث وطنه فهو إذا كان قد أثر العزلة في حياته الخاصة، فإنه لم يبتعد أبداً عن آلام بلاده وأمالها بل تأثر بها، وهزته فاجعة فلسطين فنظم فيها عدة قصائد، كم شارك في الأفكار الشعبية فصور إحساس الشعب السوري حيال الاختلاسات الحكومية التي وقعت سنة ١٩٤٦ في قصيدته الغائية كما صور إحساس هذا الشعب حيال مآذب الإفطار التي كانت تقام في القصور بشهر رمضان. كذلك كان لآلامه النفسية نصيب وافر من شعره فصور في أبياته العينية ما ينال المعلم أحياناً من عقوق، كما صور في أبياته البائية بعض ما كان يلقاه من الناس من صدمات وأذى. ويتجلى وفاؤه لأصحابه في رثائه لتريه وعشيرته أديب التقى وفي رثائه لكل من ماتوا من أصدقائه.

وهناك موضوع تقليدي شغل حيزاً من مجموعة شعره هو التاريخ فقد كان أخوانه يقصصونه ليؤرخ لهم شعراً أحداث الزواج والولادة وإذا كان هذا الموضوع يبدو جافاً لا أثر للفن فيه فقد استطاع المترجم أن يجعل من بعض ما نظمته في التاريخ قطعاً جميلة... كما جاء بعضها طريفاً كما في هذا التاريخ:

فلنعم أجزئنا له أرخه (لي) في نصف شعبان نهار الأربعاء

فقد جمع بين السنة والشهر واليوم.

(٦): السيد محمد علي أبو صبحي بن السيد محمد حسين بن إسماعيل ابن حسين بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمد بن حسين بن عبد الحليم ابن علي بن محمد، الصندوق، الحسيني.

وجيه مرموق وأديب عفا، وشاعر فاضل. ولد في دمشق أول محرم الحرام سنة ١٣٢٤هـ ودرس فيها ثم تفرغ للعمل كي يساعد والده السيد محمد حسين صندوق في صناعة التسدية اليدوية (الحياكة) وبقي في هذه الصناعة حتى سنة ١٣٥٧هـ حيث اشتغل بعدها في الآلات الحديثة للنسيج واستمر يعمل فيها عدة سنوات حتى وفقه الله لممارسة الأعمال التجارية الكبيرة إلى عام ١٣٨٥هـ إذ توقف عن إدارة أعماله بعد أن اضطره إلى ذلك مرضه المفاجئ وأجراء عملية جراحية لمعدته، فاكبَ عند ذلك على المطالعة والقراءة لمجموعة قيمة من كتب الأدب والتراث ولم ينسأ أبداً واجباته التي تقتضيها العادات الاجتماعية واتجه إلى نظم الشعر منذ سنة ١٣٩٣هـ يُسلي

بذلك نفسه عن هموم يومه وأمسه، وهو في شعره صوفي النزعة. يوحى لقارئه بتهيئته لرمسه، مذكراً بالقبر وما يؤول إليه مصير الإنسان، ناصحاً بذلك الأخوان والخلآن، مناجياً الرحمن، مستشفعاً بأهل بيت العصمة، ومعدن العفو والرحمة، متفرغاً للعبادة، فطوبى لمن خشع قاعد للآخرة زاده.

زرقه في بيته العامر بحارة المسك فرأيت المسك يفوح من بين جنبيه طهارة ضمير، ونقاء سيرة وسريرة ورأيته شيخاً وقوراً، نحيف البنية متوسط القامة، وكما تبدو عليه علامات الضعف والشيخوخة تبدو شارات النجابة، وقد استأنس بزيارتي، واحتفى بي وقدم لي مجموعة من شعره، كتبها بخطه، اخترت منها بعض النماذج، فمن ذلك قوله مناجياً:

يا رب إن كنت المسيء فإنني	في باب عفوك قد أنخت رواحلي
فأرحم عبيداً خاطئاً يا سيدي	وأقبل رجائي في جميع مسائلي
فلقد رجوت الله محو خطيئتي	وجعلت أصحاب الكساء وسائلي
فلئن عفوت فذاك منك تكرم	وأن انتقمتم فذاك حكم العادل
رباه فأرحمنا بحق المصطفى	والمرتضى الكرار ماحي الباطل
وبحق فاطمة وحق أئمة	هم قدوة للمؤمن المتكامل

وقال:

ذنبى عظيم كلما قارنته	بعظيم عوفك كان عفوك أعظما
أنت الذي نعمائه مبسوطة	وعلى البرية فضله قد عمما
فأرحم عبيداً تائباً من ذنبي	يا من يتوب على المسيء تكرما

قال في حب أهل البيت (ع):

يا آل بيت المصطفى حاكم	حصن منيع يضمن الآخرة
وكل من والاكم فائز	من ربه قد فاز بالمغفرة
أرجوكم أن تشفعوا سادتي	فيمن يوالي في الورى حيدرة

ونظم هذه الأبيات لتكتب على شاهد قبره:

حدث توارى فيه عبد مذنب	أضحى رهين فعاله في حضرته
يرجو من الغفار محو ذنوبه	والعفو عن زلاته وخطيته
فهو الذي أبوابه مفتوحة	للسائلين الراغبين برحمته
فسقى ضريحاً حل فيه بوابل	من فضله يدخله واسع جنته

وقال هذه الأبيات، وسجلها على الأسطوانة بصوته لأبنائه ينصحهم:

صوتي يذكركم بأن أباكم	قد كان ضيفاً بينكم ثم ارتحل
وكذا مصير العالمين جميعهم	ويذوق آخرهم كما ذاق الأول

وترى كثيراً غرهم طول الأمل
فاعلم بأن الله باق للأزل
وأجهد بأن تقضي الحياة بطاعة
بيننا ترى الإنسان فيها لاهياً
فإذا انتهت أيامه جاء الأجل
فهناك إما أن يكون منعماً
ومن مناجاته أيضاً:

يا إلهي قد دعاك المستغيث المستجير
أنت عوني أنت كهفي أنت لي نعم النصير
أنت ذو من علينا أنت ذو العفو الكبير
يا عظيم العفو كن لي إنني عبد فقير

وقال واعظاً:

أفنت عمرك والشباب كليهما
أتظن أن المرء يبقى خالداً
تعصي الإله ولا تخاف عقابه
فارجع إلى عفو الإله وتب له
يدخلك جنات النعيم مكرماً
وقال:

رزق المهيم من ميسوط لطالبه
وامد يدك لفضل الله مبتغيا
ومن تواريخه الشعرية، قوله مؤرخاً زواج ولده السيد محمد حسين سنة ١٣٩٤:
في يوم مبعث أحمد أرخ (بود
يا خالقي أجمعهما لهديتك)
وقال في ولادة طارق ابن ولده محمد حسين سنة ١٣٩٧:

بقدمه شهر الصيام مبشر
وقال في وفاة إحدى قريباته سنة ١٣٩٨:

فاجعل ضريحاً ضمها في جنة
والعفو تاريخاً (لها والمغفرة)
وله مؤرخاً زواج ولده السيد زهير صندوق سنة ١٤٠١:

في شهر مولد أحمد بدأ اللقا
وفي وفاة قريبة له سنة ١٤٠٠ قال:
لبت نداء الله من أرخته
(قد سرها عند الملك المقدر)



محمد حسني صندوق



محمد علي صندوق



أحمد صندوق



نزيه صندوق



محمد علي صندوق ابو صبحي



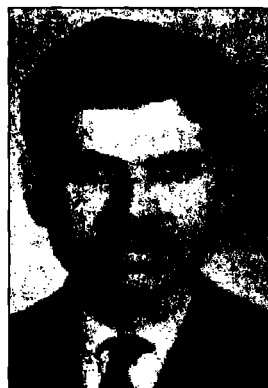
محمد صندوق



ممدوح صندوق



محمد نذير صندوق



علي محمد سليم صندوق

(٧): السيد محمد حسني بن الحاج كامل بن السيد محمد حسين بن إسماعيل بن حسين بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمد بن حسين بن عبد الحلیم بن أبي الحسن علي بن السيد محمد الصندوق، الحسيني الدمشقي.

باحث جليل، ومؤرخ فاضل، وشاعر مرموق، وخطيب ثبت.

ولد رحمه الله. في حي الأمين بدمشق يوم الاثنين ٣ محرم الحرام سنة ١٣٣٨ هـ الموافق ٢٧ أيلول سنة ١٩١٩ م^(١)، وفيها نشأ وترى وتعلم في المدرسة العلوية وفي مدرسة عرنوس في الجسر الأبيض وبها أكمل الابتدائية ثم دخل المدرسة التجهيزية في مكتب عنبر بحي الأمين ودرس حتى الصف السابع إذ حالت ظروفه المعاشية دون إتمامه دراسته مع أنه كان من المتفوقين على أقرانه، وعند ذلك عمل في عدة أشغال أخرها انتسابه إلى مؤسسة كهرباء دمشق في ١١/٢٧/١٩٣٩ ومع توجهه إلى هذه الأعمال فإنه لم ينتهي ولم ينقطع عن متابعة قراءاته ومطالعاته اليومية في التاريخ والأدب وعلوم العربية والفقه يدفعه إلى ذلك حبه الشديد وشغفه العجيب للانتقال من العلوم وتعلم في هذه الفترة على ابن عمه الأستاذ أحمد صندوق كما لازم العلامة السيد محسن الأمين ملازمة الظل وكان السيد الأمين (ره) يشجعه ويزيد في همته للتزود من العلم وهو الذي دفعه إلى المزيد من نظم الشعر والتلاحي فيه، كما استفاد من صديقه الحاج حسن الخياط الشاعر، في علم المناظرة، وكان الحاج محمد حسني صندوق لا يدعُ فرصة تفوته فما أن يسمع بعالم حل الشام إلا ويقصده مستفيداً منه، وقد حظي في سنة ١٩٥٢ بمقابلة العلامة الشيخ محمد حسين المظفر أثناء مجيئه للشام وإقامته فيها عدة أشهر بغية الاصطيف، ودرس على يده الفقه ودرسه دراسة متقنة وضبط مبادئه ولما حل الشام عالمها العلامة السيد حسين آل مكي لازمه وتابع على يده دراسة العلوم الفقهية، وصعد منبر الحسين خطيباً من محرم سنة ١٣٨٦ وكان غزير المعلومات ينحدر كالسيل في خطبة المؤثرة في النفوس، كما أصبح من معرفي الحجاج منذ عام ١٣٨٧، وهو دليل على ما أولاه الناس من ثقة عظيمة وهو أهل لذلك لما عرف عنه من التقوى والورع والعبادة وما جبل عليه من أخلاق علوية فهو على سيرة آبائه الطاهرين.

وقد صدق تلميذه السيد نزيه صندوق فيما كتب لنا في وصفه حيث قال: (كان من خيرة الرجال حصيف الرأي حميا أبا، حسن الخلق، لطيف الروح خفيف الظل، عذب الحديث، رائع النكتة، يحترم الكبير ويعطف على الصغير، يخدم بلا ملل ويعمل بلا كلل، كان يمضي ساعات طويلة من ليله ونهاره باحثاً عن مكرمة لآل البيت قد حجت أو فضيلة لهم طمست، لم يقعه مرضه العضال عن خدمة دينه وحيه وأبناء وطنه، كان أسعى لذي حاجة من سعيه لنفسه يخفي الألم ويبدي الابتسامة، ساهم في جميع جمعيات الحي وبرز فيها جميعاً وكان واحة يستقي منها الغريب قبل القريب بلا من ولا أذى، كانت داره منتدى الأدباء والشعراء وملتقى الكتاب والعلماء، كان شغوفاً بالمناظرة، شديد الميل إلى المطالعة وكان ذا محبة لآل البيت لا تماثل وتفان في ولائهم

(١) نقلت تاريخ ميلاده عن خطه في أول مجموعة خطية تضمنت اشعاره وخطبه.

لا يُساجل وكان شاعراً وكاتباً وخطيباً مفوهاً خدم المنبر الحسيني ومدح آل البيت ورثاهم، وذكر مآثرهم وعدد محاسنهم وكانت عزيمته رغم مرضه العضال أشبه بموج البحر لا ترجع إلا لترتد ولا تضعف إلا لتشتد).

وكانت وفاة المرحوم الحاج محمد حسني صندوق في المدينة المنورة وقد قصدها للحج كما هي عادته في سنيته الأخيرة وبها دفن رحمه الله^(١) وأجزل ثوابه وكان ذلك في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٩٢ هـ وينحصر عقبه بالسيد محمد نذير، والسيد محمد بشير، والسيد عباس والسيد عز الدين، وخلف لنا ثروة أدبية قيمة تتمثل في شعره وكتابات ومحاضراته فأما كتاباته فهي كثيرة وتتناول بعض المواضيع التاريخية والأدبية ومن ذلك:

- ١- رسول الله (ص) وهي دراسة تتناول شخصية النبي (ص) وحلمه وإنسانيته ونسبه (ص) وهي محاضرات ألقاها في القاعة الحسينية بين سنتي ١٣٦٤ و ١٣٦٧ هـ بإشراف العلامة الأمين.
- ٢- حديث الغدير ورواته. محاضرة ألقاها في حفل لآل صندوق، أقيم بمناسبة عيد الغدير في ١٨ ذي الحجة ١٣٧٢ هـ.
- ٣- إسلام أبي طالب، دراسة تحليلية موضوعية.
- ٤- من أدلة الإمامة.
- ٥- فضائل الإمام علي (ع).
- ٦- عيد الهجرة أم مأساة الهجرة.
- ٧- الحسن بن علي (ع)، دراسة في سيرته (ع) وصلحه مع معاوية ابن أبي سفيان.
- ٨- خطاب إلى شيخ الأزهر، فيه تبیان عن المذهب الإمامي كتبه سنة ١٣٨٠ هـ.
- ٩- براعة التصوير في شعر الصافي، دراسة أدبية لمجموعة من القصائد لصديقه الشاعر الراحل الشيخ أحمد الصافي النجفي وقد نشر في مجلة العرفان اللبنانية.
- ١٠- الضمير الحي (قصة) عاطفية اجتماعية واقعية.
- ١١- الرد على الجبهان في أباطيله.
- ١٢- تحقيق مشجرة آل صندوق.

أما شعره فقد خلف لنا ديواناً كبيراً يضم عشرات القصائد في مختلف الأغراض والمناسبات وقد أسماه (شدو الهزار بمدح محمد وآله المصطفين الأخيار)^(٢) وكما يوحي اسمه أنه خاص بمدائح أهل البيت ومراثيهم والحقيقة أن أكثره في ذلك وليس جميعه ولشاعرنا ديوان آخر أسماه (الرياض الزاهرة في مناقب العترة الطاهرة) وهو ديوان صغير انتقاء من ديوانه الأم (شدو الهزار) جمع فيه ما قاله في أهل البيت (ع).

(١) وكان يرافقه الحاج محمود صندوق، وهو الذي تولى تجهيزه ودفنه.

(٢) اطلعت عليه مخطوطاً لدى نجله السيد نذير صندوق يقع في ٣٨٠ صفحة من القطع المتوسط وقد ابتدأ فيه في غرة ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ وبقي يكتب فيه ما يستجد من شعره حتى سنة وفاته في ١٣٩٢ هـ.

وبهذا ترى أن المترجم له كان غاية في النشاط، متحمساً للخوض في المباحث والمناظرات، سباقاً إلى نشر فضائل أهل البيت ومناقبهم وإلى فعل الخيرات والحسنات ولذا فاسمه اليوم على لسان أبناء الحي يذكرونه في كل مناسبة ومجلس ويترحمون عليه ويجلّون مقامه وشخصيته، وكانوا قد أقاموا له فواتح عديدة واحتفالات جمّة عبّرت عن شعورهم بالخسارة الفادحة والحزن العميق لفقدِهِ، ومن بين مرثياته التي وقفت عليها، مرثيتان، أولاهما لنجله السيد محمد نذير وهي تتفجّر رثاء وعاطفة يقول فيها:

ننزود من عطر نعشك شمًا
قد رمتنا من قوس فقدك سهماً؟
يتهاذى في البید ضعفاً وسقماً
أم أراني إليك أم خريماً
أو أرى للوجود دونك طعماً
وأنا ها هنا أكابد غمًا
قد وجدناك سامي الروح شهماً
لفؤاد بسبه البلاء المأ
عن جدا الجاهلين علماً وفهما
محراب روحاً تفيض لبناً وحزماً
سببت تشع تقوى وعلماً
ومغيث الملهوف أن ذاق همًا
فوق لحدٍ يضم شخصك ضمًا
والى هوة بجنبك ترمى
قبر وكيف التراب يرمس نجماً
تي لا بد ألقاك حتما
للرزايا من بعد خطبك مدمى
نتعاطى دمعاً ونجرع سقماً
ومتى للإله ندفع حكماً

ودمعي غزير والفؤاد حزين
غريباً بأطراف البقيع دفين
وأني لما أعطت يدك مدين
تضمن منا مهجة وعيون
وفي كل صدر حسرة وأنين
يثور ولو مرت عليه قرون

يا أبي سرت للرحيل ولما
يا أبي هل علمت أن الليالي
تركنتا الأرزاء بعبدك ظلاً
أترى تستطيع قطع طريقي
أو تحلو الحياة بعدك عندي
أو يحظى التراب منك بوصلي
يا أبي يا أبي افتقدناك لما
وقد وسعت الخطوب خطباً فخطبا
برحيب الصدر الذي يتعالي
يا أبي هل أراك تركع في الـ
يا أبي هل أراك في ليلة الـ
كنت ساقى العطشان من عذب علم
ليتني اليوم ذرة من تراب
ليتني اليوم رمة تتلاشى
لا أرى النور كيف يلحد في الـ
يا أبي ويا كل شيء في حيا
حسراتي جسر إليك وقلبي
ما ترانا عليك في شر حال
فلهذا حكم من الله يجري
وقال السيد نذير صندوق في رثائه:

أبا عزة كيف الرثاء يكون
أستاذي المحبوب غيبك الثرى
حنانك (حسني) قد بهرت عقولنا
إذا كنت تأبى أن تضمك تربة
وفي كل عين من فراقك عبرة
سببقى لعمرى جرح فقدك نازفاً

ويخلو من الليث الهصور عرين
فأنا جميعاً للفداء نكون
وخيم في (حي الأمين) سكون
وفيه إلى ذاك اللقاء حنين
وأن صغت نثراً فالبيان رصين
لطيف عفيف صادق وأمين
بشوش المحيا هادئ ورزين
وعند الندى للمعوزين معين
لوجه المعالي غرة وجبن
فلا مال يجدي أو لباس يزين
ولا حي يبقى فالختام منون
وكل بما نالت يداه رهين
فلا ثروة أو زوجة وبتون
وأن كن شراً فالعذاب مهين
لكم شافعا يوم الحساب يكون
وكم نال من ذاك القريض (حسين)
وحبهم للغارقين سفيني
بدأت بها أن الزمان خوون
وتباً لدهر بالرجال ضنين

فوا أسفا (حسني) يموت بغربة
فوالله لو يرضى الحمام بفدية
بكاك العلا والعلم والحلم والتقى
تركت لنا باب الخطابة مرتجاً
إذا قلت شعرا ينطق الشعر حكمة
عطوف عيوف ما استكنت لذلة
خلق جميل الخلق صاحب همة
تعين الورى في كل رزء ينوبهم
ورثنا المعالي عن أبيك فإنه
وما المرء إلا دينه وعطاؤه
وكل امرئ للموت يمضي بيومه
وما قدم الإنسان يلقاه حاضرا
ولا يجدى الإنسان إلا فعالة
فإن كان خيراً فالجنان مقامه
فابشر بجنات الخلود بأحمد
ويجزيك عن شعر نظمت بآله
ولاء بنى الزهراء فوز ونصرة
ذهبت ولم تتم رسالتك التي
وتباً لموت كيف يفني خيارنا



نماذج من شعره:

قلنا أن الحاج محمد حسني صندوق كان شديد الولاء لأهل البيت (ع) فخوراً مزهواً بحبهم
وقد انعكس ذلك على شعره فنظم الكثير منه في أماديحهم ومراثيهم وعدد مناقبهم وهو يرى أن
على الشاعر الملتزم أن يوظف شعره لذلك وفي ذلك يقول:

أنى لأعتاب أهل البيت أرفعه
وتسعة ودهم في القلب موضعه
وبعلها وبنيها الصدق يجمعه
أن التكلف والتزويد مطلعته

حسب القريض وحسبي أن أرصعه
طه وسبطيه والزهرا وحيدرة
والشعر أن كان في طه وفاطمة
وفي سواهم تسود القول زخرفة
ويقول أيضاً:

كالشهب تسطع في آفاق عليانا
وقال: آل رسول الله أهدانا
إلا ولايتهم زلفى وقربانا

أفدى الميامين أهل البيت أنهم
ما في الورى منصف إلا أقر لهم
وما ادخرت ليوم الحشر من عمل

عسى أنال به قريى ورضوانا
وفي سواهم يرى زوراً وبهتاناً

عند التهاني وفي الأحزان تعديد
ما كان فيهم فشعري اليوم منشود
في (قل تعالوا) وأن لم يرض مفؤود
وكل علم لأهل البيت مردود
تاج الكمال على الهامات معقود
فكلهم برسول الله مشدود
ففيهم النظم محبوب ومحمود
فالفاطمي بديل الود محسود
(فالحر مستعبد والعبد معدود)

ومن أشعاره في أهل البيت، قوله مادحاً الإمام علي من قصيدة:

رشأ يميز كفصن بان أغيد
كالسلسيل ولحظه المتعريد
دراً يتيما زانه بالعسجد
ذابت جوى من خده المتورد
مكحولة لم تكتحل بالأثم
فالحب من خلق الكريم الاصيد
أعددت من عمل ليوم الموعد
في الحشر أهل العلم أعذب مورد
ومناقب كملت برغم الحسد
قد ورثوها سيذا عن سيد
والصالحات فويل من لم يهتد
ومثيلهم بين الورى لم يوجد
من ودهم أجر الهدى لمحمد
فاقصد حمى المولى الوصى الأمجد
وأقرا السلام على الإمام السيد
المصطفى خير البرية أحمد
م المفتدى وولى كل موحد
ما بين اقدام وبين تعبد
هي حجة الكوكب المتوقد

لا أنظم الشعر إلا في مآثرهم
والشعر أصدق ما كان مدحهم
ويقول أيضاً:

بالشعر لي بيني الزهراء تغريد
زينت نظمي بهم والقول أصدق
ذرية ظهرت في (إنما) وعلت
وكل خلق لهم في الفضل منتسب
سموا على الخلق في شتى المناقب إذ
لابدع أن فضلوا كل الورى نسبا
لا يحسن القول إلا في مآثرهم
تحالف الدهر والحساد ضدّهم
الله ما صنعت أيدي الزمان بهم

هام الفؤاد بذى قوام املد
ريم سبى لبى برقة لفظه
شفاته أوت في حنان عقيقها
فإننا الشجي المستهام ومهجتي
يسطو بقدر أهيف وبمقلة
قد همت فيه ولا ألام على الهوى
قد قيل لي ماذا أذخرت وما الذي
فاجبتهم حاشا أضام وجنتي
أهل النهى والفضل أهل مفاخر
أهل التقى والدين أهل مكارم
وهم الصراط المستقيم إلى الهدى
رهب النبي محمد أهل الكساء
صنو النبي وفاطم وأبناهما
فاذا رماك الدهر منه بجفوة
انت الغرى وحي نفس محمد
فهو العلي المرتضى وأخو النبي
وهو الوصى المرتضى وهو الأما
جمعت له الأضداد في أوصافه
وبمحكم التنزيل خص بأية

طابت فعالهم كطيب المحتد
ومميزات في الورى لم تجحد

أنت المؤمل كي تجلى بك النعم
عين الحياة وترنو نحوك الأمم
عزّ التجلد حتى استفحل السأم
يا صاحب الأمر قلبي ملؤه ألم
يا للأباة أما للدين منتقم
من منقذ مصلح تهدي به الأمم
فعنده الفضل والإحسان والكرم
نادى: إمام الورى قد ضمه الحرم
وحوله عصابة بالله تعصم

ولم يرض هذا الدهر غير تذلي
(على الله في كل الأمور توكلني
وبالخمس أصحاب الكساء توسلي)

خفضت جناح الذل لله وحده
(محمد المبعوث وأبنيه بعده
وفاطمة الزهراء والمرضى علي)

وجاحداً معجزات من صحاحكم
(لك العمى أو نور الشمس ينكتم)
وعشت منحرفاً من حولك الظلم
(بمن هناك غداة الحشر تعصم)؟

فوجه أقوام لي اللوم والعتبا
(على رغم أهل البعد يورثني القربا)
سوى ما هو الأسمى وخير لهم عقبا
(بتبليغه إلا المودة في القرى)

من عصابة غر الوجوه أمائل
وبذاك تدرك ما لحيدر من علا
وقال مستنهضاً الإمام المهدي:

حامي الشريعة أنت المفرد العلم
وأنت مهدي آل البيت قائمهم
مولاي قلت اصبروا روعي فذاك فقد
كيف انتظاري ولما يبق مصطبر
يا للرجال أما للحق منتصف
وليس إلا سمي المصطفى أبداً
فهل يمن على الله في كرم
وأسمع الفجر صوتاً جبرئيل به
بين المقام وبين الركن بيعته
وقال مخمساً:

إذا مسني ضيم وقل تحملي
وأصبح من أرجوه عني بمعزل

إذا جار خطب حز قلبي وقده
ولدت بأخيار بهم نال رشده

وقال مشطراً والأصل للشيخ كاظم السوداني:

(يا منكراً فضل خير الخلق حيدرة)
ومن غداً دونه فضله سفها
(هب اعتصمت هنا في غيرد حنقا)
أجب سألتك والأمالك شاهدة

وقال والأصل للشيخ محي الدين بن عربي:

(جعلت ولائي آل طه فريضة)
وما علموا يوم القيامة حبهم
(فما طلب المبعوث أجراً على الهدى)
وأدى لهم عن ربه طول عمره

وقال مخمساً والأصل للشيخ (أبي الهدى) الصيادي، والقصيدة بتمامها ذكرناها في كتابنا

«كرامات آل محمد»:

أكرم الخلق على الله العلي
من به نص الكتاب المنزل
بعد طه المصطفى المزمّل
(شيخ أهل البيت ذو القدر العلي
نور عيني أسد الله علي)
للموالي شافع أن أدنبا
أول المصدقين النجبا
ووصي وإمام مجتبي
(ثاني الخمسة أصحاب العبا
صهر طه المصطفى خير ولي)

ومن شعره الوطني قوله عندما ضربت فرنسا دمشق وحلب وحماه ودرعا:

خسنت فرنسا لن نذل ونخضعا
يا بلى لنا ماض مجيد ناصع
أنا أباة لن نهاب ونخنعا
تأبى لنا أحسابنا ونفوسنا
تأبى لنا الشمم المحيطة ذلة
ودمشق فردوس ويوم نضالها
هيئات تخضعنا قذائف صاغر
وقال أثر نكسة حزيران سنة ١٩٦٧:

أغنى بمغنى الشام في الديك طائرته؟
عهدت به الأرام ينعم سربها
وفي بردي هل غرد الصبح شاعره؟
تغازلها غزلانه وجاذره
فتسرح بين النيرين فوردها
قضيت لباتات الشباب بفيئها
يهر على أذكى من المسك عاطره
أناجي نسيم الغوطتين معطراً
وهل ما تزال الغوطتان بهيجة
وجلّ ما زالت كسابق عهدها
شجاني والهاني عن الغيد والربى
ولم تتطريني من الغيد كاعب
ولكن لما قد ناب قومي في الوغى
أبيت على شوك القتاد مسهداً
ويزال العيش أهناه باكره
وهل أنس الخلان في الليل سافره
تعاظم جيش العرب للأفق رفعة
فيا أسفاً بعد افتخار ومنعة
وعن أحور بين الرياض أجاوره
ولم يمتلكني فاتك الطرف فاتره
سأبكي بدمع كالسيول زواخره
شباب كآساد وملاء قلوبهم
بأرواحهم جادوا فدى بلادهم
عراني هم بت ليلي أساوره
واني لما بي ذاهل اللب حائر
كراماً تهاووا مقبلين على الثرى
وأرجو بأن تعدو العوادي على العدى
ويرفع رأس العز في الأفق ذاكره
وعزّ تهاوت للحضيض مفاخره
وارثي بلفظ كاللآلي جواهره
غرام بحب الموت تسمو بوادره
فأخبارهم في كل عصر زواهره
نجيعهم مذ سال فاحت معاطره
تدور عليهم للزمان دوائر

إذا اتحدت أفكاركم وقلوبكم وأهدافكم فالنصر تأتي بشائره
والغرض الاجتماعي كثير في شعره من قبيل أماديح الناس ومراثيهم وتهانيهم وتواريح
وفياتهم وأعراسهم ومواليدهم... الخ، وهذه نماذج مختارة من ديوانه المخطوط، فمن ذلك قوله
مرحباً بالعلامة السيد حسين آل مكي عند قدومه إلى دمشق وتصديه للإمامة والفتيا ممثلاً
للإمام الحكيم (ره):

أتيت أيا ابن المصطفى الخضارم
بني شعبة الحمد الأباة القشاعم
حماة الوري في يوم رد المظالم
وأباؤك الأظهر من آل هاشم
أمامكم شم الرواسي الأعاضم
علي أمير المؤمنين وفاطم
بأشمخ أصلاب وأزكى كرائم
واشرف سادات وأتقى فواطم
وطهركم من كل آثم وآثم
ملكنا به الدنيا قوى الدعائم
وقد فرق الأخوان طول التخاصم
وبالبر أوصاهم وحسن التراحم
وخامس أهل البيت أهل المكارم
ففي الحشر يقرع أسفاً سن نادم
من الصفوة الأخيار من ولد آدم
مجن إلى السحاء من كل غاشم
على خلقه أعرابهم والأعاجم
وقضل وهدى للقيامه دائم
موجهة من مؤمنين أكارم
فقيه الوري حقاً بغير مزاحم
بمستقبل يهفو له كل عالم
علي غيور من سموم الأراقم
لعمرك خير من عظيم المغانم
لنفرغهم في الجوانح جائم
وحل بفضل الله حسن التفاهم
سقى الله مثواه بوكف الغنائم
بأعيانه الدر الثمين لناظم

من النجف القدسي يا خير قادم
ويا ابن الهداة العاملين إلى الهدى
موالي أعدال الكتاب بودهم
فأجداك الأبرار من آل غالب
غطارفة شم الأنوف تقاعست
تحدرت من خير أم ووالد
تنقلتم في الطيبين من الوري
وأنجب أعلام وأنقى حرائر
لقد أذهب الرجس المهيم عنكم
بنيتم لنا مجداً رفيعاً مؤثلاً
بكم جمع الله القلوب على التقى
وألّف بين العالمين بلطفه
وأنت سمي السبط سبط محمد
أبي التسعة الإظهار من لم يوالهم
تخيرهم مولاهم واصطفاهم
فذريرة من بعضها بعضها وهم
وهم حجج الرحمن جلّ جلاله
فلا زال منهم كل خير مؤملاً
ويا سيدي جئت الشام بدعوة
إلى (المحسن) البر (الحكيم) إمامنا
قلبيت يا شبل الوصي مضحياً
فأنت على التشريع والدين يا أبا
لئن يرشد الباري بعلمك مؤمناً
على فترة قد جئت يا ابن محمد
بمقدمك الميمون زاد اتفاقنا
خلفت أماماً كان خير مقلد
هو المحسن المولى الأمين الذي بدا

هما سندا الإسلام من كل نائم
وهذا حكيم مرجع للعوالم
رعاك إله العرش من كل ظالم
له حكمة الشيخ المجرب حازم
وأنت مُعدّ للأمور العظام
وما سجعت بالأيك ورق الحمائم



فبالحسنين الطاهرين لنا الهنا
فذاك أمين قدس الله سره
ويا ابن ولي الله وابن وليه
شغفت الورى حباً فهاموا بفاضل
نؤمل فيك الخير فالفضل ظاهر
عليك سلام الله ما لاح كوكب

وقال مهنئاً الإمام السيد علي آل مكي حفظه الله بمناسبة زفافه سنة ١٣٧٦ :

صوت التهانى وبالأفراح هنأنا
مغنى حوى في صنوف الحسن ألوانا
وبلبل الباب بالترجيع أشجانا
فيحاء غوطتنا الغناء أفنانا
وعانقا مبد الأغصان والباننا
صوت الطبيعة ما أحلاه الحاننا
لولا الزوال وقول المرء قد كانا
تضم شطآنه حورا وولدانا
روى وروداً ونسريناً ومرجاننا
مذ أنست سيداً براً وخلاننا
ضممت نيلوفرنا فيها وريحاننا
تغنى عن القول أن قصرت تبياننا
بعد (الأمين) حباه الله غفراننا
إذا اهنيه قد هنأت لبناننا
بقيا أبي ذر أسناننا واسماننا
وآل مكي أنداننا وأزكاننا
قران من فاق طلابنا وأقراننا
وفاق في رفعة الأخلاق أخذاننا
زين الشباب علي حيثما كانا
تهنا علي بها دهرنا وأزماننا
وبعد أذارك استقبلت نيساننا
تلقي مدى العمر إكرامنا وإحساننا
آل النبي بهم ما زلت هيماننا
كالشهب تسطع في أفاق عليانا

على الأراك هزار السعد غنانا
وأبهج القلب تغريد العنادل في
حمامة الأيك بين الزهر قد صدحت
وحركت طرباً أيدي النسائم في
تألف الرند والصفصاف في جذل
حفيف أوراقها فوق الخريز غدا
ما أهنا العيش في أفياء غوطتنا
جرى وصفق محبوب الورى بردى
ما مثله سلسبيل في الدنى عذب
تسقى جنان دمشق سؤر هامته
قطفت من ياسمين الشام زاهية
فيا لها بياقة تهدي لسيدنا
إلى (الحسين) إلى مولى الورى أبداً
إلى (الحسين) عن الحي الأمين له
هنأت سادتنا أعلام عاملة
آل الفقيه وآل الزين قاطبة
أوحى إلى الشعر والأفكار صاحبة
بد الكثيرين في فقه وفي أدب
زين الشباب علي في مروته
فيا لها فرحة باليمن حافلة
ولت عزوبتك المثلى فلا رجعت
فاهناً بعرسك ما تنفك مبهجاً
وأقبل تهانسي صب مغرم بهوى
أفدى الميامين أهل البيت أنهم

وقال آل رسول اله أهدانا
وأذهب الرجس عنهم حسن أنشانا
بؤدهم طاب في الفردوس مثوانا
إلا ولايتهم زلفى وقربانا
لباب عاطفتي شعراً وأوزانا
عرس العلي ابنها أهدته تيجانا
وقبلت من علي الطهر أجفانا
تبقى بني مدى الأيام جدلانا
أراك هنا خلق الله إنسانا) ١٣٧٦ هـ

وقال مهنتاً الدكتور عمار نجل الأستاذ المربي الشيخ علي الجمال بمناسبة نيته شهادة

الدكتوراه في الاقتصاد من فرنسا وذلك في ٢٠/٥/١٩٥٣ م:

وتناقلت آياتها السـمـارُ
وعلى الأراك الورق والأطيـارُ
وتفتحت برياضك الأزهارُ
وزهت بنيل طموحك الأحـرارُ
ولك المرأة والكمال شـعـارُ
(وحديث مجدك عاطر موارُ)
حباً، وحق لجـدك الإكـبـارُ
قد زان لؤلؤه اليتيم نضـارُ
أصدقته الإخلاص يا عمـارُ
تهفو لها العظماء والأخيـارُ

ومن قصيدة له أرسلها لصديقه السيد رضا بلوق لدى سفر الأخير إلى بغداد:

فالنفس حرى والفؤاد مؤرقُ
طيب المنام وأدمعي تترقرقُ
فالصبر أجدر بالمحب واليقُ
أنت المحب وبإلوفاء مخلقُ
ومرؤة وصراحة لا تلحقُ
وفضائل جلت بحسبك أخلقُ
حياك من حيثك أمك جلقُ
تالله أنك للوفي الأرفقُ
أنت المجلي بينهم والأسبقُ
بالود يرفعها محباً شقيقُ

ما في الوري منصف إلا أقر لهم
قد طهر الله جل الله أنفسهم
صلى الإله عليهم ما بدا قمر
فما ادخرت ليوم الحشر من عمل
وفي زفاف علي قد زففت له
لو أن فاطمة الزهراء قد شهدت
وباركت جبهة لله ساجدة
وانشدت بضعة الكرار من فرح
وسجلت فرحة التاريخ (قائلة

نظمت بسامي خلقك الأشعار
وترنمت ببديع لحنك في الرى
وذا أريج اليا سمين وأينعت
فخرت بك الشبان أنت فخارها
طغراؤك التقوى وأنت مهذب
وفعالك الغراء أعـدـل شاهد
سفرت لك العلياء أنت شغفتها
فأرتك تغراً باسمأ كصباحها
هي لاتلام على هواك فانت قد
يا ابن العلي هنا بأكرم رتبة

وظعن الحبيب رضا الكريم معرقُ
صبراً على ليل حرمت سهاده
صبراً على بعد أقص، مضاجعي
يا من أود ولن أضيع عهده
أنت الذي بسماحة وتواضع
لك غر أوصاف وحسن مآثر
زفت إليك المكرمات فدجلة
وإذا تبادلنا العواطف والأخا
وإذا الشباب تسابقوا لمفاخر
فأقبل تحية مخلص لك صادق

وعواطفاً من خير ما يهدى أخ
وقال مهنئاً ابن عمه السيد صبحي بن الحاج محمد علي صندوق بمناسبة زفافه:

قرنت ذكاء بالقمر	حيوا الأحبة بالزهر
أحباب قلبي أبشروا	صبح السعادة قد ظهر
وزعت سماءات النهى	وتألفت فيها الدرر
طابت أويقات الصفا	ء وطاب لي فيها السهر
بريوعنا حلّ الهنا	والبشر واجتث الكدر
بزفاف زين شبابنا	وأبرهم (صبحي) الأغر
(لامينة) المجد المؤثل	والمعالي والخفر
زفّ الكمال إلى الأما	نة والصباحة للهور
أرجو الإله تكرما	ويجاء أحمد والصور
أن ينعم بمسرة	ويلد بينهما السمر
ويبلغا كل المرا	د وينجبا خير الثمر
فتهانئ لهما معاً	تهدي كأقسام السحر
والعقد أرخناه (قد	قرنت ذكاء بالقمر)

وقال مهنئاً صديقه الصدوق الحاج حسن الخياط في ميلاد ابنه عمار ذاكراً كافة أبنائه:

أهني صديقي الصدوق النبيل	ومؤنس روعي وخلي الخليل
أبا ياسر حسن المآثرات	بأنجاله الفرع القبيل
(فياسر) برّ كحبي مطيع	وفي الذكر أسمى وأعلا دليل
(ونور) ينير سنا حسننا	كعين الغزالة وقت الأصيل
وأن (الجواد) سمي الإمام	حفيد الوصي وصنو الرسول
(عمار) أنس ميلاده الـ	قلوب فله شكر جزيل
(فيحظى بخير المنى) أرخو	(وقضل وعز وعمر طويل) ١٣٧٠ هـ

وله مؤرخاً جمعية أسست بينه وبين السادة رضا بلوق وأديب المؤذن وموفق صندوق وزهير

الطباع وزهير صندوق وأديب الواسطي وخالد الطباع والتي سميت جمعية الثريا فقال:

شباب أخلاء وصحب أماجد	بحسن تأخيننا تنال المقاصد
كنجم الثريا سبعة في جسوننا	وفي القلب والأقوال والرأى واحد
رفاق ندامى باليسار وأخوة	كرام إذا ما فاجأتنا الشدائد
فنحن رضا أرخ (أديب موفق	وحسني زهير فالأديب وخالد) ١٣٦٨ هـ
وقال مبتهلاً إلى الله تعالى:	

الهي مخلصاً ادعو فكن لي
برحمتك التي وسعت مجيباً

وأن ما مسني ضرر وغم
فهب لي يا عظيم العفو ذنبي
وقال راثياً أولاده (عزة، ولطفية، ومحمد بشير):

سهام الثكل أحشائي أصابت
رزئت بفقد أولادي صغاراً
ترانسي بعد موتهم حزيناً
(فعزة) قد أسال جماد عيني
وفي (لطفية) ودعت صبري
(بشير) ردّ يعقوباً بصيرا
فوا لهف الحنان على ثلاث
أهلة قد تعجلها خسوف
إلى من اشتكي حمى أصابت
ولا أنساهم مرضى ظمء
سأشكو دائماً بثي وحزني
ولولا حكمة الرحمن فينا
ستسقي مقلتي قاني دموعي

وطلب منه صديقه الأستاذ محمد رشيد مرتضى أن ينظم أبياتاً لتكتب على شاهد قبره

عند وفاته فقال:

بيوم الحشر تبكي كل عين
ومن حيا يخف باريه يأمن
ولا يجدى سوى التقوى وورد
فأل المصطفى خير البرايا
ولاؤهم لهول الحشر امن
سوى عين بحب الله تعطى
غدا يوم الجزا ناراً تلظى
لأهل البيت أعلى الخلق لفظاً
وأوفى ذمة وأبر وعظاً
رشيد به بعليين يحظى

وقال مؤرخاً وفاة والد صديقه الأستاذ أديب الزين:

لبى الرحمن محمد حيث دعاه لعفوٍ منتظر
آل المختار بودهم يحظى بجنان مع نهر
وافاه بعيد الفطر ليلحقه بالأبرار الغرر
يهنا أرخت (ومقعد صدق عند مليك مقتدر)

١٣٨٢ هـ

وقال معزياً العلامة الفقيه السيد حسين آل مكي بوفاة ابنته هناء في ٢٤/٨/١٣٨٧ هـ الموافق

١٩٦٧/١١/٢٧

رمس توارت بنت الحسين به
قد خلفت بحشا الأحباب أي أسى
في الخلد قد جاورت طه وفاطمة
يسقى ثراه سحاب اللطف هتاناً
وأحزنت آلهها شيباً وشباناً
وحيدراً من غدوا للدين أركاناً

دعا الكريم لهم فضلاً كريمتهم
مذ أرخوه (هنا بنت الحسين قضت)
ومن قصيدة له يؤرخ فيها وفاة العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني صاحب الغدير:
على ثاو بقرب أبي الحسين
علا صرح الإمامة في بحوث
بدا نص الغدير بها جلياً
غدير ليس يعدله كتاب
على الثقة الأميني زاد وجدى
صعقت لنعيه واحرق قلبي
(نظمت- مؤرخا- والروح تدعو)
وقال مؤرخا وفاة العلامة السيد عبد الرزاق المكرم النجفي:

ثوى بثرى الكرار شيخ موقر
محقق تاريخ الأئمة حجة
نماه إلى العلياء والمجد هاشم
تلقاه في باب الجنان قسيمها
يسلمه صك الجواز وبعده
(دعاه عظيم العطف حيث أجابه
وعبد إلى الرزاق مفضل خير
وعلامه صديق حبر مفكر
وفاطمة الزهراء والصنو حيدر
ليؤتى بيميناه الكتاب المقرر
فمشربه من كف حيدر كوثر
لألطاف) تأريخ (له الله يغفر) ١٣٩١ هـ

وقال مؤرخا وفاة الأستاذ سعيد بك الروماني مدير البنك المركزي، وكان مدفنه في قرب
السيدة زينب عليهم السلام وكان رحمه الله من خيرة الرجال وله فضائل جمّة على الحي ومن
المؤسسين لنادي الرابطة الأدبية الخيري:

أجارت نزيلا زينب حل في الحي
ومن قبلته جاء تأريخ (كفلها)
وقد ضيقت عظم البلياء رحابه
سعيد تلقى باليمين كتابه) ١٣٩١ هـ

وقال مؤرخا وفاة الوجيه والمحسن الكبير الحاج عبد الله النحاس عميد المدرسة المحسنية
واليوسفية والجمعيات الخيرية في الحي، وقد خدم الطائفة زهاء ستين عاما بحزم وثبات وكان
مدفنه بمجاورة العقيلة زينب عليهم السلام:

حمى بضعة الكرار حل برحبه
موجه أجيال عماد معاهد
دعاه عظيم العضو فانقاد طائعا
(بغرفة عدل) أرخوه (في أسرة)
أمين وصايا المؤمنين الأمائل
وكافل أيتام وملجأ أرامل
بصمت وتسليم لأرحم عادل
أعدت لعبد الله خير المنازل) ١٣٩١ هـ



(٨) السيد نزيه بن السيد جميل بن السيد محمد سعيد بن إسماعيل بن حسين بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمد بن حسين بن عبد الحليم بن أبي الحسن علي بن السيد محمد الصندوق، الحسيني الدمشقي.

أديب فاضل، وشاعر رقيق، ولد بدمشق سنة ١٩٢٩م وتعلم في المدرسة العلوية وقضى فيها سنين عدة ثم تركها ليسانس والده السيد جميل صندوق في صناعة النسيج وبعدها انتسب إلى مؤسسة كهرياء دمشق وعمل موظفاً فيها حتى الوقت الحاضر (١٩٨٠).

بدأ بكتابة الشعر أواخر الخمسينات إلا أنه مقل فيه وأكثر نظمته في المناسبات الدينية والوطنية وهو يميل في شعره إلى براعة الاستهلال وانتقاء الألفاظ الفخمة يدفعه في ذلك حبه وشغفه باللغة العربية وآدابها وقد عبر عن ذلك بقوله:

شعري أقد كلامه من جندلٍ صلدٍ فأجعله فصيحاً أبليجاً
وأصوغه في النظم مثل لآليءٍ فتراه في صدر المعالم مدرجاً

كما أن نفسه الشعري طويل المدى وقد تتجاوز بعض قصائده المئة بيت ثم أنه لا يحفل بشعره ولا يهتم بجمعه، وقد زرتة في بيته بحي الأمين وكنت سعيداً بلقياه فهو والحق يقال من خيرة الناس علماً وأدباً وأخلاقاً حفظه الله ووفقه إلى فعل الصالحات.

وال صندوق حفيون بالأستاذ نزيه ولهذا يسمونه (جريز آل صندوق) فهو لا يترك مناسبة من مناسباتهم إلا ويقدم نفسه خطيباً أو شاعراً أداءاً لحقوق القرابة وصلة الرحم، وقد اقترحت عليه جمع شعره وكتابات حفظاً لها من الضياع فأجابني إلى ذلك عند سئوحي الفرصة وللأستاذ نزيه من الأولاد، ما تقر بهما الأكباد وهما الأستاذ جمال، والأستاذ أسامة وهما من نخبة شباب الحي سيرة وسلوكاً.

وبعد أيام من الجهد والمثابرة استطعت أن أحصل على هذه المجموعة الصغيرة من شعره وأكثرها في أهل البيت عليهم السلام وأولها هذه القصيدة التي نظمها بمناسبة المولد النبوي الشريف.

قال وفقه الله:

تغني ابتهاجاً أرض مكة زغردي	أتى عيد ميلاد الحبيب محمد
خذي كل زهر في دنانا تزيني	لأعظم مولود وأكرم سيد
ويا أمة الإسلام صلي وسلمي	على أحمد المختار طه المجد
تعطر وجه الأرض باسم محمد	وعم هدهاء كل صقع وفد
فلم يقو لبي وصف حسن جماله	وقصر بي شعري وفكري ومذودي
وهل شاعر يستطيع وصف محمد	ونور الدنى من نور وجه محمد
فيا رب بارك مولد النور والهدى	ويا طير غني يا حناجر ردي
سلام على المبعوث للناس رحمة	وأكمل مخلوق وأنبل مرشد
تقبل أبا الزهراء تهننتي لكم	بعيد على الأيام باق مخلد

كفالك علا ربي اصطفاك لنفسه
ولدت يتيماً ثم سدت بني الوري
وكنت على خلق عظيم وحكمة
وجئت بما قد أعجز الناس كلهم
فأسمعت تسبيح الحصى آل مكة
وظلّتك من حر الهجير غمامة
تحملت شتم المشركين وظلمهم
ولا يرتقي إلا المجد ومن سعى
فوالله أني لن أخلي دعوتي
سيظهر نور الله والحق ينجلي
على سنة الإباء يخبط سادراً
وخطبتهم أني بشير ومنذر
نحتّم من الأشجار رياً مزيفاً
فلم ينهكم عن شرب خمر وميسر
تركتم إله العرش رب نبيكم
خذوا من كتاب الله وأقضوا بحكمه
لقد كنت تسعى نقلهم من جهالة
وحب وإيثار وعطف ورحمة
وكم كنت تعضو عن عدو غلبته
ولكن إذا ما السلم ارتج بابه
وقاتلتهم حتى استقام اعوجاجهم
فما رام إنسان مدى العمر حقه
وناصرك الكرار في كل وقعة
وقال أمير المؤمنين مفاخراً
فمنك تهاوى عرش كسرى وقيصر
وصيرت ضعف المسلمين لقوة
وعرفت أهل الكفر من هو ربه
وساويت بين الناس لونا ونسبة
ولا ينفع الإنسان إلا تقاته
فإن الفتى بعد الممات مصيره
تكرم أبا الزهراء وأمنح شفاعته
فهل ترتجي آل النبي بغيركم

وأوجد دنيانا لأجلك سيدي
وأعطيت علم الغيب في الأمس والغد
وقولك منظوم كدر منضد
بامرة ديان معين مؤيد
وفجرت ماء الشرب من إصبع اليد
وأطعمت زادا كلما قل يزد
وقلت بأن الظلم ليس بسرمد
فليس لدى الإسلام عز لمقعد
قريش تمادي في الضلال وعريدي
لكل عم في الأرض باغ ومفسد
تساوى لديه كل غث وجيد
دعوا كل جبار أثيم وملحد
وليس بسدي لب وراي مسدد
وما كان ذا فضل عليكم ولا يد
ومن هو مولاكم وأهل التعبد
فتشريعه للحق أغزر مورد
إلى كل عز وانتصار وسؤدد
وعيش كريم في سلام موطد
وما كنت سباقاً لسيف محدد
طلعت عليهم بالدلاص المسرد
وآب لدين الله جان ومعتدي
إذا لم يؤيد حقه بالمهند
وقوم من بانوا بسيف ومزود
إذا الحرب جنت احتمينا بأحمد
وحطمت الأصنام في كل معبد
وحدثهم بالدين بعد تشرد
فصلوا له في كل بيت ومسجد
فلا فضل إلا بالتقى والتهجد
فيا نفس جدي للرحيل تزودي
لجنة عدن أو عذاب مؤبد
لشيعة أهل البيت أهل التودد
مفازة شيعي محب مقلد

فأنتم رجائي ليس في الكون غيركم
سفينة نوح من آتاكم فقد نجا
فرغم أضاليل ودس منابذ
وعبد محب يكتم الحب خيفة
 وخوف جحود همه كسب مغنم
ملأتم فضاء الخافقين مكارماً
وسدتم ذرى العلياء مجداً وفقتم
وقد أوجب الله الصلاة عليكم
ففي دمناء خلقنا ولاؤكم
تعاليمكم للدين دخر وجنة
فأنتم بناء الدين دون منازع
وأنتم على بحر العلوم منارة
وأنتم مصابيح الهداية والتقى
فلم تمنعوا عن أي عبد نداكم
فمنكم أخذنا الحق والصدق والهدى
يعيبوننا أنا اقتدينا بعلمكم
فمنكم علي المرتضى قمة التقى
فمن غيره نادى سلوطني فأنني
لئن قلت شعراً سادتي بسواكم
كفانا بدنينا عللاً وتفاخرا

وقال راثيا الإمام الحسين عليه السلام:

جل المصاب فعين أحمد تدمع
إذ شاهدت في كربلاء فواطم
والثغر ينهج بالدعاء متمماً
أه على الثغر الشريف وما حوى
والصدر شلوا في العراء ممزقا
لهضي على أم المصائب زينب
لم يبق إلا مبغض أو معرض
كم حزنها في الطف لما شاهدت
قتل وتشريد وسبي حرائر
رزء بكت منه السماء وأهلها
بعثوا بجيش للقتال عرمرم

شفاعته ترجى لكل موحد
ومن حاد عنكم فهو قال ومعتدي
وكره عداة ظالمين وحسد
يخاف الردى ثوب التقية يرتدى
ذليل لثيم نعمة الخصم يجتدي
وفزتم بعز لازب ومخلد
بأوج المعالي كل نجم وفرقد
بكل صلاة فرض عين مؤكد
سنبقى محبيكم بدون تردد
نطالعها في كل حفل ومشهد
وأنصار دين الله بالقول واليد
بها كل من رام الحقيقة يهتدي
وأنوار عرش الله يا آل أحمد
ولم تنطقوا لآء بغير التشهد
ومنكم تعلمنا أصول التعبد
بمن غيركم يا آل أحمد نفتدي
وياب لعلم الدين ليس بموصد
بكل علوم الأرض خير مزود
فأنتم لعمرى آل أحمد مقصدي
يسموننا أتباع آل محمد

من مشهد منه الرواسي تركع
رأس الحسين على العوامل يرفع
فكانه آل النبي يودع
لم ينح فيه من الأسنة موضع
تعدو عليه العاديات وترجع
قد غاب عنها من يزود ويدفع
لم يلق من جسد الحسين يشيع
خيل ابن سعد للمخيم تهرع
بصمات عار في الذؤابة تطبع
ورزية منها الحشا تنقطع
ظنوا بأنك يا حسين ستخضع

أعمت وعود لابن سعد طرفهم
قد بدلوا السبط الشهيد بفاجر
إنّي اتجهت جحافل ترد الوغى
ناديت قومك في الظلام تضرّقوا
قالوا معاذ الله نترك شيخنا
ودخول جنات الخلود وأحمد
فوقفت وقفة فارس متمرّس
ألف القتال فليس يوجس خيفة
الروح تسمو والعزيمة تزدري
لم تكتثر يا سيدي لجموعهم
أنت ابن حيدرة وضيغم هاشم
هو للرسول نسيبه وربيبه
رب المعارك أن تأجج نارها
وأبو تراب باب علم المصطفى
مني إجابة عالم متمكن
هو جامع الأضداد بعد محمد
هو أفضل هو أكرم هو أنبل
لم تعط رايات النبي لغيره
لم تعرف الفصحى خطيباً مثله
لو عدّوا الخلفاء بعد محمد
يا سيد الشهداء يابن المرتضى
بأبي وأمي أفتديك مجاهداً
خسوا قلن ترضى يزيد خليفة
أنّى لها بالمكرّمات أمية
طبعت على إيذاء آل المصطفى
تبغي رضاء يزيد لها لا ربها
والله ما دخلت بدين محمد
ما قدمت للدين غير مجازر
لم تسق من ماء الفرات فواظماً
ما ذنب عبد الله أقدم صادياً
فرماه حرملة بسهم رائش

والأذن صماء فما هي تسمع
مغنائه وكر للفسوق ومترع
والسيف يصلت واللهازم تشرع
وخذوا نسائي فالحوادث تسرع
أن المنية في جوارك أنجع
مضيفنا فيها البطّين الأنزع
من وجهه شمس البطولة تسطع
بحسامه كأس المنية تترع
بجميع ما ألقى العداة وجمعوا
أنت ابن حيدرة الذي لا يفزع
عنه البطولة في الدنى تتفزع
هو للمعالم والمهند يلمع
وخيله يوم الكريهة تطلع
نادى سلوني قبل فقدى واسمعوا
من كل علم لا يزل ويخدع
هو أعبد هو أزهر هو أروع
هو أعلم هو أكرم هو أشجع
منه الشجاعة والفصاحة تنبع
هو للفتاوى والمعضلات يشرع
فعلي في أوج الصدارة يوضع
علمتنا ماذا الرجولة تصنع
كالطود في الهيجاء لا يتزعزع
فالموت أسمى للحسين وارتفع
والله ما غلب الطباع تطبع
حسداً لهم عن غيها لا ترجع
فنصحت لو أن النصيحة تنفع
حباً به بل بالخلافة تطمع
ما كان منها في الحروب سمينع
حتى ولا طفلاً صغيراً يرضع
والوجه كالبدن المنير يشعشع
فهوى جريحاً باكياً يتوجع

حملته زينب وهي قائلة له
يا ويحكم هذا حفيد نبيكم
من غيرنا جاء الكتاب بمدحة
أمن العدالة أن نساق لفاجر
هذي وصية جدنا في آله
ليت الفرات تبخرت أمواهه
أجدي لنا من أن نشاهد ماءه
تبت يدا شمر وقبح وجهه
واحتز منه الرأس شر محزة
يا رب خلد به نار جهنم
يا يوم عاشوراء كم لك حرة
حاشاك ربي أن تضيع ثأرنا
وقال في رثائه أيضاً:

الآن أزجي عبرتي وأعيد
أدريت أي دم سفكت بكريلا
رزء له السبع الطباقي تمايلت
فمحرم نومي بشهر محرم
أمحرم شهر المآثم عندنا
لم ترع ذمة أحمد في آله
أرسلت جيشاً لابن بنت محمد
لم يأت سيدنا العراق بنفسه
خدعوه بالأقوال لما جاءهم
غدروا بمسلم فاستغاث بطوعة
هم أسلموا هاني بن عروة للعدا
وتجاهلوا أمر الحسين كأنهم
لقي الجيوش بنفسه وبآله
ما كان يخشى أن يموت بكريلا
وقف الحسين مدافعاً عن دينه
لم يثنه العطش الشديد عن الوري
هذا ابن حيدرة وضيغم هاشم
رضي الشهادة من قرارة نفسه
أعطى سلامته ليسلم دينه

والصوت مما نابها يتقطع
وسليل بيت للشريعة مرجع
من غيرنا يوم القيامة يشفع
ويفوز بالليث الهصور الضفدع
لا دين يمنع أو مروءة تردع
أمسى سراباً جف منه المنبع
يعطي اللئام وعن فواطم يمنع
وتهشمت أشلاؤه والأضلع
والأنف من بين النواظر يجدع
وإذا نأى نحو الصدارة يدفع
تدمي المآقي والقلوب ترؤع
فيد جنت لا بد يوماً تقطع

والغيظ مني يا يزيد يزيد
كم نال مني الحزن والتسفيد
والأرض رجّت والجبال تميد
والدمع يجري في الخدود شديد
ولدى أمية فرحة أو عيد
أفأل أحمد ديلم وعبيد
غرته منك دراهم ونقود
جاءته من أهل العراق وعود
ما كان منهم للقتال وجود
خذلوه لا نصر ولا تأييد
فاحتز منه الرأس وهو وحيد
لم تعط منهم بيعة وعهود
فهو الزعيم الهاشم وعقيد
فالعمر من رب الوري محدود
ما نال منه الخوف والتهديد
بطل المعمارك فارس صنديد
دار بضرب السيف وهو وليد
حتى يظل الدين والتوحيد
بأجل شيء في الوجود وجود

نفسى فداؤك يا حسين من الردى
أحسين يقبل أن يبايع فاسقاً
يعطى الخلافة عن يدٍ من دونه
لم يدر من إسلامنا إلا اسمه
كم حَزَّ في نفسى نداؤك زينب
عباس من يسقى عطاشى كربلا
من للسبايا والأيامى يا أخى
أأخى مالك لا تجيب نداءنا
انظر أخاك مجدلاً فوق الثرى
انظر لزين العابدين مكبلاً
عباس من يحمى الفواطم بعدكم
ثأرت لقتلاها أمة وارتوت
آل النبى أحبتي وأئمتي
لعدوكم نار اللظى ومحبيكم
سنظل نحي كل يوم ذكركم
من قال فيكم بيت شعر بيته
ومقامه عند الإله مكرم
أنتم لدين الله أس بنائه
أنتم إلى الرحمن سرّ توسلي
يا يوم عاشوراء حزنك دائم
أنا لست أنسى خطب آل محمد
لن تنسى الأيام ذكر مصابكم

حبي لشخصك لم تحطه حدود
يرضيه وغد ملحد رعديد
ويسود سيدنا الحسين مسود
تلهيه عنه خمرة وقرود
الخصم دان والنصير بعيد
وعن النساء المحصنات يذود ؟
لم يبق إلا شامت وحسود ؟
ما مسنا بالأمس منك صدود
والخيل تذهب فوقه وتعود
مضنى معنى في يديه حديد
والخصم جم والحمى مفقود
مهج لها في كربلاء وكبود
عن حبكم والله لست أحيد
هو في الجنان منعم وسعيد
ولسوف نتلو خطبكم ونعيد
يوم القيامة في الجنان مشيد
والأجر منكم ثابت وأكد
ولدى الضداء أشاوس وأسود
أنتم دعاء في فمي ونشيد
والقلب منى مدنف مكمود
فالطف يوم خالد مشهود
فالحزن جم والمصاب جديد

وقال في حفل عقد بمناسبة افتتاح مشغل الخياطة للبنات التابع لجمعية الإحسان الخيرية

التي أسسها العلامة المرحوم السيد محسن الأمين العاملي بحى الأمين بدمشق:

أختاه هيا للمعالي أقبلي
هبي اشربي بنت الأكارم وأنهلي
سيرى إلى العلياء ثابتة الخطا
فبعيد عام تصبحين بحينا
وتعلمين الآتيات بهمة
جوذي بما علمت دون تردد
المرء يعلم كي يعلم جاهلاً
وتحملي أعباء حيك شاركي

وابني بجذك صرح هذا المشغل
من تبعه الصافي المعين السلسل
وإذا عزمت على الإله توكل
معطاءة في كل يوم مقبل
كالشمس تعطين الضياء وترسلي
وإذا سئلت تكرمي لا تبخلي
والعلم ينفق لا يمان بكلل
فيما يهم الحي لا تتنقلي

فمن الجهالة أن تكون فتاتنا
الكل مسؤول تجاه فقيرنا
الفقر يعتصر الفؤاد من الأسى
ما قل مال بالتبرع والجدا
ودع التواكل والتواني جانباً
فالأفق واسع والمواهب جمة
وتعلمي فن الخياطة أتقني
فالحي محتاج لجيل عالم
بالعلم تنتصر الشعوب وترتقي
وبه السعادة والتقدم والغنى
وتزيني بالمكرمات وبالتقى
وتمسكي بالدين فهو مفازة
أفمن تسير بنور يوم ساطع
سأحب مشغلنا الحبيب بقوة
وبه غدا (حي الأمين) مفاخراً
حبي وتقديري لمن شادوه لي
(جمعية الإحسان) بارك ربنا
وأرحم مؤسسها (الأمين) ومحسناً
من كان في (حي الأمين) مريباً
عوض على (حي الأمين) نظيره
أبقى لنا الإحسان رفداً دائماً
أعضاؤها هم من أكارم حيناً
أنا لست أقوى مدحهم فكفاهم
وبما أخص المحسنين من الهنا
قد شبه الإحسان مثل سنابل
يا رب بارك كل قرش انفقوا
وقال في أهل البيت (ع):

عما يدور حيناً في معزل
والكل راع بالسخاء تزملي
لو كان من صخر أصم جندل
والبر والإحسان عذب المنهل
لنسير من يوم ليوم أفضل
هبي اصنعي مجداً لحيك وأعملي
كل الدروس بفطنة وتعقل
فبنور علمك كل جهل ينجلي
وبه على هام الممالك تعتلي
ونجاتنا من كل جهل مخجل
صوني حياءك بالعفاف تجملي
وسبيل علياء ومجد أمثل
هي كالتى تمشي بليل الليل
فيه غدا فوق الكواكب منزلي
وبه تحقق في الدنى مستقبلي
والعاملين المحسنين لمشغلي
سدد خطاها بالنجاح وكلل
للمحسنين من الرعيل الأول
أعظم له رب العطاء وأجزل
أنزله في الجنات أفضل منزل
لابن يتيم أو فقير مرمّل
يسعون للمثلى بجود منهل
ما جاء في الذكر الحكيم المنزل
في الأي في قول النبي المرسل
بالبر تحصد لا بحد المنجل
وتقبل الإحسان خير تقبل

فولاهم هو في العبادة أول
عن حبهم يوم القيامة أسأل
يوم الحساب بحبهم أتوسل
منهم على نور الحقيقة حصل
فحديثهم خير الحديث وأفضل

عن حب آل محمد لا أشغل
هم سادتي هم عدتي وأئمتي
مالي سواهم للإله تقرباً
شايعتهم وتبعتهم عن خبرة
صدقت ما نقلوه عن خبر الورى

ما حدثوا إلا بما سمعوا وما
ساروا على نهج النبي محمد
واستنبطوا الأحكام عن علم فهم
واليثهم ويرث من أعدائهم
ثم يتطرق إلى واقعة الطف فيقول:

حسبت حسين قد انتهى لكنه
ماقت في عضد الحسين وعيدها
قد حارب الأعداء دون هوادة
للدين تدخر الصوارم والقنا
لم يعطها أعطاء ذل للعدا
أحسين يقتل في العراق ورأسه
والثغر ينكأه نريد تشفياً
أرني الهي رأس شمر صاغراً
قتل الحسين بكريلاء جريمة
قد كان مقتله نهاية حكمها
ظنت بمقتله الأمور ستنتهي
لكن مقتله أطاح بحكمها
ودماؤه أحييت شريعة جده
يارب بلغني شفاعة جدهم
سأظل عمري ما حييت موالياً
كل امرئ لم يعترف بولائهم
والله كل شفاعة لم تقترن

وقال في ذكرى المولد النبوي:

حرت ماذا بعيد طه أقول
عيده فوق كل عيد تسامى
هو أسمى من الكتابة قدراً
اعذروني فكيف أسمو إليه
وصفه فوق قدرة الخلق طراً
كلما قلت سوف أمدح طه
علم للهدى رسول سلام
لو ملأت الدنيا لأحمد وصفاً
كيف أسطيع مدح من بعلاه

فعلوا كما فعل العداة وضلوا
ما حرفوا قولاً له أو بدلوا
أهل النبوة للشريعة منهل
ومن الذي كانت أمية تفعل

في قلب شيعته يعيش ويمثل
وهو العليم بكريلاء سيقتل
كالليث يزأر في الوغى ويجلجل
والنفس تعطى والنفائس تبدل
فالموت أفضل للحسين وأنبل
حتى الشام على الأسنة يحمل
كان النبي يشمه ويقبل
يرمى ويقذف في الجحيم ويركل
عارأته أمية لا يغسل
لم تجن ما كانت أمية تأمل
يرخى الستار على المصاب ويسدل
وبه غدت أركانه تتخلخل
هي ثورة نور يضيء ومشعل
بولائهم فنصيرهم لا يخذل
حتى على نفس المنية أحمل
آل النبي فدينه لا يكمل
بولاء آل محمد لا تقبل

فعيي مهما البيان يطول
ما آتاه في الكائنات مثيل
منتهى المدح فيه نزر هزيل
فنبى مديحه مستحيل
أعظم الشعر عن مداه كليل
كل شعري وعاد وهو خجول
لا يوفى بحقه التبجيل
صاحت النفس ذا المديح قليل
قد تبارى القرآن والإنجيل

وكفاه من الإله عطاءاً
قارع الكفر في أناةٍ وصبرٍ
حطّم اللآة بدّل الكفر ديناً
أن قرأه إلى الآن يتلى
فلعمري هو النجاة لقومي
ناصر الدعوة الإمام علي
في فراش النبي بات هنيئاً
هزم الكفر يوم ضربة عمرو
قطع الساق وارتماها بعيداً
نفس طه نفس الإمام علي
وأخ المصطفى وخير ابن عم
أل طه يوم الحساب رجائي
عدتي أحمد غداً، وعلي
فسلام من الإله عليهم
كلما زانت السماء نجوم

فله كان خادماً جبريل
ما ثناه منافق أو جهول
قال للمشركين أن الرحيل
هو للنور مرشد ودليل
وينصر للمسلمين كفيل
هو للدين سيفه المسلول
لم يخفه مكابر ضليل
صير الأرض بالنجيع تسيل
فتعالى التكبير والتهليل
فحبیب مقرب وخليل
مدحته الآيات والتنزيل
عند ربي لهم مقام جليل
حسن المجتبی، الحسين البتول
أتى الليل والصباح الجميل
أو أتى جلق النسيم العليل

(٩): الأستاذ ممدوح أبو حسان بن داود بن السيد حسن بن إسماعيل بن حسين بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمد بن حسين ابن عبد الحليم بن أبي الحسن علي بن السيد محمد الصندوق الحسيني الدمشقي.

شاعر وأديب مرموق ورجل إدارة ناجح، من ذوى السمعة الحسنة والأخلاق الحميدة، وهو مثقف واسع الأفق، ذو إطلاع ورأى وحكمة.

ولد بدمشق ١٩٣٥ وبها نشأ وتربى وحاز على الثانوية وعمل موظفاً في شركة الطيران العربية السورية وما يزال، وقد اتقن اللغة الإنكليزية والفرنسية، وله ديوان شعر كبير يغلب عليه الطابع الغزلي وينتقي في غزله رقة الألفاظ والمعاني ليسبكها صوراً حلوة تداعب قلوب المحبين وتأخذ بلب العاشقين وهو من تلامذة المرحوم الشيخ أحمد صندوق ومن المتأثرين بشعره وشاعريته. ومما وقفنا عليه من شعره هذه القصيدة في رثاء السيد أحمد صندوق:

ركع الأشم لدى ركوع عماده
والصارم المسنون فل مؤثراً
ودها البراع مصابه بخدينه
والسفر مل من الدنا وهو الذي
هذي دمشق تدثرت بسواها
ومشى النعي فما تطرق سامعا

وهوى الشجاع لدى كبو جواده
بجهاده لم يبق غير نجاده
فبكى الوفا مغروراً بمداده
شهد الخطوب تبید من أنداده
والشرق ماد بشمه ووهاده
إلا وحز بقلبه وفؤاده

سل راسيات الكون سل أبناءه
 هل ناله عطف المنون لواحد
 في كل يوم للحمام رمية
 أف لهذا العيش كيف نرومه
 نأتي إلى الدنيا ونرغم رحلاً
 كم من فتى ذر الحياة مناقباً
 لله أحمد ما أعز فراقه
 قالوا قضى قلت أدعاء قولكم
 وهو الذي ملأ الحياة مآثراً
 أخذ العلوم عن (الأمين) فكان من
 وتلقن الفصحى فكان لسانها
 أدابه غر البيان وشعره
 وهو الذي جعل الحياة فخورة
 وهو الذي اتخذ الوفاء شعاره
 أيحول كأس الداء دون مراده
 حاشاك أحمد أن تكون مجافياً
 الله يشهد أنك الرجل الذي
 ولأنت من قوم بدا فرط النهى
 قل لي بحقك كيف يعتام الردى
 حتى علا الجوزاء في عليائها
 أيصاب صرح المجد في أبنائه
 لو كان يدري من تناوله الردى
 والدهر مدخر الأنام فمن يكن
 إن الذي هاب القتال ذعافه
 والموت من سنن الإله شريعة
 أمنت إذ وجدت ربك أنه
 ما خلد الإنسان غير فعاله
 ولقد أتيتهم وكنت مشرفاً
 وله بعنوان: مناجاة قلب:

تذرعت الثبات ولدت صبرا
 عرفت اللج فيك فكم نهارا
 بنفسي من خفقت لها ولكن

والشاهدين عليه من رواه
 من رافعي عز ومن أمجاده
 ويح الحمام لقد طغى بمراده
 أنظنه رغدا برغم فساده
 أبدا نصلى الضيم من جلاده
 وطواه ركب الموت دون حصاده
 في قلب أهليه وفي حساده
 أو تحسبون مماته ببعاده
 في كل مأثرة خلود بلاده
 نبغائها والدين عن زهاده
 وتشرب التاريخ من أوراده
 حكم الزمان الدهر من سواده
 بشبابها فهم نتاج جهاده
 ودعا إليه النشء من أحفاده
 متكرراً يبدو على عواده
 لله درك من رفيع عباده
 ما مال يوماً عن خطا أجداده
 متجسماً في الكل من أفراده
 من قوم الجهال صوت رشاده
 واقترب ثغر الدهر عن إنشاده
 أم هل يسام النشء في أولاده
 لبس الردى أسفاً قميص حداده
 ذا منة وفاء عند رقاداه
 ماعد يوم النصر من قواده
 مخطوطة للمرء منذ ميلاده
 حق عليك حملت عبء سداده
 أو ما ابتنى ذخرا ليوم معاده
 فاهناً بخلد أنت فخر عداداه

وقلت ألا أحتمل يا قلب عذرا
 إذا ما مرّينا قلت دهرا؟
 أعيب عليك أن ناجيت جهرا

رويدك لا تدع فيهن شأنا
 سلوا عهدي وما أغضبت عهدا
 لهن لواحظ يفللن عزمنا
 تبصرت الجمال وهمت فيه
 وثالوثا لهن مشيت يومنا
 ولما أن أتيت الماء قبلي
 فقلت وفي فؤادي شبه نار
 ولي منهن قاتلتي ترامت
 تلافها الصبا والشعر تاج
 لها عود كعود الرند لينا
 وأجضان تولوا خط نار
 وطيف فيه ميزت العذارى
 تبارك خالق الأكوان حسبي
 وأن أطريتها الإعجاب قالت
 جنيت على الفؤاد وكان ملها
 وقدمت النذور على التوالي
 أراقبها شموسا بعد ليل
 فما أرخت بساط النور حتى
 أنازعها الهوى وتضن فيه
 لنن أسلمت للأضغاث نفسي
 لدى سهل تفجر فيه نبع
 جثت وجثيت من خدنين أما
 يخبط ساقها الامواه حتى
 ولما أن طلبت الشرب جاءت
 فقلت وفي فؤادي منه حر
 بنفسي ما ضمنت لها ولكن
 سأشربها من العناب كأسا
 هنالك حيث لا أدري لنفسني
 وقال:

الشوق يفصح لا الفم
 حار القريض وحررت في
 عيناك أم شففتاك أم

وربي قلت آها قلن عشرا
 وكم من مدنف قد باء خسرا ؟
 إذا صادفنا أوقعت أسرى
 ولما أن وصلت جزيت هدرا
 بحومة مدرك فبلغت نهرا
 عمدن إثارتي فعرضن صدرا
 أيحمد من أحال الجسم جمرا ؟
 على صخر فما أزكاه صخرا
 يرصعه غروب الشمس تبرا
 لأن أجهدته لا يأل كسرا
 يكيلون السهام لمن تحرى
 يحن على القلوب فتمن سحرا
 إذا شاهدتها أدركت قدرا
 ألم تر كيف قال الله أقرأ ؟
 أعظم ذا المبر وذا الأبرأ
 وأشعلت الشموع وجزت فجرا
 تسود حيث لم يضتر بدرا
 تهلل ناظري وأعز ذخرا
 فامقت عهدا وألوذ صبرا
 عنا لي ذكرها فأهاج ذكرى
 تملل ماؤه كالضجر مجرى
 مكانا كان إذ طلباه قفرا
 تعطر طعمها فأحيل خمرا
 بكفيها تقول أطعت أمرا
 أتشفي الكأس من أعيته سكرى ؟
 صريع الراح لا يلتذ عمرا
 يخلد طعمها في الثغر شهرا
 بقاء بعده أم ألق قبرأ

أنني بحبك مغرم
 أي المفاتن أنظم
 روح الدعابة أم هم

يحرمنني حلو المنام
بالله رفقا أبعدني
لا تحرميني مرتين
وقال متغزلاً أيضاً:

قد ألبستني رداء السهد والكد
حاولت اخبئها راشيت بأسهمها
في سحرها ولع في قربها طمع
لو أن فاتنتني في حبها عدلت
لكنها هجرت من بعد أن علمت
أعاقِر الراح نشوان الفؤاد فما
فاترِ الكأس في مس الجنون وقد
لا يقتل الحب إلا فعل مشرعة
لله در الليالي إذ عرفت بها
قضيتها مدداً في جنب فاتنة
فتبعث الروح أو أوكار موحشة
وقال:

شفاهك كأس من مراشفها الخمر
وللشعر أوصاف اليتيمة يرتمي
وللقد سحر لا الغزالة حاولت
وللعيون سواد جلّ صانعه
وله:

الروض أينع والزمان تبسما
والجدول الرقراق عاد خريره
والطير غادر عشه متلمسا
انظر ترى ركب الحسان وقد رمى
فالجفن منسدل يريش سهامه
والحاجبان على الجبين تصافحا
وتطاول الجيد المليح بخفة
والقرط زان ولم يزن أذنين في
وتلأل المكنون بين شفاهها
وبدا لها النهدان خفر جمالها
تمشي على استحياء تترك خلفها

فقرح جسمي منهم
عني الملام وعنهم
لقد رمانني اللوم

تباً لحواه لا تبقي على أحد
صوب الفؤاد فلم تحظى ولم تحد
في بعدها وجع يطغى على جلدي
لما شكوت من الدنيا إلى أحد
أن الفريسة أضحت خلوة العدد
شفى الغليل وما أنست من رغد
ساد السكون ولكن ضج في كبدي
سهما من اللؤم أو سيفاً من الحسد
ودا تصدق بالإخلاص لا العقد
حوراء تأخذ من لبي بمد يد
كومضة النور حلت في لجين ندى

وخدك ورد ليس يضرعه الزهر
على المناكب لا نظم ولا سبر
منازله نيلاً، ومن خدك ذا البدر
عيون مها أغفت وألقى بها الجهر

والمسك فاح منبهاً ومسلماً
من بعد غصته يضح مرناً
حياً وحباً لم يشأ إلا هما
منا القلوب ولم يبال بمن رمى
ومن المواضي ما يحث الأعظما
سيفان جافى في الوغى غمديهما
سمحاء يحكيها الغزال إذا انتمى
منحى الكمال فما أجل وأعظما
فحسبت عقداً بين فكئها ارتمى
متوثبين إذا الدخيل دهاهما
صرعى عطاش قد أحل بهم ظما

قد خلفت أم كم فؤاد اكلمنا
 وهل بعيدا بدا للعين لقيانا
 صوب السبيل الذي منحاه منحانا
 منك الأنوثة تذكي في أشجانا
 ما مرّ طيفك خلت الطيف إنسانا
 فما يذكر إلا الطيف أحيانا
 منك ابتسامة رفق في محيانا
 باعاً يطاول في الدنيا ولا شاناً
 أم أنت تخفين عنا غير رؤيانا؟

لم تدر أي جوارح وجوانح
 وقال من قصيدة:

سلي شراع الهوى هل ضلّ مرسانا
 وناشدي الريح أن يلقي بعاصفة
 ورقرق الحسن في خديك والفجرت
 يا خفقة القلب يا كل الحياة إذا
 إنسان عيني لقد جافيت عن عمد
 يكاد يأخذني مس إذا بدرت
 سهام لحظك ما أبقت لذي رشد
 أهكذا الحسن يقوى قلب صاحبه

(١٠) السيد محمد نذير بن الحاج محمد حسني صندوق

ولد في دمشق في ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٦٨ هـ الموافق ٢٧ آذار ١٩٤٩ م وأرخ ولادته المرحوم

والده بقوله:

أنعم الله تعالى	وهو ذو المن القدير
بغلام عم قلبي	فيه أنس وسرور
فله الحمد على نعماء	له فهو خبير
ولقد قال عبادي	أنني الرب البصير
أن شكرتم لأزيدنكم	عم أني شكور
وأنا المذنب وهو القاه	ر العدل الكبير
ليس يحصي سيئاتي	غيره وهو الغفور
ورجائي في حسابي	عفوّه فهو المجير
فلقد آخى بشيرا	ولده فهو النضير
بخضوع قلت أرخ	(جاء بالنصر النذير)

١٣٦٨ هـ

وصديقنا السيد محمد نذير صورة حية عن والده الراحل بأدبه ومكارم أخلاقه، معروف بورعه وتقواه وهو إلى جانب ذلك شاعر وأديب، ولوالده في ذلك أوفى نصيب، إذ رياه على طريقته، وغذاه العلم والأدب فأحسن تربيته، وهو اليوم (سنة ١٩٨٠) إلى جانب عمله الوظيفي يتابع دراسته في الجامعة السورية لنيل الليسانس في اللغة العربية، في نفس الوقت يواصل دراسته للفقّه الإسلامي.

وبداً أول ما بدأ في النظم سنة ١٩٧١ يشجعه في ذلك والده وهو مقل في شعره، وقوة العاطفة تظهر بين سطوره كما مرّ بك في قصيدته الميمية التي رثى بها والده الحاج محمد حسني صندوق. ومن بين قصائده الأخرى هذه القصيدة التي أنشدها في حفلة تأبينية أقيمت في حسينية الإمام علي بحي الأمين، أحياءً لذكرى فقيه العلم والأدب العلامة السيد حسين آل مكي:

خطب جسيم حل في أرجانا
رزء له مادت دمشق وعامل
يا راحلاً رفقاً بمهجة مدنف
قد شيعوا مذ شيعوك سرورهم
قد كنت طود تقى وإخلاص وعلم
ربيت جيلاً بالفضيلة مولعاً
وقضيت عمرك ناصحاً ومجاهداً
وبذلت أنفوس ما ملكت إلى الورى
ولقد سموت بلاغة وفقاهة
ولكل مكرمة تسير مجلياً
يا من غدا محبوب كل مهذب

ويشير إلى بعض مؤلفات الفقيد فيقول:

(مصباحك الداعي) ينير لزائر
وزهى (دليلك) للمناسك حجة
(بعصمة) الأظهار شرح عقيدة
(جمع الصلاة) (مشهد) (وتمتع)
إلى أن يقول:

لم ابك شخصك يا حسين وإنما
أبكي الشريعة فيك أنت عميدها
أبكي بك الدين الحنيف وشرعة
جاورت (محسن) في ثراه بمنزل
في غرفة بجوار زينب يالها
ولتفتح الجنات قلت مؤرخاً

ومن نظمه هذه الأبيات التي كتبت على ضريح الحاج أبو نادر حمزة ابن الحاج إبراهيم

صندوق:

هذا ضريح فيه (حمزة) راقد
من آل صندوق وتلك وجوههم
ويقرب آل البيت أضحي رمسه
من آل إبراهيم نال المغفرة
بؤلاء آل المصطفى مستبشرة
يرجو شفاعة جده في الآخرة

ويجدر بنا قبل أن نختم هذا الفصل الإشارة إلى بعض أعلام الأسرة ممن اشتهروا في مجالات أخرى غير الأدب فمن الشخصيات، والوجهاء السادة الحاج عزت أبو برهان بن إسماعيل بن حسين بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمد صندوق ويتولى الأشراف على بعض مساجد دمشق، والحاج شفيق أبو سليم حفيد الشاعر الشيخ داود وقد قابلته بمحل عمله في الفرع المسمى بالقيشاني المتفرع من سوق الحرير وهو من الصلحاء، والأستاذ نزار أبو نبيل بن داود بن حسن بن إسماعيل ابن

أصمى القلوب وقرح الأجفانا
أسفاً وأكد وقعته الاحزاننا
مرت به الذكرى فحار لساننا
وهناءهم واستقبلوا الأشجاننا
واعتدال تمقت الشنآننا
جددت فيه العزم والإيماننا
ودابت ترفع للتقى بنيانا
أبشر فأبسى أجرك الرضوانا
أحجى الورى رأياً وأرفع شاننا
والى المعالي ترشد الشباننا
ولكل مقلدة ناظر إنساننا

والشرع بات بمنهج عرفانا
ولكل معتمر نراه بياننا
ظلت قواعدها لنا تبياننا
مثل اللالىء زانها العقيانا

أبكي المروءة فيك والوجدانا
والبر والمعروف والإحسانا
الهادي وأهل البيت والقرآنا
طابت مجاورة وطاب مكانا
من جيرة سعدت بها علمانا
(يسعى حسين أثابه الرضوانا) ١٩٧٧

حسين بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمد صندوق الموظف في المديرية المالية، والأستاذ زهير بن الشاعر الشيخ أحمد صندوق المدير في مالية دمشق والحاج عبد المالك أبو عباس بن الشيخ محمد صندوق المدير في مالية دمشق، والحاج حيدر أبو أكرم بن إبراهيم بن إسماعيل صندوق التاجر بسوق العصورنية والحاج جميل والد الشاعر نزيه صندوق، والحاج سليم أبو هاني بن الحاج حسين بن محمد سعيد ابن إسماعيل بن حسين بن إبراهيم صندوق المدير بشركة الطيران العربية السورية والحاج درويش شقيق الشاعر الحاج حسني صندوق (أبو كمال) أحد مؤسسي شركة المغازل والمناسج والأستاذ أسامة بن يوسف بن عارف بن الشاعر يوسف صندوق، ومنهم المرحوم الشيخ محمد صندوق شقيق الشاعر الشيخ أحمد وكان قارئاً للقرآن عارفاً للقراءات السبع وكان العلامة الأمين يعتمد عليه كثيراً في هذا المجال وله فضل في تعليم القرآن وتجويده لأبناء الحي وهو والد السادة: السيد محمود، والسيد عبد المالك والسيد حسن والسيد حسين آل صندوق.

ومنهم الشيخ عباس بن إسماعيل بن حسين بن إبراهيم بن إسماعيل صندوق، كان رحمه الله من خيرة قراء القرآن بدمشق ومحل اعتماد السيد الأمين وهو والد السادة: السيد علي والسيد عبد العزيز والسيد جميل.

ومن بين الشباب النابه من آل صندوق الأطباء، الدكتور بسام أحمد صندوق والدكتور عارف يوسف صندوق والدكتور فائز بن صبحي ابن محمد علي صندوق والدكتور سمير بن شفيق صندوق، والدكتورة ابتهاج عبد الكريم عارف صندوق، والمهندس حكمت رضا إبراهيم صندوق والمهندس ممدوح عبد الكريم صندوق والمهندس حستان بن موفق بن أحمد صندوق، والمهندس أحمد موفق صندوق، والأستاذ حمدي صندوق (قارئ القرآن بحسينية الإمام علي) والأستاذ فؤاد بن إبراهيم ابن صالح صندوق. ومن أعلام الأسرة صديقنا الحاج علي محمد سليم صندوق من فضلاء الحي وأحد خطباء جامع الزهراء ومن موظفي مجمع اللغة العربية النشطاء، والسيد حسن (أبو رائد) صندوق، والسيد محمد نادر صندوق، والسيد إحسان (أبو غياث) صندوق وله دراسة عن الهندسة البتروولية، وهي أطروحته للماجستير، وغيرهم.



الشيخ محمد
علي صندوق في
الوسط أثناء
رحلة الحج



ديوان

الشيخ
يوسف صندوق الحسيني
(١٨٦٦ - ١٩١٦ م)

صنعة
محمد سعيد الطريحي
(دمشق ١٩٨٠)

أكاديمية الكوفة

هولنده

ديوان

الشيخ

يوسف صندوق الحسيني

(١٨٦٦ - ١٩١٦ م)

قال مادحاً الإمام علي عليه السلام:
غزالة الحسن لاحت فانجلي الفسقُ
لضرعها ينتمي الليل البهيم إذا
والسحر من مقلتيها والجفون بدت
أنا القتل بسيف من لواظها
في وجنتيها مياه الحسن جامعة
والثغر فيه رحيق الريق يرشفه
قد شمت منه بروقاً وهي باسمه
عقيقة لم يختم غيره كشذا
خرس أساورها والخصر منتحل
غنح محاجرها والقدر معتدل
تهز أعطافها الأرماح طاعنة
والبدن يخجل منها وهي مسفرة
موتى هواها إذا مرت بهم سعدوا
ولست أشقى وأن كانت مفارقتي الأ
ولي ولي به استمسكت لا بسوى
به السعادة عند الله أبلغها
خير البرية من بعد النبي ولم
هو الإمام (أمير المؤمنين) فيا
المرتضى الآية العظمى التي اتضحت
والقصور الحجة الكبرى التي عجزت

ومن سماء التلاقي أشرق الأفقُ
ما أسدلته وببدو تحته الشفقُ
مرضى وأهل الهوى من نبلها رشقوا
ومدمعي عندم كالسيل يندفقُ
ناراً بها كبد المشتاق تحترقُ
سواكها ليت أهل الحب منه سقوا
عن لؤلؤ فاق ما يزهو به العنقُ
عبيرها مالصب منه منتشقُ
كالصب من فرط سقم ما به رمقُ
تميل كالغصن لما زانه الورقُ
بها الذين يراه بعدها الأرقُ
وللتفاتاتها الأرام قد عشقوا
وأن جفتهم وضنت باللقاء شقوا
نعام والحرث والعقيان والورقُ
ولأنه وولا أبنائه أثقُ
إذا العصاة به سوء العذاب وقوا
يكن لغيرهما بالفضل مستبقُ
بشرى لأهل تقى في حبه غرقوا
إلى الهدى في الورى من نورها الطرقُ
عن وصفه الخلق والأقلام والورقُ

سيف الإله حِمامَ المشركين متى
وشمل أسيافه والعلم مجتمع
أخو الرسول وخير الأوصياء أبت
ووارث علم طه زوج بضعته
حبلى الإله (علي) تبَّ شائنه
في الذكر طاعته والحب مفترض
قد أوقعوا في عظيم الدل أنفسهم
صراط رب السماء المستقيم ومن
وفرقة حاريوه بتسما فعلوا
وفرقة عبده مدعين له
وصي أحمد تعسا للذين إلى
بعدا لهم نكثوا إيمانهم وعتوا
سيدخلون سعيرا خالدين لهم
يا أيها الواهب الخيرات نائله
من فيض جدواك سحب المزن مرسله
حزت الفضائل ممدوح الإله ولم
غلاة أقصى مديح فيك ما كذبوا
فالجود بعدك ولئى والفضار قضى
فكن شفيعى يوم لا ينجى الورى سبب
إلا محبوبك عضو الله يشملهم
صلى عليك إله العرش ما غربت
وقال:

حب أهل البيت فرض واجب
وولا (حيـدر) حق لازم
وقال مشطرا:

(كل من والى على المرتضى)
ومن استمسك في أبنائه
(حبه الأكسير لو ذر على)
وولاه التبـر لو ضم إلى
وله مشطرا أيضاً:

(على الله في كل الأمور توكل)

رأوه في جمعهم بغشى الوغى صعقوا
وشمل أعدائه والمال مفترق
ولاءه معشر لولاه ما خلّقوا
ويل لقوم عليها بالأذى اتفقوا
وضل أهل شقى عن أمره فسقوا
مع الولاء به حساده ارتبقوا
كأن عليه من نصب لهم وهق
رُدَّتْ له الشمس وارتابت به الفرق
وعند ربه ما قدموه لقوا
دعوى النصارى بعبسى ساء ما نطقوا
إيذائه وأذى أبنائه انطلقوا
منافقين ورتق الدين قد فتقوا
أعد فيها مع الأنكال متسق
ومن به المؤمنون الفوز قد رزقوا
ومن علومك علم الخلق مسترق
يكمل بغير علاك الخلق والخلق
والمادحون سوى عليك ما صدقوا
والمجد مات أسى والظالمون بقوا
من السماء ولا من أرضها نفق
وليس يدركهم بالمحشر الفرق
شمس وما أنشق من أصبحها الغلق

لعنة الله على من رفضه
غضب الله على من أبغضه

نال عند الله أعلى الدرجات
(لا يخاف عظيم السيئات)
عظم الأوزار عادت صالحات
(سيئات الناس صارت حسنات)

برحمته أوليت أشرف منزل

به وهو حسبي لا تزال استعانتني
 (محمد المبعوث وأبنيه بعده)
 فهم صفوة الخلاق من سائر الورى
 وقال مادحاً صاحب الزمان عجل الله فرجه (وقصيدته هذه مرتبة على الحروف الهجائية):
 أوجه سليمى أطلع البدر زاهيا
 بروق ثناياها لعيني أومضت
 تميت وتحى بالصدود وبالله
 ثملت براح الحب ممن لحاظها
 جنوني بأرباب الجمال فريضة
 حلّى الحب عندي لو سقيت به الردى
 خفضت برفعى فيه قدر عواذلى
 دمي مستباح للحبيب لأننى
 دليل أعز الناس في الحب والطبا
 رضيت بذلى في الهوى واستكافتي
 زففت إليه الروح والحب يشترى
 سقاني الحميا بارتشاف رضابه
 شفاء سقام الصب قرب حبيبه
 صفا عيش حساد سرورا بكريتي
 ضمائنا محزونة لفراقه
 طيب بهامات العدى عمم القنا
 ظفرت بما أرجوه منه ولم أخب
 علا قدره العلياء فهو محمد
 غنى الخلق يرجو من ندى جوده الغنى
 فضائله تعيي العقول بجمعها
 قدير يهاب الدهر والموت بأسه
 كفاه بأن الله أولاه سره
 لقد راعني دهري ولم أرى غيره
 محاسناتي حبه وولائه
 نناديك يا مولاي عجل مبادراً
 هضاب الرواسي سيرت من مصابهم
 ومارت لتنشق السماء وزلزلت

(وبالخمس أصحاب الكساء توسلي)
 بهم كل خطب في البرية ينجلي
 (وفاطمة الزهراء والمرضى علي)
 أم الصبح جلى بالشروق الدياجيا
 فأجرت جفوني وابل الدمع قانيا
 فأخشى وأرجو بعدها وتدانيا
 وأعطاها تحكي الظبا والعواليا
 إليك عذولي كيف أسلوا اعتقاديا
 وخف ولو كان الجبال الرواسيا
 ومن نصب أعلامي جزمت الأعاديا
 أرى جنّتي في وجنتيه وناريا
 بأعينها ترمى الليوث الضواريا
 إذا كان من أهواه لي راضيا
 من الخلق بالوصل النفوس الغواليا
 فلست أرى حتى القيامة صاحيا
 وفرط النوى يهدى إليه الدواها
 فيا رب عجل بالحبيب اقتترانيا
 ونحن مدى الأيام نرجو التلاقيا
 وأرواحها يستلّ بالبيض شافيا
 وأكرم به مولى إلى الله داعيا
 أمام به المولى يشيد المعاليا
 ومن كفه يولي الغيوث الغواديا
 ولم ير منا الحاسبون تناهيا
 وألقت إليه الكائنات النواصيا
 ومن علمه آتاه ما كان خافيا
 بأولاي والأخرى مجيراً وواقيا
 وكنّز عني في المعاد المعاصيا
 وكنّ للعدا بالبيض والسمر ماحيا
 وكادت لها تغدو الرياح سواقيا
 له الأرض والأيام صرن لياليا

ينال بك الإسلام عزاً ورفعة
وله في صاحب الزمان أيضاً:
إلام أمام العصر نبكي ونندب
عجبنا ولى الأمر مما أصابكم
تباح دماكم للعدى وتراثكم
فقم ناصراً للدين يا من له الورى
وقال:

ألا قل لأعداء النبي محمد
لكم من إله العرش صيحة قائم
هو الحجة المهدي أفضل من غدا
عليه سلام الله ما الفجر فرقت
وقال:

كسا الغمام الربى برداً من البرد
وصيب المزن سالت منه أودية
ولعل الرعد وانقضت صواعقه
والبرق صال على تلك السحائب كي
والفجر شق الدجى فارتد سالكه
كما ستهدى الورى بالحجة الخلف المهدي
(محمد) سهل الرحمن مخرجه
هو الهمام المبيد الكافرين مع المنافقين
له تخر بأمر الله ساجدة
وان يشه أمر السبع الطباق تمر
فالدهر والموت والأقدار تمسك في
أعطاه مولاه علم الأولين وعلم
يحيى الشريعة من بعد الدثور كما
يشفى به ما يرى الأجسام من سقم
أدنى عطاء الغنى للمترين وأن
فالبحر السبع أن تنفذ بيوم ندى
يخلي البسيطة من جور ويملوها

فلا زلت للدين النصير المحاميا
وأحشائنا من رزئكم تتلهب
وصبرك أغضاء على الضيم أعجب
ولا الإرث مزودود ولا الثار يطلب
بيوم الندى والباس ترجو ويرهب

ومن جار في ظلم على الآل واعتدى
تخريها الهامات للبيض سجداً
على الخلق من رب السماوات سيداً
صوارمه جيشاً من الليل أسوداً

ويرقع الريح وجه الماء بالزرد
تموج في بعضها كالبحر في الزبد
لتنذر الناس بأس الواحد الأحد
يسوقها بحسام منه متقد
عن غيه وإلى نهج الطريق هدى
قائم أهل البيت للرشد
وأنزل اليمى في أيامه الجدد
ذوى الإصفان والحسد
شم الجبال وان يأمر بها تعد
والأرض أن شاء يوماً بالورى تمد
أرقة بسوى يمناه لم تقدر
الآخرين فاحصاهم بلا عدد
يحيى له الله أمواتاً بلا فند^(١)
وينجلي ما عرى الأبصار من رمد
لم يسألوه عليهم بالندى يجد
فبحر جدواه لم ينفذ ولم يبد
عدلاً يؤلف بين الشاة والأسد

(١) هذا البيت لأخيه الشيخ داود.

مولاي أعياء الوري إحصاء مائك من
فقم وعجل فبين الخلق أجمعهم
وسر أفضدة كادت مصائبكم
فالدين حل به سقم وأن بأن
يا آل بيت رسول الله لُذت بكم
أنى موال لكم أرجو شفاعتكم
لي سيئات بكم أرجو يكفرها
وأن تمل بي آثامي إلى درك
ودونكم مدحة تسمو السماك بكم
يرجو ابن صندوق منكم يوسف كرمًا
صلى الإله عليكم كلما طلعت
وقال متغزلاً:

قلبي بحب الغيد هاماً
ولقد شغفت بذات حسن
كالصبح طلعة وجهها
قلبي كليهم لحاظها
والخصر منها والجفو
ياليتها في ودها
أنى بهالى في الكرى
قربت ولكن أشبهت
ما نفع قرب ديارها
هي جارة جارت ولي
خطرت وما علمت بما
طعن فراه وما درت
ورنت ولم تشعر بهم
من عذب منطقتها ثملت
في وجنتيها النار تصد
يا غير راحمة ترى
ما أنت منصفة فتى

فضائل أن تعدو بعضها تزد
سواك منتصراً للدين لم تجد
تقضي عليها من الأحزان والكد
يشفى وأنت له كالروح للجسد
من نائبات وها من وقعها جلدي
لم تعتلق بسواكم في الأنام يدي
عني دفاعاً فأنتم في الوري عددي
من الشقاء فقد عدتكم سندی^(١)
ولم أكن محسناً قدمتها لغدي
قبولها فهو عنكم قط لم يحد
شمس وما لاح بدر دائم الأبد

ورعى لهن به الذماما
تخجل البدر التماما
والفرع قد أرخى الظلاما
مذ حكمت فيه الحساما
ن غدت تقاسمني السقاما
يوماً تشاطرني الغراما
وصدودها سلب المناما
بنفارها مني النعاما
إذ لم أنل منها المراما
س تجير صبا مستضاماً
منها أصاب المستهاما
همزت قفاه أم قواما
حجته التي ملئت سهاماً
ولم أذق أبداً مداماً
في العاشقين بها ضراماً
وصل المحب لها حراماً
في الحب ما سمع الملاما

(١) هذا البيت لأخيه الشيخ داود.

وأبيك لا أسألو هـوا
دمعي غدا ويلا وأجف
ينهـل ما برق بدا
لم أوضـح اسمك في القر
تلك القصيدة كاعب
يا كاعباً هي كعبة
طـرف الرقيب بصون سر
فصلي محباً طول هـجـ
يشفيه درياق بثـغـ
واليك شعرا فـاق د
يزهو بذكرك فائحاً

ك ولو به ذقت الحماما
لاني له أمست غماما
يحكي ثنائك ابتساما
يض ولا أبوح به احتراما
قصدتك بالحب انتماما
لي عندها أرجو مقاما
ك في الهوى عنا تعاما
رك فاصل منه العظاما
رك طاب رشفاً والتئاما
ر الثغر والجيد انتظاما
كالمسك بدء واختاماً

وله في مدح النبي (ص) وأمير المؤمنين (ع)، والقصيدة (أصلاً وتخميناً) من نظمه وقد رتبها على الحروف الهجائية عكساً من الياء إلى الألف:

أن تجرُفي الهوى على دلالا
جاء من فقتـه بها وكـمالا

ترني لا أميل عنك ملالا
يوسف الحسن يستعير جمالا

من محياك يا نبي الجمال

أقبلت نحوك المحاسن تطلب
حيث لا شيء في العلى عنك يعزب

منك إتمامها بكل تقرب
لا بل البدر ليلة التـم أن يبـ

صرك يظهر للعين مثل الهلال

يا غزلاً لمهجتني راح صائد
لك بدر السـما أصبح حاسد

وبجل الهوى غدا لي قائد
وذكاء رآد الضحى أن تشاهد

لا تغب منك غيبة الأثـال

كلما في هواك أملت خيراً
وليل إليك أزمعت سيراً

نلت بؤساً من الجفاء وخيراً
هـب من أرضكم على سحيراً

فشفى عـلتي نسيم الشمال

بعد إبعادكم مصابي جلاً
كل خطب يهون عندي إلا

ولي الحب بعد عز أذلاً
نأيكـم يترك المحبين إلا

ليس تحيي بغير يوم الوصال

طيف ياسين في الكرى بي المآ
وطلاق الرماد قدر لما

ولعيني طـارق السـهد عمّا
مال قلبـي إلى رشاد ما

ل اختيالاً بقده العسال

كلما في الغرام حدثت عنه سأل دمعِي دماً ولما أصنّه
 وأمين في وده من يخنه لذعتهُ عقارب الصدغ منه
 لذع قلبي من السن العذال
 عاتبوني في حبه أي عتب أججت منه في الهوى نار حرب
 يا خليلي فانظرا لي بلب كيف ترجو اللاحون ردّ محب
 عن هواه لظبية أو غزال
 رده مراده ليس يرجي أن ألح العذول فيه ولجا
 فهو ما صيب الغمامة تجا قلبه موطن الحبيب وأن جا
 ر عليه فليس منه بخالي
 عاقل العاذلين في الحب أحقق ولئن جاء مرسلا لا يصدق
 أن تشأ يا جهول أن تعرف الحق فدع اللوم يا عدولي واعشق
 ثم عنف أن تستطع أمثالي
 مذ نأى من له محضت ودادي سالباً من عيني طيب الرقاد
 عوضاً عن كواهما بالسهاد غرس الحب في رياض فؤادي
 ما لأهل التأنيب فيه ومالي
 ليتهم أبعد البلاد ظواعن والأحباء في الفؤاد قواطن
 ساكنوا قلب ذي جوى غير ساكن عاذلي لم أهتم بظبي ولكن
 ن غرامي بأحمد والأل
 نحن لم نحصي ما لهم من سجايا عدداً إذ غدوا بحار العطايا
 جدهم خير من تؤم المطايا ظاهر المعجزات خير البرايا
 خاتم الرسل حجة المتعال
 بسواه رب السما لم يفرج كل كرب عن البرية مزعج
 مذ غدا وجهه الصباح المبلج طهر الله الأرض فيه من الرج
 فس فردّ الوري عن الإضلال
 كل مجد في الخلق دون علاه وامتداد البحار من جدواه
 وكسا الشمس حلة من سنه ضلّ من ضلّ عنه يبغي سواه
 هادياً فهو في جهنم صال
 قاتل المشركين عند حروب ترك الطفل هو لها ذا مشيب
 معجز في البيان كل خطيب صفوة الله مفرّعي من خطوب
 وملاذي من حادث وثمانلي
 ممن له قد عنت عتاة الفوارس إذ رأت منه كل أشوس عابس

مذ تردى من العلا بملابس شرفت هاشم بـراق الطباق السـ
 سـبع لما أسـرى به ذو الجلال
 قد هُـدِينَا به صراطاً سويَا ويمن بعده اجتباه وصيَا
 إذ علينا من بعده خاف غيَا سيد الأنبياء أخى عليَا
 صهره وابن عمه في المعالي
 ذاك للمؤمنين خير إمام وهو للمشركين كاس حِـمَام
 كم له صولة بيوم صِـدَام زاخر الجو فيض كفيهِ هام
 بنده كالعارض الهطال
 أعدل العالمين في كل حكم مفحم في خطابه كل خصم
 من له النص في الولا يوم خم رايه ثاقب بحزم وعزم
 ويعلم والحلم وزن الجبال
 تتقيه الكمأة في كل موقف حين من طعنه رأت ما يخوف
 كل من فيه رجع الفكر يعرف ذروة المجد معدن العلم والأفـ
 ضال شمس الهدى سماء الكمال
 أسد الغاب بات منه المروع حين من سيفه رأى البرق يلمع
 بأبي من مدجج ومدرع دأبه الضرب بالصوارم والطعـ
 من بسم الصعاد يوم النزال
 قد رأى الكفر منه أي همام فالق هامة بأي حُـسَام
 مذ رمته العدى بصوب سهام خاض بحر الوغى ببحر لهام
 من جواد سرت بأسد رجال
 من أعاديهِ نال كل الأمانِي فاغتدوا بعد عزهم في هـوان
 ليس يأتي له ولم يك ثاني حتف أعدائه بحد ثمان
 ي له مرهف الشبأ فصأل
 عزبه لا تخله يلقي الضلولا لو أباد العدى قبيلًا قبيلًا
 كم بيوم إليه ساق الخيولا جاشت الأرض بالجيش التي لا
 قتله بالنبل والظبا والعوالي
 فالتقاهم بذى الفقار فولوا طالبين النجاة والسلم القوا
 حين منه في موقف الحرب الفوا ثابت الجاش ليس تنثيه عن خو
 ض المنايا زلازل الأهـوال
 من رآه في الحرب أبصر أحوس منبع الفضل والعلوم مقدس
 بثناه الفصيح في الخلق أخرس ترجع الحاسبون عن وضعه حسـ

ـرى وأنى لهم بعد الرمال

من عليه الرحمن في الذكر أثنى عن ولاء وحققه لست اثنى
مدحه من تلاوة الذكر أسنى بت اثني عليه في بعض معنا
ه عليه سلام مولى موالى
فهو كهفي الحصين طول حياتي وأنيسي في القبر بعد وفاتي
لذت خوفاً به من السيئات ارتجى منه في المعاد نجاتي
من اليم العذاب والانكال

وقال مادحاً أمير المؤمنين (ع):

يقولون لي قل في الوصي مدائحاً لعلك في يوم القيامة تنجح
فقلت لهم لا أستطيع مديحه ولو رحت طول الدهر انشي واشرخ
وما بمديحي فيه يزداد فضله بياناً فمن شمس الضحى هو أوضخ
لنائله والعلم سبعون عيلاً ولن ينفذوا والأبحر السبع تنزخ
ومن حكمه الأطواد في الأرض قدست ومن بأسه يوم النزال ترحزخ
إذا كان رب العرش في الذكر مادحاً علياً فما نثني عليه ونمدخ
عليه سلام الله ما هبت الصبا وما غرد القمرى في الروض يصدخ

وقال مخمساً:

رقيتم سما العلياء عزاً ومفخراً وفي مدحكم نتلوا الكتاب المسطرا
وفقتم جميع الخلق مرأى ومخبراً (بني أحمد يا خيرة الله في الورى
سلام عليكم أن حضرنا وأن غبنا)

سما كل مجسد بالفخار علاكم وصبوب الغواصي من فيوض نداكم
لقد خاب من والى عنادا سواكم (ورثنا من الأبناء عقد ولاكم
ونحن إذا متنا نورثه الابنا)

وقال مخمساً أيضاً:

لئن ساء حظي والزمان مسربلي رداء هوان فوق برد تذلل
أقول وطود الصبر لم يتزلزل (على الله في كل الأمور توكل
وبالخمسة أصحاب الكساء توسلي)

هم النور نور الله في الكون وحده أضاء ومنه الفجر أنس رشده
وضوء ذكاء من سنائه أمدته (محمد المبعوث وأبنيه بعده
وفاطمة الزهراء والمرضى علي)

وقال متغزلًا:

رقيبتك والواشي ومن فيك لآمني
وأطعنهم أن لم يكفوا ويقصروا
زعمت باني أترك الحب بالجفا
أيا وردة والورد أعشق لأسمها

وقال مادحاً النبي (ص):

حب النبي مطهر الأعمال
المصطفى الهادي البرية منذراً
السائب الأرواح من أعدائه
ملك عظيم قد ترفع شأنه
ليست تحيط المادحون بوضعه
فأله أودع فيه كل فضيلة
هذا شفيع المذنبين محمد

وله في مدح صاحب الزمان عجل الله فرجه:

نعم الإمام الحجة النبراس
سلطاننا ذاك المعظم عز عن
بالعدل والإنصاف احكم مقسط
القائم المهدي أكرم ماجد
سبحان من أعطاه مجداً شامخاً
قوم بها ازداد الضلال وجد في
سبيدهم وقت الظهور بجحفل
من كل ليث في الحروب مجرب
فاق الوري بضائل مشهورة
والمجد أرخه (ينبيء قائلًا)

وله في نفس الغرض:

سلام على المولى المعظم ذي الفضل
هو القائم المهدي خير الوري الذي
به الشرعة الغراء تمت أمورها
وطود النهى والحلم ليث الشرى الذي

سأقتلهم من ناظريك بمرهف
بأسحر من ذاك القوام مثقف
وهيهات أسلوه وأن كان مُتلفي
وأن يكن (الرومي) فيها معنف

والمدح فيه مبلغ الآمال
بالذكر أو بالصارم الفضال
والواهب الخيرات دون سؤال
في الأتبياء علا عن الأمثال
علما وإن جدت بكل مقال
في وصفها يتحير المتغالي
صلى عليه الواحد المتعالي

روح العلى بل جسمها والرأس
مثل فليس به سواء يقاس
وصراط نهج الحق والقسطاس
للدين صح بقرية الإيناس
ذلت به أعداؤه الأرجاس
طغيانه شيطانها الخناس
تسرى به الأقدار لا الأفراس
يغرى العدى صمصامه والباس
لم يحصها قلم ولا قرطاس
بمحمد عرف الرشاد الناس

إمام به الإسلام مجتمع الشمل
ترفع قدراً أن يقابل بالمثل
بأنوارها يهدي إلى أوضح السبل
له الدهر طوع الأمر والنهي كالشبل

نصير لمظلوم وأمن لخائف
حسام على الأعداء صباً مصائباً
سما قدره هام السماكين رفعة
بأويته أهل الولا تدرك المنى
أمولاي عجل بالصوارم والقنا
لتنثر هامات العدى طاوى الأذى
وله في الإمام علي (ع):

يا عليّ المقدار أنت سراج
ومن الدين يا أخي المصطفى قو
نحن لولا ولانكم لخبطينا
ولكان الزمان ليلاً إلى الحش
ولكان الماء الفرات الذي أصدر
فعليك السلام يترى من المنزل

وله في نفس الغرض:

ألا أن غوثي عند كل ملمة
ينال به دفع القضاء مقدراً
يُنَجِّي به يوم القيامة من لظى
همام الوغى لو عاينت حملاته
وقائد غرّ للجنان محجليه
فضائله لو رامت الخلق عدها
أبا حسن اني تركت ندى الورى
وأني مواليكم وخادم عبدكم
عليكم سلام الله ما رنج الصبا
وله في صاحب الزمان عجل الله فرجه:

يا دولة الدهر عودي الدهر غالبية
محمد القائم المهدي سيدنا
مولي عن الخصم عند الصفح منقلب
هامي الندى علمت فيض الحيا يده
طود النهى والحلوم الراسيات لقد
وفضله شاع في الأقطار أوضح من

نسراً به كالغيث في زمن المحل
كساهم بها برد الإهانة والذل
كما كفه هام بجدواه كالويل
فهم حوله يسعون في أوسع الظل
فأنت بها ماحي الغواية والجهل
وتنظم أجساماً لهم ناشر العدل

في سماء الدين اعتلى وهاجا
مت ضرباً بسيفك الأعوجاجا
خبط عشواء لا نرى منهاجاً
رولم يُسفر الصباح انبلاجاً
عنه ابنك الشهيد أجاجاً
ويل السحائب الثجاجا

علي أمير المؤمنين إمامها
إذا ما الليالي السود عمّ ظلامها
إذا ضمّ أحزاب النفاق اضطرامها
بقسطلها عاد لشاب غلامها
من في كفه يوم المعاد زمامها
لكلت عن الإحصاء خاب مرامها
وقصدي جدواكم فأنتم كرامها
لتحمي بحشري من ذنوب عظامها
غصون أراك نأخ فيها حمامها

بجد عزم مليك غير مضطرب
من نال بالعز مجداً عالي الرتب
وعن طلاب المعالي غير منقلب
جوداً ورامي العدى بالويل والحرب
أضحى لدائرة الأيام كالقطب
شمس الضحى وعن الأبصار لم يغيب

يحيي بوبل الغواذي ميت العشب
لنا فأذهب عنا سائر الكرب
خير الأنام وفيه الظن لم يخب
في الناس قد ذهبت في سالف الحقب
ولا يقاس تراب الأرض بالذهب
فذاك كالصبح عنهم غير محتجب
ولا أفي شكره في سائر الكتب
يسمو العلا بالغاً ما شاء من أرب
وغنت الطير فوق البان من طرب

يحيي به الله موتى العالمين كما
من لطف أخلاقه أهدى النسيم صبا
به الوري نافست أهل السماء علأ
بقُدس حكمته تنسى فلاسفة
فهم تراب وذا في فضله ذهب
ولم تزده بياناً للورى مدحي
لكنه مانحي من فضله نَعْمَا
لا زال ناصر دين الله مظهره
ما فاق طيب ثناء المسك في أرج

وقال:

فلا تؤذي مخلوقاً وكن حسن الخلق
فبادر إلى التقوى وكن صادق النطق
من القول والأعمال متبع الفسق

إذا أنت شئت المدح من سائر الخلق
وأن شئت أن تنجو غداً من جهنم
وبالله لا تشرك ولا تأت منكرا

وقال مادحاً الوالي ناظم باشا عند قدومه دمشق:

أعيد فعاد المجد مجتمع الشمل
ترفع قدراً أن يُقابل بالمثل
وحرية الإسلام أبدته كالنصل
كسأهم بها برد الإهانة والذل
فأهل دمشق منه في أوسع الظل
(بنو المرتضى) ماحي الغواية والجهل
(بعز بهيج ناظم الحكم بالعدل) ١٣٢٦هـ

دمشق لك البشرى بواليك ذي الفضل
هو الاوحد الشهم المعظم ناظم
به الدولة العليا تمت أمورها
حساماً على الأعداء صب مصائباً
بأويته نال المني كل وامق
ونالت به كل المسرات والهنأ
فلا زال والينا الهمام مؤرخا

وله متغزلاً (وله الأصل والتخميس):

فقضى ولم ينظر إليه سبيلا
يا ظبية من آل اسرائيلا

رام المحب إلى لقاءك وصولا
لولا الغزالة لا ترين عديلا

رفقاً بذى دمع يمد النيلا

من قلبك القاسي المبين جلامدا
وجل الجحيم الصد منك تباعدا

ينهل محمراً ولم يرى جامدا
لما ارتددا برد الحمام مكايدا

ورأى الجنان الوصل والتقبيلأ

والصب يقضي في هواه من الكمد
سلبت كراه يد النوى هجرأ وقد

الحب قاد بطاعة الظبي الأسد
وافاك ذو وجد وهامنه الجلد

زادته أسهم مقلتيك نحولاً

والحزن أصبح أخذاً منه القوى والقلب منه أذيب من حر الجوى
ولقد كفاني ما لقيت من الهوى فدع الجفاء فكدت من ألم النوى
أقضي بحبك في الفرام قتيلاً

وله:

تعشقت من غيد الأمليد كاعباً هي الشمس حسناً والقناة قواماً
إلى البدر يهدي بعض نور جمالها ويهدي بها الساري الطريق ظلاماً
برت قلماً يوماً فقلت لها خذي إليك بديلاً عنه من بك هاماً
عن الحبر أغنى وابل الدمع منه أن جرى أسوداً من للكتابة راماً
برته سيوف من لحاظك فاغتدى أرق لضرط الوجد منه سقاماً
وله في رثاء الحسين (ع):

أيا عين جودي بالدموع السواكب على شهداء الطف خير الأطناب
فوالله لا أنسى الحسين بكريل أحاطت به الأعداء من كل جانب
لعمري لم تكثر عليه جيوشهم ولو ملؤا الدنيا بجمع الكتائب
فلولا مقادير الإله لصرعوا بصاعقة من بأسه للقواضب
وأردوه ظمناً وساروا برأسه على الرمح في شرق الفلا والمغارب
وقادوا ابنه السجاد في أسر ذله ونسوته ستاق فوق النجائب
وله في العباس (ع):

أبا الفضل غوثاً أن من يستغث بكُم أغيث بنصر ماله الدهر خاذل
فأنتم سموتم بالعلی سائر الوری أو اخرها تعنوا لكم والأوائل
ومالي سواكم عند ربي وسيلة فإن بعلياًكم تنال الفضائل
وله في رثاء الإمام زين العابدين (ع):

بأبي العليل بكريلاء أماننا مولى الأنام يُقاد في الأصفاد
قتلوا أباه وأهله مع حزيه كل إلى ورد المناهل صادي
ونسائهم بين العدى مسببة ورؤسهم رفعت بسمر صعاد
أو مثل زين العابدين يساق في أسر لئلا (يزيد) و (ابن زياد)
ويهون ذلاً عندهم تشفى به تلك اللئام ضغائن الأحقاد
وله في رثاء الإمام الحسن (ع):

بأبي الزكي المجتبي الحسن الذي بالسُّم من بعد الأذى قتلوه
جحدوا إمامته وخانوا عهده ومن الخلافة حقه منعوه
كبد المعالي قطعت منه فيا ليت الحشا مني فداً قطعوه

رُشِقت جنازته بأسهم بغيتهم
آذوه بغضاً بعدما أوصى به
فجعوا رسول الله فيه وبعده
لعن الإله الظالمين جميعهم
وقال راثياً الإمام الرضا (ع):

لفقد الغريب الرضا الشهيد
له جنة الخلد قد أزلت
غدا عذب مشرينا بعده
لبسنا بمأتمه أسوداً
وأعيننا لابن بيض الوجوه
فإن أقصر القول في نعته
عليه من الله أسنى السلام
وله في نفس الغرض:

يا قبر طوس سقاك الله رحمته
طابت بقاعك في الدنيا وطاب بها
شخص عزيز على الإسلام مصرعه
يا قبره أنت قبر قد تضمنه
فخراً بأنك مغبوط بجثته
في كل عصر لنا منكم إمام هدى
أمست نجوم سماء الدين أفلة
غابت فمنكم ثمانية، وأربعة
حتى متى يظهر الحق المنير بكم

وقال والأصل لأمير المؤمنين (ع) والتشطير والتخميس له:

بأبي التي أمر الإله كآمرها
ناديت إذ فاح السواك بنشرها

ودع الإله لصونها الأملاك

أتنازل مبسمها المصون تعفواً
ولقدرها المجد اعلى متشرفا

ما خفت يا عود الأراك أراكا

كم من شجاع في الوغى جدلته
قد شاع ما عند الحروب فعلته

والحق لا يخفى وأن كتموه
جهراً وبالأخ جده وأبوه
ذاق الحتوف بكريلاء أخوه
وأذاقهم ناراً بما فعلوه

جرى الدمع من مقلتي أحمر
ونار الأسى في الحشى سَعراً
أجاجاً وقد أعطي الكوثر
وقد لبس السندس الأخضر
تراهن بيضاً عد من الكرى
فحزني من الوجد لن يقصرا
مدى الدهر ما عارض أمطرا

ماذا ضمنت من الخيرات يا طوس
شخص ثوى بسنا أباد مرموس
في رحمة الله مغمور ومطموس
علم وحلم وتطهير وتقديس
وباللائكة الأطهار محروس
فريعه أهل منكم ومأنوس
وظل أسد الشرى قد ضمها الخيس
ترجى مطالعها ما حنت العيس
الحق في غيركم داج ومطموس

وقال والأصل لأمير المؤمنين (ع) والتشطير والتخميس له:

وبها تفوز المؤمنون بحشرها
أحظيت يا عود الأراك بثغرها

ودع الإله لصونها الأملاك

برضا به في لثمة متشرفا
تلك البتول الطهر بنت المصطفى

ما خفت يا عود الأراك أراكا

وعزيز ملك كافر أذلته
لو كان غيرك يا سواك قتلته

لم تدر من تلقى وما أدراكا

فالإنس أردتها عوالي همتي والجن أفتتها مواضي عزمي
سل إن تجد أسد الشرى عن صولتي فجميع من في الأرض يخشى صولتي

لم ينجو مني يا سواك سواكا

وقال مادحا السيد محسن الأمين العاملي في قدومه من الحج سنة ١٣٢٢:

أنست من تلقاء رامة نارا ليلاً فعاذ دجى الظلام نهارا
والبرق لآخ وميضه من بارق أبدى الكواكب في الدجى أقمارا
ومن الجنوب سرى النسيم مسرة أبكى الغمام واضحك الأزهارا
وأنت سحائب رحمة منشورة فجراً يفجر ودقها الأنهارا
والخير تسطع بالسنى أعلامه والطير تسجع بالهنا استبشارا
بسلامة الفر الأماجد زأدهم رب البرية هيبنة ووقاراً
أهل التقى والعلم أشرف معشر بهم الزمان ينافس الأعصارا
أخلاقهم تحكي الصبا في لطفها والطيب يروى عنهم الأخبارا
سطعت وجوههم الحسان وأطلقت وقت العشي بنورها الأبكارا
فهم النجوم وبينهم قمر العلى الأكمل الحبر الأجل فخاراً
المحسن المولى الأمين من اغتدى للمؤمنين العارض المدراراً
يفشاهم الرضوان منه وبالعدى منه الصواعق توقع الأخطاراً
بحر الندى والعلم أني جئته عند السؤال وجدت منه بحاراً
طود النهى والحلم والبأس الذي ولت أسود الدهر منه فراراً
سبحان من أسرى إلى البيت الحرا م به وأعلا فضله إظهاراً
أسراء طه جده لا زال يتـ بع في العلى أبائه الأبراراً
يا حجة الإسلام فزت بحجة تعلقوا الأثير بفضلها الأثارا
ساويت بيت الله قدراً فالورى تسعى إليك بحجها زواراً
فاهناً بما أوليت من رب العلى نعماً تزيد الحاسدين صفاراً
وليهنأ الدين الذي بك عزه والقطب من أفلاكها بك داراً
وبك الهناء لنا روته بشائر شملت بنفخ أريجه الأقطاراً
وبك الهناء لأهلك النجباء لا زلتم أجل ذوي العلى مقداراً
(آل الأمين) إذا الأعظم في الورى عدت بفضل كنتم الأخياراً
من في العلى كمحمد في الخلق أم من كالعلى القدر عز نجاراً
كل منير في العلى قمراً ومن كفيه يرسل في الندى الأمطاراً
يا ابن الأكارم لست من مداحكم عذرا ومثلك يقبل الأعذاراً

ما كنت مقتصر الثناء ملالة
لا يستطيع المادحون لحدّه
أهديك من نظم الفرائد مدحة
يكر إذا خطرت بفكر مخاطر
شرفت بذكر فضائل لك جمعت
أن بشرت بقبولها منها اكتسب
دُم بالهناء وبالسرور مؤرخاً
ما يمم البيت العتيق حججه
وله:

لا تعترض حكم القضاء فإنه
وقال واعظاً:

أقنيت عمرك بالتسوييف والأمل
تعصي الإله ولا تخشى عقوبته
نعم هو الغافر الذنب العظيم لمن
وأنت عاهدته جمأً وقد نقضت
إلأم تلهو ولا تدري لأنك في
ولّى الشباب ووافاك المشيب ولم
وفوق رأسك طير الموت حائمة
فراقب الله واستغفره وابل عسى
وتب إليه واعمل صالحاً وأجل
فسيئاتك لا يحصى لها عدد
وله مخمساً:

كساني زماني بعد عزّي تذللّا
فناديت ربي وهو أعلا تفضلا

لكن وصفك خير الأفكار
حصراً ولم تبلغ له معشارا
زفيت إليكم عادة معطارا
منعت وخاف قوامها الخطاراً
فيها فادهش حسنّها الأبصارا
مجداً وأعيي نيلها بشاراً
(والصفو دهر لا ترى الأكدارا)
وارتد عنه كمن دعاك مجارا

لا يسئل الرحمن عما يفعل

ولا تزودت إلا أسوء العمل
تقول أن جئت يوم الحشر يغفر لي
إلى خطاياي بعد التوب لم يمل
ألا تعود إلى شيء من الخطل
عصر يدانيه منه آخر الأجل
تتب إلى الله مما جئت من زلل
وأنت من لعب الجهال في شغل
تنجسوا بدمع على الأوزار منهمل
جياذ فكرك بالإخلاص وابتهل
كالرمل ما بين سهل الأرض والجبل

بفعل قبيح جل في العدل مجملا
(إلهي كما عودتني الفضل أولا

وأوضحت منهاج الهدى لي منك منى)

وصيرت آمالي بعفوك مغنما
(وأوليتني من بر جودك انعما

فلا تقطعن عني عوائدك الحسنى)

بحقك واجعل لي من الضيق مخرجاً
(رجوتك في الدارين يا غاية الرجا

فما جاب راج فيك قد أحسن الظناً)

وعلمتني الذكر المنزل مُحكما
وكفرت عني السيئات تكرما

وكن لهموم الدهر عني مُفرّجاً
فإن نهاري عاد بالفقر كالدجى

وما ضلّ قوم من لدنك هديتهم
وسوء عذاب النشائين وقيتهم
وشر فعال الظالمين كفيتهم
(بأنّ تدخلني بالذين اصطفتيهم
لأنزل من جدواك بالمنزل الأمانى)

وله في مدح السيد محسن الأمين العاملين:

رقيت سماء المجد يا ابن الأكارم
أصاب الذي سمّاك في الناس مُحسناً
فأنت بصون العرض أمتع ممسك
أبى الله إلا أن يشرفَ قدركم
ولم تمنح العلياء غيرك عندها
ولا وهبت يوماً سواك برودها
أذابت لظى الأشواق أحشائنا أسيّ
فنحن نبات كان يزهو اخضراره
وقد عاد مصفراً لإمساكٍ سحبه
فلا زلت والأهلون في خير نعمةٍ
وعز رفيع لانحطاطٍ لقدره
مدى الدهر تهدون الأنام بنوركم
ينال بكم ما يرتجى من مقاصدٍ
عليكم سلام الله ما هبت الصبا
وله متغزلاً:

شُموس حسن جلت أنوار طلعتها
لبسن في مآتم العشاق إذ صرعوا
أبدت معاصمهن البيض مخرسة
يجمعن كل وشاح في الخصور كأط
وله في نفس الغرض:

أخا العشق لن تلقى من القتل مهرباً
بنفسي من أبصرت من وجهها ومن
ثنيت عناني عن سواها ولم أرم
جعلت لها أحشاء قلبي مطعماً
حكّت باهتزاز القد خطية القنا
خليلي كفا عن ملامي واعشقا
دعاني دعاني طرفها هو منذر
وببيض الظبا تستل من أعين الظبا
غداً ترها صبحاً منيراً وغيها
سوى وصلها أقصى المآرب مطلبها
وأدمع عينيّ الينابيع مشربها
وبالفتك بالألحاح هندية الظبا
وأن تستطيع أن تلووما فانبأ
ولست بما جاء النذير مكذباً

ذكت نار خديها اشتعالا وإنما
رمتني ظلماً في سعي النوى ولم
وقال مخمساً:

لعهد المودة لم انقض
فيا همتي للمعالي انهضي
إذا بارق الوصل لم يومض
(أتاني زمانني بما ارتضى
ويا لله يا دهر لا تنقضي)

بلغت بمساعي كل المنى
قدم يوم أفراحنا بالهناء
وقد زال في الحب عنا العنا
(ويا ليلة الأنس عودي لنا
فإن الحبيب علينا رضى)

وقال مادحاً أهل البيت:

بني المصطفى خير البرية لأعدت
سموتهم بأفراد العلى سائر الورى
بكم كم أتت مقطوعة تقطع الذي
وآيات فرقان أتت بمديحكم
ومعجزة يرتد عنها بحسرة
ويبعد مطرودا ويدخر خاسئاً
ويرجع في خفي حنين رجوع من
فمر به سرب النعام فرامه
فأبصر بالأفق النعام وفي الدجى
فقليل وقد عز المرام ففي الورى
فوكر العقاب أقصد ويض الأنوف رُم
وقال:

ورُبُّ صديق بت أحمد فعله
وكم صاحب أكرمته فاهانني
وأعقبني من بعد حمدي له ذما
وعززته نصراً فعززني شتما
وقال:

كم كاذب بمودة
أعرضت عنه لجهله
أبدى بسوء الصنع قبحا
وضريت عنه الذكر صفحا
وله:

ألا لا ألوم الزمان إذا
فيوم علينا ويوم لنا
أراني بعد صفو كدُر
ويوم نساء ويوم نُسُر

وله:

إذا شئت نظم الشعر فأجهل بما به
فما بالمجيدين الذين شقوا وأن
ولكن أجاد الفائزون بنظمهم

وله:

عرضنا على بعض المجانين خمرة
وقال إذا قيست سكارى ذوي الحجى

وله:

صن السر عن ذي خفة ليس عنده
وكن مودع الأسرار صدراً يصونها
وقال:

لبوسنا والمطايا
من سابغات دلاص

وله في الحماسة:

مواضي الظبا والسمهرية في الوغى
ومن نسل داود علينا سوابغ
وله أيضاً:

جوادى من الجرد العتاق الضوامر
وقمصي منيعات الدلاص سوابغ
عفوت عن الأعداء لاعفو عاجز
فرمحي سوى هاماتهم غير ناظم
وقال في نفس الغرض:

ستذكر فعلي بالشدائد أقوام
فكم لي من يوم الوغى من وقائع
ولما أتت خيل العداة ضوابعاً
نزلت إلى حرب العدى فأبدتهم
وقال:

جانب أولي الجهل الذين قلوبهم
كم أبصروا لبني النبي فضائلاً
أن تأتهم منهم يذكر يعرضوا

موازين أعمال المسيئين ترجحُ
أتو بعظيم المعجزات وأفصحوا
وأن كان لاشيء يُعدُّ ويقبَحُ

فأعرض عنها حين دارت كؤوسها
بنا فسكاراننا بمن ذا نقيسها

فكتمان أسرار الأخلاء موضعُ
وأنت لها أن لم تصنها مضيعُ

في كل يوم جلادٍ
وسابغات صلاص

لنا أكر نلهو بها وصوابج
ونقع له جرد المذاكي نواسج

وسيفي من البيض الرقاق البواتر
ورمحي من السمر اللدان الشواجر
عن الضرب في الهامات بل عفو قادر
وسيفي سوى هاماتهم غير ناشر

وتعلم أني للقساور هزام
لها في السماء النقع تنشر أعلام
وإدبر صنديد وقهقر مقدم
وما كل نزال إلى الحرب ضرغام

أضحت بروجاً بالضلال مشيدة
ذهبت بها أبصارهم والأفئدة
فكانهم خشب لديك مسندة

وقال:

سلام على طه النبي المكرم
سلام على الآل الذين بنورهم
أنال بهم ما ارتجي من مقاصد

وقال:

تراب أبي تراب لي دواء
غدا للحمد في يده لواء
به من كل داء لي شفاء
وفي قلبي له يزهو ولاء

وقال ملغزاً:

رضاب سلمى ضرب سال ما
من صدغها معكوس برقعهما
أحسلاه لو أنار شفتناه
أذاقنا معكوس معناه

وقال مخمساً:

بعلياك كم من أناس فتنت
وكم من فضائل غر ابنت
وكم للعدي من عزيز أهنت
(أبنا حسن سيدي أنت أنت

صراط المهيمن لو أنصفوك)

وأنت الإمام الولي الحميد
وأنت الذي بك ينجو السعيد
وأنت وصي النبي المجيد
(وأنت جعلت قريشا عبيد

ولولا حسامك كانوا ملوك)

ولائك تنموا به الصالحات
وأنت المفضل بالعجزات
وحبك تمحى به السيئات
(وأنت المقدم في النائبات

وعند الخلافة لم أخروك)

أساؤا بأهل التقى فعلهم
فيا ليتهم سمعوا وعظهم
ومنهم شفوا بالشقي غيظهم
(ولكنهم أخروا حظهم

ولو قدّموا حظهم قدموك)

وقال متغزلاً:

بزغت شمس المعالي في الدجى
وصباح الحسن منها انبلجا
فأنارت بالضياء المشرق
فانجلي عنا ظلام الغسق

❖ ❖ ❖

حبذا يوم به نلنا الوصال
بعد ما أصبح جسمي كالخيال
كان عيداً بهناء وسرور
من صدود الغيد أشباه البدور
راميات كل صب بالنبال
فتكت فينا وما منا نجا
من عيون حيرتنا وهي حور
أحد في قلبه من رمق

جسمه من دمه قد خرجا
بأبي ذات جمال كالقمر
ثغرهما فيه مدام ودرر
جنة في وجنتيها وسقر
وقال راثياً السيد علي محمود الأمين:

غدا الإسلام منهدم الدعاء
عليّ مناقب محمود فضل
تعظمت القلوب أسى ووجداً
بكاه الدين والإرشاد نعيّاً
وأعولت المكارم ثاكلات
وناح العلم والإيمان حزناً
مصائب هدى للعلياء ركناً
وأشجى الشرعة الغراء لما
وفي الأحشاء أجاج نار حزن
ونال من الأفاضل أي بدر
فقدنا مفرداً علماً عميداً
وطود حجى وحلم حلّ لحداً
ويدفن في الثرى وعلى الثريا
عليه الأدمع انهلّت دماء
وعارض جوده والعلم فضلاً
تأس محمد بالآل صبراً
فأخشب صبرك الرأسي مكين
آيا (آل الأمين) لكم مقام
أصبتُم بالعظيم وقد أصبتُم
جللتُم عن تعزّي وتعاضد
فصبراً في القضاء وقد علمتُم
جزاكم ذو العلى أعلى جزاء
ودمتُم في الورى أعمار فضل
وزاد المحسن المولى اعتزازاً
وأيدّه بنصر منه يسمو
ودام إلى الهدى مصباح رشد

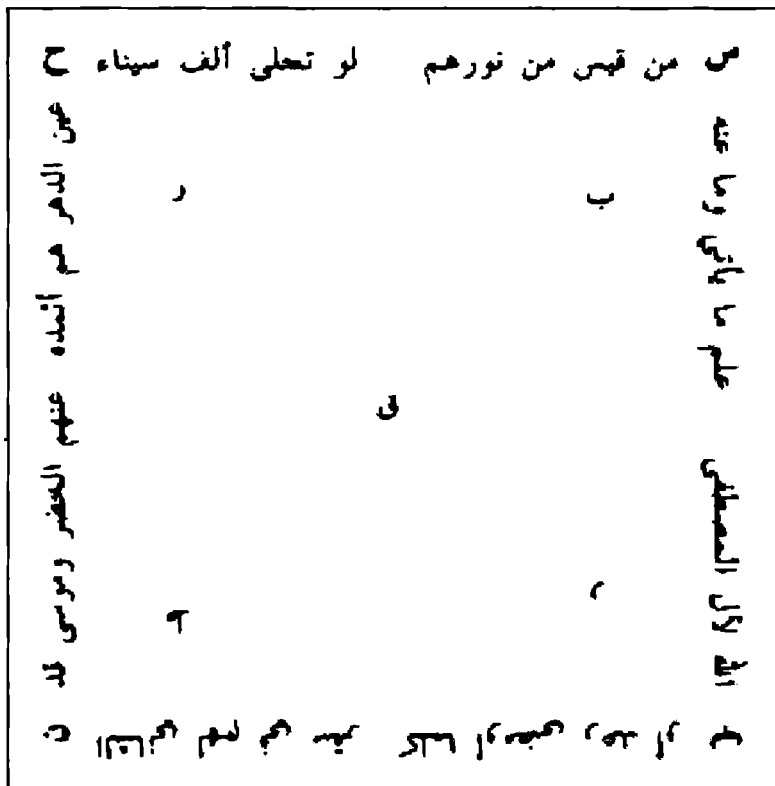
من ظبا سلت بسود الحدق
وقوام يشبه السمر الصعاد
ليته يروى لماء كل صاد
كتلاقيها وأيام البعاد

بفقد الخبر مصباح الظلام
هو المولى الأمين على الأنام
على خير الأجلاء العظام
وتنديه المعالي باهتضام
بمأتم قدوة العز الكرام
على ذى الفضل والشرف الهمام
وجب من التقى أعلى سنام
نأى عنها المحافظ والمحام
بها الزفرات تعصف باضطرام
ويحر بالندى والفضل طامي
على الأبرار بورك من إمام
وكيف يغيب طود في الرغام
علاه بمجده والفضل سامي
غيوثاً من جفون كالغمام
على الدنيا ليوم الحشر هامي
ليخطب ساقه صرف الحمام
إذا الأطسواد ذكّت بانهدام
على لا يجاوز بازدحام
به الأجر العظيم من السلام
وقولكم الملوكة على الكلام
ثواب الصبر في الخطب الزوام
ونلتُم عنده أقصى مرام
وأعلاماً إلى يوم القيام
له الأملاك تحرس باحترام
على هام السّماك مدى الدوام
وعند لقنا العدى أمضى حسام

وَأَسْكَنَ ذُو الْعَلَا أَعْلَى مَقَامٍ عَلِي الْقَدْرَ فِي دَارِ السَّلَامِ
وَجَادَ ثَرَى ضَرِيحٍ حَلٍّ فِيهِ حَيَا الرِّضْوَانَ يَهْمِي بِانْسِجَامِ
لَهُ قَدْ أَرَخُوا (مَثْوَى بِهِى عَلِي الْقَدْرَ مُحَمَّدٍ الْمَقَامِ) ١٣٢٨ هـ

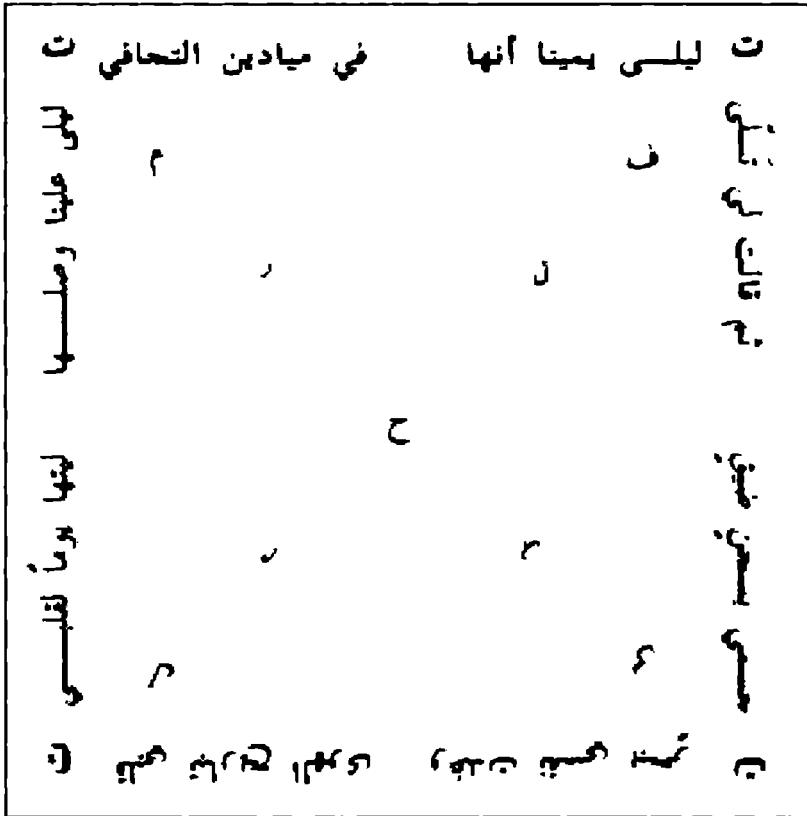
وكان للمرحوم الشيخ يوسف صندوق ولع في نظم المشجرات الشعرية وهذا بعض ما عثرنا عليه منها:

قَرَّبَ اللَّهُ لَأَلِ الْمُصْطَفَى عِلْمَ مَا يَأْتِي وَمَا عَنْهُمْ سَبْقُ
قَبَسٍ مِنْ قَبَسٍ مِنْ نُورِهِمْ لَوْ تَجَلَّى أَلْفُ سِينَاءٍ حَرْقُ
قَرَحَ عَيْنَ الدَّهْرِ هَمُّ أَثْمَدِهِ عَنْهُمْ الْخَضِرُ وَمَوْسَى قَدْ نَطَقُ
قَطَنَ الشَّانِي لَهْمٍ فِي سَقَرِ كَلِمًا أَوْ مَضَّ رَعْدٌ أَوْ بَرَقُ



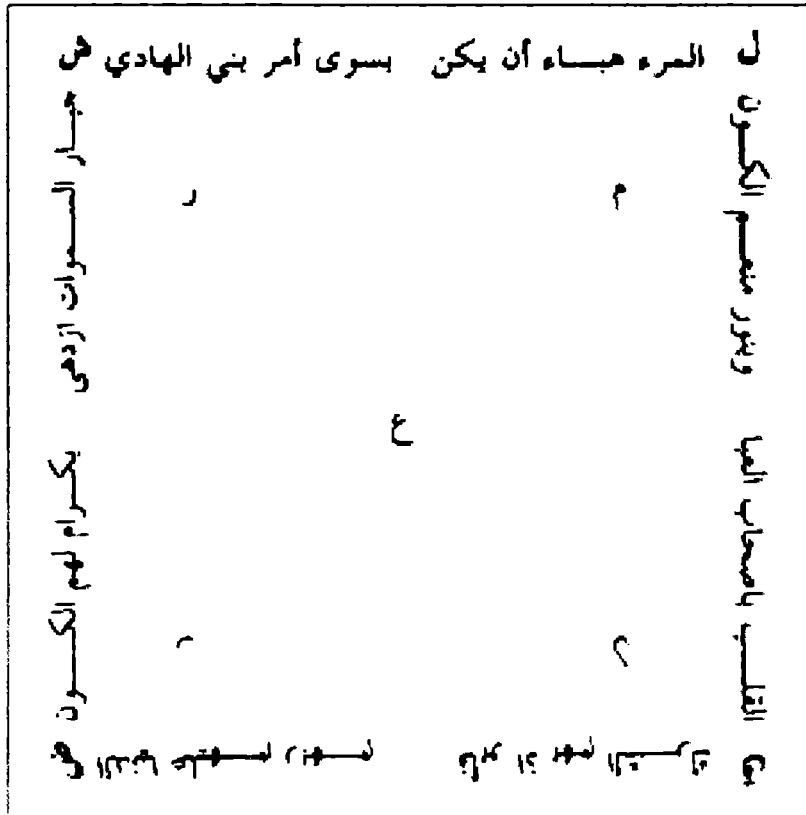
وقال:

حلفت ليلي يمينا أنها
 حرمت ليلي علينا وصلها
 حملت قلبي تباريح الهوى
 حبست جسمي بسجن ضيق
 في ميادين التجافي ترح
 ليته يوماً لقلبي تلمح
 وغدت نفسي ببحر تسبح
 ثم قلت لي تسلي تفلح



وله أيضاً:

عمل المرء هباء أن يكن
 عرش جبار السماوات ازدهى
 عرض الدنيا عليهم ربههم
 علّق القلب بأصحاب العبا
 بسوى أمر بني الهادي شرع
 بكرام لهم الكون ضرع
 فأبوا إذ بهم الشرك قلع
 وبنور منهم الكون لمع



رضا الفقير - رشيد بك بيضون - رضا نظام



ديوان

الشيخ

أحمد صندوق الحسيني الدمشقي

(١٣١٥ - ١٣٧٥ هـ)

صناعة

محمد سعيد الطريحي

(دمشق ١٩٨٠)

أَكْبَارُ مَلِكِيَّةِ الْكُوفَةِ

هولنده

المدائح والمراثي

مولد المصطفى

قال المرحوم الشيخ أحمد صندوق مادحاً رسول الله (ص) في ذكرى مولده الشريف، وقد ألقاها مساء السبت ٢٠ ربيع الأول ١٣٦٧ للهجرة الموافق ٣١ كانون الثاني ١٩٤٨، وبآخرها يتطرق إلى حوادث فلسطين الدامية:

وأدرها تحكي الشعاع الموقد
مائسات ولبيل الروض غرد
يوم ميلاد خاتم الرسل أحمد
للعلل والهدى فكان محمد
فمحا ظلمة الشكوك وبدد
هل ثناء من ازدرى أو توعد
دونه قوة الدلاص المسرد
بين جمع من العدا وهو أوحده
وهو يسعى لكي تعيش وتسعد
أجمعوا أمرهم فغار وأنجد
بخيوط من العناكب موصد
فاق في سحره الجمال المنضد
بذ في فعله الحسام المجرد
كان كالليث واهي الظلف أدر
فاستداروا حول الرئيس المسدد
بحقوق الوفاء في كل مشهد
كان منها صبح على الكفر أسود
صير الأقوياء طعم المهند
لاسمه كل سيد ومسود
في قريش وهو المطاع المؤيد
في سما المجد كل نجم وفقد
من وثاق الهوان كل مقيد
ركع للإله طراً وسجده
بهداه من العلوم ووقد

انزع الكأس من رحيق الأمانى
وابتهج فالغصون أبدت حلالها
والسموات زينتها الدرارى
طلب الدهر من بنيه مثالا
طالع الكون منه نور يقين
سل قريشاً عن عزمه وثقيفاً
لبس الصبر واليقين قميصاً
ومشى لايني بعزم صحيح
هي تسعى لكي يموت ويشقى
ورعته عين العناية لما
وغدا الغار بابيه مذ حواه
وإذا القول صاغه ذو بيان
وإذا الرأى جاء فيه حكيم
وإذا الحق لم يؤيد بسيف
ثم فاءت للرشد فيهم رجال
بايعوه على الحمام وقاموا
ثم أموا البيت الحرام ببيض
وإذا الضعف قد تحول بأساً
وإذا باليتيم في الأمس يعنو
وإذا بالضعيف في الغار يمسي
وإذا فكرة الرسالة تعلو
وإذا آية المساواة تنجي
وإذا العرب بعد شك وبغي
جمع الله ما تفرق منهم

ليت شعري ماذا يُراد بقومي
أتراهم يرضون فيه فيمحي
الخليعات في فلسطين تُحمي
عابثات بالخلق في كل ملهى
والكريمات من بني العرب تُمنى
ما لهذا الغريبي لم يأل جهداً
شِبَّ في مهده المقدس حرياً
أبهذا يا مجلس الأمن تدعو
يا عدو السلام أودى فأبشر
أي فلسطين أنت في كل عصر
أنت مهوى القلوب رمز التآخي
كعبة الشرق باركيه ليحمي
وسيفيك بالدماء الغوالي

من هوانٍ له الأمور تمهد
ما بناه هذا الرسول وشيد
رائعات وراء صرح ممرّد
هازئات بالدين في كل معبد
باغترابٍ وعن جماها تُشرد
أتناسى مسيحه أم تهود؟
كلما أخدمت لها النار أوقد
لحياة في ظل سلم موطد
وتوغل ما شئت في الغدر وازدد
آية المجد والجهاد المخلد
ونراك لأعين العرب أتمد
مرقد الأنبياء فالغرب الحُد
من بنيه إتباع عيسى وأحمد

وقال مادحا أمير المؤمنين علي(ع) بمناسبة عيد الغدير المبارك^(١):

قيل لي: قل في علي كلمة
ما لهم قد كلفوني شططاً
فكأين من خطيب مدره
وكمي لم يصل حتى انثنى
لم يصب وصف علي بشر
في مقام أكمل الدين به
عانقت مكة فيه يثرباً
قيل: أسمعت ففاضل قلت: وى
قيل: لا بد. فقلت: الويل لي
أيها اللاهون في سكرتهم
أقياساً بين أرض وسما
أقياساً بين غي وهدي

قلت: مَنْ؟ قالوا: ومن غير الإمام؟
وأحالوني على صعب المرام
خاص ما خاض فما وفى المقام
حاطم الصعدة مفلول الحسام
بله من سماه مولى للأنام
وبه النعمة أضحت في تمام
والتقى المنبر بالبيت الحرام
لست بالفارس في فن الكلام
أنا ما بين أناس أم سوام؟
لا تماروا فضح الصبح الظلام
أقياساً بين أقدام وهام
أقياساً بين برء وسقام

(١) ألقاها الشاعر في حفل أقيم بهذه المناسبة في دار الوجيه الحاج حسن الحلباوي الدمشقي مساء الجمعة ١٩ ذي الحجة

بدأ التنزيل بـ (اقرأ) آيه
فانفضوا الغفلة عنكم تَرشدوا
واسمعوا ما قال فيه المصطفى
وقال في استقبال شهر رمضان مذكراً باستشهاد الإمام علي (ع):
رمضان يا ثغر الزمان الساحر
يا جنة الدنيا وجنة أهلها
يا مهبط البركات عم ربوعنا
جار بييت على الطوى وقريبه
رمضان عم الناس منك بسخطة
لك ليلتان قليلة فيها المنى
نزل الكتاب بهذه وبأختها
رفع الحساب عن الغنى الشاكر
نثر الزمان مدامعي فنظمتها
لهج الزمان بذكر حبك حقبة
وبـ (أكملت لكم) كان الختام
وأفيقوا من سبات يا نيام
«أنا منه وهو مني» والسلام^(١)
يا فتنة الدنيا وذكرى الذاكِر
مما يسوؤهم وذخر الذاخر
بالبر والخير العميم الوافر
يهب الدموع لصرف دهر غادر
تذر الجموع لهم كأس الدابر
جمعت وأخرى طوحت بالخاطر
رفع الكتاب بسيف الـام غادر
وجرى البلاء على الفقير الصابر
فأعجب لمنظوم شكاً من ناثر
والحب أكذبه حديث الشاعر

وقال مديلاً لقصيدة الشاعر الشهير دعبل بن علي الخزاعي، راثياً عقيلة بني هاشم السيدة زينب بنت أمير المؤمنين (ع)^(٢):

وقبر غدا فرداً بظاهر جلق
أصابته من أم المصائب نفحة
مقيم على ظهر الطريق غدت له
سلسلة بيت الوحي أمست فريدة
لقد غالبت جور الزمان وغدره
وقد فوجئت طول الحياة وبعدها
كما بيضت تاريخ مجد ابن أمها
فكم وقفت بين الطغاة مواقفاً
ثوت حيث وافاها الحمام غريبة
سوى عصابة قلت وقل غناؤها
تطوف بها شبانها وكهولها
لزينب بين النهر والهضبات
فعمته الألفاف والبركات
معالم دين الله منطمسات
به بين حساد لها وعداة
بصبر على أرزائه وثبات
بين وثل موجد وشتات
بما كتبت من ناصع الصفحات
سقتهم كؤوس السم بالكلمات
تحاط بأخصام لها وطغاة
تري وده من أعظم القبريات
وتسقي ثراه واكف العبريات

(١) وفي نسخة أخرى من القصيدة ورد صدر هذا البيت هكذا (والرسول المصطفى قال لكم).
(٢) وقد نظمها تلبية لطلب صديقه المرحوم السيد رشيد آل مرتضى وذلك في مستهل شهر محرم الحرام سنة ١٣٦٦ هـ.

وما عنده للزائرين معرس
ألا مقرض لله في بذل ما له
وقال مادحاً سيف الإسلام عبد الله بن محي حميد الدين من زعماء اليمن^(١) بمناسبة
زيارته للمدرسة المحسنية بدمشق في ٤ محرم سنة ١٣٦٥ هـ:

حللت دمشق فاهتزت سروراً	وأشرق مبسم واختال عطفاً
فتلك ربوعها ازدهرت ورفّت	رفيف الأقحوان سقاءه وكفّ
ومن حق الشام الزهو لما	أطاف بجوها لشذاك عرف
بني بنت الرسول وهل سواكم	إذا أسود الفضاء وناب صرف
وهل غير الذوائب من لؤي	إذا غطى أديم الأرض زحف
وهل تحكى ليوث أبي حسين	إذا عرض الهوان وسيم خسف
ظباكم والرماح على عداكم	لها بصدورهم كسر وقصف
أبوكم خط للعليا طريقاً	بكل قنأ مثقفة تحف
حمى السمحاء من حيث العوادي	فعزبه لها جيد وأنف
ومهر المكرمات دم زكي	وليست للضنين به تزف
وأن وزنت مآثر ذي فخار	رجحتم في مقالكم وخفوا
عدلتهم إذ حكمتهم في البرايا	وكان لغيركم جور وعسف
لبستم للخلافة والمعالي	بروداً ملؤها كرم ولطف
فإن يك للورى يحيى إماماً	فأنت له وللإسلام سيف
فدام أبوك للدينار مناراً	ودمت وأنت للأوطان كهف

وقال عن لسان بعضهم مهنئاً السيد أحمد بك بن عبد اللطيف بك الأسعد بمناسبة فوزه
في الانتخابات النيابية في حزيران ١٩٤٧م الموافق ١٧ رجب ١٣٦٦ وبهذه الدورة تولى رئاسة المجلس:

سعدت بطلعتك البلا	د وحظ عامل بات اسعد
ما أمروك وإنما	كنت الأمير بكل مشهد
ما رشحوك ممثلاً	إلا لأنك أنت أرشد
كالشمس لما أشرقت	غطى سناها كل مرقد
ما قدموك وإنما	سلوا بك السيف المهند
وتخيروا الرمح الأصم	وأرسلوا السهم المسدد

(١) كان والده (المتوكل على الله) يحيى حميد الدين (١٨٦٩/١٩٤٨) إمام اليمن وحارب الأتراك واحتل صنعاء واتخذها عاصمة له ١٩١٨. مات اغتيالاً.

وتلثم شملهم المبدد
ت إذا بدا الأمر المعقد
أبناء ناصيف المؤيد
مسود في النبيل أوحده
بناء سلطان مشيد
باق على الأيام سرمد
ر بغيركم يا آل أسعد
رحابها بالمجد أحمد
د فكل ذي خطر محسد
لأنه في النور مفرد
فعد لها فالعود أحمد
وارتفع ما شئت وأزد

كي تسترد حقوقهم
وتنير داجي المشكلا
أبطال وأبل أنتم
ما منكم إلا أغر
لكم على عرش القلوب
يفنى الزمان وعزكم
دار النيبابة لن لنا
تختال عجباً إذ يزين
ما ضره كيد الحسو
والبدر تحسده النجوم
أنت ابن بجدتها الخطير
وأبلغ بهمتك الثريا

وقال مريحاً بالشيخ بلاسم الياسين أحد كبار رؤساء العشائر العراقية لدى زيارته للمدرسة المحسنية وتبرعه بألف دينار لها وذلك مساء الأربعاء ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣٦٦ هـ الموافق ٥ تشرين الثاني لعام ١٩٤٧ م:

وفكاك العاني وحمل المغارم
طرق العز واضحات المعالم
إنما المجد ما بنته المكارم
فوق هام السماك باقٍ ودائم
في سواد القلوب ثبت الدعائم
بعميد الندى سليل الأكارم
وطويل النجاد ماضي العزائم
وأثوف العلا ونور العواصم
وعظيم العراق عند العظامم
وازدهى ريعها بأكرم قادم
هل أصاب الجراح منها بلاسم؟
كفصون تفتّر عنها الكمائم
بنداه كساجعات الحمائم
ورفيق الرياض شكر الغمامم

همة الحرفي اكتساب المغانم
قل لمن يبتغي إلى العز نهجاً
ليس مجداً ما شيدته المواضي
ذاك يفنى على الزمان وهذا
ذاك يبنى على الدموع وهذا
نحتفي والسرور ملء المآقي
برفيق العماد طلق المحيا
(آل ياسين) هم صدور النوادي
يا فخار الشام يوم افتخار
ما قدمت الشام حتى أضاءت
ما لهدى القلوب تهتز بشراً
أم رعاها بعطفه فهي تبدو
ليس يدعاً أن رحت وتغنت
هكذا الروض قد يرفأ ابتهاجاً

وقال مادحاً أطباء المستشفى الوطني بدمشق وفي مقدمتهم مدير المستشفى الدكتور كامل الروماني والطبيب الجراح منير بك شوري، بمناسبة نجاح عملية جراحية أجريت له صباح الأربعاء ٢٣ رمضان ١٣٦٥ الموافق ٢٢ آب^(١):

مهجة تشتكى وجرحٌ يثورُ
ايه يا فجر هل أرى لك خيطاً
لا أراني للسقم أضرع خدّاً
وعلى الهضب في دمشق بناءً
هو في الشام جنة تحتها الـ
تلقى النزال فيه وتعنى
وهي تحنو على المريض كما ما
أنفس سمحة تفيض نشاطاً
(أولع القوم بالنظافة حتى
فإذا طفت في مشافيه يوماً
هكذا فالصغير يخلص في النصح
وتداوى الجراح فيه ثقات
أن يكونوا للأرض حلية نور
لا يطول القريض كنه علام
فإذا اظلم الفضاء لخطب
كلما أعوز الجراح أساة
ما درى المرء لامسته يده
أم نفي حر جرحه عنه برد
يسفك الدم ملء كفيه فأعجب
ودّ جرحي يمينه لو وقته
شدّ فيهم وهم نشاوى رقود
خضبتهم نصاله بدماء
فهو أحرى العباد بالشكر
أيها الفاتك الرحيم سلاماً
وتقبل ما عشت حمدي وشكري
ولنظمي نظمت من در نظمي

بك يا رب منهما استجيرُ
فيه تجلى من الظلام الستورُ
والهي هو اللطيف الخبيرُ
للتداوى سهل لديه العسيرُ
أنهار تجري وتربه الكافورُ
بضروب العلاج وردٌ وحورُ
ل بفعل النسيم غصن نظيرُ
وعيون يشع منها السرورُ
جنّ فيها كبيرهم والصغيرُ
خلت أني على المرايا أسيرُ
إذا أخلص الرئيس الكبيرُ
هي في الطب أعين وصدورُ
فلقد زانت السماء البدورُ
أو يطول السحاب باع قصيرُ
فابن شوري في الأرض بدر منيرُ
فاليه كف البرايا تشيرُ
مبضع مسّ جلده أم حريرُ
وسلام أم بلسم وذورُ
لسفوك ما دنسته الشورورُ
كل سوء قلوبهم والنحورُ
كالندامي إذ صرعتها الخمورُ
هنّ للعيش والهناء مهوورُ
والأجر متى حان أن توفي الأجرورُ
عش طويلاً تختال فيك العصورُ
فقليل من العباد الشكورُ
خير طوق تزدان فيه النحورُ

(١) نُشرت في مجلة التمدن الإسلامي الدمشقية ج ٢٤ س ١٢.

أيها المبتني لا خُراهُ قَصْرًا
حيث يؤسى جرح ويحسم داء
وتُداوى أم فيسعد طفل
فهو للعالمين نور وذخر
أنت يا كامل المزايا عماد
قد بلوناك ناشئاً وعلاماً
فإذا الخلق بآنة وهلال
وإذا الكف ديمة لا تبارى
وإذا الرأى فرق قد لا يسامى
كم خطير سرى بغير خفير
ونظيم أمسى لخرقاء يعزى
وبناء أمسى بكف خؤون
إنما يصلح الرعية راع
لا يسود الفساد دائرة تحكم
أيُّ هذا الهمام بوئت في
وإذا قَصَرَ اليَراع فعُذراً
ولشكري ختمت بالقول شكري
من به نالت البلاد مناها

ههنا ههنا تُشاد القصورُ
ويُواسى مجبر وكسيرُ
ويُداوى كهمل فيحيا صغيرُ
وسواها تفاخر وغرورُ
للمعالي وكنزها المذخورُ
وخبرناك والليالي شهرورُ
وإذا الخلق روضة وغديرُ
وإذا الحلم يذبل وثبيرُ
وإذا العلم عيلم لا يغورُ
فتغنت به الصبا والديورُ
فتهاوى وعقده منثورُ
فتداعى حتى محاه الدثورُ
حازم طاب أصله والضميرُ
شعباً وأنت فيها مديرُ
المجد مقاماً تنحط عنه النسورُ
فالكريم الحبيب مغض عذيرُ
فهو بالمدح والثناء جديرُ
وبه اعتزَّ منبر وسريرُ



عيناك

وقال رحمه الله- مادحاً أحد الشباب الهاشميين مستهلاً قصيده بالنسيب:

عيناك أم غضب صقيل
رفقاً بمهجة مغرم
يا من رأى الشمس المنير
ما البدر مثل جبينه
قسماً بمن أجرى بثغ
أن حلت عن ودي فإني
أوتخذ بدلاً فإني
من منصفى من شادن

ولمّاك ذا أم سلسبيل
أودى بها الطرف الكحيل
ة فوق أملود تميل
والبدر يعروه الأفول
رك شهوة تشفى الغليل
عن ودادك لا أحول
لست أرضى بالبديـل
في وصل مضناه بخيل

بالسمهرية والنصول
وأراقم الفرع الطويل
رضاً به لابن السبيل
م فلسست تدري ما تقول
ة به تحملت الحمول
كم نحد السويل
حسراته حتى يزول
في الناس جيلاً بعد جيل
وأعلم أن ذلك لا يؤول
إحسان والباع الطويل
المفرد العلم الأصيل
يوم الفخار على قبيل
رسناء طلعت الجليل
يهفو لهيبته كليل
جألاً تحيط به العقول
بنذرى المكارم من مثيل
ب فقد فخرت على الكهول
أمست شفاء للغليل
وليهنأ بك من خليل
بعلاك أطراف الذبول
رو مستجاراً للذليل
من ولا تحول ولا تزول

بحملى رياض جماله
دلّت عقارب صدغه
أن ليس يرشف سلسيل
اعذول كف عن الملا
لو كنت شاهده غدا
لذرفت دمع العين منهلأ
فالأنه كن الجسم في
حتى تشيع صبابتي
دع ذكر ما قد فات
ذو الفضل والمعروف والـ
واللوذعي الأبطحي
فد يزرب بروده
لو شاهدت شمس النها
لرنت إليه بناظر
يا من رقا للمجد أو
فغدا فريداً ماله
أن كنت في عصر الشبا
بيلوغ أسمى رتبة
فاهناً بمن نادمت
وأسحب على هام السهى
لازلت تاجاً للضخا
بعزيمة تفني الزما



تهنئة ومداعبة

بعثها لأحد أحبابه في ١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٤٥هـ:

يدى الجليلة والمحامد
من السادة البيض إلا ماجد
م لطارف منهم وتالد
من فعالك بالقلائد

يا ذا المزايا الغر والأ
وريب بيت المجد وأبـ
ومسابق الصيد الكرا
ومقلداً جيد المعالي

ومغيث أبناء الزمما
هنتت يا من زينت
هنتت لا بل هنتت
إذ أنت لؤلؤ عقدها
قرت عيون الأوليا
وافى الشتاء وأعوزت
فجمعت من كافاته
فتنعمن على الأرا
هذا البناء فجدا برا
وأشكر إلهك إذ حبأك
واذكر زماناً كنت فيه
ورد العطاشى يرتوون
كم بين جلسة عازب
يرجو الخيال وهل يزو
فكانما شوك القتا
ومبيت من يخلو برود
لصفاته وصف تعا
فمع الضحى تيه الملوك
فأحكم فقد جريت والتج
ولقد عهدتك هاشمي الـ
من بأسلين تعودوا
لا يحجمون إذا الصريخ
ويبادرون بكل اسم
فاصبر على مر الجها
تحظى بفضوذكره
لازلت ترفل بالهناء
واسلم ودم يا غبطة

ن إذا عدت فيه الشدائد
فيه المحافل والمعاهد
فيك العقائل والخرائد
المنظوم ما بين الفرائد
ء وأطرفت عين الحواسد
نار المدافىء والمواقد
سبعاً به كانت شوارد
ئك والنمارق والوسائد
هيم في رفع القواعد
بمنه اسمى الفوائد
تعد بالليل الروافد
وما سواه غير وارد
بالليل للمريخ راصد
ر الطيف مضجع غير هامد
د على المضاجع والمسائد
غضة الأعطان تاهد
لى أن تحيط به القصائد
وفي الدجى ضعة الولائد
قريب عمرك خير شاهد
باع مفتول السواعد
وصل المصادر بالموارد
دعاً وروق الليل عاقد
ر صادق الطعنات مائد
د فذاك من اسمى المقاصد
عرف مدى الأزمان خالد
وتنجلي عنك الشدائد
الأحباب غيظاً للحواسد



من تهاني العيد

وقال مهنتا العلامة السيد محسن الأمين العاملي (قدس سره) بعيد الأضحى المبارك، وذلك في ١٠ ذي الحجة ١٣٦٥ الموافق ٤ تشرين الثاني سنة ١٩٤٦:

العيد أقبل سيدي	فاهناً وضح وفز بعيدك
ما العيد إلا أن أكحل	ناظري بسنا سعودك
لم يعرف التوحيد لو	لا ما تقدم من جدودك
ولطاح سر لبابه	لولا المقدس من جهودك
خلدت في (أعيانه)	أثراً يدل على خلودك
وذكرت فيه فوارساً	هي في الحقيقة من جنودك
لولا الغلو لقلت	أسرار الإمامة في برودك
فاسلم لهذا الدين	والصيد الأكارم من أسودك
والبس برود العز والإقبال	وارفـل في جديـدك
وأطلع على الدنيا مع	الأقمار وازدد في صعودك
باليمن والإسعاد	والأقـدار فيـها من عبيدك



أبكي الشباب

وقال راثيا المرحوم عبد الحميد بن المرحوم حسن اللحام سنة ١٣٥٠هـ:

إن كان يشجيك الجليل من الخطوب إذا ألم
فحكيت وكف المعصـرات بدمع عين منسجم
فالـيوم أن به شفاء الصدر من نار الألم
نبأ له حال الصباح فعمّت الأفق الظلم
(عبد الحميد) وأي ركن هد رزوك فأنثلم
الآن لما حزت أبكار المآثر والشـيم
وسطعت بدرأ في سماء المجد حتى قيل تم
أبكي الخلائق كالرياض قرين عهداً بالديم
أبكي الشباب يبد آراء الكهولة والهرم
أنعى الصبا لم يدنس بالمنكرات ولا اللـم
أنعى الصبـاحة والرجـاحة والسـماحة والشـمم
أنعى أباء الضيم يخطر في رداء من كرم

حار الطبيب وهاله صرف القضاء بما حكم
ما حيلة الأسى وكيف بمحو ما خط القلم
أنت الشهيد ولم تُثر حرباً ولم تخضب بدم
ساروا بنعشك والقلوب على سريرك تزدحم
نفس تذوب ومقلة تجرى دماً وفم يكـم



يا مرقدا فيه ثوى سامي المناقب والهمم
يأبى لقلبي مدمعي أن يستميح لك الديم

من للأرامل

وقال راثيا المحسن الكبير الحاج يوسف بيضون:

واهتز ركن التقى إذ سال جانبه
رزيثة صدعت (بيروت) ماج لها
وقوضت من خيام العز أرفعها
خطب له أسود وجه السحب فأنهمرت
من للأرامل يرعاها ويكفلها
لهضي على الفضل والمعروف إنهما
ما الخطب أن يفقد الأرقام منغمرأ
لكنه فقد مطعام عميد ندى
لا يشتكي الضر أن نابته نائبة
أخلاقه الروض إذ بلت جوانبه
آراؤه كضرند السيف لامة
يقضي دجاء بإحسان يسير به
أن أخلف الغيث نابت عنه أنعمه
أودى وكل شجي من عشيرته
أودى وكل فؤاد من أحبته
نبكيه بالدمع منظوماً ومنتشراً
ولتبك حزناً بدمع صيب هتين

في فقد (يوسف) لما قام ناعيه
قطر الشأم وقد رجّت نواحيه
بيتاً يضم لباب الفخر نادية
ما العذر للمرء أن جفت مآقيه؟
من لليتيم يواسيه ويؤويه
قد أدرجا اليوم في رمس ثوى فيه
في لجة الجهل واللذات والتهيه
يطوى الزمان الوفا حين يطويه
ولا تغيره النعمى فتطغيه
سحب الغمام وروته غواديه
لم يمتزجن بتدليس وتمويه
للبناسين ومفروض يؤديه
أو خيم البؤس جلته أياديه
يود لو أنه يضدى فيفديه
يود لو أنه لحد يواريه
وقل أنا بدمع العين نبكيه
يحكي ندى كفه أجفان راجيه

وليعقرن على آثار تربيته
من بعد (يوسف) يلقاه فيسعه
هيهات لا راحماً يرثي لرؤيته
يا راحلاً خلفت في القلب فرقته
ما أن ثويت ولو غودرت منفرداً
لكن قدمت على الرحمن مغتبطاً
لا يهدم الدهر ما أسسته فلقد
أم كيف يبلى مع الأيام ذكر فتى
أو يطوه البعد فالإحسان ينشده
لا استقي لثراه الغيث منهمراً
وأن فيه خضماً عزّاً آخره

آماله ويضحى من أمانيه
من يستجيب نداءه؟ من يليه؟
أن رابه الدهر واشتدت دواهيه
لواعجاً فهي لا تنفك تدميه
في ظلمة اللحد ملقى في محانيه
كيما ترى ثمر العقبي وتجنيه
شيدت على البر والتقوى مبانيه
أن يخفه الترب فالآثار تبديه
أوينئه الموت فال معروف يدنيه
فإنما الغيث فيض من أياديهِ
عن أن يغور وتُسقى نواحيه



برج الخطب

وقال راثيا المرحوم محمد سعيد التقي ومعزيا ولده الأستاذ الراحل أديب التقي وذلك في

غرة شهر رمضان سنة ١٣٤٥هـ:

ما سؤال المحب غير مجيب
خافيات منه المعالم إلا
توسع القلب والمدامع شجواً
بت ليلى أنزع القلب فيها
برج الخطب يا جفون فذوبي
كل يوم لنا على فقد ألف
صوحت روضة الوفاء واضحى
جاء فيها الزمان ترفل بالخز
حادث وقعه دها المجد لما
كيف فلت أيدي النواذب سيقاً
يا مغذاً بالسير فوق أمون
جسرة في أديم كل فلاة
يتساوى بعد البعيد لديها

من طلوع عفته ربح الجنوب
أثراً بالياً بأيدي الخطوب
وأنهمالاً بلوعة ولهيب
زفرات الجوى وحر الوجيب
ليس يشفي من الضنا أن تصوبي
رنة تملأ الفضا بالنعيب
مجتدى نيله بمرعى جديب
ى تباباً موشية بالعيوب
أذنت منه شمس به غروب
كم جلا في شباه وجه الكروب
أما من كلالها والغوب
سمة من ذميلها^(١) والسقوب
حين تهوى له وقرب القريب

(١) وفي نسخة (خطامها).

عج إذا ما بلغت في السلط مغنى
 بهمام مهذب اريحى
 أبرزته العلى مثال كمال
 فاغدى طاهر الذبول نقياً
 يرتدى مطرف الفخار ويكسى
 وانتضته للدهر عضباً كريماً
 عاد إذ صال والمعالى لديه
 عجم الدهر منه عود مضاء
 يتلقى صرف الزمان بجأش
 هل ترى في الحياة ورداً هنيئاً
 من هموم محضة وابتعاد
 والمصير الذي يعود إليه
 كم عليك غالته أثر عليك
 (كل حي وأن تطاول عمراً
 واللبيب الأريب يصبر للرز
 لا يرى غير باسم للرزايا
 عالماً أن ما مضى ليس يجدى
 ليس من يستطيع كبح جماح
 أيها الشهم أنت خير صديق
 رب قول أهج كامن وجد
 أوقد الحزن في الفؤاد كما تذ
 وتلاه رعد الأسى وتوالت
 غير أني عزيت منك معزى
 وبودى لو شاطرتك رزايا
 لك في غامض المشاكل أى
 لا أعزبك قائللاً لك صبراً
 غير أني أقول رواك يارو

طاول الشهب رفعة بالأديب
 بالمعالى والمكرمات طروب
 كنضار في قالب مسكوب
 سالم الذكر من جميع العيوب
 من ثياب التقى ببرد قشيب
 صادقاً في اللقا ببرد قشيب
 من أسير مكبل وخبيب
 في احتمال الخطوب جد صليب
 ثابت طامن وصدر رحيب
 لم يدف طعمه بآخر موبى
 عن أليف وفرقة لحبيب
 كل هذا الورى لقاء شعوب
 وشعوب لفتهم بشعوب
 أخذ من سهامها بنصيب
 ء وأن كان صادعاً للقلوب
 أن نحت نحوه بوجه قطوب
 فيه قرع الطلا وشق الجيوب
 لقضاء مقدر مكتوب
 (صادق) في حضوره والغيب
 لمصاب بين الحشا والجنوب
 ففخ في النار عاصف بالهبوب
 بعده هاطلات دمع سكوب
 وأنا صاحب الفؤاد الكئيب
 الدهر نفسى وكل أمر عصيب
 كدت فيه تجتاز حجب الغيوب
 ليس يؤتى ابن مريم بطبيب
 ض التقى فيض عارض مصبوب

رثاء التقي

وقال (نور الله رمسه) راثياً الأستاذ الراحل أديب التقي وقد ألقى هذه القصيدة على ضريحه عصر الأربعاء ٤ نيسان ١٩٤٥ وقدم لها بهذه الكلمات:

هذا بطل من أبطال الجهاد الوطني، يخرُ صريعاً في ميدانه بعد أن أبلى أحسن البلاء، وعلم من أعلام الثقافة والأدب يهوى ويسبح بعد صمود طويل. ورحمته لهذه النجوم المتلألئة التي تشرق في سمائنا لتهدى الساري ثم لا تلبث أن تنقض من أفق عليائها فتحور رماداً بعد أن كانت ساطعة. ورحمته لهذه الأبطال الأشاوس التي وقفت جهودها على هذه الناشئة ووهبتها ما تملك من قوة ونشاط حتى ودعت آمالها وأحلامها وسقطت محطمة الهياكل، دامية الجراح، ورحمته للفئة الجبارة التي لا تلين لها قناة ولا يلتوى لها عزم ولا يعرف لهمتها حد يسقط منها الشهيد بعد أن وهنت قواه فتشيعه بنظرة خاطفة ودمعة ذارفة ثم تعود إلى حلبتها وتعاود كرهاً وفرهاً كأن شيئاً من ذلك لم يكن. ورحمته لهم ما لهم لا يبالون؟ ألم تكسف شمس؟ ألم ينكدر نجم؟ ألم يتصدع ركن؟ ألم يتهدم مجد؟ ألم تنطفيء شعلة وقادة؟ ألم يقض على أسرة بكاملها؟ ألم يكن سر هذا كله الجهود الجبارة والعمل المضني؟ ألا لا كان هذا ولم يكن وما ذاك إلا أن الله تعالى قد أخذ عليها أن تمضي في رسالتها وجعل مداد أعلامها أفضل من دماء الشهداء فهي تجاهد وتكابد وتضحى بنفوسها في سبيل هذا الوطن المقدس:

فبدلن صفو المنى بالكدر
مصاب العلا بفتاها الأبر
فمن لي بأن لا يصح الخبر
فما حيلتي بيقين النظر
ومرت سراعاً كلمح البصر
أفق فكأن أجود السفر
خذ الحذر من كارثات السحر
فأصبح رزؤك أحدى الكبر
شهى الحديث لطيف السمر
إذ هز قلب الجبان الخور
ومن للنزال ودره الخطر

أصابت فاصمت سهام الغير
أبر على كل خطب عرا
تصاممت أدفع صوت النعى
وهبني تأولت ظن السماع
تولت ليالي الصفا وانقضت
فيا لاهياً في مهاد الأمان
ويا نائم الليل ملء الجفون
لقد كنت فينا كبير المقام
كريم الشمائل عف الضمير
وفي الموقف الصعب صلب الحصاة
فمن للنضال ومن للصيال

يراعك... يجرى بسحر العقول
إذا جد حل عرا المشكلات
أجوهرة الدهر من بعدها
لئن داهمتك صروف القضا
ولم تنض عنك يرود الشباب
فما في الحياة سوى المضحكات
ونجد يشان ونذل يزان
إلى باطن الأرض يا ذا الإباء
وأخلد إلى الترب وأنعم به
تصوح بعدك روض العلوم
وغادرت فينا حماة القريض
لقمنا نقارع بالمرهفات
فلا تبعدن بلى قد بعدت
سنسقي ثراك دموع العيون

وقال يرثيه أيضاً بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته وقد ألقى هذا الموشح في حفل تأبيني كبير أقيم بهذه المناسبة في نادي الفجر الرياضي بحي الأمين وذلك عصر ٢١ مايس ١٩٤٥ :
أي كأس بدل الدهر بها شهدا بصاب
فحسوناهما وللأنفوس غم واكتئاب



هاجت الورقاء حزنني
تتلع الجيد وتصفني
شفها بعد أليف
فهني تشاتاق إليه
قد هوى الفلك يا ور
ترب الأوصال مفـ
إنما ألقى الملقى
إنما ألقى الذي قد
غاب في الترب لله
فاصدقيني أينما أو

حين ناحت في الصباح
لأحاديث الرياح
ضل في البيد الفساح
كل مغدى ومراح
قواء مكسور الجناح
سرى الحشا دامي الجراح
غاله الحنين المتاح
كان ريحاني وراحي
وجه هلالتي ومراحي
لى بحزن ونواح

انديي الفك بالدمع وجودى بانسكاب
فأليفي جل أن يبكي بدمع وانتحاب

ر شحوب الوجنتين
 في شعاع المقلتين
 ر وداع الأخوين
 بنجيع المهجنتين
 ر نحيب الولدين
 مع ووحى الحاجبين
 ست صراع الأسدين
 كروهمس الشفتين
 تاع لإسبال اليدين
 ت وصوت الناعين

فإذا أذهلك الخطب وأكبرت المصاب
 فتجلبب حندس الظلمة وأجنح للغياب

عقد الصبر الجميل
 في الناس بالدمع بخيل
 وجنة الأم الشكول
 مصرعه الرزء الجليل
 ليت أني في الحمول
 علان يا قوم قفول
 ف القلب في برد سحيل
 د العين في ظل ظليل
 حنوطاً وغسول
 الخلق والطرف الهمول

أيها المزمع عنا رحلة دون إياب
 صمتك الهادئ في الوعظ شأى كل خطاب

فوق أعناق الشباب
 هداهما وقع المصاب
 منهم رؤوس ورقاب
 وأمانتيها العذاب
 أي ببدرفيه غاب
 مرة فيها والكتاب
 فيه إذا المعضل ناب

هل رأى طرفك يا بد
 ودبيب الموت يسرى
 هل رأى طرفك يا بد
 واندفاع الدمع يهمي
 هل وعى سمعك يا بد
 واحتباس النطق والسـ
 ايه يا بدر وهل شمـ
 وانصراف اللب للذ
 هل هفا قلبك وار
 وخفوت الحس للمو

صعد الـروح فحلت
 واستوى الناس فما
 صكت العلياء فيه
 وانحنت تكبر في
 ثم ضمته وصاحت
 هل لهذا الراحل العجـ
 أدرجوه من شفا
 وادفنوه من سوا
 واتركوا الكافور والماء
 حسبه منه ومني

وتهادى النعش تيهأ
 وبه حفّت كهول
 نكست حزنأ له
 شيعت فيه هواها
 أدركت إذ رفعتـه
 أي راع حرمة العتـ
 أي نصل أغمدت

أي ليث طـاح بالـمو
أي هـاد ذكـره فـي
أي قـاض أوتـى الحـكمة
ت لـه ظـفـدر ونـاب
النـشء عـطـر و قـلاب
مـع فـصل الخـطاب

أي طـود لـلـعـلا راحـت مـواريه التـراب
أي بـحر لـلنـقى والعـلم جـيـاش العـباب

نـحن أولـعنا بـدنيا
تحتـها نـيران غـدر
شـيمـة البـيض وهـل
تـترأى كـحـمام وادع
تـوقـظ الفـتنـة بـا
قـد غـدونـا ونـا فـيـها
وارتنـا أنـها تـجـزى
فتـهـالـكنا نـشـاوى
وارتنـفنا مـن جـناها
فإذا بـين الجـنى واللـحظ
خدعتنا بـابـتـسام
ذات وقـد وضـرام
للـبيـض عـهد أو ذمـام
وهـي الحـمـام
لألـحـاظ مـن تحت اللثـام
ولـوع وغـرام
هـيـامـا بـهـيام
بـين ضـم والتـزام
مـا حـسـبنا المـدام
سـم وسـمـام

مـتـع الدنـيا غـرور تـترأى كـالـسـراب
فإذا فـتـشت عـنه لـم تـجد غـير السـراب

سـكن القـلب وقـد اسـ
فارتـدى الـروض لـه
والتـقى فـي رفـرف الـ
رافـلاً تـحت ظـلال الـ
واكتـسى الوادـي حـداداً
عالمـاً مـابـزة المـقدار
كـم لـهـذا الـدهـر فـي
وسـنان يـصـدر المـران
أن يـكن وُسـد لـحـدأ
وكـذا الأقمـار فـي
سـكت صـوت العـندليب
ثـوب اصـفرار وشـحوب
خـلد مـحب بـحبـيب
عـرس فـي بـرد قـشـيب
يـوم خـلاه (الأديـب)
فـي الـيـوم العـصـيب
الأسـناد مـن سـهم مـصـيب
عـن جـرح رـغـيب
فـهو مـنا فـي القـلوب
الدنـيا طـلـوع وغـروب

قـد فـقدنـاه ولـما يـنـض أبـراد الشـباب
حـسبنا اللـه حـسـيبـا والـى اللـه المـآب

وقال مؤبناً المرحوم أبي طالب الحاج محمد حسن آل بيضون، والأصل والتخميس له^(١):
أي رزء أجرى الدموع السواجم
حال فيه الضياء فالكون قاتم

فيه أعيادنا استحالت مآتم حين أودى حلف الندى والمكارم
حسن الخلق ذي الخلال الرضية
يا لقومي لحادثات الليالي قد رمتنا قسيها بالنبال
أتراها ببغيها لا تبالي فكأننا وصرفها في نزال
كل يوم للدهر فينا رمية
يا رفيع العماد كيف انتحاكا حادث الدهر فاستباح حماكا
كيف دكت هوج المنايا ذراكا أين ذاك المقام يعلو السماكا
أين تلك النفس الشמוש الأبية
أيهذي الثرى أتاك مقيم رق منه طبع وصح أديم
إنما يعشق الكريم الكريم وستسقيك أعين وغيوم
فترويك بكرة وعشية

وقال راثيا آية الله الإمام السيد أبو الحسن الأصفهاني الموسوي^(١):

سلوا الحنيفية السمحاء كيف نحا صرف الردى خير ناد من نواديها
وأي رزء على الدنيا أطل ضحى فماد للرزء قاصيها ودانيها
من بدل البيض من أيامها فبدت سوداً وكانت به بيضاً لياليها
من حوّل الخصب في جناتها فغدت غبرا وكانت به خضراً روايها
البدر في افقه من راح يكسفه والشمس في أوجها من راح يطويها
والجو ما للبروق الخرق تلهبه والأرض ما للرعود الهوج تذكيها
لمن تنكس رايات الجهاد وقد كانت على الشم تزهو في أعاليها
سفينة الرشد باتت وهي حائرة والريح تعصف والأمواج ترميها
في ليلة غيبت عنها كواكبها يا من أحس بمجريها ومرسيها
خطب غدا طوره المقدار فيه طاشت حلوم العوادي في تماديها
وادي الغضى يتلظى من جوانحها هز البسيطة فارتجت نواحيها
فالهند) تكلى وفي (طهران) واعية وماء دجلة يجري من مآقيها
(والشام) تنعى (و) (صنعاء) تباكيها

(١) وقد ألحاه الشاعر على قبره، وله أيضاً تاريخ شعري يؤرخ به وفاته وقد كتب على قبره لكننا لم نهتدي إليه. وأل بيضون من الأسر العربية الشهيرة في سورية ولبنان نبغ منها الكثير من الأدباء والعلماء والوجهاء.

(٢) انحصرت فيه زعامة المذهب الإمامي وانتهت إليه المرجعية الدينية وهو أشهر من أن يذكر لعلمه وورعه ومواقفه من أجل الإسلام وقد توفي رحمه الله في النجف الأشرف وبها دفن في ثاني يوم عيد الأضحى سنة ١٣٦٥. وقد القى الشاعر هذه القصيدة في الفاتحة التي أقامه على روحه العلامة السيد محسن الأمين في حسينية دمشق. ونشرت في مجلة الدليل النجفية العدد (٤-٣) محرم/صفر ١٣٦٦ هـ/١٩٤٧ م.

و(مصر) ناحت وعم الحزن أهليها
و(القدس) تندك من هول رواسيها
أمسى يشاركه في الرزء باديهها
ولا قرارة الأجف وأديها
واليوم قصت بمنعاه حواشيها
فهل تقوم بمسعاها خوافيها
فأصبحت وهي أحلام أمانيهها
واليوم لا بلغت سؤلأ أعاديها
من كل سوء بعون الله يحميها
تعتز فيه ونال القوس باريهها
في الخلد أمسى قرير العين هانيها
والحور تزهو بالبشرى مغنيها
وللشريعة حاميهها وراعيها

وتلك (أم القرى) قد ريع أبطحها
و(طيبة) زلزلت واهتز منبرها
من المعزى من الدنيا وحاضرها
فلا دعامة إلا مال جانبها
كانت كنانة ملء الأرض هيبتها
إذا نسور الرى طاحت قوادمها
قل للمساكين أودى اليوم كافلها
كانت به شرعة الهادي ممتعة
أبقى الإله لها من (محسن)^(١) وزرا
أضحى (الأمين) على أحكامها ففدت
تعز مولاي فالهادي أبو حسن
على الأرائك والولدان تخدمه
وأسلم ودم أنت للدنيا إمام هدى



يا ناصر الإسلام

وقال (قدس سره) في رثاء العلامة الكبير السيد محسن الأمين العاملي^(٢) تغمده الله

برحمته:

أكذا تُدك الهضب بعد سناء
أكذا تفل البيض بعد مضاء
فالأرض مائلة على الأرجاء
سحب الزمان عليه ذيل عفاء
ولى فأذن عيشها بقضاء
أصمى القلوب بأفدح الارزاء
علم الجهاد وفارس الهيجاء
بجهاده أمسى صريع الداء
في الأرض أصبح مثقل الأعباء
وفعاله أضحى رهين قناء

أكذا تحور الشهب بعد ضياء
أكذا تقاد الأسد من آجامها
نبأ تطاير في البلاد فهزها
قالوا (الأمين) فقلت غابر امة
وربيع أيام لدنيا حكمة
قدر أغار على (الأمين) فغاله
وطوى به طي السجل كتابه
مستأصل داء الجهالة في الورى
حمل أعباء الإمامة والهدى
يحيي الفضائل في النفوس بقوله

(١) هو الإمام السيد محسن الأمين عليه الرحمة.

(٢) ألقاها في الحفلة التابينية للسيد الأمين في الكلية العاملية ببيروت وذلك في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٥٢.

هلا وقته الحثف عند نزوله
هلا وقته من الردى بنفوسها
هلا حمته من النوائب ملة
وأزامل ومعاهد وملاجيء
يا ناصر الإسلام كيف رأيته
أن يبك يومك بالنجيع مظالماً
ولقد رأيتهك والمنية تدني
فعرفت كيف تدك أعواد العلى
وسوائر لك في القوافي شرد
هن النسيم إذا رضيت سلامة
المرقصات بمدح آل محمد
النزلات على الموالي رحمة
لك في المدائح والمراثي فيهم
وإذا وعظت فأنت أبلغ واعظ
وإذا يراعك جال سال حقاً
وإذا أجلت الرأي في متشابه
طلبوا تراث موزع أمواله
يهب الألوف نهاره متهللاً
بتاء أجيال تنازع همّه
ومقصرين ومادروا أن العلى
قصرت خطاهم عن لحاقل فانتنوا
وتفننوا في ستر فضلك ضلة
ما زلت تولي النشيء كل عناية
وتهيب بالواني فتملاً صدره
وخفضت للأيتام جانب رافة
فأست جراحهم بنان مؤمل
وتركت في (الأعيان) سقراً خالداً
نار الأسى لك في فؤادي سعرت
أبكي لأطفئها وأعلم أنني
قد كنت أخشى أن يفاجنني الردى
زأنا وساميههم بنفس متوج

مهج تتبع داءها بدواء
عصب تعاهدها بحسن رعاء
كان الفداء لها بيوم فداء
كان الملاذ لها لدى الغماء
بعد النوازل بعد حسن بلاء
كنت المعاذ له من الأسواء
فتئن من سقم ومن أعياء
ويغيب نور الكوكب الوضاء
أعيت صياغتها على الشعراء
فإذا غضبت فهبة النكباء
والفالقاة الصخر عند رثاء
والمرسلات لظى على الأعداء
سحر الوليد ولوعة الخنساء
وإذا خطبت فسيد الخطباء
وقضى على الأوهام والأهواء
فال فجر شق دياجر الظلماء
ما بين كسب مثوية وثناء
ويبيت ليلاً طاوى الأحشاء
أحكام أساس ودعم بناء
ملك لكل مشمر بناء
يبدون عي ضرائر الحسناء
والشمس لا تخفى على البصراء
حتى سموت به على الجوزاء
عزماً كصدر الصعدة السمراء
هي رافة الأبياء بالأبناء
كلف بمسح مدامع البؤساء
فنشرتهم فيه مع الأحياء
فطغت بسورته على الإطفاء
مذك لواعجها بحر بكائي
واليوم أنف أن يطول بقائي
بالفضل سباق إلى العلياء

ومشى على هام الجموع مشيعاً
لا تحسبوه على الأكف وإنما
قبر أقيم بروض بنت المرتضى
تتنزل الأملاك حول ضريحه
لنزيله ازدهت الجنان وأشرقت
بدم القلوب وزفرة الأحشاء
هذا البراق يهم بالإسراء
غنيت جوانبه عن الأنواء
زمرأ مع الإصباح والإمساء
والكون قنعه الدجى برداء



وقال يرثيه أيضاً:

أيها القلب

أأنينا وليس يجدى الأنين
وبكاء ولو يوفى بكاء
أيها النجم ما غربت ولكن
أيها القلب ما سكنت ولكن
خيّم الحزن في نواحيه طراً
رددته (بيروت) صوت نعي
واقشعرت بطحاء مكة حزناً
لا تسمني في (المحسن) اليوم مولى
جنّ فيه الفؤاد إذ هام وجداً^(١)
وكذاك المياه شتّى فمنها
لا أبالي بأن ألقى المنايا
كم وترت الردى بإنقاذ نفس
هوّن الرزء أنه ليس ينسى

أن أهاب الردى قلبى (الأمين)
لاستبقنا حتى تذوب الجفون
جزت ما لا تسمو إليه العيون
ساد هذا الكون العجيب السكون
فسواء سهوله والحزون
فتداعى لهوله (قاسيون)
وشكا البيت والصفاء والحجون
فحديثي عنه أسى وشجون
بمزاياه والجنون فنون
أسن آجن وعذب معين
وزماني بأن أراه ضنين
وترات الردى علينا^(٢) ديون
ما حيننا وما سواه يهون



الشعر السياسي

(أيها الطائر الذبيح)

وقال رحمه الله . بمناسبة هبوط الفرنك سنة ١٩٣٥ . ١٩٣٦م:

رُبَّ سَهم لم يعد منك فؤادا
ومميت من السموم ذعاف
كلنا يدعي وفاء وعدلاً
سدده لصدرك الأقرباء
دسّ من حيث كان يرجى الدواء
وقديماً تنوع الأدعاء

(١) وفي نسخة: مذ همت وجداً.

(٢) وفي نسخة: لعمرى.

وإذا غبت حيلة رقطاء
فث من سمها الأفاعي شفاء
لا ترفرف ما دام فيك دماء
ت إذا لاح خطرة نكراء
ض وتهتز من أذاها السماء
ثم حاذر أن يظهر الاستياء
لم يخالط ذاك الخطاب رياء^(١)
وحميد من الضعيف العزاء
الاص والحق والوفا والإخاء
في البرايا ومثلها العنقاء
لقوى لا عاشت الضعفاء
لا تبالي أن لم تجدها السماء

كلنا ما شهدت خل وفي
لين مسها وليس لها تنـ
أيها الطائر الذبيح تماسك
أن فحصاً بالرجل من حر ما ذق
أنه جرة تميد لها الأر
فتقبل حز المدى بابتسام
واستمع فالزمان يملّي خطاباً
ليس بدعاً من القوي التجني
والساواة والعدالة والأخـ
كلمات جاءت لغير مسمى
أفة الكون أن يذل ضعيف
أنت أن مت صادياً في فلاة



رجال العرب

وله وقد نظمها سنة ١٩٣٧ وألقت في حفلة بالمدرسة المحسنية حضرها وزير المعارف آنذاك

السيد عبد الرحمن بك الكيالي^(٢):

تراثاً خلضته لنا الجدود
بأرزاء يشيب لها الوليد
بما فعلت بساحته الأسود
تغص بها التهائم والنجود
وتحميها الخنادق والحديد
فلم تجد القيود ولا الصمود
بها لاسود يعرب قام عيد
وقوض ذلك المجد التليد
توالت أثره ليلاء سود
فعاثت في مرايعها العبيد
تحكم في عرين الليث سيد

رجال العرب هبوا فاستعيدوا
رمتهم يد الحوادث بعد عز
سلو اليرموك يخبركم ثراه
وكم قلت له رقل من جنود
تمتع بالصوارم والعوالي
تقيد للصمود مقاتلوها
مآتم للعداة هناك قامت
تنكرت الحوادث وأدلهمت
وسود ذلك الماضي ليال
فهل نام الجحاح من لؤي
إذا كلت نيوب الليث يوماً

(١) وفي نسخة جاء العجز هكذا: لم يخالطه كلفة أو رياء.

(٢) وقد اتقاهم بالنيابة عن الشاعر: الطالب عبده القطان.

وأن فُشَّتْ الجهالة في أناس
رجال العرب إنا باحتياج
رجال العرب إنا باحتياج
بفضل العلم يُدرا كل هون
ويدفع عن حمانا كل ضيم
إذا اتحد الشعور وعم شعبا
وسوف نشيد دور العلم ملكاً
ترفرق في مرابعه الأمانى
يصيح الناظرون إلى سناه

فتلك ربوعهم أبداً لحد
لمن يحمي الذمار ومن يرو
لمن يبني العقول ومن يشيد
وتنفصم الجوامع والقيود
وتخفق فوق رؤسنا البنود
فليس يضير أن تلوى الوعود^(١)
تُصان له الموائق والعهود
وتلمع في جوانبه السعود
لقد بُعث الوليد أو الرشيد

❖ ❖ ❖ يا شعب

وقال . عليه الرحمة والرضوان . متبرما من الاختلاسات المالية في الدولة السورية سنة

١٩٤٦ :

جدّ في نهيك يا شعب فخف
تهب المال وتمسي طاوياً
كم عديم بات منها مثيراً
ما على القاني صحافاً ذهباً
هكذا الميزان أن مال به
أعولى أيتها الأم فقد
شرق الماضي وما في ضمنه
تربت أيدي رجال عرضت
قد بلونا فإذا ليس لها
أمعني أيتها الأيدي فقد
لا تخافى دركاً أو بنتاً
صم سمع العدل عن صيحاتنا
قد غلا الجو فقري أعينا
ثروة الأمة بحر فاغر

عقمت أمك أن تأتي بعف
وبيوت المال في نشر ولف
ووضيع حاز أعناق الشرف
أن شكاً جيرانه فقد الخزف
ثقل من جانب شال طرف
عق أبناؤك ميثاق السلف
أو دعوه اليوم في بطن جدف
ثورة الشعب لخسر وتلف
غير نهب المال هم أو هدف
أمنوك اليوم من قطع وكف
فمطايا العزم في العدل عجب
وتعامى عن أذانا منه طرف
لن تنالي بهوان أو بصرف
لا تصير البحر كف المغترف

(١) بعد أن وعدت فرنسا المستعمرة بإمضاء معاهدة مع سورية ووقعها مندوبو سورية والمفوض السامي نقضتها فرنسا لعدم موافقة برلمانها عليها بعد أن وقعت حكومتها وهذا كان دأبهم.

قد كتبنا عندها فاز المخف
وبذلنا كل ما عزّ وخف
بيع فيها كل ماعون وخف
تجتلي فيه أفانين الترف
بالآلي وصدفتم عن صدف
في التماذي كل غايات السرف
وكذا من ذاق ما ذقتم عرف
أولع الراعي بمزمار ودف
هاجك الحزن بدمع فوكف
خلفاً بعدهم بئس الخلف
أسفي لو كان يجديني الأسف

أيها السائل عن ثروتنا
قد جمعناها بغالي دمعنا
وائتمناها عليها بعد أن
فاستحلوها وأضحت مغنماً
قد عذرناكم بأن نافستم
وتجاوزنا ولو تجاوزتم
لذة الثروة أمرٌ عجبٌ
لاتلام البهم في رقص إذا
كف من غريبك يا طرف إذا
حي أسلافاً كراماً تركوا
أثر الغربي في أخلاقه

٢٠ حزيران ١٩٤٦

❖ ❖ ❖ ولائم القصر

ونظم هذه القصيدة في ١٠ آب ١٩٤٧ الموافق ٢٣ رمضان ١٣٦٦ هـ يتشكى فيها من المآذب التي تقام في القصر في حين موجة الغلاء تطغى فتعم جميع الحاجيات الضرورية في كافة أنحاء سورية:

هلمّ يمم ساحة القصر
تفيض فيها بالأنس والبشر
مبثوثة والصدف في الصدر
كما تحف النجوم بالبدن
ما ضرها أن تضن بالقطر
يا بعد بين العسر واليسر
يعرض بالبخس وبالنزر^(١)
تبيع فيه الشبر بالفتن
بعد امتلاء سجدة الشكر
يؤكّي بها بالشفع والوتر
مكدوبة بالطبل والزمر
لا تفرق الخير من الشر

يا أيها الموسر والمثري
يا حسننا والوجوه ناظرة
حيث عيون القوم في روضها
حيث تحف الجنود في ربهـا
تري على محياه بدر سما
أسرع يجنبك أذى عسرة
حيث الطعام اللذ في صحفه
يسرى به الوجدان من عصبه
غاية ما قد يُقتضى بذله
أو بعض ركعات قصار المدى
أو نشر أخبار حسان له
بين رعا في الملا حشد

(١) ورد هذا البيت في نسخة أخرى من القصيدة:

حيث الطعام اللذ معروضة

أنواعه بالبخس والنزر

أما لهذا الليل من فجر
فالصبح منه نضخة الحشر
حسبك ما حُمِلَتْ من وزر
بين ثنايا البؤس والضُر
من ترهات باللف والنشر
بأن تساس البلاد بالتمر
والعصر إن الإنسان في خسر

طال عليها الليل في نومها
شدت إلى الهضب دراربه
يا أيها الشادي بها دينه
وأنت يا أيها المعسر عرش
وحل للقصر ما يرتضي
فقد أعاد التاريخ أعماله
واقرا كلام القرآن في قوله



وله في المناسبة نفسها والتاريخ نفسه:

ولعلها فيها تكون القاضية
ودمشق تردفه بليل طاوية
وكذا البطون من المأكّل خاوية
في القصر تنقلها الرياح السافية
إلا ذئاب أو كلاب عاوية
بعقولهم معنى الصلاة وماهية
أو كبروا فعلى القلوب الواعية
أو صام صام عن الخلال العالية
من جند إبليس يقل ثمانية
وزعيمهم ذاك الغشوم الطاغية
يا ظالمون لنسفعا بالناصية
يا عهد الاستعمار رفرق ثانية

قل للرئيس لقد بليت بتخمة
الناس في رمضان تمسك يومها
تضري الجسم من الملابس عارية
وماذب الإفطار يعبق ريحها
تدعو إليها الطاعمين وما هم
لم يعرفوا معنى الصيام ولم يدر
أن سبّحوا فبحمد ما توليهم
أو ناب واحدهم فعن ترك الخنا
عرس بجلق فوقه صنم به
قل للصوم المعننين ببيغهم
كلا لئن لم تنتهوا عن غيكم
أن كان هذا مظهر استقلالنا



صدي حوادث حيفا

وقال بمناسبة دخول الصهاينة إلى حيفا والمصائب التي حلت بالفلسطينيين جرائها ناقداً

الغرب وسياسته الاستعمارية، وذلك أواخر نيسان سنة ١٩٤٨م:

جفّ السحاب وما جفّت مآقينا
غصّ البسيط بفوج من أضاحينا
في مذبح الغدر قد أمست قرابيننا
تعدادها علم الورق التلاحينا

يا راكبين ألا عوجوا بوادينا
ضاق المحيط بموج الجاليات وقد
فوق القوارب أيتام حماتهم
من شاكلات تدق الصدر نائحة

قد برّها البغي ثوب العز فانطلقت
ألقي بها اليم أشتاتاً مروعة
هاتيك نسوة قحطان وقد وقفت
أنسى المصاب (بحيفا) كل كارثة
يا ساسة الغرب هل تدرون ويحكم
أظهرتم العدل في إبان محنتكم
هلا كنفتكم عن الدنيا شرورك
فإن يكن يوم (حطين) يسعها
أكان عيسى دعاكم في وصيته
أن اليهود الأولى تبنون ملكهم
أخصام عيسى أثاروا اليوم ملحمة
كم مثلوا ثم في طفل ومرضة
يا مجلس الأمن لسنّا في مواطننا
أين العهود وما لفقت من كلم
ما أبعد العدل إلا في خلائقنا
وراء هذى الأمانى في تباغدها
وتالد من عظيم المجد بارقه
صهيون والرق ماض في تحرره
أن باعها الغرب ختاراً بدمته
ما باع صهيون قبراً وهو يجهله
لا بد أن تتساقى الكأس مترعة

تندري الدموع على الصيد المحامينا
توحي إلى النفس أشجاناً أفانينا
تنعي مغاويرها الزهر الميامينا
وهباً ينكأ ذكرى (دير ياسينا)
ماذا يكابد منكم طور سينينا
حتى إذا ما أنجلت عدتم فراعينا
هلا عطفتكم على مهد النبيينا
ما شأن (خبير) في ثارات (حطينا)
بأن تقيموا على المهد الصهايينا
أعداؤكم قبل أن كانوا أعاديننا
في مهد أحزنت عيسى وياسينا
وحامل ومريض ذى ثمانينا
نهباً مباحاً فنشرها وتشرينا
ليس الأباطيل إلا أن تمنينا
ما أبعد الصدق إلا في موازيننا
عزم يقرب نائيتها ويذنيننا
يلوح في صفحة الذكرى فيغرينا
وقد تقاسم أن يحمي فلسطينا
فالموت في حفظها أعلى أمانينا
لكنه باعها دنياه والدينا
يأليت شعري متى يقضى تساقينا



حي على الموت

وقال حين طلب الصهاينة وقف القتال، بعد الجهاد الدامي الذي خاضه معهم العرب

وذلك في ٢٥ مايس سنة ١٩٤٨:

رجعت ترومين وقف الكفاح
لشذاذ شعبك نهباً مباح
تسيل بهن السهول الضاح

آن ذقت صهيون حر الصفاح
أصلحاً ومسرّى الرسول الطهور
أصلحاً وهذى دماء الضحايا

تناثرن بين الريى والبطاح
وتدفنهن ساقيات الرياح
بسوق الملاحم بيع السماح
على السابحات وجوه صباح
يُدفن لديها بمسك وراح
فتحسبها همسات الصباح
فتحسبها لحظات الملاح
لديها عناق كعاب رداح
ويلقى الحياة الحمام المتاح
وتخلي البلاد وتلقي السلاح
فباؤا بخزي وأي افتضاح
و(ريشار) هل صادفوا من نجاح
و(محمود) من بعد ثم (الصلاح)
فكيف تبالي بهذا النباح
وحى على العرب أهل الفلاح

وتلك العذارى وأشلالوها
تحفظها لأفحات الهجير
ولما نباد لك بيع النفوس
ولما ترعك بيوم عبوس
كأن كؤوس الردى سلسل
تقبلها شفرات السيوف
وتغمزها فوهات الرصاص
كأن عناق كعوب الرماح
فلا صلح حتى تئيم النساء
ولا صلح أو تؤذني بالفناء
وقبلك أعيت على الفاتحين
سلي (بربروس) وقد يسهم
غداة (العماد) أعد الزخوف
إذا لم يرعها زئير الأسود
فحى على الموت أسد العرين



يا فلسطين

وقال أيضاً بمناسبة حوادث فلسطين ودخول الجيوش العربية وخوضها المعارك الدامية

مع العدو الصهيوني، وذلك في ١٥ أيار ١٩٤٨:

إلى الوغى - ليث الشرى - إلى الجهاد

قل للعدى - شبل الحمى - وارى الزناد

ففي صراع ونزال
للصليب والهلال

يا فلسطين أذكرى عهد صلاح
وأشهدى الأرواح تشرى بسماح



بالتفاني والفتداء
فابذلوها بسخاء

أيه يا أبناء من سدوا الثغور
الدماء الحمر للخلد مهور



والمنيايا دائرات
يالهها من صفحات

نحن سجلنا بحطين وخيبر
صفحات بالدماء الحمر تسطر



خير رمل للعلماء	مهد عيسى وثرى مسرى محمد
من أضاح ودماء	كم بذلنا ثم والتاريخ يشهد
❖ ❖ ❖	
لثراه من شراب	ظمئ الوادي وما غير دمانا
فاجعلوها كالسراب	فيها تبديد أحلام عدانا
❖ ❖ ❖	
وأمان وعمهود	تربة القدس لنا فيك جدود
بأزاهير الربيع	هذه الساحات حلينا رباها
إنها بنت النجيع	طبق الأفق مسكى شذاها
❖ ❖ ❖	
لن تنالوا الأربا	يا بني صهيون في مهد المسيح
أوفكونوا الحطبا	فدعوا النار ولا تعصوا النصيح
❖ ❖ ❖	
وعلي وعمر	عامر منا وعمرو وأسامة
والنبي المختار	والذي قاتل كذاب اليمامة
❖ ❖ ❖	

نشيد فلسطين

وله في نفس المناسبة:

فالك البشري	يا فلسطين بدا الأصباح
فأرقبني الفجرا	قد سمحنا لك بالأرواح
بأدي الغلله	أعلى الطور بدا الزيتون
شرها ملله	فانقعوها من دماء صهيون
في فلسطينا	أصحيح قتلوا الأطفال
دير ياسينا	واسمحتباحو البيض في أطلال
مذ خلا الأفق	البغات استنسروا فيك
والخنس خلق	فاسمحتباحو طهر واديك
لم يكن قبيله	أي مغنى من مغانيك
يالها ذلله	البصهيون نخليك
تقحم النارا	دونت أرض العرب أبطل
تأنف العار	ما لها في الروح أمثال

دون أرض العرب أسـاد
للمنايا السـود وراـد
لا تراعي يا فلسطين
والمطاعين الميامين
تبذل المهـجا
أو ترى القـلـجا
للعـدى الخـسر
لهم النـصر



يا قبلة العرب

وقال رحمه الله في نفس المناسبة أيضاً ويتأريخ ٢٥ رجب ١٣٦٧ هـ، الموافق ٢ حزيران ١٩٤٨ م:

يا قبلة العرب أنا
قابشري واطمئني
جننا نلبي نـداك
اليوم يرعى حمـاك



يا عرب صهيون عاثت
لمن ربطت المذاكي
الحق يوخـذ قـسـراً
أتشـربين أـجـاجاً
لا صبر لا نـوم حـتى
في مهد عيسى ذئابا
لمن سننت الحرابا
لا تبغـيه طـلابا
الموت أحلى شـرابا
تناقشـها الحـسابا



يا عرب صهيون داست
وحكمت بالندارى
وكل كهل أصـابت
هـلا خفـتم إلـيها
أن ينشق الذل أنف
أوطانكم بالزخوف
والبيض بيض السيوف
سقتـه كأس الحتوف
بكل طرف خـفـيف
فغير هـذى الأنوف



هذى شعوب البرايا
تنسى العدا ونبدى
والجرح تأسـو بـوجه
بذا قضى شرع موسى
أم يهود فتقـضي
ترثي لحال الجريح
عطف الشقيق النصيح
طلق وعزم صحـيح
وأحمد المسـيح
له بقتل مـريح



سلوا مياسين ديراً
كيف استبيحت خيامه

وكيف أمسى حالاً
الشيخ ظمآن عان
والخود مسك طهورا
والطفل وهو رضيع
للفادريين حرامه
بالنار بل أوامه
بالإثم فُصّ ختامه
بالسيف كان فطامه



جاوزت صهيون

وقال عليه الرحمة:

جاوزت صهيون في الشر مداها
أم هي النملة في تحليقه
مالها - شلت يداها - كفرت
أيقظتها فتنة لحمتها
ومشتها طرقاً معوجة
ومطايا البغي في ركابها
أيها الطامع في أوطاننا
ومساعير إذا ما شممت
تأنف النوم على الضيم ولو
إنما النصر لمن يغشى الوغى
وهي فيها خلة موروثه
لا تهجها إنها من أمة
ومشت قدماً إلى غاياتها
سائل اليرموك لما سيرت
واسأل الزوراء عن فارس في
واسأل القدس لدى محنتها
شوهوا النصر بقتل الغيد في
وعلى حطين من ساق الردى
منّ بالصفح على من ضجّ من

أتراها أنكرت بأس عداها
بجناحين إذا حان رداها
يد من لولاهم تبّت يداها
خيلاء الفوز والبغي سداها
جانبّت في شقها نهج هداها
شُمس أن منحت يوماً مطاها
دون ما حاولت آساد شراها
بذلت في صونها حر دماها
ركبت في حربيها حد قناها
صابر النفس على حر لظاها^(١)
كهلهما فيها سواء وفتاها
نقلت في خيبر آثار ظباها
فأطل الشرق والغرب لواها
لجموع الروم جيشاً فمحاها
حربها كيف غدت طحن رحاها
من رمى الأسوار عنها ودحاها
فتحها وهو حماها ورعاها
للأعادي ومن الضغن شفاها
جورهم كئيبان عكا وريها

(١) وعلى رواية أخرى ورد المعجز: رابط الجاش إذا اشتكت لظاها.

من تحدى السحب في مشيتها
أمطري حيث تشائين فما
من بدا في الأفق فجراً ساطعاً
من أقام العدل في أحكامه

معجلات يسبق الريح سراها
لك مهوى غير أرضي وثراها
وشعوب الأرض غرقى في دجها
ويني الأخلاق فيها وحماها



الأغراض المختلفة

(المنافقون)

ومما قاله المرحوم الشيخ أحمد صندوق، متظلماً من بعض الناس^(١):

وعصابة حب الظهور شعارها
اتخذت مناصرة الضعيف حباله
ما بين هماز تظاهر بالتقى
وروى الحديث فصدقوه وما دروا
أو نابح نهش الأفاضل دأبه
كالكلب أن تلقاه حرك ذيله
وغد تظاهر بالسماح خديعة
شد الثياب على العظام وحشوها
والدهر حرب للكريم فكم علا
والجد من طيش القضاء فكم على
والجد موهبة السماء فكم محت
أساود هذى التي قد رشحت
من كل هدام ويزعم أنه
لا تعجبوا للأسد تفرض حكمها
هيهات يفلح معهد في سيره

ما أن لها إلا الزعامة مأرب
فشباكها أبدأ تحاك وتنصب
وتراه في حبل الغواية يحطب
أن المحدث من سجاج اكذب
أو ذي ذنابى للأكارم يلسب
ملقاً وأما غبت فهو العقرب
وأحق منه بذاك كلب أجرب
ما الصل ما ذنب الغضى ما الثعلب
فيه القطا وانحط باز أشهب
هام الضراغم داس ثور اعضب
نحساً ولما تدر ماذا تكتب
للسير في أعمالها أم أكلب؟
يبني، وحلاف يقول فيكذب
حكم الثعالب في الضراغم أعجب
يملي الإرادة فيه غرتولب



(١) كتب الشاعر في مقدمة القصيدة: بتاريخ ١ آب سنة ١٩٤٥ أخذت رسالة طالما كنت ألح في الحصول على مضمونها وحيث أنها وردت بعد هنات وأموال ويصوّر لا تراعي فيها الحقوق الخاصة والعامة جاشت النفس بخواطر شاعرة بالأم سجلها لسان الحال..

شقراء

وقال رداً على قصيدة وردته من شقراء سنة ١٣٤٧ هـ من قبل العلامة السيد محسن الأمين^(١):

وجدى بهاتيك الديار قديم
دار الأحية لاعدتك غمائم
أسرت فؤادي في ربوعك غادة
تعطوا بجيد الريم عند ذفاره
كيف السلو وما البعاد بمخلق
أمسّت تباعدني الرياب وطالما
صدت ولما تشف داء صباة
فلأسقينك مدمعاً حلب الأسى
(شقراء) باكرك النسيم إذا سرى
حسباؤك الدر اليتيم لناظر
فيك الهداية والتقى فيك المكا
تيهي على الدنيا بأروع ماجد
عقدت عليه بنو الزمان أمورها
فصل الخطاب ترى بحكم يراعه
نجم الهدى طود الحجى ان اظلمت
حاط الشريعة منه علم زائنه
يا ابن البها ليل الغطارفة الأولى
والواهبين اليسر إما أجذبت
طال الفراق فكم جفون قرحت
سقيت ليالي الأربعاء وليتها
كانت بجيد الدهر طوق لآليء
مالئ لأحباب بعدك مورد
أن فرقت عنك الجسوم فلم تزل
لا زال في أفق الفضائل منكم

وهوى رباها في الضلوع مقيم
وكسا رياضك نضرة ونعيم
حوراء فاتنة اللحاظ هضيم
وتميس غصناً قد ثناه نسيم
ودي ولا عهد الوصال قديم
كانت تحن لرؤيتي وتهيم
أرايت كيف يصد عنك الريم
عبراته أن لم تجدك غيوم
وسقى ربوعك للغمام عميم
وتراك للمستنشقين شميم
رم والندى فيك الصلاح مقيم
هو للفضائل والكمال زعيم
طفلاً ولم تعقد عليه تميم
أن قام معترك ولج خصوم
نوب وطاشت للأنام حلوم
رأى يصرفه أغر حكيم
طابت مأثرهم وطاب الخيم
سنة وضن بما لديه لئيم
سهداً وقلب طاح وهو كليم
كانت تعود بأنسها وندوم
بعظيم فضلك عقدها منظوم
ولو أنه السلسال والتسنيم
منا النفوس على حماك تحوم
أقمار هدى للورى ونجوم



(١) نشرت في الرحيق المختوم وهو ديوان السيد الأمين، الجزء الثاني.

آل الأمين

وقال مخاطباً العلامة السيد محسن الأمين في ختام حفلة تكريمية للحجاج أقيمت في المدرسة المحسنية في ١٠ صفر ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م وكان قد ترأس البعثة في ذلك العام الأستاذ المرحوم أديب التقي:

وفبارك الله ما آتاك من نعم	وزادك الله تقديساً وتطهيراً
تزهبك الملة السمحاء مشرقة	والأرض مخضرة والبيت معموراً
كما بيمتك يبدو الكون غالية	والترب مسكاً ووجه الأرض كافوراً
مولاي نظرة عطف منك تنعشنا	ودعوة تتخطى الربيع ممطوراً
(آل الأمين) نجوم الأرض أن لكم	في نصرة الدين أقداماً وتشميراً
كم ددتم كم تداعيتم لنصرتي	وكم سعيتم وكان السعي مشكوراً
زيتت في مدحك شعري فلا عجب	أن نافس الدر منظوماً ومنشوراً
لا يستطيع بياني وصف كنهمكم	مهما تفننت تسطيراً وتحبيراً
لي مقول كشبا البتار أعده	جريته فأنثنى البتار مبتوراً
وصاح لما رأى الأنوار تبهرني	حار اللسان ففز بالطرف موفوراً
عرفت حدى في شعري وما خطري	أن كان مدحكم في الذكر مسطوراً



ضيوف الرحمن

وفي نفس المناسبة السابقة نظم هذا النشيد الذي أداه طلبة المدرسة المحسنية ترحيباً بضيوف الرحمن حجاج بيت الله الحرام:

مرحباً أهلاً وسهلاً	ببني البيض الكرام
زائري خير البرايا	وافدي البيت الحرام

قد تسارعتم إلى البيت تحثون الركاب
كل مقدم كنصل السيف يبدو كالشهاب
مالكم غير نوال الأجر فيه من طلاب
فحط طتم عنده الرحل وفزتم بالمرام
يا ضيوف البيت حُييتم وفزتم من ضيوف
يوم أحرمتم ولبيتكم بسعي ووقوف
كل نزاع إلى البر عن الدنيا صدوف
بمنى نلتكم مناكم وجمع والمقام

(دور)

هل وقفتُم أينق العزم على باب حراء؟
وشهدتم مهبط الوحي ولألاء الضياء
حيث تأتي خاتم الرسل تعاليم السماء
تبعت النور وتدعو لسلام ووئام

(دور)

أيها المنكر أصدع أنت للكون بشير
واهجر الرجز وكبر أنت هادٍ ونذير
أيها المزمّل اقرأ أنت ذو القلب الطهور
وقم الليل ورثّل وتبثّل في الظلام

(دور)

حدثونا عن مقامات بأرض الحرمين
ورياض طاولت في النجم هام النيرين
ومغانٍ قد حباها الشرع فضل الكعبتين
لأعدا زاكى ثراها ساكباً صوب الغمام

(دور)



ليلة من العمر^(١)

وقال . رحمه الله . يصف ليلة ممتعة من الليالي التي كانت يقيمها رجال حي الأمين (ليلة كل أربعاء) بمعينة علامة الحي الإمام السيد محسن الأمين، والليلة التي يصفها كانوا قد قضوها بالمسامرة والأدب والظرف في بيت الوجيه الماجد السيد إبراهيم اللحام أبي توفيق وذلك في ٢٦ شباط سنة ١٩٤٥م الموافق ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٤هـ:

وسد أفاق الفضا ديجورها	أنعت ليلة ضفت ستورها
ويلفح الوجوه زمهريرها	رياحها تزجي الصبا دبورها
رعودها يصمنا هديرها	بروقها يعشى العيون نورها
ويح دمشق زحزحت قصورها	أمطارها يعمنا قطورها
كانمما قارنها تنورها	سالت بها ساحاتها ودورها
مسرعة للجبأ يجيرها	طاب بها لعصبة مسيرها

(١) التزم الشاعر في هذه القصيدة لزوم ما لا يلزم.

فتمّ في ساحتها سرورها
 يتمه ما حملت صدورها
 غطى سواد مسكها كافورها
 لجوهر زينت به نحورها
 أو قهوة من خدها عصيرها
 يريك سحر بابل فتورها
 حقائب ناءت بها قصورها
 يا حبذا لو ضمها خدورها
 سائلة عفتها وخيرها
 وليس يغريها بها نفورها
 كروضة فاض به غديرها
 ففاح من أكمامها عطورها
 يرقص في أحشائها نميرها
 يسترحر وجدها قديرها
 ضاع شذاه ساطعاً بخورها
 يملأها من قهوة طهورها
 يلثم أشتات المنى عبيرها
 يطفئ نيران الجوى سعيها
 يحكي العقيق ذاتها عصيرها
 فصدق عن إفهامنا تصويرها
 هام بها ولدانها وحورها
 أوفى على شمس النهار نورها
 غنى الهزاز وشدا شحورها
 والأنجم الزهرو من ينيرها
 يوم الندى وفي الوغى نسورها
 أو ناب من خطوبها خطيرها
 وأخصبت إذ كرمت بذورها
 سباق غايات العلا أميرها
 والتأمت بجده فطورها
 توضح منهاج الهدى سطورها

دار (لإبراهيم) عال سرورها
 ما فيهم للفانيات زيرها
 إحقاق عاج فائح عبيرها
 وأقحوان ضمننت ثغورها
 وريقة أرى الجنى نميرها
 وأعين لا يفتدى أسيرها
 تحكي النزيف أن مشت يضيرها
 ما همها الغيد ولا سفورها
 مسيلة من دونها ستورها
 لا تكره الغيد ولا تزورها
 أقصى منهاها طرفة تثيرها
 قد صافحت كف الصبا زهورها
 و(نارجيلة) بدا خيرها
 يحبس غالي دمعها ضميرها
 إذا أضاع سرها زفيره
 وأكؤس من لؤلؤ نديها
 يهزم أجناد الكرى حضورها
 بنت لظى مأمونة سرورها
 بنت ثوان لم تطل عصورها
 ذر على لجينها اكسيرها
 فلو بدت في جنة شذورها
 يا حسننها من ليلة بدورها
 قد شنت أسماعنا طيورها
 أقسمت بالسحب ومن يثيرها
 (آل الأمين) للورى بحورها
 أقمار هدى أن دجى عسيرها
 أثمار أعلام زكت بذورها
 (محسنها) كهف التقى ظهيرها
 به الشريعة استوت أمورها
 وصفحة الحق بدا نشورها

قل لعداء قد دنا ثبورها	قد جاءها لو ترعوى نذيرها
قد صرصر البازي فما صغيرها	وزار الليث فما هديرها
لي في علاه مدح بحورها	يعيى بصوغ مثلها جريرها
روائع سماعها أجورها	عرائس قبولها مهورها



نشيد المحسنية

وله هذا النشيد الذي نظمه لطلبة المدرسة المحسنية (العلوية سابقا) بعد أن انتقلت من موقعها في دخلة الشرفاء إلى محلها الحالي أمام المدرسة اليوسفية:

(المحسنية) شادها للنشء مولانا (الأمين)
 للعلم والأخلاق والدين الحنيفي المبين
 شيدت لتأليف القلوب ولم شعث المؤمنين
 شيدت لإنقاذ العقائد من سموم الملحدين
 شيدت لتربية الفضيلة في نفوس الناشئين
 فيها شفاء صدورهم من داء جهلهم الدفين
 شقت كواكبها الظلام فلن ترى في الأفلين
 ويدت مآثرها الحميدة فتنة للناظرين
 وغدا تضمنها المقدس أية للعاملين
 لا بدع أن بذلوا فداها كل غال أو ثمين
 أضحت مقر شبولهم والأسد تولع بالعرين



مداعبة

وقال مداعباً صديقه المرحوم الأستاذ السيد رشيد آل مرتضى مدير المدرسة العلوية بدمشق:

أمولاي أن (لتاج) أبـا	بتكفيله البيت يجني عليه
وأن أسد نصحي إليه أرى	قد ازددت في ذاك بعداً لديه
وأعجب من ذا وذا أنني	لأرفع شكواي منه إليه



يا عامر الدنيا

وقال واعظاً:

دار الفجائع والهموم ودا	ر البث والأحزان والبلى
مر المذاقة غيب ما اختلبت	منه يداك وبيننة المرعى
بيننا الفتى منها بمنزلة	إذ صار تحت ترابها ملقى
تقفو مساويها محاسنها	لا شيء بين النعي والبشرى
ولقل يوم نر شارقه	إلا سمعت بها لك ينعى
يا عامر الدنيا المعد لها	ماذا عملت لدارك الأخرى
ومهد الفرش الوطيئة لا	تفضل فراش الرقعة الكبرى
أترك تحصي كم رأيت من الأ	حياء ثم رأيتهم موتى
من أصبحت دنياه همته	فمتى ينال الغاية القصوى
سبحان من لا شيء يعد له	كم من بصير قلبه أعمى



الصديق الخامل

وقال هاجياً الأصدقاء الذين يفشون السر ولا يراعون حرمة الصداقة:

يقولون لي كم من صديق تقوته	فتشمت في ذاك العواذل أشماتا
وقد كان أولى منك بالصون والوفا	ومثلك من يرعى الصديق إذا فاتا
وما علموا أنني وفرت لحومهم	وأكبت أعدائي بحملي أكباتا
وأغفيت عن زلاتهم ووصلتهم	وقد مزقوا لحمي وعرضي أشتاتا
فقلت لهم عار على الحرلو نرى	بمن صلت الصمصام تلفتك أصلاتا
رضاه بعيش الهون والعارو الأذى	بصحبة باغ أن يضيع أوقلاتا
وشأن أخي الشحنة في القرب والنوى	لئن عاش شأن البهم في الناس أوماتا



الدين

ومما نظمته في الدين هذه المقطوعات:

ومن شاء أن يحيى سعيداً ولا يرى	مدى دهره إلا صديقاً مؤاخياً
فلا يحتفل بالدين يوماً فإنه	يرد أخلاء الرجال أعادياً
أخوك قريب منك ما دمت صابراً	عليه فإن طالبتة عاد تافياً



استمع يا أخي نصيح خبير
جنب النفس ما استطعت عن الذ
عجم الدهر في ثراء وفاقه
ين فدين الصديق موت الصداقة

❖ ❖ ❖

ماذا لقيت من الهوان وكم
مال أحاذر أن اضيعه
للدين احسو للضنى جرعا
وأخ أجن لبعمه جزعا
وإذا نطقت فيذهبان معا

❖ ❖ ❖

دع النكين ولا تحفل
فإن النكين لا يبقى
بسه يوما وإن قلأ
لشخص في الورى خلاً
ل أو طالبتته انسلاً

❖ ❖ ❖

في التربية والأخلاق

ومما وقفنا عليه للشاعر هذه المقطوعات تتناول مواضيع في التربية والأخلاق، وهي بين
ثنائية ورياعية، قال رحمه الله:

حنانيك يعرب أين الأبأ
عصفن بهن رياح الصبا
وأين مآثرك العالية
واخلقتها الأعصر الخالية

❖ ❖ ❖

أخلاقنا

خلائق فهور هل مثلها
بها روضوا جامحات الخطوب
خلائق تحيا بها المكرمات
وحلوا عرا النوب المبهمات
سل المجد ينبئك كم اتحفوه
قلست من العريب أن لم أدن
بتلك الخلائق حتى الممات

❖ ❖ ❖

الضياع في الفرقة

اضاع التفرق تيجاننا
وحكم في ملكنا الأبعدين
واطفأ بالأمس نيراننا
فأمت تحطم عيداننا
أطلي من الرمس ثم ابعتي
فقر يردى ذوات الخدور
لواعظ تبكي لما نابنا
وويل يهدد فتياننا

❖ ❖ ❖

أبناؤنا

أبناؤنا أفلاذ أكباد لنا تحتل بين ترائب وتراق
تفدى بحبات القلوب لأنها هبة الكريم ومنحة الخلاق



فتاة عفيفة

أرادوا لهنّ حياة السفور وتلك لعمري طريق الفجور
وكيف يصفان عفاف الفتاة وفي كل يوم خليل يزور
هل الغيد إلا بدور بنى لهن العفاف بروج الخدور
فأين التجدد من مدع يرى الحزم في نبذهن الستور



المغرور

فيا شادناً أظهر الكاشحون بإغرائه صفحة الناكث
وغرّوك في زخرف لفقوه بأن الصدا غاية اللابث
فرحت تجرّ ذيل الغوا ية بين المعافس والنافث
لك الله من ظافر البسته ثياب الهوان يد العابث



على صورة نظيرة

طلب الخطاط الأستاذ رضا شاكر من الشاعر أن ينظم أبياتاً لتكتب على رسم سيدة نصرانية

أدبية ماتت حرقاً وكانت تدعى (نظيره) فلبى طلبه، وقال:

قد لواء القضاء غصناً رطيباً أي ذنب جنّته أيدي القضاء
كيف أذكى اللهيب منك محياً رقرق الحسن فيه ماء الحياء
ودعت إذ نأت (نظيرة) أهلاً ودعوا كل لذة وهناء
وأجابت داعي الإله وأمست عند أم المخلص العذراء



على الضريح

ومن نظمه مما كُتِبَ على ضريح المرحوم سليم بن داود فرحي:

ضريحك يا ابن داود ثراء	شذّي العرف كالمسك الشميم
لقد فقدت برزئلك آل فرحي	عماد المجد والخلق القويم
وركناً للفضائل والمعالي	ورمز المجد والحسب الصميم
وروحك في سماء الخلد أمست	ترفرق بين أفياء النعيم
فلا تبعد وأبشر بالأمني	(سليم) فقد وفدت على كريم



إمام المحسنين

ونظم هذه الأبيات لتكتب على باب الحجرة التي دفن فيها العلامة السيد محسن الأمين

بجوار السيدة زينب وهي اليوم منقوشة بخط رائع على واجهتها:

غرفة ضمن إمام المحسنين	طاهر الأعراق من آل الأمين
آية الله ونبراس الهدى	حجة الإسلام والشرع المبين
أرضها مسك وفي أجوائها	قبس من نور رب العالمين
تهبط الأملاك في أنحائها	فأدخلوها بسلام آمنين



كارثة^(١)

كارثة ما أن لها مشبه	روعتها تنسي الرزايا الشداد
بين القطارين أصاب القضا	نجمين والليل شديد السواد
أوهى (بحسني) للعلا ركنها	وأنهار مذ اتبعه (بالجواد)
نجمان غارا بعد ما أشرقا	فألبسا المجد ثياب الحداد



التواريخ الشعرية

تاريخ وفاة المرحوم والده السيد حسن بن السيد إسماعيل آل صندوق وهو من أجود تواريخه

الشعرية فقد جمع فيه اليوم والشهر والسنة:

يا قبر جادتك الفوادي همعا وسقتك أصواب الهداية أجمعا

(١) في رثاء المرحوم حسني بن الحاج عبد المجيد رضا والمرحوم جواد الروماني (أبي إحسان) وقد توفيّا أثر حادث اصطدام قطار في حلب سنة ١٣٦٢ رجمهما الله.

بك قد ثوى الحسن الهمام وقد غدا
ليجيب دعوة ربه لما دعا
فلنعم اجر ناله أرخه (لي
في نصف شعبان نهار الأريحا)

١٣٣٤



تاريخ وفاة المرحومة زينب بنت المرحوم إبراهيم بيضون:

ضريح لزینب یزهو ثراه
بروح النعیم وريحانہ
زکى فی الحیاة فأمست تز
ف لعفو الجلیل ورضوانہ
دعاها الإله فراحت تخف
لنعماء أرخ (وعفرانه)

١٣٤٢



تاريخ وفاة المرحوم الشهيد يوسف بن الحاج زاهد بيضون وقد أصيب بقنبلة في الثورة

السورية:

ضريح حلّ يوسف في ثراه
سقاء الله صوب الغاديات
قضى غصن الشباب ولم تدنس
خلائقه شهيد النائبات
قضى والخور في الفردوس أمست
بہ أرخت (متباشرات)

١٣٤٤



تاريخ وفاة المرحوم مهدي بن المرحوم يوسف صندوق:

جاءك العفو يا ضريح بويل
فوق زاكي ثراك يهمي انصكبا
غابت عندك المنايا هلالاً
فقد صدغ القلوب اكتئابا
واستحال الضياء من أرخوه
(كوكباً قد هوى وفي اللحد غايا)

١٣٤٧



تاريخ وفاة المرحوم توفيق بن محمد علي النحاس:

ضريح لتوفيق سقى الله تربه
بويل من العفو الإلهي هتان
أجاب دعا الرحمن (أرخ بزاده
لجنة رحمان روح وروحان)

١٣٤٦



تاريخ وفاة المرحومة كاتبه:

مسرقد أمست به
كاتبة للخلد تأوى

أبدلت إذ بلفته
أنزلت منذ أرخت
تاريخ وفاة المرحوم الشيخ حيدر ماضي:
ورزّوك أن نورّخه (جليلاً
كدر العيش بصفو
(منزل رضوان وعفو)
ففي الفردوس طاب لك الخلود)

١٣٤٨

تاريخ وفاة المرحوم السيد موسى الحنفي:
رُزّ فقيداً في التراب أفرّد لحده
خير أهل الزمان أمّا وجداً
من بني المرتضى يؤرخ (نجل
زار مثواه للمهيمن رفده
أمه فاطم وأحمد جده
طاب نفساً فطاب في الخلد ورده)

١٣٤٨

تاريخ وفاة المرحومة شفيقة بينت أبي الخير الطيب:
هذا ضريح بوبل العفو ممطور
ألقت شفيقة فيه الرحل ثم أوت
صديقة من أبي الخير الخطيب حوت
حلت بساحة مولاها فقريها
غصى ذوى من بنات الوحي قد فتحت
فيه العفاف وفيه المجد مقبور
روضاً تطيف به الولدان والخور
نوراً نماء لآل المصطفى نور
فالخير مطرد والذنب مغفور
أرخ (له اليوم في الخلد المقاصير)

١٣٤٩

تاريخ وفاة المرحوم الشهيد عبد الحميد بن حسن اللحام:
ضريح سقته المعصرات إذا همت
توارى به شهم وددنا بأننا
بكته العلا غصناً رطيباً قد التوى
حميداً قضى أرخ (وزف مشيعاً
بوبل من العفو الإلهي هتّان
نواريه منا في قلوب وأجفان
وورداً ذوت أكمامه فوق أغصان
لروح وريحان وخور وولدان)

١٣٥٠

تاريخ شراء دار العظم ووقفها مدرسة من قبل الحاج رضا النحاس والحاج مهدي اللحام
والحاج حسن حلباوي قبل أن ينضم إليهم السيد كامل نظام وأخوه أبو فؤاد:

ثلاثة أسماؤهم
تأزروا وأقروضوا
لدى الرئيس المحسن
لمعهد أضحى بهم
ففاح أرخ (مسكهم
من نوب الدهر جتن
مولاهم القرض الحسن
المولى الأمين المؤتمن
إنسان عين للزمن
رضاً ومهدي وحسن)

١٣٥٥

تاريخ وفاة المرحومة شهيرة بنت حسين الإيرانية:

طُوبى لها حلت الفردوس فازدهرت أرخ (بها برى الخلد المقاصير)

تاريخ وفاة المرحومة سعاد بنت الحاج حسن الحلباوي:

سعاد عند ابنة الزهراء مثواك حيا الحيا تريك الزاكي وحيّاك

في روضة ليس يدري من يطوف بها المسك بين ثراها أم سجايك

نلت السعادة في الدارين وابتهجت أترابك الحور إذ فازت برؤياك

قد أوحشت بعدك الدنيا مؤرخة (وجنة الخلد فيها كان مأواك)

١٣٥٩

تاريخ ميلاد السيد فؤاد بن علي بن عبد الله بن درويش الروماني يوم عيد الغدير:

قمر أشرق في الأفق سنّاه طالعا يختال في برد علاه

قبست أنواره من معشر عشقوا المجد وفازوا بجنّاه

ويهم زينت الأرض كما زين المبدع بالشهب سماه

مذ بدا وجهه (فؤاد) أشرقت تلعات العز وازدانت رؤاه

وذكرنا عهد مولانا بخم يوم فزنا ونعمنا بولاه

(كعلي) أو (كعبد الله) يحمي سؤددا شيد (درويش) بناه

(ضيغم حل بنا) تاريخه (قمر أشرق في الأفق سنّاه)

١٩٤١ - ١٣٥٦

تاريخ وفاة السيد ضياء الدين بن محي الدين الكيال:

عددتك يا ضياء الدين ذخراً لدور كهولتي وجفاف عودي

فضجعتني بك الحدثان غصناً زكي العرق فواح الورود

مثالاً للشباب والمعالى نقى الخد معصوم البرود

مصابك إذ أرخه (جليل وفي الفردوس فأهنا بالخلود)

١٣٦٠

وقال مؤرخاً وفاته أيضاً:

(ضياء) قد هد ركن الصبر منعاً كا ضياء) جاورت في الفردوس مولاك

يا بدر تم بأفق الحسن مطلعته من ذا الذي في تراب اللحد واراكا

ودعت بعدك أفراحي وأن طربت جيرانك الحور إذ فازت برؤياكا

طوبى لك الفوز في الأخرى نؤرخه (وجنة الخلد فيها كان مأواكا)

١٣٦٠

تاريخ وفاة المرحوم السيد محمد سعيد صندوق (أبي حسن) وهو عم الشاعر:

ضريح في دمشق أناخ فيه لباب المجد والشرف التليد
أطاف به المليك سحاب عفو يبلى ثراه بالعذب البرود
فضيه لأل صندوق توارى لإسماعيل طود تقى وجود
(محمد) قد قضى أرخ (سعيداً) وفي الضرديس يهنأ بالخلود

١٣٦١

تاريخ زفاف الدكتور شفيق شحادة:

انثروا الورد وحيوا بالزهر وتعالوا فسمعوا طاب السمر
قد أناب الدهر من زلته بأبي ذاك المنيب المعتذر
جدد الأنس وأنسى ما مضى من مأسر فاعتفونا واعتذر
عرسُ تتلى به أي الهنا للعروسين كما تتلى السور
هو برد وسلام ومنى وهو للشاني نار وسعر
شمس فضل نقلت من برجها حيث حلت برج صون وخضر
يا سماء المجد والنبيل معاً بددي عنك الظلام المعتكر
نقطي بالزهر ليلاً أرخوا (قرنت فيه ذكاء بالقمر)

١٩٤٠م

تاريخ وفاة المرحوم الشاب حمدي بن علي الحلباوي يوم الجمعة ٢٠ شوال ١٣٦١ الموافق ٣٠

تشرين الأول ١٩٤٢:

بك ننعي الشباب في ريعانه والسجايا كالروض أو ريحانه
ثم هنيئاً في مرقد حسدته الأنجم الزهر في رفيع مكانه
لننعم شيعت (ويشّر) خالد أنت في فساح جنانه

١٩٤٢م

تاريخ ثان له:

يا قبر (حمدي) جاد صوب الرضا صعيدك الطهر بهتان
وأنت يا جار ابنة المرتضى أبشر فقد فزت برضوان
(روح وريحان بطوبى زكا) قد سرت) أرخت (بغفران)

١٩٤٢م ١٣٦١هـ

تاريخ وفاة المرحوم حسن بن السيد كامل نظام (أبي حكمة):

هَذَا ضَرِيح (حَسَن)	نَجَل الْكَرَام الْبَرَّة
آل (نَظَام) نَجِيْبَا	ء الْعَتَرَة الْمَطْهَرَة
حُور الْجَنَان حَوْلَه	ضَا حَكَة مَسْتَبْشِرَة
قَدْ فَاز بِالرَّضْوَان مَد	أَرْخَتَه (وَالْمَغْفِرَة)

١٣٦٢

تاريخ وفاة المرحوم السيد كامل بن السيد محمد حسن نظام. وهو والد السيد حسن

المتقدم. وقد توفي بعده بأيام:

مَرْقَد ضَم الْعَالِي وَالشَّرَف	جَادَه الْغَيْث بِلَطْف وَوَكْف
فِيهِ مَن (آل نَظَام) قَمَرٌ	كَامِلٌ يَجْلُو مُحْيَاه السَّدَف
خَلْف لَلَّال أَصْحَاب الْعِبَا	جَدٌ فِي أَحْيَاء آثَار السَّلَف
انْفَق الْمَال عَلَى حُبِهِمْ	غَيْر مَشْفُوع بِمَنْ أَوْسَف
فَارْتَضَاهُ اللَّهُ فِي فَرْدَوْسِه	فَائِزًا أَرْخ (لَدِيهِ بِالْغُرْف)

١٣٦٢

تاريخ وفاة المرحوم حسني بن الحاج عبد المجيد رضا:

(حَسَنِي) سَقَى مَثَوَاه وَكَأَف الْحَيَا	وَسَعَى إِلَيْهِ الْعَفْوَ وَالرَّضْوَان
ضَاءَتْ بِهِ غُرْف الْجَنَان وَحُورَهَا	طَرِبَتْ وَرَفَّ الْوَرْد وَالرَّيْحَان
وَآخِي الْكَرِيم أَغْرَمَنَ آل الرِّضَا	وَإِفَاه مَد أَرْخَتَه (الْغُفْرَان)

١٣٦٢

تاريخ وفاة المرحوم جواد بن المرحوم عبد الله الروماني:

رَمَسَ الْجَوَادُ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ بَاكِرَه	بِالْلَطْف وَالصَّالِحَاتِ الْوَكَافِ الْهَظَل
فِيهِ لِأُسْرَةٍ (رُومَانِي) عَمِيدُ نَدَى	فِيهِ الْحَجَى وَالتَّقَى الْمَرْضَى وَالْعَمَل
قَدْ زَادَهُ الضُّوْزُ لَمَّا أَرْخُوهُ (هَنَا)	شَهْمًا أَنْيَرَبَهُ فِي الْجَنَّةِ النَّزَلِ

١٣٦٢

تاريخ وفاة المرحوم الشاب هاني بن حسن بن محمد بن إسماعيل صندوق:

(هَانِي) سَقَى مَثَوَاكَ هَتَانِ الْحَيَا	وَحَدَا إِلَيْهِ الْعَفْوَ وَالرَّضْوَانَا
أَمْسَيْتَ ضَيْفَ اللَّهِ فِي فَرْدَوْسِه	جَاوَرْتَ فِيهِ الْحُورَ وَالْوَلَدَانَا
فَأَسْأَلُ إِلَهَكَ فِي رَفِيعِ جَنَانِه	يُكَلِّمُ ذَوِيكَ الصَّبْرَ وَالسَّلْوَانَا
وَاهِنًا فَقَدْ أُوتِيَتْ أَسْمَى رَتْبَةٍ	وَحُبِّيَّتْ مَد أَرْخَتَكَ (الْغُفْرَانَا)

١٣٦٣

وكتب تحت صورته هذا التاريخ:

صدعت منا القلوب
لاقي سننا الفرويا
أرخت (غصناً رطيباً)

ما لحت يا رسم إلا
حزناً لبدر منير
ألوى القضاء بهاني

١٣٦٣

تاريخ زفاف السيد سعيد الروماني رئيس نادي الفجر الرياضي على كريمة الوجيه السيد

توفيق شمس في ١٥ شعبان ١٣٦٤/ تموز ١٩٤٥ م:

فاطرب وبادر بكأسك
والشائئون بعكسك
ناد بنيت بأمسك
ما بين أبناء جنسك
مهما زكا طيب غرسك
بالمكرمات بنفسك
أن عاقبه خوف بأسك
لقد أتى دور نكسك
بمثالها أو فأمسك
دذن في يوم عرسك
فاهناً بنعمة شمسك

شمس ببدر تلاقى
سعيد لازلت ترقى
يزهو بيومك تيهاً
أحييت فيه الأماني
ذغ عنك دعوى جود
فالفخر أن تتحلى
قل للمنافس مهلاً
يا ناكس الطرف ضعفاً
هذي فعالي فضاخر
يا بدر ورق التهانى
تاريخ (يمن سعيداً)

١٣٦٤

تاريخ وفاة المرحوم السيد عباس بن السيد كامل آل نظام:

دفنا النيل والنسكا
وغير خلائق تبكى
يا عباس والسلكا
أمسى روضها ملكا
(فكان ختامك المسكا)

ضريح للعلا فيه
وبيض مناقب تتلى
لآل نظام كنت العقد
هنيئاً لك دار الخلد
حللت قصورها أرخ

١٣٦٤

تاريخ ميلاد السيد فوز بن علي بن عبد الله بن درويش الروماني:

فطفى السرور بموجه الخفاق
فوق الغصون اليد والأوراق
لحن الهنا وتحية المشتاق
أكمامه عن أصيد سباق

بدر أضاء الأفق في الإشراق
أحمائم البشر أصدحي وترنمي
وتيممي مغنى (العلي) ورددى
فرع (لدرويش) الأغر تفتحت

من آل (روماني) الذين فعالهم
وهم الأولى أحسابهم ضربت إلى
يا أيها المولى الذي فاق الورى
أنعم (بفواز) النجيب وصنوه
وهنأت آيات الهنا من مخلص
(بدا لفواز الأغر) فأرخوا

أمست بجيد الدهر كالأطواق
خير الأصول وأكرم الأعراق
بروائع الأعمال والأخلاق
أن البنين مفاتح الأرزاق
يفنى الزمان ووده لك باق
(بدر أضاء الأفق في الإشراق)

١٩٤٤ م ١٣٦٣ هـ

وقال مؤرخا وفاة الأستاذ أديب التقى:
كان الأديب التقى ابن السعيد لنا
أودى الكسوف بها فالأرض مظلمة
يا ثاويًا في تراب الرمس منفردًا
حيا حيا العفو والرضوان حر ثرى

شمسا ينير سناها ظلمة الغسق
والأفق يعلن سيما الحزن بالشفق
مثواك منا سواد القلب والحدق
واراك أرخ (بداج ماطر غدق)

١٩٤٥

تاريخ ميلاد السيد غسان بن كامل بن الحاج عبد الله الروماني وقد صادف يوم ٨ آذار

١٣٦٤/١٩٤٥ في يوم ميلاد النبي (ص):

ميلاد غسان وافى
وفيه أهـدت دمشق
فكان ذكرى رشاد
أذار ردد فـيـه
باليمن أرخت (يزهى

ميلاد أكرم مرسل
تاج الولاء لفصيل
ورمز مجد مؤثـل
أى الهـناء ورتـل
يوم أغر مبجل)

١٣٦٤

تاريخ وفاة ابنة خال الشاعر، المرحومة أم يوسف فاطمة صندوق:

قبر لفاطمة وارى مطهرة
قد طاول النجم لما ضمها وغدا
يا من تناءيت عن دار الفناء لقد
أن توحشي الكون فالأملاك قد فتحت

لا زال بالعفو والرضوان ممطورا
زاكي ثراه بها مسكاً وكافورا
جاورت في الجنة الولدان والحورا
أرخ (لك اليوم في الخلد المقاصير)

١٣٦٥

تاريخ وفاة السيد علي نظام (أبي صبحي):

روضة ضمت علياً جادها
غادر الدنيا لدار سمحة
جاور الأبرار من آبائه

بحيا الرضوان وكاف الغمام
حل من جناتها أعلى مقام
أهل بيت المصطفى خير الأنام

قابليته الحور في فردوسها بتحيات وبشر وسلام
واذهت من حل أرخه (بها) علم السؤدد من آل نظام

١٣٦٦ هـ

تاريخ ميلاد السيد غازي بن كامل بن الحاج عبد الله الروماني:

نور تألق من شمسين فارتسما في الأفق كوكب سعد يكشف الظلما
لما تقدم يوم النحر مولده يومين أوفى على بدر السما وسما
وزاد في يمنه ذكرى الولاية إذ فيها أتم علينا ربنا النعما
أهل والنبل يبدو من شمائله يحكي بهن أباه المفرد العلما
خلائق (آل روماني) بها جمعوا شمل النهى وشتات المجد فانتظما
طهر القلوب فما ضمت برودهم إلا العفاف وإلا اللطف والشمما
بشراك (كامل) ولتهنا بطلعته وجهاً أغرب به نستمطر الديما
البلبل ارتاح للبشرى فرددها والطير تحسن في ترديدها النغما
اضحى يؤرخ (للغازي بمطلعه) فكان للبشر) أرخت (الغدير فما)

١٩٤٧ م ١٣٦٦

تاريخ ميلاد (مهي) كريمة السيد (عدلي يكن حشاد) الأستاذ في تجهيز المعلمات:

نور الأرض وأفاق السماء وارسمي ذكرى جلاء وجلاء
نضح من عطر نيسان سرت أم بدت نجمة صبح من ذكاء
لك من (عدلي) ومنها (حكمة) (ويكن حشاد) مجد وبهاء
فاقبسي منهم أفانين السنا وارشفي منهم أفاويق السناء
واشكر النعمة (يا عدلي) فكم بارك النعمة شكر وثناء
قد تغنى بلبل الأنس على منبر الدوح بالحناء الهناء
فتقبلها وأرخ (بالمهي) يشرق الأفق ازدهاراً وضياء

١٩٤٧

تاريخ وفاة العلامة المجتهد الكبير السيد محسن الأمين العاملي، وقد نقش هذا التاريخ

على ضريحه المقدس المجاور لقبر السيدة زينب (ع):

أيها النجم ما غربت ولكن جزت مالا تسمو إليه العيون
أيها القلب ما سكنت ولكن ساد هذا الكون الحزين سكون
ضمن هذا الضريح بأس علي وتقاه وعلمه المخزون
ومجن السمعاء في كل خطب مد لهم والصارم المسنون
صقلته كف الحكيم وسنت قدرة الله غربه لا القيون
وعماد الإسلام حامى حماه في البرايا أمينة المأمون

شمسه تاجه حلاه علاه
واللباب المختار من عترة
بدره صبحه المنير المبين
المختار فينا والجوهر المكنون
فليمزق للمجد أرخت (قلب
فعماد الإسلام هذا الدفين

١٣٧١

تاريخ وفاة المرحوم الشيخ محمد بن رضا الروماني (أبي صافي):
يا ابن الرضا لا زال منهل الحيا
يسقي ثراك بوابل الغفران
لك من خلالك روضة قدسية
عبّاقة بالمسك والريحان
زرت الكريم ففرت إذ وافيته
بنعيمه أرخ (ويالغفران)

١٣٧٠

تاريخ آخر لوفاته رضوان الله عليه:
روض الأمين سقاه مشمول الحيا
أدري الردى لما طواه بأنّه
يهمي عليه مجلجلاً هتّانا
الحق نادى محسناً فأجابه
للمجد هدّ وللعلا أركاننا
أعطاه في دار الكرامة روضة
وجزاه عن إحسانه إحسانا
وحباه أرخنا (بها الغفرانا)

١٣٧١

تاريخ وفاة السيد رضا بن السيد سليم مرتضى متولي مقامات أهل البيت عليهم السلام
في مقبرة الباب الصغير بدمشق، والتاريخ منقوش على ضريحه الطاهر:

مرقد ضم الرضا بن المرتضى
طاول النجم سناء وسنا
علم من أهل بيت وُدّهم
جاء في التنزيل أجر المصطفى
شع نور الوحي من أبياتهم
فسموا قدراً وطابوا محتداً
طُهِرُوا مِنْ كُلِّ رَجَسٍ فَقَدُوا
لبنى الدنيا مصابيح الهدى
بالرضا منذ بشر الخلد زها
أرخوا (يمنا ونورا ورضاً)

١٣٧١

تاريخ ميلاد السيدة غيداء بنت السيد كامل بن الحاج عبد الله الروماني:
(طلعت غيداء في برج العلا)
فانجلى الأفق بالألأ السنّا
نجمة تشرق في جنح السحر
جددت ذكرى قران أسعد
وازدهى الروض بأنفاس الزهر
فاتلُ للكمال آيات الهنا
مده الأضحى بيمن وظفر
أشرق التاج بها لؤلؤة
بمحيّاه كما تتلى السور
دمت يا بحر الأماني ملجأ
تبهّر العين ضياء وخطر
توسع العرف وتأتي بالدرر

الرياض الزاهرة في مناقب العترة الطاهرة

مجموعة قصائد في فضائل ومآثر أهل البيت النبوي عليهم الصلاة والسلام
غرر الدرر في مدح المعصومين الأربعة عشر

مما يعانيه والأشواق تولعه
كأنما حسك السعدان مضجعه
أمسى على ناعس الأحداق مصرعه
والقد أجهز لم يظهر تفجعه
مضنى غدا مولعاً بالحسن يتبعه
يبث أشجانه والوجد يدفعه
في الأقلين بأوج الحسن مطلعته
في وجه بدر تعالى الله مبدعه
في صحن خد بوجه مال برقه
لله ثغر كميم الجمع يجمعه
والغيد بالعسجد الزاهي ترصعه
عنه فكيف ملام الناس أسمعته
فاللطف منبته والظرف مجمعه
يليق بي غزل أبدو أرجعه
فلمست إلا بخير الخلق أصنعه
الله من فضله فينا يشفعه
ومن يطعه ففي الفردوس مرتعه
إني لأعتاب أهل البيت أرفعه
وتسعة ودّهم في القلب موضعه
وبعلها وبنيتها الصديق يجمعه
إن التكلف والتزوير مطلعته

بات المعنى تروي الروض أدمعه
يقضي لياليه سهداً من لواعجه
وارحمته لصب قد قضى دنفا
للحظ واللفظ في سفك الدم اشتراكا
والهفتاه لمن يهوى الجمال ومن
يجود الشعر يهديه لهاجره
تملك القلب بدر لا يرى أبدا
أوصاف حسن له تمت محاسنها
فمازة الخلد مسك الخال يحرسها
ودر ميسمه قد زانه ذهب
أستغفر الله إزدان النضار به
روحني فدا أغيد لا أبتغي حولا
والحب أنس وزين العارفين به
تصرمت من سني الأربعون فهل
يا خالق اللفظ ألهمني أحاسنه
محمد المصطفى يوم الجزا كرما
هو الحبيب الذي من الرقيب به
حسب القريض وحسبي إذ أرضعه
طه وسبطيه والزهراء وحيدة
والشعر إن كان في طه وفاطمة
وفي سواهم تسود القول زخرفة

أي النجاة في جبهاتهم سطعت
غرام فداهم كل ما ملكت
روحي فداهم وهل في الخلق من بهم
أرجو النجاة بهم يوم الجزاء إذا
وكل ما قدم الإنسان من عمل
أنمة للورى من يقضُ نهجهم
ما صح فيهم من الذكر الحكيم وما
فلك النجاة وحبل الله إنهم
من حاد عنهم فقد ضل الهدى وهوى
ولاؤهم في الجزا منح وليهم
عدوهم هالك في درك هاوية
أبواب علم رسول الله عترته
من يبيع علما لهم يشدد رواحله
أعظم بفوز على شيطان أبحرهم
كم بين علامة يروي حديثهم
وبين من زين الأشعار ذكرهم
مدينة العلم طه ليس بعد له
طه المبلغ والله الجليل هو المشرع
حالله أبدا حتى الحساب كذا
من يبيع حكما ومن يرج النجاة غدا
وبعده ولده عشر وقائمهم
ابن باد من بضعة المختار فاطمة
إن ترض فاطمة يرض الإله وإن
سبطاه بل في الدنيا ريحانته هما
هما إمامان إن قاما وإن قعدا
أبو محمد نجل المرتضى حسن
أفدي له كبدا أمست مقطعه
ما إن نسيت فلن أنس لسيدنا
وكلما مر في قلبي اعتراه جوى
مشى بطيبة من خوف يودعها

من نور جدهم الميمون مربعه
أكفنا وطوال العمر نجمعه
نستنزل الضر إما مس أروعه
كل امرئ حاصد ما كان يزعه
إن لم يكن بولاهم ليس ينفعه
يوم القيامة لا شيء يرّعه
قد قال عنهم رسول الله تتبعه
سبل الهداية نجد الحق أنصعه
من صارع الحق إن الحق يصرعه
وحبهم من لظى لاشك يمنعه
إذا نجا ساعة فالبفض يرجعه
وكلهم أحمد المختار مرجعه
فإن آل رسول الله مجمعه
والهدي من جوهر الأعماق منبعه
وجاهل لا تزال العمر أربعه
وبين من زينتهم كيف نجمعه
خلق وحكم إله العرش يسمعه
الأعظم الأعلى يتسرعه
حرامه أبدا لا شيء يقطعه
فحيدر بابها يأتيه يقرعه
هم خيرة الخلق باب الله أرفعه
من يرضيها يرضيه والود ينفعه
تغضب يغاضب كفى فضلا تمتعه
وسيدا من حواد الخلد أجمعه
لا ريب كل لواء الحق يرفعه
وفيه من سؤدد المختار أبدعه
من سمّه في لظى ربي يقطعه
الحسين موقفه كم كان أفضله
وقاض من ناظري المقروح مدمعه
ومنظر الصبية الأطفال موجعه

فهل كما قيل إن السبط ودعها
منها لمكة أسرى لم يذق وسنا
صدوه عن حجه في يوم تروية
بات الحجيج بأمن في منى وغدا
أم العراق بصحب ما لهم شبه
سرى ومن حوله أصحابه حلقا
كأنما السبط في حل ومرتحل
لم يبق ملجأ له يأوي ابن حيدرة
سجاد بعد ومن للعلم يبقره
والكواظم الصالح المثلى طريقته
ثم الرضا المرتضى السلطان ثامنهم
والعسكري ومولى العصر حجته
هم الأئمة معصومون من زلل
يا ربنا لا تنزع بعد الهدى كرما
ونسأل الله في الدارين تكرمة

أم في الحقيقة قد قامت تودعه
وظلم آل أبي سفيان يتبعه
أمثل سبط رسول الله يمتعه
ريحانة المصطفى والخوف يتبعه
والفاطميات إذ عنز يروعه
كالبدر حيث غمامات تبرقه
موكل بفضاء الله ينزعه
ضاقت به الأرض حتى حان مصرعه
وصادق القول للمختار يرفعه
موسى بن جعفر من للفيظ يجرحه
ثم الجواد وهادي الناس يتبعه
للجور يدحضه للظلم يمتعه
وكلهم كان بالحسنى تولعه
قلوبنا أنت للصديق مفزعه
حسن الختام وحاشى الله ينزعه

المثل الأعلى للكمال الإنساني محمد (ص)،

شباب للعلا حثوا الركابا
وما علموا قضيت الليل سهدا
أغامر للنبوغ بكل جهدي
وأسعى ما حييت ولست أرضى
فما للعبقريّة غير كد
أحدث مقسما بالله أني
غزاني الدهر بالمعقبات تترى
ورغم نوائب نابت صعب
فقد نلت العلا بثبات حر
وحيتني المكارم سافرات
خدمت المصطفى برقيق مدح
سموت بمدحه أسمى مقام
يجل بأن أقول مدحت طه
ولكن هذه فضحات عطف

طموحي بينهم أضحى عجابا
وكان مجالسي فيه الكتابا
أبلغ ذروة المجد اغتصابا
بما دون النجوم علا ثوابا
وعزم يفلق الصم الصعابا
رايت من الحوادث ما أشابا
فما القى به إلا اكتئابا
لها القمقام لا يخفى اضطرابا
لدى الشدات لا يبدي ارتيابا
وجوه الفضل فازدبت انتهابا
فحزت بذلك الشرف اكتسابا
ونلت منّي إذا فقت الشبابا
بشعري إنه أعلى جنابا
من المختار زادتني ارتخابا

وتلك عناية الرحمن لما
رجوت بأن يؤهلني لأحظى
نبي البر والمعروف عمت
وآمنة سماء الفخر أسدت
بنور جبينه ضاءت وضاعت
تجلت حكمة الرحمن فيه
وعاش بقرب أقوام جفاة
وأضحى رغم إملاق ويتم
وقد فضل الورى بعظيم خلق
وأوفى ذمة وأعز جارا
واندى راحة وأجل قدرا
رعاه الله منذ أنشأه طفلا
وشق من اسمه المحمود اسما
ليذكر في إقامة كل فرض
وتكرمة له صلى عليه
فخير مشفع في يوم حشر
وخير وسيلة يرجى إذا ما
إذا عز المجير فلي رجاء
وإن ضاق الفضاء لعظم ذنبي
كرامته والاستغفار حرز

دعوت وكنت لم أملك خطابا
بمدح حبيبته كرما أجابا
بشائريمن مولده الرحابا
لظلمة هذه الدنيا شهابا
بطيب أريج مسكا مذابا
ولا بمشيئة الله استرابا
وماعرفوا بها إلا استلابا
رفيع الجاه محترما مهابا
وخلق فهو أكملهم صوابا
والطفهم واحسنهم خطابا
وأعفاهم إذا قدر احتسابا
فلا عجب إذا فاق الصحابا
إليه محمدا فزكا وطابا
من الصلوات صبحاً أو غيا
وولي أعظم الرتب اقترابا
لمن يستوجبون به العقابا
نحا صرف الزمان بنا ونابا
بخير الرسل أثق بهم شهابا
سألقي في شفاعته الرحابا
وذخر اتقي بهما العذابا

مدائح في أهل البيت الأظهار صلوات الله عليهم

أفدي الميامين أهل البيت إنهم
ما في الورى منصف إلا أقر لهم
قد طهر الله - جل الله - أنفسهم
ما شيد الله من مجد لسالفهم
صلى الإله عليهم ما بدا قمر
فما ادخرت ليوم الحشر من عمل
لا أنظم الشعر إلا في مآثرهم
والشعر أصدق ما كان مدحهم

كالشهب تسطع في أفاق عليانا
وقال: آل رسول الله أهدانا
واذهب الرجس عنهم حين أنشأنا
إلا ونحن نراه فيهم الآنا
بودهم طاب في الفردوس مثوانا
إلا ولايتهم زلفى وقربانا
عسى أنال به قرى ورضوانا
وفي سواهم يرى زورا وبهتانا



عند التهاني وفي الأحزان تعديد
ما كان فيهم فشعري اليوم منشود
في (قل تعالوا) وإن لم يرض مژود
فكل من ولدته الطهر مودود
وكل علم لأهل البيت مردود
تاج الكمال على الهامات معقود
فكلهم برسول الله مشدود
ففيهم النظم محبوب ومحمود
فالفاطمي بديل الود محسود
فالحر مستبعد والعبد معدود

بالشعر لي بيني الزهراء تغريد
زينت نظمي بهم والقول أصدقه
ذرية طهرت في (إنما) وعلت
ولاؤهم منزل في (إنما) ويد (قل)
وكل خلق لهم في الفضل منتسب
سموا على الخلق في شتى المناقب إذ
لا بدع إن فضلوا كل الوري نسبا
لا يحسن القول إلا في مآثرهم
تحالف الدهر والحساد ضدهم
الله ما صنعت أيدي الزمان بهم

نظم الآل في مدح النبي والآل (ص)

بنوه ولادة الأمر إن هالنا امر
فلسنا نبالي لو بها يقصم الظهر
لها يلجأ السؤال إن عظم الوزر
أمان لكل الخلق ما بقي الدهر
هم الخيرون الغر والأنجم الزهر
وعندهم أسرار ما ضمن الذكر
ولاؤهم دين وجحدهم كفر
وقد نزهوا ما في كلامهم هجر
عليهم سلام الله ما بزغ الفجر
وسبطاه والزهراء فاطمة الطهر
حظيت بضر ليس بعد له فخر
سواي، فقدري كيف يعد له قدر
فمن مثلنا في الخلق مهما زكا النجر
تسامت سناء لا يفي حقها الشكر
فلن يبلغ المعشار لو ينفد العمر
ومن يبغ إيضاحاً ففي آيه الخبر
وانعام والأعراف والنحل والحجر

(محمد) خير الخلق والسادة الغر
وإن مس ضرا أو عرتنا معرة
مقاماتهم في الأرض أبواب حطة
هم العروة الوثقى وهم سفن النجاة
هم المصطفون الخمس هم زمرة الكسا
هم الثقل الثاني وهم أعلم الوري
وعيبة علم الله خزان وحيه
لقد عصموا من كل ذنب وزلة
وقد طهروا من كل رجس بإنما
محمد خير العالمين وحيدر
لقد فاضل الأملاك جبريل قائلا
لقد صرت منهم ليس في الخلق سادس
وقد ضمنا الهادي النبي ببرده
فيالك من لطف الكريم كرامة
ومهما يصغ في مدحهم كل ناظم
وقد بين الرحمن في الذكر فضلهم
تنبئه أم الكتاب ويعدها

ويونس والتحريم، عم تكاثر
ونور وحم الدخان وزخرف
واسراء، هود، آل عمران، هل أتى
وفي الروم والأنفال تعيين خمسهم
براءة فيها للبصير بصائر
تبارك، إبراهيم، طه، ومريم
واقعة، الرحمن، جل جلاله



أتى جبريل المصطفى بعد حجة الوداع
وقال له: بلغ ولاية حيدر
وإن لم فما بلغت والله عاصم
فقام خطيباً والمهيمن شاهد
ألست أنا أولى بكم من نفوسهم
نعى نفسه روي فداه إلى الوري
وحنزهم عقبى انحراف وفرقة
وناداهم، من كنت مولاه منكم
ترك كتاب الله فيكم وعترتي
هلموا جميعاً بآبوعه، فبايعوا
ورتل طه: اليوم أكملت دينكم
وقال أبو حفص: بخ من كحيدر
أبو حسن أولى بنا من نفوسنا
وقد كان أقضانا جميعاً وخيرنا
هنيئاً لمن والاه وإلى محمدا
ومن مات لم يعرف إمام زمانه



أمامي وصي المصطفى وابن عمه
وأنقاهم لله ليث جهاده
وأسخاهم كفّاً وأنصع صفحة
عليه سلام الله أدى براءة

وكوثر، فرقان، بآيتها الصهر
مجادلة والعاديات كذا الحشر
معارج والأحزاب والرعد والقدر
ومائدة فيها الولاية والنذر
وفي سورة الشورى المودة والبر
وفي زمر، ياسين يستدفع الضر
سواها كثير لا يحيط بها الحصر



وجل الخلق أضناهم الحر
جميع الوري عن له الخلق والأمر
من الناس لن تؤذي وإن خفي العكر
عليهم بخم والملائكة الفر
فقالوا بلى يا خير من أنجبت فهر
وقد كان مخضراً بوطاته الفقر
فكل اختلاف بعده الذل والقهر
فحيدر مولاه وبعدي له الأمر
على الحوض لقينا وقد ضمنا الحشر
ولم يبد ضغن في الغدير ولا غدر
وتمت عليكم نعمة الله والأجر
ببيض أياديته لقد طوق النحر
فقد صار مولانا وحق لنا البشر
وأعلمنا بالذكر إن رقل الذكر
وبعداً لمن عاداه حالفه الخسر
له النار يوم الحشر والشرر القصر



أبو الحسن الكرار إن صاحبه فروا
ويخفق في راياته الفوز والنصر
واقضى عباد الله من علمه غمر
عن المصطفى في الحج ما ناب ذعر

بتبليغها من صحبه وهم كثر
سوى رجل منه إذا أعوز الأمر
كهارون من موسى يشد به الأزر
إذا اشتدت الأزمات شد به الظهر
لقد ختم التشريع وانقطع العذر
حرام إلى أن يجمع العالم النشر
يصدق هذي الترهات فتى غر



لأعتابكم يا خير من ضمه قبر
تراب وللهادي أخ صادق بر
وقال لئيم من خلأقه الكبر
وأنت سبيل الله والطيب الحر
بنون ولا مال يفيد ولا وفر
ولاك راوه زلفة وهو الذخر
فهيهات لن يرقى لعلائك الشعر

وأنى له كف يقوم مقامه
فليس يؤدي عن نبي من الورى
وما جاء بدعاً فهو منه ونفسه
وليس نبياً بل وزيراً معاضداً
فلم يبعث الرحمن بعد محمد
حلال حلال المصطفى وحرامه
كذلك ولم يشرك سواء بأمره

رفعت أيا شبه المسيح قصيدتي
فأنت إمام للخلائق يا أبا
وأنت مع القرآن رغم مكابر
وأنت قسيم النار حبك جنة
تفضل على مولاك مولاي يوم لا
وسيئت وجوه الكافرين لأنهم
عليك سلام الله يا نفس أحمد

بغية الطالب في مدح علي بن أبي طالب عليهما السلام

نظمت هذه القصيدة بمناسبة مولده الشريف وأقيمت بتاريخ ١٣ رجل ١٣٦٤ هـ الموافق عام

١٩٤٤ وهي أول ما نظمت من الشعر وقد هذبها سيادة العلامة السيد محسن الأمين العاملي

أعلى الله مقامه .

رشأ يميز كفصن بان أغيد
كالسلسبيل ولحظه المتعريد
درا يتيما زانه بالعسجد
ذابت جوى من خده المتورد
مكحولة لم تكتحل بالإثم
فالحب من خلق الكريم الأصيل
وذخيرتي أهل العلا والسؤدد
أعددت من عمل ليوم الموعد
في الحشر أهل العلم أعذب مورد
ومناقب كملت برغم الحسد

هام الفؤاد بذى قوام أمد
ريم سبى لى برقة لفظه
شفته أوت في حنان عقيقها
فأنا الشجي المستهام ومهجتي
يسطو بقد أهيف وبمقلة
قد همت فيه ولا ألام على الهوى
خاب العذول فلا يراني جازعا
قد قيل لي ماذا ادخرت وما الذي
فأجبتهم حاشى انام وجنتي
أهل النهى والفضل أهل مفاخر

أهل التقى والدين أهل مكارم
وهم الصراط المستقيم إلى الهدى
رهط النبي محمد أهل الكسا
صنو النبي وفاطم وأبناهما
فإذا رماك الدهر منه بجفوة
أنت الغري وحي نفس محمد
فهو العلي المرتضى وأخو النبي
وهو الوصي المرتجى وهو الإمام

قد ورثوها سيذا عن سيد
والصالحات فويل من لم يهتد
ء ومثلهم بين الورى لم يوجد
من ودهم اجر الهدى لمحمد
فاقصد حمى المولى الوصي الأمد
واقرأ السلام على الإمام السيد
المصطفى خير البرية أحمد
المقتدى وولي كل موحد



في مكة أم القرى ميلاده
وبحجر طه قد تربى ناشئا
قد هذب الأخلاق فيه مؤدب
وعلا على متن النبي بمكة
جمعت له الأضداد في أوصافه
فيذاك تدرك ما لحيدر من علا

في بيتها أكرم به من مولد
حتى استقى للعلم أصدق مورد
بسوى الكتاب وهديه لم يقتد
فسمما بذاك ونال أعلى مقصد
ما بين إقدام وبين تعبد
ومميزات في الورى لم تجحد



لما أراد المشركون بأحمد
هل غير حيدر بات فوق فراشه
من ذا تطوع للفداء مكانه؟
صيد كمة من ذؤابة غالب
ودنا الصباح فكان منه بأشام
قد شد في نقد الضلال غضنفر
فشلت مكيدتهم وذل عزيزهم
ويمحكم التنزيل خص بأية
باهى به رب السما لما شرى
ومناه مرضاة الإله وقصده
ومحمد في الغاربات بآمن
نزلت عليه سكينة من ربه

كيدا وهاجر ناجياً من معتد
في برده وعداته بالمرصد؟
إلا فتى هو مثل ليل المحتد
لهم علا تسمو مناط الفرقد
في جمعهم وعلى النبي بأسعد
الإسلام يضرب كل هام لا يدي
واتى عليهم مثل ليل الأرمد
هي حجة الكوكب المتوقد
لله نفسا ليس بالمتردد
نصر الشريعة والنبي المرشد
ورفيقه من ظالم ومهدد
ورعاه من كيد العدو المعتدي



عدرا أمير المؤمنين فإبني
فباي محمود الخصال واي مشكور

بعظيم مدحك الكن لا أهتدي
الخصال يفي تشيد المنشد

يحفظوا به وعلاك عذر الحسد

حسدوك فضلك حين فاتهم ولم



إلا كم من منجد أو مسعد
أمثال هذا السيد المتفرد
يروى حديثكم بنهج مسند
أمسى كسهم للنحور مسدد
كلا ولم يعبأ بقول مفند
بعد الحقائق غير كذب يغتدي
أرخ «إلهي احفظ بقا ذا السيد»
 $١٩٤٤ = ١٠٥ + ١٠٣ + ٩٨٩ + ٤٦$

يا آل بيت محمد ما إن لنا
لا زال من أولادكم حجج لنا
بحر العلوم المحسن الورع الذي
المصلح الفذ الهمام ورده
لم يخش في ذات الإله ملامة
إذ قوله الحق المبين وما الذي
قد عز في الدنيا نظير وجوده



المثل الأسمى في الإسلام الإمام علي عليه السلام

فازدهى الفضل في بهيج ضحاها
بدلال أرامها وظباها
يزدري الياسمين طيب شذاها
بقدود غصن الأراك حكاها
أجل البدر في سما بهاها
لا أغالي - كالليل إذ يغشاها
وأحلت دمي الحرام ظباها
وأذابت قلبي بحر نواها
زادها الله رقة ورعاها
ويروي حشاي عذب لهاها
لو أتى القى الحمام فداها
غير خمس قد ضمهم برد طه
فاطم ثم بعلمها وأبناها
من لظى والجحيم من يصلهاها
ودهم في الكتاب أجر هداها
لأناس نص الكتاب حكاها
وله كل حكمة منتهاها
وبه ربنا الملائك باهى
جعل الله وده تقواها

سطعت في ربا المعالي ذكاها
ويدت من كناسها راتعات
وعذارى نواضر خفرات
تثنى بين الرياض اختيالاً
ورداح تزهر بأحور طرف
ويثغر أحوى وفارغ فرع
قد أباحت في الحب هتكي ورقى
انحلت بالدلال والصد جسمي
زاد همي من هجرها وسقامي
أيجود الزمان يا آل ودي
فأنما ما حييت باق على العهد
وفؤادي لم يملكه سواها
أحمد المصطفى وأفضل أنثى
سادة في المعاد منج ولا هم
وهم صفوة الأنام جميعاً
كيف أسطيع حصر أخبار فضل
جدهم سيد الخلائق طرا
وأبوهم حصن الإله ولاه
صالح المؤمنين فارس فهر

خير الكائنات طُراً علي
عظم الله قدره من إمام
في صلاة أتى الزكاة لوجه الله
عز إدراكه على كل عقل
عنه قال الزمخشري لقوم
سألوني مساءلاً عن علي
ليت شعري ماذا أقول بشخص
فحسود أخفى الفضائل لؤماً
ويدت للأنام بين اختفائين

مبتداه المختار بل مبتداه
حاز خير الصفات بل أعلاها
لا يرتجي سوى عقبها
فهو لغز الحياة في معناها
بعد طول التفكير زدت اشتباها
تاه لبي وحرت في فتواها
كان في صحب أحمد أقضاها
ومحب من خوله أخفاها
أمور كم حيرت عقلاها



عظم الله قدره من شجاع
قال سعد إلى ابن هند وعمرو
عرفاها لكن هما - إي وربي
سألاه لم لا تسب عليا
فانبرى مغضباً وقال بحزم
أعطي المرتضى ثلاث خصال
هي عز الدنيا وللحشر ذخر
كان نفس المختار في قل تعالوا
وسمعت النبي جهراً ينادي
وأعيدت مهزومة بثلاث
فسأعطي اللوا غداً للكمي
من له الله والرسول محب
يفتح الله في يديه حصونا
فمضى حيث نال فتحا مبينا
وأجاب الرسول يوم تبوك
الأمر خلقتني أنا أفديك
فأجاب النبي أكرم قولا
أنت مني ولا نبوة بعدي
مثل هارون والكليم أخيه

وكمي في الخلق ليس يضاهي
مفصحا عن فضائل عرفاها
حسدا بل تماديا أنكراها
مثل باقي الوري وترضى رضاها
كلمات هيهات أن ينساها
نلت سؤلي لو أن لي إحداها
هي خير من كل خير سواها
حجة لمن نرى لها أشباها
إذ أتاه في خبير أشقاها
راية الدين والهوان رداها
هو في مأزق الحروب فتاها
ويحب الله الجليل وطه
أعجزت قبله ليوث شراها
في غزاة كان العقاب لواها
ظل فيه بين النساء يرعاها
بنفسي خير الوري أركاها
ودموع العينين تبدي سخاها
والذي قدر الوري وهداها
يا له سؤددا رفيعا وجاها



وزعيم للناس حامي حماها
أمر ذي العرش أمة ترعاها
بفلاة يضيق رحب فضاها
فعلي بعدي إذن مولاهما
الخلق في مكة وأرضي الإلهما
وأباد الأصنام مذ القاهما



سيد الأوصياء قطب رحاها
كل نفس تحظى بها بمنها
قد حوت من أسنى المعالي سناها
كل طهر وكل قدس تناهى
بشراه كبل يمس الجباها
كل نفس به ترى بشراها



تناجي في بيته مولاهما
فلاذت بالركن ترجو الإلهما
وجنين تضمه أحشاها
لم ينلها ولم ينله أذاها
هاشمياً تقله كفأها
ضمن بيت غدا به تياها
شرف البيت باسمه وتباهى
واعترازا للحشر ليس يضاهى
من أصنامهم إذ رماها
جعل الله كل نفس فداها
فأدته مرسلا أواها
هي من خيرهن قدرا وجاها
الله ذي الفضل والجلال حواها
منح المرتضى فكان أباهما
ليس فيهم نظيره نفس طه
سيد الأوصياء قطب رحاها

عظم الله قدره من ولي
يوم جاء النداء أحمد بلغ
فدعاهم وقام فيهم خطيباً
كل نفس ترى ولائي حقا
ليس بدعا وقد علا متن خير
ثم نادى الله أكبر ربي

عظم الله قدره من وصي
فضل الله مكة وحباهما
ليس في الأرض مثل مكة أرضا
ليس فيها كبيته فإليه
رفع الله قدره يتمنى
كل نفس به يزول جواها

قد أتت فاطم تريد طوافا
فأجاء المخاض فاطم للبيت
برضاه توسلت وببيت
خرجت طاهرا كما دخلته
ورأى الناس سيداً قرشياً
قدر الله للإمام مجيئنا
مولد لم يكن لغير علي
حاز منه البيت العتيق افتخارا
كان من حيدر الوفاء بأن طهره
يا رمى الله نفسه من وفي
قد أجاء المخاض مريم للجذع
دعيت بالمسيح أفضل انثى
كيف قولتي عن فاطم حيث بيت
جل ربي سبحانه مكر مات
حجة الله للبرايا علي
عظم الله قدره من وصي

صفت شعري من مهجتي ودمها
وقبولا لها يزيد بهاها
وتبدت شمس الضحى في سماها

فلأعتابه رفعت جهودي
راجياً من علاه رد سلامي
فعليه السلام ملاح نجم



تحية الإمام الحسن السبط (عليه السلام) في يوم مولده

كالبدْرِ فيه تنجلي الظلماء
تيها نواهد حولها وظباء
تحكي شعاع بريقه الصهباء
خال له فوق الخدود بهاء
أصمته منها مقلّة حوراء
تنهى وتأمّر فيه كيف تشاء
لا فرقة وانتابه الإعياء
فعراه من ذاك الصدود عناء
طوعاً يشجعها إليك رجاء
هامت بحبك والهيّام سناء
بل أدهشتها الهمة الشّماء
وشجاعة وشهامة وإباء
ومكارم وفضائل وذكاء
وتوده من كفئها الحسناء
ويتسعة هم في الوريّ الأمناء
ولكل فضل في الوريّ أكفاء
هي زينب مولاتنا الفراء
شبيت فيها، بل هي العلّياء
نفس النبي فإنها هيّفاء
فمديحه لضئى القلوب شفاء
الحسن الزكي تقرب وولاء
للمصطفى تعنو له العظماء
خجلت حياء من سناه ذكاء
للخلد فازدانت له الحوراء
في العالمين شمائل غراء

سفرت فلاح جبينها الوضاء
ماسّت بقدر كالأراكة أمد
وزهت بفرع كالنضار مرسل
ويحسن معتنق شغفت وراقني
كم من محب كاد يقضي صبوة
أضناه وجد كامن بضلوعه
وأشاب مقلته التسهد والبكا
قد صد لم يشمل به برد حنائها
لك يا أمير المؤمنين استسلمت
أفهل تلام إذا أتتك؟ وإنها
وتفرست بك كل أوصاف العلا
وبدت لها من ناظريك مهابة
وبراعة وسماحة ومروءة
فلها الهنا أصدقها ما تبتغي
قسماً بأحمد والبتول وحيدر
هم صفوة الباري وخبرة خلقه
ويسيدي أهل الجنان واختهم
والسيد العباس ما هي عادة
أهديتها لولي كل موحد
مهدت بالغزل الرقيق لدحه
فهديتي في يوم مولد نجله
من حاز أحمد ومهابة
بيت الرسالة ازدهى بقدوم من
لولادة قد جاء أول سيد
السيد البر الوفي ومن له

ماذا أقول بمن دعاه محمد
فقد حبيباً للحبيب وحجة
الناصح المولى الإمام وصلحه
كشف القناع على حقيقة خصمه
وبدا جلياً أن دين محمد
وأعانت الظلام شر عاصبة
ويل لظالمه وغاصب حقه

عن ربه (حسناً) فذاك علاء
حقاً حقيقةً دونه الكبراء
لجميع أمجاد الورى طغراء
فالمسلمون عرثهم البأساء
خصم له لا هاشم الكرماء
باعوا الجنان وأعبد لؤماء
بالخسر طراً في القيامة باؤوا



يا عدتي يا آل بيت المصطفى
عذرا موالى الكرام فإنكم
من يستطيع مدح كنه جلالكم
فسترت تقصيري لمدح علاكم
واخترت بحراً كاملاً لقصيدتي
صلى الإله عليكم ما غردت
يا آل بيت محمد أشكو لكم
السقم أضناني وأحرق أضلعي
أودعت فلذة مهجتي تحت الثرى
سلمت أمري واحتسبت مصيبي
فعليك يا كبدي الفقيده تحية

أنتم لأدواء العباد دواء
يوم الحساب إلى الورى شفعاء
ولكم نفوس العالمين فداء
فالمجد تحصر دونه الشعراء
إذ إنكم بكمالكم نبلاء
بين الفصون وفي الربا ورقاء
رزاء دهى ناءت به الأحشاء
فقد البشير ونابت الضراء
أفهل يرى لي بعد ذاك صفاء
في من له الآلاء والنعماء
وعليك يا ولدي البشير ثناء



شطرت هذين البيتين للمرحوم الشيخ كاظم السوداني:

(يا منكراً فضل خير الخلق حيدرة)
ومن غداً دونه فضله سفها
(هب اعتصمت هنا في غيره حنقا)
أجب سألتك والأملاك شاهدة

وجاحداً معجزاً في صحاحكم
(لك العمى أو نور الشمس ينكتم)
وعشت منحرفاً من حولك الظلم
(بمن هناك غداة الحشر تعتصم) ٩



شطرت هذين البيتين وينسبان للشيخ محي الدين بن عربي:

(جعلت ولائي آل أحمد قرية)
وما علموا يوم القيامة جبههم
(فما طلب المبعوث أجراً على الهدى)

فوجه أقوام لي اللوم والعتبا
(على رغم أهل البعد يورثني القربا)
سوى ما هو الأسمى وخير لهم عقبى

وادی لهم عن ربه طول عمره

(بتليغه إلا المودة في القري)



تحية الإمام الرضا عليه السلام في يوم مولده

فؤادي سباه لاهب الوجنات
بنفسي أراما حسانا نوافرا
تعيد الصبا غزلانها وجأذر
يحبب لي عيشي المقام بجلق
أمتع عصرا ناظري بروحها
فيذهب عني الهم ريا ورودها
مغان حوت من كل حسن مفاتنا
زهت بربيع الغوطتين فأصبحت
زكت عينها الخضراء لما تأودت
تلذ حياة المرء بين مياهها
ويسعد إنسان إذا كان رفقة
بنفسي أفدي في المحلة أنفسا
أنست بهم إذ لا عدول مكدر
فلله ما أركى أريج حديثهم
سلوت بشيرا إن سلوت ودادهم
وهيهات أسلوه وأدعى باسمه
فمهلا أخلائي اعذروني فإنني
ولست أغالي، التكل أضعف ناظري
بشير أتى يعقوب فارتد مبصرا
فشتان ما بين البشيرين في الدنا
ولولا رضى الرحمن عز تجلدي
ولولا رجوع الخلق لله وحده
ولولا رجائي أن أراه مشفعا
فيا ولدي من قرح القلب فقد
بموتك جهال هدوا لاستقامة
توسلت بالقرآن قول مهيم
بياسين والرحمن والكهف والضحي

وفاتر أجضان المها الطيبات
أتانا الهوى من غيدها الخفرات
سوانح زدن الوجد باللفتات
وحول ريا روضاتها النضرات
وتنعمش صبحا رقة النسمات
وأبهج ليلا من رؤى الزهيرات
جنان بها من سائر الثمرات
برقة حور العين مزدهرات
سليمى بها في ميد عطرات
وتفريد أطيار على الشجرات
يناجونه غر على الهضبات
كراما لحسن الخلق مبتدرات
صفانا فما أحلاك من خلسات
إذا كان من آداب ذي الثغفات
وحاشى وفائي القدر بالسروات
ولو اشرب السلوان طول حياتي
لقد كدت أن أذوي من اللهفات
وشقت مراراتي من الحرقات
ومس بشيري العين بالقرحات
أيارب سامحني على الهفوات
وكدت لوجدي أن تزول أناتني
لذاب فؤادي أثره حسرات
تقطع قلبي شدة الزفرات
عليك سلام الله في الغدوات
فشكر إلهي أفضل الحسنات
وما قد حوى من معجز الكلمات
وأي ألم نشرح، وبالحجرات

بمرورة والبيت العتيق وبالصفاء
وبالمشعر الأسمى ووادي محسر
وملتزم والمستجار وزمزم
وبالمصطفى المختار والطهر فاطم
وريحانتي طه الحسين وصنوه
وباهر والصدیق جعفر كاظم
جواد وهاد وابنه ثم غائب
خديجة أم المؤمنين وعمها
وزينب والعباس حمزة جعفر
عليهم ملايين التحية والثنا
هم الثقل الثاني وهم فلك النجا
وهم زينة الدنيا وهم صفوة الوری
بأخلاصنا في ودهم وولائهم
وسادتنا الأعلام حفاظ ديننا
كمحسننا البر الأمین أناله
ومحسننا المولى الحكيم إمامنا
وحجتنا المكي مفرد عصره
هم حجج الباري بهم يصرف البلا
هم وارثو علم النبي وآله
أيا رب من بعد الهداية لا تزغ
وثبت قلوب المؤمنين فقد غدت
رفعت إلى اعتاب آل محمد
لمولد مولانا الرضى أكرم الوری
وعاشر معصومين ثامن سادة
به أبصر الأعداء رشدا موقتا
تخلوا عن الأخيار أفضل قادة
أطاعوا هواهم ثم كانت عليهم
أجل بايعوا بعد الإمام مغنيا
فمن غير مولانا الرضى لفريضة
فردوه اتعبناك يا سيد الوری

وموقفنا في الجمع من عرفات
وروض منى والخيف والجمرات
وحجر وركن دائم البركات
وحيدرة الكرار في الغزوات
وزين الوری السجاد ذي الثغفات
المآسي علي ثامن الصفوات
يقوم على اسم الله بالدعوات
أبي طالب الحامي بكل قناة
وقتل تهاووا عند شط فرات
من الله دوما باري السمات
وهم خير متبوعين خير رعاة
على كل حال خيرة الخيرات
سيخرجنا الباري من الظلمات
ومذهبنا من ترهات فواة
سريع الرضى الرضوان في الغرفات
فقيه البرايا شامخ الدرجات
ومن حاز في الدارين غر صفات
ويدفع عنا الضر والنقمات
أذاق عداهم أفضح النكبات
قلوبا إلى الغفران مفتقرات
لمهدي أهل البيت منتظرات
روائع أشعاري بفضل ولاتي
أبي خير ذواد ابن خير ثقات
ميامين أطهار وخير دعاة
وثم عصوا واستسلموا لسبات
وأشرف أبرار وخير هداة
سموات غي منه منطبقات
فبعدا لهم قد شبهوا بشرة
يؤم الوری في الفطر بالصلوات
وأهمهم ممن دونه درجات

وهذا إذا كانا قرينين أو هما
فلست أغالي: النصب أعمى قلوبهم
وقاسوا الثريا بالثرى من سفاهة
وساوا حديث المصطفى بمنجم
فمن غير مولانا الرضى يرشد الورى
فعلم طبا عن أبيه وإنه
لو اتبعوه لم يضلوا لهديه
ومن غير مولانا الرضى عن نبينا
إلا إنما التوحيد منج بشرطه
حديث بنيسابور أظهر حجة
فشبه جهلا بالنضار وإنه
فدونه عشرون ألفا تبركا
تناقله الأبناء عن والديهم
بنفسي أفدي طوس أفضل تربة
إذا ما تراءت قببة ذهبية
أمولاي إما كان جسمك نائيا
رفعت إلى عليك جهدي مؤصلا
أبا الحسن المرجو فاسمع شكايتي
ويا ابن علي نفس طه وفاطم
عزائي سقم أنك الجسم مؤلم
مللت وأمللك الطبيب تداويا
إذا أعجز الداء الأطباء أرتجي
بذكرك أستشفى وأنت وسيلتي
بعين الرضى يا مولاي فاقبل قصيدتي
حططت همومي في رحاب محمد
فلي بعلا آل الرسول مدائح
ولا ابتغي إلا نجاتي من لظى
على المصطفى والآل دوما تحية

جوادان سارا في ثرى الحلبات
فقاسوا ذكاء الظهر بالشمعات
وقاسوا الرعان الشم بالنكوات
وساوا كتاب الله بالرقيات
لأحوال أبدان بكل جهات
لسائر أصناف العباد موات
ونالوا بدنيهم الذ حياة
يعلم توحيداً إلى النسمات
بيوم الجزا من سائر الكريات
وأبعد عنا حالك الشبهات
لأسمى وأسنى من دما الرقبات
ليحظى الذي يرويه بالقربات
ليكتب في الأكفان بعد وفاة
حوت من رسول الله خير رفات
تشم أريجاً طيب النفحات
فحبك في الأحشاء واللهوات
شفاعتك الغراء بعد مماتي
فإنك ذخري يا ابن خير حماة
هي البضعة الزهراء خير بنات
وكدر يا مولاي صفو حيات
وكم بت منه مرسل عبراتي
بك الله عني يكشف الكريات
ومدحك أمسى عدتي لعداتي
فمدحك أضحى أشرف الحسنات
أقل يا إلهي المرتجى عثراتي
تفوق محيا رائع القسمات
وأهوال يوم الحشر والفضعات
وأكرم تسليم مع الصلوات

هذه القصيدة مرفوعة إلى سيدي ومولاي وإمامي صاحب الزمان الحجة المهدي
ابن الحسن عليهما السلام، عجل الله فرجه وجعلنا من أنصاره:

أنت المؤمل كي تجلي بك الغم
عين الحياة وترنو نحوك الأمم
سمي طه إمام ناصح حكم
للدين منتصر لله منتقم
متى نرى العدل في عليك بيتسم
أرى أعادي دين الله قد قصموا
ففي محياك نور الحق مرتسم
عز التجلد حتى استفحل السأم
يا صاحب الأمر قلبي ملؤه ألم
واستحكم اليأس حتى ارتابت الأمم
وأوشك الحكم في القرآن ينعدم
والكاذب الفاسق الدجال محترم
والفضل والرشد والأخلاق والشيم
والكفر محترم والدين مخترم
محرمات بها تضاعف النقم
الوالدين وقذف الناس والتهم
وصار من يصنع المعروف يتهم
الافتراءات جهرا ليس تنكتم
نالوه في منكرات القول لا سلموا
وترهات كذاك الحق يهتضم
وللمعاصي غدت تستنهض الهمم
وعن صراط الهدى زلت به القدم
يا للأباة أما للدين منتقم
وما لهم عاذل بل إنهم دعموا
وظنهم أحسنوا صنعا بما زعموا
كي تستحل بها الآثام والحرم؟
من منقذ مصلح تهدي به الأمم
فعنده الفضل والإحسان والكرم
نادى: إمام الورى قد ضمه الحرم

حامى الشريعة أنت المفرد العلم
وأنت مهدي أهل البيت قائمهم
مهذب خائف يرجى الأمان به
للخلق منتظر للأمر منتظر
يا ناشر العدل في الدنيا بلا حرج
أعلل النفس في قرب الظهور لكي
عجل فداك نفوس زدتها شغفاً
مولاي قلت اصبروا رuchi فداك فقد
كيف انتظاري ولما يبق مصطبر
مات التصبر من أمن ومن عوج
بين العباد وصايا المصطفى هجرت
قل التدوين إن العدل مبتذل
وعز بين الورى عهد وتكرمة
والكذب معتبر والصدق محتقر
والمال ينفق للأهواء معظمه
محرمات أبيحت واستحل عقوق
من يظلم الناس لا يخشى مغبته
قل الوفاء وزاد السحت وانتشرت
لم يرقبوا ذمة في مؤمن فرضت
إفك وزور وتصغير ومنقصة
والأرض قد ملئت ظلماً وعم بها
أعمى وعكازه عيناه قائدهم
يا للرجال أما للحق منتصف
فالمسجد انتهك الأندال حرمة
قد شوها وجهه فيما به اقترفوا
فهل لهذا بيوت الله قد بنيت
وليس إلا سمى المصطفى أبداً
فهل يمن عليّ الله من كرم
وأسمع الفجر صوتاً جبرئيل به

وحوله عصبة بالله تعتصم
وليس من سيفه في الأرض معتصم
حادت من الدين وانحطت لها القيم
هيهات هيهات أنى ينفع الندم
وفوق أثقالهم أثقال غيرهم
أشكو إليك ونار القلب تضطرم
في الصف عيسى كذاك الخضر ينتظم
محمدًا لعنوا لو أنهم فهموا
وفيه قد أسر السجاد والحرم
بشتمه أحمد المختار قد شتموا
فالمؤمنون برغم الحق قد رغبوا
عجل فديتك إن الخطب محتدم
قصيدة باسمك الميمون تتسم
إنى بحبل الله أعتصم
أبو فراس فتاها وهو ليثكم
أبو فراس عجل سيله عرم
أضنى فؤادي وجسمي الهم والسقم
يا آل بيت رسول الله حاكم

بين المقام وبين الركن بيعته
لا حكم إلا إليه في الورى أبدا
يدعو ليرجع للإسلام طائفة
فيما أتوا أثموا عما جنوا ندموا
يأتون يوم الجزا أثقالهم حملوا
فيا إمامي ومولى الخلق ملجأنا
فهل أراك تؤم الناس قاطبة
في مسجد لعنوا فيه أباك وهم
ببابه نصبوا رأس ابن فاطمة
في بلدة شتموا فيها الوصي وهم
يا رب عجل إلى المهدي نهضته
وأنت يا ناصر الإسلام ناصرهم
واقبل بعين الرضى يا بن الرضا كرما
غراء أرفعها في يوم مولدك الأغر
واعذر فديتك تقصيري بقافية
إنى أقر بعجزى عن معارضة
ويا إمامي إلى عليك ملتجئ
مالي سوى عطفكم بل صار معتمدي

روائع الأشعار بالمصطفين الأخيار عليهم السلام

حسن المزايا والفعال حميدا
حول الروابي طائرا غريدا
وصحابه صبب الفؤاد عميدا
وسألت ربي اللطف والتأييدا
وبحقه التوفيق والتسديدا
يا شقوتي باب الرضى موصودا
لأكون في يوم الحساب سعيدا

الله أحمد قد غدت رشيدا
بين المياه وفي المغاني منشدا
أصبحت في حب الرسول وآله
بحمد خير العباد توجهي
أرجو الإله بحقهم لمديهم
أفهل أشرف بالإجابة أم أرى
يا رب وفقني بهم لولائهم

صورة مجمل لأهل البيت عليهم السلام:

لهم أحب الشدو والتغريدا
فمكارم الأخلاق هزت جيда

إنى بغر مناقب طول المدى
ينمى الكمال لأحمد ولآله

وكذا الفضائل رنحت أعطافها
ميثاق يعقوب النبي وولده
ومحا الرحيم بهم خطيئة آدم
فرعون أغرقه وكرم زوجه
ساوت خديجة والبتول وفاطما
عنهن أخبر أحمد بحديثه
لأرفع إلى أعتاب أهل البيت عليهم السلام؛

جبت البلاد قريبتها ويعيدا
وغدوت في جنات عامل هائما
وشممت من عرف الحجاز وطيبه
وغنمت من لبنان رقة ظرفه
طففت السنين بجلق وجنائها
بردى بها يبى الضنى ويدمر
ونسيمها أنس النفوس بهامة
والفيجة الغناء أضحى ماؤها
روى فؤادي المستهام معيها
وقطفت من نسرينها وزهورها
وجمعت باقات المحبة والولا
لأزفها للفاضلين المكرمين
ورفعت للمختار غر مدائحي
بولاد سبط محمد وحبيبه
لله ميلاد الحسين بطيبة
كانت تهاني جبرئيل وصحبه
والكل يخبر عن شهادة سبطه
شخصية الحسين عليه السلام؛

من كالحسين ببطن فاطم مضفة
من مثله أبهام أحمد راضعا
منه الحسين ومن حسين أحمد
من كالحسين مؤملا بين الورى
من مثله في الترب باب معفرا

وأملت العليا الفصون الميدا
قد كان أحمد عهد المعهودا
وبهم تبارك أهلك النمرودا
حتى حباها في الجنان خلودا
شرفا حباهن الكريم مديدا
سدى النساء كريمة وولودا

ومدائننا مأهولة والبيدا
لحسان الفاظ الكمال صيودا
وحويت منه طارفا وتليدا
فردوس طوس حباني التأييدا
ورياضها كي أفهم الترديدا
طابت مغانيه ولد ورودا
والغوطتين ينشط المجهودا
عذبا يروي الظامئين برودا
ولعينها الخضراء كنت ودودا
وضممت فلأ زاهيا وورودا
وكذا اصطفت الود والتحميدا
الطيبين الظاهرين برودا
والى الوصي جماني المنضودا
من صار للدين الحنيف عميدا
أعظم به أكرم به مولودا
بالمصطفى منها غدا مجهودا
في الطف لا فشلا ولا رعيدا

من كالحسين على الصعيد وليدا
ولسانه أضحى له ممدودا
نسب تسامى للسماء صعودا
من كالحسين مجاهدا وشهيدا
كست الدماء جبينه التوريدا

من قد حوى جسدا حبيبا للإله
 أم من حوى كآبي تراب والداً
 صهراً له ومفرجا كرباتِه
 من كان قاضي دينه ووزيره
 أم من حوى أمّاً كبضعة أحمد
 من يغضب الزهراء يغضب ربها
 من يرضها يسكنه قصر رائعا
 أن ترضى يرضى الله بل من يؤذها
 أم من حوى كآخيه سبطا ناصحا
 كل أمام قاعدا أو قائما
 ريحانتا طه يشم حياته
 وهما قد ارتحلاه وقت صلاته
 لم يعمل ظهراً محمد إلا هما
 ليبيد أصناماً رقاءه بمكة
 أم من حوى كبنيه تسعاً قد غدوا
 زين العباد وياقراً كل العلو
 موسى بن جعفر والرضى وجواد
 أم من حوى مثل العقيلة زينب
 آساد حرب في النهار وإنهم
 أمس تهدده العدا حتى غدا
 بيت لكل العالمين مثابة
 مولى موالينا أبوه وولده
أمير المؤمنين عليه السلام
 يا باب علم محمد أصبحت في
 أصل الفضائل والمكارم والهدى
 وروى ابن حنبل في المناقب مستدا
 قد عاتب الرحمن صاحب محمد
 يا منصفاً سل هل أتى هل في
 قد أطعم المسكين ثم يتيم ثم
 ناجى الرسول فلم يكن متصدقا
 بصلاته أتى الزكاة لسائل

ومصطفى ومحمدا محمدا
 نفس الرسول وليثه الصنديدا
 وأخاه في يوم يكون شديدا
 والصنو والمحبوب والمودودا
 بزفافها الأملاك كن شهودا
 لاشك يصبح للجحيم وقودا
 بالباقيات الصالحات مشيدا
 يؤذ الرسول حبيبه المحمودا
 حسن الذي بالسم مات شهيدا
 أعظم قياما منهما وقعودا
 بطنا ونحرا منهما ووريدا
 بسجوده أكرم بذاك سجودا
 وأبوهما والله كان شهيدا
 أكرمت حيدر راقيا ومبيدا
 يوم الحساب على العباد شهودا
 م وصادقاً تاج العلا المقصودا
 هادي وابنه والغائب الموجودا
 بلسانها عرش الطفلة أبيدا
 يلفون ليلاً ركعاً وسجودا
 من مكة حرم الإله طريدا
 خرج الحسين السبط منه شريدا
 أهل المفخر إن عدت الصيدا
 الدنيا لكل المكرمات عميدا
 ركننا إلى كل العلوم شديدا
 تاريخ حيدر في الصحاب مجيدا
 إلا علينا نفسه محمودا
 الخلائق كان غير إمامنا المقصودا
 أسير وهو طوى وصام كديدا
 أحد سواء من العباد نديدا
 فلذلك صار ولينا المعدودا

وولي كل المؤمنين إلى الجزا
أعظم به متصدقا ومصليا
لله لا يرجو بذلك مدحه
خصوصيات شهر شعبان؛

شعبان يا شهر الرسول وآله
بوركت من شهر عظيم ما نرى
لم نلق فيه منهم مفقودا
بوركت يا شهر المسرة والهنا
ولد الحسين وسبطه وحبيبنا
والحرة الغراء قد ذكروا لها
أفديهم بفؤادي المضى وإن
توسل وتضرع؛

يا رب أعط المصطفى خير الجزا
وامنحه في يوم الحساب شفاعا
مولاي يا رب الخلائق كلهم
بالسبط قد نفست كرية فطرس
وكذاك دردائيل عاد مقرباً
أفهل بسبط محمد وحبيب به
أضنى فؤادي يا رحيم بخلقه
رجاء وامل؛

يا آل أحمد لا يخيب موحد
يرجو ابن صندوق شفاعتكم غدا
يا ساداتي قد جئتم بقصيدي
قدرتي نظمت ولو أردت بقدركم
أعتابكم قد شرفنتي بالزيارة لا
فإليكم مني التحية ما نرى
وعليكم مني السلام إذا زها
يا ساداتي ردوا السلام تفضلا
أرجو أزحج عن لظى بولائكم

شطرت هذه القصيدة للفاضل الشيخ عبد الله البلاهي في مدح العقيلة زينب (عليها السلام)؛

لذ إن دعتك النائبات بزینب

من كان منهم سيذا ومسودا
ويكل مكرمة نراه فريدا
لله لا يبغي بذاك مزيدا

بك قد رأينا أنسنا المعهودا
للهاشميين الكرام شهيدا
إلا ولاء هم العظيم فقيدا
بك تكثر التحميد والتمجيدا
العباس والمهدي أسمى جيدا
بين العداة مواقضا وصمودا
هذا الفدا قد أغضب المفؤودا

ومقامه المحمود والموعودا
وفضيلة ووسيلة ومزيذا
لم يلف بابك عنهم مسودا
ورضيت عنه وعاد ثم رشيدا
لا يختشي يوم الحساب وعيدا
تشفي سقاماً قد ألم شديدا
كم بت منه معذبا مكمودا

في كل حال جاءكم محفودا
حسني بن كامل لا يرى مصدودا
أملني القبول فهل أرى مردودا
ما نظمت كل العباد نشيدا
أكون بفضلها مطرودا
مسكا يعطر مفرقا ونهودا
بين الربا ورد يزين الغيدا
حاشا عبيدكم يكون بعيدا
وأرى الشفاعا ظلي الممدودا

بنت البتول ومن أبوها حيدر

وإذا دعوت تضرعاً وتلهفا
فمن استجار بقبورها بزغت له
وإذا ترقب حاجة طلعت له
حضت ملائمة السموات العلى
لا يسأمون من العبادة جمعهم
نسجت لزائرها ملائمة السما
من أجلها يكسو الإله محبها
من عفر الخدين في اعتابها
بل من تدلل عندها لجلالها
لا يستضام ولا يهان ولا يذل
هيهات لا يبغى عليه بل يجل
قد جئت للحرم الشريف ومطلبي
يا رب إنني قد رجوت ومقصدي
قد حل جيش العسر في ساحاتنا
لا حول نملك في البلاد وقوة
أملئ كبير إن من وافى إلى
ولو استجار بقبورها ذو فاقة
وإذا بمسجدها تهجد مخلصا
من مثلها ويجدها هدي الوري
ويأمرها الزهراء نلنا رفعة
جنناك يا أخت الشهيد بحاجة
ضيقنا بها ذرعا وحقك إنها
صلى عليك الله يا ابنه حيدر
وعلى أبيك وأحمد خير الوري

في مدح السيدة زينب العقيلة عليها السلام:

مقام يضاهي نوره الشمس والبدر
مقام سما للأفق بابنة حيدر
وأخت الإمامين الشهيدين زينب
عليها سلام من بعد أمها

في مدح السيدة زينب العقيلة عليها السلام:

يا زينب يا بنت نفس محمد

تبلغ مناك وكسر حالك يجبر
شمس المفاخر والعلى تنتور
شمس المسرة بالنجاح تبشر
بمقامها السامي الرفيع ليذكروا
بضريحها فدعوا هناك وكبروا
حُلاً من التوفيق تبهج تبهر
ثوباً من الغفران لا يتغير
فجبينه في الحشر أسعد أزهر
أضحى بثوب المكرمات يدر
متابع آل الرسول فأبشروا
بدهره أبدا ولا يتضجر
تيسير ما هو في الوري متسر
كشف الكروب فدهرنا يتنكر
وبدا لنا وجه الليالي أغبر
وعيوننا أبدا إليه تنظر
اعتابكم يا آل طه ينصر
لا بد يرجع بالمراد ويظفر
لأتاه من كنز الإمامة جوهر
صلى عليه الله ما إن يذكر
وبكف والدها يفيض الكوثر
قد أرهقنا والمهيم أخبر
يندك منها (يذبل ومحمر)
ما لاح نجم في الدياجي مزهر
ما لاح بدر في الدجنة مقمر

وطيب ثراه يفضل المسك والعطرا
وصي رسول الله والبضعة الزهرا
عقيلة بيت الوحي والدرة الفرا
غدت خير أنثى فهي أعلى النساء قدرا

ريحاننا خير الوري أخواك

ولدتك فاطمة كريمة أحمد
هي مدح السيدة زينب العقيلة عليها السلام؛

لزينب بنت فاطمة مقام
مقام طاوول الأفلاك فخرا
وتأتيه البرايا خاشعات
وعمة تسعة بهم فؤادي
حفيذة سيد الكونين طه
لها مثوى بكل فؤاد مولى

وخطر هذين البيتين وهما للشـيخ أبي الـهدى الصيادي؛

شيخ أهل البيت ذو القدر العلي
ثاني الخمسة أصحاب العبا

التشطير؛

شيخ أهل البيت ذو القدر العلي
وقسيم النار في يوم الجزا
ثاني الخمسة أصحاب العبا
نفسه في قل تعالوا

التخميس؛

أكرم الخلق على الله العلي
من به نصف الكتاب المنزل

نور عيني أسد الله علي

للموالي شافع إن أذنب
أول المصدقين النجبا

صهر طه المصطفة خير ولي

خطر وخمس هذين البيتين وهما للفاضل الخطيب الشيخ صادق الإيرواني النجفي؛

التشطير؛

أهنيك يا زوج البتول بامرة
وبيعتك العظمى على كل مؤمن
بأمر من الرحمن في النص نازل
فودك فرض والولاء مؤكداً

بخم بها كل الخلائق بشروا
بها سيد الأكوان قد قام بأمر
بأنك للذكر الحكيم تفسر
به يكمل الإيمان والأمن ينشر

التخميم:

أبا الطيبين الغر أفضل عترة واهل كساء المصطفى خير زمرة
ويا من ولده منقذ يوم حسرة أهنيك يا زوج البتول بامرة
بها سيد الأكوان قد قام يأمر
بما أنني واليت أعدل عادل قسيم لظي لا أختشي من مجادل
ولاؤك في خم أقول لعادل بأمر من الرحمن في النص نازل
به يكمل الإيمان والأمن ينشر

وخمس هذين البيتين للأديب المرحوم الشيخ حسين ميهوب:

ليست نوائب هذا الدهر ضائرتي كلا ولا نوب الأيام فاقرتي
حاشى أضام وما الأرزاء قاهرتي أعددت قوما لدنيائي وأخرتي
هم النجاة فكف اللوم يا لائم
قلبي بآل رسول الله مفتتن إلى العلى والهدى أقوالهم سنن
إنني بودهم في الحشر مرتهن علي وابناء موسى جعفر حسن
محمد وعليان الرضا القائم

وقال مشطراً والأصل للأخرس البغدادي:

هتكوا الحسين بكل عام مرة ويقتله أهل الضلال استبشروا
ورضوا بسبي كرائم لمحمد وتمثلوا بعبادة وتصوروا
ويلاه من تلك الفضيحة إنها خزي بأوجه ولد حرب يظهر
هي شبه بيعة حيدر جهد وإبان تطوى وفي أيدي الروافض تنشر



هتكوا الحسين بكل عام مرة أتباع من قالوا محمد يهجر
هم نأؤوا المختار طول حياته وتمثلوا بعبادة وتصوروا
ويلاه من تلك الفضيحة إنها بنت السقيفة يوم آخر حيدر
هي فلتة من قبحها جهدوا بأن تطوى وفي أيدي الروافض تنشر
وشطر هذه الأبيات وهي لأحد أنصار الحسين عليه السلام:

أميري حسين ونعم الأمير ونعم المجير لمن يستجير
وخامس أهل الكسا المكرمين سرور فؤاد البشير النذير
علي وفاطمة والهداه وجداه أزكى الورى والعشير
وريث الوصيين والمرسلين فهل تعلمون له من نظير
له طلعة مثل شمس الضحى وكف سخي كيوم مطير
له صولة كليوث العرين له غرة مثل بدر منير

الشيخ محمد حمدان الخير

١٩٧٨ - ١٩٠٥

أحد أولياء الله الصالحين، والشعراء النوابغ الكبار الذين أنجبهم الساحل السوري، وما أكثر شعرائه وأدبائه وعلمائه وكنا قد نشرنا للشاعر الشيخ محمد حمدان الخير رائعته الموسومة (بين الموت والحياة) مع دراسة عنها للدكتور أسعد علي، في العدد (١١) من موسوعة الموسم الصادر سنة ١٩٩٠ ص ٧٩٠-٧٩٧. كما نشرنا ترجمة للشاعر كتبها ابن عمه أستاذنا الراحل الشيخ عبد الرحمن الخير، في العدد ٢٣ - ٢٤ من موسوعة الموسم ص ٤٢٧ وما بعدها ونعتز اليوم بأن نقدم تفصيلاً أكبر عن سيرة الشاعر العظيم وحياته ومختارات متفرقة من أشعاره ضمن هذا الملف معتمدين في ذلك على ديوانه الذي حققته وقدمت له كريمة الشاعر، الأديبة الراحلة الدكتورة سلوى الخير ومن بين هذه المختارات باقة عطرة من شعر الخير الذي يعبق بشذا الموالاة ويصدح بكلمة الحق والصدق، ويتألق بالنور والإيمان في حب مواليه الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فحسبه هذه البضاعة المزجاة سفينته للنجاة جعل الله مثواه الجنة.

الموسم

ولد لأب زاهد متصوف هو الشيخ حمدان ديب الخير من بلدة القرداحة ولأم فاضلة هي السيدة مارية حرفوش من قرية المقرمة/ القدموس التابعة لقضاء بانياس حالياً. وقد كانت ولادته سنة ١٩٠٥م كما تقول بعض المصادر أو ١٩٠٧م كما تقول مصادر أخرى، ولا بد لي من التوقف ولو هنيهة عند نسب الشاعر، فهو ينتمي من جهة أبيه إلى عائلة معروفة جيداً في المنطقة هي عائلة (آل الخير) كما يمت من جهة أمة إلى عائلة أخرى لا تقل شأنًا^(١).

وأهمية ذلك بالطبع إنما تنبع من نظام العلاقات الاجتماعية في ذلك الحين الذي كان يقيم وزناً كبيراً للانتماء العائلي وقد كانت بلدة الشاعر موزعة في عائلات معروفة تمثل كل منها مركز ثقل أو قوة -إن صح التعبير- آل الأسد، آل اسماعيل، آل الخير، آل عثمان، آل خير بيك.. إلى آخر ما هنالك من العائلات التي كانت تتباهى فيها بينها فهذه عائلة تفتخر بالمرءة وشدة البأس وتلك عائلة تفتخر بالكرم وحسن الضيافة، وثالثة تفتخر بالمرءة والشهامة وما إلى ذلك ولقد عرفت عائلة الشاعر فيما عرفت به بالعلم والدين والأخلاق العربية الأصيلة مثلما عرفت عائلة أخرى عريقة هي عائلة الأسد بالشجاعة النادرة والفروسية وسرعة الهبوب لنجدة المستجير، وهناك وقائع كثيرة تسرد بهذا الخصوص بيد أن العلاقات بين العائلات لم تكن دائماً علاقات مودة

(١) كان الشاعر كما عرفته يعتز بأحواله ويكنّ لهم محبة عميقة وإعجاباً لا يخفى، والجدير بالذكر أن آل حرفوش أسرة ذات ماضٍ غني بالمواقف المشهودة في الدفاع عن الوطن والدين.



وحسن جوار بقدر ما كانت علاقات منافسة وتسابق على الزعامة وحتى داخل العائلة الواحدة كانت توجد مثل هذه العلاقات القائمة على المنافسة والتسابق على الشهرة ومواقع الجاه والثروة (وهي في حقيقة الأمر ذات طابع طبقي واضح) فلقد كانت ثروة الرجل وقوته المادية والبشرية هي التي تحدد موقعه على السلم الاجتماعي، ولم يكن الأمر يخلو أحيانا من استبداد يمارسه القوي على الضعاف، واستثنائا بالمواقع من دونهم، فالتركيبة الاجتماعية تقيم الوزن الأكبر للقوة والثروة وليس للموهبة مما سنجده أصداؤه في تضاعيف شعر الشاعر، فكم من ذي كفاءة أو موهبة ذهبت إمكاناته هدرًا لأن رحي الحياة الطاحنة عصفت به وكم من نجيب نابِه ظلت عبقريته طلي الكتمان إذ لم يتح له من يهتم به ويرعاه ولا من يبعث آثاره من خلف سجد الكتمان^(١).

لذا كنا نجد الناس يتسابقون على الإكثار من الثروة والإكثار من البنين ليس فقط لأن المال والبنين هما زينة الحياة الدنيا، وإنما لأنهما الركنان الضروريان للجاه والشهرة والمكانة الاجتماعية. وقد كان والد الشاعر واحداً من أحد عشر ولداً ذكره لجدّه الشيخ ديب الخير الذي كان حبراً دينياً مرموقاً ورجلاً من رجالات البلدة المعروفين، وقد اقتضى الأولاد الأحد عشر خطأ والدهم في التزام الصلاح والتماس المعرفة، مثلما اقتضوا خطاه أيضاً في الإكثار من المال والولد (منطلق العصر السائد) ولكن والد الشاعر كما تجمع الروايات كان يمتاز بسمات خاصة أهمها الهدوء التأملّي العميق، وصفاء النفس وشفافيتها والميل إلى الوحدة والقناعة بالقليل من المال والمتاع الذي كان يعتمد على جهده ويديه في تحصيله وهكذا رضي الوالد القانع بفاته الوحيد وبنات ثلاث رزق بهن اثنتان تكبران الشاعر وواحدة تصفره بضع سنوات، ويذكرون أن الوالد الشيخ عندما كان يفرغ من أعماله في الزراعة أو طواحين كان يمتلكها، كان يعتكف للمطالعة والتحصيل والعبادة وذلك في ركن معبد، أو تحت ظلال شجرة فيقضي الساعات الطوال في مجلسه هذا، وتأتيه زوجته بالماء والزاد تضعهما إلى جانبه وتنصرف، فيأتي صبيان الحي ويأكلونه على مهلهم وينهبون دون أن يشعر بحركتهم الشيخ الغارق في كتبه وتأملاته.

وربما كان بوسعنا أن نتصور مدى تعلق الأب الشيخ بفاته الوحيد في بيئة كهذه تعلق كل الأهمية على الأبناء الذكور، ولئن كان الآخرون يرون من أبنائهم دور القوة والمنعة ومدعاة للاعتزاز في واقع مشحون، فإن والد شاعرنا كان يرى فيه رمزا لبقائه وضمانا لاستمرار وجوده، إذ لم يكن في طبيعته البحث عن القوة والعرض.

بيد أن فرحة الأب (حمدان) بفاته الشاعر لم تخل من عوامل التنغيص والتكدير، فلقد نشأ في البداية مفرط الحساسية سريع التوعلك ونظرا لافتقار البلدة إلى طبيب فقد اضطر لاصطحابه إلى اللاذقية أكثر من مرة، ويبدو أن الذهاب إلى اللاذقية ٣٤ كم كان يعد سفرا في

(١) من هؤلاء مثلا الأديب الكبير والمفكر المرحوم (عبد الكريم الخير) وهو ابن عم الشاعر وقد مات شاباً وما تزال آثاره تائهة في مكان ما لدى بعض أقرانه.

تلك الأيام نظرا لما يتكبده المرء من مشقة وعناء، وقد تم له الشفاء الناجز لكن بعد شيء من القلق لأبد منه.

ومع ذلك فإن سعادة الأب بابنه لم يطل أمدها كثيرا، إذ قطع مسارها الموت المبكر فقد توفي والد الشاعر وهو ما يزال في الخامسة والأربعين من عمره بينما ابنه لم يتجاوز السنوات التسع، وسنجد أن رحيل الأب الباكر الذي يمثل مواجهة الشاعر الأولى مع الموت، وما تبع ذلك من زواج الأم، ومواجهة الشاعر للحياة وأعبائها صغيرا ووحيدا، كل ذلك سوف يترك في أعماقه جرحا وأغلا لا يندمل مع الأيام حتى أن تجذر الحزن والآلام في أعماقه سيدفعه بعد ثلاثين عاما من وفاة أبيه إلى رثائه بقصيدة تعد من أعم قصائده، وأكثرها تجسيدا لشخصيته وتعبيرا عما يجول في فكره ووجدانه:

مستقل سبق الركب وناما هكذا من بلغ المثوى أقاما

وفي القصيدة أبيات تنم عن كثير من المرارة والإحساس باليتم والوحدة وإن ظهر الشاعر فيها متعاليا على أساء مفتخرا بأبيه وينفسه:

لا يسوءنك يتمي يا أبي فالنفسيات من الدر اليتامي

باه بي من أكثروا نسلهم أنا من باهى بك الدنيا وسامى

وفيهما اعتداد بما أورثه إياه من العلم وإدلال بما يضيفه العلم على حملته من المجد والخلود:

إرثك العلم فلا لوم إذا رضي الوارث والجاهل لاما

إن تفتني حلية السيف فكم هزني المجد فلم يهزز كهاما

علماء الناس ورأت البقا وسواهم في غد يغدو عظاما

أن يجد المرء نفسه صغيرا ووحيدا وأعزل في خضم حياة عاتية لا ترحم امتحان عسير قلما يجتازه بامتياز إلا من أوتي موهبة أكبر من عادية وشخصية صلبة قوية تمكنه من الصمود في عالم محمود بروح القوة، القوة التي تعني بالنسبة للأكثرية المال والعدد وكلاهما كان يفتقده الشاعر، مما اضطره للبحث عن مظاهر أخرى أكثر نبلا وأرفع شأنًا للقوة، إنها قوة النفس التي تستلهم روح الزمن والأجداد وتلبس صلابة المكان وتجاوب فداحة الواقع ببسالة منقطعة النظير، ودرجة عالية من الوعي فلقد اعتبر قسوة الظروف من حوله ضريبا من تحدي الأقدار له، فمضى يرد على التحدي بما يجبهه من التفوق والنبوغ وتأكيد الذات واستنفار إمكانات النفس الكامنة وتصعيدها في وجه التحديات.

وإذا نحن أخذنا بما يذهب إليه أساتذة التحليل النفس من أن ذكريات الطفولة ووقائعها وأحداثها تظل لاصقة بذاكرة المرء، راقدة في أعماق لا شعوره، لكي تترك تأثيرها على حياته وشخصيته فيما بعد، فإننا نقدر -ولا شك- أية ذكريات مريرة تركت بصماتها على صفحات هذه النفس الشاعرة التي شهدت وعاشت غربة مركبة في الزمان والمكان، والواقع الشخصي والعام، بيد أن شاعرنا خاص ذلك كله بقليل من الوجع، وكثير من الشجاعة والثقة والإيمان.

أما أوصافه:

فلا أدري إذا كان علي من باب التوثيق أن أتحدث قليلا عن أوصافه الشخصية، الجسدية والمعنوية، فقد كان كما عرفته معتدل القامة، أميل إلى الطول والنحافة، وكان واضح الملامح، حنطي اللون، ذا عينين شهاولين ضاربتين نحو الرمادي قليلا، وجبهة عريضة، وأنف أقنى وذقن ناتئة بعض الشيء وشعر سبط غزير، بوجه عام كانت ملامحه أقرب إلى الوسامة مع تقطعية محببة، ونظرات ثاقبة نفاذة.

أما جسمه فقد كان قويا متين البنية نشيطا، وقد ظل حتى مرضه الذي مات فيه لا يشكو أيما علة، ولا يحتاج إلى طبيب رغم إدمانه الشديد على التدخين، وكان يعزو نشاطه إلى عاملين، الأول منهما قلة ميله إلى الطعام فقد كان يرضى منه بالبلغة، والثاني مواظبته على المشي يوما وليل طويلا، وحرصه على العمل اليدوي سواء في الأرض أو في عمارة التخوم (والسناسيل) فقد كان يجيد فن البناء والنحت ويمارسه كهواية محببة.

أما عن أوصافه المعنوية فأذكر أنه كان حاد المزاج، حار الانفعالات والمشاعر، سريع السخط والرضا في الحق، عنيدا متصلبا في مواقفه لا يساوم ولا يتراجع عن موقف اقتنع به حتى لو كان في التنازل مصلحة وفائدة له. وكان صادقا في الود والبغض، يصفو فيتهلل بشرا وعدوياً، ويفضب فيكفهر كعاصفة جبلية عاتية.

وكان ذكيا حاد الانتباه، سريع الحفظ، حاضر الذاكرة، حسن الإصغاء وكان شديد الاعتداد بذاته، والتعلق بحريته، يرفض القيود أيا كانت مادية أو معنوية..

أذكر أن صديقا أهدى إليه ساعة يد فلبسها نهارا واحدا ثم خلعها قائلا إنها تذكره بالقيد، وظل هذا الإحساس مرافقا له، حتى أنه عندما خلع أسنانه، وصنع له الطبيب أسنانا صناعية ما لبث أن رمى بها بعيدا وهو يقول: يا له من لجام ثقيل..

وقد ظل ما تبقى من حياته دون أسنان مؤثرا ذلك على استعمال ذلك القيد العظمي.

وكان قليل النوم، كثير السهر، نشيطا دؤوبا، طويل الصبر على العمل والقراءة، يجمع بين العمل الفكري والعمل اليدوي في وحدة منسجمة وهو يؤمن بتكاملهما. وكان شجاعا جريئا في الحق، يقول كلمته بصدق ولا يخشى ما يترتب عليها بعد ذلك من تبعات.

وكان عفيفا، شديد الإباء فيه عزة وأنفه تمانعانه من التماس المصالح لدى الآخرين حتى لو كانوا على استعداد لتلبية طلباته، ولقد أوقعته هذه الصفات والخصائص في مأزق كثيرة وسببت له كثيرا من المتاعب في مجتمع يفرض فيه الأقوى سطوته ويدفع بالكثيرين إلى مجاملته ولو رياء، وكان يميل في صداقاته إلى البسطاء والطيبين وذوي المعرفة والدين البعيدين عن الادعاء والتكلف، مثلما كان ينفر من ذوي النفوذ والثروة ويتعد عنهم ويزدري من يتملقونهم أو يتزلفون إليهم.

باختصار لقد كان نموذجا للشخصية الجبلية غير البسيطة التكوين:

- فيه صلابة الجبال وقسوتها وعذوبتها الأسرة.
- وله تساميتها وشموخها نحو الأعلى دائما.
- وله إحساسها العريق بالمجد وتطلعها نحو حلم مفقود يسكن أغوار الذاكرة الجماعية.
- وله حيوية الشخصية الجبلية وغناها الداخلي وتعدد أبعادها النفسية.
- ولديه إضافة إلى ذلك كله، حزنها المأسوي الدفين المختزن منذ عهود موغلة في القدم والنابع من مادية الواقع المحاصر على الصعيدين المكاني والزمني معا.

أما تعليمه وثقافته:

فقد حدثنا الشاعر في حياته أنه تلقى تعليمه المبكر على يدي والده قبيل وفاته ثم في كتاب القرية الذي تردد عليه سنوات قليلة في طفولته الأولى، ويشهد أصدقاؤه ومجايلوه ممن لا زالوا بيننا أنه أبدى منذ صغره فطنة ونباهة ملحوظتين وأنه فاجأ الجميع بمقدرته الفائقة على الحفظ والاستيعاب استيعاب ما يلقى إليه من علوم اللغة والأدب والدين والتاريخ.

وقد حدثنا أكثر من مرة أنه كان وهو في السابعة أو ما قارب ذلك يحفظ المقطوعة المؤلفة من خمسة أبيات لدى سماعها مرة واحدة، ولسوف نراه يشير إلى ذلك في شعره، ويدل به فيما بعد:

وحافظة تلم بما يعيه	سماعي أو يمثل في عياني
تمر بكل ما تصفي إليه	فتدفعه إلى كنز اختزان
تقر فرائد الكلمات فيها	قرار خمور عانة في الدنان

على أن ما قرأ في حافظته كان: الثقافة العربية التقليدية بدءا بالقرآن الكريم وكتب الحديث الشريف، والفقه، ونهج البلاغة، وصولا إلى علوم اللغة العربية وآدابها وخاصة دواوين الشعر القديم، والأمهات من مصادر الأدب كالأغاني، والبيان والتبيين، والكامل ويتمية الدهر والأمالى والعقد الفريد وسواها من كتب التراث.

ولو رحلنا نتأمل رفوف مكتبته لوجدنا نسخا متعددة للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وكتباً في السيرة والتاريخ والفلسفة والتصوف، وكثيرا ما يجد المرء حواشي مكتوبة بخط يده على هوامش الكتب تتضمن فكرة أو تعليقا على فكرة أو اقتراحا أو تصويبا لرأي من الآراء.

وأذكر جيدا أنه كان معجبا بعدد من شخصيات التراث العربي، هذا الإعجاب الذي ينم عن شخصيته هو أيضا وطبيعته الفكرية والنفسية، من هذه الشخصيات على سبيل المثال: الفرزدق، أبو نواس، وأبو تمام، وابن الرومي، والشريف الرضي، والمتنبي (الذي كان يحفظ ديوانه عن ظهر قلب) وأبو العلاء المعري من الشعراء.. ثم الجاحظ وابن المقفع والشريف المرتضى وديع الزمان الهمداني من الكتاب، وكذلك ابن سينا والفارابي ومجموعة إخوان الصفاء من الفلاسفة^(١).

(١) لعلنا نحاول وضع اليد على الخصائص الموجودة لدى هذه الشخصيات والتي دفعته إلى الإعجاب بها، وهي كما نرى: القوة والجزالة (الفرزدق)، ٢. الإبداع والميل إلى التجديد (أبو تمام)، ٣. الطموح غير المحدود (المتنبي)، ٤. النقد والتساؤل (المعري)، ٥. التأمل العقلي والروحي (منظومة الفلاسفة).

على أن الظاهرة التي أحب التوقف عندها قليلا هي تمردة على المدرسة، وانفكاكه منها في وقت جد مبكر، فلقد ذكرت سابقا أنه نشأ يحمل نفسا متآبيةً شديدة المراس، شديدة التعلق بالحرية والولع بها مما يشكل أرضية صالحة لفهمه، بيد أني لم أعرف بالتحديد طبيعة الظروف العائلية الدقيقة أو الملابسات الخاصة والمباشرة التي دفعت بالشاعر وهو فتى للانفكاك من المدرسة وهو لما يتجاوز المرحلة الابتدائية..

هل لأن المدرسة قيد ونظام مفروض من خارج؟ وهو الذي لا يطبق القيود.. أم لأسباب عائلية؟ أم مادية؟ أم غير ذلك..

لا أدري، ما أدريه أن الشاعر الفتى الذي ترك المدرسة الرسمية صغيرا كان قد اختار المدرسة الأكثر صعوبة -مدرسة الحياة- ولعله لم يأسف أبدا على تركه السبيل الذي كان سيؤدي به إلى الوظيفة بل لعله اختار طريقه الأكثر انسجاما مع نفسه والأكثر تعبيرا عن حريته.

ومع ذلك فقد وضعه هذا الموقف الذي اتخذه صغيرا أمام امتحان عسير، وهو أن يثبت لنفسه ولمن حوله -وأقول لنفسه أولا- أنه لم يترك المدرسة عن ضعف أو عجز عن التعلم والتحصيل فمضى يتعلم على نفسه، وينكب على المطالعة والتحصيل الدؤوب، متقنا ما يقبل عليه من علوم اللغة وفنونها.

ولقد أخبرنا أنه كان وهو فتى في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة يصطحب كتبه وأوراقه ويقصد إحدى الغابات المجاورة حيث تنتشر القباب والمعابد، وينابيع الماء العذب، قلت: يقصد أحد هذه الأماكن مصطحبا زاده وكتبه، فينفرد بنفسه منذ الضحى يلم الضياء آخر أشعته، ولست أقصد هنا مجرد الإشارة إلى عملية التحصيل الذاتي وإنما أحببت التنويه بالخلوة والميل إلى التأمل الهادئ أي إلى مواجهة النفس ومحاورتها بعيدا عن سطوة المؤثرات الخارجية.

ومع أن الشاعر يذكر باعتزاز كبير عددا من الأعلام المعاصرين الذين قرأ عليهم وأفاد من علمهم إفاذة مباشرة، فإنني أعتقد اعتقادا قويا أن شخصيته المتآبية، والشديدة المراس إنما تأتت لها هذه الشدة من استقلاليته المبكرة ومن تفتحها بمعزل عن السلطات الفوقية وعوامل الكبح، ابتداء من سلطة الأب الذي تحول بغيابه إلى حلم لا عامل قهر فوقه -كما هو المألوف- ومرورا بسلطة المدرسة بما هي نظام وانصياع للأوامر والواجبات وصولا إلى سلطة الوظيفة، إذ هو لم يخضع لسيطرة الوظيفة مع أنه جرب ذلك مرة، وعرض عليه أكثر من مرة..

وربما كان من المفيد أن نذكر أنه لم يخضع حتى للسلطة العسكرية، فهو لم ينخرط في سلك الجيش، لكونه وحيدا لأبويه، وهكذا واجه الحياة منذ نعومة أظفاره طليقا كالنسر في فضائه فنشأ مستقل الرأي معتدا بذاته، شديد الولع بالحرية شديد الرفض للقيود التي تفرض على الإنسان من الخارج.

بيد أن هذه النشأة المتحررة التي أتاحت لوعي الشاعر أن ينمو ويتشكل بمنجاة ضد عوامل الكبح والتقييد كما منحته قوة في الشخصية وحصانة طويلة الأمد ضد العنف والتنازل

والاستسلام، وقدرة عجيبة على التصدي والمصاولة والوقوف منفردا في وجه أعتى التحديات، أقول: هذه النشأة التي هيات له هذا كله سوف تعرضه فيما بعد لأشكال من خيبة الأمل بعد أن يكبر وتعمق تجربته ويواجه مظاهر الحصار الخارجي بكل أشكالها وألوانها.

بواكير شعره:

مهما يكن من أمر فإن هذه المرحلة التي شهدت تفتح وعي الشاعر لذاته وللواقع من حوله واكتشاف العلاقات التي تحكم العالم الخارجي، والعلاقات التي تربطه هو إلى هذا العالم ويبدو أن بواكر شاعريته الأولى قد ظهرت في مستهل هذه المرحلة على شيء من الحذر في البداية، ولكن على قدر لا بأس به من الأصالة والطبع.

ومع أن مخطوطات الشاعر التي في حوزتنا لا تضم بين دفتيها كثيرا من آثار تلك المرحلة بل لا تكاد تحوي منها إلا القليل فإننا نراه يشير فيما بعد إلى موهبته المبكرة ويدل بها إدلالا شديدا:

سعت إلى شواردها وليدا	أذلها وما فُت الثماني
وما سيان من شمس عليه	ومن ألقته إليه بالعنان
نظمت الشعر مفضورا عليه	وزاول منه غيري بالمران
مواهب من ذكاء ما استعانت	على ما أحرزته بمستعان
فمن يك من هشيم الناس يجنى	فإني من حياض الله جان

حياته الاجتماعية:

في مطلع هذه المرحلة وبالضبط في عام ١٩٣٠ تم زواج الشاعر الأول من السيدة سكيمة الحامد وسوف نرى أن والدها الشيخ الفاضل محمد الحامد والذي كان قاضيا في المحكمة المذهبية في جبلة ثم في طرطوس من الشخصيات الهامة التي كان لها عميق الصلة بالشاعر، إذ كان يجله كثيرا ويثق به ويمحضه المودة والولاء^(١) وقد توجه إليه في حياته بمجموعة من القصائد كما أنه رثاه بعد وفاته بقصيدة من أهم قصائده في حين لا نراه يرثي أيا من أعماله على الرغم من العلاقة الوطيدة التي كانت تربطه بعدد منهم.

المهم أن الأقدار كانت للشاعر بالمرصاد، فلقد تصدت له غب زواجه وهو الوحيد الذي لا إخوة له ولا عصبة، فعصفت بأبنائه من زواجه الأول فقد كانوا يموتون فور ولادتهم لأسباب لم يكن يعرفها الطب في تلك الأيام، وهكذا مرت سنوات عشر ثم خمس بعدها على زواجه الأول ولم يسلم للشاعر أيما طفل..

لم تستطع الزوجة الفاضلة الوادعة أن تمنحه الولد، ولم تكن تلك بالمشكلة الهينة في

(١) لاشك أن المناقب المثلث التي كان يتحلى بها الشيخ الحامد، من عفة وصفاء وصدق وجراة ونزاهة وراء هذه العلاقة، ذلك أن شخصيته لاقت هوى في نفس الشاعر لانطباقها على ما يسمو إليه في الإنسان من قيم ومواصفات.

ذلك الزمن، فالأعناق تتطاول والعيون تشرئب نحو من لا نسل له، يطمع فيه الطامعون، ويشمت به الشامتون، ومع أن الشاعر في قرارة نفسه كان يرى أن قيمة الإنسان في الجوهر الإنساني الكامل فيه وليس في كثرة حرثه ونسله، إلا أن شماتة الأعداء وألسنتهم قاسية، وهذا دفعه إلى الزواج من جديد^(١).

ومرة ثانية تأخر عنه الحظ في الأبناء حتى العام ١٩٥١م حيث رزق بمولودته الأولى (سلوى) ورزق بالثانية بعد عامين، ثم كان عليه أن ينتظر حتى أواسط العام ١٩٥٨م ليرزق بأول مولود ذكر، ولسوء الحظ توفي بعد عامين من ولادته بعد جهاد عنيف لإنقاذه دون جدوى، كل هذا كان يتلقاه الشاعر بقلب المؤمن الصابر على الشدائد، ويجلد الفارس الذي لا يابه بالأرزاء، ولا أستطيع القول أن كل ذلك قد مردون أن يخلف شيئاً من المرارة من أعماق الشاعر بل أقول إن تراكم المرارة كان يقابله عند الشاعر المزيد من التسامي والصعود على مدارج التنفس والروح والوجدان.

بيد أن الحظ لم يخذل الشاعر بإطلاق وإنما شرع يهادنه فقد رزق ابتداء من أواسط العام ١٩٦٠م بأربعة من الذكور تباعاً قرت بهم عينه وإن كان القدر لم يمهله كثيراً ليراهم شبانا ويفرح بهم، المهم أن هذه المرحلة التي قلت إنها المرحلة الأكثر خصوبة في حياة الشاعر، فيها تفتحت وازدهرت موهبته الشعرية، وفيها بلغ طموحه وقدرته على الصراع الذروة، وفيها أيضاً سجل الشاعر أهم مواقفه الوطنية والفكرية والإنسانية، كما خاض أهم المعارك الأدبية والدينية، خاضها بحماس سنراه ينكمش إلى حد ملموس في المرحلة التالية.

ذلك هو الشاعر في هذه المرحلة طموح وغلاب وارتطام ومواجهة، وحزن وتسام ورغبات خائبة، لا تنطفئ رغم كل شيء وارتقاء بالذات عبر الحريق الذي يكشف عن الجوهر حسب رأي الشاعر نفسه:

تنفي الشدائد عنا كل شائبة
كم هذب الجمر من تبر وعقيان
ولكن عوادي الزمن أسلمت الشاعر إلى شيء من التعب، تعب ينكره القلب واليدان ولكنه في الحقيقة موجود وموغل في العمل ذلك أن توالي الضربات يفل حد السيف القاطع، هل أقول إن تثلج شفرتي السيف هنا ما هو إلا الإحباط المقدس للإنسان في مواجهته للظروف العاتية التي يسمونها الأقدار، والإحباط هنا ليس ضعفاً، إذ منذ الأزل والإنسان يواجه هذه الأقدار فتغلبه، ولا تقاس قيمته بانتصاره أو هزيمته وإنما بأشواط النضال التي خاض غمارها، وبدرجة صموده أمام الهجمات وعدم استسلامه لها.

(١) من ابنة عمه الشيخ ديب ديب الخير السيدة فاطمة الخير التي هي أم الكاتبة الدكتورة سلوى الخير ابنة الشاعر رحمه الله تعالى.



آل البيت في شعر الشيخ الخير

هناك ذاكرة عامة تحتزن القيم المطلقة، وتحتضن الشعور الجمعي لبني البشر في أي ديار ولسان ولون، وهي تتمحور حول (بشر مصطفىين) هم الذين دعوناهم (البشر الإلهيين) يجسدون بهم وبما صاغ الناس حولهم توق الإنسانية القديم والدائم إلى الخلود، أي إلى الحياة الكاملة التي لا يدركها الموت، بهم تكون أو تجسد الحلم الباطني الكبير في الإنسان الذي لا يموت والموت هي الحادثة الأعماق أثرا والأبعد صدى في تاريخ الإنسانية، هو الأرهب، الدائم الذي لا مفر منه، يذهب بالأعزاء والأحباب، ويدمر الأمر، ويقطع مسيرة الحياة بأفراحها ومواجهها ويضع حدا للطموح والاجتهاد والكد.

فاستبطنت الإنسانية حلم البشر الخالدين الذين يقهرون الموت ويتغلبون عليه، واستمرت بعد ذلك في شكل أكثر نضجا وأعانها الوحي على ذلك فمنذ أيام نوح، وجلجامش، حتى السيد المسيح والحسين الشهيد، ومنذ تجليات الآلهة الهنود بصور بشرية تامة، يعترىها النقص والكمال في المهابهاراتا، والأبونشادات الهندية، إلى الطقوس البراهمية والبوذية، إلى الظهور الكبير في بوذا تتجلى مظاهر القدرة الإلهية، على أيدي بشر خالدين أو مصطفىين، حياتهم البشرية حياة عادية، وعلاقتهم بالله علاقة عليا، فما كان الإنسان يستطيع التصور أنه يمكن أن يواجه الإله مباشرة أو يتحدث إليه أو يصمد أمام الأنوار الإلهية، إذن فلا بد من صلة بينهما تكون الواسطة في النقل والتلقي وتكون بأمر الله، حاملة سر الحياة الخالدة التي من مزايها قهر الموت، فهي تحتزن في داخلها أسرار الموت والحياة ويواطن الأسرار في الكون والتكوين، فليست في درجة المخلوقين من البشر، وليست في راقب الألوهة، وإنما لها وجهها المتجه إلى الخالق والمتجه إلى المخلوقات.. ودائما في التوراة والأنجيل، يتكلم الإله من أفواه بشرية، وما يراه الرائي من العجز والضعف إنما هو في الحقيقة قدرة مطلقة وإنما ظهرت ليكتمل تمثيلها للجانب البشرية، ويبقى سموها ممثلا للجانب الإلهي.

ذلك هو الحلم المستبطن في لا شعور الجماعات الإنسانية، وجاءت الأديان السماوية فيما بعد لتوافق على ذلك إيماءً ورمزاً، أو مباشرة بقول القرآن الكريم عن السيد المسيح: (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وأمثال هذا كثير خاضة في التوراة والأنجيل مما يأتي ملبياً لحلم التوق الإنساني إلى حياة لا تغلق بالموت وإلى نعيم لا ينقضي.

وجاء آل البيت الطاهر تجسيدا لهذا الحلم، فكان موقف الرسول والوحي منهم، وكانت سيرة حياتهم النادرة بالفضائل التي ترتقي إلى مرتبة المعجزة مما عزز تمسك أنصارهم بهم، فإن الكبرياء المنيع، والإيمان العميق الراسخ الذي واجهوا به الظلم وطمانينتهم الكبيرة وغير المحدودة إلى نتيجة الصراع الدائر بينهم وبين أعدائهم، والإيمان المطلق الذي يبثونه فيمن حولهم من الأنصار والمحبين، ينتقل منهم إليهم إذا حكم ظالم سفاح كافر مع محافظتهم الكاملة على مزايا الخلق الإلهي، كل ذلك كان يضيف على شيعتهم عالما من القوة والصبر والقدرة على المواجهة بالإيمان والمعرفة، عالم كبير ثري لا يدركه الوهن، وقناعة كاملة بأن ما يجري أمامهم من تصرف الأئمة ليس وليد طاقة بشرية عادية بل بشرية عليا، طاقة تسمو فوق من قدرة البشر، تختار مواجهة الشر والظلم بسلاح الإيمان مع الإيحاء لتابعيهم أنهم قادرون على الانتصار والتأثر من الظلم غير أن الحكمة الإلهية تقتضي ذلك لأمر يريده الله..

وهكذا تحول آل البيت من قادة إلى أهداف ومثل، أصبحوا غاية لذاتهم وأصبح حبهم عبادة، وولأولهم عبادة ومعادة خصوصهم عبادة وفي الحديث: النظر إلى وجه علي عبادة، وليس بين الخلود وبين المؤمن إلا أن يتوجه إليهم بالمحبة والولاء ومن الطبيعي أن يكون هذا الولاء موجها إلى نهجهم وسلوكهم ومبادئهم كما لأشخاصهم، فهم تجسد الإرادة الإلهية في الخير والفضيلة وما قالوه فعن الله ورسوله أخذوه، وكلامهم لا يعتريه الخطأ أو النقص لأنه الكلام المعصوم ولأن الله سبحانه قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).

وبناء على ذلك فإن الجنة التي وعد بها المتقون من البشر، أي موطن الحياة التي لا يدركها الموت، ليست جنة ملذات ومتع مادية يتناول فيها المؤمنون الخمر والمأكّل الشهية، ويمارسون الجنس واللذات الجسدية مع حوريات خالداً معدّات لهذا الغرض، فالاعتقاد بمثل هذا إنما هو دليل على سطحية وسذاجة في فهم الدين روحا وألبابا وجواهر، لأن الخلود لا يصح أن يحرز بأجساد بشرية قابلة للفساد، إنما هو خلود الروح والقيم والمعاني العليا، والجنة هي جنة ملذات روحية عارية عن الجسد ومبرأة منه، وبالتالي مبرأة من شهواته ونقائصه..

إنها جنة المعرفة والهداية والنور تفتح فيها الأبواب أمام العقل البشري ليسمو ويتصل بأنوار الله، وليكتشف الرياض والمراح البهية الماتعة من التأمل في خلق الله وأصناف قدرته، وعظمة لطفه ورحمته تلك هي الجنة الحقيقية.

هؤلاء البشر الأخيار لهم أمثلة في اعتقادات جميع الأمم، بصور عديدة وأمثلة مختلفة في جميع العصور والأزمنة وأن الإنسان يعتقد -كما أسلفنا- أنه لا قدرة له فلا بد من أشخاص يحوزون مراتب الكمال، ويكونون الطريق والوسيلة والغاية التي تصعد إليها أمانى الناس، وتأتي منها توجيهات الإله وأوامره ونواهيه وحين تتفق مذاهب أو آراء الإنسانية جمعاء على معنى محدد، فلا بد أن يكون هذا الاتفاق نابعاً من إحدى حقيقتين لا ثالث لهما: فإما أن

يكون ذلك حاجة إنسانية خالدة ومستمرة وأبدية لا غنى لحياة الناس عنها، كحاجة الجسد البشري إلى الماء والغذاء، وإما أن يكون تجسيدا للترتيب الإلهي في بني البشر وصورة حكمته وإرادته مفروضة على الناس كما هي مفروضة فكرة الإله الواحد الخالق المدبر للكون، والمتصرف بالأقدار والمشينة.

والحقيقتان واحدة في المجال الأخير لأن الله سبحانه لن يهين أذهان الناس جميعا لتقبل هذه الفكرة وفهمها، لولا أن إرادته وحكمته اقتضتها.. وذلك عن طريق الأنبياء والرسل، والأشخاص الذين وهبهم العصمة في القول والفعل، فالله سبحانه عالم يخلقه يعرف حاجات الناس، ومصالحهم وما ينفعهم أو يضرهم.

وإن تعرض آل البيت لأصعب المظالم الإنسانية ووقوفهم منها موقف المؤمن الصابر الراضي بقضاء الله وقدرته إيماناً يبلغ حد العصمة، إنهم بالتالي يعلموننا طرق السلوك، وحقائق العبادات وبيعثون في مناصريهم وأتباعهم طاقة من الصبر والإيمان كبيرة.

ابتدأوا مع محمد وصحابته الذين تعرضوا لبطش وأذى قريش واستمروا ويستمرون مع آل البيت منذ يومهم إلى يوم الحشر، يمثلون الإنسانية المصطفاة ويقابلون الظلم الذي لا مثيل له بثبات على العقيدة ثابتاً لا حد له.

من هنا جاءت علاقة الناس بآل البيت علاقة الأرواح بالروح والقيم بالقيم، وهي علاقة تستعصي على الزوال، لأنها من مكونات الخلود أخذت فالخلود إنما هو خلود القيم لا خلود الأجساد، والبقاء لله الحي ثم البقاء فيه للإنسان الإلهي الحي بالله، البقاء للحياة وليس للموت.. ولأن تذهب الأشياء والناس والأزمنة، وتبقى محبتهم هي الثمرة التي تتغذى منها الإنسانية والماء النмир الذي تنهل منه، والضوء الذي تسير على هديه، وتبترى الإنسانية على فضائلهم جيلاً بعد جيل.

هذه المعاني تشتمل جميعاً في شعر شاعرنا، مقطعاً مقطعاً ففي شعره تتضح المعاني التي تحيا به أو يحيا بها، انقطاع لآل البيت عن عداهم، ومحبة لهم لا يشاركهم فيها أحد، وإيمان مطلق بقيمتهم ومثلهم العليا، ورفض للفكر الذي ناصبهم العدا، ومن الواضح أن كمال الحب لا يتأتى إلا مع كمال الرفض، وهنا تبرز مقدرة الشاعر الكبيرة على التحدث عن الشيء الواحد بمئات الصيغ، وبدون ركاقة ولا تكرار، وإبراز الصورة الواحدة بمئات الأشكال فوحداية المعنى والهدف تكاد توحى للقارئ بضيق المجال، ولكنها انعكست عند شاعرنا مجالا غنيا رحبا واتساعا متراميا وقدرة على توضيح المعنى وتقديره بصورة متعددة وأساليب مختلفة، وصيغ لفظية مستقلة، تكشف عن رحابة الفكر واتساع الثقافة، وهو في الأغلب يلتزم في شعره عن آل البيت كالمعري ثلاثة حروف في الروي والثقافية مما يزيد الصعوبة صعوبة..

هذا بالإضافة إلى أنه يميل هنا إلى المقطوعات القصيرة ويبتعد عن المطولات:

بني المصطفى لا كنت إن لم تكن لكم
ولا حفظت نفسي حديثاً إذا خلا
شرائف حبي والكرائم من لفظي
حديث هواكم من لساني ومن حظي



إذا القلب ولى وجهه شطر حبكم
وإن شاقه معنى الولاء مجرداً
فثم لعمر الله أهدي الطرائق
رأى كل شيء غير شائق
غدا بشهيد من هواكم وسائق



بني المصطفى يا فوز كل مكلف
ويا خيبة القالي بكم ولو اتقى
بحبل متين من هواكم تمسكا
وصام وصلى عمره وتنسكا

وهو يستحضر سيرة أهل البيت، حتى لتشكل لديه نمطا فريدا من المشاهدة، ويكفي أن تستغرق البصيرة في متعة المشاهدة ليصبح الكلام كله مندرجا ضمن نصاعة شاملة.. أو ترجمة لما تراه عين البصيرة في حالة التجلي، أو في مواجهة التجلي فتحشد عناصر الانفعال من الحنين والألم، والوحشة والفرح والأمل والاعتداد والمكابرة، وتدفعها باتجاه الروح الكلية بنفس متسامية على الألم مستهينة بالصعاب:

إذا شد ظهري ذو الفقار تهاونت
متجاوزة واقع ما هو كائن، إلى لقاء ما يجب أن يكون، حيث يبدو وكأنه مفروض بالضرورة يقول ماركس: إن ما يعتبر ضروريا، يتألف بكامله من صرخة محضة وإن ما يدعى بالصدفة إنما هو الشكل الذي تستتروا به الضرورة.

وآل البيت الطاهر عند محمد حمدان الخير، بالإضافة إلى كونهم الاختيار الطوعي للقصيدة فهم إلى ذلك الضرورة الكونية، التي تلتقي عندها طموحات الإنسانية وأحلامها، بل هم الذروة العليا والوحيدة لكل بلوغ إنساني ممكن، وإذا كانت الحاجة قد دعت إلى إقامة البراهين على ذلك فهذا دليل على قصور الإنسانية على الدخول إلى عالم القيم، إذ كان من الأولى أن يكون ارتباط الناس بآل البيت ارتباطا طوعيا عاما شاملا، لا يحتاج إلى الألفاظ اللغوية كي تتولى توضيحه، ولا إلى المنطق كي يقيم البرهان على صحته، ولكن نظرا لهذا القصور، وإلى ضعف القابلية والخصوبة عند المتلقي، تبقى مثل هذه الأشياء - كما يقول ابن سينا: في حاجة إلى شكل تغلف به، ويبقى الحديث عن آل البيت ضروريا ولازم الإعادة والتكرار، وهو يحمل في داخله قوانين تجده، لأن آل البيت في نظر شاعرنا هم التراث الإنسانية الأكثر تمسكا في حضوره، وهو الأفضل صياغة لذاكرة الفرد المندغمة في ذاكرة الجماعة، في عناصرها الذاتية والعامة:

يا أول الخلق من نور ومن بشر
أنتم من الله نور مدّه فنما
والله ليس له نعت ولا صفة
ولم يكن قبلهم عرش ولا ماء
فكان للكون إيجاد وإنماء
أنتم نعوت وأوصاف وأسماء

والعلم إن لم يكن عنكم فحامله
أمنت أن الهدى الآتي ولاؤكم
كل الزمان لمن يهواكم فرج
هوهم في القلوب الأهلات به
شريت كوثره علأ على نهل
سلكت نهج هدى ما فيه من عوج
بهيمة من سوام الأرض عجماء
في كل وجه ولي منه سيماء
فما تجاور أهل الحب غماء
نعماء ما غيرها والله نعماء
فأين مني بعد اليوم إظماء
وضل غيري إذ استهوته يهماء

وهو عندما يتحدث عنهم، أو على الأصح يتحدث إليهم، فإنه يعتبرهم القوى الإنسانية الكبرى، أقرب بني الإنسان إلى السماع من روح الله، أقرب الوسائل إليه، أوضح الطرق أرجح الموازين في حساب الآخرة، فيمتلئ شعره بمثل هذه الطمأنينة من التصافي واللقاء والمحبة، خلجات روحية خالصة، هي نوع من تتابع خطوات الروح في الجسد أي متابعة تحول العناصر في الذات من المحسوس إلى المجرد..

يقول ليسنغ: الوحي تربية للجنس البشري، ويقول الأب بولس نويّا: المعرفة المطلقة التي يمثلها الدين أو العلم المطلق، مارا بجميع المراحل التي تفتتت فيها الوحدة الجوهرية الأولى، وراح العقل البشري يخلق حضارات حظها من الكمال بقدر بعدها أو قربها من الوحدة بين الأنا الذات للذات والذات للغير، أو الوعي الذاتي - للذات والوعي الذاتي للعالم.

ويقول أدونيس: الوحي تأسيس للزمن والتاريخ في آن، وهو بداية الزمن والتاريخ، وهو لذلك ليس زمنا ماضيا بل هو الزمان كله، الأمس والآن والغد، والآن والغد لا يكشفان عما يتجاوز الوحي بل إنهما على العكس يشهدان له، الآن لحظة تذكير وكذلك الغد فليس المستقبل بعد اكتشاف بل بعد حفظ واستعادة، وليس عامل تغيير بل عامل تدبير.

وشاعرنا يرى في أهل البيت الطاهريين الوحي لا بمعنى المكان فقط، ولكن بمعنى الاستيعاب والفهم والحفظ والإيمان التام، فإذا أحس أن الزمن بدأ يفلت من يده وينزلق من بين أصابعه يتجه إلى آل البيت ليجد عندهم على الدوام إمكانية ولوج زمن مثالي خالد لا يدور ولا يفنى في لحظات من الوجد الصافي، ينفلت عبره من استلاب الزمان والمكان:

كل الزمان لمن يهواكم فرج
فما تجاوز أهل الحب غماء

وعندما تستعيد ذاكرته فصولا من سيرة آل البيت، وملامح من حياتهم فإنما يريد أن توقف الزمن عندهم، فلا يتقدمهم ولا يتخلف عنهم، لأنها إذ ذاك تمتلك شروط الديمومة، فكل تذكر هو رمز وللرمز دائما خاصية نفي الزمن، لأنه يخوض في معان، لا ترتبط بأية علاقة زمينة:

بني الزهراء يا خير البرايا
أليس بما يؤديه لسانی
ويا أبناء مولانا الأثير
غنيت بمدحكم في الليل أحيي
شهيد بالولاء على الضمير
دجاء عن التهجد والسمير

ومن عرف العيون ولم يردها	فقد ألوى عن الماء النмир
سأتي الله يوم غد بقلب	سليم بالولاء لكم عمير
❖ ❖ ❖	
إذا لم يجد قلبي بحبي لكم غنى	وتعزية عن كل شيء فقد عصا
عليكم بني عيسى كنيسة دينه	وأنتم لموسى النار واليد والعصا
❖ ❖ ❖	
بني المصطفى ما الفوز إلا بحبكم	ولا غيره زلفى تفيد ولا قرى
إذا شهد المرء اثنتين فحسبه	من الدين إخلاص المودة في القرى
❖ ❖ ❖	
أرى أن خير النسك ما كان خافيا	وليس بسجع الحلق في الحلقات
وليس التقى صنع الشفاء ولا الهدى	بما للرياء المحض من ومضات
وما قيمة التقوى إذا لم يكن لها	فؤاد بصير في دجى الشبهات
وما حسنات الجسم قام أو انحنى	تعادل ما للقلب من حسنات

ومع أن الموضوع واحد لا يتعدد فإن الكلام فيه يستمد دائما إيقاعه ونضارته من الرغبة المتجددة في اكتشاف معايير جديدة للحديث عن آل البيت وهو يجدد الكلام عنهم، يوطد إيمانه بقضايا الوجود والخير المشع، دائما في شعر محمد حمدان الخير عن آل البيت عاطفة -غير مهادنة أحيانا- تمحور الدلالات كلها، ثقافة وتاريخية ودينية، حول مركز الوهج الرسول الكريم وآل بيته، فتتسع دائرة المفردات اللغوية، في تركيز شديد على كثافة الصورة، ووحداية الفكرة، ليسكب الشعر في إيقاع وجداني متسق، نسمع فيه صوت الشاعر الداخلي يعبر عن نفسه بإعادة خلق الأشياء والحياة، والاستطراد في تجربة تنظيمها في وحدة شعرية متألفة.

بمحبتهم يستعذب الأثم، وتتحول الأوجاع إلى دنيا من البرء والصحة، وتسود الراحة

والسعادة:

يا آل أحمد لا رآني الله من	سقمي بوجدني في هواكم أبرأ
يا صفوة الباري ويا خلصاءه	مما برا خلقا ومما يبرأ
الله يمحو السيئات بحبكم	وبه العذاب عن المضطرب يدرا
❖ ❖ ❖	
ونحن في العرق إن كنا بني رحم	فإنها من قديم العهد جذماء
تشابهت صور منا وأمزجة	أما النفوس فشهباء ودهماء
تبين الرشد وامتاز الذين عموا	والحب والبغض إبصار وإعماء
❖ ❖ ❖	

يَرْجَى لِيَوْمَ فِي الْمَعَادِ عَصِيبُ	تَمْسُكُ بِحُبِّ الْمُرْتَضَى فَهُوَ خَيْرُ مَا
مَعِينٌ وَرِيحٌ بِالْهِنَاءِ خَصِيبُ	وَمَاوَى إِلَى حَصْنِ حَصِينٍ وَمُورِدُ
❖ ❖ ❖	
فِي اللَّهِ مَنْجَاةٌ لَطَالِبُهُ	يَا آلَ بَيْتِ الْمُصْطَفَى حَبْكُمُ
بِالرَّسْلِ وَالْإِلَهَامِ إِلَّا بِهِ	لَا يَنْفَعُ الْأَنْفُسَ إِيْمَانُهَا
❖ ❖ ❖	
مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ عَيْنٍ شَرِبُ	لَا يَرُدُّ الْكَوْثَرَ مَنْ لَمْ يَكُنْ
يُضِيءُ مِنْ سُلْسَالِهَا الْمُنْسَرِبُ	فَطُفَّ عَلَى قَلْبِي بِهَا إِنَّهُ

وهو دائما ينطلق بلا تقليد أي من استقلالية تامة في خصوصية لغته وتجربته وفردية طبعه، ونظرتيه إلى الحياة والأشياء والتاريخ:

أخذت بمدحكم ما إن شأني عليه الحميري ولا الكميث
ودائما يقوم بضم الفكرة المبعثرة بعضها إلى بعض، وهو يسقط ذلك أحيانا على مثاله، على إنسانه المجروح بماضيه وأحلامه والمحاصر بانكسار البيئة والمجتمع فيه إنسانه الفرد المنسحب من رعية المجتمع وتسطحه ولا جدواه، إلى رحابة الإنسان، ليوصل التفتيش عن الذات ووعيتها إزاء العالم.

وأعيت على الماضي روائع آت	فرائد لم يأت الكميث بمثلها
لأجرى دموع العين بالعبرات	بنات قواف لو رآهن دعبل
ومال مواليه مهور بناتي	وأنف إلا من خزائن حيدر
وتكبو الفحول الصيد في حلباتي	تزل الوعول العصم دون مشارفي
ترف جميعا حوله وثبات	خيال بأفاق المعاني محلق
إلى المرتضى أدبت منه زكاتي	بيان غنني الفيض يزكيه أنني
ورياه من أنفاسه العطررات	فهذا المعين العذب من غاديته
على ذي لعاب أسحم القطرات	يصوب كماء المزن يقطر لؤلؤاً
بما حملت من مغرم فقراتي	إذا شد ظهري ذو الفقار تهاونت

❖ ❖ ❖	
بالنائبات ولم يشك العقابيل	لم يحفل القلب إذ حياه حبكم
إلا وأرسلتهم طيرا أبابيل	ولا عزاء من الأرزاء أبرهة
❖ ❖ ❖	

يوم المعاد بنيل الفوز من أمل	لولا ولاية أهل البيت لم يك لي
لما تقبل للإنسان من عمل	لكنها عمل لولا القيام به

لقد طالما كان، في حياته وفي شعره يتابع بحرص شديد الابتعاد عن تفكير العامة، بقدر ما يحاول التقاط الضمير الداخلي لهم، والتعبير عنه ولكن هذا لم يكسبه إبرام صلح معهم، فظل في عالمه يصوغ الأشياء والحكمة وفق منهجه الأخلاقي ذي الصيغة الاعتراضية، وهي على أية حال ليست تطويراً أو تنويعاً لموقف إيديولوجي بل ثبات على أزلية تاريخية ربما -بنظره- لا تقبل المناقشة، فالقول في آل البيت يبدو هاجساً مقيماً، والقصائد: مقطوعات ومنتف وقصائد، تتابع إحساساً محدداً بين الملامح يستلهم فكرته المستقلة التي تستمد من الرسول وآل بيته المعنى والدلالة.

وهذا يولد في النفس الشاعرة على مدى الاحتكاك بأشخاص من وزن آل البيت عوالم رمزية تتلج عتبات الروح لتوقظ في أقاصيها المنسية، أنساقاً لا شعورية باطنة تضيء على شخصية الشاعر بكاملها نوعاً من الاستقرار النفسي يريحه في واقعه المعاش وفي آفاقه البعيدة. يقول ميكافيللي: من يتنكر للواقع، سعيّاً وراء ما ينبغي أن يقع لا يتعلم سوى تدمير نفسه مثل هذا الكلام يتناقض تماماً مع مثل ما وصل إليه شاعرنا فقد أسبغ عليه انقطاعه لآل البيت طمأنينة طالما افتقدها في هذا العالم الظالم، وأعطاه قناعة راسخة بأن ما يلقاه هنا من منغصات وما يحفل به هذا العالم من تهافت، وتمزق قيم، ليس إلا وهما وغيمة سريعة الزوال، أما ما يجب أن يكون فهو الخالد.

إنه حصّن نفسه بهذا التفكير، وحماها من الوقوع في تفاهة المثل المبتذلة، المتداولة، فلم يدمر نفسه وإنما بناها إن شعره في آل البيت يطرد باكتشافات جديدة ولولا هذه الاكتشافات لما استطاع المتابعة وهذه تشكل في القصيدة، عبر حساسية دائمة التألق والوهج، حالة مسيطرة من الرضى لم تعرفها فترات حنقة وضيقة في المجتمع.

القصيدة هنا ليست كيمياء لغوية، وليست ألعوبة تركيب لفظي بل هي قوانين المشاهدة حيث المشاهدة ليست مجرد انطباع بصري بل حيز انفعالي مترامي الأطراف. وحين تتوطد المشاهدة تعمل الذاكرة على استقدام الصور الحميمة في تداع عاطفي سخي، يشبه ارجاعات الحنين، وباختصار: فإن جدلية الوطن الخارجي الذي يحيط بالشاعر والصراع في أعماقه بما يستوحي ويتلقى بين ذات تواقفة إلى المثل العليا وبين واقع، قاس، جاف، يصعب تحويله أو تجاوزه كما تستحيل مهاندته وما ينتج عن ذلك من الشعور بتصدع الحلم تصدعا يعلن عن نفسه بأشكال من الصيغ اللغوية، متطرفة أحياناً، معتدلة أحياناً أخرى، جعل من شعره بآل البيت ملاذاً ومستراحاً بل خميلة ندية تأوي إليها الأعصاب المرهقة.

إن كل ما ينفر منه شاعرنا وجده مفقوداً من عالم آل البيت، وكل النقيض يتوق إليه ألفاه موجوداً لديهم فهناك الراحة لمن أضناه التعب، وهناك العدل لمن أغنته الظلم والثروة لمن عضه الفقر، والصدق والحق والخير لمن أوجعته الخسة والدناءة والمكر وهناك القوة لمن روعه الطفيان والأمل لمن أرهقته الخيبة:

إذا شد ظهري ذو الفقار تهاوتت بما حملت ممن مغرم فقراتي
ولم يكن تطلع محمد حمدان الخير إلى الصلة مع آل البيت نوعاً من الهوس الصوفي
المعروف والذي قد ينحدر إلى ضرب من الهلوسة تميع داخلها الأشياء، وتضيق الشخصية وإنما
هو نوع من الوجد الواعي المدروس المتزن ثابت النظرة دقيقها مفعم بالثقة في حصانة الاتجاه
الذي يرتقي فيه.

إنه في القليل النادر يلجأ إلى البرهنة على صحة الحقائق التي يعتقدونها أما في الأعم
الغالب فهو يقدم أحكامه دون برهنة وكأنه رأى أن البديهيات لا يبرهن عليها أو رأى كما قال
المتنبي:

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل
لأن هذه الحقائق مدعومة بالفطرة، ولا يؤدي الخوض في جدال حولها إلا إلى التقليل من
بيانها وظهورها.

من أرسيت الموسم

مساجلة أدبية

ذكرى الشباب

أرسل الشاعر الشيخ هذه القصيدة إلى أحد أصفياائه المخلصين وهو الولي الطاهر الشيخ
محمد سليمان معلماً مواساة بعددج أنه أصيب بإحدى عينيه:

وانكر الدوح أنغامي والحناني ^(١)	بان الشباب والوى ظلله الحاني
صبح المشيب فلم اشعر ببريعان ^(٢)	وراع ليل شبابي قبل ميعته
متى تبدلت إشراقاً بإدجان ^(٣)	سل الدجون التي طاف الشروق بها
مر الليالي فهل يبقى على الواني ^(٤)	أودى بما كان من عزم ومن مرج
أقضي حيناً فليت الشيب أنساني ^(٥)	ملاوة من شباب حين اذكرها
إلى حجور من النعمى واحضان	أويت من طيب رباها وبهجتها
بالحسن ساحرة بالدل مفتان ^(٦)	بأن الشباب وجنت كل غانية
ولا يصيب فؤادي فاتر ران ^(٧)	أصبحت لا الثغر يسبيني بلؤلؤه

(١) بان بعد ورحل. الوى: مال وذهب. انكر: جهل ونسي.

(٢) راع: أخاف وأفزع. ميعة الشباب: أوله أو ذروته.

(٣) الدجون: الظلمات والمقصود الشعر الأسود. والشروق: يقصد المشيب فهو أبيض كضوء الشروق، وفي النسخة التي لدينا ورد البيت التالي كما يلي:

وما تمنيت إسفاراً بإدجان

سل الدجون متى أسفرت مشرقة

(٤) أودى بما كان: ذهب به: الواني: الضعيف القليل.

(٥) الملاوة: الفسحة من الدهر.

(٦) الدل الدلال: التفنن والتلوي. المفتان: الفاتنة.

(٧) الفاتر الراني: كناية عن العيون الجميلة.

خبا بقلبي لهيب الحب من لهب
جنان ربك ما زفت خرائدها
لم يطمع الخلق بالفردوس خالقهم
لله عهدي بجنات النعيم فكم
يا طارق الهم كم أزعجت من ثمل
أين الهوى ومنى للنفس رغبة
سلافة لم يكن سلطان سورتها
أيام كنت مع الندمان واسطة
أدمنت ما شئت إلا أنسي رجل
ويشهد الله لم يستهوني أرح

في خد حسناء يغري باللظى قان^(١)
للشيب لكنها نهب لشبان^(٢)
إلا بحور غريرات وولدان^(٣)
نعمن ممن طهر أهوائي بجنان^(٤)
بالطيبات ندي الكأس نشوان^(٥)
عمن لحاني على ترك ابنه الحان^(٦)
يطفى علي ولا يعنو لسلطان^(٧)
لعقدهم ويح سماري وندماني^(٨)
ما كان للإثم أو في الإثم إدماني
هبت رياحينه في غير بستان^(٩)



أضعنت عن ساحة الخمسين راحلتي
قل للشباب الذي كفته بدمي
وما ذممت الصبا مني إلى كبر
قربت لله ما انفقت من عمري
من لي بحاد عنيف السير يحفزني
جاذبه رسنا ما انقاد مارنه

وخذا فهل يبلغ الستين إضعاني^(١٠)
هذا المشيب يعد اليوم أكفاني
كلا زمانيهما في الطيب سيان
وطاب منه بحمد الله قرياني
نحو الفناء بعيد الخطو عجلان
وكم لوى الدهر أعناقنا بأرسان^(١١)



أما القوافي فما هانت شوراها
سوائر همها قطع الزمان فما
لم يخلق الدهر من آيات جدتها

مدى خيالي ولا همت بعصيان^(١٢)
وقضن منه على عصر ولا آن
ولا مشى بالبلى فما الجديدان^(١٣)

(١) القاني: شديد الحمرة.

(٢) الخرائد: ج خريدة وهي البكر لم تمس قط.

(٣) الحور الغريرات: الصبايا الجميلات صغيرات السن.

(٤) الجنان: من يتمهد الحديثة بالرعايا والقطاف.

(٥) طارق الهم: كناية عن المشيب ربما.

(٦) لحا: لام وعاب. ابنة الحان: الخمرة.

(٧) يطفى: يجاور الحد. يعنو: يرضخ.

(٨) واسطة: أهم حبات العقد وانفسها.

(٩) الأرح: الرائحة الطيبة.

(١٠) أضعنت: سيرت. رحلت. الوخذ: الجري: السريع وفي نسختنا ورد الشطر الأول من البيت (تحملت عن مدى الخمسين راحلتي).

(١١) المارن: طرف الأتف.

(١٢) لم يخلق، لم يبل. الجديدان: الليل والنهار.

لبسارح لبق بالسحر فنان
إيطاء طي ولا إقواء ذبيان^(١)
عيوبه بين الفاظ وأوزان^(٢)
عاد ويسحب ذيلاً نحو سحبان^(٣)
حسن تحلت بأصباغ وأدهان



غير التعلقة من مطلر وليان^(٤)
سُحماً من الطير تزقو فوق أفنان^(٥)
ساحاته من لثام العرق عبدان
ولا تسد الطوى آساد خفان^(٦)
من الطغام بأشباه وأقران^(٧)
غيظاً بضحكة إغضاء وإهوان
مني على رغبتي عنها وغنياني
على مقادير الباب وأذهان
فما أعابت بساهي الفكر وسنان^(٨)
فقيم تعجم بالأنياب صفواني^(٩)



أرزاؤه بأحبائي وإخواني^(١٠)
يفشاهم فوق ما بي منه، يفشاني
يهد مني فلم تحفله أركاني^(١١)
كخامة الزرع أو أعواد مران

روائع السحر تلقى من أعنتها
صحائح لم يشب يوماً فرائدها
ولا تجملن بالتجديد بادية
فكم يغير على الفصحى بعجمته
إن الوجوه إذا أعى ملامحها

لنا مع الدهر حق لا وفاء له
أسف عن غصنه الغريد حين رأى
غابت عن المسرح الأحرار وامتلات
حتام تشكو ضباغ القاع تخمتها
علوت عن خلق الأيام وافتترت
تسومني الهون أيامي وأوسعها
ليست بأقوى على منعي رغائبها
أف لها، فهي لم تقسم معائشها
كم اندرنتني بالأهوال عاصفة
أعيت عليها قناتي أن تلين لها

مالي وللدهر لا تنفك مولعة
ليت البلاء الذي في كل آونة
ويح النوائب كم ترمي بما زعمت
تميلنا الريح هونا إذ تمر بنا

(١) وطأ الشعر: كرر القافية فيه لفظاً ومعنى وهي لغة استعملتها طي وطي قبيلة عربية منها حاتم الطائي. أقوى الشعر:

خالف قوافيه برفع بيت وجر آخر، وهي لغة استعملتها ذبيان، وذبيان قبيلة عربية فيها النابغة الذبياني.

(٢) التجديد: الشعر الحديث.

(٣) المعجمة: عدم الإقصاص في الكلام. سحبان: هو سحبان بن وائل يضرب به المثل في الخطابة والفصاحة.

(٤) المطل: المماطلة. لوى ليا وليانا امره: طواه وأخفاه.

(٥) أسف الطائر: نزل إلى الأرض. السحم: السود.

(٦) الطوى: الجوع. التخمة: وجع سببه كثرة الطعام.

(٧) الطغام: أوغاد الناس.

(٨) أهابت: صاحت واندرت. ساهي الفكر: الغافل. الوسنان: كثير النعاس.

(٩) أعيت عليها: أعجزتها. لبصفوان: الصخر الأملس يقول أنها عبتا تحاول عض الصخر بأنيابها.

(١٠) الأرزاء: المصائب ونوائب الدهر.

(١١) لم تحفله أركاني: لم اهتم ولم أكثرث به.

يا أوثق الناس في نفسي وأخلصهم
أوهى الخطوب فؤادي ما استكان لها
«والله ما طول مكثي عنك من ملل
ولا تغير قلبي عن مودته
عهد من الحب والتقوى وصلت به
عهد ببنياه من حب الوصي على
والله يشهد أنني جد مكتئب
لا الحرف في كبدي تخبو لواعجه
فأعجب لنضو أسي من عبرة وجوى
أخشى لقاءك لا أقوى عليه ولا
وكيف تشهد عيني هول نائبة
أحن للرؤية الولهى وأحذر أن
آمنت بالضر يغشى المتقين ولا

لي أتباعا من الحسنى بإحسان
لكن خطيباً به فوجئت أوهاني^(١)
ولا تبدلت من وصل بهجران^(٢)
ولا صبا عنك إنساني لإنسان^(٣)
محمداً بامتداد من سليمان^(٤)
تقوى لقد بورك المبني والباني
مسهد الطرف ملتاع الجوى عان^(٥)
ولا جفا مستهل الدمع أجفاني^(٦)
مدفع بين أمواه ونيران^(٧)
أبغى سواه لأنت النازح الداني^(٨)
أودى صداه بسمعي حين وافاني^(٩)
يطغى علي بما يؤذك تحناني
يغبهم إنه عنوان إيماني^(١٠)



نحن الألى لا نرى الدنيا لنا خطراً
نلابس الحس إلا أن أنفسنا
نسمو إليه بأبصار وأفئدة
وما نبالي إذا صحت بصائرنا
تنفي الشدائد عنا كل شائبة
والخير فيما قضاه الله من قدر
لم يوهب الخلد إلا معشر أخذوا

ولا يشق علينا الرزء بالفاني^(١١)
مطوفات بأفق العالم الثاني
ورب أعمى له قلب وعينان
أن لا نعافى بأجسام وأبدان
كم هذب الجمر من تبر وعقيان^(١٢)
يدعو إلى رحمة منه ورضوان
من صبر أيوب أو من حكم لقمان

(١) أوهى: اضعف أو عيى.

(٢) البيت لمنتجب الدين العاني.

(٣) صبا: رغب ومال. الإنسان: الأولى سواد العين. والثانية: أحد الناس.

(٤) محمد: هو الشيخ محمد سليمان معلل صالح وسليمان: والده.

(٥) مسهد الطرف: قليل النوم. الجوى: شدة الوجد من الحزن. عان: مهموم مقهور.

(٦) اللواعج: ج لاعج: الهوى المحرق. جفا: فارق. مستهل: منسكب ومنهمر.

(٧) نضو أسي: متعب مهزول من شدة الحزن. الأمواه: الدموع والنيران: حر الفؤاد وحرقة.

(٨) النازح الداني: البعيد في المكان القريب في القلب والذاكرة.

(٩) أدى به: ذهب به: اتلفه.

(١٠) يغبهم: ينقطع عنهم.

(١١) الرزء: المصاب. الفاني: كل ما يفنى من مال أو جسد.

(١٢) هذب صفى ونقى من الشوائب. التبر والعقيان: الذهب.

وزلزلوا بالأذى ليست بمجان
بلا مهور من البلوى واثمان
شفا هموم وآلام وأحزان
ثهلان لا اضطربت أركان ثهلان^(١)
من البلايا بأنواع والوان
بالمرأو شرق بالضر غصان
منها الأمانى عن أكتاف كوفان^(٢)
راح من الحب أجلوها وريحان^(٣)
من اليقين بنعمى الحب عزاني
رزقا تنكب عنه كل حرمان^(٤)
إلا وللحب أوطاري وأوطاني^(٥)
من الأذى ما قضاء الله بالجاني
يدعو إلى رحمة منه ورضوان
على الذي أنا عنه راغب غان^(٦)
إلا كفاف الطوى او ري ظمان^(٧)
لكان صيد الفرا منها بإمكاني^(٨)
ترخيم صوتي ولا تهديل أرداني^(٩)
تبغي الفرائس في أزياء رهبان^(١٠)
ومن مسوح وجبات وأذقان^(١١)

ودار عدن أعدت لألى فتنوا
والحور والعين ما زفت لخاطبها
ولم يزل حزب خير الأوصياء على
ولو أحب أبا السبطين حيدرة
فاهناً بحبك إن الحب مختبر
ما كان حلو الهوى إلا لمختنق
عزائم ما شكت وهناً ولا انصرفت
إذا الخطوب أمت بي نجوت إلى
ما مسني الضر إلا طاف بي أمل
من كان حب أمير المؤمنين له
وما تغريت في دنياي عن وطن
تجني النفوس عليها ما يلهم بها
والخير فيما قضاه الله من قدر
غنيت عن زخرف الدنيا فما حزني
وما تمنيت من نعمى غضارتها
ولو سعت إليها أبتغي قنصا
ولم يكن لو طلبت المال يعجزني
ويل السوام من الذؤبان سارحة
الناصبين شبك الغي من عمم



أعلنت أذكى أوار الداء إعلاني^(١٢)

أسر في النفس همأ لا يغب ولو

(١) ثهلان: اسم جبل يضرب به المثل.

(٢) كوفان: الكوفة أو المنطقة التي فيها النجف ومشهد الإمام علي.

(٣) أجلو الخطوب: أذهبها وأزِيلها. راح الحب وريحانه: نشوته وعطره والمقصود حب أهل البيت عليهم السلام.

(٤) تنكب: مال وتنحى.

(٥) الأوطان: الغايات والأهداف.

(٦) راغب عنه وغان: كاره له مستغن عنه.

(٧) كفاف الطوى: ما يسد الجوع ولا يزيد. غضارة الدنيا: سعتها وخصبها.

(٨) الفرا: الشيء العجيب.

(٩) الأردن: جمع ردن: وهو طرف الكم الواسع.

(١٠) السوام: يقصد عامة الناس وجهالهم. رهبان: يقصد رجال الدين عامة.

(١١) العمم: ج عمامة وهي ما يلف على الرأس. المسوح: ح كساء من شعر يلبس دلالة على التقشف والزهد. وفي

النسخة التي عندنا ورد البيت على الشكل التالي: الناصبين لدنياهم حبال من عمامم وعباءات وأذقان

(١٢) لا يغب: لا ينتهي. أذكى: أجج. الأوار: اللهب.

كم زفرة من أسى في القلب أقذفها
أذعنت للمنكر الهدار مرتقباً
ولو نزلت إلى الجلى لأقعدنني
وعارف أنا بالداء الدوي فإن
أمعنت في الأمر أرجيه وأعجله
لعل في الغيب ما تشفي بوارقه

يا للبلاء لشعب أمره بدد
تدعو إلى الدين في آفاقنا فئة
من كل ساع بزور القول منطلق
تنازعوا واستحال الدين بينهم
جنى عليهم جرئ غير ذي سد
ولو أراد صلاحاً في مشورته
قالوا: هجونا فقلنا ذاك شأنهم
في أحمد بن علي والأولى درجوا
وليس يزري بعبد القيس أن نسبت
قولوا فلسستم على شيء وإن أذنت

تحية وبنفسي أنت ذا سقم
هل في يدي سوى دمع أكفكه
وناغم غرد في الله ما سجعت
ومنهل من بيان عز موره
ينهل برداً على الأكباد كوثره
فيض من الواهب المنان طاف على
ومن يكن عنده إلا لحيدرة
أنا المحب وكم لي في مودته
إذا سلمتم لنفسي في نوازعها

خوف العدى بسمه من سن جدلان
نجوى صلاح فلم أفلح بإذعاني
عن سبقهم أنه في غير ميداني^(١)
عالجته سَفَه الجهال عرفاني
فأثر الصبر بعد الصبر إمعاني
أو لا فإن سحابي جد هتان^(٢)

لا حكم فيه لدين أو لإيمان
لا عهد فيها لذي رشد بديان
بالإفك سبابة في الغيب طعان
شتى مذاهب لم تخلق وأديان
والله أدري بعقبى ذلك الجاني
ذو الرأي ما ند عن منهاجه اثنان
من قبل مع كل عالي القدر والشاق
على هداه عزاء لابن حمدان
من العدو إلى كسرى بن ساسان
لكم رعاع وأتباع بأذان

لو مر طيفي به في النزع حياني^(٣)
ولاعج في حنايا أضلعي آن^(٤)
بلايلي منه إلا فوق أفناني
نيلا على حائم من غير إخواني
وكم تعهد من أحشاء حران^(٥)
قلب بحب أمير النحل ريان
وزن لعمرك لم يرجح بميزان
من آية تثبت الدعوى وبرهان
بني المعلى فإنى ناعم هاني^(٦)

(١) الجلى: الأمر العظيم.

(٢) الهتان: المطر.

(٣) ذا سقم: مريض. النزع: حالة المريض المشرف على الموت.

(٤) اللاعج: الهوى المحرق. آن: بطيء متمهل وفي نسختنا (ارقرقه) بدلا من أكفكه.

(٥) تعهد: تفقد ورعى. الحران: شديد العطش.

(٦) البيتان الأخيران من نسختنا.

* هذا المقطع منقول عن نسختنا الخطية «الموسم».

يا شاعر المرتضى

قصيدة الولي الورع الشيخ محمد سليمان معلى (قرية المكسة - جبلة)

جوابا على قصيدة الأستاذ الخير رحمهما الله:

بي مثل ما بك من وجد وتحنان
يزيد بي الهم أنا بعد آونة
وما أسيت على شيء رزئت به
أشكو إليك الندى يطفى على جلدي
ولو تمكنت منه ما رضيت به
ولوعة وتباريح وأحزان
ويوهن العظم مني حين يغشاني
إلا على نأي أحبابي وإخواني
وما تناءيت عن داري وأوطاني
ولا تعرضت عن وصل بهجران



إن الذي خلق الأرواح عرّفها
فما تعارف منها كان مؤتلفا
وكان ما بيننا إذ ذاك معرفة
والهفة الروح كم مرت على بدن
وكم أناخت على ريع وكم رحلت
وكم لها من حنين غير منقطع
بالحب والحب بين الناس روحاني
في عالم الروح قبل الهيكل الفاني
روحية وكلانا في الهوى عان
وكم لها في الثرى رمس لجثمان
إلى سواه وكم طافت ببلدان
إلى منازلها في روض رضوان



هات اسقني خمرة صهباء صافية
وغن ما شئت في حب الوصي على
سلمان من فارس نيطت أواصره
وينت كسرى ابنها فخر العلى وبه
من خمرة عصرت من كرم قينان
دين الحسين الخصيبي ابن جنان
لأحمد، وكفى فخرا لسلمان
يعتز في مجده كسرى بن ساسان



يا شاعر المرتضى هات النشيد فقد
لك الزواهر من زهر النهى ولها
مدحت آل رسول الله في درر
قصائد كنمير الماء رائقة
أوانس من بنات الحب حالية
عواطر لو جرى منها الشذا سحرا
تلك القوافي اللواتي كلهن سنا
يسعى بها الشرف السامي على قلم
إذا جرى الحبر من أنبويه رشفت
فندد به عن حياض الحق واقض به
هيجت لي فرط أشواقى وأحزاني
ثغر ضحك وجفن غير وسنان
تزري بدرويا قوت ومرجان
يحيا بها كل محرور وظمآن
من الجمال ومن روح وريحان
على الورود لأجرى دمعها القاني
يسرقن في حلل من صنع فنان
امضى من السيف في كف بن حمدان
منه الصحائف رشف الشارب الهاتي
حق الأئمة من علم وعرفان

وامدح فهم فوق وصف الواصفين علا
وغن ما شئت في أوصافهم فهم
وسر بمدح أمير المؤمنين على
واسلك سبيلا به غراء واضحة
ولا تقل قد مضى من بيننا نفر
فإنما نحن إخوان ويجمعنا
وإن ألح على العدوان ذو إحن
وقل سلاما وكن بالله معتصما
فسمني وادعني في كل نائبة
وخلني ويقىني في «أبي حسن»
أمنت بالحب إن الحب منهله
إن مت فيه شهيدا أودنا أجلي
أنا الذي هام من فرط الغرام به
ولي بحب أمير النحل معتصم
أويت منه إلى ركن أشد به
وكل من هام في هذا الهوى شغفا
والله يعلم نجوى كل خافية
والحب في الله فرض من يقوم به
ولو جرى الحب في أخلاقنا ازدهرت
والحب للعلم زهر والنهي ثمر

وشأنهم في العلى من فوق كيوان
نور الهدى سر انجيل وقرآن
نهج من الحب يهدي كل حيران
يسعى بها سعي إخلاص وإيمان
ابقوا كوامن أحقاد وأضغان
حب الوصي إلى أكناف كوفان
فصل به كل معروف وإحسان
وغن ما شئت قول السيد العاني:
بمسلم ويهودي ونصراني
فليس شأنك في حكم الهوى شاني
عذب فواكبدي الحرى لهتان
فليشهد الوجد أن الحب أدناني
بين الأنعام وعين الله ترعاني
وجنة من أذى الأنسي والجان
ظهري ويثقل يوم الحشر منيراني
فإنه من أحبائي وإخواني
وعنده كل إسرار وإعلان
ينجيه يوم غد من حر نيران
كالزهر ما بين أوراق وأغصان
يجنيهما من جنى من جنتي دان



والهفتاه على شعب تمزقه
هووا به من ذرى العلياء وانحدروا
ما كان أهواه لو أرسى دعائمه
ما كان أحلاه لو كانت عمائمهم

أيدي الضغائن من شيب وشبان
إلى حضيض من الشحناء ملآن
على رواسي النهي من فوق أركان
أشد بالوصل من مرصوص بنيان



يا شعب دع كل حقد وامش متحدا
ووحده الصف فالتوحيد مذهبا
هات اليد اليوم تنهض من مراقبنا
وطربنا في العلى فالمجد طائره
فقد تجافت جنوب عن مضاجعها

على طهارة أخلاق ووجدان
وطهر الصدر من غل وأدران
فلا حياة لشعب غير يقظان
يعلو إلى كل علوي ونوراني
وأومض البرق بين الطلح والبان

في السير وارفق بأشياخ وولدان
راياته فوق أعلام وتيجان
ومالك وأبى ذروهمدان
ومن بني المجد من أبناء عدنان
أعلامها فوق أمجاد وشجعان
أهل الولاية من قاص ومن دان
موصولة وصل إيمان بإيمان
ظلماً ويوصل حبل اللص والجاني
من الشيوخ ولا زجر لطفيان
تمحي خطاياهم في نذر وقران
ومن يد الشيخ يعطى كل غفران
إن لم ينل بأذله غير خسران
أمام قاض عظيم الملك ديان
ولا جنيت على صحتي وجيراني
بلحن صوت لذيذ الوقع رثان
بغيا وكم ضاع معروف وإحساني
عانيت من وقع أضراس وأسنان
لم يستقم بين تحريك واسكان
وكم كوى الدهر من قصر وسلطان
وللمنية يسعى كل إنسان
ما كان يعمل من عرف وعدوان

يا حادي الركب مهلاً لا على عجل
واقصد بنا علم الحب الذي خفقت
ورفرت فوق عمار جوانحها
وفوق كندة والأبطال من مضر
وأشرق في حمى الأنصار رافعة
وأيد الله بالنصر المبين لها
ومد ما بينهم قريى أوأصرها
فما لها اليوم بعد الوصل قد قطعت
تطفئ المناكر لا نهى ولا ورع
وكلما جاءهم جان بمنكرة
كان بالديك تمحي كل سيئة
ما أطيع الديك في تلك البطون غدا
وا خجلة الشيخ من ديك يخاصمه
يقول: ما جئته يوماً بمنكرة
وكننت أعلن أوقات الصلاة لهم
وقد أحل دمى ظلماً ومزقني
وجئت يا رب أشكو ما لقيت وما
وا خجلة المرء في اليوم العصيب إذا
لم يعصم القصر رب الجيش معتصماً
وما الحياة للإنسان بدائمة
ويسأل المرء عن أعماله ويرى

مختارات من شعر الشيخ محمد حمدان الخير

أبا الحسين

نفحات روح القلم على لسان الحب

ويا جد الأئمة من حسين
به للمرء لو شهد اثنتين
يضيء العرش قبل النيرين^(١)
ولايته علينا فرض عين

أبا الحسنين من زهراء طه
ويا من حبه لا دين إلا
ولبي الله كان لديه نورا
أحب العالمين إليه فرض

واقضاهم واصلح ذات بين
علي المرتضى ذو النبعتين^(١)
رييب الوحي راقي المنكبين
وأول من تولّى القبلتين
على يمينه سر القبضتين
بأكرم بيعة لقيت يدين
وسر الآي بين الدفتين
وخير المجلي في حنين
قتال الشرك حول الضفتين^(٢)
وليلة جد في هجرويين
وكاشف كل غمء ورين^(٣)
على الشرك الردى من شفرتين
ومنه غدا أوفي الله ديني
شفيع الجب بينكم وبينني^(٤)
أطالت مدتي أم حان حيني^(٥)
لقيت الله من فزع وأين^(٦)
ارجي منك إحدى الحسينين
وقرت منك بالمحبيب عيني^(٧)
فما هين عليه غدا بهين^(٨)
هنالك رينا أرنا للذين^(٩)

وأعلمهم وأزهدهم وأتقى
أمير المؤمنين أبو تراب
وصي المصطفى وأبو بنيه
أب وأخ ونفس وابن عم
قسيم النار ساقى الحوض وقف
ومولانا البايع يوم خم
وياب العلم علام الخفايا
وسيف الله في أحد ويدر
وكافي المؤمنين بقتل عمرو
وفادي أحمد إذ أخرجوه
وكتب ما إليه كان يوحى
وحامل ذي الفقار تصب منه
هواك ليشهد الثقلان ديني
يمحص لي كبائر سيئاتي
أبعد الحب في القريبى أبالي
أريح بحبكم رuchi إذا ما
وتعلم كنت في دور ابتلائي
قطابت منك بالمكروه نفسي
ومن يجد الإمامة في سواكم
ومن يتول مبعضكم يردد

التبليغ

أصاح ألم يبلغك تبليغ أحمد

عن الله أمرا وهو في الذكر بين

(١) ذو النبعتين: كريم الأصل للأم والأب.

(٢) عمرو: هو عمرو بن ود العامري الذي بارزه الإمام وصرعه في غزوة الخندق.

(٣) الرين: الشدة والغم.

(٤) يمحص: يمحو ويظهر.

(٥) حان حيني: جاء اجلي.

(٦) الأين: التعب والإعياء.

(٧) طابت نفسي بالمكروه: لمعرفتي أنني اختبرت فصبرت. وقرت عيني بالمحبيب يقصد الأولاد الذين رزق بهم بعد فترة طويلة من المعاناة.

(٨) هين: الأولى. ذل والثانية سهل.

(٩) الآية: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَأِ الْذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ» (فصلت: ٢٩).

غداة علا فوق الرجال وحوله
وقد أخذ الهادي بضبعي وصيه
ويغلظ في التبليغ والله دافع
دعاهم إلى خير الأمور فصدّهم
هنالك سر ليس يدرك كنهه
وأمر عظيم كل نفس رهينة
فمن حادّ عنه فهو لا شك تائه

أبا حسن

أبا حسن حتام فيكم من العدى
يريدون بالأفواه إطفاء نوركم
يسوؤهم كل الإساءة أنكم
وأي فؤاد في البرية حبكم

عزاء رسول الله

علام على بغض الوصي اتّفاقهم
وصي رسول الله وارث علمه
فتى كله فضل وسبق ورحمة
هل اعتز إيمان بغير نفاقه
مناقبه جلّت عن الحصر دونها
هو الجوهر الفرد البريئة ذاته
الم تسمعوا نص الكتاب بحمده
أما قال من والاه لا همّ واليه
وأقسم لا إيمان إلا بحبه
وتالله ما والى النبي وآله
فكم يظهر الإسلام خب منافق

جماهير فيها خائن وأمين
يعرف مولى للورى ويعين^(١)
له وهو فيما قبل ذلك لين
عن الخير شيطان غوي مزين
من الناس إلا الراشد المتبين
به وسواه عند ريك هين
ومن لم يمل عن نهجه فهو دين

نكابد أنواع الأذى ونعاني
ورب الورى يأبى سوى اللعاني
أجل وأبهى العالمين معاني
وحب ابن هند فيه يجتمعان

وسب الإمام المرتضى وحداده^(٢)
وحائط دين المصطفى وعماده
وعلم نضاد البحر قبل نضاده
وهل قام اسلام بغير جلاده^(٣)
كلال النهي والفكر بعد اجتهاده
من النقد فليخجل مريد انتقاده
وأمر النبي المصطفى بوداده
بخمّ ومن عاداه لا همّ عاداه^(٤)
ولا فوز للإنسان يوم معاده
محب ابن هند من صميم فؤاده
ويبطن شركاً راسخاً في اعتقاده^(٥)

(١) الضبع: العضد أو الإبط.

(٢) حاده: عاداه وغاضبه.

(٣) النفاق: الدفاق: نشر الطيب. الجلال: الصبر والقوة والصلابة.

(٤) لاهم: اللهم.

(٥) الخب: الخداع.

وإن امرأ إسلامه كان حيلة
عزاء رسول الله كم مرسل أتى
أتى قومه بالبينات فما اهتمدوا
لعمري لقد بلغت عن ربك الذي
فما أسلموا إلا حذارا من الظبي
هم غصبوا إرث البتول وأخروا
وهم خرجوا في يوم ذي قار واعتدوا
وهم قسطوا في يوم صفين واحتموا
وهم مرقوا في النهروان من الهدى
وهم أشرقوا بالسم سبطك غيلة
وهم أغضبوا أم الحسين وجده
فيا شد ما لاقى وصيك منهم
بني التيه من بغض الوصي تزودوا
ندين بحب المرتضى فتدينوا

ولايك السفينة

أميري ما الهدى إلا هواكم
فطرت على ولائك وهو ديني
رأيت مواكب السارين شتى
وما سيان من طلعت عليه
أرى سبعين من فرق أضاعت
ولايك السفينة من آتاها
ورأس الدين حبك عن يقين
وإن المبغض القالي لأولى
فما للصاحب أبي سعيد
وجابه بالعضيهة لم يلكها

لأجدر بعد المصطفى بارتداده
وجاهد في الخلاق حق جهاده
وأرشدهم فاستنكفوا عن رشاده
أمرت وأوضحت الهدى لعباده
وحبا بإنماء الغني وازدياده
عن الحق من قدمته لقياده
عليه فعضتهم طبأت حداده^(١)
بسوءاتهم من ذي الفقار المباده^(٢)
فكانوا كزرع جاء يوم حصاده
وسبوا أباه جهرة في بلاده
وخالقه من فوق سبع شداده
ويا طالما صدوه دون مراده
فسوف يجازي المرء من نوع زاده
بحب ابن هند وابنه وزاده

فكيف أكون من غي فروقا^(٣)
ولم أحرم به النسب العريقا
وأهل هواك أمثلهم طريقا
شموس هدى ومن شام البروقا^(٤)
سبيل رشادها إلا فريقا
نجا ومن استقل هوى غريقا^(٥)
وما أجد القلى إلا مروقا
من السبئي أن يصلى الحريقا
شجاه بنذي الفقار دم أريقا
لسان بل بالإيمان ريقا^(٦)

(١) الطبائ: ج ظلية: حد السيف.

(٢) المباده: المبادر المباحث.

(٣) الضروق: الفزع الجبان.

(٤) شام البروق: انتظر البرق ليستضيء به.

(٥) استقل: اتبع مكانا مرتفعا لينجو من الطوفان.

(٦) العضيهة: الزور والبهتان.

ولكن الدجى حسد الشروقا
به بيضاء توسعه بريقا^(١)
فما ألفتيت بينهما فروقا^(٢)
فلم أرهب لطارقة طروقا^(٣)

قديمًا وقبلكم ما خلق
وإن كنتم بشرًا من علق
ولا صبح هذا الوجود أنفلق
مريد سرى فهده الألق
قلبي سادة العالمين أنفلق
بحبل ولايتكم ما علق

على الجوانح منها النور يتهمل
وإنما حمل الندمان ما حملوا
لم يعرف الصحو إلا شارب ثمل
لا يحفلون إذا بين الورى خملوا
لم يزر بالجسم منه ثوبه السمل
فما له في صلاح أو هدى أمل
ومن عداه الهوى لم يجده العمل^(٤)
موسى وعيسى وطه دنها حملوا
في قصد مكة لا وخذ ولا رمل^(٥)
ياوي إليه وذود شارد همل^(٦)
يوم الطفوف جراح ليس تندمل
ما عندهم منه تفصيل ولا جمل

وما انسُ بناس يوم خم
تعامى عن بوارقه فطافت
تأملت الشراة ومغضيتكم
وكم زلزلت بالبأساء فيكم

حبل الولاية

براكم من النور خلاقكم
فأنتم مطالع أنواره
ولولاكم لم يكن كائن
وما عرف الله إلا بكم
ولا فتح الله صدرا على
ولا رضي الله من عامل

الكأس المروقة

شربت من حبكم كأسا مروقة
وعلني منه ساقيه على نهل
وهيا السكر لي من حبكم رشدا
إن الندامى إذا في حبكم نهبوا
من اكتست من برود الحب مهجته
لا يأمل الفوز من يصبو لغيركم
لولا ولايتكم لم يجدني عملي
بكأسها طاف نوح والخليل كما
ولم يكن لي لولا أنكم أربي
والناس ذود له من حبكم عطن
وفي فؤادي من يوم السقيف إلى
ويدعي العلم قوم بيد أنهم

(١) البيضاء: البرص. الأبيات إشارة إلى حادثة تاريخية معروفة.

(٢) الشراة: الخوارج.

(٣) الطارقة: المصيبة الداهية. الطروق: التتابع.

(٤) عداه: فاته.

(٥) الوخذ والرمل: الحري السريع والبطيء.

(٦) النود: جماعة الإبل. المعطن: مبرك الإبل.

موالاة

أقول ولائي للنبي وآله
حري بنيل الفوز يوم مآله

إذا قيل لي ماذا ادخرت إلى غد
وكل امرئ اصفاهم الود مخلصاً

متواليا أدعى

للمرء إن آل النبي توالى
عابوه في حبكم يتوالى
حتى يكون الصادع القوالاً^(١)
من دهر كالأحداث والأهوالاً
في الله لا تخشى عليه زوالاً^(٢)
لا تأس أن لا تجمع الأموال
إلا على قدر البلاغ نوالاً^(٣)
في سيرهم وصنيعه منوالاً
لا زلت تشكو البث والإعوالاً^(٤)
رمضان غير تحيتي شوالاً
في حب آل محمد طوالاً
ولي الرضا إن غير الأحوالاً^(٥)
عن طاعة قلب أحب فوالى

متواليا أدعى وأي غضاضة
عابوا اشتهاري بالهوى لا زال ما
لا يخلص القلب الولاية صامتا
لا تخش في حب النبي وآله
دع هم زائلة المتاع وخذ بما
وإذا رزقت كفاف عيش فاغبط
لم يخطب الأكياس من نعمائها
تخذوا أمير المؤمنين محجة
يا أيها الشاكي الحزين مع الهوى
أنا صائم دهرى وما حييت من
وقصرت عن نفل الصلاة ولم أزل
ما اخترت حالا غير ما يرضي الهوى
هيهات لم يعص الإله ولم يمل

طوبى لي

أجل بحب بني الزهراء طوبى لي
وغير غيري نعيم زائل بال
فما حلفت من الدنيا بإقبال
أبال بالحر من هم ولبال
وحاولوا الغض من هامات أجبالى^(٦)

وقائل لي طوبى قلت مغبطا
نجوت منه إلى نعيم مخلدة
وطاف بي منه إقبال تعهدني
وهب في مهجتي برد اليقين فلم
ويح الذين سعوا في خفض منزلتي

(١) الصادع: المتكلم جهاراً. وصدع: جهر.

(٢) زائلة المتاع: الدنيا.

(٣) الأكياس: جمع كيس. الفضل: البلاغ: ما يكفي من العيش ولا يفضل.

(٤) البث: الحزن الشديد. الإعوال: الفقر.

(٥) الهوى: حب آل بيت النبي (ص).

(٦) الأجبال: جمع جبل.

ما غرِبت في سبيل الدين غريالي
علي إفكا وزورا أي إسبال
ولا تحصن غير الصون سريالي^(١)
ولا اراق دما للسرب رثبالي
نفسى لعطف من الدنيا وإشبال^(٢)
صيда وإن عض ناب الجوع أشبالي^(٣)
جزيت طائل معروف بتنبال^(٤)
وقع النبال وأغضي غير نبال^(٥)
وهم خارجها ما عن في بالي^(٦)

يوم المعاد بنيل الفوز من أمل
لما تقبل للإنسان من عمل

به إنني على الفلك استويت
إلى كهف الولاية قد أويت
إذا ما الله يوم غد أتيت
وسيلته التي تنجي ابتغيت
إذا أنا للأعادي ما قلّيت
عليه الحميري ولا الكمي^(٧)
بها الأوهام عن نفسي نصّيت
وكم عين وردت فما ارتويت
وأنت لسروحي الله بيت
ومن يجنح لغيرك فهو ميت
مديحا في علاك فما عسيت

عابوا مصارحتي بالحق وانتقدوا
واسبلت من نسيج الحق السنهم
ويشهد الله ما قارفت فاحشة
ولا تخلص إبائي عن ترفعه
ولا تصيدت بالتقوى ولا ضرعت
ولا ذعرت سوام البید مبتغيا
ولا تعمدت بغض المؤمنين ولا
فكم أصافح من قومي ومن رحمي
كأس لعمر التقى نقيت داخلها

ولاية أهل البيت

لولا ولاية أهل البيت لم يك لي
لكنها عمل لولا القيام به

كهف الولاية

لك الحمد الذي يا رب ترضى
ومن سوء الصنيع وظلم نفسي
أقدمها ولي قلب سليم
وما جاهدت لكني إليه
وما أنا بالأمين على هواها
أخذت بمدحكم ما إن شأني
هواك هداية لا ريب فيها
أصبت بوردها ربا لقلبي
فأنت تغيب علم الله باب
وأشهد أن من والاك حي
جللت عن المديح فإن أحاول

(١) السريال: الثوب.

(٢) العطف: الميل. الإشبال: العطف والعمون.

(٣) ذعرت: أخفت وأهزعت. سوام البید: الماشية الراعية.

(٤) التنبال: القصير. والقصد: لا أهابل المعروف بأقل منه.

(٥) أغضي غير نبال: أي اسكت ولا أرميهم كما يفعلون.

(٦) ما عن في بالي: أي لا أهتم به ولا أكرث.

(٧) ما إن شأني: ما لم يسبقني، الكمي: السيد الحيري؛ شاعران معروفان بمدح آل بيت النبي عليهم السلام.

مناجاة

أمن سَقَمَ إلى همٍّ ملحٍ
أفر من الشماتة في نهاري
فإن أبلغ رضاك فوا هنائي
وإن خالفت ما ترضى بقلبي

إلى نكد يفيض لي حياتي
وأخلو بالكآبة في بياتي
بكل مقدر لي منك يأتي
فقلولي كله محض أفتيات

آل المصطفى

لا تيا سي يا نفس من رحمة الله
فحب آل المصطفى أحمد

ولا تخشي من السيئات
هون عندي كل ماضٍ وآت

حب آل البيت

دعاني حبكم فحزمت أمري
وما طوفت في الأفاق إلا
وهل أخشى الظما في القلب يوماً

عجولاً ليس لي بطء وريثٍ
ولي من قصدكم أينٍ وحيثٍ
ولي من حبكم سحب وغيثٍ

مناجاة الرضا

همٍّ وسَقَمٍ وأرزاءٍ متنوعة
ويح الكوارث كم ترمي بما زعمت
يسرني القول منهم يبتفون به
إن اليقين ويردا منه في كبدي

وجار سوء على حب الأذى مرثاً
يهد مني فما أوهى ولا كرتاً
مساءتي، حارث لم يجن ما حرثاً
بالحر من برحاء الهم ما اكترثاً

حبل المودة

ما خفت بعد ولائي آل حيدرة
ولم يغيب عن فؤادي حبه أبداً
عقدت عزمي بحبل من مودتهم

ضيقة ولا كربة إن ضمنني الحدث
كلا ولا راعه خطب ولا حدث
فلا قديم أذى يخشى ولا حدث

حزب الوصي

أدر علي من الذكرى سلافتها
وعلني علني حتى إذا أخذت
وطف بذكر أمير المؤمنين فما
زدني أزدك قبولاً ما لهجت به
هو الربيع الذي تحيا النفوس به
يا رب حسبي من نعماك أني من

فقد يضيء بها سري ويبتهج
مني بدا لك من لأنائها وهج
ترتاح إلا به الأكباد والمهج
إن المحب بذكرى حبه لهج
لا مرتع نضر أو منظر بهج
حزب الوصي وممن نهجه نهجوا

بيوت الهدى

أنتم بيوت الهدى يا آل فاطمة
لولاكم كان دين الحق ليس له
لم يشف برد الهوى أهل اليقين به
نور ونار سبيل الفوز بينهما
بشارك نفسي سيري غير واجفة

أهل اليقين

قالوا ليس لضرر مسه فرج
لي من يقيني وإيماني ومعرفتي
إن الألى زلزلوا من شدة واذى
سلمان جنبد عمار جويرية
ما اخلص العبد لله اليقين به

مهل الكافرين

ويح قوم ضلوا عناداً وحادوا
تركوا حب حيدر وأحبوا
أوسعوا المرتضى سباباً وسموا
وادعوا أنهم على دين طه

ومردوا على النفاق

أشكو إليك أبا السبطين من نذر
ومن قبيل عليكم بعده خرجوا
أولئك القوم وحى الله عرفهم

حبكم ذخري

يا من بهم أرجو بلوغ المنى
حبكم ذخري إذا عصبة

والمهتدون الألى أبوابها ولجوا
يوما ظهور على أرض ولا فلج^(١)
إلا إذا بالقللى أكبادهم ثلجوا
هذا يضيء وذا في القلب يعتلج^(٢)
فالنهج معتدل والصبح منبلج^(٣)

والضرر لو علموا علمي هو الفرج
في كل داجية ملمومة سرج^(٤)
هم الذين على نهج الهدى درجوا
صفر الأنامل من دنياهم خرجوا^(٥)
إلا تعهده من روحه أرح^(٦)

عن سبيل الرشاد والنور حيدا
نضرا أسلموا نضاقا وكيدا
حسننا والحسين قتلا وزيدا
مهل الكافرين أمهل رويدا

عن نهج أحمد لما أن قضى شردوا
ومعشر غير ورد المصطفى وردوا
على النفاق وأنواع الخنا مردوا

في هذه الدنيا وفي الآخرة
غدت سوى حلکم ذاخرة

(١) الفلج: الإشراف، الانبلاج.

(٢) يعتلج: يصطرع ويتلاطم.

(٣) واجفة: خائفة ومضطربة.

(٤) الداجية الملمومة: المظلمة الشديدة. السرج: ج سراج.

(٥) صفر الأنامل: فارغي الأيدي.

(٦) الأرح: الرائحة الطيبة الزكية والمقصود: إلا شمله الله برحمته ورضوانه.

الصراط المستقيم

هُدَيْتُ الصَّارِطَ الْمُسْتَقِيمَ بِحَبْكُم
أَمَنْتُ بِهِ لَمْ أَخْشَ ذَنْبًا أَتَيْتُهُ
وَأَيَقَنْتُ أَنِّي مُؤْمِنٌ مُتَبَصِّرٌ
وَأَن أَكْ أَقْصَرْتُ الْفُرُوضُ تَعَمُّدًا
رَأَيْتُ التَّقَى فَعَلَ الْقُلُوبَ وَلَيْسَ مَا

وغيري عنه ناكب الخطو نافرُ
وأيقنت أن الله للذنوب غافر
وأن ثوابي عند ربي وافر
فذاك لأنني في هواكم مسافر
تردده منا الهوى والمشافر

ولاية المرتضى

لجنة الفردوس قبل الرضا
إن لم يوال المرتضى حيدا
وكل إيمان وتقوى بلا

حكم على خاطبها واشتراط
فليس بالجائز حد الصراط
هواه عقد صائر لانفراط

خير الذخائر

وقالوا ألا تنفك تأتي جريرة
رويدك سار الناس للفوز في غد
ولم تدخر للحشر زادا من التقى
فقلت دعوني إنني غير جازع
ولاء النبي المصطفى وابن عمه

لك الله ما تخشى عقاب الجائر
وأنت مقيم بين لاه وسائر
ولم تخش من إلزام عنق بطائر^(١)
وربي أدري منكم بالسرائر
وسبطيه والزهراء خير الذخائر

شكوى

أبا حسن أشكو إليك نواظراً
تجاوزت ميدان الشباب ولم أدع
فرحماك للعظم الدقيق وبنية

تذيب فؤادي حين ترمقني شزراً
من العمر إلا الواهي الواني النزراً^(٢)
مصدعة أزرى بها الضعف ما أزرى^(٣)

الملك لله

لا تياسي من فرج فالدجى
واحتمسبي مر الأذى إنه
والملك لله وأحكامه

آخره ينجاب عن فجر
حلو بما يعقب من أجر
فيه بغير الحق لا تجري

(١) وكل إنسان الزمناه طائره في عنقه (سورة الإسراء الآية ١٣).

(٢) النزر: القليل.

(٣) أزرى: أوهن وأوهى.

مصيبة آل طه

أبا حسن إليك من الأعادي
إلام نسام فيكم من عداكم
لقد كانت مصيبة آل طه

من أنكر الحق

تا الله ما أذعن للمصطفى
ولا ارتضى شرعته من رأى

لولا ولاني

أشهد أنني لم أقم بالذي
لولا ولاني عترة المصطفى
لكنه أفضل أمربه

الوصي

عجبت لمن لا يرى في الوصي
وللقوم حال وفاة النبي
وحجتهم أنهم دوحة الـ

أمير المؤمنين

أمير المؤمنين علام عافوا
وحقك ما أصابوا الرشد لكن
فدعهم سوف تجزى كل نفس

الابتلاء

أبا حسن تكاد الأرض تسمي
إلام تزال أهل البغي تعلو
وتوسعا الأذى فيكم وتسمى

رعاية العهد ديني

يا عترة المصطفى يا آل فاطمة
أبعد كفري بالطاغوت أحذرهم
رعاية العهد ديني لا كمارقة
لولا التناسي لعهد الله من أنس

ومن تحريفهم للدين أبرأ
أذى لا نستطيع عليه صبرا
وشيعتهم بأهل البغي كبرى

من أنكر الحق بيوم الغدير
بإمرة الناس ابن هند جدير

كلفت من نضل ومن فرض
ما كان لي من عمل يرضي
قامت دعاة الله في الأرض

نصا مبينا أيخفى القمر
مشير لهم بخلاف أمر
رسول فأين أضاعوا الثمر

لباب الحق واتبعوا القشورا
تعاموا عنه فيما قيل شورى
بما عملته وارتقب النشورا

من الإيمان والإسلام قفرا
على أهل الهدى وتزيد وفرا
لتطفئ نوركم حسدا وكفرا

يا صفوة الله ما إن شابها دنس
أوسوسوا في صدور الناس أم خنسوا
أنساهم الله دين الحق حين نسوا
لما رأى برصاً في وجهه أنس

يا آل أحمد

مسافرُ أنا لكن في ولايتكم
ولست أخشى ضللاً ما نأى وطري
والحب في الله دين واصل قيم^(١)
وإن رمى بي في البيد الأماليس^(٢)
وغيره دين إدهان وتدليس^(٣)

آية أهل الحب

أبا حسن لا طيب الله مقولاً
حبستُ لساني في مديحك مثلما
فمن يك ضلّ القصد أو ضيع الهدى
قلوب الورى منها الندي بحبكم
أواهل بالإيمان تلك وهذه
واية أهل الحب بشرُ وجوههم
إذا لم يطهره بمدحك نابس^(٤)
على الحب قلبي والهوى أنا حابس
فإنني من واديك للنار قابس
وأكثرها من لفحة الكره يابس
بلاقع لا إيمان فيها بسابس^(٥)
وغيرهم كلح الوجوه عوابس

وما عند الله خير

أبا حسن أنتفع خارجياً
أليس منافقاً وعريق كفر
أبوا إلا قلائد وأي عين
وكم ود الخوارج لو أطاقوا
هم الفساق لا الآن استبانوا
لقد شمسوا على الهادي فتباً
فلا هدي الصواب الحي منهم

النور الممدود

نبينا المصطفى الهادي وعترته
حيا به الخلق إذ أنشاهم فهو
ومده فاستنار الكون وابتهجت
هواهم سريراً جاء الدعاة به
نور من الله قبل الخلق مخترع
قوم تعاموا وقوم بالسنا فرعوا
أحياؤه واستفاض الغيث والمرع
لولا لم يكتمل دين ولا شرع^(٦)

(١) التهجير: السفر في الهاجرة أي منتصف النهار الحار. التفليس: سفر الخُلس وهو آخر الليل.

(٢) البيد الأماليس: الصحارى الشاسعة المستوية.

(٣) واصل قيم: دائم ثابت قويم.

(٤) المقول: اللسان. النابس: القول.

(٥) الأواهل: المسكونة. البلاقع والبسابيس: الأرضي القفراء.

(٦) شرع: سواء.

ولم يكن آدم ابن الطين تاب ولا
دعوا إليه فويل للألى وقفوا
تفاوت الناس فضلا في إجابتهم
والناس ماء وطنين منهما خلقوا
وللمعارف أسرار خرائدها
وللولا حقول ما زكا عمل
ومورد شربه عل على نهل
فإن بليت بنهر فاغترف بيد
وأخسر الناس أهل العلم إن هجموا
وقد يفرك قوم بارعون إذا
قاسوا بأرائهم دين الهدى سفهاً
خاب الألى برداء الحب ما اشموا
وكلما قلت خف البغض سار على
يارب ما لي إلا حب حيدة
والشيء يلحقه بالشيء عنصره
والله خير نجدين العباد ولم
وما تزال قوى الظلماء بارزة

ذكرى الطف

يا بني الوحي يشهد الله أني
ذكر الطف لي فلا كان جنبي
أترى صدقت قريش أباكم
مهل الكافرين أمهل رويدا

عنت لنوح جبال الموج والترع
لم يستجيبوا وطوبى للألى هرعوا
كما تفاوت فيها البطء والسرع
وكلهم إن عصوا داعي الهوى شرع
ليست بغير الهوى في الله تفتزع^(١)
للمرء ليس له فيه مزدرع
لا يستباح وكأس رشفها جرع
لا تكرعن فما فاز الألى كرعوا^(٢)
على مدينته والباب ما قرعوا^(٣)
ما جادلوك وهم في باطل برعوا
وللضلالة ما قاسوا وما ذرعوا
عند اللقاء وبالإخلاص ما ادرعوا
غرار مارية وحشية ذرع^(٤)
وآله قُرب تُرجى ولا ذُرع^(٥)
أكان من وضع أم أصله ذرع^(٦)
يجبرهم بالذي اختاروه واقترعوا
لها مع النور منذ البدء مصطرع

ساهد الجفن واجد القلب واجع
ويح جنبي إن طاوعته المضاجع^(٧)
أم دواء الطبيب بالداء ناجع
كلهم آيب إلى الله راجع

(١) الخرائد: ج خريدة وهي البكر لم تمس. افتزع البكر: أزال بكارتها.

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة: «فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ...» (البقرة: ٢٤٩).

(٣) إشارة إلى الحديث الشريف (أنا مدينة العلم وعلي بابها).

(٤) المارية الوحشية: البقرة الوحشية.

(٥) والذرع: ولد البقرة الوحشية.

(٦) الوضع: البياض. الذرع: السود.

(٧) الطف: مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

خمرة الولاية

عليها النور من خمس وسبع^(١)
فإن هناك إخواني وريعي
فنبعك في الهداية غير نبعي
ولم يأخذ له الهادي بضبع
ومفطور على الإيمان طبعي

أدراها إنها في القلب يطفو
وأنى حل رعباً شاربوها
إلا يا من تلوم إليك عني
إمامك لم ينص عليه وحي
وقلبك أنت مطبوع عليه

سانحة

باسم الديانة أين الدين والورع
بالجمع من باطل أو زائل شرعوا
فرابنني منك هذا اللين والضرع
شرب اللذين اتقوا من مائة جرع
الآن أعلم أن النسك مزدرع

يا صاحب الثروة المجموع طائلها
تفتي الأنعام بشرع المرسلين فهل
ضرعت حبا بدنياههم ولنت لهم
ورحت تكرع بعد العلم من نهر
تستثمر النسك بين الناس تزرعه

دين المودة

من المهدي وابيضت عليه المضارق^(٢)
محابر باد صدقها ومهارق^(٣)
أناجيكم والليل بالنوم غارق^(٤)
أقضيته لا نسكا ولا أنا أرق^(٥)
سهادا فلا تعنوا له وأسارق^(٦)
وكم لي في الأثناء منهم طارق^(٧)
فلا غارب إلا ويتلوه شارق^(٨)
ولي من هواكم أكؤس وأبارق
فتنعهش أنقاؤه والأبأرق^(٩)

نشأت على دين المودة والهوى
وجاهدت ما جاهدت فيه وشاهدي
سلوا عني الأثناء كم بت قائما
فما أهنا الليل الطويل بمدحكم
يسارق عيني نومها وأسومها
أعطره بالطيب من نفحاتكم
إذا جن ليلي طاف بي منكم السنا
وحولي من النجوى نديم وسامر
أسرح قلبي في معالم حبكم

(١) خمرة الولاية: هي ذكر أحاديث ومآثر وافضل آل بيت النبي عليهم السلام، شبهها الشاعرة بالخمرة لما تتركه من نشوة في نفس المؤمن. خمس وسبع: المقصود الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

(٢) ابيضت المارق: أي شاب الشعر وهي كناية عن تقدم السن.

(٣) المارق: الصحائف.

(٤) أثناء الليل: أوقاته كلها.

(٥) الأرق: من ذهب عنه النوم.

(٦) السهاد: السهر.

(٧) الطارق: الضيف.

(٨) شبه سناهم بالشموس والأقمار لا يغيب أحدها حتى يشرق الآخر.

(٩) النقا والأبرق: اسما مكانين.

وقالوا غلا في حبههم فهو هالك
وما أنا بالغالي ولكن معاجز
وماذا يقول العقل فيكم ودونه
فأنتم سنا الأفلاك قبل ابتدائها
وأنتم لوحى الله كفو كلاكما
وأنتم عياب العلم من لا يرده
إلا إنما الإسلام إن شذ عنكم
ومن يتردد في هواكم وحبكم
وأشهد ما بين الولاء لمن بغى

نهج الولاء

على نهج الولاء لآل طه
ولم يستهوني للميل عنه
تبينت الهدى والغى لما
وفت الغي متبعا سبيلا
ومن عين العيون علمت شربي
إلا إن القلى والحب ديني
عليه مطمئن النفس أحيا
وما باليت في الأولى بهم

يا سفين النجاة

يا سفين النجاة يا آل طه
لا رعى الله من بعهد رسول الله

أمير النحل

أبا حسن أمير النحل إني
أويت إليكم في جنح ليلى

يا بني المصطفى

أترى أسلم الألى دقعوكم
نصبوا في قلوبهم يوم بدر

سيعرف من منا أمين وفارق^(١)
دعني إلى هذا الهوى وخوارق
مجاهل غيب ما لها منه خارق
وفي الأرض أعلام الهدى والبيارق
بصاحبه مستمسك لا يفارق
إليه من كل الورى فهو سارق
هباء لعمري أو قميص شبارق^(٢)
فذلك من دين الحنيفة مارق
عليكم وبين الشرك بالله فارق

أخذت وليس لي عنه التفات
غلاظ الطبع أجلاف جفاة
تباينت العناصر والصفات
عليها المؤمنون مضوا وفاتوا
وما عنه تفجرت الصفاة
سواء فيه جهري والخفات
واقضي حيث تدركني الوفاة
ولا الأخرى لأنهم الكفاة

ويح من عنكم نأى وتخلي
في بيعة الغدير أخلا

إذا ما عبد أحيا الليالي
أشرف بالمديح لكم خيالي

يا بني المصطفى عن الإرث غصبا
لكم البغض والعداوة نصبا

(١) الفارق الخائف والأمين: الأمن المطمئن.

(٢) القميص الشبارق: المقطع الممزق.

مصيبة الدين

مصيبة الدين والإسلام في نضر
والقهقري بعده ارتدوا فما التمسوا
ودفعوا المرتضى عن حقه وبغوا

النواصب

تأمل في النواصب كم تلاقي
دعاً للأخذ بالثقلين طه
وما احتجب الهدى عنهم ولكن
وكل خائض في جوزغي

علي قسيم الجنة والنار
أمير المؤمنين إليك مما
فأنت قسيم فردوس ونار
يعاتبني على ما قلت فيكم

حب الوصي ذخري

دعيني وما قدمته لغد فإن
ذخرت له حب الوصي وإنني
وكل امرئ بالحب والبغض لم يدن

أوالي المصطفى وأبا تراب

أتحسب أنني يا دهر أسي
كفاني من نعيم العيش أني
وكل مرفقه بمتاع دنيا

الكوثر

لا يرد الكوثر إلا امرؤ
فطف على قلبي بها إنه
سكرت ما عريدت فأعجب لمن
ورافضي أنا والرفض لي

عن الصراط صراط المصطفى نكبوا
مثوبة بل مطايا غيهم ركبوا
عليه والقتل في أبنائه ارتكبوا

لما أخذوا به عجباً عجاباً
وقال هُما الرشاد فمن أجاباً
أبوا عن نوره إلا احتجاباً
فإما قلت لا تسلكه جاباً

أنته النفس من وزر متابي
وعندك علم آيات الكتاب
أخو جهل فيغري بالعتاب

سئلت فإني لا أضيق جواباً
حري بذخري أن أنال ثواباً
فذاك لعمري ما أصاب صواباً

على فقد الطعام أو الشراب
أوالي المصطفى وأبا تراب
فذلك لم ينل غير السراب

من اثنتي عشرة عينا شرب
يضيء من سلسالها المنسرب
لم يصح من سكر ولم يضطرب
قربى إلى الله بها اقترب^(١)

(١) هذا مثل قول الإمام الشافعي:

إن كان رفضاً حب آل محمد

فليشهد الثقلان أنني رافضي

إليَّ من ينأى ومن يغترب
عن رب إيماني حَفِيَّ رب
يكنُّ قلبي ذا لسان ذرب
فلا صحا عقلي مما شرب

وكل شيعي أخي عائدُ
أدين بالحب ولا يلتوي
لعلني حتى تراني بما
صحوت بالسُّكر ونلت المني

نهج الولاء

علا من الهادي على منكب
وعن صراط الحق لم أنكب
لقائه التقصير عن موكب
فمن من الأخيار لم يُتكب
وقفن لي دون هدى مركبي
والقمر الباهر والكوكب

لا وأمير المؤمنين الذي
ما ملت عن نهج ولائي له
فكيف أخشى حين أسعى إلى
إن تعترضني نكبات الأذى
أو عيروني بالرزايا فما
ما ضل سيري بعد شمس الهدى

مناجاة الرضا

محيلاً عليها ما أحاول من كسب
على سطح أحلامي ولا بد من رשב
إلى يوم ألقاه وحسبي به حسبي

أروح وأغدو للمقادير أملا
وأسبح في بحر الأماني راكبا
فاستودع الرحمن حبي لحيدر

المودة في القرى

ولا غيره زلفى تفيد ولا قرى
من الدين إخلاصُ المودة في القرى^(١)

بني المصطفى ما الفوز إلا بحبكم
إذا شهد المرء اثنتين فحسبه

طريق النجاة

في الله منجاة لطلابيه
بالرسل والإلهام إلا به

يا آل بيت المصطفى حبكم
لا ينفع الأنفس إيمانها

ضراعة

ويثقل صليبي وقعه وترائبي^(٢)
وسبطيه والزهراء فَرَجْ نوائبي

إلى كم أسبغُ الغيظ فيما ينوبني
إلهي بجاء المصطفى وابن عمه

(١) قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القرى (الشورى الآية ٢٤).

(٢) بنوبني: يصيبني من الرزايا. المصلب: الظهر. الترائب: أعلى الصدر.

القلب المطمئن

بحبكم يا بني الزهراء فاطمة
ما بين فردوسه والمخلصين لكم
وما فخرت ولا الإعجاب من خلقي
إن قلت يوماً بفضل أو بمحمدة
نورت قلبي بما زailت من شبه
وملت عن كل رجس النبعتين إلى
أخذت بالحب والبغضاء في رشدي

ألقي الإله بقلب غير وجاب^(١)
من آذنين على باب وحجاب
بل بالولاء لكم فخري وإعجابي
فيمن قلاكم فإن الذم أحجى بي^(٢)
ومن غياهب شك عنه منجباب^(٣)
منزهين عن الأدناس أنجباب^(٤)
على سبيلين من سلب وإيجاب

الصلاة البتراء

تا الله لم تخلص لأحمد عصبة
كلا ولا أهل النبي أحب من

منعوا التراث البضعة الزهراء
صلى عليه وسلم البتراء

التوابون الصابرون

تجرع مرارات البلاء من الهوى
إذا الخلد حُفَّت بالكماره داره
لعمرك لم يشرابن صرد وقومه
أولئك قوم بالروح تعجلوا
إذا قرَّفي قلب هوى آل أحمد
وليس على شيء من الحب هائم
تمسك بحب المرتضى

فلله ما أحلاه في المهج النهلى
من الله كان الصابرون لها أهلا
وأصحابه الأحرار أنفسهم جهلا
إلى الله ما قالوا رويدا ولا مهلا
راى كل صعب في سبيلهم سهلا
به ناشئا أو يافعا إن سلا كهلا

تمسك بحب المرتضى فهو خير ما
وشرط الولاء الحب والبغض فاستقم
وتأوي إلى حصن ومورد
ومن لم يدن بالحب والبغض لم يفز

يُرجى ليوم في المعاد عصيب
تكن لسبيل الرشd جد مصيب
معين وربيع بالهناء خصيب
غداة غد من صالح بنصيب

(١) القلب الوجاب: كثير الخفوق.

(٢) أحجى بي: أولى بي.

(٣) زailت: فارقت وياينت. الشبه: ج شبهة. الالتباس: ما يلتبس فيه الحق بالباطل. الغياهب: الظلمات. منجباب: منكشف.

(٤) أنجباب: ج نجيب: الفاضل، كريم الحساب.

مذكرات مجتهد شيعي الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين

وُلدت في مشهد الكاظمين عليهما السلام مستهل جمادى الثانية سنة ألف ومائتين وتسعين أثناء رحلة والدي لطلب العلم وحين رجع أعلى الله مقامه إلى جبل عامل واستوطن قرية (شحرور) وهي من أعمال صور كنت في الثامنة من عمري محبوباً بحضانة والدي المبرورين كما تحديبا علي بالتغذية فطبعاني والحمد لله على غرار الدين القويم وضرباني على قالب منهجه المستقيم.

لا عذب الله أمي إنها شربت حب الوصي وغذنته في اللبن

أخذت عنهما أصول الدين وعقائده القيمة وطبعاني وأنا طفل على إقامة الصلاة بشروط صحتها فجرى ذلك مني مجرى الروح في الجسد ورسخ في نفسي رسوخ الجبال الراسية، وتلك نعمة لا يؤدي حقها ولا يستوفي شكرها، والفضل لله تعالى إذ خلقني من والدين مخلصين له الدين راعين إليه بالحكمة والاساليب المألوفة بعيدي الغور حصيفي العقدة^(١) وله النعمة والألاء بما بذلاه لي من النصح وتحرياه من الرشد فلم يطويا عني نصحا ولم يدخرا في دالتي على الله تعالى وكتابه ورسوله وأولايائه واليوم الآخر وهو القادر على جزائهما بالإحسان إحسانا وبالسيئات عفوا وغفرانا.

قرأت القرآن الكريم على كتاب من الصالحين في النجف الأشرف، وجودته في (شحرور) على عمي المبرور السيد محمود شرف الدين وكان من الحفاظ والقراء والبررة الأتقياء رحلة في علم التجويد، ثم أقبل المقدس والدي على تعليمي بنفسه واسترسل إلى تلقيني الدروس بأنسه فألقيت إليه سمعي، وأصغيت إليه لبلي، حتى أخذت عنه العلوم العربية: الصرف، والنحو المعاني والبيان والبديع والأدب العربي وعلم المنطق بكل ضيوط واتقان، وأخذت عنه (نجاة العباد)^(٢) للعمل في التكليف الشرعي على مقتضاها وقرأت عليه كتابي (فقه الإمامية) و(شرائع الإسلام)^(٣) وكان يأمرني بكتابة دروسي وعرضها عليه، فما فاتني كتابة شيء مما قرأته عليه من الدروس العربية والمنطقية إلا القليل والحمد لله.

(١) حصيف العقدة أي محكم العقل.

(٢) إذا كانت مع حواشيتها يومئذ مرجع المقلدين.

(٣) هما كتابان في فروع الدين على مذهب أهل البيت في جميع أبواب الفقه.



عبد الحسين شرف الدين - تخطيط: فتى الكوفة

وحين قرأت عليه كتب النحو كان يفرض عليّ قراءة العبارة على العربية ثم إعرابها ثم تفسيرها قبل الدرس في كل يوم وكنت أحفظ في كل يوم بيتين من ديوان الحماسة أو غيره من شعر العرب فأتلوها وأفسرها بين يديه بعد مراجعة القاموس في حل الغريب من مفرداتها ولم يجعل لي مندوحة عن ذلك أبداً، والزماني بحفظ ألفية ابن مالك حين قرأت عليه شرحها لأبن الناظم. وكان في شهر رمضان يلزمني بمتابعته في قراءة القرآن الكريم (وكان من القراء) وهناك أجزل الفوائد وأرجى المنافع بخشوع الأبصار وسكون الجوارح خشية وقرقاً.

ما رأيت كوالدي أبا رحيما حكيما يعني بأمره ولده ويهتم بشأنه فلا يني في شيء من مبالغات نجحه أبداً، وما رأيت مثله أستاذاً يغدو على التدريس بسعة ذرعه ويروح على البحث مع تلميذه بشهامة طبعه، -إذا تكلم- أذنا صاغية ويتلقاه -وإن أخطأ- بوجه متهلل وصدر منشرج فكنا في كل ما نسمعه منه أو نرفعه إليه على جمام من أنفسنا، ونشاط من عزائنا وكان يرهف طباعنا بتشجيعه ويجلو عنا صداً الفتور بما يذلل من العقاب ويروضه من الصعاب.

يخوض بنا عباب العلوم، ويغرينا بالفصوص على أسرارها، وينضي بنار كائب الطلب في جمع أشتاتها، ويحملنا في ذلك على كل صعب وذلول، فيضطرنا إلى تمحيص حقائقها والتنقيب عن دقائقها، وكان في سلخ كل شهر يبيلو ما عندنا فيختبر كنهه، ويسبر غوره، فإذا وجد نقصا أكمله أو ضعفا تدراكه يرهف بهذا طباعنا، ويستأنف به نشاطنا: وحين لمعت مني بوارق النجح، وبدت تباشير الصبح، أجمع على إرسال حاضنا لأخي الشريف إلى جامعات الدين في المشاهد المقدسة بالعراق، وكان أعلى الله مقامه ذا زماع في الأمور ماضي العزيمة فيها، إذا قال فعل متوكلا على الله تعالى.

فحمدت الله جلّت آلاؤه على أن بلغني ما في نفسي ووصل يدي بما كنت أتمناه وكم أردت ذلك منه فكان أعلى الله مقامه يرجئه من حين إلى آخر فاستعطفته بأبيات من الشعر.

فما قرأها حتى عزم على إنجاز المهمة، ومقدمة لها أهلني بكرامة صنوه الأكبر: عمي المبرور السيد محمود (أم أفلاذي الكبار) كانت من خيرة الفاضليات في كل امرء يعلو به شأن الخفريات من حيث الدين ومن حيث الدنيا ومن كل جهة، وقد ختم الله حياتها عن نحو السبعين من عمرها في حرم جدّها أمير المؤمنين عائدة به منقطعة إلى عبادة ربها عن كل شيء فطيب الله رسمها في مثواه الأقدس مثوى الرحمة ومعقل الهدى والعصمة مساء السبت سلخ جمادى الأولى سنة ألف وثلاثمائة وتسع وخمسين.

رحلتي العلمية؛

إن لوالدي في رحلتي إلى معاهد العلم والدين نعمة تجدد قديم نعمائه، وتضاعف سوائف إيلائه أرهف لها هممه وقصر عليها عزائمه، وأرصد لها ما يضمن لنا الراحة في التفريغ للعلم حتى نعود إليها بما ناطه بنا من الثقة، وعلقه علينا من الأمل، وهذا ما اضطرني وأخي إلى إرهاف العزم،

وانفاذ الهمّة وبسط العنان في إيقاظ الجنان، فلم نأل جهداً ولم ندخر وسعاً، وكان قد شرط علينا ذلك قبل زم الركائب، وأمرنا عند الوداع، بتقوى الله عز وجل والإخلاص له تبارك وتعالى في العلم والعمل، وعلى هذا فارقناه، وزمت عنه ركائبنا يوم التاسع من ربيع الأول سنة ١٣١٠.

كنت في هذه الرحلة الميمونة بخدمة المقدسة والدتي (وكنت وحيدها فلن تستطيع عني صبراً) محبوراً بحضانة أخي الشريف وله يومئذ اثنا عشر عاماً، ومعى كريمة عمي البرة تحضن بكرنا طفلة مفطومة ومعنا وصيفة لنا كانت صالحة ناصحة سعيدة كاسمها رحمها الله تعرف وجوه الخدمة، فكنا ولله الحمد في الطريق كله في أنعم بال وأحسن حال، حتى وردنا المشهد الكاظمي أعزه الله تعالى وأنه لأول أرض مس جسمي ترابها.

فألقينا بفناء الرأفة والحنان، وموضع الحكمة والإيمان، فناء آية الله البالغة ونعمته السابعة جدي لأمي السيد محمد هادي فأوانا -أعلى الله مقامه- إلى ظلال رحمته، وأوسع لنا أكناف نعمته، وحتت تلك الطاهرة زوجته جدتي الجليلة علينا حنو الممرضعات على العظيم.

وتحركت حوبتها^(١) على كريمتها والدتي وكانت بكرها، وقد منيت بفراقها ثلاثة عشرة سنة تجرعنا فيها الغصص، أما العلويات شقيقاتها الأربع فقد عطفتهن أوامر الأخوة، وأخذتهن سورة الضرح فبكين سرورا وأبكيننا حبوراً، وكان خالي المبرور العلامة السيد محمد حسين -أعلى الله مقامه يبكي متمثلاً:

هجم السرور علي حتى أنه من فرط ما قد سرني أبكاني

في سامراء؛

لما تشرفنا بأعقاب الكاظمين عليهما السلام كان خالي الإمام أبو محمد وابن عمه الإمام الجليل السيد اسماعيل الصدر في سامراء، مهجرهما العلمي على عهد أستاذهما الإمام العظيم السيد محمد حسن الحسيني الشيرازي، مجدد الشريعة الإسلامية على رأس القرن الرابع عشر الهجري وكانت سامراء في عهده أكبر جامعة إسلامية عرفها التاريخ فأثرها السيدان لنا على النجف الأشرف وما أن صدر الأمر منهما بذلك وأمضاه سيدنا الجد حتى انتجعنا فضلهما ووردنا شرعتهم فأوينا منهما إلى وارف حنان، ونزلنا منهما إلى سوايغ نعمة وإحسان وسامراء يومئذ أهلة بأعلام الهدى، زاهرة بمصابيح الدجى.

أقمنا بين ظهرانيهم سنة واحدة فكانت أجزل أيامنا فائدة وأتمها عائدة وأرجاها منفعة، قرأت فيها شرح اللمعة في الفقه ومباحث الألفاظ من فصول الأصول أما شرح اللمعة فقراته على شيخنا المقدس الشيخ باقر حيدر^(٢) وكان من ذوي البسطة في الفقه والأصول إماماً في العلوم العربية على غاية من الاعتدال في مفاد الأدلة ومجاري الأصول معدوداً في المبرزين.

(١) الحوبة: رقة الأم خاصة.

(٢) المتوفي في المحرم الحرام سنة ١٣٣٣ وحمل إلى النجف الأشرف فدفن ثمة.

انطلق (قدس الله سره) بي في اليوم الواحد من شرح اللمعة ما لا يطوى في الأسبوع واندفع يعدو بي حثيث السير في ذلك الكتاب المستطاب على ما كان ملتزماً به من أعمال الروية الثاقبة والنظر الدقيق والغور البعيد، راعى في عمله هذا مطابقته لمقتضى الحال، إذ لم يرني -والحمد لله- بمحتاج في شرح اللمعة إلى أستاذ فكان يغذ بي السير فيها، وربما حضني فقال: لا تؤن فرصتك^(١) ولا تكن عوقاً^(٢) فما عثم أن ختم الكتاب والحمد لله على الهداية إلى الصواب. وأما درس الفصول فقرأته على شيخنا المقدس الشيخ حسن الكريلاني^(٣) وكان من أعلام الفقه وأطواد الأصول وأبطال البحث والتنقيب ربيب الجأش فيهما مشيع القلب في الجدل والمناظرة صادق البأس في معترك الآراء قد ملك فصل الخطاب ومفصل الصواب.

عني بي (قدس الله سره) فتعمق في درسي يتقصى في التحقيق والتدقيق كيف تمحص الحقائق، وكيف تستجلى الفوامض وكان يغريني بمناقشته ويحدوني على نقض ما يبرمه وإبرام ما ينقضه ويرهف عزمي لمناظرة العلماء والأفاضل ويشحن رأي لدفع الحجج المزيفة وقرعها بالحق ويحملني على الإمعان والاستقصاء في البحث مع أترابي مع من هو أفضل مني ومع من هو دوني.

وكننت صبح الجمعة من كل أسبوع أغذو بخدمة سيدنا الخال الإمام أبي محمد الحسن أعلى الله مقامه إلى مجلس مولانا القدوة الشيخ ملا فتح علي السلطان آبادي، وكان أعلام الدين كالسيد اسماعيل الصدر والشيخ محمد تقي الشيرازي والميرزا حسين النوري والسيد محمد الأصفهانى وأمثالهم ينتدبون يوم الجمعة مجلسه لينتجعوا حكمته ويردوا شرعته، وكان ممن ترمقه أبصار الصديقين وتمد إليه أعناق المقدسين (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض) رقيباً على نفسه في كل حركة وسكون يحاسبها على كل منهما زاهداً في الدنيا راغباً فيما عند الله، ضعيفاً في بدنه قوياً في ذات الله كأن أمير المؤمنين عليه السلام إنما عناده إذا وصف بعض إخوانه فقال: كان لي أخ في الله يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه إلخ.. فإذا أفاض في الحكمة تفجرت ينابيعها على لسانها فملك أئنة القلوب ورد شوارد الأهواء وقاد حرون الشهوات، وقوم زبغ النفوس فخفقت الأفئدة وخشعت الجوارح خشية.

وكان لغدوي إلى خدمته واستماعي لحكمته أثر هو أرجى ما أرجوه.

وكان لي في سامراء رفيق في درس الفصول هو السيد الشريف مهدي بن الشريف الإمام السيد محمد بحر العلوم الحسنى الطبطنائي النجفي، كان هاشمي النفس فاطمي الحسب، علوي الأعراق، أحمدي الأخلاق، غزير المادة، سيد المناهج، سمح القريحة، رائق المنطق، فائقاً في

(١) أي لا تؤخرها مأخوذة من آناء إيناء إذا أخره وأبطأه.

(٢) العوق هو الذي يعتاقه التسويف عن مهمته.

(٣) المتوفي سنة ١٣٢٠ في الكاظمية وكان هو والإمام الميرزا حسين النائيني كفرنسي رهان كأنهما فرقدان قد اشتقا من نبع واحدة غير أن الحسن كان أوسع صدرًا من الحسين وأربط في المناظرات والمحاضرات جاشاً.

الدقة والاعتدال وسرعة الانتقال.

كنا كلما قرأنا فصلا من كتاب الفصول نراجع قانونه من كتاب القوانين، حتى فرغنا من مباحث الألفاظ على هذه الكيفية، وسبرنا في الإثناء شرح التلخيص (المطول) للتفتزاني، فكنا كما قيل:

متوازيين على العلى متقارب شكلي وشكله
لا يعتريني مشكل إلا وكان لديه حله
وكان (رحمه الله) كما قيل أيضا:

في الأرض جوهر جسمه الفاني وفي الملكوت عقله

توفي طيب الله ثراه في ريعان شبابه سنة ١٣١٤ في الكاظمية وكان الأسف عليه عاما، وقرأ علي في سامراء أخى (الشريف) أبو نور الدين فأخذ عني دروس النحو والصرف في شرح الألفية ابن مالك فمحصّ حقائقها ووقف على أغراض الناطم وابنه بدر الدين الشارح، وكان في عاملة قرأ علي شرح القطر لابن هشام.

خروجنا من سامراء

بينما نحن مقبلون على التحصيل أشد إقبال نمضي إليه أنشط ما نكون ونعود منه أنشط مما كنا، نبذل الجهد فيه عناية واهتماما ونستفرغ الوسع في أن نلثمهم التهاما، بينا نحن في هذا المضاء والعزيمة، إذا بواذر الفتنة السامرية تهب عنيفة وإذا سحبها تنتشر سوداء منكرة بالعاصفة، وإذا بشذاذ العشائر في سامراء يتألبون على إمام الأمة في دنيا الحنيفية السمحاء وشيخ الإسلام الشريف الحسيني الشيرازي رفع الله درجته وإذا بهم يتسورون على حرمة المنيع أوباشاً طغاما، في غير وسيلة من وسائل عليائه ولا سبب من أسباب العروج إلى سمائه وإنما هي نزوة السفه وأمانى الغرور دفعتهم إلى اعتراض سبيله فكانوا كما تكون الرذيلة في مقابل الضييلة أو كما تكون الحصى في مجاري السيول المنحدرة، وكانت فتنة نعاء أو جبت خروجنا من سامراء.

وقد أقامت تلك الفتنة، وأقعدت العراق وإيران والعالم الإسلامي ثم تطورت فخلقت في السياسة جواً هش الأمال في ناحية عابس الرجاء في أخرى، وذلك أن صدى الفتنة تجاوب في آفاق العراق وإيران وجلجل في العالم الإسلامي الإمامي غضباً جامحاً على وجه آثارهم الطامعين في العراق من دول الاستعمار وأخاف المستولين عليه العثمانيين يومئذ.

فلم يكن من الغريب أن تبعث تلك الفتنة في بريطانية أملا يرجى، وليس غريبا أن تكون في سياسة العثمانيين صدمة تخشى، فإن لذلك الإمام الشريف موضعا من الزعامة مرجو الرضا مخشي الغضب.

ومن هنا أسرع سفير بريطانيا إلى سامراء يطرق ابواب الشريف الإمام بكل خشوع حاملا إليه من دولته رسالة التطوع لأوامره على أي وجه يشاء.

يشاء غور الإمام الشيرازي البعيد وفكره الثاقب، ورأيه السديد، كل ذلك وقف على كنه الرسالة وسرها، وانتهى به إلى ما يجب من الحيطة على الإسلام والإخلاص للأمة الذود عن حياضها والاحتفاظ بثغورها، فرد (أعلى الله مقامه) سفير بريطانية رد الأبى الحمي الغني، وأنكر أن يكون قد وقع شيء من عشائر سامراء ينافي الكرامة، وإنما هو جموح الولد المدلل على والده العطوف، فسرعان ما يروض، وعجلان ما يتمكن هو كاب قوي يروض، أبناءه على ما يريده ويأخذهم بما يجب.

وقد كان الأمر الذي أطمع بريطانية هو الذي ألقه السلطان عبد الحميد فاصدر أوامره لعامله ببغداد أن ينزل على أمر السيد الإمام وأن يوكل أمر تامين سامراء وتاديب أولئك المعتدين الأضياع إلى السفير الإيراني (صدر السلطنة) وأن يوسع له الصلاحية بكل عقوبة ينزلهم بهم أو قصاص يأخذهم به، وكان هذا هو الحل في إرجاع الأمن والراحة في الحياة القلقة في الأوساط الشعبية كلها فكانت أحكام وكانت عقوبات تناسب إجرام أولئك المجرمين من ضرب وتنكيل وحبس وإجلاء. لكن حكمة ذلك الإمام الحكيم وعلمه بما يجب للحياة أوضحا له الطريق في إصلاح الوضع ومعالجة الداء، وكان (أعلى الله مقامه) أمضى في سياسة تلك الظروف وأقضى بها سفير إيران ووالي بغداد (حسن باشا) وليس أدل على هذا من عدول له عن إمضاء ما حكمت به السلطة وارتفاعه عن إقرار إقصائهم فأطلق المعتقلين وأرجع المنفيين إلا نضرا لا يبلغون العشرة كانوا جرائيم تلك الفتنة وحاملي أتباعهم عليها، لذلك أرجأ العفو عنهم حتى فاقوا إلى الرشد وأحرز منهم صدق التوبة.

وفي أثناء هذه الفتنة عند استفحالها خرجنا من سامراء بقصد النجف الأشرف، ولم يكن بد من المرور بالكاظمية تشرفا بأعتاب الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام، وتزودا من عطف سيدنا الجد السيد هادي وبركاته وتفينا بوارف ظلاله واثلاجه للغلة بزيارة السادة من آله فكم كنا بخدمته في حلقة من أولاده وأحفاده وأسباطه نستقي من بحر فرائده ما نشاء من علم ودين وأدب وأخلاق وطهارة فيروينا من كل ذلك بكأسه الأوفى، ويفيض علينا ما يشاء من حكمة المري وتربية الحكيم.

في النجف الأشرف

وحققنا إلى النجف الأشرف متوكلين على الله عز وجل فأنخنا حاجاتنا كلها بفناء الوصي وباب مدينة علم النبي، إذ لا مذهب للأمال عن ذلك الباب، ولا مراد^(١) للنجاح عن تلك الرحاب، ووجدت أستاذي الشيخ باقر حيدر قد سبقني فانتجعت به درس الفقه ووردت شرعة السيد محمد صادق الأصفهاني في درس الأصول، فطلق الباقر يسير بي في مكاسب الشيخ الأنصاري (أعلى

(١) مراد: اسم مكان من راد الأرض برودها إذا طاف ليختار مكانا لها لنزوله.

الله مقامه) سيرته الأولى معي في شرح اللمعة، غوصاً على الحقائق وكشفاً عن الغواصين شأن أولي الروية الثاقبة والغور البعيد من محققي العلماء، وكان يستفزني إلى إعمال النظر في معضلات المسائل حيث تختلف أنظار العلماء، ويدفعني إلى مناقشته ومعارضة حجته.

يتقلب معي بين أحناء الحق طويل النفس في ذلك، وكان يسعفني بما ينصفني، هذا كله مع اندفاعاته بالسير الحثيث بي في الكتاب المستطاب حتى أتينا عليه إلا يسيراً من أبوابه وقفت فيها على الفقيه العلامة الشيخ علي باقر^(١) وكنت قبل قرأت عليه العبادات من كتاب الرياض فأمكنني من بغيتي إيغالا في التنقيب وإمعانا في التدقيق، جزاه الله عني خير جزاء المحسنين. وما أسبغ نعم الله علي إذ هداني في أخذ فرائد الأصول إلى السيد محمد صادق إذ كان من المعروفين في سبر غورها وكشف سرها، وكان ممن جمع أشات العلوم والفضول أصولها وفروعها وقام في تدريسها على ساق معتدلة الطريقة حسن الأسلوب إلى الغاية تدور على لسانه مطالب المحققين من أعلام المتقدمين والمتأخرين ولا سيما الشيخ مرتضى الأنصاري ومن جاء بعده من أولي الأنظار الثاقبة وله بين دلائهم دلوقد ملاؤة إلى عقب الكرب.

أغرق بي في البحث عن كنوز (الفرائد) يصوب نظره ويصعده في أثنائها وأحنائها فيقلبها لي ظهراً لبطن مهيباً بي إلى سبر غورها واختبار كنهها، وكان يربح حجري^(٢) في غوامضها ويبلو ما عندي في أسرارها فيعود قرير العين مغتبطاً محبوباً بعواقب جهوده في تخريجي وآثار ما أرففه من عزائمه في تدريسي والحمد لله.

وما إن انتهينا إلى منتهى الكتاب حتى انضويت معه إلى منبر أستاذه آية الله الشيخ محمد كاظم الخراساني^(٣) وكان أعلى الله مقامه شارعاً في تأليف الكفاية فكان كلما دون درساً منها ألقا على منبره الشريف وحوزته يومئذ تروا على الثلاثمائة من أهل الفضل والتحقيق وكان السيد محمد صادق من المبرزين فيها^(٤).

أما الإمام الخراساني فإني لم أجد أدق منه نظراً ولا أعدل فهماً ولا أحضر ذهنًا ولا ألحن منه بحجة يثبت رأيه بالبيانات القاطعة والحجج الملزمة مستظهرها بدليل العقل والنقل (وقد سار بأبطال العلم في عصره سيرا سجحاً^(٥) لا يكلم حشاشه^(٦) ولا يتعتع راكبه^(٧) فأوردهم مناهل من

(١) هو الشيخ علي بن الشيخ باقر ابن صاحب الجواهر توفي أعلى الله مقامه في النجف سنة ١٣٤١ وكان من اعلامها.

(٢) يقال ربح الحجر إذا رفعه بيده ليختبر قوته.

(٣) المتوفي في النجف الأشرف صبح الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة ١٣٢٩ وأمره في العلوم العقلية والنقلية غني عن البيان.

(٤) كان نظير حجة الإسلام السيد أبو الحسن الأصفهاني وربما كان مقدماً عليه تركته في النجف الأشرف يدرس في مدرسة القوام وله حوزة تقدمه وتؤهله للزعامة العظمى.

(٥) هذه الكلمات الموضوعة بين هلالين مأخوذة من خطبة لسيدة النساء وصفت بها سيدة الأوصياء صلوات الله عليهما رأيتها تنطبق على أستاذنا الإمام الخراساني فأوردتها مع تغير ما عما قالته عليها السلام.

(٦) الحشاش عود في أنف البعير يشد به الزمام المعنى إن هذا العود لا يجرح أنف البعير.

(٧) أي لا يصيبه أذى.

العلوم العقلية والنقلية روية فضفاضة^(١) تطفح ضفتها ولا تترنق جوانبها فيصدرهم بطاناً^(٢) وينصح لهم سراً وإعلاناً، وقد انتشروا في الأرض انتشار الكواكب في السماء:

علماء أئمة حكماء يهتدي النجم باتباع هداها

ما فاتتني محاضراته أصولاً وفقها منذ انضويت إليه حتى أتيت عاملة، وكنت فيما أستشكل به من مطالبه أرجع إلى أستاذي السيد محمد صادق^(٣) فيوقفني على أغراضه، وربما راجعت الإمام الخرساني في نفسه فيلمسني مفصل الصواب وفصل الخطاب.

وعكفت في الفقه أيضاً على علميه اللذين ينحدر عنهما السيل ولا يرقى إليهما الطير الشيخ محمد طه نجف^(٤) والشيخ آغا رضا الهمداني^(٥).

وكان الإمام الرضا هذا يومئذ يؤلف سفره الجليل (مصباح الفقيه) وهو أعدل المؤلفات في موضوعه وأفضلها دقة وحسن أسلوب فكان ما يكتبه في الليل يلقيه علينا صباحاً وكانت حوزته كلها من خاصة الفحول في علمي الفقه والأصول كأستاذي الشيخ باقر حيدر والشيخ علي باقر وطبقتهما فكان يحتدم الجدل فيها بحثاً عن الحقائق لذلك كان درسه من أنفع الدروس للمتوسطين وللمنتهين من الفقهاء والأصوليين وكنت في جيرته وجيرة مسجده الذي كان يقيم فيه الفرائض الخمس في جماعة المقدسين من العلماء العاملين والأبرار من عامة المؤمنين.

فكان لي الفوز والتوفيق بالإتمام به في أكثر الفرائض، وكان يعطف عليّ لسابقة بينه وبين المقدس والذي إذ كان الوالد من تلامذته ومتخرجي حوزته، فكنت بهذه الدالة أجراً عليه في معضلات المسائل ومشكلات الدلائل فيعيرني أذناً واعية وصدرًا رحباً ولطفاً في الجواب وطول نفس معي في البحث، وكنت مع ذلك كثير البحث مع أستاذي الشيخ علي باقر عما لا أصل إليه من غوامض مطالبه، وكان الشيخ علي بحاجة قليل النظير في فضلاء العرب دقة واعتدال سليقة. أما شيخنا الشيخ محمد طه فقد كان ممن تشد إليه الرحال وتضرب إليه أكباد الإبل وممن عندهم مفصل الصواب وفصل الخطاب، وكان في فقه أهل البيت موسوعة جامعة وعليماً محيطاً تدور الأحكام الشرعية الفرعية بأدلتها التفصيلية على لسانه، فالفقه بجميع أبوابه في يده، ولعله يمتاز بهذه الخصيصة عن غيره.

أؤينا منه إلى إمام مبین وابتغينا حاجاتنا إذ عكفنا عليه من مبتغاهما والحمد لله على التوفيق، ووفقت في الفقه أيضاً على شيخنا الشيخ فتح الله^(٦) ابن الشيخ محمد جواد ويكنى (شريعة

(١) أي يفيض منه الماء.

(٢) أي ممتلئين ما بهم إلى الأكل من حاجة وهذا كناية عن امتلائهم علماً وحكمة.

(٣) وكنت أرجع إلى السيد أيضاً فيما استشكل فيه من دروسي التي أقيتها على تلامذ فقها وأوصلا وكنت موفقاً في ذلك والحمد لله.

(٤) المتوفي في النجف الأشرف ثالث عشر شوال سنة ١٣٢٢ وكان مرجع العرب في العراق وسائر الأفاق على غاية من الزهد والورع والفضيلة.

(٥) المتوفي في سامراء سنة ١٣٢٢.

(٦) المتوفي في النجف الأشرف سنة ١٣٣٩ عن ثلاث وسبعين من عمره الشريف.

مدار) ويدعى شيخ الشريعة الأصفهاني، كان (أعلى الله مقامه) من أعلام الفقه والأصول فسيح الخطوة في المعقول والمنقول غزير المادة فيما يؤثر عن أهل بيت العصمة واسع الرواية في ذلك طويل الباع في أخبار الماضين وحوادث السنين، عذب المنطق أنيق اللهجة حسن الترسل متصرفاً في ضروب الكلام بكل من فمه وقلمه لطيف الكنايات بعيد الاستعارات حلو المجاز حسن الخط سريع الخاطر حاضر الذهن بديهي الجواب على جانب من الورع والعبادة ركناً من أشد أركان المؤمنين ومنهلاً من أصفى مناهل العلم والدين.

كانت له حوزة تربو على المائتين من كل مرهف للعلم طبعه باذل فيه وسعه وكنت واحداً منهم أعيره أدناً واعية على نشاط من عزمي وارتياح من طبعي، وكانت لي به حظوة خاصة يؤثرنى بها غالباً وقد عادت عليّ بنفع جزيل ورجع كثير ولي معه خلوات في بعض الأوقات كانت من أجزل أوقاتي فائدة، وأتمها منفعة وقد اختصني ببعض المسائل المشكلة فكلفني باستنباط حكمها وتمحيص الحق فيها فامتثلت أمره، وحين وقف على ما كتبته في استجلاء غوامضها واستقراء دقائقها تقبله مني بقبول حسن وكان معجباً به إلى الغاية وذلك من عطفه ولطفه قدس الله سره.

ووقفت في الفقه أواخر أيامي ثمة على شيخنا المقدس الشيخ عبد الله المازندراني^(١) أيضاً وكان أحد الأعلام من شيوخ الإسلام في تلك الأيام بحراً لا يسبر غوره ولا ينال دركه، وكانت حوزته تربو على المائتين من أهل الفضل فيهم الجاد في طلب العلم النافذ الهمة في أن يلتهمه التهاماً لموقظ جنانه في البحث عن غوامضه ودقائقه لا يسأم ولا يفتر، وما إن نظماني التوفيق في سلكتهم حتى افاضوا عليّ، سجال عرفهم فغمرنى فضلهم بما كان من تشجيعهم أيّاي بإصغائهم إذا تكلمت وأدابههم معي في المناظرة وإنصافهم إياي فيها معجبين مكبرين إلى الغاية.

وهذا من فضلهم وفضل أستاذهم ومربيهم الإمام المازندراني الذي لا افتاً أذكره فأشكره وكان قد علم (أعلى الله مقامه) أنني مشغول في (شرح التبصرة) فأحب أن أرفع إليه ما أخرجته من ذلك وعين لي وقتاً من كل يوم لأقول فيه بخدمته مع نضر من أفاضل حوزته، فكنت حين أغدو إليه أقرأ شيئاً من الشرح بين يديه فيسألني عن دقائقه ويبحث معي في تمحيص حقائقه ينعم نظره فيما أقول فيقلبه بطناً لظهر يعجم بذلك عودي ويسبر به غوري، فكان إذا تكلمت لاحت عليه أريحية السرور وربما غلبت عليه نشوة الطرب قائلاً: ما كذبتني والله فيك الظنون، وربما استقرته الأريحية إلى التصريح والنص الجلي، وهكذا كان حتى انقلبت عنه (كما انثنت عن غيره من أساتذتي) أجمل منقلب والحمد لله.

ووقفت فيما يرجع إلى السنين وأسانيدها من العلوم^(٢) على شيخنا المقدس الشيخ حسين النوري صاحب مستدرک الوسائل، وكان (أعلى الله مقامه) وجهة الأعلام من حملة السنن النبوية وحفظة الآثار المقدسة قبله روادها وقادة الباحثين عن مفادها غير مدافع ولا معارض وكان في

(١) المتوفي في النجف الأشرف سنة ١٣٣٠.

(٢) كعلم الدراية وغيره.

الإيمان بالله عز وجل والثقة به والتوكل عليه والتسليم إليه والرضا بقضائه وقدره والنصح له وكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين ولعالمتهم والورع عن محارمه والاجتهاد في عبادته تعالى في غاية لا ترام وشأوا لا يدرك، وكان بحيث لا تحلق آثاره في مكارم الأخلاق ومحامد الصفات وعزة النفس وتأنفها والترفع بها مع التواضع للمؤمنين والعطف على اليتامى والأيتامى والفقراء والمساكين لا يجاري في شرفه ولا يباري في علو قدره، وكان من علمي الفقه والأصول ذروة سامية، ذا ملكة قدسية راسخة تبوأ فيها منازل الفقهاء المسلمين.

عرفت منه الإخلاص لوجه الله تعالى في كل ما يصدر عنه من قول أو فعل فأخذ بمجامع قلبي وملك حبه فكنت أتبع أثره إتباع الفصل أثر أمه وكان يبسط لي أعطافه ويوسع لي أكنافه لم يأل في تربيته جهداً ولم يدخر عني وسعاً وأجازني إجازة مفصلة^(١) فكنت مغتبطاً بحسن ظنه محبوراً بشناه بدعائه حتى قضى نحبه مبروراً مشكوراً^(٢) أعلى الله مقامه وأجزل إكرامه.

لم أزل في النجف الأشرف ضارباً بتوفيق الله تعالى -أطنابي على الاشتغال ملقياً جزائي على أخذ العلوم على أفواه الرجال طاولاً فؤادي في الإفادة والاستفادة على صريمة حذاء قائماً فيما على ساق محاضراً ومناظراً ومدرساً ومؤلفاً لا ألوي على شيء حتى قفلت راجعاً بنجح حاجتي إلى عاملة منقلباً إليها أجمل منقلب، والحمد لله وصل يدي بملتسمي ومألهما مما أملت، وله النعمة والألاء عدد كلماته التي لا تنقد.

ما عنيت مدة إقامتي في العراق - وكانت اثنتي عشرة سنة تقريباً - بغير ما هاجرت إليه حتى إنني لم أتصل بغير أهل العلم ولم أتعرف بأحد سواهم من سائر أهل العراق، بل لم أر من حواضرها وبواديه غير المشاهد الأربعة والكوفة وبغداد وما كان في طريقي إلى هذه البلاد، إذ كنت رائد حاجة ماضي الصريمة فيها وحيث أنها تستفرغ وسعي وتستغرق أوقاتي لم يكن لي عنها مذهب سنة الشيوخ الأعلام من أقطاب أرحية العلم والعلم في تلك الأيام رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه. ووقفت على الأئمة الأعلام جدي الشريف أبي (الحسن) الهادي وخالي الشريف محمد الحسن وسيدنا المولى السيد اسماعيل الصدر وهم حامتي وسادتي، حضرت دروسهم الفقهية والأصولية في الكاظمية والحائر وكان لي بهم حظوة خاصة ولي عليهم دالة عزيزة ولهم علي عطف شديد فإذا أنا محافظ بجميل رعايتهم وجليل عنايتهم أينما كنت وأينما كانوا وكنت أراجعهم في العضلات أستجلي بهم غوامضها وأمحص حقائقها، ولهم في تربيته والهيمنة علي (فيما أناهم الله من علم وحلم وحكمة) أساليب حملوني بها على طريقتهم المثلى، فطبعت على غرارهم وضربت على قالبهم واستفدت من جلواتهم وخلواتهم ومن مظان الفراغ من أوقاتهم ما استفدته من سائر دروسي فجزاهم الله عني خير جزاء المحسنين.

(١) تاريخها سنة ١٣١٩ مستهل شهر رمضان.

(٢) في النجف الأشرف ليلة الأربعاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٢٠ عن ست وستين من عمره الشريف.

الحياة العلمية أيام دراستي^(١)

لقد كان في ذلك العهد وما قبله للعلوم الإسلامية وما إليها من المعارف والفضول سلطان مشيد الأركان رفيع البنیان، وكانت دولة بعيدة الأثر في الحياة العامة، ويرجو بها الناس خير الدنيا والآخرة، ويتوسلون بأسبابها إلى كل فوز وفلاح، فيلوذون إلى ذراها ويعتصمون بعراها ويتولون أولياءها متصرفين إليهم عمن سواهم، غير أبهين في المهمات كلها بمن عداهم مسوقين إلى طاعتهم بدافع من العقيدة وحافز من الثقة والاطمئنان.

فإذا خضعت الأمم للدول السياسية ونجعت لأحكامها خشية البطش وحذر القوة فإن الأمة الإسلامية كانت يومئذ خاشعة لدول العلم والدين نزولاً على حكم الإيمان، إذ أن دولة العلم بالأحكام الإلهية ليست غير دولة الله تعالى سلطانه، تصدع بأحكامه وتشرح قواعده التي عليها المدار في الحياة الدنيا والآخرة.

فمن هنا كانت الدولة العلمية يومئذ بمثابة تعنو لها الجباه، تملأ الصدور هيبة وإجلالا وارفة الظلال مبسطة الأفناء.

ومن هنا كانت عواصمها مثابة للناس وأمانا، ينضر إليها من كل فرقة طائفة، ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون - يأنونها رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم.

ومن هنا كانت العلوم الدينية وما إليها من المقدمات والمبادئ غاية من أسمى الغايات، يعتز بها الطالب في ذاته ويعتز به أهله وسائر من إليه، وفي ذلك من التشجيع ما يشتد به الإقبال وتشد به الرحال.

وبهذا احتشدت الجامعات العلمية وغصت معاهدها بأمم من الطلاب تختلف أشكالهم ولغاتهم وألوانهم لكن مبادئهم وأغراضهم متحدة في التوفر على تلك الثقافة العالية التي رفعت دنياها وأخلصت نوايانا فوجدنا على نورها سبل الحياة واضحة مأمونة العثار دهرًا ليس بالتقصير.

وأي إرهاف في العالم وحض عليه أعظم من هذه العناية تستأثر بمظاهر الثقة وتستقل بنواحي الرضا وتملك هوى الأمة الإسلامية كلها فيتشوف الناس دائما إلى الحوزة العلمية ويشغلهم دائما حديث زعمائها وطلابها وتسكرهم دائما سلافة فضلها وآدابها فيتواصلون بهم متنافسين في ولائهم والانقياد لهم متحاضين على ذلك، فكان أثره في تدافع الطلاب إلى خوض عباب العلم والغوص على أسرارها، وكانت له لوازمه من استخراج مخبئات العلوم وتحصيل حقائقها.

وإن من الحق أن نسجل الواقع في هذه المظاهر ونذيع السرفي هذه الظواهر فإننا إذا رأينا إقبالا من طلبية العلم على استساغته والتهامه ورأينا من الناس عليهم بكل ما يمدهم في علومهم ورأينا ظاهرا من التساند بين هاتين الظاهرتين فإننا نرى إلى ذلك سرا أكبر من هذا السر قد

(١) لما انتهى بنا الكلام إلى الحياة العلمية رأينا من المناسب أن نلم بها على سبيل الاختصار كما هو الشأن في كل ما يذكر مستطردا.

ابتنى عليه البعث العلمي وتم به الأمر لهم ألا هو الإخلاص الذي كان يحدو طرفي الإقبال المشترك بين أهل العلم وبيئاتهم المؤمنة فقد كانا متوازنين في سبيل هذه العاقبة المباركة التي أخضبت فيها العلم وأثرى وأصدر من خصبه وثرائه للدنيا الإسلامية من العلماء الأعلام ومن الآثار الخالدة والجهود المباركة ومن الأفكار والابتكار ما لا يدرك شأوه ولا تحلق آثاره.

ولعل هذا الإنتاج الفوار الغزير يصلح شاهداً على الإخلاص فيما يطلبه ذوو العلم وفيما يرهفه فيه الوسط المؤمن فإن هذه البركة في الإنتاج وحسن العاقبة لا تصدر إلا عن الإخلاص وحسن النية ومما يدل على هذا أن وفرة في العلماء الأعلام كهذه الوفرة في طبقة واحدة وفي مرفق واحد من مرافق الحياة تدعو إلى التزاحم على الزعامة والتدافع والخصام إذ ليس من المعقول أن تظفر هذه الكثرة بمركز الزعامة في آن واحد بل لابد من انتخاب فرد من ذلك الجمع الغفير ليقوم بأعبائها فلولا الإخلاص لكانت ثمة معارك يستشري فيها النزاع ويستكلب في معمعانها الصراع كما هو الشأن فيما نشاهده في ميادين الحياة ولكن الوسط الروحي المهيمن على الأبصار والبصائر وعلى الأنسنة والأيدي وعلى القلوب والألباب كان يرتفع بذويه عن هذه المهاوي المادية السحيقة ويتعالى بهم عن هذه المآسي الشهوية الموبوءة وليس شيء أدل من هذا على كون الانتخاب طبيعياً يختار من كان أقوى على المصلحة وأنقض بالعبء وأدنى إلى الكفاية الجامعة لشروط الفضل والبر والتقوى وصدق النظر لأن الغرض المهم أن تسير السفينة وأن تحكم الدفة يد صناع ونظر صحيح قمين بمعرفة المصالح الاجتماعية على ضوء الحقائق الدينية، فإذا اختار هذا الانتخاب العادل فرداً من ذلك المجموع الصالح كله للقيادة أذن الجميع راضين محبورين لا تجد في نفس واحد منهم حسداً ولا حرجاً وإنما تجد اغتباطاً وسروراً والتفافاً حوله بالتأييد والتسديد ومؤازرته بالرأي والنصح.

ولعلك لا تجد في نفس المختار إقبالا أو رضاً لما صار إليه بل لعلك تجد في نفسه انقباضاً أول الأمر إيثاراً للعزلة ولأن يتقدمه أخ من أخوانه يضطلع بالمسؤولية التي يخشاها ويخاف تبعاتها ويشفق ألا يكون قويا في أداء بلاغ مركزها المرجو لحياة أمة تلتمس جمال الحياة في أفواه علمائها وصدورهم وأثارهم.

هذا شاهد لا أصدق منه على أن القوم مؤمنون حقاً يتغلغل الإخلاص في أعماق نفوسهم فيبلغ إلى قرارها فيتجافى بهم عن الشره والاستكلاّب ويتنأى عن الشك والارتياب ويعرج بهم سماوات الواقع والصدق والفضيلة فيستشرفون من الزعامة مركز المصلحة لا مصلحة المركز ويستقبلون قيادة الكرسي لا كرسي القيادة.

وهذا هو السر الذي ادعيانه للنهضة العلمية وبنينا عليه تلك الوثبات إلى الخير والصالح ولا ننكر أن روحية الوسط ساعدت هذا السر مساعدة كبرى وأن مظاهر التشجيع والطاعة والانقياد أسهمت في كل ذلك بحظ غير يسير، فكان من مجموع ذلك ما قلناه من إخضاب التربة وسداد الوثبة ونماء الغرس.

وأنه ليؤسفني أمض الأسف أن يتراءى لي وأنا أدون هذه الذكريات شبح كريبه، مهول يقبض على تلك الأحلام الذهبية بكف مخيفة الأظفار خبيثة المخالب ثم يقف بها في مهب الرياح ومختلف العواصف ليلتقي بها في إعصار فيه نار يلتهم زهو أشكالها ويبتلع جهد أبطالها ويشوه رونق جمالها.

واحسرتاه! وهل لنا يدان بإرجاع من نسل من الصفوف العلمية فأنسل منها متقهقراً خوفاً من يد هذا الشبح أو طمعاً بما في يده الأخرى من بهارج لا تروي ظمأ ولا تسد جوعه؟ ويضاعف الأسف في نفسي أنني شهدت تلك الدولة العتيدة في إبان عظمتها وربعان أيامها تتعالى في بناء شامخ مشيد يطاول السماء علواً وارتفاعاً، ثم إنني أنا أشاهد هذا البناء الرفيع يتضاءل لولا بقية من الماضي ووميض يكشف ما استطاع من تكاثف الظلمات حوله ويجاهد بعزيمة من الماضي القريب وإنني خشية اتدأرس أخبار هذه الحياة الهنيئة رأيت أن ألمح إلى شعاع من قبساتها الوضاءة.

وكانت علينا تفصيل ذلك لولا أنه يخرجنا عن موضوع الكتاب، وعسى أن نوفق إلى هذا في كتاب نضرده لتلك الحياة السعيدة باجتماع القلوب وترادف الأفئدة واتحاد العزائم نفضل فيه الثروة الطائلة في تلك الأيام بتفصيل القول في علمائها كأنهم الكواكب في السماء وقد طبقوها نوراً وهدى لقوم يؤمنون.

وإنا لنذكر ذلك والأسى يحز في نفوسنا حزا والحسرة تمض بنا فتقضى المضجع وتقلق الوسادة وما يجدي البكاء طائلة في أمرفات، وكلنا نرجو من الله أن يعوض على الأمة بمن بقي من أعلامها ما قد خسرتة ويعيد لها من تلك الحياة ذلك الانسجام الجزل المحبوك الذي أخرجنا الألم له عما نحن في سبيله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مشائخي

ذكرت فيما سبق مشائخي الذين وقفت على ساحل عيالهم الزاخرة فأخذت عنهم بطريق السماع والقراءة أما مشائخي الذين أروي عنهم بطريق الإجازة العامة فكثيرون، وفيهم أعلام الإمامية في ذلك العهد، وآخرون من شيوخ مشائخ اخواننا أهل السنة والجماعة وبعض الإثبات من علماء الزيدية ذكرناهم على سبيل التفصيل في كتاب أفردناه لهم أسميناه (طبقات الرواة) فصلنا فيه أسانيدهم بطرق إلى جميع الكتب والمؤلفات في جميع العلوم والفنون عقلية ونقلية، وأوردناهم في رسالة أسميناه (ثبت الإثبات في سلسلة الرواة) وهي رسالة مطبوعة ومنتشرة.

نصوص مشائخي في إجازاتهم

أقتصر الآن على ستة من أعلام الأعلام دونوا -رضي الله عنهم ورضوا عنه- نصوصهم بتلك الأقلام المباركة وذلك المداد الجاري في فضله مجرى دماء الشهداء.

أولهم:

شيخنا المقدس كبير الفقهاء وشيخ الطائفة في عصره الشيخ محمد طه نجف إذ جاء في إجازته العامة^(١) ما يلي:

وبعد فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: يحمل هذا العلم من كل خلف عدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وإن ممن حمل العلم من عدول هذا الخلف لينفي عنه تحريف الغالي وانتحال المبطل وتأويل الجاهل، وهو قوي على ذلك بعلمه وفهمه وحكمته لولدنا البر الثقة العدل والورع الهمام المقدم الفقيه الأصولي المحقق المدقق البحاث القوي في حجته الصدوق في لهجته المعتدل في أسلوبه وطريقته المتفاني في النصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم الباذل نفسه في خدمة الشريعة المقدسة، شريعة جده سيد المرسلين، والمجاهد في سبيل إحياء أمر العترة الطاهرة آبائه الميامين السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي أعز الله به الإسلام وأهله، فإنه من أعلام الهدى ومصابيح التقى بلوته فوجده ذا ملكة قدسية في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية فإذا هو مصداق الرجل الذي عناه الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام بقوله: ((انظروا إلى رجل منكم قد روى حديثنا وعرف أحكامنا فاجعلوه قاضياً فإنني قد جعلته فتحاكموا إليه)).

وفي حديث آخر عنه عليه السلام: ((فارضوا به حاكماً فإنني قد جعلته حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما بحكم الله استخف وعلينا رد والراد علينا راد على الله وهو على حد الشرك بالله عز وجل)).

فعلى المؤمنين أن يرجعوا إليه في الفتوى وفصل القضاء، فإن حكمه الفصل وقضائه العدل لا يسع المؤمن إلا إنفاذه والنجوع له، وليهتد المؤمنون بهديه وليكونوا عند أمره ونهيه والرجو منه ألا يترك الاحتياط ولا ينسانا من الدعاء ولا سيما في مظان الإجابة أيد الله به الدين، وجمع به على الحق كلمة المسلمين إن أرحم الراحمين.

ثانيهم:

شيخنا الإمام المقدس الشيخ محمد كاظم الخراساني إذ جاء في إجازته العامة^(٢) ما يلي:

أما بعد فإن الله سبحانه كرم بني آدم وفضلهم على كافة العالمين ومن عليهم بالتكليف وأسعدهم بخطابه الشريف وبعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين وأثراً بأفضل أنبيائه والوسيلة لأهل أرضه وسمائه فشرع لنا الدين القويم وهدانا إلى الصراط المستقيم ثم اختاره الله إليه بعد أن نصب لأئمة علماً تعتمد عليه.

(١) المؤرخة مستهل المحرم الحرام سنة ١٣٢٢.

(٢) المؤرخة يوم التاسع من ربيع الأول سنة ١٣٢١.

أقامه مقامه ونص عليه مراراً بالخلافة والإمامة وفرض طاعته وأبان عصمته وجعل له في العالمين منزلته فالحمد لله على إكمال الدين بذلك، وإتمام النعمة بما هنالك ثم لم تزل الإمامة من بعده في المعصومين الذين نص عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ولده حتى انتهت إلى خاتم الأوصياء ومن بوجوده ثبتت الأرض والسماء فاختر له الغيبة لحكم تطمئن إليها قلوب المؤمنين.

فالحمد لله رب العالمين إذ لم تكن من أهل الريب وكنا ممن يؤمن بالغيبة، وقد أوجب علينا أن نرجع أيام غيبته في الأحكام إلى رأي العلماء الأعلام فإنهم نوابه وسفراؤه وحججه وأمناءه، وإن سيادة السيد السند والثقة الفقيه المجتهد المنزه من كل شين السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي شد الله أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه، مجتهد مطلق موثق قد أصبح من أهل الذكر الذين ترجع إليهم العباد، وترقى من حضيض التقليد إلى أوج الاجتهاد فخفقت ألوية النيابة عليه وألقت بأزمته إليه وحرم عليه التقليد ووجب عليه العمل برأيه السديد.

فليتمثل المؤمنون أمره ونهيه وليرجعوا إليه فإنه حجة عليهم ماضية فيهم حكومته ويحرم الرد عليه فإن الراد عليه راد على الله تعالى وهو على حد الشرك بالله عز وجل، والمأمول منه أن يسلك جادة الاحتياط فإنها سبيل النجاة والله الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ثالثهم:

شيخنا المقدس الإمام الشيخ آقا رضا الهمداني إذ جاء في إجازته العامة^(١) ما يلي:

وبعد فإن الواجب على عامة المؤمنين والمؤمنات في هذه الفترة - زمن الغيبة - أن يرجعوا في الأحكام الشرعية إلى رأي الأحياء من اعلام الإمامية الجامعين للشرائط المعتمدة في الافتاء والقضاء عندهم من الاجتهاد والعدالة وغيرها.

وإن من الطبقة العليا ولدنا الأبر التقي النقي الثقة العدل الأمين على شؤون الدنيا والدين السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي جمع الله به الكلمة ورفع بجهوده شأن الأمة، فقد اشتهر في فضله وبهر في نبلة وعلت منزلته في الدين والعلم فقها وأصولاً وما إلى ذلك من علوم وفنون، فهو ذو ملكة راسخة قدسية في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية يباح بها للعوام أن يرجعوا إليه في تلك الأحكام ويجب عليهم تنفيذ حكمه في المرافعات وفصل الخصام فإنه من العلماء المحققين والفقهاء المجتهدين الذين أشار إليهم الإمام الصادق عليه السلام في حديثه مع عمر بن حنظلة وقد سأله عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث كيف يصنعان؟

قال عليه السلام: ((تنظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف

(١) المؤرخة يوم الثامن من ذي الحجة سنة ١٣٢٠.

أحكامنا فارضوا فيه حاكماً فإنني قد جعلته عليكم حكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منهم فإنما بحكم الله استخف وعلينا رد والرد علينا راد على الله وهو على حد الشرك بالله عز وجل))، ونحوه عليه السلام مع أبي خديجة المأثور المشهور، وأوصي السيد السند بلزوم جادة التقوى والله تعالى هو الموفق فإياه نعبد وإياه نستعين.

رابعهم:

شيخنا الفقيه العلامة الشيخ عبد الله المازندراني إذ جاء في إجازته العامة^(١) ما يلي: أما بعد فإن جناب السيد السند والكهف المعتمد عماد الملة والدين ثقة الإسلام والمسلمين السيد السيد عبد الحسين نجل السيد الأجل السيد يوسف شرف الدين العاملي، مجتهد مطلق في الأحكام الشرعية جامع لشرائط الإفتاء والقضاء من الاجتهاد والعدالة وغيرها يجب عليه أن يعمل بما يراه ويحرم عليه أن يرجع في أحكام الدين إلى مجتهد سواه ويجوز للعوام أن يقلدوه في المسألة التي لا يعلم أنه مخالف فيها لمن هو أعلم منه ولهم أن يترافعوا إليه فإنه نافذ الحكم ممضي القضاء، والراد عليه راد على الله تعالى، وفقنا الله وإياه لخدمة الدين وسلوك جادة العلماء العاملين إنه أرحم الراحمين.

خامسهم:

وشيوخنا المقدس الفقيه في سائر العلوم والفضون فتح الله الشيرازي المعروف بشيخ الشريعة الأصفهاني إذ جاء في إجازته العامة^(٢) ما يلي:

وقد أيد الله هذا الدين المتين بالعلماء وجعلهم ورثة الأنبياء وفضل نومهم على عمل الصالحاء، إلى أن قال: وإن من هذه الروضة المرضية المخضرة الأطراف، والدوحة البهية الزاهرة الأكفاف غصن شجرة السيادة ونور حدقة السعادة صاحب الذهن الوقاد والطبع النقاد والقريحة القويمة والسليقة المستقيمة السالك أوضح المسالك في استنباط الفروع من المدارك العالم العامل البهي التقي النقي المبرأ من كل شين السيد عبد الحسين الموسوي العاملي أيده الله بلطفه الخفي والجلي ابن علم الأعلام وملاد الأنام ومرجع الخواص والعوام سيدنا السيد يوسف شرف الدين صانه الله تعالى عما يوجد والتأسف والتلهف، فإنه هاجر عن وطنه ونصر عن مسكنه وبعد عن الأتراب والأقران وشطت به الديار والسكان فحضر على ثلة من العلماء الأعيان وعلى هذا الضعيف مدة من الزمان فلم يقنع من السماع إلا إلى التحقيق ومن النظر إلا إلى التحديق، وجد واجتهد في طلب المعالي ووصل يقظة الأيام بإحياء الليالي وناظر ونوظر وراجع وروجع حتى فاق الأمثال والأقران وصار مشاراً إليه بالبنان بصيرا بعضلات المسائل الفقهية ومشكلات المطالب الأصلية والفرعية، وتكلم معي مرارا بما كشف عن كون نظيره نزيرا، واختبرته ببعض

(١) المؤرخة سلخ صفر سنة ١٣٢٢.

(٢) المؤرخة رابع شهر المحرم سنة ١٣٢١.



مقفلات المسائل فوجدته بطرق فتحها وحلها خيرا فحق لي أن أقول إنه قد ترقى من حضيض التقليد إلى أوج الاجتهاد وصار من أهل الذكر الذين يرجع إليهم العباد فيما يتعلق بالمعاش والمعاد فليحمد الله تعالى على ما آتاه من النعم الجليلة والألاء الجميلة.

سادسهم:

سيدنا ومولانا الإمام الجليل السيد اسماعيل الصدر إذ كتب إلى أهل صور بعد أن استوطنها كتاباً^(١) هذه صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم السلام التام على كافة المؤمنين من إخواننا الكرام ولا سيما أهل السداد والإيمان من أهل صور وفقهم

الله تعالى لنصرة الحق وإعزازه وانتقاص الباطل وإذلاله واستعمال الخير وهجر الشر وإحياء السنن وإماتة البدع والافتداء بأبرار العلماء الذين فضل الله مدادهم على دماء الشهداء إنه أرحم الراحمين.

أما بعد فقد سرنا قيامكم بواجب الوظائف من خدمة السيد السند والثقة الفقيه المعتمد قدوة العلماء الفاضلين وأسوة الفقهاء المبرزين الأوثق لدينا والأعز علينا السيد السيد عبد الحسين شرف الدين رفع الله مناره فذكرناكم وشكرناكم وحمدنا الله تعالى على ما أولاكم من الأخذ بحظكم من خدمته والفوز بنصيبكم من رشدته وهدايته، هداكم الله به إلى سواء السبيل ودحض بشريف وجوده عنكم الأباطيل، ومنحكم به الهناء والسرور والسعادة والغبطة والحبور، فاهتدوا بهديه واعتمدوا على رأيه وأعرفوا قدره وكونوا نصب نبيه وأمره فإنه لا يأمركم إلا بمعروف ولا ينهاكم إلا عن منكر وارجعوا إليه في أحكام الدين واتخذوه واسطة بينكم وبين رب العالمين فإن الحجة عليكم والنعمة لديكم، واجعلوا قوله فصلاً فإنكم لا ترون منه إلا عدلاً، امضوا حيث يمضي واذعنوا حيث يقضي وتعبدوا بأقواله واقتدوا بأفعاله واستضيئوا بنور علمه فإنه من زيتونة نبوية لا شرقية ولا غربية مرجع عام ومفرغ في فتاوة الأحكام وقد سرنا مكانه في صور لأننا لا نعلم من يصلح أن يكون لدى الأجانب عنوانا لعلماء الإمامية مثله في عمله وفضله وعقله وعدله وسعة باعه ووفور إطلاعه وجودة ذهنه وحسن استحضاره وشدة حذقه وبراهينه القاطعة وحجته الساطعة وأجوبته السكتة وخطابته البليغة وتقواه وسداده وهداه ورشاده وعفته وإبائه وكرم أخلاقه وسياسته وتوكله على الله وخبرته بنهج الأئمة عليهم السلام، وإنا لنغبطكم عليه ونتمنى دوام القرب إليه فاسمعوا له وأطيعوا وارجعوا إليه في أحكام الله عز وجل والرد عليه كالرد عليه عز سلطانه فاعرفوا قدره واستعظموا أمره وأوصيه ونفسي وإياكم بتقوى الله تعالى وسلوك جادة الاحتياط فإنها طريق النجاة ولا تنسوننا من دعاكم وفقكم الله ورعاكم والسلام على جنابه أيده الله تعالى وعليكم وفقكم الله تعالى ورحمة الله وبركاته.

رجوعنا إلى عاملة

لما أسفرت للمقدس والدي تباشير ظفـره بما يبتغيه من هجرتي العلمية وأشرقت لديه دلائل فوزه ونجحه بذلك واطمأن به كل الاطمئنان أجمع على إرجاعنا إلى عاملة، وكان إذا أزمع أمرا لا ينثنى عنه إلا أن يشاء الله تعالى ولم يكن لنا بد من الخضوع لأمره والنزول على حكمه، إذ لم نجعل لأنفسنا تصرفا ولا مراغا عن ذلك فاستسلمنا للأمر المطاع - وإن أرهقنا فراق تلك المشاهد الشريفة والأندية العلمية أمرا صعبا وبلغ منا الجهد متوكلين على الله عز وجل مبتهلين إليه في طلب الخيرة من عواقبنا فإن الخير كله بيده وهو على كل شيء قدير.

زمت ركائبنا من النجف الأشرف تاسع ربيع الأول سنة ١٣٢٢ وكنت إذ ذاك محبواً بخدمة والدتي محبورا بالمقدس أخي وسائر من إلي^(١) وما إن قاربنا دمشق حتى وجدنا ولي النعمة قد استقبلنا أعلى الله مقامه في ثلة المؤمنين من أهل دمشق وعاملة فيهم صنواه عمאי الكريمان^(٢) والعلامتان السيد محسن والشيخ محمود مغنية.

ولله ما مثله من الحنان والحنو حين ضمنا إليه قدس سره بجناحي رحمته وحننا علينا بعطفه ورأفته ورقت لنا كبده ولأن فؤاده فأرخت عيناه القريرتان أرواقهما اغتباطا وبهجة وحبورا، أنزلنا السيد المحسن رحابة فإذا هي رحاب الندى ونجعة المكارم ومثل أرحامنا الأشراف المرتضيون من آل نور الدين عواطف الرحم وأواصرها بأجلى المظاهر^(٣) واحتفل بنا إخواننا المؤمنون ثمة بوجوه منطلقة وصدور رحبة وأسرة تهلل فتبرق برق العارض المتهلل ثم تواترت علينا زراقات المستقبلين من أهل شحور وناحياتها فكروا بنا راجعين إليها^(٤) وكنا في الطريق نلتقي بالمستقبلين زمرا زمرا حتى أتينا بانياس فوجدنا ثمة من المستقبلين جموعا كثيرة وقد حشدتهم الشهم ابن العرقوبي رئيس البلد في أندية ضيافته وكان من أجواد العرب يخف للقرى ويرتاح للندى ولا ننسى ما رأينا من شهامة طبعه وسعة ذرعه أبدا.

سار معنا في ذلك الجمع المحتشد حتى أتينا عديسة فوجدنا ثمة أعلام البلاد السيد علي محمود والسيد نجيب فضل الله والسيد حيدر مرتضى وصنوه السيد جواد والشيخ حسين مغنية فمن دونهم وفي خدمتهم زعيم عاملة السياسي كامل بك بن خليل بك الأسعد ووجوه العشائر وأعيان البلاد فتابعوا بنا السير بعد تبادل التحية بيننا وبينهم بأدابها الشرعية، حتى نزلنا بتلك الجماهير في رحاب الكامل الطيبة فأخذته أريحية الكرم، ومدت باعه يبارى الغيث جودا ((فما كعب بن مامة وابن أروى)).

(١) من الأولاد أبي عبد الرؤوف وشقيقته ووالدتههم وقد جددنا بهم العهد في هذه الحركة بالمشاهد المشرفة كما ادينا الواجب من وداع أهلنا في الحائر (كربلاء) والكاظمية.

(٢) المقدسان السيد اسماعيل ومعه ولده السيد عبد الله والسيد حسين ومعه ولده السيد محمد.

(٣) زاروا بنا مشهد السيدة أم كلثوم عقيلة الوصي وحضرة أهل بيت النبوة وتشرفنا معهم بسائر المشاهد في دمشق المنسوبة إلى أهل البيت عليهم السلام

(٤) وقد شيعنا السيد المحسن هو ووجوه المؤمنون إلى خارج دمشق.

وبعد تناول ذلك الطعام الهنيء المريء تابعنا السير فكنا نلتقي بالناس أفواجا أفواجا مشاة وركبانا حتى أتينا قريتنا شحور^(١) فوجدناها مكتظة بمن أقعدتهم الشيخوخة أو الضعف أو غير ذلك من الموانع، لم أرفي تلك الجموع كلها إلا ذا مسرة وحبرة وقد وجد قرة عينه ويرد السرور في فؤاده. جزاهم الله عنا خير جزاء المحسنين.

وعزم علي أولئك العلماء الأعلام أن يصلوا المغرب والعشاء بصلاتي ولم يتركوا مندوحة لي عن ذلك فنزلت على حكمهم عملاً بمقتضيات الآداب.

وكانت ليلة اغتباط وبلج بخدمة أولئك الحجج، وحين انضردوا بنا عمن سواهم وأخذ المجلس زخرفه منهم، ترامى الحديث بنا إلى بعض الفروع المشكلة فأفصنا وأفضوا في البحث عنه وتجادبنا أطراف الكلام فيه فأفضى بنا الأمر إلى بعض الأصول العلمية فخضنا معهم في البحث عنه وأخذنا في المراجعة والمناظرة واحتدم النزاع تلك الليلة وغدوتها احتداماً عاد بنفع جزيل وفوائد جمة.

فله تلك الخلصة من الدهر ما أجزل فوائدها وما أفضل عوائدها، وهكذا كانت سيرة علمائنا كلما اجتمعوا وأينما انتدوا.

ثم توالى الوفود (وفود الزيارة والتهنئة) من أنحاء البلاد العاملة مدة ليست بالقصيرة كان العلماء والفضلاء والأدباء والشعراء لا يبارحون الحشد، وكم قرطوا الأذان بضرائدهم وشنفوا الأسماع بالدر من خطبهم وقصائدهم وإليك من ذلك عبقريه ابن العم السيد الشريف هاشم^(٢) بن السيد محمد هاشم الموسوي:

بمثل عيونك يحلو الغزل	وإن كنّ يدين مر الأجل
ويستعذب الصب ورد الردى	بمستملح من سهام المقل
فكم من فتون لأهل الهوى	أتى من فتور العيون النجل
وكم من حشا لأخي صبوة	بها دمه صب هدرا وطل
على وجنتيك زهت روضة	يفتح منها الورود الخجل
وفي الثغر منك حلت ريقة	هي الشهد في ذوقها لا العسل
بكوثرها العذب برء الضنى	وري الأوام ويرد الغلل
فيا جنة الحسن بي جنة	لما كان حبك بي قد فعل
يسرك أني اشكو الضنى	وفي شفتيك شفاء العلل
أجورا علي بحكم الهوى	وماذا على جائر لو عدل؟
وهجرا طويلا ولا ذنب لي	وما الهجر إلا لذنب حصل

(١) مستهل جمادى الثانية سنة ١٣٢٢.

(٢) المتوفي أعلى الله مقامه في بلدة (دير سريان) سنة ١٣٣٤ وكان من الفضلاء البررة والأدباء الكاملين في الأدب وله ترجمة في بغيتنا - بغية الراغبين.

هنيئاً لك اليوم ما شفتني
سفتك دما لي يوم اللوى
فأصبح هدرا ولا عاقل
إلى أن قال:

فدع عنك وصف ذوات الجماء
وقم واقتبل دهر أنس أنا
وقل منشدا بارتجال فقد
ألا غن يا عندليب السرور
ويا ساقى الخمرة أصرف لنا
فشمل السرور غدا شاملا
وذا الكون أضحى بعبد الحس
وهذي البلاد غدا أفتحها
ثنت عظمتها بالهنا عامل
وقرت عيون المعالي به
هو العلم المفرد الجامع الـ
إمام الهدى وحمّام العدى
فتى قد تبرى بحجر العلى
وأصبح روحا لجسم الكمال
عليهم على عمل زانه
حليم يوازن شم الجبال
سخي الأنامل إما افتدى
عديم المثيل على شامخ
له فكرة كم تجلى لها
وخلق لطيف يحاكي الصبا
به الدين أصبح مستبشرا
وألقت إليه مقاليدها
فعزت به جانباً مثلما
فأهلا به اليوم من قادم
أتى والقربين له صنوه
من ابتسم العصر أنسا به
وعمّ الهنا عاملا منذ حل

لهجرك حتى عدت الحيل
حراماً فكيف لعينيك حل؟
وقد طل عمداً بذاك الطلل

ل وتذكر ظل الصبا المتقل
ك بما عنه كفر ماضي الزلل
غدا الأنس في قطرنا مرتجل
وهبي لنا يا رياح الجذل
فراحك ما رحت منه ثمل
وفصل الهناء غدا متصل
مين منيراً يتيه بأسنى الحل
وبدر علاه به مكتمل
به وتبسم ثغر الجبل
وماثل ركن الرشاد اعتدل
فضائل من دق معنى وجل
ورب الندى مزنه المستهل
فشب على حبها واكتهل
ويدرا بأوج الهدى مكتمل
وما زينة العلم إلا العمل
حجى راسخاً طوده لم يزل
يباري السحاب إذا ما هطل
من الفضل يضرب فيه المثل
من المشكلات دجى منسدل
برقة طبع عليها جبل
يجر برود الطروب الجذل
شريعة أحمد خير الرسل
بها عز جانبها أن يذل
به نقعت زفريات الفل
فنعم القرين الذي لا يمل
ووجه المسرة فيه استهل
بها والعنا فيه عنا ارتحل

هو الكامل الفذ أعني الش
ومن ألفت منه بكر العلى
حليف الكمال ورب المعالي
عطير الثناء ومهوى الرجاء
به الفضل يزهو لنا زاهرا
وحلم رزين الحجا راسخ
تشاغل إلا عن المكرمات
له الله من قادم أثلج الصد
إلى أن قال:

فقل لأكف هنا صافحي
من المستطيل على النيرات
زعيم الهدى والندى يوسف
عماد الشريعة ذخّر الهدى
فيا خلف الفر من هاشم
إليك التهاني تهادى وفي
فقم واقتبل سعد هذا الزمان
تهن بشبليك عمر المدى
بفضلهما شهدت للورى
فكونوا جميعاً ملاذ الورى

ريف ومن حل في المجد أسمى محل
فتى لم ترد عن علاه بدل
وغمر النوال وإن لم يسئل
وزاكى السناء وزاد المقل
ونور الهداية فيه اكتمل
وفضل بفضل رداه اشتمل
وكسب المحامد لم يشغل
ورهنأ وأقر المقل

أكفا تزاحم فيها القبل
على حط دون مداه زحل
ومهوى ركاب الرجا والأمل
وعز العشيرة أمن الوجمل
ومن هو فيها الأعز الأجل
فنائك ذا وفدها قد نزل
فسعد الزمان عليك اقتبل
فإن الهنا بهما قد شمل
أولو الفضل من هم مدار العمل
وربع كلاكم خصيب خضل

وهاك شذرة من قصيدة الشريف الفاضل الجليل السيد أحمد بن السيد محسن قنديل:

أوجهك وضاح أم البدر كامل
وشعرك أم ليل الدجنة فاحم
إلى أن يقول متلخصاً:

إليك أغتدى يعزى الجمال جميعه
كما أصبحت تعزى لخير بني الورى
فتى المجد من يزهو به المجد والعلی
منار هدى يهدي المضلين نوره
سما للعلی شأوا فخلق رفعة
وأجهد في كسب المفاخر نفسه
وأحرز منها غاية السبق وانثنى
أقيمت له فوق السماك مراتب

إذا ما جرى بين الحسان التفاضل
أمام الهدى عبد الحسين الفضائل
ومن باسمه تسري وتحذو القوافل
ويحر له المعروف والفضل ساحل
ونال مقاما شامخا لا يطاول
إلى أن صفت منها لديه المناهل
تشير إلى علياه منا الأنامل
وشيدت له فوق الضراح المنازل

وأشرق في أفق العلى وهو كامل	بدا بسماء الفضل بدر هداية
هي الشمس لكن الشموس أواضل	أطل على أفق الشأم بطلعة
إلا فانعمي عينا به اليوم عامل	به نعم القطر العراقي وازدهى
ومن ذا سواه للشرية كافل	لقد حل فيها للشرية كافلاً

في شحور:

أرادني ولي النعمة أن أتصدي وأنا في خدمته للأمور الحسبية وسائر الشؤون العامة لكن حقه العظيم فرض عليّ شرعاً وعقلاً أن أكون في خدمته كما كنت في حضنه وأنا طفل لا أمر ولا أحلي أسوة بكل مبدول المقادة له من سواد العامة.

فكان كلما حملني على ما أراد اضرع له جنتي استعفاء وأتضاءل بين يديه استحياء فيرفق بي حناناً منه ورحمة وما كنت لأعتاص عليه^(١) ولا لأرتاب بين يديه وإنما عنت له جبهتي وتصاغرت عنده همتي عملاً بما أدب الله به عباده على لسان عبده ورسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى هذا جرى الأمر بيننا إلى منتهاه والحمد لله.

زارنا المؤمنون من أهل صور وكان لهم من قبل اتصال بولي النعمة فرغبوا إليه في أن أكون بين ظهرانيهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورعاية الدين ونشر أحكامه.

ركبوا في ذلك إليه ظهور آمالهم يزفون إليه حاجاتهم هذه متوسلين بما أوجب الله تعالى على كل من نضر للنفقه في الدين من إنذار قومه إذا رجع إليهم لعلم يحذرون، فعني أعلى الله مقامه بأمرهم واهتم بشأنهم وأمكنهم من بغيتهم فرجعوا عنه بنجح الحاجة يعطرون المجالس بذكره ويخطبون في المحافل بشكره.

في صور:

أتينا منتصف ذي الحجة سنة ١٣٢٥ والقينا فيها العصا متوكلين على الله عز وجل. وقد أنزلنا بعض المؤمنين المخلصين^(٢) داره وكان قد أخلاه لنا فإذا هي وادي الندى ونجعة المكارم ثم تحولنا بعدها إلى الدار التي لا تزال في أيدينا^(٣).

أثر مجيئنا:

وبحلولنا انتظمت ألفة المؤمنين فإذا هم كأنهم الثريا وكانوا قبل كينات نعش قد سعى بينهم

(١) يقال اعتاص علي في هذا الأمر إذا تشدد عليك فيما تريده منه.

(٢) هو العبد الصالح الحاج محمد بن العبد الصالح الحاج حسين بحسون.

(٣) وذلك يوم الفدير سنة ١٣٣٢ فإذا هي دار واسعة الأرجاء محكمة البناء مرتبة في وضعها ومحاسنها على أكمل هندسة، تحوطها جنيئة من جميع نواحيها تجري المياه في خلالها استقل بهذه الحسنة نضر يسير من مخلصي المؤمنين اشتركوا بها متنافسين فيها من غير أن يشعروا بها أحداً حتى تحولنا إليها على بركة الله تعالى فجزاهم الله خير جزاء.

متزعمون عملا بالقاعدة الإقطاعية فرق تسد لكن الله سبحانه لم شعنتهم ملتفين بي اخوانا يتعاونون على البر والتقوى وطاعة الله سبحانه وتعالى فيما أمرهم ونهاهم. لم يكن في صور مسجد يخلوهم عقد الجماعة فيه^(١) ولا محل معد لاجتماعهم عند الاقتضاء فكنا نعقد الجماعة في الفرائض اليومية ونلقي الدروس الدينية وما إليها في الباحات من بيوت بعض المؤمنين.

وكان اولو الباحات يتنافسون في دعوتنا ويتشاحنون حتى تشادوا فكان الفضل بينهم أن نستقصيهم مبتدئين بالأقرب منهم فالأقرب فعلنا ذلك في دورات عديدة فاشتد الوثام وكثر الازدحام حتى اكتظت الأندية بالمحتشدين فلا تندوهم النوادي.

ابتداء النهضة:

وحينئذ دعوت وجوههم فاستصرختهم برفق وشكوت إليهم بئي وحرني ومصيبتني بما أنا لا جامع لنا ولا جامعة ولا مجمع ولا جمعية ولا جمعة ولا عيد ولا أذان ولا عنوان ولا مدرسة ولا .. يدخل الأجنبي صور - وهي عنوان الإمامية في البلاد العاملة - فلا يحس منهم بأحد ولا يسمع لهم ركزا، يراهم وهم الأكثرية في معزل عن المسجد الحافل بغيرهم من المسلمين، ويجدهم نائين عن منارتهم الأهلة بغيرهم تكبيرا لله وتوحيدا له ودعوة إلى عبادته عز وجل، حتى كأنهم والعياذ بالله ليسوا من هذه الأمة ولا مشاعرها في شيء.

ويرى النصارى على اختلافهم في المذاهب المسيحية (من كاثلكة وموارنة وأرثوذكس وبيروتستانت) متنافسين في إشادة معابدهم وزخرفتها أديارا ممردة وكنائس فخمة ترن نواقيسها فتملا الأفق برج صداها ونحن من دون الأمم صم بكم لا منائر ولا شعائر ولا منابر كأننا لا سمح الله لا دين ولا مذهب ولا حمية ولا نفسية ولا دم ولا عرق ينبض.

أطلت القول في ذلك وامتد بي نفس الكلام عملا بمقتضى تلك الأحوال راغبا إليهم في اتخاذ مسجد يجمعهم على عبادة الله تعالى ويطلق عنهم ريقة هذا الخمول فإذا المتنفذون يستخفونني عن رأيي^(٢) ويستفزونني عن عزمي فنفضت يدي منهم وعلمت أنني إنما استصرخ منهم غير مصرخ واشتكي منهم إلى غير مشكي، لكن عزيمتي لم تفشل وميررتي لم تسحل، وكان أولئك المتزعمون قد صقلوا بصدودهم عنا أذهان المخلصين فجلوا عنها صدا الفتور فما خنست بعدها لهم همة ولا انقبض لهم ذرع.

الحسينية:

حتى تبرع أحدهم بداره^(٣) مجمعا للطائفة ومثابة لها أوقات الفرائض الخمس وعند كل

(١) لم يكن في صور سوى مسجد واحد هو من آثار الوائليين زعماء الشيعة في عاملة.

(٢) أي يلزوموني عما كنت عليه من الصواب ومعنى يستخفونني: يحملونني على الخفة وترك الأناة والتثبت.

(٣) هو الحاج سليمان الرز.

اقتضاء، فتقبلتها منه بثمانها، مائتي ليرة عثمانية ذهباً ألزمته بقبضها رفقا بحاله وعياله ووقفت الدار في سبيل ما يرجى عوده بالروح على روح سيد الشهداء وخامس أصحاب الكساء عليهم السلام ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب ونسبتها إليه صلوات الله وسلامه عليه فدعوناها الحسينية وشرعنا بعبادة الله تعالى فيها يوم الغدير سنة ١٣٢٦هـ.

فكانت مثابة الوفاة ونجعة الرواد إحدى وعشرين سنة^(١) وكنا طيلة هذه المدة نقيمها بدلاً عن المسجد في كل ما يشغله من أنواع للعبادة^(٢) ونقيمها بدلاً عن دار الندوة في كل ما يعقد وينقض من أمورنا العامة ونقيمها بدلاً عن محكمة تصدر الحكم بما أنزل الله تعالى في كل مراقبة بين المؤمنين ونقيمها بدلاً عن مدرسة حافلة بالعوام يتلقون فيها ما هو محل ابتلائهم من أصول الدين وفروعه وما إليه من آية وسنة وحكمة وموعظة.

ونقيمها أيام المواسم لأداء المراسم ولا سيما يوم عاشوراء وسائر أيام المحرم الحرام ولإياليه وخصوصاً العشرة الأولى منه ويوم المولد النبوي الشريف ويوم الغدير العلوي إذ يهرع إلينا المؤمنون من نواحي الحبل العالمي.

المسجد:

بلغنا بالحسينية بلغتنا من هذه المهمات كلها^(٣) غير أننا لم نحز بها فضل المسجد فإن ثوابه يعدل مائة من ثوابها على أنها لم تنعشنا من خممول ولم تريا بنجمنا عن أقول، لذلك بذلنا الوسع في إشادة الجامع، فاخترنا له قطعة واسعة من خراب صور تريو على ثلاثة عشرة دونماً من الأراضي التي كانت في قبضة الملوك العثمانيين فأبرقت للسلطان محمد رشاد استميتها منه للطائفة وقفاً في سبيل الله.

وما إن أبرق منعماً بالإجابة حتى أسسنا الجامع في وسطها على هندسية جامع الجزائر في عكا، وما فرغنا من قواعده الراسخة من تخوم الأرض إلى سطحها حتى مني العالم بقارعة الحرب العالمية سنة ١٣٣٢هـ^(٤) فاشتغلنا بويلاتها عن كل شيء.

ولما وضعت أوزارها وذلك سنة ١٣٣٦هـ^(٥) وثاب إلى الناس رشدهم ثبنا إلى الجامع لنكمله فكان محله يومئذ خارج البلد بعيداً عن المصلين ووجدنا المحل الذي أشدنا فيه الجامع الجديد أقرب إلى الناس وأسهل عليهم فأثرائناه فكان المسجد حيث هو اليوم على شكله الحالي.

(١) حتى استغنيانا عنها بالمسجد الجامع سنة ١٣٤٧هـ.

(٢) ما عدا الاعتكاف فإنه لا يصح فيها.

(٣) وبذلك قال الناس في تاريخها: جاءت بروح شعائر الإيمان سنة ١٣٢٦هـ.

(٤) الموافق لسنة ١٩١٤م.

(٥) الموافق لسنة ١٩١٨م.



فخر العربية والاسلام الإمام المجاهد السيد شرف الدين

أثر المسجد ومنبره:

أنعش الله مؤمني صور بهذا المسجد ورفع به صوتهم يدوي في أوساط عاملة وفاح عرفهم يتضوع في طول البلاد وعرضها فتتابع إليهم في كل جمعة أخوانهم من أهل القرى العاملة فإذا بهم من كل حب ينسلون يهرعون للعبادة والاستفادة، ولتعظيم الشعائر مبتهجين بمظاهرمهم في شعائرمهم وبما يصدق به منبرهم من حقائق ودقائق لا تأخذ المنبر فيه سطوة ولا يهاب فيها قوة فإذا آيات الحق محكمة، وإذا صحاحه مسلمة وإذا دلائله من العقل والنقل ومن الطبع والوضع ناطقة وإذا شواهد من الدين والإيمان ومن الحس والوجدان والسنة والقرآن صادقة، وإذا وجه اليقين يجلو بنوره كل ظلمة فلا شك هناك ولا شبهة ولا مرية -والحمد لله- ولا امتراء وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا.

ذلك من أثر المسجد ومنبره الذي فرض للحق وذويه مهابة وكم للمنبر من اثر ذي خطر عظم وقعه وعم نفسه وحسبك من آثاره المدرسة والنادي الجعفريان ومسجدهما المعمور ومعاهد وأخرى وصدقات جارية ووجوه من البر والإصلاح مختلفة.

المعهد العلمي وشرف العلم والمضي عليه:

كنت من بعيد أفكر في إنشاء معهد علمي يضمن تربية أبنائها تربية مستقلة بأخلاقها الإسلامية وأهدافها الإمامية ومثلها العليا تحمل من المعارف ما تفرضه المعاهد العصرية وتمتاز بالروح المقدسة المحمدية والحفيظة العربية الهاشمية المستقلة وتلك هي القوة المعنوية المرجوة للفتح المبين والبعث الجديد.

فإن للعلم سلطانا امتدت دولته على طول الزمان محكمة الصول نافذة القول تشرف على الارض متألثة الاضواء مضمخة الأرجاء بعصارات العقول وخلاصات القلوب فتضيء الفضيلة ورجال الإصلاح حملة الألوية الخفاقة وقادة الرأي الحضيف يريشون الجناح المهيض ويرفعون المستوى الخفيض قدما في مدارج الكمال وتوقلا في معارج الرقي إلى حياة منعمة لا لغو فيها ولا تأثيم.

فالعلم نواة الحضارات وهو حظها في القوة والظفر والحياة وهو نفسه قياسها في التقدم والتأخر والحكم والسيطرة والسعادة والبؤس ولئن اختلفت مظاهر الحياة وظواهر الاجتماعات باختلاف العصور وتباين البيئات فإن العلم بجوهره واحد في وجوبه وضرورته يسعى إليه أولو الألباب ويؤثرونه في كل عصر وتحت كل أفق.

وهم لا يجدون ديناً يفهم من أسرار العلم ما يفهمه الإسلام الحنيف ولا تعاليم تأخذ بالعناق إليه كتعاليم الكتاب والسنة.

هل يستوي الأعمى والبصير؟ أم هل تستوي الظلمات والنور؟ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ إنما يتذكر أولو الألباب.

مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً؟..
أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم؟ إنما يخشى الله
من عباده العلماء، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون، إلى كثير من أمثال هذه
الآيات البيّنات وحسبنا من السنة قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((تعلموا العلم فإن تعلمه لله
خشية وطلبه عبادة ومذكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله
قرية وهو الآنس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء
والضراء والسلاح على الأعداء يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخيرة قادة تقتصي آثارهم
ويقتدى بفعالهم وينتهي إلى رأيهم)) الحديث^(١) وفيه ما يأخذ بالنفس شوقاً وانقياداً على ارتياد
المناهل العلمية.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: (اطلب العلم ولو بالصين) والصين هنا كناية عن مكان بعيد
تزم إليه الركائب بين شدائد الترحال ومكاره الأسفار.
وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد) وهذا كناية عن قصر
العمر عليه واستفراغه فيه.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: (طلب العلم فريضة) وبين العالم والعابد مائة درجة بين كل
درجتين حضر^(٢) الجواد المضمّر سبعين سنة وما تصدق الناس بصدقة مثل علم ينشر وخيركم من
تعلم العلم وعلم الناس إلى غير ذلك مما هو ماثور عنه صلى الله عليه وآله وسلم من هذه
الأوامر السامية التي بلغ المسلمون على ضوئها أبعد أشواط الحضارة والرقى والسياسة فملكوا
أزمة الدنيا العلمية وعمروا حتى مجاهل الأرض بملكهم السياسي العتيد وكذلك العلم يفعل.

خطر المعاهد المسمومة؛

فلما هدأت تلك الفورة الراغبة المزیدة وانكدرت سماء المسلمين والغرب وغيروا ما بأنفسهم
غير الله ما بهم فعاث الغاشمون بكتبهم ومكاتبتهم المؤثلة بأنفس الأسرار وراحت الأمم المغيرة
تتصرف بمقدراتهم ومقدساتهم ودهمنا الغرب بخيله ورجله فأناخ بكلّله وضرب بجرائنه فاستحوذ
علينا دخولا في مدارسه واصفء إلى وساوسه فاندفعنا نزعاً بأفلاذ أكبادنا إلى أحضانه تحوطهم
طوائف منه أو من حملة ميادئه بالحضانة واللقانة حتى إذا خرج الفوج الأول من شبان الجيل
المأمول علمنا أن الخسارة أكبر من الربح والإثم أكبر من المنفعة.

ولو فرضنا أن أولادنا قد غنموا بعض الثروة من قيمة الحياة الحاضرة فإننا قد خسرنّا فيهم
الروح الشرفية والمبدأ الحق والأخلاق الإسلامية والإخلاص والواجب وجهزنا منهم سلاحاً يصيب
نحورنا ويفري غلاصمتنا فكنا في تعليمهم هذه المعارف المسمومة كالباحث عن حتفه بظلفه
والجادع مارن أنفه بكفه.

(١) تجده بإسناده في كتاب المعالم لمؤلفه الإمام المحقق الشيخ حسن صاحب المعالم ابن الشهيد الثاني (أعلى الله مقامهما).

(٢) الحضر: ارتفاع الفرس في عدوه.

فالجهد أقل ضررا من هذه المعارف الموبوءة، وفي الحق لقد خدعت أمتنا بأوهام من الغرور باطلة حيث أرادت استرجاع مجدها بتعليم ناشئتها فدفعتهم إلى أحضان هذه المدارس التي لم تتأسس في الشرق إلا للاستيلاء عليه بجميع ما فيه من دنيا أو دين، فاضرتهم ضررا لا يتدرك واضاعت مجدها على وجه آخر هو اتقن وأبرع وأشد وأفرع إذ تخرجوا جنودا عليما وعلى مقدسات مبادئنا وتلك مصيبة ما مني الإسلام والشرق بمثلها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

المدرسة الجعفرية وترويض الصعاب في سبيلها^(١)؛

كنا نشهد المتخرجين من تلك المعاهد المسمومة فنضيق ذرعا وينزل بنا منهم هم مقيض والم مسهد فنأرق على مضض السليم كليله ذي العائر الأرمد، ومن الطبيعي أن ينتج الفكر لنا راحة تضمن ما نصبو إليه من متاع في علم يرجع لنا اليقظة التي بني عليها تاريخنا المجيد.

وفي مصارعة هذا التيار أوحى إلينا الواجب الديني أن نقوم بتأسيس المدرسة الجعفرية على الشرط الذي كنا نفكر فيه من بعيد فأضيت نيتي على ذلك متوكلا على الله عز وجل فأياه نعبد وإياه نستعين، ثم صمدت بهذه المهمة مع نفر من أهل الإخلاص والحفيظة من اخواني في صور نزعت فيها إليهم بكل رجاء فحفوا على مبتغاي وصدقوني السعي وراء المهمة وكان الفرنسيون يومئذ يخطبون ودنا بواسطة ممثلهم في الجنوب.

وكان ممثلهم يعمل على ذلك ليتسبنا سيئاتهم معنا وكنا نحن إذ ذاك نلقاهم على حرف^(٢) فأوعز إلينا أن نؤسس المعهد في القطعة الرشادية التي كانوا قد كفوا أيدينا عنها فأسرعنا فورا بكل همة وكل نشاط إلى عقد ستة مخازن بطرفها الشمالي^(٣) صفا واحدا جاءت من أضخم المخازن التجارية طولا وعرضا وعلوا أمامها إيوان يسامقها طولا وسمكا.

وما كدنا نفرع من بنائها كي يعلوها المعهد حتى لجأ المعارضون إلى المستشار الفرنسي في الجنوب وهو واسع البلعوم شره بالرشا فغل أيدينا عن القطعة وسعى إلى المفوضية الفرنسية سعائته التي حملة المعارضون عليها فوقانا الله شرها والحمد لله، وصبرنا على المحنة حتى ذهب إلى حيث ألفت رحلها^(٤) فراجعت بعده السلطة المستعمرة وراودتها بالأمر مرارا فكانت النتيجة بعد اللتيا والتي تخيير بين هدم ما بنيناه من المخازن وغيرها أو دفع خمسين ليرة عثمانية ذهباً ثمن أرضه البالغة تسعمائة وثمانية وأربعون مترا مربعا فقط^(٥) وأعلنوا انذارا بذلك فاضطرت إلى دفع المبلغ لخزينة الدولة في بيروت وأخذت به وصلا رسميا^(٦) واستلمت سند

(١) الصعاب جمع صعب من الدواب وراض الدابة يروضها روضا إذ ذللها وعلمها السير.

(٢) أي نلقاهم في السراء والضراء.

(٣) كانت كثبان الرمل هناك ممتدة متعالية في طول الأرض وعرضها فلاقينا في إزالتها جهدا شديدا اشترك فيه معنا أهل القرى المجاورة لصور كلها متنافسين تنافسا برهنوا على أن همة الرجال تزيل الجبال فجزاهم الله خير الجزاء.

(٤) يقولون إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم فيريدون المتية وقيل إن أم قشعم كنية الناقة نفرت فمرت على نار عظيمة فأجفلت فألفت رحلها في النار واستمرت في عدوها فصار ذاك مثلا يضرب للذهاب يدعى عليه بالسوء كناية عن ذهابه إلى النار.

(٥) دون ما سواء من تلك القطعة الرشادية.

(٦) موقعا عليه من أمين الخزينة وأمين الصندوق كليهما تاريخه ١٢ فبراير سنة ١٩٣٥م ورقم تسلسله ٢٢٤١٤ ورقم إيصاله ١٣/١٤.

التمليك^(١) لتلك الأرض بما فيها وتشددوا يومئذ بمنعنا عما زاد عن ذلك المقدار من القطعة^(٢) فامتنعنا مضمرين انقاذها منهم بعون الله تعالى ولو بعد حين^(٣) وحينئذ سجلت المخازن الستة وإيوانها وسائر ما إليها من أرض وهواء وماء وقفاً على الطائفة كما هو في المحضر رقم ٩٤٢ من عقارات صور وبيننا الطابق العلوي فجعلنا فيه المدرسة والنادي الجعفريين.

وهنا قامت قيامة أولئك المعارضين وهموا بما لم ينالوا وكانت محاكمات أظهر الله بها الحق في المحكمة العقارية في صور^(٤) ثم محكمة بداية الجنوب في صيدا^(٥) وكتب الله لنا النصر عليهم في المحكمتين والحق يعلو.

وتسجل العقار محكوماً بوقفيته في كل منهما كما تسجل وقفاً على الطائفة في محكمة شرعية صور^(٦) أما بقية القطعة فقد تيسر لنا بعون الله تعالى إنقاذها يوم ٢٤ تشرين الأول سنة ١٩٣٥م إذ جرت المساحة العراقية فسجلتها لجنة المساحة بحدودها وقفاً على الطائفة الشيعية تحت توليتي كما تراه في محضرها رقم ٩٤٣ وهذا ما أقام المعارضين وأقعدهم يجلبون بخيلهم ورجلهم^(٧) فإذا أنا وهم على حد قول القائل:

أريد حياته ويريد قتلي عذريك من خليلك من مراد

وكانت محاكمات استمرت أكثر من سنتين وبعدها جاء الحق وزهق الباطل والحمد لله أظفرنا عز سلطانه على كل مانع وكسر بين أيدينا كل حاجز وروض الصعاب وذل العقاب فوضعنا النواة ونبئت على بركة الله بأسفة نضرة ولئن نبت النبات الطيب في الربيع فإن الله تعالى أنبت نواتنا العباقة المضواعة آية في الخريف، فإذا هي تتأرجح بالأزهار النفاحة العطرة في أول تشرين الأول سنة ١٩٣٨م وفتحن أبوابها معهداً علمياً أسميناه (المدرسة الجعفرية) رمزا للعلم والدين ووسام شرف خالد.

فجاءت كما نحن مما كنا نأمل من خدمة العلم وترشيح المبادئ الإسلامية الإمامية والحمد لله على التوفيق.

تبرعت يومئذ هذه المدرسة بالتربية والتعليم مجاناً لكل من خضع لقانونها من فقير أو غني وساعدت الفقير بلوازمه المدرسية قرية إلى الله تعالى وما عند الله خير للأبرار، وهيمن عليها مدير قدير معه ثلة من الأساتذة المهرة يسلكون في تربية الناشئة أسهل الطرق الحديثة فإذا التلامذة - وهم على الدوام يربون على الثلاثمائة - يرتشفون معسول المعارف والأخلاق ناهلة من نعيم الدين والآداب وهذا ما كنت من أمد بعيد أتوخاه.

- (١) ورقمه ١٢١ حيث كان قبل المساحة أما بعدها فقد مسحناه وقفاً على الطائفة وأخذنا عنه سنداً بوثيقتين من الدوائر العقارية رقم ٩٤٢.
- (٢) أي قطعة الأرض الرشادية التي كنا أسسنا فيها الجامع على هندسة جامع الجزائر في عكا.
- (٣) وقد يسر الله لنا ذلك في ما بعد.
- (٤) وقد انتهت المحاكمة فيها بالحكم لنا يوم الجمعة ٢٦ حزيران سنة ١٩٣٦.
- (٥) وقد انتهت المحاكمة بالحكم لنا فيها يوم ٢٦ نيسان ١٩٣٩م.
- (٦) وذلك يوم ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٣٢ فليراجع عند الاقتضاء سجل الأوقاف لا سجل المحاكمات.
- (٧) لكن رئيس لجنة المساحة وهو الخواجه جورج شمعون كان من أولي القوة والبأس الشديد وكان له مع الحكومات مكانة الصديق الناصح فكانت لا تنقض ما يبرم ولا تبرم ما ينقض.

ناحيتهما العمرانية:

على قارعة طريق الداخل إلى صور والخارج منها تجثم المدرسة الجعفرية في أجمل المواقع المرتفعة^(١) جثوم المعقل المنيع في بناء محكم كبناء الحصون قوة، وجمال كجمال القصور نضارة. تقوم هناك رفيعة الهام شامخة العرنين بعيدة النظر واسعة الأجواء تتمتع بهذا الانطلاق الساحر في منظر سابح فوق الخضم من جنوبها وشمالها سارح بين قمم الجبال العاملة ويطون أوديتها وفوق أديم السهول الساحلية الجميلة هناك تقوم مدرسة الإمام جعفر الصادق عليه السلام على أحدث طرز من الهندسة مؤلفة في الوقت الحاضر من ثماني عشرة غرفة صحية واسعة وفسحة بينها تزيدها فراهة ونضارة ولا بد لنا من إنشاء غرف أخرى بمعونة الله تعالى تسع المزدحمين على أبوابها وما توفيقي إلا بالله وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

مسجدها:

أنشأنا في الجناح الشرقي من المخازن الستة وإيوانها مسجدا للمدرسة على قارعة الطريق للداخل إلى صور والخارج منها واسع الفناء غزير الماء محكم البناء تام الأدوات والمرافق ينادي التلامذة والأساتذة والمارة وأهل الحارة: حي على الصلاة حي على الفلاح، حي على خير العمل^(٢) وجعل سطحه معدا لناء سبع غرف للمدرسة في جناحها الشرقي^(٣). ترضي رغبتنا في راحة الطلاب وتقدم المشروع إلى أوج الكمال المدرسي بمعونة الله تعالى. ونحن نأمل بتوفيق الله عز وجل أن تظل سائرة على سنن النجاح المطرد إلى جامعة لأنواع الثقافات العالية من العلوم الإسلامية وغيرها على نحو تشد إليه الرحال لذلك نحرص أن تكون أرحب المدارس صدرا ولا يزال عندنا متسع للبناء والعمران جنوبي هذه المؤسسة وقفا للطائفة المسلمة الإمامية تحت توليتنا استخلصناه بعد تلك المحاكمات الطويلة الوبيلة التي أشرنا فيما سبق إليها، والحمد لله الذي نصر عبده وأنجز وعده^(٤) ولا يزال عندنا متسع من الطموح إلى التشييد والتعمير سعيا وراء غايتنا المثلى في خدمة يتامى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

ناديها الجعفري:

أنشأنا في الطبقة العليا من المؤسسة غربي المدرسة صرحا فخما في طول اثنين وعشرين مترا ونصف المتر وعرض ١٥ مترا ونصف المتر ذا نوافذ على البر والبحر على أحدث طرز عددها

(١) فوق المخازن الستة وإيوانها الألفة الذكر.

(٢) تبرع بنفقاته معمورا مقصورا منجورا الحاج أسعد مصطفى أسعد اجزل الله ثوابه.

(٣) وقد بنت والحمد لله.

(٤) إذ قال في محكم كتابه: (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) إنا لننصر رسلنا الذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد

إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.

إحدى وعشرون نافذة أسميناه (نادي الإمام جعفر الصادق عليه السلام)^(١) فكان مثابة لأهل عاملة عند اجتماعهم أيام المواسم الدينية لأداء المراسم الشرعية وأيام أفراحهم وأتراحهم وعند إقامة حفلاتهم لمهماتهم وسائر شؤونهم ولاسيما يوم عاشوراء ويوم مولد سيد الأنبياء ويوم الغدير حيث تحتشد الجماهير وقد عاد على الطائفة بنفع جزيل ورجع كثير والحمد لله.

خدمة المساجد وأهل العلم:

يسر الله لنا هذه الخدمة وسهل لنا لنا سبلها فوفقنا وله الحمد والنعمة إلى تأسيس مسجدين في صور^(٢) وعدة مساجد في قرى متعددة من أعمالها أحدها في البرج الشمالي^(٣) وآخر في الخلوسية وثالث في أرزون ورابع في صريفا وخامس في دير كيفا. وهناك جوامع كانت خرابا فأمدنا الله تعالى بتوقيفه إلى تشييده على ما يلائم الوضع الحاضر وتوسيعها بإضافة ما حولها إليها فمن ذلك جامع شحور وجامعان في طيرفلسية وجامع قلوبية والجامع الكبير في قانا.

وأجمعت بعناية الله تعالى وحسن توقيفه على خدمة أهل العلم بكل ما يصل إليه وسعي من تنشيطهم وتأيدهم دائب السعي في معونتهم مؤثرا لهم على نفسي بالحقوق المنطبقة علي دونهم في حال احتياجي إليها ولاسيما عند تجهيزهم إلى مهجرهم العلمي النجف الأشرف وعند رجوعهم إلى أوطانهم وكثيرا ما كنت أجعل لهم وهم في النجف الأشرف رواتب على ذويهم وأهل قراهم أجيبها لهم عند استحقاقها بنفسي وذلك من سوابغ ما أنعم الله به علي وهو أرجى ما أرجوه من عملي وأعده ذخرا ليوم فاقتي وأما بنعمة ربك فحدث.

في المدينة الطيبة

تشرفنا بأعقاب النبي وآله في دار هجرته ومحل نصرته عليه الصلاة والسلام وكنت بخدمة سيدتي الوالدة قدس الله نفسها وطهر رمسها في جماعة من أعيان بلادنا العاملية فصمنا ثمة معظم شهر رمضان المبارك سنة ١٣٢٨ هـ وكان السلطان عبد الحميد وصل بين الشام والمدينة بالخط الحديد فأقلنا قطاره فأوردنا المدينة الطيبة بعد خروجنا من الشام بليلتين وثلاثة أيام. فنزلنا دارا رحبة من دور إخواننا المؤمنين (النخالة) فاجتمعوا إلينا فرحين مبتهجين بنا وكنا سعداء بخدمتهم فيما يعود عليهم بالنفع والحمد لله على التوفيق لذلك.

وزارنا الأميران الشريفان شحاذ وناصر الحسينيان الإماميان في جماعة من مؤمني العوالي ولم يدخرا وسعا من العناية بكل ما يعود إلى راحتنا واحترامنا وكان الأميران يومئذ من أهل النفوذ والزعامة ثم كانا فيما بعد من مقوية سلطان الملك حسين وقواد الثورة العربية على عهده، وقد ألقى الحسين إلى شحاذ حكم المدينة ولناصر جهاد وجهود مشكوران مأثوران.

(١) تبرع بنفقاته معمورا، مقصورا منجورا الحاج حسن محمود الرز شكر الله سعيه.

(٢) وقد بينا ذلك فيما سبق.

(٣) تبرع بنفقاته الحاج حسن محمود الرز والحاج درويش خياط معمورا منجورا مفروشا فجزاهما الله خير جزاء المحسنين.

وكنا عزمنا على الاعتكاف في المسجد المقدس النبوي لكن الأميرين صرفانا عن ذلك احتياطاً علينا، وكان السيد عمران الحسيني الحبوبي النجفي الشهم الكريم ممن أبلى في أسباب راحتنا ونعم الهاشمي هو كان ذا مكانة مرموقة بأخلاقه الحسنة وله مواقف في قضاء الحاجات والسعي في المهمات الحجاج والزوار محمودة.

وكان رجوعنا من هذه الزيارة قبيل عيد الفطر من تلك السنة والله المسؤول أن يوفقنا في كل عام لحجج بيته الحرام والتشرف بأعتاب نبيه وآل نبيه عليه وعليهم الصلاة والسلام.

في مصر

كانت مصر وما تزال منارة من منارات العلم في الشرق العربي والدنيا الإسلامية يؤمها رواد المعرفة ومنتجعوا الثقافة من مختلف الأقطار وقد كانت تكافئ النجف الأشرف بأزهرها الشريف وتجاريه في خدماته الإسلامية وحراسته للعلوم العربية وقد أم الأزهر فيما أعلم كثير من أعلامنا توسعا في العرفان والإحاطة وتزييدا في المعلومات والاطلاع وكنت أحب فيما أحب أن أزور مصر واقف على أعلامها لأخذ العلم عنهم ولأبلى ما يبلغني عن الجامع الأزهر ذلك المعهد الجليل، وظلت هذه الأمنية كامنة في نفسي حتى حضرها خالي المرحوم السيد محمد حسين في أواخر سنة ١٣٢٩ هـ حين زارنا في عاملة فوجدتني وإياه كما ذكرناه في ترجمته نمخر عباب البحر في باخرة ألفت مراسيها في بور سعيد ثم حملنا القطار منها إلى القاهرة.

وكان لهذه الزيارة أثر محمود في نفسي وفي حياتي ذلك أنني توخيت أن أتغلغل في الحياة العلمية وأستبطن دخائل المجتمعات الأدبية بالتحدث إلى العلماء والسماع منهم وبتبادل الزيارات بيني وبينه وبالمناظرة في أهم المسائل العلمية التي كانت مدار البحث ومحك الفضيلة.

وقد بدأت هذه الجولة بالحضور في دورة الشيخ الأزهر يومئذ الشيخ سليم البشري المالكي رحمه الله تعالى، وكان يشرف على طلابه من منبره وهو منطلق في درسه انطلاقاً يلحظ فيه توفره وضلوعه فيما هو فيه، وكان يلقي دروساً في مسند الإمام الشافعي فكان يعرض أول ما يعرض للسند فيترجم رجال سلسلته باختصار، فإذا انتهى إلى الحديث نفسه فصل الكلام حوله بإفاضة فوقف إلى لغته وقفة أدبية ثم خطا إلى مورد ومفاده فإن كان في سبيل حكم من الأحكام ذكر ذلك، ولا يفوته ذكر الأصول العملية والقواعد العلمية عند الاقتضاء كما لم يكن يفوته التعرض لأقوال الأئمة في المسائل الخلافية، ولا تفوته مدارك الخلاف فإذا كان الحديث معارضاً جمع بينهما فيما يمكن فيه ذلك أو رجح أحدهما صادقاً بوجه الترجيح.

حضرت درسه الأول مرة وهو يسترسل فيه على هذا النحو وعرض لي أثناء الدرس ما يوجب

المناقشة فناقشته، ثم علمت بعدئذ أن المناقشة وقت المحاضرة ليست من الدراسة الأزهرية فكنت بعدها أفضي بعد الدرس بما عندي من المسائل الجديدة بالبحث والمذاكرة.

وقد كانت مناقشتي الأولى في كل حال سببا في اتصال المودة بيني وبينه وسبيلا إلى الاحترام المتبادل، ثم طالت بيننا وتشاجنت الأحاديث وتشعب البحث بما سجلناه في كتابنا (المراجعات) ولو لم يكن من آثار هذه الزيارة إلا هذا الكتاب لكانت جديرة بأن تكون خالدة الأثر في حياتي على الأقل.

ولعل الكتاب يصور بعض الأجزاء العلمية التي تفيانها يومئذ في آفاقها منطلقين من القيود الكثيرة التي كانت توثق الأفكار آنذاك برجعات يضيق صدرها حتى بالمناقشة البريئة والتفكير الصحيح ومهما يكن من أمر فقد نعمنا بمصر في خدمة هذا الشيخ واتصلنا بغيره من أعلام مصر المبرزين إذ زارونا وزرناهم أخص منهم العلامة الشيخ محمد السملوطي والشيخ محمد بخيت، وقد نجمت هذه الاجتماعات الكريمة عن فوائد جمة أقلها الاتصال الفكري بين مدرستي النجف والأزهر والتعارف بين خريجي هذه وخريجي تلك على مدى ما في كل منهما من أسباب التفكير وطرق الدراسة ووفرة المحصول.

ودع عنك ما لهذا الاتصال من النتائج الحسنة التي تعود على الوحدة بأعم الفوائد وأجدها. ولكن زيارتي كانت زيارة فردية هي منقطعة الأول والآخر وكذلك زيارتي من زار مصر غيري لذلك كانت فوائدها وقيمتها ولو أن الزيارات تستمر متبادلة بين أعلام البلدين لكان لها أحسن الأثر في رفع كثير من غشاوات البعد ولا اتصلت إذن حلقات الأمة متفاهمة متحاببة تتساقى كؤوس الصفاء والولاء.

ولعل الوعي الاجتماعي الجديد يقرب خطوات هذه الاجتماعات بشكل من الأشكال الرسمية لندنو بها من الواقع الحبيب.

وعلى كل فقد غادرت مصر وأنا أحن إليها وأتزيد من الليث فيها ولم أغادرها قبل أن يتحفني أعلامها الثلاثة: البشري وبخيت و السملوطي ، بإجازات مفصلة عامة عن مشائخهم أجمع بطرقهم كلها المتصلة بأرباب جميع الكتب والمصنفات من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم في جميع العلوم عقلية ونقلية ولا سيما الصحاح الستة وموطأ مالك ومسند أحمد ومستدرك الحاكم وسائر المسانيد وكتب التفسير والكلام والفقه وبقية العلوم الإسلامية مطلقا.

وممن أنعمنا بخدمته في مصر وتبادلنا معه الزيارات وكانت بيننا وبينهم محاضرات ومناظرات في مسائل فقهية وكلامية دلت على غزارة فضله ورسوخ قدمه في العلم شيخنا الشيخ محمد عبد الحي بن الشيخ عبد الكريم الكتاني الإدريسي الفاسي، وقد أجازني أيضا إجازة عامة وسعت طريقي في الرواية والحديث وأطردت المراسلة بعد العودة إلى البلاد بيني وبين شيخنا البشري زمنا ثم طغت عليها الشواغل وكوارث الحرب العالمية الأولى.

وكان رجوعنا من مصر في جمادى الأولى سنة ١٣٣٠ هـ^(١) وقد حملني الحنين إلى مصر على زيارتها مرة أخرى عرضاً لها فيما تحدثنا عن نهضتنا سنة ١٣٣٢ هـ^(٢).

في بيت الله الحرام

كنا إذ تشرفنا بالمدينة الطيبة سنة ١٣٢٨ هـ نظن أن نوفق للحج، لكن الأحداث المختبئة في ضمير الغيب أخرت ذلك إلى سنة ١٣٤٠ هـ، وفيها سهل الله لنا أسبابه والحمد لله على ذلك. وحين أزمعنا وافتنا الباخرة (بركشير) إلى مرفأ صور جاء بها مستأجرها راشد بك عسيران وقد أعد لنا المحل الأول منها ذهاباً وإياباً مجاناً فكنت فيه ومعى ابن عمي السيد علي وقد أقلع بها ربانها يوم السبت الثاني عشر من ذي القعدة سنة ١٣٤٠ ثامن تموز سنة ١٩٢٨ م وفيها من حجاج العاملين ترووا على الثلاثماية وآخرون من غيرهم وقد أحرمنا بالنذر بعد السويس وجددنا نية الإحرام عند محاذاة (الجحفة) وجددناها من كل من جدة وحدة احتياطاً. وكنا في تلك الباخرة كما نكون ونحن حاضرون نقيم الفرائض الخمس جماعة على ظهرها فإذا فرغنا من ذلك فرغنا إلى الحجاج نتقدمهم فأجول بين أماكنهم المختلفة من الباخرة بإسعافات صحية لمن يحتاج إليها ممن أخذهم دوار البحر أو أضرهم اختلاط الأنفاس وتكادهم ضيق المكان وكنا نرفع من هؤلاء إلى السطح ممن يحتاج منهم إلى الهواء الطلق حتى امتلأت باحة الدرجة الأولى أمام غرفتنا وضاق بهم الريان ذرعاً غير أنه لم يكن في وسعه المعارضة. وكنا نلقي على الحجاج دروساً في مناسك الحج وما إليها من حكم وأسرار.

في جدة

كنا كذلك حتى انتهينا إلى جدة، وما إن نزلنا منزلنا الرحب حتى زارنا رئيس حكومتها القائم مقام الشيخ عبد الله زينل في ثلة من الأجلاء فيهم رئيس البلدية وناظر الجمرك فرحبوا بنا واختلف إلينا كل من الشريف طه ومحمد ناصيف وكيل الإمارة في جدة والأديب قسطنطين يني اللبناني يلتمسون أن نكلفهم بخدمة فقابلنا التماسهم بالشكر. وفي اليوم الثاني عاد إلينا القائم مقام زائراً ومرحباً ومهنئاً باسم الملك وقد حمل إلينا عنه من العواطف ما كنا نحرضه بشيخ الأبطح ومليك الهاشميين في هذا العصر. ثم جاءنا أحد قواد الجيش موفداً من الملك ليكون في ركبنا إلى أم القرى فكان معنا من جدة على حدة ومنها إلى مكة أعزها الله وأنزلنا بستاناً للملك في حدة ملتف الأشجار وقانا بوارف ظلاله وسمين أفيائه وتسلسل مائه المتساب في جداوله ما كنا نحذره من ذلك الجو القائن العنيف بسموه ونزل الحجاج يومئذ في البحرة أو البحيرة وهي رملة واسعة غربي حدة فيها أكواخ قش جعلت محطة بين جدة ومكة يمكث الحجاج فيها سحابة النهار تصهرهم الشمس على

(١) الموافق شهر ايار سنة ١٩١٢ م.

(٢) الموافق سنة ١٩٢٠ م.

غير ماء إلا الأقل وقد مات فيها من شدة الحر والعطش نساء ورجال كثيرون وكان العنت فيها عاما فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به غيرنا ولو شاء لفعل.

في مكة

أقبلنا على مهبط الوحي فأقبلت علينا منه معالم التاريخ تتواكب في ذلك الأفق الكريم وتنبعث فيه أرواح السماء التي كانت تنزل على سيد البشر في تلك الشعاب الرفيعة من مهد الرسالة الغراء ومصدر النبوة الناهد بها محمد صلى الله عليه وآله وسلم في زحف كزحف النور على تجاليد الظلام وقطعه الدوامس.

ما أكرم تلك الذكريات المتألفة في مدارج سيد النبيين من ثرى مكة، وكل شيء في مكة عليه من سيد النبيين وخاتم المرسلين آثار تفتح للذهن وجوها للتفكير وترسم صوراً للأذكار تشرئب من هالاتها النورانية رؤوس وتتلاً ثغور تأخذ بالأبصار والأعنة وتنقل النفوس من دنيانا الهينة هذه إلى دنيوات الفتح والجلال والقدس يوم كانت مكة تتدفق بريها وشعابها في أطراف الجزيرة ثم تتسع وتمتد فإذ هي نطاق يتجاوز هذه الرقعة من الصحراء إلى عالم رحب أرحب من الفكر وأبعد من تناول الطموح وإذا هذا النطاق يخرج مكة من معناها الجغرافي المحدود إلى معناها العلوي الذي لا يحد.

فلا تجد الدنيا البعيدة مهرباً منها وهي تمتد سريعة خفيفة لتعقد طرفيها المطلقين وراء والأهل المسكون من هذه القرى.

تنشئ الشرائع والحضارات وتظفر بالنقطة الوسطى من عالم التمدن فتمتد منها طرق وتبتدئ منها الخطوط إلى حيث تشاء من أجزاء هذا العالم وعواصمه وتكون نقطة المبدأ في مقاييس القرب والبعد، بعد أن كانت تتنكب الطريق على المناهل والحضارات نائية في تلك الشعاب القاحلة ظامئة لا يمر بها القياس العالمي ولا هي منه في شيء.

هذه مكة يتموج في جوها صوت الرسالة فتسبح هي منه في لجة طهرت طبيعتها من أوضارها الطارئة وجلت جوهرها المدخر من سدها المركوم ثم تسبح معها يثرّب ثم يتجرد الحجاز فينضو عنه ثيابه الخلقة المزدولة بين يدي هذه اللجة الهاجمة ثم تتلاصق المدن والأقطار فلا تظل مدينة مشّت حول أسوارها خيول الإسلام إلا عادت جزءاً من أجزاء مكة تخوض معها في هذه اللجنة المشعشة المباركة رعى الله مكة وحماها.

لقد استأثر بي تاريخها ساعات فحملني على أجنته ومضى يخفق بي في أجواء وددت أني لم أعد منها إلى هذا الجو وتمنيت أن أظل على تلك الأجنحة أطوف بها في مهابط الوحي على مهل وأسعى في ظلل الأمجاد وعلى آثار محمد وعلي والميامين من آل النبي وأصحابه وأحبا منهم حياة روح لا تفاجئها هذه المنغصات من أحداث الزمن التي عادت بمكة إلى عهد تقلص فيه نطاقها.

وها أنا أنزل عن أجنحة التاريخ في خشوع يشترك بإنشائه في نفسي جلال الذكرى وقدس المكان فاهبط في دار من شعب عامر لا تبعد بنا عن أطيايف الجادة ولا تتواري عن كبرياء التاريخ. ولا بد لنا ونحن من أبناء الحياة الحاضرة كأن نتجرد من التاريخ لنعود تأريخا حين تستقبل منا الأجيال القادمة ما استقبلناه من الأجيال الماضية.

وها نحن في مرحلة توثب إلى أن يكون لها شأن تستوحيه من شأن مكة. وللعرب في كل مكان ولاسيما في مكة نزوع إن اختلفت تفاصيله فإن مجمله متفق على الوثوب إلى التاريخ من حاضرمهم الهين، وكان للملك حسين قبل هذه السنة مساع خالدة عرفها له التاريخ وسجلها نواة لنهضته فإن أصحاب العرب بعدها حظاً من الحظوظ فإنما يكون ذلك ثمرة لجهاده وصدى لصوته.

وقد كان لموقفنا في النهضة العربية العاملية أثر في نفسه دعاه إلى أن يحيط حجبنا بكثير من أسباب الرعاية وحسن الوفادة.

وكان احترامه لنا ذا مظاهر مختلفة بعضها شخصي وبعضها نوعي، فمن الشخصي أنه رحمه الله تعالى أمر بوضع (بروتوكول) لاستقبالنا منذ دخلنا الحجاز حتى خرجنا منها فكان الاستقبال لنا من القائمهقام والقائد في جدة مستهل هذا المنهج الملكي الكريم، ثم لما تشرفنا بمكة العظيمة زارنا باسم جلالته وزير الخارجية وقاضي القضاة في جماعة من الحاشية الملكية. ثم أطردت زيارات وزير الخارجية الشيخ فؤاد الخطيب بأمر جلالته في كل غدوة وراح عناية منه بنا ما دمنا نتفياً ظلال ملكه الذي كنا وكان المخلصون من أحرار العرب نتمنى ويتمنون أن يمتد فيشمل الجزيرة كلها.

ثم كان من الخطة التي أمر بوضعها أن يلازمنا رئيس الشركة فيكون في حاجتنا عند اللزوم، كما أن الخطة شملت سدة البيت وخدام الحرم فكان حين نقبل يجتمع منهم نضربين أيدينا يمهدون الطريق ويفرقون الزحام ليسهلوا علينا الطواف والقياد بأعمالنا العبادية من واجبات و مستحبات.

ووراء هذا المنهج الرتيب وجه إلينا دعوات عديدة وكانت لنا مع جلالته اجتماعا خاصة في بيته وأخرى عامة حمدنا له فيها خلقه الرفيع وحفاوته البالغة.

وكانت من عادته أن يغسل البيت الحرام بنفسه في الموسم من كل سنة وقد أثر في موسمنا أن نشاركه في هذا الشرف الرفيع ففعلنا ذلك ودلني على كل من الملتزم ومحل ولادة أمير المؤمنين وصلى في كل منهما ركعتين وصلينا في كل منهما ركعتين مبتهلين ثمة إلى الله تعالى بما تيسر من الدعاء والحمد لله على التوفيق.

واحتفل بنا في مأدبة عامة أقامها على شرفنا الثكنة العسكرية دعا إليها وجوه الحجاج من سائر الأقطار الإسلامية وكان قد دعانا قبل ذلك مرتين إلى مأدبة خاصة بنا في بيته، وأمر أن

يعرض الجيش عرضاً عاماً تكريماً لنا فعرض في صحراء (جرول) أمام الثكنة العسكرية وكنت إلى جنب جلالته خلال الاستعراض أتشوف إلى المعدات والأسلحة وراء ذلك الجيش الجرار الذي لم تجر الأقدار حسب ما أراد وأراد له ملكيه المنفذ ألا فيلخر الله وجوه السوء من ذوي الخيانة والخداع، وليخز الله سياسة لا يسرها الصدق والإخلاص والصلابة في الحق.

وعلى كل حال فهذه خلاصة سريعة للحفاوة الشخصية التي لقيناها من جلالة الحسين بن علي في حجنا.

وأما المظهر النوعي في حفاوته فيعرف وصفه من كان في الموسم تلك السنة من سائر الحجاج وقد كان الشيعة كلهم ذوي احترام ملحوظ على نحو لم يعهدوه من قبل تلك السنة ولا بعدها وكان من هذا الاحترام أنه لم يعلن بثبوت الهلال حتى ثبت لدينا بشهادة التواتر من أصحابنا. ومنه أننا كنا نصلي الفرائض الخمس جماعة في المسجد الحرام وفي مسجد الخيف وفي مسجد جدة في جماعة لم يعهد ثمة نظيرها شيعة في تاريخهم.

وكنا نعمل في موافقنا كلها عمرة وحجاً حسب ما يقتضيه مذهب أهل البيت في غير حرج ولا ضيق وكنا منزلنا في شعب عامر وفي بيت المطنب المضروب على عرفات ومنى مأوى لهذه الجموع الغفيرة يختلفون إليه ويريحون به يأخذون منه ما هو محل ابتلائهم من الأحكام الشرعية ويستمعون إلى قراءة التعزية وأحاديث الوعظ والإرشاد كأنهم في حواضرهم من عاملة والعراق وإيران وأفغان والهند والزنجبار.

وإني لأحمد الله تعالى على ما هيا لنا في تلك المواقف المحموده التي سجلت للأمة مظهرها من مظاهرها الكريمة في حديث تحفظه الجماهير الغفيرة من حجاج ذلك العام وتتناقله حتى الآن، ولنا من الذكريات العلمية في ذلك الموسم مناظرات جديدة بالتسجيل على التفصيل لولا ضيق المجال.

أولاًها في الثكنة العسكرية ليلة الدعوة العامة الأنفة الذكر كانت بعد الصلاة وتناول العشاء وقد انتظم سامر حافل بالخاصة فذهبنا ندير الأحاديث ونتداول الكلام حتى انتهى المطاف إلى إسلام أبي طالب.

فكنا في هذا الموضوع في معسكرين وكنت أنا في أحدهما وكان مفتي (برصة) والشيخ عبد القادر شيخ الأبطح وبيضة البلد واضحة مجدولة، ما أنسى أن الملك حسين كان يتהלل لها أنسا وطربا.

وثانيها في مسجد الخيف من منى كانت بيني وبين أحد شيوخ النواصب إذ أنكر علي الإمامة وأنا شيعي في مسجد الخيف فأجبتة أولاً في هواده ولين إثارة للحكمة وعملاً بأداب المناظرة النزيهة ولكنه اضطررتي بجعله وشراسته إلى رده منكمشاً على نفسه مذموماً مدحوراً.

انتهى بحمده تعالى الجزء الثاني من كتاب معالم الشام وأعلامها ويليه الجزء الثالث (العددان ٨٧ - ٨٨) من موسوعة الموسم.

من موسم إلى موسم

سعيد للغري سعى مغذاً

قصيدة فاضت بها قريحة شاعرنا الكبير
العلامة السيد عبد الستار الحسيني فله منا
كل الشكر والتقدير..

باسمه تعالى

إلى صاحب الفضل والفضيلة العلامة والمؤرخ الباحث المتتبع الطلعة المسبار، المصنف الأديب،
الرحلة الجائب الآفاق لصيد شوارد المعارف وأوابد الأفكار الأستاذ الكبير الدكتور الشيخ محمد سعيد
الطريحي دامت سعادته وطابت وفادته أهدي هذه الأبيات التي حضرتني عند تشرفي بلقائه في
مؤسسة كاشف الغطاء في النجف الأشرف وأواخر ذي الحجة الحرام من سنة ١٤٣٠ هـ راجياً قبولها:

فأبهجنا بطالعه السعيد
تزف به البشائر أي عيد
فضائله وعزت عن نديد
وما تنفك ترفد بالمزيد
كنظم الدر في العقد الفريد
قد اتصلت بميراث الجدود
وحبر كاتب ندب رشيد
فيورك شبل هاتيك الأسود
به ضاهى ذرى المجد التليد
رعاه الله من صرح مشيد
حوت بجهوده أسنى رصيد
إلى تاريخ أفذاذ مجيد
غدت في الذكر كالمثل الشroud
تعداد، وفي التهائم والنجد
أفاضلنا بمنهجه السديد
نسائمه بمسلكه الحميد
أنار به الدجا للمستفيد
نضيس عز مثلاً في الوجود
معارف للقريب وللبعيد
ومن عليه بالعمرم المديد

سعيد للغري سعى مغذاً
وكان لقاءه الميمون عيداً
أجل فابن الطريحي استفاضت
له سمقت مآثر ليس تحصي
نظم من بسطت مفخره المعلى
من الفكر الأصيل له جذور
فما فيهم سوى علم فقيه
إلى «أسد» به ضربت عروق
وطارف مجده أضحى منارا
وشاد من الذخائر صرح فكر
وحسب «الموسم» الغراء أن قد
فمن علم إلى أدب رفيع
وفي دنيا التراث بما حوته
لها الأصداء في شرق وغرب
وحسب «أبي علي» أن أشادت
ودبجت الثناء عليه تذكو
وكم خطت أنامله كتابا
وفي التحقيق أتحنفا بكنز
فقل موسوعة هو في ضروب ال
وقاه الله من شر وسوء

من ذلك المحب الأقل عبد الستار الحسيني
نزير المدرسة المهديّة العلمية الدينية

النجف الأشرف.

ALMAWSEM



موسوعة فصلية مصورة تعنى بالاثار والتراث

صَاحِبُهَا وَرئيسُ تحريرها
مجلد سعيد الطريحي



الكوفة
Kufa Academy

KUFA ACADEMY POSTBUS 1113
3260 AC OUD - BEIJERLAND
NEDERLAND

<http://www.almawsem.net>

<http://www.yafatim.com>

e-mail: almawsem@almawsem.net

المراسلات